اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينها بجلية .

الجزء السابع

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الله ناصر كل صابر الحمد لله الذى لا يستفتح بأفضل من اسمه كلام * ولا يستنجح بأحسن من صنعه مرام * الوهاب المنان * متبع الاحسان بالاحسان * الذى لا خير الا منه * ولا فضل الا من لدنه * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الجميل العوائد * الجزيل الفوائد * أكرم مسؤل * وأعظم مأمول * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * سيد البشر * الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر * الوافى عهده * الصادق وعده * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المخصوصين بعلو الهمة * والحائزين الفضائل الجمة * صلاة تشرق اشراق البدور * وتتردد تردد أنفاس الصدور * وسلم وكرم * وشرف وعظم * وبعد فهذا شرح (كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) وهو التاسع من الربع الثانى من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام بحر العلوم الزاخر * الجامع لانواع المفاخر * أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * سقى الله ثراه صوب غيث رحمته المتوالى * يشرح ظاهر ألفاظه * ويلوح بالتنبيه على مسارح ألحاظه * ويفسر مدارج تحقيقاته المهمة * ويكشف عن معضلات مباحثه المدلهمة * على وجه رائق يسهل طريق المفاد * ونهج شائق يتوسط للوصول الى المراد * والله أسأل أن يمدنا بمنائح نفحاته * ويعيد علينا من نوافح بركاته * وهو الموفق لا اله غيره ولا خير الا خيره قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) واستفتح به كتابه تيمنا باسمه الكريم واقتفاء لآثار حبيبه الرسول الكريم ثم قفاه بقوله (الحمد لله) جمعا بين الآثار ورعاية لسياق الاخبار وفى كل من الجملتين كلام تقدم بعضه فى الكتب السالفة من هذا الكتاب واشتهرت مباحثهما بين أولى الالباب (الذى لا تستفتح الكتب) جمع كتاب وهو فى الاصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه (الا بحمده) أى ثنائه عليه بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله والاستفتاح

(كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب الا بحمده *

الاستبداء

الاستبداء استفعال من الفتح الذى هو ازالة الانغلاق والاشكال أى لا تكون مبدوأة الا بذكره (ولا تستمنح النعم) أى لا تستعطى والاستمناح استفعال من المنح بفتح فسكون وهو العطاء والنعم بكسر ففتح جمع نعمة (الا بواسطة كرمه ومجده) والكرم افادة ما ينبغى لا لغرض والمجد سعة الكرم فمن كان واسعا فى كرمه تستمنح منه الرغائب وجليل العطايا فكان سعة كرمه صارت واسطة للطلب (والصلاة والسلام (على سيدنا محمد رسوله وعبده) أشار به الى وجهى النبوة فمن حيث الحق وجه العبودية ومن حيث الخلق وجه الرسالة والعبودية أشرف المقامات ولذا ذكر بها فى جملة آى من القرآن واليه أشار الشاعر

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائيا

وذكر الصلاة غير مقرونة بالسلام فيه اختلاف بين العلماء وقد تقدمت الاشارة اليه فى أول كتاب العلم (وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده) طيبهم الله تعالى وطهرهم من كل دنس ورجس حتى صارت صلاحيته لاهليته وقرابته وصحبته (أما بعد فان الامر بالمعروف) وهو ما قبله العقل وأقره الشرع ووافقه كرم الطبع (والنهى عن المنكر) وهو ما ليس فيه رضا الله تعالى من قول أو فعل (هو القطب الاعظم فى الدين) وأصل القطب هو الخط المستقيم الواصل من جانب الدائرة الى الجانب الآخر بحيث يكون وسطه واقعا على المركز (وهو المهم الذى ابتعث الله النبيين أجمعين) يقال بعث له واليه وابتعث وبعثه أيضا وابتعثه وجهه والمهم من الامور ما قصد اليه ببذل الهمة والغرض من بعثة الانبياء اصلاح أمور الدنيا وأمور الآخرة فاصلاح أمور الآخرة بمعرفة الله تعالى وتلقى شرائعه التى شرعها الله لعباده واصلاح أمور الدنيا بانتظام معايشهم واتفاقهم على كلمة الحق وحسن معاملتهم وكل ذلك لا يتم الا بائتمار المعروف بينهم والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه وأنكره (ولو طوى بساطه) وهو كناية عن الاعراض عنه (وأهمل) أى ترك (علمه وعمله) أى معرفته بحدوده وأركانه والعمل به (تعطلت النبوة) أى شعائرها (واضمحلت الديانة) أى انمحى أثرها (وعمت الفترة) أى السكون والهدو (وشاعت الضلالة) أى ظهرت (واستسرى الفساد) أى طار شرره وقوى وفى نسخة انتشر أى ظهر (واتسع الخرق) على راقعه (وخربت البلاد) باختلاف كلمة أهلها (وهلك العباد) بتعدى القوى على الضعيف (وان لم يشعروا بالهلاك) لانغماسهم فى بحر الحيرة (الى يوم التناد) أى القيامة حيث ينادى بعضهم بعضا (وقد كان) أى وجد ووقع (الذى خفنا) منه (أن يكون) فما يسع الا النطق بكلمة الاسترجاع (انا لله وانا اليه راجعون) هذا قاله المصنف فى رأس الخمسمائة فكيف لو أدرك زماننا ونحن على رأس المائتين بعد الالف ولا قوة الا بالله ثم شرع يبين ما حقق له به الاسترجاع فقال (اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه) أى انطمس أثر العامل به وكذا العالم بقوانينه وحدوده (وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه) فلم يبق الا اسمه (واستولت على القلوب مداهنة الخلق) فيرى أحدهم منكرا يقدر على دفعه فلا يدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو لقلة مبالاته فى الدين (وانمحت عنها مراقبة الخالق) جل جلاله (واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات) أى ارسلوا نفوسهم فى اتباع ما تميل وتنزع اليه من مستلذات الشهوات من غير داعية الشرع (استرسال البهائم) فى مراعيها (وعز على بساط الارض) أى وجهها أى قل وندر وجود (مؤمن صادق) فى ايمانه كامل فى احسانه ممن (لا تأخذه فى الله) أى لاجله (لومة لائم) وعذلة عاذل (فمن سعى فى تلافى) أى تدارك (هذه الفترة وسد هذه الثلمة) بالضم أى الخلل الواقع فيه كثلمة الحائط (اما متكفلا بعملها) بأن يعلم الناس بما أعطاه من بيان قوانينها ورسومها وحدودها ان لم يكن أهلا للعمل بها (أو متقلدا لتنفيذها) وامضائها ان كان قادرا على ذلك (مجددا لهذه السنة الداثرة) أى المندثرة (ناهضا) أى قائما (بأعبائها) أى بأثقالها (ومتشمرا فى احيائها) أى مجتهدا (كان مستأثرا) أى مخصوصا (من بين الخلق) أى من دونهم (باحياء سنة أفضى الزمان) أى

ولا تستمنح النعم الا بواسطة كرمه ورفده * والصلاة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده * وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده * (أما بعد) * فان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الاعظم فى الدين * وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين * ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستسرى الفساد * واتسع الخرق وخربت البلاد * وهلك العباد * ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد * وقد كان الذى خفنا أن يكون * فانا لله وانا اليه راجعون * اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم * وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم * فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا فى احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمان

الى اماتتها * ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها * وها نحن نشرح علمه فى أربعة أبواب * (الباب الاوّل) * فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته * (الباب الثانى) * فى أركانه وشروطه * (الباب الثالث) * فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات * (الباب الرابع) * فى أمر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر * (الباب الاوّل * فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى اهماله واضاعته) * ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار (أما الآيات) فقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ففى الآية بيان الايجاب فان قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ خص وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة فاذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف اليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذى هجر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم يعنى

أهله (الى اماتتها ومستبدا) أى مشتغلا (بقربة) أى طاعة (تتضاءل) أى تتصاغر (درجات القرب دون) البلوغ الى (ذروتها) أى أعلاها والمراد بدرجات القرب هى المقامات التى يعطى العبد فى سلوكه الى الله تعالى ويخصص بكثير من الصفات التى يصح أن يوصف الحق بها فكل مقام منها عن درجة وهى أعلى من التى فارقها (وها نحن نشرح علم ذلك فى أربعة أبواب الباب الاوّل فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته) المفهومة من الآيات والاخبار (الباب الثانى فى أركانه وشروطه الباب الثالث فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات) الجارية بين الناس (الباب الرابع فى أمر الامراء والسلاطين) ومن فى معناهم (بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

*(الباب الاوّل فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر)

(و) فى بيان (فضيلته والمذمة فى اهماله) وتركه (فأما الدليل على وجوبه بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه) يريد بالامة الجماعة يجمعها أمر اما دين أو زمن أو مكان واحد فانهم كلهم كالمجمعين عليه وان لم يصرح به بعضهم والمراد بالعقول السليمة هى الكاملة من أصل الفطرة السالمة من النقص (الآيات) القرآنية (والاخبار) النبوية (والآثار) المنقولة عن الاصحاب والاتباع ومن بعدهم (أما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم أمة) أى جماعة (يدعون الى الخير) أى يرشدون الناس الى الخير (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ففى) هذه الآية بيان الايجاب (فان قوله تعالى ولتكن أمر) وأصله تكون فلما دخلت لام الامر سقطت الواو (وظاهره الايجاب) كما هو المتبادر من صيغ الامر المؤكدة باللام (وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ خص وقال وأولئك هم المفلحون) أى لا غيرهم والفلاح كما تقدم هو الظفر وادراك البغية فالدنيوى هو ادراك السعادة التى تطيب بها الحياة والاخروى أربعة أشياء بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل (وفيها بيان انه) أى الامر بالمعروف (فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به أمة) أى جماعة من الناس (سقط الفرض عن الآخرين) من الذين لم يقوموا (اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة) ومن للتبعيض (فاذا مهما قام به واحد) من القوم (أو جماعة) منهم (سقط الحرج) والاثم (عن الآخرين واختص الفلاح) أى وصفه (بالقائمين به المباشرين له) بتنفيذه واجرائه (وان تقاعد عنه الخلق أجمعون) فلم يقم به أحد منهم (عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة) أى ألبتة (وقال تعالى ليسوا سواء (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف اليه الامر بالمعروف) والنهى عن المنكر (وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقد نعت المؤمنين) فى هذه الآية (بأنهم يأمرون بالمعروف) وينهون عن المنكر (فالذى هجر الامر بالمعروف) والنهى عن المنكر (خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) يعنى الزبور (وعيسى بن مريم)

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر (٥) وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بين انهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا * وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم أثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية فبين انه أهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من

يعني في الانجيل (ذلك بما عصوا) رسلهم (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون الحدود ثم بين اعتداءهم فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد) ونهاية التهديد (اذ علق استحقاقهم اللعنة) التي هي الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى (بتركهم النهي عن المنكر) أخرج الطبراني من حديث أبي موسى الاشعري رفعه قال ان من كان قبلكم من بني اسرائيل اذا عمل العامل فيهم الخطيئة فنهاه الناهي تعزيرا فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالامس فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق اطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم (وقال تعالى) مخاطبا لهذه الامة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بين انهم كانوا به خير أمة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به) وأعرضوا عنه (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهو المنكر من الفعل والقول (وأخذنا الذين ظلموا) أنفسهم بمخالفتهم لاوامر الحق (بعذاب بئيس) أي شديد (بما كانوا يفسقون فبين) في هذه الآية (انهم استفادوا النجاة بالنهي عن المنكر) وفي بعض النسخ بالسوء (ويدل ذلك على الوجوب أيضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة) وهو من عمد الاسلام (في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه) أي ليعن بعضكم بعضا في الخير (وتسهيل طرق الخير) بالمعاونة (وسد سبل الشر والعدوان) أي التعدي (بحسب الامكان) أي القدرة (وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون) أي العلماء المنسوبون الى العلم الالهي (والاحبار عن قولهم الاثم) أي المنكر (وأكلهم السحت) وهو الحرام الصرف الذي فيه الرشوة (لبئس ما كانوا يصنعون) ومثله قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت قال الواحدي أجمعوا على أن المراد بالسحت هنا الرشوة في الحكم وقالوا نزلت الآية في حكام اليهود كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم وقال الحسن في هذه الآية تلك الحكام يسمعون الكذب ممن يكذب في دعواه عندهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها سمعوا كذبه وأكلوا رشوته (فبين انهم أثموا بترك النهي) عما كانوا يفعلونه (وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض فبين انه هلك جميعهم) لسكوتهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض) وهو كل منكر شرعا وعرفا (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) أي العدل (شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) فوعد بالاجر العظيم الذي هو الجنة كما في حديث أنس مرفوعا لمن أمر بالمعروف والاصلاح ومنعهم عن الفساد والاختلاف وأخرج البيهقي من حديث أبي أيوب مرفوعا قال يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة ترضي الله ورسوله بموضعها قلت بلى قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم أين كنت فقال أصلحت بين قوم فقال محمد بن كعب أصبت لك مثل أجر المجاهدين ثم قرأ الآية لا خير في كثير الى آخرها (وقال تعالى وان طائفتان من

المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية) الى آخرها (والاصلاح) فى الآية التى قبلها وهنا (نهى عن البغى) الذى هو تجاوز الحق الى الباطل أو ما يجاوره من الامور المشتبهات (واعادة الى الطاعة) والانقياد (فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع (الى أمر الله وذلك هو النهى عن المنكر) فهذه الآيات بمناطيقها تارة وبمفاهيمها أخرى قد دلت على ايجاب الامر بالمعروف تارة وعلى فضله أخرى (وأما الاخبار) وهى كثيرة أيضا (فمنها ما روى عن أبى بكر) الصديق (رضى الله عنه انه قال فى خطبة خطبها) بعد ان استخلف (يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده) هذا الحديث تقدم ذكره فى أوّل كتاب العزلة مع وطاو بين سياقيهما تفاوت فانه سبق له فى كتاب العزلة بلفظ قام أبو بكر خطيبا وقال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وهى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وهذا السياق هو الذى أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد والعدنى وابن منيع والحميدى فى مسانيدهم والاربعة وصححه الترمذى وأبو يعلى والكجى فى سننهم وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والدارقطنى فى الافراد وابن منده فى غرائب شعبه وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب والضياء فى المختارة كلهم من طريق قيس بن أبى حازم قال قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه فذكره والذى ساقه المصنف هنا هو أقرب الى حديث جرير البجلى مرفوعا فيما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصى أمنع منه وأعز لا يغيرون عليه الا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب ولفظ ابن مردويه من طريق أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال خطب أبو بكر الناس فكان فى خطبته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا لا تتكلوا على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الداعر ليكون فى الحى فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب وله أيضا من حديث ابن عباس قال قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمى خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم مد يده فوضعها على المجلس الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ثم قال سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس يتأول هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ثم فسرها فكان تفسيره لنا ان قال نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر و يفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الاحق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه فقال أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا وأخرج أبو ذر الهروى فى الجامع من طريق قيس بن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق وقرأ هذه الآية فى المائدة لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم أو ليعمنكم الله بعقاب وقد تقدم شئ من ذلك فى كتاب العزلة (وروى عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه) فى اسمه أقوال وهو ممن بايع تحت الشجرة منسوب الى جده حسين بن لاى وذكر فى كتاب الحلال والحرام (انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه اه قلت ورواه أيضا ابن جرير والبغوى فى معجمه وابن المنذر وابن أبى

المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية والاصلاح نهى عن البغى واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله وذلك هو النهى عن المنكر (وأما الاخبار) فمنها ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن أبى ثعلبة الخشنى انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا

حاتم والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية قال اية آية قلت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فان من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية للحاكم بعد قوله مؤثرة وأمرا لا بد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم وفيه أيضا صبر فيهن كقبض على الجمر وقد روى مثل ذلك من حديث معاذ بن جبل انه قال يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الآية وقال يا معاذ مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل امرئ برأيه فعليكم أنفسكم لا يضركم ضلالة غيركم فهو من ورائكم أيام صبر المتمسك فيها بدينه مثل القابض على الجمر فللعامل منهم يومئذ مثل عمل أحدكم اليوم كأجر خمسين منكم قلت يا رسول الله خمسين منهم قال بل خمسين منكم أنتم أخرجه ابن مردويه (وسئل ابن مسعود) رضي الله عنه (عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ كلهم من طريق الحسن عنه انه سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم فقال أيها الناس انه ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم الآية وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عنه في قوله عليكم أنفسكم الآية قال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السيف والسوط فاذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم وروى مثله عن الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق جويبر عنه وأخرج عبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي العالية قال كنا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد ان القرآن أنزل حيث أنزل فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا وانهوا فاذا اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقد روى بمثل تفسير ابن مسعود عن غيره من الصحابة ومن بعدهم قيل لابن عمر لو جلست في مثل هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال عليكم أنفسكم فقال انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم أخرجه ابن جرير وابن مردويه وأخرج عبد الرزاق وابن جرير من طريق قتادة عن رجل قال كنت في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيهم شيخ حسبت انه قال أبي بن كعب فقرأ عليكم أنفسكم فقال انما تأويلها في آخر الزمان وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم جلوس فقرأ أحدهم عليكم أنفسكم فقال أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم وأخرج ابن جرير عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لاصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم

عن المنكر فقلت أليس الله يقول عليكم أنفسكم فأقبلوا على بلسان واحد فقالوا اتنزع آية من القرآن لانعرفها ولا ندري ما تأويلها حتى تمنيت اني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حدث السن وانك انتزعت آية لاندري ماهي وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لايضرك من ضل اذا اهتديت وأخرج ابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري قال ذكرت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يجئ تأويلها لايجيء تأويلها حتى يهبط عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول ان رجلا سأله عن هذه الآية فقال ان تأويل هذه الآية لم يجئ بعد اذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك بنفسك لايضرك حينئذ من ضل اذا اهتديت (وقال صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) قال العراقي رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن اه قلت حديث أبي هريرة أخرجه الخطيب أيضا وحديث حذيفة أخرجه كذلك أحمد والبيهقي (معناه تسقط مهابتهم عن أعين الاشرار فلا يخافونهم) ولا يكون لكلامهم وقع في قلوبهم (وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله تعالى يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجيب لكم) قال العراقي رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانهوا وهو عند ابن ماجه دون عزوه الى كلام الله تعالى وفي اسناده لين اه قلت لفظ ابن ماجه قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (وقال صلى الله عليه وسلم ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الاول من حديث جابر باسناد ضعيف وأما الشطر الاخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى بن عطاء اه قلت لفظ الديلمي ما أعمال العباد كلهم عند المجاهدين في سبيل الله الا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر وهكذا رواه أيضا أبو الشيخ ابن حبان من حديث أنس وأما يحيى بن عطاء فليس له ذكر ووجد بخط الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب لعله يحيى عن عطاء قلت فلا يكون الحديث معضلا وينظر من يحيى هذا الذي روى عن عطاء (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس) أي خفت منهم قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد جيد وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا) يارسول الله (مالنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا أبيتم الا ذلك فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر) أي عن المحارم (وكف الاذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي سعيد اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود وعند بعضهم اياكم والجلوس على الطرقات فان أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى) رواه عبد بن حميد والترمذي وقال غريب وابن ماجه وابن أبي الدنيا في الصمت وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن السني والطبراني في الكبير وابن شاهين في الترغيب في الذكر والعسكري في الامثال والحاكم والبيهقي كلهم من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد بن حسين قال دخلت على سفيان الثوري نعوده ومعنا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان أعد علي الحديث الذي كنت حدثتنيه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم من أعين الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا أبيتم الا ذلك فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرا لله تعالى

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف أنتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه قال كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هوله وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم

عن أم صالح قال حدثتني أم صالح بنت صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه فقال محمد بن يزيد ما أشد هذا الحديث فقال سفيان وما شدة هذا الحديث انما جاءت به امرأة عن امرأة هذا في كتاب الله عز وجل أما سمعت الله عز وجل يقول لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس فهو هذا بعينه الحديث وقد تقدم في كتاب العلم (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه) قال العراقي رواه أحمد من حديث عدي بن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه اه قلت ولفظ أحمد لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وفي آخره فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة وأخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق ابن مسلمة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله (وروى أبو أمامة) عدي بن عجلان (الباهلي) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف أنتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا ان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى بي) أي بعظمتي وجلالي (حلفت لأتيحن) أي لأقدرن (لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف دون قوله اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصرا على الاسئلة الثلاثة الاول وأجوبتها دون الآخرين واسناده ضعيف أيضا اه قلت وقد أخرج أبو عثمان الصابوني في المائتين حدثنا حديثا عن أنس يشبه سياقه الآن المراجعة فيه من سلمان وهو طويل جدا قد أمليته في جملة الأمالي الشيخونية (وعن عكرمة عن ابن عباس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما) أي من غير وجه شرعي (فان اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) قال العراقي رواه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الايمان بسند حسن (قال) ابن عباس (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لم يقدم أجله ولم يحرمه رزقا هوله) قال العراقي رواه البيهقي من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمنعن رجلا هيبته الناس أن يقول الحق اذا علمه اه (وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة) أي مساكنهم ومجامعهم (وحيث يشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره) بيده أو بلسانه (فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز) عن دفعه (ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة) عن الناس (لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع) والجماعات (وعجزهم

عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ماساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم الا بمثل مانزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يؤمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ماجعل الله جل ثناؤه فى النبوة من السر لقلنا ماهم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبي وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابعث الله عز وجل نبيا الا وله حوارى فيمكث النبي بين أظهرهم ماشاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون مايعرفون ويعملون ماينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون فقام أحدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح مايصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال

اللهم

عن التغيير وهذا يقتضى الهجرة للخلق) أى مهاجرتهم (ولهذا قال عمر بن عبد العزيز) الاموى رحمه الله تعالى (ماساح السوّاح فى الارض وخلوا دورهم وأولادهم) أى تركوها بما فيها وتركوا العيال (الا لمثل مانزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم) أى بالحق (ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تغير بهم) أى على يدهم (وان ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه) لكونهم معهم (فرأوا أن مجاورة السباع) الضارية فى الاجام (وأكل البقول) المباحة (خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ) قوله تعالى (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ماجعل الله جل ثناؤه فى النبوّة) من السر (ماجعل لقلنا ماهم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة) عليهم السلام (لتلقاهم فتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها) أى السحاب (أين أمرت فتخبره وليس بنبى) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها) قال العراقى رواه ابن عدى وفيه يحيى بن سليمان قال البخارى منكر الحديث ولابى داود نحوه من حديث العرس ابن عميرة اهـ قلت ومن حديث أبى هريرة رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ورواه أيضا البيهقى وضعفه ولفظهم فى الموضعين فكأنما بدل فكأنه (ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة) داعية (أو يتفق جريانه بين يديه) من غير أن يكون له علم بذلك (فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابعث الله عز وجل نبيا الا وله حوارى) أى أنصار (فيمكث النبى بين أظهرهم ماشاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ويقولون مايعرفون ويعملون ماينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام) قال العراقى رواه مسلم نحوه اهـ قلت وكأنه يشير الى حديث أبى سعيد الخدرى رفعه فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه بلفظ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وقد رواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وابن حبان ورواه النسائى بلفظ من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الايمان وسيأتى المصنف فى الباب الثانى (وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان) فيمن مضى (أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون) عليهم (بما يعملون فقام أحدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا) يعنى من المعاصى (فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح مايصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون) أى لا ينكفون (عن أعمالهم) القبيحة (فسبهم) بلسانه (فسبوه وقاتلهم) بيده (فغلبوه) فاعتزل عنهم (ثم قال اللهم انى قد نهيتهم) عن المعاصى (فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فغلبونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل) عنهم (ثم قال

اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم انى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب قال ابن مسعود رضى الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس رضى الله عنهما قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن أبيه قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يتسرع الى هواى كما يتسرع النسر الى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب اذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر ان لله تعالى مجاهدين فى الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الارض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال والذى نفسى

اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم غلبونى) وفى نسخة لقاتلونى (ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل) عنهم (ثم قال اللهم انى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم غلبونى ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم انى لو نهيتهم عصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم غلبونى قال ابن مسعود) بعد ان ساق حديثهم (كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله) وقد روى عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الآية ما يقارب بهذا السياق تقدمت الاشارة اليه وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى) قال العراقى رواه البزار والطبرانى بسند ضعيف (وقال جابر بن عبد الله) الانصارى رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تبارك وتعالى الى ملك أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال) الراوى (فقال) الملك (يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير فى ساعة قط) وفى نسخة لم يتمعر قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر) قال العراقى لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن ابراهيم بن عمر الصنعانى أوحى الله الى يوشع بن نون انى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلوهم ويشاربوهم اه قلت وجد بخط الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب ما لفظه هذا ذكره الغزالى فى الباب الذى بعد هذا وأغفل الشيخ التنبيه عليه قلت قد ذكر هذه القصة فى الآثار كما سيأتى قريبا (وعن عروة) بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشى أبى عبد الله المدنى الفقيه (عن أبيه) أحد العشرة المبشرة رضى الله عنه (قال قال موسى عليه السلام يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يتسارع الى هواى كما يتسارع النسر) وفى بعض النسخ النسيم (الى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى) أى ثدى أمه وفى نسخة بالناس (والذى يغضب اذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا) رواه الطبرانى فى الاوسط (وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف) أى كلما كان الخوف على النفس شديدا كانت فضيلة الحسبة أكثر (وقال أبو ذر) جندب بن جنادة (الغفارى) رضى الله عنه (قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر ان الله تبارك وتعالى مجاهدين فى الارض أفضل من الشهداء أحياء يرزقون يمشون على الارض يباهى الله عز وجل بهم الملائكة وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله تعالى والمبغضون فى الله تعالى قال والذى نفسى

بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء الغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثمائة (١٢) ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما نظر الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (وأما الآثار) فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم والرجال
وتتنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من أحبار بني اسرائيل يغشى

بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء الغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج ثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر) قال العراقي الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر (وعن أبي عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرة (قلت يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله تعالى قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش) قال العراقي رواه البزار الى قوله فقتله وهذه الزيادة منكرة وفيه أبو الحسن غير منسوب لا يعرف اه قلت وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي عبيدة بن الجراح مرفوعا قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فقام مائة واثنا عشر رجلا من عبادهم فأمروهم ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار فهم الذين ذكرهم الله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الآيات (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فهو الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر) قال العراقي لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله اه قلت وكذلك رواه الخطيب في التاريخ والضياء في المختارة من حديث جابر (وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر) قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار اليه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بقوله وفي الباب ورواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا اه وقد وردت في فضل الامر بالمعروف أخبار كثيرة توجد مفرقة في كتب الحديث وقد اعتنى بجمعها جماعة من المحدثين منهم الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا فأتى بما لا مزيد عليه فمن أراد الزيادة فعليه بكتاب الامر بالمعروف له (وأما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتتنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم) وقد أخرجه عبد بن حميد من حديث معاذ مرفوعا في حديث طويل فيه والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم (وسئل حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق خلاد ابن عبد الرحمن ان أبا الطفيل حدثه انه سمع حذيفة يقول يا أيها الناس ألا تسألوني عن ميت الاحياء ثم ساق الحديث وفيه فمن الناس منكر بقلبه وبيده ولسانه والحق استكمل ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافا يده وشعبة من الحق ترك ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا لسانه فذلك ميت الاحياء (وقال) أبو يحيى مالك بن دينار البصري رحمه الله تعالى فيما رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني علي بن مسلم حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالكا يقول (كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى النساء

الرجال والنساء منزله يعظهم و يذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى الى نبي زمانه أن أخبر فلانا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم و ينهاهم وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا أخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم فقال أرهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت أن آثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع و يستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر جعل أعلاه أسفله وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل ألا تأمر وتنهى فقال ان قوما أمروا ونهوا فكفروا

والرجال منزله فيعظهم و يذكرهم بأيام الله عز وجل) قال (فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا) يا بني (قال فسقط عن سريره وانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى الى نبي زمانه) ولفظ الحلية الى نبيهم (أن أخبر فلانا الحبر اني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا) يا بني (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (يأتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم و ينهاهم) والذي في الحلية لأبي نعيم من طريق أبي البختري عن أبي عمر يعني زاذان قال قال حذيفة ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر (وأوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون) أحد أنبياء بني اسرائيل وهو المراد من قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه (اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم) رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابراهيم بن عمرو الصنعاني كذا ذكره العراقي وسبقت الاشارة اليه قريبا (وقال بلال بن سعد) بن تميم الاشعري أبو عمرو الدمشقي ثقة عابد تقدمت ترجمته (ان المعصية اذا أخفيت عن الناس لم تضر الا صاحبها فاذا أعلنت) أي أظهرت لهم (فلم تغير أضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لأبي مسلم الخولاني) الزاهد الشامي اسمه عبدالله بن ثوب رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه وعاش الى زمن يزيد بن معاوية (كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة) أي الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام (لتقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم) يعني نفسه وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده الى ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة أن كعبا كان يقول ان حكيم هذه الامة أبو مسلم الخولاني (وكان عبدالله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما (يأتي العمال) أي يدخل على ولاة الامر (ثم قعد عنهم) أي ترك الدخول عليهم (فقيل له لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم) أي لعلهم يجدون تأثيرا لكلامك في أنفسهم (قال ارهب) أي أخاف (ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت) أي خفت (ان آثم) أي أقع في الاثم (وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف) والنهي عن المنكر (فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ليستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه) أي بمحضر منه (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله) والقلب المنكوس لا خير فيه (وقال) أبو محمد (سهل بن عبدالله) التستري رحمه الله تعالى (أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان) أي اضطرابه (فهو ممن قام لله تعالى في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر) أي تعلقه بدينه والتثبت عليه بما يقوم مقام القيام بالامر بالمعروف (معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام به وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الا تأمر وتنهى فقال ان قوما أمروا ونهوا فكفروا

وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا وقيل للثورى ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه *(الباب الثانى في أركان الامر بالمعروف وشروطه)* اعلم أن الاركان في الحسبة التى هى عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط (الركن الاول المحتسب) وله شروط وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما طرحناه (أما الشرط الاول) وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وماذكرناه أردنا به انه شرط الوجوب فأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال أسبابه وسلب أسلحته فان للصبى ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر *(وأما الشرط الثانى)* وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لاصل الدين

وعدو

وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا) فأداهم ذلك الى الوقوع في الكفر (وقيل للثورى) سفيان رحمه الله تعالى (الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق) وفى نسخة انفتق (البحر) أى هاج واشتد هيجانه (فمن يقدر أن يسكنه فقد ظهر بهذه الادلة) من الكتاب والسنة والاثر (ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب) على المسلمين (وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه)

(الباب الثانى في أركان الامر بالمعروف وشروطه)

(اعلم أن الركن في الحسبة التى هى عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة) اعلم أن الحسبة بالكسر يكون اسما من الاحتساب بمعنى ادخار الاجر عند الله تعالى لا يرجو ثواب الدنيا ويكون من الاحتساب بمعنى الاعتداد بالشئ ويكون من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه ومنه قولهم فلان حسن الحسبة في الامر نقله الاصمعى وهو المراد هنا وليس هو من احتساب الاجر فان احتساب الاجر فعل الله لا غير حققه صاحب المصباح وغيره (المحتسب) بكسر السين (والمحتسب عليه) بفتحها (والمحتسب فيه) بالفتح أيضا (ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط) يأتى بيانها (الركن الاول المحتسب) بكسر السين (وله شروط وهو أن يكون مكلفا) أى ملزما ما فيه كلفة أى مشقة (مسلما) أى متصفا بالاسلام (قادرا فيخرج منه المجنون) المطبق على عقله (والصبى) لانه لم يتوجه عليهما التكليف (والكافر) خرج من قيد الاسلام (ويدخل فيه آحاد الرعايا) من العامة (وان لم يكونوا مأذونين) من ولاة الامور (ويدخل) في هذا الشرط (الفاسق والرقيق والمرأة) لوجود التكليف والاسلام والقدرة (فلنذكر وجه اشتراط ما شرطناه ووجه اطراح ما طرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر) وهذا يرشد الى أن المراد بالتكليف هو الزام ما فيه كلفة لا طلب ما فيه كلفة كما قاله الباقلانى (وما ذكرناه أردنا به انه شرط الوجوب) أى لا يجب عليه الا اذا وجد فيه ذلك الشرط (فأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل) فقط (حتى ان الصبى المراهق للبلوغ) بالسن أو الاحتلام (المميز وان لم يكن مكلفا) بالعقل (فله انكار المنكر في الجملة وله أن يريق الخمر) من الدنان (ويكسر) آلات (الملاهى واذا فعل ذلك نال به) من الله تعالى (ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف) وهذا يدل على انه اذا منع لوجه آخر فهذا شئ آخر غير داخل في البحث (فان هذه قربة الى الله تعالى (وهو) أى المذكور (من أهلها كالصلاة) لما ورد في الخبر مروا صبيانكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا (والامامة فيها) أى في الصلاة كالتراويح (وسائر القربات) كذلك (وليس حكمه حكم الولايات) العامة (حتى يشترط فيها التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر) باراقة وكسر مثلا (نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك) الحربى (وابطال أسبابه وسلب أسلحته) اذا تمكن منه (فان للصبى أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به) فاذا كان هذا جائزا فاراقة الخمر وكسر الملاهى جوازه بطريق الاولى (فالمنع من الفسق) وأسبابه (كالمنع من الكفر وأما الشرط الثانى وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا) أى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (نصرة للدين) واقامة لاركانه (فكيف يكون من أهله من هو جاحد) أى منكر (للدين

وعدوّه) هذا لا يتصوّر أصلا (وأما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم) من العلماء (وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب) أي ليس بأهل لذلك (وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد) في الآيات والاخبار (على من يأمر بما لا يفعله) هو (مثل قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) ففيهما وعيد شديد ونكير وتهديد على من يأمر بشئ ولا يأتي به (وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض) أي تقطع (شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه) وفي رواية فقلت لجبريل من هؤلاء قال خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون رواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وأيضا من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (وبما روي ان الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا الحسين بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن معاوية حدثنا سليمان ابن داود القزاز حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام فذكره (وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير) وارشاده (فرع للاهتداء) فمن لم يكن مهديا في نفسه كيف يكون هاديا لغيره (وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة) فالمستقيم في نفسه يمكن أن يقوم غيره (والاصلاح) للغير (زكاة عن نصاب الصلاح) في النفس (فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره) هذا كقولهم *(ومتى يستقيم الظل والعود أعوج)* هو مصراع بيت من بحر الطويل والاثر تابع للمؤثر لامحالة (وكل ما ذكروه) من هذا الجنس من الادلة (خيالات وتخبيطات (وانما الحق) الصريح (ان للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها) دقيقها وجليلها (فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع) أوّلا (ثم حسم لباب الاحتساب) وسدله (اذ لاعصمة للصحابة) رضوان الله عليهم وهم أشرف الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم (فضلا عمن دونهم) في المقام والرتبة (والانبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم عليه السلام الى المعصية) كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وكذا جماعة من الانبياء عليهم السلام) كداود عليه السلام وكاخوة يوسف الصديق عليهم السلام على القول بنبوتهم وقد عقد القاضي عياض في كتابه الشفاء فصلا لاثبات عصمتهم وانه مذهب أهل السنة والجماعة وكذا أبو الحجاج البلوي في كتابه ألف باء وأجابوا عما وقع في القرآن في المواضع التي وقع فيها نسبتهم الى المعاصي فالانبياء معصومون والاولياء محفوظون وقال الراغب العصمة فيض الهي يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه وان لم يكن منعا محسوسا واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وقد روي ان يوسف عليه السلام رأى صورة أبيه وهو عاض على ابهامه فأحجم وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فان ذلك كان تصوّرا منه وتذكرا لما كان قد حذره منه وعلى هذا قال لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن عصمة الله تعالى أن يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه اه وقد تطلق العصمة ويراد بها الحفظ وعليه خرجوا قول أبي الحسن الشاذلي قدس سره في حزبه الصغير نسألك العصمة في الحركات الخ أي الحفظ من الوقوع في المعاصي وفيه كلام أوردته في شرحي على الحزب الكبير له فراجعه (ولهذا قال سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى (ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شئ لم يأمر أحد بشئ) فانه ما منا من لا يكون فيه شئ (فأعجب مالكا) بن أنس الامام رحمه الله تعالى (ذلك) القول (من سعيد بن

وعدوّه *(وأما الشرط الثالث)* وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وبما روي ان الله تعالى أوحى الى عيسى صلى الله عليه وسلم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره

* ومتى يستقيم الظل والعود أعوج *

وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لاعصمة للصحابة فضلا عن دونهم والانبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العظيم دال على نسبة آدم عليه السلام الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شئ لم يأمر أحد بشئ فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن

جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بأن كل مقدم على شئ فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى (١٦) من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثانى واذا كان النهى واجبا علىّ فمن أين يسقط وجوبه باقدامى اذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهى فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وان لم أصل وأتسحر وان لم أصم لان المستحب لى السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم ان من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا أن يقال اذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم وها أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم

والجواب)

جبير) أي استحسنه (وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير) وهو محرم (أن يمنع من الزنا وشرب الخمر) وهما أيضا محرمان (فنقول هل لشارب الخمر أن يغزو الكفار و يقاتلهم ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا) فقد (خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشاربي الخمر وظالمي الايتام و) مع ذلك (لم يمنعوا من الغزو) مع الكفار (لا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده) فى عصر الخلفاء الراشدين و بعد عصرهم الى زماننا هذا (فان قالوا نعم) له ذلك (فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل أو لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب) كبيرة (بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم) له المنع من القتل (وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم) على شئ فلا يمنع غيره (عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم) بلا دليل (فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب و يمنع غلمانه وخدمه من الشرب و يقول يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى بالعصيان فى أحدهما ان أعصى الله بالثانى اذ كان النهى واجبا علىّ فمن أين يسقط وجوبه باقدامى) على الشرب (اذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهى) ولم يقل به أحد (فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وان لم أصل و) كذلك فى الصوم والسحور (فأنا أتسحر وان لم أصم لان المستحب لى السحور والصوم جميعا) وهذا فى التطوع (ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير) واصلاحه (مرتب على تقويم نفسه) واصلاحها (فليبدأ) بنفسه فى التقويم (ثم بمن يعول) يشير الى الخبر المشهور فى النفقة ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (والجواب) عن هذا (ان التسحر) انما يراد للصوم (ولولا الصوم لما كان التسحر محبوبا) ومطلوبا (وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس) يراد (لاصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم) محض (وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء) فقط (وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن) على هذا (من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى) غيره (ولم ينته) بنفسه (كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة فأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار) فافترقا (فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا أن يقال اذا زنا الرجل بامرأة وهى مكرهة) أى أكرهها على الفعل بها (مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا و يقول أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم وما أنا بمحرم لك فاسترى وجهك) عنى (فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل و يستشنعه كل طبع سليم

فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لاتكشفي وجهك واجب أو مباح أو حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم انه مباح فاذا له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين * أحدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم الى مالا يعني فتنفر عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان (١٧) الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لايدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله عن الاقل بالاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه أتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ورئي مسيأ اذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لايدل على أن حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة * الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لايخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولايخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ

والجواب) عن هذا (ان الحق قد يكون شنيعا) مستقبحا (وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لاتكشفي وجهك) أو استري وجهك (واجب أو مباح أو حرام) لايخلو من أحد الثلاثة (فان قلتم انه واجب فهو الغرض) المطلوب (لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم انه مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب الحرام واما نفرة الطباع عنه واستنكارها فهو لشيئين أحدهما انه ترك الاهم) أي أشد اهتماما له (واشتغل بما هو مهم) فلذلك نفرت عنه الطباع (وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم الى مالا يعني) أي مالا يعتني به (فتنفر عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم) وفرق بين المهم والاهم كما انه فرق بين المهم وبين غير المهم (كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا) وفي نسخة على الزنا (وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة) في اخوانه (ويشهد بالزور ولان الشهادة بالزور أشد وأفحش من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لايدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب) رجلا (أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه أتى بالاقل فمن سرق فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس) ولم يطلبها (نفرت منه الطباع) وأنكرته (ورئي مسيأ) في فعله (وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لايدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة * الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ) والنصيحة (وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا) أي لا ينفع (ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ) اللساني (اذ لا فائدة في وعظه) ذلك (فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه) أي لا يكون لكلامه فائدة مع وجود الفسق (ثم اذا سقط فائدة كلامه سقط وجوب الكلام) فلم يكن واجبا عليه (فأما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان) المحتسب (فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه أن يقال فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لايخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم) أي يدفعه (عن آحاد المسلمين ويهمل أباه) أي يتركه (وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولايخرج دفعه المسلم عن كونه حقا) في حد نفسه (فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف بفسقه لانه لا يتعظ) أي لا ينجع فيه وعظه لما عرفه منه

واذالم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى الى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام الى ان أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظى قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق فى اراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف فى المسئلة وأما الآيات التى استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون مالا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل وتنسون أنفسكم انكار من حيث انهم نسوا أنفسهم لا من حيث انهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو فى الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحى منى فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك والا فاستحى فان قيل فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم اذا رآه يزنى لان قوله لا تزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وأما مجرد قوله لا تزن فليس يحرم عليه من حيث انه نهى عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال المتحكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهى بل نقول انه اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن * (الشرط الرابع) كونه مأذونا من جهة الامام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التى أوردناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا أصل له والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم

(واذالم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى الى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام الى ان أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظى قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق فى اراقة الخمور وكسر) آلات (الملاهى وغيرها اذا قدر) على ذلك (وهذا غاية الانصاف والكشف فى) هذه (المسئلة) وليس وراء ذلك تحقيق (وأما الآيات التى استدلوا بها فهى انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد) لما فى الخبر ويل للجاهل مرة وللعالم سبع مرات (لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون مالا تفعلون المراد به الوعد الكاذب) يعد بلسانه أن يفعل شيأ ولا يفعل (وقوله تعالى وتنسون أنفسكم انكار) عليهم (من حيث انهم نسوا أنفسهم لا من حيث انهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله تعالى) فى خطابه لعيسى عليه السلام (يا ابن مريم عظ نفسك الحديث) الخ (هو فى الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحى منى فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك والا فاستحى) فحفظ أبيه هو الاهم وحفظ الجار هو المهم (فان قيل فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم اذا رآه يزنى لان قوله لا تزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا قلنا) فى الجواب عنه (الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسليط عليه فيمنعه من حيث انه تسليط عليه وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى بالتسلط عليه (وأما مجرد قوله لا تزن) أيها المسلم (فليس يحرم عليه من حيث انه نهى عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه) لكفره (فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن) يا مسلم (من حيث انه نهى بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب ان رأينا خطاب الكفار بفروع الدين) وهى مسئلة مشهورة فى الاصول وقد أشرنا اليها فى كتاب الحلال والحرام (وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات) أى الكتب المصنفة فى الفقه (ولا يليق) تطويله (بغرضنا الآن الشرط الرابع كونه مأذونا من جهة الامام والوالى) من طرفه (فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد لان الآيات القرآنية والاخبار) النبوية (التى رويناها) منها ما تقدم ومنها ما سيأتى (تدل) بظاهرها (على ان كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى الله عز وجل أينما رآه وكيفما رآه على) وجه (العموم) والشمول (فالتخصيص بشرط التفويض من الامام) له (تحكم لا أصل له والعجب ان) طائفة (الروافض) قد (زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم) و يعنون به المهدى المنتظر

وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم ان نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل فى الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالى وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين (١٩) فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف فى أن تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالى وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى وشرح القول فى هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى أولها التعريف والثانى الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجرى هذا المجرى والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهى واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك الى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام وأما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجرى مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد فى الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر

وقد شرطوا العصمة للائمة الاثنى عشر وجعلوا اجماع آل البيت حجة كما هو مذكور فى كتب الاصول فى بحث الاجماع (وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا) أى يخاطبوا (بل جوابهم أن يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم ان نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج) وأنتم تنتظرونه فاصبروا حتى يخرج (فان قيل الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لا يثبت لاحد الرعية الا بتفويض من الوالى وصاحب الامر) وهو المطلوب (فنقول) فى الجواب (أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض) من وال (كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف فى أن تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل) عن المنكر (ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالى وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفى فيه مجرد الدين فكذلك النهى) يقاس عليه (وشرح القول فى هذا ان فعل الحسبة له خمس مراتب كما سيأتى بيانه الاول التعريف) بأن يعرف من كان جاهلا (والثانية الوعظ) والنصح (بالكلام اللطيف) اللين (والثالثة السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش) فى القول (بل) يكفيه (أن يقول) له (يا جاهل يا أحمق) يا بليد (ألا تخاف من الله عز وجل وما يجرى هذا المجرى والرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة) بالفعل (ككسر) آلات (الملاهى واراقة الخمر) على الارض (واختطاف الثوب الحرير من لابسه) وازالته عنه (واستلاب الشئ المغصوب منه ورده على صاحبه والخامسة التخويف والتهديد بالضرب) بأن يقول لأضربنك أولا وجعنك ضربا (أو بمباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه) من المنكر (كالمواظب على الغيبة والقذف) فى المحصنات (فان سلب) أى نزع وفى بعض النسخ سلب بالباء الموحدة (لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة) بالغير (وجمع أعوان من الجانبين ويجر الى) خصام و (قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة) المذكورة (فان فيها نظرا سيأتى) بيانه (اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام) لما تقدم بيانه (وأما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف) والمبالاة (من الله تعالى وما يجرى مجرى ذلك فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد فى الحديث) يشير الى ما رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حديث حسن قاله العراقى قلت وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه أيضا والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة ورواه أحمد أيضا والنسائى والبيهقى أيضا من حديث طارق بن شهاب (فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته) أى رغما على أنفه (فكيف يحتاج الى اذنه) وتفويضه (وكذلك كسر)

الملاهي واراقة الجور فانه تعاطى مايعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام وأما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه و يدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روى (٢٠) ان مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروى ان المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه و بينه وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال أعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صيروه الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدي فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرفع عبد الله اليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أو موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وروى عن حبان بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين

آلات (الملاهي واراقة الخمور مما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام) أي اذنه (فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي) بيانه (واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة) والائمة (قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض) والاذن (بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة) في عصرهم (كما روى أن مروان بن الحكم) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي رابع خلفائهم قام بالامر سنة أربع وستين فبقي أربعة أشهر ومات ثم تولى بعده عبد الله بن الزبير بمكة (خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان ترك ذلك يا أبا فلان فقال أبو سعيد) الخدري رضي الله عنه وكان حاضرا هناك (اما هذا) الرجل (فقد قضى ما عليه) من الحق (قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وقد تقدم قريبا (فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الى اذنهم وروى أن المهدي) محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس (لما قدم مكة) في أيام خلافته (لبث ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس) أي طردهم (عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق) وفي بعض النسخ مسروق وهو من موالي بني العباس (فلببه بردائه) أي جعله في عنقه (ثم) جمعه و(هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد) أو القرب قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد (حتى اذا صار عنده حلت بينه و بينه من جعل لك هذا فنظر) المهدي (في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال أعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ) في الحال (فجيء به الى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة) فتنكره قلوبهم (فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب) ويخدمها (وضموا اليه فرسا عضوضا) تعض من قربها (سيئ الخلق ليعقره الفرس) فيكفى المؤنة (فلين الله له الفرس المذكور) أي ذلله (قال ثم صيره الى بيت وأخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاوذن به) أي اعلم به (المهدي فقال من أخرجك فقال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما أخاف شيأ الا أن أقتلك) كذا في بعض النسخ وفي أخرى بحذف الا وفي بعضها وقال اما تخاف ان أقتلك (فرفع عبد الله اليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياتا أو موتا) أي لكنت تفعل ذلك (فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه) أي تركوه (فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة) أي ناقة (فكان يعمل في ذلك حتى نحرها) ووفى بنذره أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء (وروى عن حبان بن عبد الله) هكذا في النسخ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المشددة وفي بعضها بفتح الحاء وتشديد التحتية قال الذهبي في الديوان حيان بن عبد الله أبو جبلة الدارمي قال الفلاس كذاب (قال تنزه هرون الرشيد بالدوين) كامير اسم موضع متنزه بالعراق

ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت الجارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد
غناءها فقال لها ما شأنك فقالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ
فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الارض فأخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة
أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون
فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب
واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى الدجلة
فقال لا ولكن نبعث اليه
ونناظره أوّلا فجاء الرسول
فقال أجب أمير المؤمنين
فقال نعم قال اركب قال لا
فجاء يمشى حتى وقف على باب
القصر فقيل لهرون قد جاء
الشيخ فقال الندماء أى شئ
ترون نرفع ما قدامنا من
المنكر حتى يدخل هذا
الشيخ أو نقوم الى مجلس
آخر ليس فيه منكر فقالوا
له نقوم الى مجلس آخر ليس
فيه منكر أصلح فقاموا الى
مجلس ليس فيه منكر ثم
أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه
الكيس الذى فيه النوى
فقال له الخادم أخرج هذا
من كمك وادخل على أمير
المؤمنين فقال من هذا
عشائى الليلة قال نحن
نعشيك قال لا حاجة لى فى
عشائكم فقال هرون للخادم
أى شئ تريد منه قال فى
كمه نوى قلت له اطرحه
وادخل على أمير المؤمنين
فقال دعه لا يطرحه قال
فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأى شئ صنعت وجعل هرون يستحيى أن يقول كسرت عودى فلما أكثر
عليه قال انى سمعت آباءك وأجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فان رأيته يقول
قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيأ وان رأيته لا يكلم أحدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذ هو بنواة فى الارض قد غاصت فجعل
يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث أخذها ويروى انه أقبل بعد
فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الارض

وفى نسخة بغير نون وفى أخرى بالدومتين مثنى دومة (ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبي
جعفر) يكنى أبا أيوب وهو فى النسب عم هرون (فقال) له (هرون قد كانت الجارية تغنى فتحسن
فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال ما شأنك فقالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنا
بعودها قال فجاء بالعود فوافق) الخادم (شيخا يلقط النوى) من الارض (فقال) الخادم (الطريق
يا شيخ) أى تنح عن الطريق (فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الارض) فانكسر
(فأخذه الخادم فذهب به الى صاحب الربع) أى المنزل (فقال احتفظ بهذا فانه طلبة أمير المؤمنين)
أى مطلوبه (فقال له صاحب الربع ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال
له هو ما أقول لك فدخل على هرون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى
العود فضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا
الغضب يا أمير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى الدجلة فقال لا ولكن نبعث اليه
نناظره أوّلا) أى فان رأيناه على الحق لم نقتله (فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب
قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال الندماء أى شئ ترون نرفع
ما قدامنا من المنكر حتى يدخل الشيخ أو نقوم الى مجلس ليس فيه منكر فقالوا بل نقوم الى مجلس ليس فيه
منكر أصلح فقاموا الى مجلس آخر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم
أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين قال من هذا عشائى الليلة ان شاء الله تعالى قال نحن نعشيك قال
لا حاجة لى فى عشائك فقال هرون له أى شئ تريد منه قال فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير
المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأى
شئ صنعت وجعل هرون يستحيى أن يقول كسرت عودى) أى استحياء من اضافة العود اليه وكان
يمكنه أن يقول لاى شئ كسرت عود امرأة أو عود فلانة أو عود جماعة (فلما أكثر عليه قال انى سمعت
آباءك وأجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى ورأيت منكرا فغيرته قال فغيره فوالله ما قال الا هذا) لانه غلبت عليه هيبة الحق
فلم ينطق الا بخير وهذه كرامة للشيخ المذكور وأمر بخروجه (فلما خرج أعطى لرجل بدرة) أى صرة فيها
دراهم (فقال اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين) كذا (وقال لى) كذا (فلا تعطه شيأ وان
رأيته لم يكلم أحدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد غاصت فجعل يعالجها)
حتى أخرجها (ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة قال قل لامير المؤمنين يردها
من حيث أخذها ويروى) فى هذه القصة (انه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض

وهو يقول أرى الدنيا لمن هي في يديه * هموما كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه

اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه)

قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن عمران حدثنا أبو حاتم عن عمرو بن خالد سمعت مسلم بن ميمون الخواص يقول

أرى الدنيا لمن هي في يديه * عذابا كلما كثرت لديه * تهين المكرمين لها بصغر.

وتكرم كل من هانت عليه * فدع عنك الفضول تعش حميدا * وخذ ما كنت محتاجا اليه

(وعن سفيان) بن سعيد (الثوري رحمه الله تعالى قال حج المهدي) محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي (في سنة ست وستين ومائة) من الهجرة قال العراقي هذا ليس بصحيح فان الثوري توفي سنة احدى وستين اه قلت وهو كما قال ففي طبقات ابن سعد واجتمعوا على انه أي سفيان توفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة (فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون) أي يضربون (يمينا وشمالا بالسياط) ليتسع المحل ويتمكن من الرمي (فوقفت وقلت يا حسن الوجه حدثنا أيمن بن نابل) الحبشي أبو عمران المكي نزيل عسقلان مولى أبي بكر الصديق قال الفضل بن موسى قال لي سفيان الثوري يا فضل هل لك في لقاء أبي عمران فانه ثقة فلقيته فاذا حبشي طوال ذو مشافر مكفوف وقال ابن معين شيخ ثقة وقال عباس الدوري كان شيخا عابدا فاضلا يحدث عنه بزهد وفضل وقال النسائي لا بأس به وقال يعقوب بن شيبة صدوق الى الضعف ما هو وقال الدارقطني ليس بالقوي خالف الناس ولو لم يكن الا حديث التشهد وخالفه الليث بن سعد وعمرو بن الحرث وزكريا بن خالد عن أبي الزبير وقال ابن عدي وأرجوان أحاديثه لا بأس بها صالحة روى له البخاري متابعة والترمذي والنسائي وابن ماجه (عن قدامة بن عبد الله) بن عمار بن معاوية العامري (الكلابي) يكنى أبا عبد الله صحابي شهد حجة الوداع وله رواية قليلة وكان بنجد روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه اه (وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال) المهدي (لرجل من هذا فقال) هو (سفيان الثوري فقال لسفيان لو كان المنصور) يعني أباه أبا جعفر حيا (ما احتملك على هذا فقلت لو أخبرك المنصور بما لقي) من الله (لا قصرت عما أنت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى) هكذا أورد المصنف هذه القصة تبعا لغيره وقد عرفت أن سفيان توفي قبل هذه المدة بخمس سنوات ولكن ثبت انه اختفى من المهدي حين طلبه وانه كان ذلك بسبب أمره بالمعروف عليه فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده الى الحسن بن شجاع قال قال أبو نعيم قدم المهدي مكة وسفيان الثوري بها فدعاه فقال له سفيان احذرها كاتبا كان بجنبه قال وقال له سفيان اتق الله واعلم ان عمر بن الخطاب حج فانفق ستة عشر دينارا قال وحدثه بحديث أيمن فقال حدثني أبو عمران ولم يذكر أيمن فقيل كيف لم يذكر أيمن قال لعله يدعى فيفزع الرجل قلت فبان بهذا ان القصة المذكورة أصلا وانما الغلط جاء من التاريخ وكانت تولية المهدي سنة ثمان وخمسين فلعل حجه سنة ستين فتأمل ذلك وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق سفيان بن عيينة قال قال سفيان الثوري دخلت على المهدي فرأيت ما قد هيأه للحج فقلت ما هذا حج عمر ابن الخطاب فانفق ستة عشر دينارا ومن طريق الفريابي عن سفيان الثوري قال دخلت على المهدي فقلت بلغني ان عمر بن الخطاب أنفق في حجة اثني عشر دينارا وأنت فيما أنت فيه مغضب وقال تريد أن أكون في مثل الذي أنت فيه قال قلت فان لم تكن في مثل الذي أنا فيه ففي دون ما أنت فيه ومن طريق أبي أحمد الزبيري قال كنت بمسجد الخيف مع سفيان الثوري والمنادي ينادي من جاء بسفيان فله عشرة آلاف ومن طريق

ابن

وهو يقول
أرى الدنيا لمن هي في يديه
هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر
وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شئ فدعه
وخذ ما أنت محتاج اليه
وعن سفيان الثوري رحمه الله قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى

وقد روى عن المأمون انه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغنى انك رأيت نفسك أهلا للامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ماشئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا اعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما الزمك منهما فان الذى اليه أمرك و بيده عزك و ذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت فاعجب المأمون بكلامه وسربه وقال مثلك يجوزله أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك ففى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن فان قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالى مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق فاعلم أن الذى نراه انه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد

ابن مهدى عن سفيان قال طلبت أيام المهدى فهربت فأتيت اليمن فكنت أنزل فى حى ثم ذكر باقى القصة ومن طريق محمد بن مسعود عن سفيان قال أدخلت على المهدى بمنى فلما سلمت عليه بالامرة قال لى أيها الرجل طلبناك فأعجزتنا والحمد لله الذى جاء بك فارفع الينا حاجتك فقلت قد ملأت الارض ظلما وجورا فاتق الله وليكن منك فى ذلك غير قال فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قال قلت أبناء المهاجرين ومن معهم باحسان بالباب فاتق الله وتوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه فقال أيها الرجل ارفع الينا حاجتك قلت وما أرفع حدثنى اسمعيل بن أبى خالد قال حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت قال بضعة عشر دينارا وأرى ههنا أمورا لا تطيقها الجبال (وقد روى عن المأمون) عبد الله بن هرون العباسى (انه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغنى انك رأيت نفسك أهلا للامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة) رفعت اليه (فأغفله) أى الكتاب الذى كان ينظر فيه (فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال) ذلك الرجل (المحتسب ارفع قدمك عن اسم الله تعالى ثم قل ماشئت) أن تقول (فلم يفهم المأمون مراده) لكونه كان غافلا (فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم) مراده (فقال اما رفعت) اسم الله تعالى (أو أذنت لى حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه فقبله) احتراما له (وخجل) من ذلك (ثم عاد) الى الكلام (وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم) فى كتابه العزيز (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال) الرجل (صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن) فى الارض بالخلافة (غير أنا أعوانك) أى أنصارك (وأولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان انقدت لهما شكرت لمن أعانك) عليهما (لحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما ألزمك منهما فان الذى اليه أمرك و بيده عزك وذلك) وهو الله جل جلاله (قد شرط انه لا يضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت فأعجب المأمون بكلامه) ورضى له (وسربه وقال مثلك يجوزله أن يأمر بالمعروف) وينهى عن المنكر (فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا) واذننا (فاستمر الرجل على ذلك ففى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن) ممن له ولاية أمر (فان قلت أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالى مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق فاعلم ان الذى نراه انه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد

فنقول قد رتبنا الحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة بحيث تؤدى الى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بأن يكسر مثلا عوده و يريق خمره و يحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير و يرد الى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه أو سرقه أو أخذه عن (٢٤) ادرار رزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه معينا و يبطل الصور المنقوشة على حيطانه

والمنقورة فى خشب بيته ويكسر أوانى الذهب والفضة فان فعله فى هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب و لكن الوالد يتأذى به و يسخط بسببه الا أن فعل الولد حق وسخط الاب منشؤه حبه للباطل وللحرام والاظهر فى القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفى كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف فى الكتاب والسنة

ورد عاما من غير تخصيص وأما النهى عن التأفيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد فى حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم اذ لا خلاف فى أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه فى الزنا حدا ولا له أن يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلته وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد

فنقول قد رتبنا) فيما سبق (الحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف) ولين القول (وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد) والزجر (ولا بمباشرة الضرب) بالفعل (وهما الرتبتان الاخريان وهل له الحسبة بالرتبة الخامسة حيث يؤدى الى أذى الوالد وسخطه) عليه (هذا فيه نظر) ووجه النظر ان رضا الوالد مطلوب على كل حال فهل يقدم على الاحتساب والاحتساب أيضا مأمور به فهل يقدم عليه ولو أدى ذلك الى السخط فصار الامر ملتبسا ثم بين ما به يتأذى و يسخط فقال (وهو بان يكسر مثلا عوده) الذى يضرب به للغناء (و يريق خمره و يحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير و يرد الى الملاك ما يجده فى بيته) وتحت حوزته (من المال الحرام الذى غصبه) من انسان (أو سرقه) من حرز مثله (أو أخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه معينا) لا مجهولا (أو يبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته و يكسر أوانى الذهب والفضة فان فعله فى هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب) باليد (والسب) باللسان (ولكن الوالد يتأذى به و يسخط بسببه الا أن فعل الولد ذلك) (حق وسخط الاب منشؤه حبه للباطل والحرام والاظهر فى القياس انه يثبت للوالد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك) وهو أقيس القولين (ولا يبعد أن ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط) فان كلا منهما يختلف قلة وكثرة وخفة وثقلا (فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر فان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفى كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر) أى محل جولان النظر فيه (فان قيل ومن أين قلتم ليس له) أى الولد (الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف فى الكتاب والسنة ورد عاما) أى بصيغة العموم (من غير تخصيص) لشخص دون شخص (وأما النهى عن التأفيف والايذاء) فى قوله تعالى ولا تقل لهما أف وقوله تعالى ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (فقد ورد وهو) مسلم لكنه (خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات) فلا يقاس ذلك على هذا (فنقول قد ورد فى حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء فى العموم اذ لا خلاف) بين العلماء (فى ان الجلاد ليس له أن يقتل أباه حدا) وفى نسخة بالزنا (ولا أن يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلة) كل ذلك لهيبة الاب (وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالاجماع) قال العراقى لم أجد فيه الاحديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى فيه اضطراب اه قلت وكذلك رواه أحمد وابن الجارود والدارقطنى وقال سنده ضعيف ورواه الدارقطنى أيضا فى الافراد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى المعرفة واسناده صحيح وروى الحاكم والبيهقى من حديث عمر بلفظ لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده (فاذا لم يكن له ايذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هى منع جناية مستقبلة متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد

فى لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن فى الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالامر فيها أشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على أخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور فى بيته يكاد يفضى الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهى عنه كما ورد النهى عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه أيضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما أخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه وروى انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه مالم يغضب فان غضب سكت عنه (الشرط الخامس) كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها وقال ابن مسعود رضى الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم أن انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين أحدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد أو يحمل على

فى لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن ورد فى الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المرأة أن تسجد لزوجها) تقدم فى النكاح (وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا) وحديث عمر الذى تقدم قريبا لا يقاد مملوك من مالكه كذلك صريح فى لزوم حق السيد على العبد (وأما الرعية مع السلطان فالامر فيه أشد من الوالد فليس معه الا التعريف والنصح) اللطيف (فأما الرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث ان الهجوم على أخذ الاموال) المغصوبة (من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الخمور فى بيته يكاد يفضى الى خرق) حجاب (هيبته واسقاط حشمته) من أعين الرعية (وذلك محذور ورد النهى عنه) وفى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان قبلها قبلها والا قد كان أدى الذى عليه والذى له رواه الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الاشعرى وقال صحيح الاسناد وتعقب وقد رواه أيضا الطبرانى فى الكبير ورواه البيهقى عن عياض بن غنم وهشام بن حكيم معا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من أهان سلطان الله فى الارض أهانه الله رواه الترمذى عن أبى بكرة وحسنه ورواه الطبرانى فى الكبير بزيادة ومن أكرم سلطان الله فى الارض أكرمه الله عز وجل وعند أحمد والبخارى والرويانى والبيهقى من أكرم سلطان الله فى الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله فى الدنيا أهانه الله يوم القيامة (كما ورد النهى عن السكوت عن المنكر) فى أخبار تقدم ذكرها (فقد تعارض فيه أيضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر) وعدمه (ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه) لاختلافه بحسب المواقع والاحوال والاشخاص والازمان (وأما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما أخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه) ليكون عاملا بعلمه (وروى انه سئل الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه) بلطف (مالم يغضب) عليه (فان غضب سكت عنه) دفعا لمحذور المخالفة (الشرط الخامس كونه قادرا) غير عاجز (ولا يخفى ان العاجز) عن الاحتساب (ليس عليه حسبة الا بقلبه) وذلك أضعف المراتب (اذ كل من أحب الله فيكره معاصيه وينكرها) على كل حال (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (جاهدوا الكفار بأيديكم) ان استطعتم (فان لم تستطيعوا الا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا) والاكفهرار اظهار صورة الغضب فى الوجه (واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى الذى هو عدم القوة فى الظاهر بل يلتحق ما يخاف عليه مكروها يناله فى الحال والمآل فذلك فى معنى العجز) ولو كان قويا (وكذلك اذا لم يخف مكروها) يناله (ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين أحدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه يناله ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع المعنيان بأن يعلم انه لا ينفع كلامه) ولا يؤثر فيهم (ويضرب) فى الحال (ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة) حينئذ (بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد) ذلك المنكر (ولا يخرج الا لحاجة مهمة) ضرورية (أو) لاداء (واجب) كصلاة جمعة (ولا تلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة) منها رأسا (الا اذا كان يرهق الى الفساد) فى دينه (أو يحمل على

مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الاكراه *الحالة الثانية أن ينتفى المعنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هى القدرة المطلقة *الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر (٢٦) الدين *الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها و يريق الخمر أو يضرب العود الذى فى يده ضربة مختلفة فيكسره فى الحال و يتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب و يدل عليه الخبر الذى أوردناه فى فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك فى أن ذلك مظنة الخوف يدل عليه أيضا ما روى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت انى أقتل ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف فى أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار و يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه وقال فذلك البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا ذلك فى الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز

مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة) حينئذ (ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الاكراه) فان القادر على الهروب من الالجاء الى مكروه ساقط لعذر (الثانية أن ينتفى المعنيان بأن يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار) حينئذ (وهذه هى القدرة المطلقة) عن القيود (الثالثة أن يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها) يناله (فلا تجب الحسبة) فى هذه الحالة (لعدم فائدتها ولكن يستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كمن يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها و يريق الخمر أو يضرب العود) للغناء (الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال و يتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم) و يتحقق (انه يرجع اليه فيضرب رأسه) أو جسده (فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب و يدل عليه الخبر الذى أوردناه) آنفا (فى قول كلمة حق عند امام جائر) وانه أفضل الصدقات (ولا يشك فى أن ذلك مظنة الخوف) من الاتلاف (و يدل عليه ما روى عن أبى سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (انه قال سمعت من بعض الخلفاء) يعنى من بنى أمية (كلاما) فيه موضع الانكار (فأردت انى أنكر) عليه ذلك (وعلمت انى أقتل) ان تكلمت (ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل) نقله صاحب القوت (فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أى الهلاك وهذا الذى ذكرته القاء الى الهلاك (قلنا لا خلاف فى ان المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما ظن انه مخالفة لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس) رضى الله عنهما (ليس التهلكة ذلك) وهو أن يرمى المجاهد نفسه فى صف الكفار و يقاتل كما تظنون (بل) المراد به (ترك التفقه فى طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه) هكذا هو فى سائر النسخ وما أراه الا تصحيفا فان المروى عن ابن عباس قال ليس التهلكة أن يقاتل الرجل فى سبيل الله ولكن ترك النفقة فى سبيل الله هكذا أخرجه الطبرانى وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عنه وروى مثله عن حذيفة بلفظ ولكن الامساك عن النفقة فى سبيل الله أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر وأخرجه البخارى عنه وقال نزلت فى النفقة وأخرجه ابن جرير عن عكرمة قال نزلت فى النفقات فى سبيل الله فقول المصنف ترك التفقه اما غلط من النساخ أو تصحيف فتأمل (وقال البراء بن عازب) الانصارى رضى الله عنهما (هو أن يذنب) العبد (الذنب ثم يقول لا يتاب على) أى لا تقبل توبتى أخرجه الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر والحاكم وصحح بلفظ هو الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر الله لى وروى مثله عن النعمان بن بشير أخرجه ابن مردويه وابن المنذر والطبرانى والواحدى بسند صحيح (وقال عبيدة) ابن عمرو السلمانى المرادى أبو عمرو الكوفى تابعى كبير مخضرم فقيه ثبت كان شريح اذا أشكل عليه شئ سأله مات قبل السبعين وهو بفتح العين المهملة وكسر الموحدة (هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك) أخرجه ابن جرير عنه مرسلا (واذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا ذلك فى الحسبة) اذ كل منهما جهاد (ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز

فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم أنه يقاتل الى ان يقتل أو علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للمشاهدة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما ان رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن (٢٧) يكون حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بأن يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شئ بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل أن يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا المنكر وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح انسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي له أن لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدي ذلك الى وجوه من الخلل وسيأتي

فذلك حرام داخل تحت عموم آية التهلكة) فانه القى بيده الى هلاك نفسه (وانما جاز له الاقدام) على صفهم (اذا علم انه يقاتل الى أن يقتل أو علم انه يكسر) بهجومه (قلب الكفار لمشاهدتهم جراءته) وقوة قلبه (واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة) بهم (وحبهم للشهادة في سبيل الله) تعالى (فتنكسر به) شوكتهم فيكون سببا لفشلهم ورعبهم (فكذلك يجوز للمحتسب) أن يفعل مثله (بل يستحب) له (أن يعرض نفسه للضرب أو القتل اذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر) من أصله (أو كسر جاه الفاسق أو تقوية قلوب أهل الدين فأما ان رأى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف) أو خنجر أو سكين (وبيده قدح) خمر (وعلم) منه (انه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته) بالسيف أو جرحه بالخنجر أو السكين (فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المفهوم أن يؤثر في الدين أثرا يفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير أثر) ظاهر (فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وانما يستحب اذا قدر على دفع المنكر أو ظهر لفعله فائدة) تعود على المسلمين (وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه) أي على نفسه (فان علم انه يضرب معه من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه) ممن ينتمي اليه بالمحبة (فلا يجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بأن يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شئ بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر) من القولين (لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال) أي احتياجهم اليه (فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل) في هذه الحالة (أن يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا المنكر وأما شرب الآخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه عن ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد) عن المدرك (فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها) وفي نسخة حتى يأكلها (وعلم انه لو منع منها الذبح انسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك وجه) اذ هو أخف مما لو منعه لذبح انسانا أو قطع طرفه (فهذه دقائق) من المسائل (واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي أن لا يحتسب الا في الجليات المعلومة) أي الواضحة من المناكر (كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي) لامور المسلمين (اذ ربما ينتدب له من ليس أهلا له لقصور معرفته) في العلم (أو قصور ديانته فيؤدي الى وجوه) شتى (من الخلل وسيأتي

كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله فان قيل وحيث أطلقتم العلم بان يصيبه مكروه أو انه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب فى هذه الابواب فى معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقينى على الظن و يفرق بين العلم والظن فى مواضع أخر وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يقتضى الوجوب بكل حال ونحن انما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الامر ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما اذا لم يكن يأس فينبغى أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذى تتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب فى كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن فى كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر و يحتمل أن يقال انه انما يجب عليه اذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه والاول أصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده و يرتاع منه المتهور والشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة

كشف الغطاء عن ذلك) قريبا (فان قيل وحيث أطلقتم العلم) وفى نسخة القول (بان يصيبه مكروه) من حسبته (أو أنه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب فى هذه الابواب فى معنى العلم) وفى حكمه (وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقينى على الظن) عند التعارض (و يفرق بين العلم والظن فى موضع آخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه) فقيل لا يجب وقيل يجب (والاظهر) من القولين (وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع) أى نفعه لوجود الاحتمال (وعمومات الامر بالمعروف) والنهى عن المنكر فى الآيات والاخبار (تقتضى الوجوب بكل حال ونحن انما نستثنى عنه بطريق التخصيص أما اذا علم انه لا فائدة فيه اما باجماع أو بقياس ظاهر وهو ان الامر) بالمعروف (ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم الياس عنه فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن ياس فينبغى أن لا يسقط الوجوب) لاحتمال الجدوى (فان قيل فالمكروه الذى تتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه) أى فى اصابته (أو كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل انه يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه أم يجب فى كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه) فلا يجب (قلنا ان غلب على الظن انه يصاب) بمكروه (لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب) عملا بغلبة الظن فى الموضعين (ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن فى كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر) للفقيه (فيحتمل أن يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات) القرآنية والحديثية (وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل أن يقال انه انما يجب عليه اذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه) فى الحال والمآل (والاول أصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده) بعينه حاضرا (و يرتاع منه) أى يخاف (والمتهور والشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل) والاعتماد وهذا الذى ذكره فى الشجاع صحيح وأما الذى يرى البعيد قريبا فقد يكون ذلك عن جبن وخلع وضعف قلب فهو مسلم أيضا ولكن قد يصدر ذلك عن كثرة التجارب ومتانة الرأى وصدقه فلا يحكم لصاحبه أنه جبان فليتأمل فى ذلك (قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة) الغريزية (وتفريط) وفسره الراغب بانه هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغى (والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة) وقال الراغب هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على أمور لا تنبغى (وكلاهما نقصان وانما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة) وهى هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن بها يقدم على

وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو افراط فان من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان أن يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدئ فى المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر فى وجوب الحسبة فان قيل المكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه فى حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه أن يسعى به الى سلطان أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع الى أربعة أمور * أما فى النفس فالعلم * وأما فى البدن فالصحة والسلامة * وأما فى المال فالثروة * وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة الى بلوغ الاغراض وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه فى ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به

على أمور ينبغى أن يقدم عليها (وكل واحد من الجبن والتهور قد يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط وافراط فمن اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته) واقدامه (جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله) وتضعيفه (وتحليل قوته فى الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين) فانهما تفريط وافراط (وعلى الجبان أن يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسته الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير) طبعا (معتادا اذ المبتدئ فى الوعظ والمناظرة مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف) وهذا مشاهد فى سائر الصنائع العملية (فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لاجل) أداء (حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر) بحيث يغشى عليه وتغلب عليه الصفراء (ويجب على من لا يعظم خوفه منه) وهذا اذا لم يكن طريقه الى مكة الامن البحر والافالبر يقدم (فكذلك الامر فى وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة) يسمعها (وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب فى حقه بالتعنيف بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ٧ أن يكره السعاية الى السلطان أو يقدح فيه فى مجلس من يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض) أى دقيق (وصوره منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع الى أربعة أمور أما فى النفس فالعلم) لان الانسان لم يتميز عن البهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل حياة انفكت منه فهى غير معتد بها بل ليست فى حكم الموجودة فان الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الاحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم بما يخالفه فيهرب منه وذلك أحسن المعارف وحاجة الانسان الى العلم أكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع لا محالة ونفعه دائم فى الدنيا والآخرة (وأما فى البدن فالصحة والسلامة) من الامراض الطارئة والاسقام العارضة (وأما فى المال فالثروة) أى الكثرة (وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس) وتسخيرها (كما أن معنى الثروة ملك الدراهم) وجعلها فى حوزته (لان قلوب الناس وسيلة الى) بلوغ (الاغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة) الى ذلك (وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه فى ربع المهلكات) ان شاء الله تعالى (وكل واحدة من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه وأقاربه والمختصين به) ومحصل القول فيه أن النعم الموهوبة والمكتسبة مع كثرتها تنحصر فى خمسة أنواع الاول السعادة الاخروية وهى أعلاها وأشرفها وهى أربعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر ولا يمكن الوصول الى ذلك الا باكتساب الفضائل النفسية

ويكره فى هذه الاربعة أمران أحدهما زوال ماهو حاصل موجود والآخر امتناع ماهو منتظر مفقود أعنى اندفاع مايتوقع وجوده فلاضرر الافى فوات حاصل وزواله أوتعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات امكانه كأنه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لاينبغى أن يكون مرخصا فى ترك الامر بالمعروف أصلا ولنذكر مثاله فى المطالب الاربعة * أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع ادراره فى المستقبل ويترك مواساته وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة من أن لايحصل له الجاه أوخيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لايسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولايستثنى من هذا شئ الا ماتدعو اليه الحاجة ويكون فى فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان فى تأخره شدة الضنى به وطول المرض وقد يفضى الى الموت وأعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك الدين استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد أن يرخص فى ترك الحسبة وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا ولاقدرة له على الرحلة الى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر عن أن يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات .

واستعمالها وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهى أربعة أشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهى أربعة أشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولاسبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك بأربعة أشياء هدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة أنواع هى عشرون ضربا ليس للانسان مدخل فى اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط واعلم أن كل ماأعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة والاشياء التى هى معينة ونافعة فى بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ماهو نافع فى جميع الاحوال وعلى كل وجه ومنها ماهو نافع فى حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضره أكثر من نفعه فحق الانسان أن يعرفها بحقائقها حتى لايقع الخطأ عليه فى اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس (ويكره فى هذه الاربعة أمران أحدهما زوال ماهو حاصل موجود والآخر امتناع ماهو منتظر مفقود أعنى اندفاع مايتوقع وجوده) كما قال الشاعر

كل يحاول حيلة يرجو بها * دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط فى تصرف حاله * فلربما اختار العناء على الدعه

(ولاضرر الا فى فوات حاصل وزواله أوتعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات امكانه كأنه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر) حصوله (وهذا لاينبغى أن يكون مرخصا فى ترك الامر بالمعروف أصلا ولنذكر مثاله فى المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه) ممن ينتمى اليه تحصيلا للعلم منه أوخدمة أو محبة (خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعلمه) أوخدمته (وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حرير) أو راكب على مركب فضة أوذهب (خوفا من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة) بسبب معالجته (وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع ادراره فى المستقبل ويترك مواساته وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها) فى قضاء حاجاته (فى المستقبل خيفة من أن لايحصل له الجاه أوخيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لايسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقى فوات حاصل) أصلى (ولايستثنى عن هذا شئ الا ماتحقق اليه الحاجة ويكون فى فواتها محذور يزيد على محذور السكوت) لوسكت (على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز) قد حل به فى الحال (والصحة منتظرة من معالجة الطبيب) ان عالجه (ويعلم ان فى تأخره شدة الضنى به وطول المرض) وامتداد زمنه (وقد يفضى الى الموت) ان ترك المعالجة (وأعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء) فى الوضوء والغسل (والعدول الى التيمم) كما سبقت الاشارة اليه فى كتاب سر الطهارة وفى كتاب آداب السفر (فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد أن يرخص فى ترك الحسبة وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا) فى البلد الذى هو فيه (ولاقدرة له على الرحلة الى غيره) اما لعجز حسى أومعنوى (وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات

الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام أومات جوعا فهذا أيضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الامور كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه انه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد * وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر وأما الثروة فهو بأن يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بأن لا يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث

الدين محذور والسكوت على المنكر محذور فلا يبعد أن يرجح أحدهما) على الآخر (ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين) فان نظر الى التفاحش رجح جانب الانكار وان نظر الى الجهل بالدين ولا سبيل لازالته رجح جانبه على الانكار (وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه) وادراره عنه (وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام) من مواضع الشبهة (أومات جوعا فهذا أيضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد أن يرخص في السكوت) عن الحسبة (وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير) الرجل الكثير الشر (ولا يجد سبيلا الى دفع شره) وأذاه عنه (الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه) وأنكر فعله (لم يكن واسطة ووسيلة له) عند السلطان (فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم عليه أذى الشرير فهذه أمور كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها) عن الضرر الحقيقي (ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه) عند الاشتباه (ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بمجرد الهوى والطبع) النفسيين (فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة) وهي الملاينة والملاطفة (وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة) ولذا كانت المداراة محمودة ومنه قول الشاعر

كأن لا يدري مداراة الورى * ومداراة الورى أمر مهم

والمداهنة مذمومة لما فيها من قلة المبالاة بالدين وترجيح لجانب الهوى (وهو أمر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق) وتأمل بتحقيق (ولكن الناقد بصير) مطلع (فحق كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه انه الدين أو الهوى) أي أيهما (وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد) جل جلاله وعم نواله (أما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة المذكورة (الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه) يكون سببا لفواته وليس ذلك بمحال (والا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال) كذا في النسخ والاولى والجاه بدل قوله والمال (وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد) فان أشرف المقتنيات ما اذا حصل لم يغب ولم يحتج في فضله الى حفظة وأعوان فكان نافعا عاجلا وآجلا ومطلقا في كل حال وكل زمان وكل مكان وذلك هو العلم وقد تقدمت الاشارة لذلك في شرح حديث كميل بن زياد عن علي في كتاب العلم (وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق) قريبا (واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجروح وفي القطع والقتل أظهر وأما الثروة فهو بأن يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه) وفي بعض النسخ بأن يقوي دينه بدنياه (ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث

به كالحبة فى المال واللطمة الخفيف ألمها فى الضرب وحد فى الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملا من الناس أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد أو يسوّد وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح فى الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروأة كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له فى السكوت لان المروءة مأمور بحفظها فى الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة * الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج فى ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب لكلف المشى فى السوق وفى ثياب لا يعتاده ومثلها أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروءة محمود فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان اما فى حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والبهتان واما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التى ليس اليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه اليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة المعصية وان علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لان غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له * وأما امتناعه لخوف شئ من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه لان تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره فاذا ينبغى أن يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضى الى منكر وان كان

به) أى لا يعتبر (كالحبة من المال) اذا أخذت (واللطمة الخفيفة ألمها فى الضرب وحد فى الكثرة يتيقن اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما أمكن) له ذلك (وأما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس) أى بحضر منهم (أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد أو يسود وجهه) بالفحم (ويطاف به) أو يركب على جمل ويدار به مع المناداة عليه (وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح فى الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروأة كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا) أى مكشوف الرأس من غير نعل فى رجله (فهذا يرخص فى السكوت) عن الحسبة (لان المروأة مأمور بحفظها فى الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج فى ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشى فى السوق فى ثياب) بذلة (لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا) الزائدة (وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروأة محمود فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان اما فى حضرته بالتجهيل) والتبليد (والتحميق) أى نسبته الى الجهل والبلادة والحمق (والنسبة الى الرياء والنفاق) وفى نسخة البهتان (واما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التى ليس اليها كبير حاجة) أى احتياج (ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا اذ لا ينفك الحسبة عنه) ولا بد من مثل عليك وقادح (الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه اليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب لزيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه) الحسبة (لان غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات) فى الآى والاخبار (على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها) وعدم المداهنة فيها (فلا يقابله الا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروأة قد ظهر فى الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل) بالثياب والركوب (وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له) فى الشرع (وأما امتناعه لخوف شئ من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه لان تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له أن يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره فاذا ينبغى أن يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضى الى منكر) آخر (وان كان

يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء للمسلم أيضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى أذى قومه فليتركه وكذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى أقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا قلنا يمنعه (٣٣) عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال المسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة أحوال احداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية أفحش منها أو مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدي اليها ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على أبواب حمامات النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم

يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء لمسلم أيضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى أذى قومه) من عشيرته وقبيلته (فليتركه وكذلك كالزاهد) في الدنيا (الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فان كان يتعدى الاذى من حسبته الى أقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما أن السكوت عن المنكر محذور) والارجح ترك ايذاء المسلمين (نعم ان كان لا ينالهم الاذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر) هل يجوز السكوت أم لا (ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض) كما تقدم (فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من) أعضاء (نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل) له أن (يقاتله عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا قلنا) في الجواب (يمنعه عنه) أي عن قطع طرف (ويقاتله) عليه (اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله) ويجر اليه (فانه جائز) شرعا (لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي) فليتفطن لهذا (فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسما لباب المعصية) لئلا يتأتى منه ذلك (قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا) على الدفع (قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة أحوال أحدها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو الى الولاة) للاحكام (لا للآحاد) من الرعية (الثانية أن تكون راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود) للغناء (والخمر) للشرب (فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية أفحش منها أو مثلها) في التفحش (وذلك يثبت للآحاد والرعية) وفي نسخة من الرعية (الثالثة أن يكون المنكر متوقعا) في المستقبل (كالذي يستعد لكنس المجلس وتزيينه) بالفرش (وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق) أي يمنع عنه مانع (فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح) ولين الكلام (فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة) وانه من شأنه ذلك (وقد أقدم على السبب الذي يؤدي اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث) أي الشباب المغتلمين (على أبواب حمام النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم

يضيقوا الطريق لسعته فيجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية وان كان مقصد العاصى وراءه كما أن الخلوة بالاجنبية فى نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعنى بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة *(الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة)* وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم (٣٤) كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها (الاول كونه منكرا) ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر أعم من المعصية اذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذا ان رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر فى خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية فى حق المجنون اذ معصية لا عاصى بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة فى الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهى عنها وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى فى كتاب التوبة *(الشرط الثانى أن يكون موجودا فى الحال)* وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد فى ثانى الحال كمن يعلم بقرينة حاله ما انه عازم على الشرب فى ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه *(الشرط الثالث أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس)* فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وكذلك

يضيقوا الطريق) على المارة (لسعته فيجوز الحسبة عليهم باقامتهم من المواضع) المذكورة (ومنعهم من الوقوف) فيها (بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف فى نفسه معصية وان كان مقصد العاصى وراءه كما ان الخلوة) بالاجنبية (فى نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعنى بالمظنة ما يتعرض الانسان بها لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها) والمعنى انها من شأنها أن تحمله على المعصية ولو لم تكن المعصية موجودة فى الراهنة وهكذا القياس فى كل مفعلة كالمجبنة والمبخلة وأشباههما فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة

(الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة)

(وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع) أى أنكره الشرع وحذر من الوقوع فيه (وعدلنا من لفظ المعصية الى هذا لان المنكر أعم من المعصية اذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه) من الشرب (وكذا ان رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر فى خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية فى حق المجنون اذ معصية لا عاصى بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية) ولذلك اخترناه هنا (وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة) من المعاصى (فلا تختص الحسبة بالكبيرة) وفى نسخة بالكبائر (بل كشف العورة فى الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر الى النسوة الاجنبيات كل ذلك) معدود (من الصغائر ويجب النهى عنها وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى) بيانه (فى كتاب التوبة) ان شاء الله تعالى *(الشرط الثانى أن يكون موجودا فى الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد) من الرعية (وقد انقرض المنكر) بل ذلك الى الولاة كما تقدم (واحتراز) أيضا (عما سيوجد فى ثانى الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب فى ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ) والنصيحة (فان أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم) وهو لا يجوز (وربما صدق فى قوله وربما لا يقدم) على ما عزم عليه (لعائق) أى مانع (وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها) آنفا (وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء) أو على ممرهن الى الحمام ذهابا وايابا (وما يجرى مجراه * الشرط الثالث أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس) وتفتيش (فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه) بقوله ولا تجسسوا (وقصة عمر) بن الخطاب (وعبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنهما (فيه مشهورة) أخرجها عبد الرزاق فى المصنف وعبد بن حميد والخرائطى فى مكارم الاخلاق من طريق المسور بن مخرمة (وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة) والمعاشرة (وكذلك

ماروى ان عمر رضى الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضى الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فيه (٣٥) فأشار على رضى الله عنه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الاخبار فى بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا اذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فاذا فاحت روائح الخمر فان احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رؤى فاسق وتحت ذيله شئ لم يجز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على أن الذى معه خمر اذ الفاسق محتاج أيضا الى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وانه لو كان حلالا لما أخفاه لان الاغراض فى الاخفاء مما تكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم فى أمثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا [illegible]

ماروى ان عمر) رضى الله عنه (تسلق دار رجل) أى تسور الحائط ولم يدخل من الباب (فرآه على حالة مكروهة فانكر) عليه (فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله) تعالى (مرة واحدة فقد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال) تعالى (وآتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت من السطح وقال) تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وما سلمت فتركه عمر) رضى الله عنه (وشرط عليه التوبة) أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من طريق ثور الكندى ولفظه ان عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله أظننت ان الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل على ان أكون عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فى ثلاث قال ولا تجسسوا وقد تجسست وقال وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت على ودخلت على بغير اذن وقال الله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال عمر فهل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم فعفا عنه وخرج وتركه وقد تقدم فى كتاب الصحبة (ولذلك شاور) عمر رضى الله عنه (الصحابة) وهو (على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد) على مرتكبه (فأشار على رضى الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد) وسكت عمر ورجع الى قوله (وقد أوردنا هذه الاخبار فى بيان حق المسلم) على المسلم (من كتاب) آداب (الصحبة فلا نعيدها) ثانية (فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية) فانه هو التجسس المنهى عنه قال مجاهد لا تجسسوا يعنى خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر (الا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله الدخول) فى الدار (وكسرها) أى المزامير والاوتار (وكذلك اذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه أهل الشوارع) أى الطرق المسلوكة (فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر) وفى بعض النسخ أوانى الخمر وظروفه (فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي) أى آلاتها (فاذا رؤى فاسق وتحت ذيله شئ فلا يجوز أن يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة) تدل عليه (فان فسقه لا يدل على ان الذى معه خمر اذ الفاسق محتاج الى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وانه لو كان حلالا) وفى نسخة حلالا (لما أخفاه لان الاغراض فى الاخفاء مما تكثر) وتختلف (وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم فى أمثال هذه الامور) فوجوده كاف (وكذلك العود) المطرب (ربما يعرف بشكله) فانه غريب فى الآلات (اذا كان الثوب الساتر له رقيقا) شفافا (فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بان نستر ما ستره الله وننكر

على من أبدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن تخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فاذا انما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له أن يقول أرني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا * الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والاظهر أن له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك ان كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لانه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الاصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امرأته زوجه اياها أبوه في صغره ولكنه ليس يدري ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها أجنبية

على من أبدى لنا صفحته) رواه البخاري من قول عمر رضي الله عنه وأخرج عبد بن حميد وابن أبي شيبة وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود برجل فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به (والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن تخصيص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم) افادة البصر اياه (فاذا انما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له أن يقول أرني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس) وهو منهي عنه (ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة) عنه (فالامارة المعرفة ان حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا) اذ هو داخل في معنى التجسس (الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما) للناس (بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي) المذهب (ان ينكر على الشافعي) المذهب (أكله الضب والضبع) وهما حيوانان معروفان تقدم الكلام عليهما (و) كذا أكله (متروك التسمية) عمدا (ولا على الشافعي) المذهب (أن ينكر على الحنفي) المذهب (شربه النبيذ الذي ليس بمسكر و) كذا (تناوله ميراث ذوي الارحام و) كذا (جلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد) مما هو معلوم من مذهبيهما (نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار) عليه في ذلك (اذ لم يذهب من المحصلين) العلم (أحد الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره) الا ان وافق اجتهاده (ولا ان الذي أدى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء) واعتقد فيه ذلك (انه له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد) ويختار (من المذاهب أطيبها عنده) وأوفقها لرأيه (بل على كل مقلد) بكسر اللام (اتباع مقلده) بفتح اللام (في كل تفصيل) من مسائل مذهبه (فاذا مخالفته) أي المقلد (للمقلد في) مسألة من المسائل (متفق على كونه منكرا بين المحصلين) من أهل العلم (وهو عاص بالمخالفة) له (الا أنه يلزم من هذا أمر) هو (أغمض منه) (وهو أن يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي اذا) رآه قد (نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله) تعالى (وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في أكل الضب) والضبع (ومتروك التسمية) عمدا (وغيره ويقول له اما أن تعتقد ان الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو) لا تعتقد ذلك و (لا تقدم عليه) لانه (على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع أصم مثلا) وهو فاقد حاسة السمع (امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امرأته زوجه اياها أبوه في صغره ولكنه ليس يدري ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها أجنبية عاص)

عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة فينبغى ان يمنعها عنه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال فى علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك فى انه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع أعنى باللسان لان ذلك زنا الا أن الزانى غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى وان الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولسنا نقطع بخطا ترجح المخالف فيها ان رأى انه لا يجرى الاحتساب الا فى معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لاحسبة الا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لاجل ظن غيره ان الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به فان قلت اذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لانه يرى انه حق فينبغى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى فى قوله ان الله تعالى جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح

عاص) لله تعالى ومؤاخذ به (ومعاقب عليه فى الدار الآخرة فينبغى أن يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال فى علم الله) تعالى (قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن) لوجود الصفة (فاذا رآه يجامعها فعليه المنع من ذلك أعنى باللسان) لا باليد (لان ذلك زنا الا أن الزانى غير عالم به) لعدم وجود الصفة عنده (والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا) أى طلاقا بائنا (وكونهما) أى الزوجين (غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا) فى نفسه (ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون) بامرأة أجنبية (وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله) تعالى (وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر) من الاقوال (والعلم عند الله) تعالى (فتحصل من هذا ان الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى وان الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة) المدرك (والاحتمالات فيها متعارضة) واطلاق القول بالترجيح فيها عسر (وانما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها ان رأى) واعتقد (انه لا يجرى الاحتساب الا فى معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون) من العلماء (وقالوا لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير) لاتفاقهم على حرمة كل منهما (وما يقطع بكونه حراما) ولم يختلف فيه فهذا مذهب جماعة من العلماء (ولكن الاشبه عندنا) معاشر الشافعية (ان الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة) معلومة معينة (بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره ان الاستدبار هو الصواب و) أما (رأى من يرى انه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد) بهوى نفسه فانه (غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت) عند أهل المعرفة (وان ثبت فلا يعتد به) عند أهل العلم (فان قلت اذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بغير ولى لانه يرى انه حق فينبغى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله فى كلام الله مخلوق) وغير ذلك من الاقوال التى خالفوا فيها أهل السنة والجماعة (وعلى الحشوى فى قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق) ومن يخالفهم على الباطل واستدلوا على ذلك بآيات وأخبار ما عدا الفلسفى فانما استدلالهم بالعقل فقط (فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح) يشير الى حديث لا نكاح الا بولى وقد تقدم الكلام عليه وكذا من يخالف نص الآية

أيضا ظاهر وكانت بظواهر النصوص إن الله تعالى يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة الجوار ونظائرهما فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب وهي أحكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه

قطعا ولا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض وجه فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد فان قلت فهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم أنا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم أهل البلد الى أهل البدعة وأهل السنة

وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فاذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيها ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر

على

كقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (أيضا ظاهر وكانت بظواهر النصوص ان الله تعالى يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل فكذلك ثبتت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور أن يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي أحكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا) اعلم أنه اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد ومعناه ان كل من حكم بحكم واقعة فهل هو حكم بما أمره الله أم لا والخلاف مبني على ان لكل واقعة حكما متعينا في نفس الامر أم لا بل يتعين باجتهاد المكلف واختياره فان كان لم يكن المصيب الا واحدا وان لم يكن كلهم مصيبا وعلى ان لكل حكم دليلا قطعيا أم ظنيا فان كان عليه دليل ظني فلا يكون المصيب الا واحدا وان كان قطعيا كان الكل مصيبا لامتناع الخطأ في القطعي والمختار عند الشافعي ان لكل واقعة حكما متعينا في نفسه وعليه دليل ظني فيلزم أن لا يكون الكل مصيبا بل المصيب واحد وله أجران أجر الاجتهاد وأجر الاصابة والمخطئ له أجر الاجتهاد فقط ولا يكون آثما بحيث الخطأ فيه وهذا القول أعني كل مجتهد مصيب منقول عن الاشعري والقاضي وجمهور المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة ولهم في ذلك تفصيل واختلاف محله كتب الاصول (والى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا فلا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض عبرة) أشار بهذا القسم الى ما عرف عندهم انه ليس كل مجتهد في العقليات مصيبا بل الحق فيها واحد فمن أصابه أصاب ومن فقده أخطأ وقال العنبري والجاحظ كل مجتهد فيها مصيب أي لا اثم عليه وهما محجوجان بالاجماع كما نقله الآمدي (فاذا البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق) عندهم (كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق) عندهم (لان خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد) فانما يعلم ظنا (فان قلت فهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل) المختلف فيها (اذ المبتدع محق في نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل هذا التعارض نقول ننظر الى البلاد التي فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان) لقيام شوكة السنة (وان انقسم أهل البلد الى أهل البدعة وأهل السنة) كما هو في غالب بلدان العجم (وكان في الاعتراض تحريك فتنة) واثارة شر (بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب من السلطان فاذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة) عن اظهار البدعة (كان له ذلك وليس لغيره) من الآحاد من غير اذن (فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد يتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع أهم من الحسبة في كل المنكرات) سواها (ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة) واثارة الفساد (بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو ان الله لا يرى او أنه مستقر

على العرش مما ساله أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط

(الركن الثالث المحتسب عليه) وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح

وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين أحدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من اناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر

على العرش مما ساله أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه) من عند أنفسهم (ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط)

(الركن الثالث المحتسب عليه)

(وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا آنفا ان الصبي اذا شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا كذلك ان المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه من ذلك) لانه في الجملة منكر في حق كل من الصبي والمجنون ولو لم يميز ولم يعقل (نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكن لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرع الانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة) فيعد ذلك أيضا من المحتسب عليه (فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع من منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر) وملابسته (ومنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر) انما هو رعاية لحق الله (والانسان اذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين أحدهما حق الله تعالى فان فعله معصية) اذ قد نهى عن اتلاف مال الغير (والثاني حق المتلف عليه فهما علتان) مستقلتان (تنفصل احداهما عن الاخرى) أي قد توجد احداهما ولا توجد الاخرى (فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية) وهي مخالفة أمر الله تعالى (وسقط حق المجني عليه باذنه) أي بسبب اذنه (فيثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا أتلفت) زرع الغير (فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين) وهو اتلاف مال الغير (ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل) نقصد (حفظ مال المسلم) وهو أكيد (اذ البهيمة لو أكلت منه أو شربت من اناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات) ولا محذور فيه (ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه من غير تعب) ولا مشقة ظاهرة (وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحته) أي العلو (قارورة) زجاج (لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة) لانه مال مسلم (لا لمنع الجرة من السقوط لانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية) أي التي فعل بها (أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث هو انسان محترم فهذه لطائف دقيقة) المدرك (لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها) فانها من المهمات (ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر

اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى أن يصير الانسان مسخر الغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه (٤٠) وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا أكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فأما ان كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فأما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف ولا سبيل للمصير الى ذلك فأما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب

كالجاهد

اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث) قريبا ان شاء الله تعالى (فان قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع انسان) فرعته (فهل يجب عليه اخراجها) من ذلك الزرع (وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع) والتلف (هل يجب عليه حفظه) أم لا (فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط) وجور (يؤدي الى أن يصير الانسان مسخرا لغيره) أي مدة (طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير) وحفظه (فنقول) في الجواب (هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز) أي المختصر (فيه أن نقول مهما قدر) الانسان (على حفظه عن الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقص في جاهه) بسبب كلام الناس فيه (وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم) وفي نسخة في حقوق المسلمين بعضهم على بعض (بل هو أقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلم) على المسلم (كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالايجاب من رد السلام لان الاذى في هذا أكثر من الاذى في ترك رد السلام) اذ تترتب عليه فائدة تفضي الى أخيه المسلم (بل لا خلاف في أن مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم) بأن غصبه أو أنكره (وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك) أي اداء الشهادة (وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع) عن مال أخيه بحيث (لا ضرر على الدافع فيه) ولا تعب (فأما ان كان عليه تعب وضرر في مال أو جاه لم يكن يلزمه ذلك لان حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب) أثنى الله عليه في كتابه (وتجشم المصاعب) أي تحمل المشقات (لاجل المسلمين قربة) الى الله تعالى (فأما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه) السعي في ذلك اذ لم يكلف الله نفسا الا وسعها (ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع) من نومه (وهو نائم) أو باعلامه وهو غافل (يلزمه ذلك فاهمال تعريفه بالتنبيه) أو الاعلام (كاهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه) بل يأثم تاركها (ولا يمكن أن يرعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم) من الزرع (الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير) ان أبقيت تلك البهائم (فيرجح جانبه لان الدرهم الذي هو له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك) (فأما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع وان كان فيه تعب ما) أي نوع تعب (لان المقصود) الذي يتعب لحصوله (حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان أن يتعب نفسه في ترك المعاصي) مهما استطاع (كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها) من حيث هي هي (في تركها تعب) ومشقة ومخالفة الهوى والنفس (وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس) وهي الاصل الاصيل (وهي غاية التعب) لانه في مخالفته اياها

ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا احداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل و يقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان في مسجد أو (٤١) رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط أيضا انسان وله حق في أن لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله فان كانت ذهبا أو ثوبا أو شيأ لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة أخرى الا أن يتبرع به فاذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة وأداء الامانة وان كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج الى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل *(الركن الرابع نفس الاحتساب)*

كالمجاهد للعدو (ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا احداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة) وهي كرطبة اسم الذي يجده ملتق فيأخذه قال الازهري وهذا قول جميع أهل اللغة وحذاق النحويين وقال الليث هي بالسكون ولم أسمعه لغيره واقتصر ابن فارس والفارابي على فتح القاف ومنهم من يعد السكون من لحن العوام (والملتقط مانع) لها (من الضياع) والتلف (وساع في الحفظ) لها على صاحبها (والحق فيه عندنا أن يفصل و يقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط) للصوفية (يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وان كان في مضيعة) مفعلة وهي المفازة المنقطعة وقال ابن جني هو الموضع الذي يضيع فيه الانسان قال الشاعر

وهو مقيم بدار مضيعة * شعاره في أموره الكسل

ومنه يقال ضاع يضيع ضياعا اذا هلك وفيه لغة أخرى وهي مضيعة على وزن معيشة (نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل) وحبال تربط بها (فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط أيضا انسان وله حق في أن لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان) الملتقط (ذهبا) في كيس أو في طرف منديل (أو ثوبا) مرميا (أو شيأ لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف) سنة (فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه) على ما هو مذكور في محله (سنة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا أن يتبرع) من عند نفسه (فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر) أي قليل (بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين) فانها مؤكدة (فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة أخرى) لاجل أداء الشهادة لما فيه من المشقة (الا أن يتبرع بذلك) وفي نسخة الا ان تبرع به (واذا كان مجلس القاضي في جواره) أو قريبا منه (لزمه وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة وأداء الامانة وان كان في الطرف الآخر من البلد) وكان البلد متسعا (وأحوج اليه في الهاجرة) أي وسط النهار (وعند شدة الحر) بدون الهاجرة وذلك في البلاد التي يشتد فيها الحر كالحجاز واليمن والحبشة (فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر) فان كان في البلاد الباردة وطلب منه المشي الى آخر البلد يلزمه لعدم التعب وان أحوج اليه في وقت نزول الثلج والبرد الكثير أو المطر الكثير أو كان الطريق فيها وحل كثير لم يلزمه و ينظر مع ذلك ان كان الشاهد راكبا على دابة ولم يحصل له التعب يلزمه (فاذا الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان و يكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة) وهي التي دام اشتباهها زمانا طو يلا يقال مرض مزمن وهو الدائم الملازم الذي أعيت عنه الاطباء (التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه) أي يوقعه في الريبة (الى ما لا يريبه) عملا بقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك (فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل) ولم يذكر المصنف المسئلة الثانية التي تقرب من الغرض

(الركن الرابع نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب
ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود *(أما الدرجة الاولى)* وهي التعريف ونعني به
طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا
أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس مافي ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو
أخبره عدلان ابتداء من غير
استخبار بأن فلانا يشرب
الخمر في داره أو بأن في داره
خمرا أعده للشرب فله اذ
ذاك أن يدخل داره ولا
يلزمه الاستئذان ويكون
تخطي ملكه بالدخول
للتوصل الى دفع المنكر
ككسر رأسه بالضرب
للمنع مهما احتاج اليه وان
أخبره عدلان أو عدل
واحد وبالجملة كل من تقبل
روايته لاشهادته ففي
جواز الهجوم على داره
بقولهم فيه نظر واحتمال
والاولى أن يمتنع لان له حقا
في أن لا يتخطى داره بغير
اذنه ولا يسقط حق المسلم
عما ثبت عليه الا بشاهدين
فهذا أولى ما يجعل مردا
فيه وقد قيل انه كان نقش
خاتم لقمان الستر لما عاينت
أحسن من اذاعة ما ظننت
(الدرجة الثانية) التعريف
فان المنكر قد يقدم عليه
المقدم بجهله واذا عرف انه
منكر تركه كالسوادي
يصلي ولا يحسن الركوع
والسجود فيعلم أن ذلك لجهله
بأن هذه ليست بصلاة ولو
رضي بأن لا يكون مصليا لترك
أصل الصلاة فيجب تعريفه
باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بأن ينسب الى
الجهل بالامور لاسيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد
معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس
وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير
ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك

(وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف
ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح) أي ابرازه من بيته (ثم
الاستظهار) أي طلب التقوية (فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهو التعرف ونعني به طلب
المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو) بعينه (التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع
على دار غيره ليسمع صوت الاوتار) والمزامير والجلاجل (ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس
مافي ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه) الملاصقين لداره (ليخبروه بما يجري في داره)
فكل ذلك تتبع للعورات (وقد ورد فيه وعيد شديد كما تقدم في آداب الصحبة) نعم لو أخبره عدلان ابتداء
من غير استخبار (بان فلانا يشرب الخمر أو في داره خمر أعده للشرب فله اذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه
الاستئذان) ففيه شروط الاول أن يكون ذلك من غير استخبار والثاني أن يكون المخبر عدلين لا عدلا واحدا
والثالث كون الاخبار وقع على شربه حالا لا على شربه في الماضي واذا أخبر أن الخمر في الدار فشرط
فيه أن يكون قد أعده للشرب فخرج ما اذا لم يكن كذلك بل كانت أمانة لذمي عنده فاذا وجدت هذه
الشروط فله الدخول من غير استئذان (ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر
رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة) المراد به (من تقبل
روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى أن يمتنع) عن الهجوم
(لان له حقا في أن لا يتخطى داره بغير اذنه) وفي تخطيه اسقاط لحقه (ولا يسقط حق المسلم على ما ثبت عليه
حقه) شرعا (الا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه) أي يرد عليه ففي كل منهما اسقاط الحق (وقد
قيل انه كان نقش خاتم لقمان) عليه السلام (الستر لما عاينت) أي شاهدت بعينك (أحسن من اذاعة)
أي افشاء (ما ظننت) ففهم منه أن الستر على المسلم فيما عاينه منه أولى بكل حال (الدرجة الثانية
التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله) أي بسبب جهله (واذا عرف انه منكر تركه
كالسوادي) أي المنسوب الى سواد البلد أي ريفه والمراد به الفلاح (يصلي ولا يحسن الركوع والسجود
فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه
باللطف) واللين (من غير عنف) وزجر (وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل
ايذاء وقلما يرضى الانسان أن ينسب الى الجهل بالامور لاسيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه
الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ والجهل) ويتغير مزاجه (وكيف يجتهد في مجاحدة الحق) أي
منا كرته بعد معرفته (خيفة أن تنكشف عورة جهله) بين الناس (والطباع أحرص على ستر عورة
الجهل منها على ستر العورة الحقيقية) وهي السوأتان (لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه
وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس أشرف من البدن) اذ هو كالمطية
للنفس (وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم لانه خلقة ولم يدخل) وفي بعض النسخ لانه خلقة لم يدخل
(تحت اختياره حصوله ولا تحت اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك

يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلابد وان يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق وأما اذا وقفت على خطأ فى غير أمر الدين فلا ينبغى أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا

(الدرجة الثالثة)

النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها فانها مهلكة وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفى وله محك ومعيار ينبغى أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب اليه

يعظم تألم الانسان بظهور جهله) ويكثر تأسفه وتندمه (ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره) لا سيما اذا انتفع به (واذا كان التعريف كشفا للعورة) الباطنة (مؤذيا للقلب فلابد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق) ولين الكلام (فنقول) له فى تعريفه (ان الانسان لا يولد عالما) وانما العلم بالتعلم (ولقد كنا أيضا) مثلك (جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء) وأرشدونا (ولعل قريتك خالية من أهل العلم أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود) وعدم الالتفات والعبث بالشئ (فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف) له (من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول) وانما يغسل بما يطهره كالماء (ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق وأما اذا وقعت على خطا) منه (فى غير أمر الدين فلا ينبغى أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا) يرد عليه (الا اذا علمت انه يغتنم العلم) ولا يحقد فى باطنه عداوة لك (وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه) وواظب (بعد ان عرف كونه منكرا كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه فينبغى أن يوعظ) وينصح (ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها) أى فى كل ما ذكر من الشرب والظلم والاغتياب (ويحكى له سيرة السلف) الصالحين (وعادة المتقين) فى أثناء حكايات وأمثال ومناسبات (وكل ذلك بشفقة ولطف من غير غضب وعنف بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية) مع الاصرار عليها (مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة) فاذا روعى هذا القدر مع التعريف كان سببا للقبول لقوله والانحياز اليه (وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها) ويستحفظ منها (فانها مهلكة) أى تحمله على الهلاك (وهو أن العالم يرى عند التعنيف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز) على الغير (بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل) ونهاية الحماقة (وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة) أى مخوفة (وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه) المستكنة فيها (وفتح بصيرته بنور هدايته) فاستبصر ولم يتبع سبيل الغرور (فان فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين أحدهما من جهة دالة العلم) فان النفس تبتهج بلذة العلم وتفرح به (والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفى) الذى هو أخفى من دبيب النمل (وله محك ومعيار ينبغى أن يمتحن المحتسب به نفسه) ليدرك وزنها (وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه) باعانة الله وتوفيقه (أو باحتساب غيره) من اخوانه (أحب اليه

من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولا على

نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي رحمه الله أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال انه يقوى عليه قال أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب *(الدرجة الرابعة)* السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليها الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني أن لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات

من امتناعه باحتسابه) فليمتحن نفسه بذلك (فان كانت الحسبة شاقة ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين) والاجر على قدر المشقة (فان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه) ومتدل بحبل غرور الشيطان (فيتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله) وليراقبه فانه ناقد بصير مطلع على السرائر (وليحتسب أولا على نفسه) ثم على غيره (وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني) أخرجه صاحب الحلية في ترجمة مالك بن دينار وقد تقدم قريبا (وقيل لداود) بن نصير (الطائي رحمه الله تعالى أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط) أي الضرب به (قال انه يقوى) قال أخاف عليه السيف (قال انه يقوى قال أخاف عليه الداء الدفين) أي المكتوم في القلب وهو (العجب) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا أحمد بن موسى الانصاري حدثنا محمد بن أبي داود سمعت سندويه الغسال قال قيل لداود الطائي فذكره (الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف) أي اذا رآه لم يمتنع بلطيف القول ولينه عدل الى تعنيفه بالقول الخشن (و) كذلك (عند ظهور مبادي الاصرار) على المعصية (والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) وذلك بعد ان نصحهم باللطف فأبوا الا الاصرار على الكفر فقال ما قال (ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى) من الالفاظ الدالة على ما فيه من الاوصاف القبيحة (ولولا حمقه ما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس) على وزن سيد (من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه) أي أذلها واستعبدها يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لاوامر ربها (وعمل لما بعد الموت) قبل نزوله ليصير على نور من ربه (والاحمق) كذا في النسخ وفي رواية العاجز وفي أخرى بلفظ الفاجر بالفاء (من أتبع نفسه هواها) فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها من مقارفة المنكرات (وتمنى على الله) زاد في رواية الاماني بتشديد الياء جمع امنية أي فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يعتذر ولا يرجع بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الاصرار وترك التوبة والاستغفار قال الطيبي قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ايذانا بان الكيس هو القادر وان العاجز هو السفيه قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس اهـ قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم في الايمان والعسكري والقضاعي كلهم من حديث ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد قال الحاكم صحيح على شرط البخاري قال الذهبي لا والله أبو بكر واه اهـ وقال ابن طاهر مدار الحديث عليه وهو ضعيف جدا قال العسكري هذا الحديث فيه رد على المرجئة واثبات للوعيد وقال سعيد بن جبير الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة (ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليها الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني أن لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة) مما يناسب الحال والوقت والشخص فلا بد من مراعاة ذلك (فان علم ان خطابه بهذه الكلمات

الزاجرة

الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازراء بحمله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الانكار له *(الدرجة الخامسة)* التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشر تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر (٤٥) على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة أدبان أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره واذا قدر على أن يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حالة تحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى اراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسره

الزاجرة ليست تزجره) ولا تمنعه (فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازراء بحمله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب) في الحال (ولوا كفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه) ذلك (ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب) أي يعبس (وجهه ويظهر له الانكار * الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر) آلات (الملاهي والصور واراقة الخمر وخلع الحرير عن رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه) وفي الاخير خلاف لابي حنيفة فانه أجازه لما فيه من الاستهانة فلا يكون منكرا (ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب) ان علم ذلك منه (وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدم على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة أدبان أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا أمكنه أن يكلفه المشي) على رجليه (في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد) وهو جنب (فلا ينبغي أن يأخذه ويجره) على الارض (واذا قدر على أن يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي) والصور (وحل درز الثوب الحرير) وهي العقود التي تربط بها مواضع من الثوب على البدن وهي في بلاد العجم بمنزلة الازرار في هذه البلاد (فلا ينبغي أن يباشر بنفسه) فان لم يقدر فعليه المباشرة (فاذا في الوقوف على حد الكسر نوع عسر) ومشقة (فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه) أي من لا منع (في فعله الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان) فيها زيادة الاذى في حق المسلم و (زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق الثوب الحرير) الذي على رأسه أو بدنه (بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير الى حالة يحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء) وأما الحرق ففيه ضياع للمال (وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني) التي فيها الخمر (ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر) أي تبطل قيمة الظروف وان كانت مثمنة بسبب ما فيها (اذ صار الظرف حائلا بينه وبين الوصول الى اراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فلا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس) لا يهرق الخمر الا في مدة (ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه) من الاراقة (فله كسرها) عاجلا (فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث تكون الاراقة متيسرة) أي مسهلة (بلا كسر فاذا كسر) وفي نسخة متيسرة

لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل فى الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر فاعلم
ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضى والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر
فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالى له أن يفعل ذلك اذا رأى المصلحة
فيه وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر ولم
يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا رأى الوالى باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون و يعصون واحراق أموالهم التى بها يتوصلون الى المعاصى فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة و يعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الاوانى بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها
فهو اتلاف مال الا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين بوعيد
أحدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى
ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية
يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها * (الدرجة السادسة) * التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أولا كسرن رأسك أولا ضربن رقبتك

كالكسر فكسر (لزمه الضمان) فانه اتلاف مال (فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل فى الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر فاعلم أن الزجر انما يكون عن المستقبل) لئلا يقع فى المعصية ثانيا والعقوبة تكون عن المعاصى والدفع عن الحاضر الراهن فى الحال (وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن) جرم (لاحق وذلك) موكول (الى الولاة) للامور (لا الى الرعية) كما سبق (نعم الوالى له أن يفعل ذلك اذا رأى المصلحة فيه) وتكون المصلحة دينية (فأقول له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا) وتاديبا (وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى طلحة أنه قال يا نبى الله اشتريت خمرا لايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه ليث بن أبى سليم والاصح رواية المروى عن السدى عن يحيى بن عباد عن أنس ان أبا طلحة كان عنده قاله الترمذى (ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة) لقرب عهدهم بتحريم الخمر (فاذا رأى الوالى باجتهاده مثل تلك الحالة جاز له مثل ذلك وان كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية) لقصورهم عن ذلك (فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى بها يشربون) المسكرات (و يعصون) الله تعالى (واحراق أموالهم التى بها يتوصلون الى) تلك (المعاصى فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح) الشرعية (ولكنا لا نبتدع المصالح) ابتداعا (بل نتبع فيها) اتباعا (وكسر ظروف الخمر قد ثبت) بالخبر المتقدم عند شدة الحاجة (وتركها بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا) للحكم (بل الحكم يزول بزوال العلة و يعود بعودها) فان عادت العلة عاد الحكم وان زالت زال فالحكم من اصله ثابت (فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه) فلا يدركونه (بل نقول لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الاناء بعدها) أى بعد الاراقة (بل جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها) فكسرت فهو اتلاف مال (الا أن تكون) تلك الظروف (ضارية) أى متعودة (بالخمر لا تصلح) لشئ (الا لها) ولو وضع فيها شئ آخر لفسد ولم ينتفع به (فكان الفعل المنقول عن العصر الاول) من جواز كسرها (كان مقرونا بمعنيين أحدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما) وهما موجودان فى قوله صلى الله عليه وسلم لابى طلحة فى الحديث السابق اهرق الخمر واكسر الدنان (ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه) أى تركه (وهذا المعنى أيضا موجود فى حديث أبى طلحة فهذه تصرفات دقيقة) المدارك (فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها) ليكون على بصيرة تامة فى احتسابه (الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا) أى اتركه (أولا كسرن رأسك) أو الذى فيه عيناك (أولا ضربن رقبتك أولا آمرن بك) فيفعل بك كذا وكذا لامور يعددها عليه (وذلك ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب اذا أمكن تقديمه) فانه يفيد به المنع عما هو فيه والانزجار (والادب فى هذه الرتبة أن لا يهدده

بوعيد لايجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك أولاضربن ولدك أولاسبين زوجتك وما يجرى مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قال عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد فى الوعيد على ماهو فى عزمه الباطن اذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل فى اصلاحه بين شخصين وتألفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى أشار بعض الناس انه لايقبح من الله أن يتوعد بما لايفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح أن يعد بما لايفعل وهذا غير مرضى عندنا فان الكلام القديم لايتطرق اليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وانما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك اذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام

(الدرجة السابعة) مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعى التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك مالم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أولأرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى وينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر أو لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام أو بالضرب

بوعيد لايجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك أولاضربن ولدك اولاسبين زوجتك وما يجرى مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم) جازم (فهو حرام) لان كلا من الضرب والنهب والسبى لايجوز له (وان قاله عن غير عزم فهو كذب) وهو محذور الا ما استثنى (نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه) ولكن (الى حد معلوم يقتضيه الحال) والوقت والمصلحة (وله أن يزيد فى الوعيد على ماهو فى عزمه الباطن) فى القلب (اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه) أى يزجره (وليس ذلك من الكذب المحذور) الممنوع (بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل) فى كلامه (فى اصلاحه بين شخصين) متخاصمين (وتأليفه بين الضرتين) وبين المرأة وزوجها والضرة امرأة زوجها والجمع ضرات على القياس وسمع ضرائر (وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا) الذى نحن فيه (فى معناه) أى مقاس عليه (فان القصد به اصلاح ذلك الشخص) بخلوصه عن المعاصى (والى هذا المعنى أشار بعض الناس) من المتكلمين (انه لايقبح من الله أن يتوعد بما لايفعل) مراعاة للاصلح (لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح أن يعد بما لايفعل) واليه أشار الشاعر بقوله

فانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(وهذا غير مرضى عندنا) معشر أهل السنة والجماعة (فان الكلام القديم لايتطرق اليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وانما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك اذ الخلف فى الوعد ليس بحرام) ولا يكون قادحا الا اذا عزم عليه مقارنا موعده أما اذا كان عازما ثم عرض له مانع أو بدا له رأى فهذا لايكون قادحا ونقل أبو البقاء الاحمدى فى شرح البخارى عن العلماء انه يستحب الوفاء بالوعد بالهبة وغيرها استحبابا مؤكدا ويكره اخلافه كراهة تنزيه لا تحريم ويستحب اخلاف الوعيد اذا كان المتوعد به جائزا ولا يترتب على تركه مفسدة (الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة) أى المشقة (والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف) أى يمتنع (والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق) شرعا (الى الاداء) لصاحبه (بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على اداء الحق وكونه معاندا) فى دفع الحق (فله أن يلزمه الاداء بالضرب) المؤلم (على التدريج كما يحتاج اليه) وفى نسخة اذا احتاج اليه (وكذلك المحتسب يرعى التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك) مالم تثر فتنة (كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة) يريد الفعل بها (أو على مزمار وهو يضرب به وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جوار مانع فيأخذ قوسه) ويضع فيها السهم (ويقول خل عنها) أو عنه (أولارمينك) بهذا السهم (فان لم يخل عنها) وأصر على فعله (فله أن يرمى) عليه بسهم (وينبغى أن لايقصد) برميه (المقتل) كالعنق والبطن وغيرهما (بل الساق والفخذ ويرعى فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر أولاضربنك) بهذا السيف (وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولافرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله) تعالى (وبين ما يتعلق بالآدميين) هذا مذهب أهل السنة (وقالت المعتزلة مالا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام) اللطيف (أو بالضرب) باليد اما شهر

ولكن للامام لا للآحاد *(الدرجة الثامنة)* أن لا يقدر عليه بنفسه و يحتاج فيه الى أعوان يشهرون السلاح و ربما يستمد الفاسق أيضا باعوانه و يؤدى ذلك الى أن يتقابل الصفان و يتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدى الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف وأوائل درجاته تجر الى ثوان والثوانى الى ثوالث وقد ينتهى لامحالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا و يقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد جائز لان الكافر لا بأس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر فى الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده و بسلاحه و بنفسه و بأعوانه فالمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق

(بيان آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب العلم والورع وحسن الخلق * أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن قد يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب و يورث ذلك جراءة عليه وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الامع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب

السلاح فلا (ولكن ذلك للامام لا للآحاد) من الرعية (الدرجة الثامنة أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى) مساعدة (اعوان يشهرون السلاح و ربما يستمد الفاسق أيضا باعوانه) و يشهرون السلاح (و يؤدى) ذلك (الى أن يتقابل الصفان و يتقاتلا) كما وقع ذلك كثيرا فى بلاد خراسان بين أهل السنة والشيعة فالقتال أبدا بينهما مستمر (فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدى الى تحريك الفتن) واثارة المحن (وهيجان الفساد وخراب البلاد) وقد عم الخراب بسبب هذه الفتن فى كثير من بلاد خراسان حتى صار المنكر معروفا والمعروف منكرا (وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن) من الامام (وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف) حسبما عرف (وأوائل درجاته تجر الى ثوان والثوانى) تجر (الى ثوالث وقد ينتهى لامحالة الى التضارب) فى التدافع (والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود) وحشد العساكر (فى) رضا الله تعالى (ودفع معاصيه) بكل ممكن كيف (ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا و يقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر) والفساد واطفاء لفتنتهم حتى تكون كلمة الله هى العليا (فكذلك قمع أهل الفساد جائز لان الكافر لا بأس بقتله والمسلم ان قتل) فى مناضلته عن الاسلام فهو شهيد (فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه) ومعاصيه (لا بأس بقتله) قياسا على الكافر (والمحتسب المحق) المناضل عن الدين (ان قتل مظلوما فهو شهيد) وهو قياس صحيح (وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر فى الحسبة) وانما يكون ذلك غالبا عن العصبيات الجاهلية (فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده) ان أمكنه و بلسانه (و بسلاحه و بنفسه و باعوانه) وانصاره (فالمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها والله الموفق)

(بيان آداب المحتسب)

اعلم أنا (قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات ولنذكر الآن جملها ومصادرها) وما تنشأ منها (فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب العلم والورع وحسن الخلق أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها) وذكر المواقع ثانيا تكرار (وليقتصر على حد الشرع فيها والورع) معطوف على قوله (و) العلم (ليزعه) أى ليمنعه وفى نسخة ليردعه (عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه) أى على الاسراف (غرض من الاغراض) فاذا لم يكن الورع لم يمتنع عنه (وليكون) معطوف على قوله ليزعه أى انما شرطنا الورع فى المحتسب ليكون (كلامه ووعظه مقبولا) عندهم (فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب) و يضحك عليه (و يورث ذلك جراءة عليه وأما حسن الخلق فليتمكن به من الرفق واللطف وهو أصل الباب وأساسه والعلم والورع لا يكفى فيه) من غير حسن الخلق (فان الغضب اذا هاج) ضرره وأثر فى الجسم فى الحال (لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه) ودفعه (مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الامع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب) ومهما

قدر على ضبطهما رجي له حسن الخلق فان سوء الخلق انما يطرأ من سوء ملكته لهما وبذلك يتم الورع (وبه يصير المحتسب على ما أصابه في دين الله والا فاذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه) ولم يملكها عن الانتقام (بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة بها) اذا اجتمعت (تصير الحسبة من القربات) الى الله تعالى (وبها تندفع المنكرات فان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها) فلابد من العلم ليعرف المجاوزة في الحدود ولابد من الورع ليحمله على العمل بما علمه ولابد من حسن الخلق ليملك به نفسه (ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه) قال العراقي لم أجده هكذا وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف اهـ قلت ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس بلفظ أمره ذلك بمعروف وفيه سلم بن ميمون الخواص أورده الذهبي في الضعفاء رواه عن زافر وقال ابن عدي لا يتابع على حديثه رواه عن المشمعل بن صباح قال النسائي متروك عن عمرو بن شعيب مختلف فيه وقد روى الديلمي أيضا من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ هو أقرب لسياق المصنف لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر عالم فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى وفي القوت حدثنا عن أبي الربيع الصوفي قال دخلت على سفيان بالبصرة فقلت يا أبا عبد الله اني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على الخبثين ونتسلق عليهم الحيطان فقال أليس لهم أبواب قلت بلى ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا فأنكر ذلك انكارا شديدا وعاب أفعالنا فقال واحد من أدخل هذا فقلت انما دخلت على الطبيب أخبره بدائي فانتفض سفيان وقال انما أهلكنا اذ نحن سقمى فسمينا أطباء ثم قال لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من فيه ثلاث خصال فساقها وفيه رفيق وعدل وعالم (وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم) لا يشترط فيه أن يكون فيه على الاطلاق بل فيما يأمر به وينهى عنه والخصال المذكورة عند المصنف العلم والورع وحسن الخلق وفي حديث أنس الرفق والعلم والعدالة فالرفق يرجع الى حسن الخلق لانه ثمرته والورع يرجع الى العدالة وحديث ابن عمرو فليكن أمره بمعروف أي برفق ولين والرفق احدى الصفات الثلاثة (قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (اذا كنت ممن يأمر الناس بالمعروف فكن من آخذ الناس به) أي أكثرهم أخذا بالمعروف (والا هلكت) وذلك لانه يدخل تحت الوعيد في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (وقد قيل) في معنى ذلك

(لا تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله * فانما يزري على عقله)

(ولابي العتاهية) اسمعيل بن القاسم بن سويد الشاعر المشهور وأبو العتاهية لقبه وكنيته أبو اسحق أو كنيته لا لقبه فيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس فراجعه

(تدل على التقوى وأنت مقصر * أيا من يداوي الناس وهو سقيم
وان امرأ لم يجعل البر كنزه * ولو كانت الدنيا له لعديم)

وفي هذا الباب كلام كثير للشعراء (ولسنا نعني بهذا أن الآمر يصير ممنوعا) عن الامر بالمعروف (بالفسق) أي لاجله وبسببه (ولكن يسقط أثره عن القلوب) ووقعه فيها (بظهور فسقه للناس) فيكون ضحكة لهم (وقد روى عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله

وبه يصير المحتسب على ما أصابه في دين الله والا فاذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم قال الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل

لا تلم المرء على فعله
وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله
فانما يزري على عقله

ولسنا نعني بهذا أن الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله

وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال ان أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق
بالثواب من الله فمن وثق بالثواب (٥٠) من الله لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى
الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطيتك بعد هذا شيأ لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم صدقت
التوراة وكذب أبو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له
في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى

وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله) قال العراقي رواه الطبراني في المعجم الصغير والاوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه اهـ قلت والراوي عنه ابنه عبد السلام بن عبد القدوس ضعيف أيضا والمعنى انه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ ويقول أخاف أن أقول ما لا أفعل قال وأينا يفعل ما يقول ودّ الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهي على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها (وأوصى بعض السلف بنيه وقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف) وينهى عن المنكر (فليوطن نفسه على الصبر) أي على الاذى ليثبتها عليه والمراد به الصبر على مكروه يسمعه ممن يحتسب عليه (وليثق بالثواب من الله) عز وجل (فمن وثق بالثواب من الله) عز وجل (لم يجد مس الاذى) والمكروه قلت المراد ببعض السلف هنا عمرو بن حبيب الخطمي وكانت له صحبة فانه أوصى بنيه وقال يابني اياكم ومجالسة السفهاء فان مجالستهم داء انه من يحلم على السفيه يسر بحلمه ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب واذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف الخ هكذا أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في التلخيص عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب (فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر) على الاذى (ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف) والنهي عن المنكر (فقال) في كتابه العزيز (حاكيا عن لقمان) عليه السلام (يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) ان ذلك من عزم الامور أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير في قوله وأمر بالمعروف يعني التوحيد وانه عن المنكر يعني الشرك واصبر على ما أصابك في أمرهما يقول اذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذى وشدة فاصبر عليه ان ذلك يعني هذا الصبر على الاذى فيهما من عزم الامور أي من حد الامور التي أمر الله بها (ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه) والعلائق هي الزوائد التي تتعلق اليها النفوس وتألفها وتذهل بها فيكثر خوفه على انقطاعها عنه (وقطع الطمع عن الخلائق) مما في أيديهم أو يكتسب بواسطة جاههم (حتى تزول عنه المداهنة) معهم (فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور) من أسماء الهر (وكان يأخذ من قصاب) أي جزار (كل يوم شيأ من الغدد) جمع غدة بالضم (لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب) وأنكر عليه ذلك المنكر (فقال له القصاب لا أعطيتك بعد هذا شيأ لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة) لخوف المداهنة (ومن طمع أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم يتيسر له الحسبة) فانه يستحيي أن يقابلهم بما يكرهون فتمقته قلوبهم (قال كعب الاحبار) (لابي مسلم الخولاني) رحمهما الله تعالى (كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم صدقت التوراة وكذب أبو مسلم) وهذا القول قد تقدم للمصنف قريبا (ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون) عبد الله بن هرون العباسي (اذ وعظه واعظ) حين دخل عليه (وعنف) (له في القول) أي أغلظ (فقال يا رجل ارفق) في وعظك (فقد بعث الله من هو خير منك) يعني موسى عليه السلام مع أخيه هرون عليه السلام (الى من هو شر مني) يعني فرعون مصر (وأمره بالرفق فقال فقولا) الخطاب له ولاخيه (له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله فقولا له قولا لينا أي كنياه أي لا تنطقوا باسمه أخرجه عبد بن حميد

وابن

فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم فقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه أدن فدنا حتى جلس بين يديه (٥١) فقال النبي عليه الصلاة والسلام أتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم أتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لاختك وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان سفيان ابن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما أخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا أبا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد ابن سلمة ان صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل ازاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال يا ابن أخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال أحب أن ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال الي يا ابن أخي

وابن المنذر وعن علي مثل ذلك أخرجه ابن أبي حاتم، وروى عن الحسن انه قال أي أعوز اليه قولا انك لك ربا ولك معادا وان بين يديك جنة ونارا (فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم) وسلامه (وقد روى أبو امامة) عدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه (ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أتأذن لي) وفي نسخة ائذن لي (في الزنا فصاح الناس به) اذ رأوا ما يخالف الادب (فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربو) أي اتركوه (أدن) مني يا غلام (فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم أتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لاختك وزاد ابن عوف) أي عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله عنهم (انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداءك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر) وهو أبو امامة (فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض اليه منه يعني من الزنا) قال العراقي رواه أحمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح (وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان) أي عطاياه (فقال الفضيل) ان له حقا في بيت مال المسلمين (ما أخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به) الفضيل (وعذله) أي لامه (ووبخه) أي قال له مثلك من يأخذ من جوائزهم (فقال سفيان يا أبا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين) ففيه دليل على انه ينبغي أن يكون النصح بلين وفي خلوة عن الناس (وقال حماد بن سلمة) بن دينار البصري الخزاز قال ابن معين ثقة وقال شهاب بن المعمر البلخي كان حماد يعد من الابدال وعلامة الابدال أن لا يولد لهم تزوج سبعين امرأة فلم يولد له توفي سنة ١٧٧ روى له الجماعة والصواب حماد بن زيد كما هو نص الحلية (ان صلة بن أشيم) أبا الصهباء العدوي رحمه الله تعالى من تابعي البصريين ومشاهيرهم لقي عدة من الصحابة وروى عن ابن عباس وغيره (مر عليه رجل أسبل ازاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال له يا ابن أخي لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال أحب أن ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا يوسف بن يعقوب النجيري حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا ثابت ان صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بالسنتهم أخذا شديدا فقال صلة دعوني أكفكم أمره فقال يا ابن أخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك قال أحب أن ترفع ازارك قال نعم ونعم عين فرفع ازاره فقال صلة لاصحابه هذا كان أمثل لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم (وقال) أبو بكر (محمد بن زكريا) بن دينار البصري (الغلابي) منسوب الى غلاب ككتاب أحد أجداده كما قاله ابن الاثير عروى عن عبد الله بن رجاء الغداني وعنه سليمان بن أحمد الطبراني وغيره وقال الذهبي في الضعفاء قال الدارقطني هو بصري يضع الحديث (شهدت عبد الله بن محمد) هكذا في النسخ وصوابه عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي وقيل له (ابن عائشة) والعائشي والعيشي نسبة الى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها ثقة جواد مات سنة ثمان وعشرين ومائة روى له أبو داود والترمذي والنسائي (ليلة وقد خرج من المسجد بعد) صلاة (المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت بالناس فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال الي يا ابن أخي

فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معى فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ماجرى فاستحيى منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فادخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشئ مما كنت فيه وأنا تائب فقال ادن منى فقبل رأسه وقال أحسنت يابني فكان الغلام (٥٢) بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يأمرون بالمعروف ويهنون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ماتطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده اذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الارض ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوا ما حالك فقال ما أدري ولكني حاكني شيخ وقال لي ان الله عز وجل ناظر اليك والى ماتعمل فضعفت لقوله قدماى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسوأتاه كيف ينظر الى بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه

(الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات) فنشير الى جمل منها ليستدل بها على أمثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك

(منكرات المساجد) اعلم أن المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا

فاستحيا الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معى فمضى معه حتى صار الى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا أفاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق) من سكره (ذكر له ماجرى فاستحيا وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام) الموكل به (قد أمر) رب المنزل (أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك) من أشياخ قريش (فاتق الله وانزع عما أنت فيه) من المعصية (فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله) عز وجل (عهدا يسألني عنه يوم القيامة انى لا أعود لشرب النبيذ) المسكر (ولا لشئ مما كنت فيه وأنا تائب) الى الله تعالى (فقال ادن منى فقبل رأسه وقال أحسنت يابني) اذ تبت الى الله تعالى (فكان الغلام بعد ذلك يلزمه) في مجالسه (ويكتب الحديث) وحسن حاله (فكان ذلك ببركة رفقه) معه (ثم قال) ابن عائشة (ان الناس يأمرون بالمعروف) وينهون عن المنكر (ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ماتطلبون) وقد جاء في حديث مرفوع عن عائشة عليكم بالرفق فانه ما كان في شئ الا زانه رواه مسلم وعند ابن لال من حديث معاذ عليك بالرفق والعفو في غير ترك الحق (وعن الفتح بن شخرف) تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد الا عقره) أى ضربه بذلك السكين (وكان الرجل شديد اليدين) أى صاحب قوة (فبينا كذلك والمرأة تصيح في يده) وفي نسخة من شدة يده (اذ مر بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى (فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل و) اذا هو (يترشح عرقا) كثيرا (ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك فقال ما أدرى ولكن حاكني شيخ وقال لى ان الله ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحرث فقال واسوأتاه فكيف ينظر الى بعد اليوم وحم الرجل من يومه) من شدة هيبته وخجله (ومات يوم السابع) رحمه الله تعالى (فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه والله الموفق

(الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات)

أى قد ألفتها العادات وهى من المنكرات (فنشير الى جمل منها ليستدل على أمثالها) واشباهها ونظائرها (اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك)

(منكرات المساجد)

أضيفت اليها لكونها تقع فيها (اعلم أن المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له فان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر

مطلقا فتر بدبه المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا * فما تشاهد كثيرا فى المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهى عنه الاعند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا ينفع النهى معه ومن رأى مسيأ فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر وفى الخبر مايدل عليه اذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل وكذلك كل مايقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام (٥٣) أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنه و يجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك و يشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهى قربة تتعدى فائدتها فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا أو عن الكسب الذى هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر مايقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه أيضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم * ومنها تراسل المؤذنين فى الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين أو انفراد كل واحد منهم باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن

مطلقا) بغير قيد (فتر يدبه المحظور) وهو المسمى عند أصحاب أبي حنيفة بكراهة التحريم تراد من لفظ المكروه اذا كان مطلقا (ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما تشاهد كثيرا فى المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث) المروى عن وائل ابن حجر على ما تقدم ذكره فى كتاب الصلاة (فيجب النهى عنه الا عند الحنفى) المذهب (الذى يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة) وفيه خلاف مشهور فى مذهب أبي حنيفة والقول المفتى به عن أبي يوسف وجوب التعديل فى الاركان (اذ لا ينفع النهى معه) فانه لا يقبل ذلك ولا يعده منكرا (ومن رأى مسيأ فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه) فى الحرمة (هكذا ورد الاثر) عن بعض الصحابة (وفى الخبر) النبوى (مايدل عليه اذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل) ولفظ الحديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم وقد تقدم فى الصوم (وكذلك كل مايقدح فى صحة الصلاة) (من نجاسة على ثوبه) أو بدنه أو موضع الصلاة (لا يراها أو انحراف عن) سمت (القبلة بسبب ظلام أو عمى) البصر (فكل ذلك تجب الحسبة فيه) ويجب ارشاده بذلك (ومنها قراءة القرآن باللحن) أى بالخطإ (يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح) وتكراره له حتى يعرفه (فان كان المعتكف فى المساجد) فى أكثر الاحوال (يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك) من النهى عن التلحين فى القراءة وتلقين الصحيح (ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا أفضل من ذكره وتطوعه لان هذا فرض) اذ لا يتم الفرض الا به (وهى) مع ذلك (قربة تتعدى فائدتها) للغير (فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها) ولا تتعدى (وان كان ذلك يمنعه من الوراقة) مثلا (و) عن (الكسب الذى هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج اليه) أى الى الكسب (لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه) وكذا اذا كان دخله لا يفى بخرجه ولو اشتغل بالحسبة لفاته دخل يومه يسقط الوجوب عنه (والذى يكثر اللحن فى القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر مايقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها) بالشدات والمدات (وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس به أن يقرأ ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره) ممن فى طرف المسجد (ولمنعه سرا منه أيضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته) وغاية جهده (وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى بذلك بأسا والله أعلم) وذلك لانه قد بذل مجهوده وأنسه بالقراءة وشرفه عليها كاف فى المقام فلا يمنع منها (ومنها تراسل المؤذنين فى الاذان وتطويلهم فى كلماته) ومنه قولهم لا تراسل فى الاذان اذ لا متابعة فيه والمعنى لا اجتماع فيه وهو أن يجتمعوا على الاذان يبتدئ هذا ويمد صوته فيقبض ويسكت ويأخذ غيره فى مد الصوت ويرجع الاول وهكذا الى أن ينتهى وهو منهى عنه (وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين أو انفراد واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها) اياهم وارشادهم الى ما يسن فى الاذان وآدابه (وان صدرت عن معرفة) أى بعدها (فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن

قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الاذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعوّل على اذانه في صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح * ومن المكروهات أيضا تكثير الاذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة امامن واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف * ومنها أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الابريسم أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ومن قال انه مكروه وبدعة أراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب * ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف أحوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله بل

قبل الصبح فينبغي أن يمنع منه فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعوّل على أذانه في صلاة وترك سحور) للصائم (أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح) كما يعمل ذلك في شهر رمضان وقد كان له صلى الله عليه وسلم مؤذنان أحدهما يؤذن قبل الصبح لينبه النائم ويرجع القائم وهو بلال والثاني لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وهو ابن أم مكتوم (ومن المكروهات أيضا تكثير الاذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة امامن واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينتبه غيره) ولا أخال ذلك معمولا به في غالب الاقطار ولعل ذلك كان موجودا في زمان المصنف في ديار خراسان (فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الابريسم) وهو الحرير الخام (أو ممسكا) بيده (لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد) لبس (السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض) كما ورد به الخبر (ومن قال انه مكروه وبدعة أراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول) بل الذي أحدث لبس السواد أبو مسلم الخراساني في دولة المنصور (ولكنه اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها) أي ومن منكرات المساجد (كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة) مما ليس في سيرة السلف (فالقاص ان كان يكذب في أخباره) للحاضرين (فهو فسق والانكار عليه واجب) لئلا يعتمد على ما يذكره (وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجب حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه) في بدعته (اما للكافة) أي جميع من حضر المجلس (ان قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه) ممن يقرب منه (فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة) ولا اقرارها (قال الله تعالى لنبيه) صلى الله عليه وسلم (فأعرض عنهم) أي عن المشركين وكانوا يخوضون في الشرك (حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي) أي حملهم على ارتكابها (وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة) واقداما (وبعفو الله ورحمته وثوقا) واعتمادا (يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لان فساد ذلك عظيم) خصوصا العامة الذين لم يستحكموا عقائدهم (بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف أحوج) من الرجاء (وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه) فيما رواه الاسماعيلي في مناقبه (لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل) نقله صاحب القوت (ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته) بان يكحل عينيه ويمشط لحيته ويصقل خديه وهو مع ذلك (كثير الاشعار) المناسبة للمجلس (والاشارات) بعينه (والحركات) يمينا وشمالا (وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح) فان الشيطان يجد اذ ذاك سبيلا لوضع نفوخه ومصايده (ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله بل

لا

لا ينبغي أن يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال و يجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات و يجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنعهن وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه الا أن الاولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية و الاطعمة و التعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وانشادهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة و بيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم الا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين و يشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شئ من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن يجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي أو الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه أن ذلك يكثر * ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد.

لا ينبغي أن يسلم (الوعظ) على العامة (الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال) واستطالة في الشهوات (و يجب أن يضرب بين النساء والرجال حائل) أي مانع (يمنع من النظر) من الطرفين (فان ذلك أيضا مظنة الفساد) بل أصل البلاء من النظر (والعادات تشهد لهذه المنكرات و يجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة) مع الائمة (ومجالس الذكر) والوعظ (اذا خيف الفتنة بهن اذ) وفي نسخة فقد (منعتهن) عن المساجد (عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات) أي من حضورها (فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنعهن) المساجد أخرجه البخاري ومسلم وخصوصا اذا خرجت المرأة الى المسجد متزينة معطرة مكحلة فهي في حكم الزانية كما ورد في الخبر (فأما اجتياز المرأة بالمسجد متسترة) بثيابها من رأسها الى قدمها (فلا تمنع منه) لأمن الفتنة ولكونها مجتازة لا مستقرة (الا أن الاولى أن لا تتخذ المسجد مجازا) للسلوك فيه (أصلا) وما جاز منه فعلى قدر الضرورة بأن يكون المسجد له بابان ولها حاجة داعية الى الباب الثاني فلا بأس بعبورها فيه تارة (وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ) على الارض أو على الكراسي (مع التمديد) المفرط وهو تمطيط الحروف حتى تتجاوز عن مخارجها الاصلية (والالحان) الغنائية (على وجه يغير نظم القرآن و يجاوز حد الترتيل) المأمور به (منكر) قبيح (مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف) منهم أحمد بن حنبل كما في القوت (ومنها الحلق) أي اتخاذها (يوم الجمعة) وهي جمع حلقة (لبيع الادوية) والعقاقير (والاطعمة) والفواكه (والتعويذات) والمصنوعات من الحلي والحرز (وكقيام السؤال) في وسط الصفوف أو على الابواب (وقراءتهم) القرآن (وانشادهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشياء منها ما هو حرام) وفي نسخة محرم (لكونه تلبيسا أو كذبا) ونحوهما (كالكذابين من طرقية الاطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية) والنساء (فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه) وخصوصا في المسجد فانه لم يبن لذلك (بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب) من عيوبه (على المشتري فهو حرام) وقد تقدم ذلك في كتاب تدبير المعاش (ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة و بيع الادوية والكتب والاطعمة) والفواكه (فهذا في المسجد أيضا لا يحرم الا بعارض وذلك بأن يضيق المكان على المصلين) و يزاحمهم (و يشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شئ من ذلك فليس بحرام والاولى تركه) فان المساجد لم تبن لذلك (ولكن شرط اباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة) لا على الدوام (فان اتخذ المسجد مكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار) وقد تقدم الكلام عليه في الكتاب الذي قبله (فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف أن يجر الى الكثير فليمنع منه) سدا للذريعة (وليكن هذا المنع) موكول (الى الوالي) للامر في ذلك البلد (أو الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي فانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوف ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد) فان هؤلاء مسلوبو الاختيار لا يتحفظون على أنفسهم فليجتنب

ولا بأس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ماروى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت الى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ولا شك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم يرذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها اذقال دونكم يابنى ارفدة كما نقلناه فى كتاب السماع وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد الا أن يخشى تلويثهم له أو شتمهم أونطقهم بما هو فحش أوتعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره وأما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف أعنى القىء أوالايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر أشد فان قال قائل ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغى أن يلزم القعود فى المسجد و يدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره أوشهادة شاهدين فأما لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغيرا لمسجد منعاله عن اظهار أثر السكر فان اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها و بعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز أن يتجسس عليه

دخولهم فيه (ولا بأس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب) وأمن مع ذلك من التلويث (ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت عليه) أى على لعبه (الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع فهذا يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله دون كثيره ماروى فى الصحيحين) للبخارى ومسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت الى الحبشة) وهم (يزفنون) أى يرقصون (ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد) أى عيد فطر (فى المسجد) تقدم فى كتاب السماع والوجد مفصلا (ولا شك فى ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه) صيانة للمسجد (ولم يرذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه) بنفسه تعليما للامة وتنبيها لهم بأن فى هذا الدين فسحة (بل أمرهم به صلى الله عليه وسلم لتنظر عائشة) رضى الله عنها (تطييبا لقلبها) لصغر سنها (اذقال دونكم يابنى أرفدة) وهم الحبشة (كما نقلناه فى كتاب السماع) والوجد وذكرنا هنالك مايتعلق به (وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد الا أن يخشى تلويثهم له) بنحو مخاط أو بول أوغير ذلك (أوشتمهم ونطقهم بما هو فحش أوتعاطيهم لما هو منكر) وفى نسخة لامر هو منكر (فى صورته ككشف العورة وغيرها) فان هذا من شأنهم فى الاغلب فان خشى شئ من ذلك وجب المنع (فاما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بعادته سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد) لزوال العلة (والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف أعنى القىء والايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه) لعدم ثبات عقله (وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح) منه (فهو منكر مكروه شديد الكراهة) فيجب أن يمنع من الدخول (وكيف لا ومن أكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المسجد) فقد روى البخارى ومسلم وابن حبان من حديث جابر من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس وروى أحمد ومسلم من حديث أبى سعيد من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيأ فلا يقربنا فى المسجد وروى عبد الرزاق والطبرانى من حديث العلاء بن خباب بمثل رواية الشيخين عن جابر الى قوله فلا يقربن مسجدنا وزاد يعنى الثوم ورواه أحمد والطبرانى أيضا من حديث معقل ابن يسار بلفظ فلا يقربن مصلانا وزاد الطبرانى من حديث المغيرة الا من عذر وقد روى أيضا مثل هذا فى حق البصل والكراث والفجل (لكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر أشد) من الثوم والبصل (فان قال قائل ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا) له (قلنا لا) يضرب ولا يزجر (بل ينبغى أن يلزم القعود فى المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا) يعنى ما يقال له (فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد) من الرعية (بل هو) موكول (الى الولاة وذلك عند اقراره) بنفسه (أوشهادة شاهدين فاما بمجرد الرائحة فلا) لجواز أن يكون أكل العنب المحمض فى الخل فانه اذا تجشا تشم منه رائحة تشبه رائحة النبيذ المسكر (نعم اذا كان يمشى بين الناس متمايلا) يمينا وشمالا (بحيث يعرف سكره) بقرينة أحواله (فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد) وفى اقامة الحدود فى المساجد اختلاف بين العلماء (منعاله من اظهار أثر السكر فان اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا) لحاله (ولاثره فلا يجوز أن يتجسس عليه)

والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغى أن يعول عليه *(منكرات الأسواق)* من المنكرات المعتادة فى الاسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاله فى الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه والا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه الى الوالى حتى يغيره *ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء فى المعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة *ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الاوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أعنى التى لا تصلح الا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محذور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو ومايؤدى الى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه مالم نذكره

كما تقدم (والرائحة قد تفوح) وتظهر (من غير شرب اما بالجلوس فى موضع) فتعبق فى ثيابه (و) اما بوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغى أن يعول عليه) اعلم أن اقامة حد الشرب بمجرد الرائحة هو مذهب مالك وحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستدل عليه بفعل ابن مسعود فيما أخرجه الشيخان والنسائى من طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة ان ابن مسعود قرأ سورة يوسف بحمص فقال رجل ما هكذا أنزلت فدنا منه عبد الله فوجد منه رائحة الخمر فقال أتكذب بالحق وتشرب الرجس لا أدعك حتى أجلدك حدا قال فضربه الحد وقال والله لهكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن أحمد اذا لم يدع شبهة وذهب أبو حنيفة والثورى والشافعى وأحمد فى المشهور وعنه الى انه لا يجب الحد بذلك وجوابهم عن هذا الحديث على ان الرجل اعترف بشرب الخمر بلا عذر ومجرد الريح لا يدل على شئ لاحتمال النسيان والاشتباه والاكراه والله أعلم

(منكرات الاسواق)

اعلم ان (من المنكرات المعتادة فى الاسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب) فى السلع (فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها درهما وكان كاذبا) وفى نسخة وقد بعته بربح درهم وهو كاذب (فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاله فى الخيانة وعصى) الله عز وجل (بسكوته) فانه يعد ذلك من المداهنة (وكذا اذا علم به عيبا) أى شيأ من عيب (يلزمه أن ينبه المشترى عليه) أى على ذلك العيب (والا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم (وهو حرام وكذلك التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه) ان قدر (أو دفعه الى الوالى حتى يغيره) فيثاب على ذلك (ومنها ترك) الصيغتين (الايجاب والقبول) فى البيع والشراء (والاكتفاء بالمعاطاة) فيه على ما عرف حكمه فى كتاب تدبير المعاش (ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه) فيجب على الشافعى أن ينكر على الشافعى اذا رآه كذلك ولا يجب عليه أن ينكر على الحنفى لانه يرى جوازه (وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس) على ما تقدم ذكرها فى البيوع (يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود) أو مبطلة على رأى فان الحنفى يفرق بين الشروط المفسدة وبين المبطلة على ما تقدم بحثه فى البيوع (وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة) فى الاسواق (وكذا سائر التصرفات الفاسدة) فانه يجب الانكار فيها (ومنها بيع الملاهى) أى آلاتها كالعود والقانون والطنبور والربابة (وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لاجل الصبيان) أى لعبهم بها (فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى) بخلاف ما اذا كانت صور القصور والاشجار (وكذلك بيع الاوانى المتخذة من الذهب والفضة) سواء كانت صحونا أو أباريق أو قماقم أو مباخر أو ظروفا أو أغطية (وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أعنى التى لا تصلح الا للرجال و يعلم بعادة البلد انه لا يشتريه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور) يجب المنع (عنه وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة) المستعملة (المقصورة) المغسولة (التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم انها جديدة) ويوهمهم بذلك ولاسيما اذا نشيت وصقلت (فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو) الذى لا يتبين (ومايؤدى الى الالتباس) فانه حرام وقد سئل عنه الامام أحمد قال فأجاب كذلك نقله صاحب القوت ولفظه قال أبو بكر المروزى سألت أبا عبد الله عن رفاء يرفو الوسائط والانماط للتجار وهم يبيعون ولا يخبرون بالرفو قال يعمل العمل الذى يتبين لا الخفى الذى لا يتبين الا لمن يثق به (وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك) كثير (يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه مالم نذكره) وجملة من ذلك ذكرها ابن الحاج فى المدخل.

(منكرات الشوارع) فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات و بناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب وأحمال الحبوب والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكران كان يؤدى الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا (٥٨) يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب و أحمال الاطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ولم يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق و ينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد أن يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لاجلها فى العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكران أمكن شدها وضمها بحيث لا يمزق أو أمكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة أهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال مالا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب اذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت و يلوث الطريق بالدم فانه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا فان فى ذلك تضييقا بالطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة و بسبب استقذار الطباع القاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال المياه من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال

(منكرات الشوارع)

وهى الطرق العامة شرعت لسلوك الناس ومرورهم فيها لحاجاتهم (فمن المعتاد فيها وضع الاسطوانات) جمع اسطوانة وهى الاعمدة سواء كانت من حجر أو خشب أو بناء (و بناء الدكات) جمع دكة وهى الموضع المرتفع المبنى من طين وآجر أو حجر أو خشب وفى نسخة الدكاك وفى بعض النسخ الدكاكين (متصلة بالابنية المملوكة) للغير (و) كذا (غرس الاشجار و) كذا (اخراج القوابيل) جمع قابول هو الساباط قال صاحب المصباح هكذا استعمله الغزالى وتبعه الرافعى ولم أظفر بنقل فيه اه قلت ما أنكره صاحب المصباح يمكن توجيهه على كلام العرب فانهم يقولون انزل بقبل هذا الجبل بحركة أى سفحه ومرتفعه من أصله كالسند وقد أشرت اليه فى شرحى على القاموس وفى بعض النسخ الرواشن (والاجنحة) جمع جناح وهو على التشبيه بجناح الطير الذى هو بمنزلة اليد من الانسان (ووضع الخشب و) وضع (أحمال الحبوب والاطعمة) والبقول (على الطرق فكل ذلك منكران كان يؤدى الى تضييق الطرق واستضرار المارة) بها (وان لم يؤد الى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه) لزوال العلة (نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة) والثياب (فى الطريق فى القدر الذى ينقل الى البيوت) فى كل يوم من دقيق وأرز وحنطة وفول وشعير وخضراوات (فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة) من الناس (ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق) على المارة (و ينجس المجتازين) بالبول والروث (منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب) و يلتحق بذلك تسيير الدواب فيها ان لم يكن داخل البيت واسعا (وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد أن يختص بها الا بقدر الحاجة) الداعية (والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لاجلها دون سائر الحاجات) فى العادة فلا ينبغى لاحد من المارة أن يضايق أحدا منهم فى المرور لان كلا منهم له حق فيها على وجه الاشتراك (ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث تمزق الثياب فذلك منكران أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب أو أمكن العدول بها الى موضع واسع) أو طريق خال من الناس و لاولى الولاة أن يأمروا بتلك الاحمال أن يدخلوا بها ليلا أو فى وقت الهاجرة حيث يقيل الناس أو فى أول النهار قبل طلوع الشمس (والا فلا منع اذ حاجة أهل البلد تمس اليه) لافرانهم (نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل) الى البيوت (وكذلك تحميل الدواب من الاحمال مالا تطيقها منكر يجب منع الملاك منه) و يؤمر بتخفيفها (وكذلك القصاب اذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت) أى فى مقابلته (و يلوث الطريق بالدم) والفرث (منكر يجب المنع منه بل حقه أن يتخذ فى مكانه مذبحا) أى موضعا معدا للذبح (فان ذلك تضييق) على المارة (واضرار بسبب ترشيش النجاسة واضرار بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة) وفى نسخة الكناسة وفى معناها الحيوان الميت من هرة أو دجاجة أو غيرهما (على جواد الطريق) وفى نسخة جوانب الطريق (وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق) للاقدام (والتعثر) بالاذيال (كل ذلك من المنكرات) وفى كل ذلك ماذكر من التضييق والاضرار (وكذلك ارسال الماء من المزاريب) وهى مسايل المياه من السطوح (المخرجة من الحائط فى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق فلا يمنع منه فى الطريق الواسعة اذ العدول عنه) الى ممر آخر (ممكن فاما ترك مياه الطرق والاوحال) عقيب الامطار (و) ترك

والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان تضييق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان * ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها * ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الافخاذ والاعجاز فهذا مكروه ان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز كشف العورات للرجال * ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول له انا نحتاج أن نغسل اليد

(و) ترك (الثلوج في الطرق) في البلاد الشمالية (من غير كسح) وكنس (فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين) بل على العامة (الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ) ويلحق بهذا كسح ما زاد في الطرق على وجه الارض كل سنة بسبب مشي الناس لتساوي الطريق ورفع ما انتشر وهذا كذلك حسبة عامة يكلف كل انسان ما حاذى منزله أو دكانه كما هو معروف في شوارع القاهرة (وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس) ويعقرهم (فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع) لان الشوارع انما جعلت مشتركة المنافع لعامة الناس

(منكرات الحمامات)

وهي كثيرة (منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر) فانه منكر (فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر) ليس فيه ذلك (فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها) قال صاحب القوت حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزي قال سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل الرجل يكتري البيت يرى فيه التصاوير ترى انه يحكه قال نعم قلت فاذا دخلت حماما فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس قال نعم وقال أحمد بن عبد الخالق حدثنا أحمد بن الحجاج قال قلت لابي عبد الله أليس الصورة اذا كان يد أو رجل فقال عكرمة يقول كل شئ له رأس فهو صورة (ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى الحيوانات) وفي نسخة سوى صورة الحيوان (ومنها كشف العورات والنظر اليها) قصدا (ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة في تنحية الوسخ) بالكيس (بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه) والبطن (بين يدي الدلاك ليتعاطى غمس الافخاذ والاعجاز) وسائر البدن (فهذا مكروه وان كان مع حائل) كالكيس ونحوه (ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة) من الطرفين وقد تقدم شئ من ذلك في كتاب سر الطهارة (وكذلك كشف العورة للحجام والفصاد الذمي فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف يجوز كشف العورة للرجل) وهذه العبارة من قوله وكذلك كشف العورة الى هنا موجودة في بعض النسخ ساقطة من أكثرها (ومنها غمس الايدي و) ادخال الاواني النجسة في المياه القليلة التي في حياض الحمامات (وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك) رحمه الله تعالى فانه عنده طهور لا ينجسه شئ (ولا يجوز الانكار فيه على المالكية) ان جمع بينه وبينهم فيه (ويجوز على الحنفية والشافعية) فانهم يقولون بتنجيس ذلك الماء القليل (وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول انا نحتاج أن نغسل اليد

أو لاثم نغمسها فى الماء وأما أنت فستغنى عن ايذائى وتفويت الطهارة على وما يجرى مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة تزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامى اهماله فانه يفضى الى السقطة (٦٠) وقد تؤدى السقطة الى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه وبين الحمامى اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه فى اليوم الاول وعلى الحمامى فى اليوم الثانى اذ اعادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع فى مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هنالك

(منكرات الضيافة)

فنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب او الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة أو ما رؤسها من فضة * ومنها اسدال الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار أو سماع القينات * ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محذور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع لا الاوانى المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة

أو لاثم نغمسها) أو نغسل الطاس أو لاثم نغمسه (فى الماء وأما أنت فستغنى عن ايذائى وتفويت الطهارة على) هذا اذا كان المالكى عارفا بالخلاف والوفاق فاذا نبه على مثل هذا يتنبه ويرجع الى ما هو موافق عليه وأما اذا كان غير عارف بمذهب الغير فهذا التنبيه والارشاد لا يوضحه المقام بل ربما يتصلب لتأييد مذهبه فيرجع الامر الى خصومة ويفوت أصل المقصود (هذا وما يجرى مجراه من ألفاظ اللطف والرفق فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر) لانه يؤدى الى ضرر (ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملس مزلقة) للاقدام لكثرة استعمالها (يتزلق بها الغافلون فهو منكر يجب قلعه وازالته) واثبات ما ليس فيه تزليق والاولى حفرها ونقشها (وينكر على الحمامى اهماله فانه يؤدى الى السقطة وقد تؤدى الى انكسار عضو) من الاعضاء (وانخلاعه) أو وهاه (وكذلك ترك السدر والصابون المزلق) للاقدام (على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك) أو تركه ولم ينظفه باتباع ماء عليه (وخرج فتزلق به انسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك فى موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه) وخرج (وبين الحمامى اذ على الحمامى) وفى نسخة اذ حقه (تنظيف الحمام والوجه) فى المسئلة (ايجاب الضمان على تاركه فى اليوم الاول وعلى الحمامى فى اليوم الثانى اذ اعادة تنظيف الحمام كل يوم معتاد والرجوع فى مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفى الحمام أمور أخر مكروه ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هنالك) وفى نسخة فلا نطول باعادتها

(منكرات الضيافة)

(فنها فرش الحرير للرجال فهو حرام) قال صاحب القوت حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج أترى أن يقعد عليه أو يقعد فى بيت آخر قال يخرج قد خرج أبو أيوب وحذيفة وقد روى عن ابن مسعود قلت فترى أن يأمرهم قال نعم فيقول هذا لا يجوز (وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب أو الشرب) منهما (او استعمال ماء الورد) منهما (أو ما رأسه منهما وكذلك تعليق الستور وعليها الصور) قال صاحب القوت بسنده المذكور الى أبى بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من أى شئ يخرج فقال خرج أبو أيوب حين دعاه ابن عمر فرأى البيت قد ستر ودعى حذيفة فخرج وانما رأى شيأ من زى الاعاجم قلت فان لم يكن البيت مستورا ورأى شيأ من فضة فقال ما كان يستعمل يعجبنى أن يخرج قال قلت لابى عبد الله فالرجل يدعى ويرى المكحلة رأسها مفضض قال هذا يستعمل فاخرج منه انما رخص فى الضبة أو نحوها فهو أسهل قال وقلت لابى عبد الله ان رجلا دعا قوما فجىء بطست فضة وابريق فكسره فاعجب أبا عبد الله كسره قال وقلت لابى عبد الله الرجل يدعى فيرى عليه التصاوير قال لا ينظر اليه قلت فقد نظرت اليه قال ان أمكنك خلعه خلعته (ومنها سماع الاوتار أو سماع القينات) فانه منكر مسقط لوجوب الدعوة (ومنها اجتماع النساء على السطوح) وفى الرواشن المشرفة على مقاعد الرجال (للنظر الى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره) بلسانه ثم بيده (ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج) عن ذلك المجلس (ولم يجز له الجلوس) فيه (فلا رخصة فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات وأما الصور المنسوجة) (على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع) وأوانى الشرب (لا الاوانى المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار

الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراماً أو كان الموضع مغصوباً أو كانت الثياب المفروشة حراماً فهو من أشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزاً لعموم قوله عليه السلام هذان حرام على ذكور أمتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا أرى رخصة في تثقيب أذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب القصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتاداً فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك .

الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف) بين العلماء (وقد خرج أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (عن الضيافة بسببها) قال صاحب القوت حدثت عن أحمد بن عبد الخالق حدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله يقول دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكان يختلف الى عناق فاذا مكحلة فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم (ومهما كان الطعام) المدعو اليه (حراماً فهي من أشد المنكرات فان كان فيهم من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب) وان كان (مع ترك الشرب) لانه في حكم الراضي به (ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته الفسق) اتفاقاً (وانما في مجالسته بعده) أي بعد صدور المباشرة منه (وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله) فليطلب من هنالك (وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة) داعية (فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر يجب اخراجه منه) ونزعه (ان كان) الصبي (مميزاً لعموم قوله صلى الله عليه وسلم هذان) يعني الحرير والذهب (حرامان على ذكور أمتي) حل لاناثها رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الاكل (وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لانه يأنس به) ويألفه ويعتاد عليه (فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه) لانه يصير طبيعة له فلا يكاد يفارقه (فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ) وكذلك سائر المنهيات ينبغي أن يجنب عنها الصبيان نظراً للضراوة والاعتياد (أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه) أي في حقه (ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله تعالى) ومذهب أبي حنيفة وأصحابه المنع مطلقاً سواء كان مميزاً أولا (والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز) أي فيضعف معنى التحريم فيه (نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف) بل بالاقتصار على القدر المحتاج اليه (ولا أرى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل حلق الذهب) ولا تثقيب الانف لاجله كما يفعله أهل الحجاز (فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب القصاص فلا يجوز) التثقيب (الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان) والخفاض (والتزين بالحلق غير مهم) في الشرع (بل في التقريط بتعليقه على الاذن) من فوق (وفي المخانق) وهي القلائد التي تعلق في العنق (وفي الاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتاداً) في النساء (فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة) والمشهور ان السيدة سارة أم اسحق عليه السلام لما غضبت على هاجر أم اسمعيل عليه السلام حلفت لتقطعن من أطرافها فثقبت أذنها وأنفها وخفضتها لاجل اليمين فبقي ذلك سنة ولم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فهذا وجه الرخصة (ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته) ويحمل الناس عليها (فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه) أي على الرد عليه لضعفه في الاحتجاج (لم يجز) الحضور (وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك) يأتي

بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتى حد المزاح المباح والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات * ومنها الاسراف فى الطعام والبناء فهو منكر بل فى المال منكرات أحدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال فى البحر وفى معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفى أنواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة وأما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الامائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيأ لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شئ وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال عز وجل والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فمن

(بالحكايات فى أنواع النوادر) بحسب المناسبات (فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار) عليه (وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه) و يندر (فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس) على الناس (فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت الكلام عليك ألف مرة وما يجرى مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق) وانما هو من باب المبالغة الجارى به على الالسن (فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتى حد المزاح المباح والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات) ان شاء الله تعالى (ومنها الاسراف فى الطعام والبناء فانه منكر وفى المال منكران أحدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب) فى النار (وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال فى البحر) بلا موجب (وفى معناه صرف المال الى النائحة) فى الموت (و) الى (الطرب) فى الافراح (و) كذا صرفه (فى أنواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة) حكما (وأما الاسراف فانه يطلق تارة لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة) والكثرة (والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال) والاشخاص (فنقول من لم يملك الا مائة دينار ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع فى وليمة) لاصحابه (فهو مسرف يجب منعه منه قال الله تعالى) خطابا لحبيبه صلى الله عليه وسلم (ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما) يلوم نفسه على ما فات من ماله (محسورا) ذهب ماله كله قيل (أنزل هذا فى رجل كان فى المدينة قسم جميع أمواله ولم يبق شيأ لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شئ) وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال هذا فى النفقة يقول لا تجعلها مغلولة لا تبسطها بخير ولا تبسطها كل البسط يعنى التبذير (وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال عز وجل والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وأخرج ابن عدى والبيهقى عن أبى الدرداء رفعه من فقهك رفقك فى معيشتك وأخرج البيهقى عن ابن عمر رفعه الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة وأخرج أحمد فى الزهد عن يونس بن عبيد قال كان يقال الاقتصاد فى المعيشة يلقى عنك نصف المعيشة (فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه و يجب على القاضى أن يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر) والخير (ومن له عيال وكان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله) بل يبقى شيأ لعياله (وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول فى التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح فى جنسه و يصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته) أى كثرة ماله (وأمثال هذا كثيرة لا يمكن حصرها) فى موضع واحد (فقس بهذه منكرات

يسرف هذا الاسراف ينكر عليه و يجب على القاضى أن يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول فى التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح فى جنسه و يصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه المنكرات كثير لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات

الجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها

(المنكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأ كثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فان أكثرها مغصوب فان قام بهذا الامر واحد سقط الحرج عن الآخرين والاعم الحرج الكافة أجمعين اما العالم فلتقصيره فى الخروج وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره والا فهو شريك فى الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمرى الاثم على الفقهاء أشد لان قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى وكذا كل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر

الجامع) وهى مواضع تجتمع فيها الناس (ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر) منها

(المنكرات العامة)

(اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأ كثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد) الحاضرة (فكيف فى القرى والبوادى) النائية (ومنهم الاعراب والاكراد والتركمان وسائر أصناف الخلق) وبعضهم كالهمج (وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم) ويصحح عقائدهم (وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج الى من يجاور بلده من أهل السواد) أى الريف (ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم) مما أوجب الله عليهم (ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل أطعمتهم فان أكثرها مغصوبة) من حقوق الناس (فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والاعم الحرج الكافة) وشملهم (أجمعين اما العالم فلتقصيره فى الخروج وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره) بما تعلمه (والا فهو شريك فى الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد) من بطن أمه (عالما بالشرع (وانما) العلم بالتعلم ومن هنا (يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من أهل العلم بها) ووجب عليه تبليغها اياها لغيره (ولعمرى الاثم على الفقهاء أشد لان قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق) وأنسب (لان المحترفين لو تركوا حرفتهم) التى هم بازائها (لبطلت المعايش) فى الناس لاحتياج بعضهم الى بعض فيها (فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق) من جهة المعاش (وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بواسطة شيوخه الذين تلقى عنهم ذلك (فان العلماء هم ورثة الانبياء) ورثوا منهم علما ولم يورثوا دينارا ولا درهما وقد تقدم الكلام فى كتاب العلم (وليس للانسان منهم أن يقعد فى بيته) معتزلا عنهم (ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى) ولا يسعه التأخر عن ذلك (وكذلك كل من رأى منكرا) من مناكر الشرع (على الدوام) وفى بعض النسخ وكذلك كل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام (أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره) باليد أو باللسان (فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على) تغيير (البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه) أى على تغييره (وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر) اذا

من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل بلده ثم الى أهل السواد المكتنف ببلده ثم الى أهل البوادى من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله على تجزئة الاوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه

(الباب الرابع فى أمر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وأن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين فى القول ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر وأما التخشين فى القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجرى مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر

كان (من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات) الشرعية (ثم يعلم ذلك أهل بيته) زوجته وولده وخادمه (ثم يتعدى عند الفراغ منهم الى جيرانه) ممن يعاشره ويجتمع عليه طرفى النهار (ثم الى أهل محلته) ممن يخالطوه ويخالطهم (ثم الى أهل بلده) عموما (ثم الى السواد) أى الريف (المكتنف لبلده) أى المحيط به (ثم الى البوادى من الاكراد والعرب) والتركمان (وغيرهم) من الاجلاف (وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد) لانه فرض كفاية (والا حرج به كل قادر عليه) قريبا كان أو بعيدا (ولا يسقط الحرج) عنه (مادام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الاوقات) وتقسيمها (فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه والله أعلم)

(الباب الرابع فى أمر الامراء والسلاطين)

ومن فى معناهم (بالمعروف ونهيهم عن المنكر) اعلم انا (قد ذكرنا) آنفا (درجات الامر بالمعروف وان أوله التعريف) بعد التعرف (وثانيه الوعظ) والنصح (وثالثه التخشين فى القول) من غير فحش (ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاولتان وهما التعريف والوعظ وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر) مما قبله (وأما التخشين فى القول كقوله يا ظالم يا من لا تخاف الله) أو يا من لا يستحى من الله (وما يجرى مجراه) من الكلمات الخشنة (فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه) ومثاب عليه (فلقد كان من عادة السلف) الصالحين (التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة) وهى دم القلب (والتعرض لانواع العذاب) من الحبس والتنكيل والضرب (لعلمهم بان ذلك شهادة) فى سبيل الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء) أى من هذه الامة (حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام) جائر (فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك) أى لاجل أمره ونهيه قال العراقى رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الباب قبله اه قلت ولكن بلفظ سيد الشهداء وقد تعقبه الذهبى بان فيه حفيدا العطار لا يدرى من هو اه وقد رواه كذلك الديلمى والضياء المقدسى وقد روى نحوه عن ابن عباس عند الطبرانى باسناد ضعيف وقد روى الحاكم أيضا هذا الحديث مقتصرا على الجملة الاولى بلفظ سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وقال فيه أيضا صحيح الاسناد وتعقبه الذهبى بان فيه الفضل بن صدقة أبا حماد قال النسائى متروك (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) تقدم فى الباب قبله انه رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد وتفصيل الكلام فيه ان أبا داود رواه فى الملاحم من سننه من طريق محمد بن جحادة عن عطية العوفى عن أبى سعيد مرفوعا بلفظ أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر ورواه الترمذى فى الفتن من جامعه من هذا الوجه بلفظ ان من أعظم الجهاد وذكره بدون أو أمير جائر وقال انه حسن غريب وهو عند ابن ماجه فى الفتن أيضا باللفظ الاول بدون أو أمير جائر وأخرجه كذلك من طريق حماد بن سلمة عن

و وصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك اذا قتل (٦٥) فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مانقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ماروي من انكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ماروي عن عروة رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبي غالب عن أبي أمامة قال عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند الجمرة الاولى فقال يا رسول الله أي الجهاد أفضل فسكت عنه فلما رمى الجمرة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال أين السائل قال أنا يا رسول الله قال كلمة حق عند سلطان جائر وقد علم من ذلك ان الذي أورده المصنف هو سياق حديث أبي أمامة بعينه لا حديث أبي سعيد كما يفهم من تخريج الحافظ العراقي أخرجه البيهقي في الشعب قال وله شاهد مرسل باسناد جيد ثم ساق ما أخرجه النسائي في البيعة من سننه من طريق علقمة بن مرثد عن طارق بن شهاب قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل قال كلمة عدل عند امام جائر وطارق له رواية فقط فلذلك كان حديثه مرسلا والله أعلم (ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق) قال العراقي رواه الترمذي بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث علي رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتي في التوراة قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم اه قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد يعني الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن حاتم حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عثمان بن كثير عن محمد بن مهاجر عن العباس بن سالم حدثني عمرو بن ربيعة عن مغيث الاوزاعي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل الى كعب فقال له يا كعب كيف تجد نعتي في التوراة قال خليفة قرن من حديد لا يخاف في الله لومة لائم وحدثنا محمد ابن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا أحمد بن يونس حدثنا غندر عن الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب لعمر انا نجدك شهيدا انا نجدك اماما عادلا ونجدك لا تخاف في الله لومة لائم قال هذا لا أخاف في الله لومة لائم فأنى لي بالشهادة (ولما علم المتصلبون في الدين) أي الاشداء فيه (ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك) الكلام (اذا قتل) لاجل كلامه (فهو شهيد) ويبعث في زمرة الشهداء عند الله في يوم القيامة (كما وردت به الاخبار) التي تقدم ذكر بعضها (قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين على أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى محتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله تعالى) لا يبالون في الله لومة لائم ولا يلتفتون الى كثرتهم وتواطئهم ولا يكترثون لممانعتهم ولمقاطعتهم متكلين على من هو منشئهم وكافيهم مستنصرين بمن هو قاصمهم وشانئهم (وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مانقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام) فأغنانا عن الاعادة (ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ماروي من انكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش) صناديدهم (حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء) والمكر (وذلك ماروي عن عروة ابن الزبير (قال قلت لعبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما (ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر) أي في حجر الكعبة (فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا) أي عقولنا أي نسبها الى السفه (وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على عظيم أو كما قالوا) تخوفا من زيادة في الكلام أو نقص (فبينما هم في ذلك) الكلام (اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال) الراوي (فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي تغير وجهه الشريف بما غمزوه

ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يامعشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى مامنهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن مايجد من القول حتى انه ليقول انصرف ياأبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من (٦٦) الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام اليه أبو مسلم الخولاني فقال له يامعاوية انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال ان أبامسلم كلمني بكلام أغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم انه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا الى عطائكم وروى عن ضبة بن محصن العنزي

بسكوت

(ثم مضى) طائفا (فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يامعشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) أي بالقتل (قال) الراوي (فأطرق القوم) أي طأطؤا رؤسهم الى الارض حتى (مامنهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع) وهو ممثل لشدة الاطراق (حتى ان أشدهم فيه وقيعة ليرفؤه) أي يسكنه (بأحسن مايجد من القول) وأليّنه (حتى انه ليقول انصرف ياأبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه حتى اذا باداكم) أي فاتحكم وواجهكم (بما كنتم تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا لما بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال) الراوي (فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه) أي ولببه (قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط) قال العراقي رواه البخاري مختصرا وأورده ابن حبان بتمامه اهـ (وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط) أحد أشراف قريش (فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر) رضي الله عنه (فأخذ بمنكبه) أي عقبة (ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) رواه البخاري في الصحيح وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر أتى الصريخ الى أبي بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر فرجع الينا أبو بكر فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت ذا الجلال والاكرام (وروى أن معاوية) بن أبي سفيان (رضي الله عنه حبس العطاء) عن أهله مرة وكان على المنبر (فقام اليه أبو مسلم الخولاني) عبد الله بن ثوب بن خيار تابعي من أهل الشام نزلها في أيام معاوية وكان صاحب كرامات (فقال له يامعاوية انه) أي المال (ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك قال) الراوي (فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم) أي لا تفارقوا (ثم) غاب عنهم ثم (خرج عليهم) وصعد المنبر (فقال ان أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان) لانه ناشئ عن وسوسته واغوائه فاسند اليه لذلك (والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء) وفي رواية وانما يطفئ النار (فاذا غضب أحدكم فليغتسل واني دخلت) المنزل (فاغتسلت وصدق أبو مسلم انه ليس من كدي ولا كد أبي فهلموا الى عطائكم غدا ان شاء الله تعالى) قال العراقي هذا الحديث بقصته رواه أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه اهـ قلت وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ (وروى عن ضبة بن محصن العنزي)

قال كان علينا أبو موسى الاشعرى أميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضى الله عنه قال فغاظنى ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكونى يقول ان ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب اليه عمر أن اشخصه الى قال فأشخصنى اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الى فقال من أنت فقلت أنا ضبة فقال لى لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل لى ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصى من مصرى بلا ذنب أذنبته ولا شئ أتيته فقال ما الذى شجر بينك و بين عاملى قال قلت الآن أخبرك به انه كان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكونى قال فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبى بكر و يوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته و يومه قلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشى مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رأى أبو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فالقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لابى بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولا نزكى فأتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسكون النون البصرى ذكره ابن حبان فى كتاب الثقات روى له مسلم وأبو داود والترمذى حديثا واحدا (قال كان علينا أبو موسى) عبد الله بن قيس (الاشعرى) رضى الله عنه (أميرا بالبصرة) ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وكان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأنشا) بعد ذلك (يدعو لعمر) بن الخطاب رضى الله عنه (قال فغاظنى) أو أغضبنى (ذلك فقمت اليه فقلت له أين أنت عن صاحبه) يعنى أبا بكر رضى الله عنه (تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكونى يقول) فى شكواه (ان ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب اليه عمر) رضى الله عنه (ان اشخص به الى) أى وجهه الى (فاشخصنى اليه فقدمت فدققت عليه الباب فخرج الى فقال من أنت فقلت أنا ضبة بن محصن العنزى قال فقال فلا مرحبا ولا أهلا قلت أما الرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل ولا مال فبماذا استحللت اشخاصى من بصرتى) وفى نسخة من البصرة (بلا ذنب أذنبته ولا شئ أتيته قال فما الذى شجر بينك و بين عاملى قال قلت الآن أخبرك به انه كان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكونى قال فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لى ذنبى غفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبى بكر و يوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته و يومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر وجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رأى أبو بكر) رضى الله عنه (انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار) الذى فى جبل ثور (فأنزله فقال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم يجد به شيأ فحمله وأدخله فى الغار وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر) رضى الله عنه (قدمه مخافة أن يخرج منهن شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن) أى الحيات والافاعى (يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر) أى تسيل (على خديه من ألم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله عليه سكينته) أى الطمأنينة لابى بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب) وهم ثمانية قبائل منهم (فقال بعضهم نصلى ولا نزكى فأتيته لا آلوه نصحا) أى أقصر فى نصيحته (فقلت يا خليفة رسول الله

تألف الناس) أى خذهم بالالفة (وارفق بهم فقال اجبار فى الجاهلية) أى شديد الاسر (خوّار فى الاسلام) أى ضعيف فارغ (فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى) أى انقطع نزوله (فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) والعقال بالكسر قيل المراد به الحبل الذى تعقل به الناقة وانما ضرب مثلا لتقليل ما عساهم أن يمنعوه لانهم كانوا يخرجون الابل الى الساعى و يعقلونها بالعقل حتى يأخذها كذلك وقيل المراد به نفس الصدقة فكأنه قال لو منعونى شيأ من الصدقة ومنه يقال دفعت عقال عام (قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى أبى موسى) الاشعرى (يلومه) فيما فعله قال العراقى رواه البيهقى هكذا بطوله فى دلائل النبوّة باسناد ضعيف وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لاهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لابى بكر كيف نقاتل الناس الحديث اه قلت واما حديث سد الحرق بقدمه فاخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث عطاء بن أبى ميمونة عن أنس قال لما كان ليلة الغار قال أبو بكر يا رسول الله دعنى لادخل قبلك فان كان وجية أوشئ كانت بى قبلك قال ادخل فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع قال فبقى جحر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال له النبى صلى الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر فأخبره بالذى صنع فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يده فقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فأوحى الله اليه ان الله تعالى قد استجاب لك (وعن الاصمعى) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع الاصمعى الباهلى البصرى صاحب النحو واللغة والاخبار والغريب والملح والنوادر كان أحمد وابن معين يثنيان على الاصمعى فى السنة وقال الشافعى ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعى قال ابن معين هو ثقة وقال أبو داود صدوق توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة روى له مسلم فى مقدمة كتابه وأبو داود فى تفسير أسنان الابل من السنن والترمذى فى حديث أم زرع (قال دخل عطاء بن أبى رباح) واسمه أسلم القرشى الفهرى أبو محمد المكى مولى آل أبى خيثم عامل عمر بن الخطاب على مكة قال ابن المدينى أبوه مولى حبيبة بنت ميسرة ابن أبى خيثم وانتهت اليه الفتوى فى زمانه بمكة وكان أعور أشل أفطس أعرج أسود ثم عمى بعد توفى سنة ١١٤ روى له الجماعة (على عبد الملك بن مروان) بن الحكم الاموى (وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى) أيام (خلافته فلما بصر به قام اليه) فسلم عليه (وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال يا أبا محمد ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله فى أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله فى أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال مالى الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك الشرف) هكذا أخرجه المزى فى تهذيب الكمال فى ترجمة عطاء الا انه قال فى الاخير هذا وأبيك السودد بدل الشرف (وروى أن الوليد بن عبد الملك) بن مروان الاموى (قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل عليه سمت حسن فادخله على ليحدثنى فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل على أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على

وارتفع الوحى فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى أبى موسى يلومه * وعن الاصمعى قال دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته فلما بصر به قام اليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار واتق الله فى أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله فى أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت فقال مالى الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف * وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثنى فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على

الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك ياوليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل
الى رجلا يحدثنى و يسامرنى فادخلت الى رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى فقال له حاجبه مامربى أحد غيره ثم قال لعطاء
اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء ان قال له بلغنا ان فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل امام جائر فى حكمه فصعق
الوليد من قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين فقبض
عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له ياعمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن
عبد العزيز رحمه الله انه
قال مكثت سنة أجد ألم
غمزته فى ذراعى وكان ابن
أبى شميلة يوصف بالعقل
والادب فدخل على عبد
الملك بن مروان فقال له
عبد الملك تكلم قال بم
أتكلم وقد علمت أن كل
كلام تكلم به المتكلم
عليه و بال الاما كان لله
فبكى عبد الملك ثم قال
يرحمك الله لم يزل الناس
يتواعظون ويتواصون
فقال الرجل ياأمير المؤمنين
ان الناس فى القيامة
لاينجون من غصص مرارتها
ومعاينة الردى فيها الامن
أرضى الله بسخط نفسه
فبكى عبد الملك ثم قال لا
جرم لاجعلن هذه الكلمات
مثالا نصب عينى ماعشت
و يروى عن ابن عائشة ان
الحجاج دعا بفقهاء البصرة
وفقهاء الكوفة فدخلنا
عليه ودخل الحسن البصرى
رحمه الله آخر من دخل
فقال الحجاج مرحبا بأبى
سعيد الى الى ثم دعا بكرسى
فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا و يسألنا اذ ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا
من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال ياأبا سعيد مالى أراك ساكتا قال ماعسيت أن أقول قال أخبرنى برأيك فى أبى تراب قال
سمعت الله جل ذكره يقول وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين
هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلى ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول ابن عم النبى عليه السلام وختنه
على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن تحظرها عليه ولا يحول بينه
و بينها وأقول ان كانت لعلى هناة فالله حسيبه والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير

الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز) ابن عمه (فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك ياوليد قال فغضب
الوليد على حاجبه فقال له ويلك أمرتك أن تدخل الى رجلا يحدثنى و يسامرنى فادخلت الى رجلا لم
يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى) وهو أمير المؤمنين (فقال له حاجبه مامربى أحد غيره ثم قال
لعطاء اجلس) فجلس (ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال بلغنا ان فى جهنم واديا يقال له
هبهب أعده الله لكل امام جائر فى حكمه) ولفظ ابن الاثير فى النهاية يسكنه الجبارون (فصعق الوليد من
قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع الى قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر) بن عبد
العزيز لعطاء (قتلت أمير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال
ياعمر ان الامر جد فجد) أى اجتهد (ثم قام عطاء وانصرف) قال الراوى (فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز
انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء (وكان ابن أبى شميلة
يوصف بالعقل والادب) وكان من فصحاء زمانه (فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال بم
أتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم به المتكلم عليه و بال الاما كان لله فبكى عبد الملك) لقوله (ثم قال
رحمك الله لم يزل الناس يتواعظون و يتواصون) أى يعظ بعضهم بعضا و يوصى بعضهم بعضا (فقال ياأمير
المؤمنين ان الناس فى القيامة لاينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الامن أرضى الله بسخط
نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لاجرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى مادمت حيا) وهذا قد أورده
المصنف فى كتاب الحلال والحرام (و يروى عن ابن عائشة) وهو عبيد الله بن محمد التيمى القرشى تقدم
ذكره قريبا (ان الحجاج) بن يوسف (دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه) وفى نسخة فدخلوا
عليه (ودخل الحسن) بن يسار (البصرى آخر من دخل فقال الحجاج) له (مرحبا بأبى سعيد الى الى
ثم دعا بكرسى فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا و يسألنا اذ ذكر على بن أبى طالب
رضى الله عنه فنال منه) أى تكلم فيه بسوء (ونلنا منه مقاربة له) أى تقربا اليه بموافقته فى رأيه (وفرقا)
أى خوفا (من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال) الحجاج (ياأبا سعيد مالى أراك ساكتا
قال ماعسيت أن أقول قال أخبرنى برأيك فى أبى تراب) هى كنية على رضى الله عنه كناه بها النبى صلى الله
عليه وسلم (قال سمعت الله جل ذكره يقول وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرؤف رحيم فعلى ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول ابن عم رسول الله وختنه على ابنته) فاطمة
الزهراء رضى الله عنها (وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت
ولا أحد من الناس أن يحظرها) أى يمنعها (عليه ولا أن يحول بينه و بينها فأقول ان كانت لعلى) رضى
الله عنه (هناة والله حسيبه والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير

مغضبا فدخل بيتا خلفه ونحن جنا قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت أو سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن أمسك عليك لسانك واياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك * وحكى أن حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال أقول انك من أعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان قال أقول انه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال أخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمانى عشرة سنة رحمة الله عليه وروى ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الامر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فاضعه

مغضبا فدخل بيتا خلفه ونحن جنا قال عامر) بن شراحيل (الشعبي) وكان من جملة من حضر ذلك المجلس (فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد) لقد (أغضبت الامير وأوغرت صدره) أى أدخلت فيه وغرا وهو شدة الحر (قال) الحسن (اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة) وفي نسخة فقيه أهل الكوفة (أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت وان سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال) ابن عائشة في رواية أخرى (وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال أنت تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال) الحسن (نعم) أنا قلت (قال) الحجاج (ما حملك على هذا) القول (قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق) والعهود (ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال) الحجاج (يا حسن أمسك عليك لسانك واياك أن يبلغني عنك ما أكره فافرق بين رأسك وجسدك) وسيأتي للمصنف بابسط من ذلك في أواخر كتاب ذم الجاه وحب المال وأتم مما هنا فراجعه (وروى ان حطيطا الزيات) وكان من القوالين بالحق لا يخاف في الله لومة لائم (جيء به الى الحجاج) بن يوسف (فلما دخل) عليه (قال أنت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله على المقام) وفي نسخة عند المقام (على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال أقول انك من أعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة) بالكسر أى التهمة الباطلة (قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول انه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج) لاتباعه (ضعوا عليه العذاب) فعذبوه بأنواع العذاب (قال) الراوى (فانتهى به العذاب الى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق قال أخرجوه) من الحبس (فارموا به في السوق) اهانة له (قال جعفر) راويه (فأتيته أنا وصاحب له فقلنا حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة) فشرب (ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله تعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا (وروى أن عمر بن هبيرة) والي العراق من قبل بني أمية وتقدم ذكره في مناقب أبي حنيفة من كتاب العلم (دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله فقال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن وأمر الحاجب فأخرج الناس وخلى بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو واني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة وقد ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم من النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة) أى الجماعة من الرجال (من أهل الديار الامر) الذى أكره (أجد عليهم فيه) لاجل ما يبلغني عنهم مما أكره (فأقبض طائفة) أى جزأ (من عطائهم فأضعه

في

فى بيت المال ومن نيتى ان أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين انى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه
وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل على فى هذا تبعة وفى اشباهه من الامور والنية فيها على ماذكرت قال الشعبى فقلت أصلح الله الامير انما
السلطان والد يخطئ و يصيب قال فسر بقولى وأعجب به ورأيت البشر فى وجهه وقال فلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال
قد سمعت قول الامير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمون على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى
حقهم والنصحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وانى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول انى ربما قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب الى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك
من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله ليمنعك من يزيد وان
يزيد لا يمنعك من الله وان أمر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة فى معصية الله وانى أحذرك بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع
على ظلعك أيها الشيخ واعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى
ماولاه من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد
يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه

فى بيت المال) تأديبا لهم (ومن نيتى أن أرد عليهم) عطاءهم (فيبلغ أمير المؤمنين انى قد قبضته على ذلك من النحو فيكتب الى) ان (لا ترده) اليهم (فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل على فى هذا تبعة وفى أشباهه من الامور) التى تقع لى (والنية فيها على ماذكرت قال الشعبى فقلت أصلح الله الامير انما السلطان والد) وأنت بمنزلة ولده والوالد (يخطئ) على ولده (ويصيب قال فسر بقولى وأعجب به ورأيت البشر فى وجهه قال فلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل) مأمون (على الطاعة) والانقياد لاوامره (ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وانى سمعت عبد الرحمن بن سمرة) بن حبيب بن عبد شمس (القرشى) العبشمى يكنى أبا سعيد (صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أسلم يوم الفتح وغزا خراسان فى زمن عثمان وهو الذى افتتح سجستان وكابل ورجع الى البصرة ونزلها وبها مات سنة خمسين وصلى عليه زياد ابن أبى سفيان روى له الجماعة (يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة) قال العراقى رواه البغوى فى معجم الصحابة باسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحو من رواية الحسن بن معقل بن يسار اه قلت وروى عبد الرزاق فى المصنف وأحمد والطبرانى وابن عساكر من حديث معقل بن يسار بلفظ من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يجد ريح الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة مائة عام وعند الخطيب عنه بلفظ من استرعى رعية فغشها لقى ربه وهو عليه غضبان وعنده أيضا من حديث ابن سمرة بلفظ أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التى وسعت كل شئ وروى أيضا عن الحسن مرسلا بلفظ من استرعاه الله رعية فمات وهو غاش لها أدخله الله النار هكذا رواه الشيرازى فى الالقاب (ويقول انى ربما قبضت من عطاياهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب الى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة فى معصية الله عز وجل فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه) أى ارمه (يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان أمر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة فى معصية الله وانى أحذرك بأس الله الذى لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة) للحسن (اربع على ظلعك أيها الشيخ واعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه

وتغيرلونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عنى يا عامر قال نفرجت الى الحسن التحف والطرف) من الهدايا (وكانت له المنزلة) العالية (واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه وكنا أهلا أن يفعل بنا ذلك فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الامثل الفرس العربى) الجيد (بين المقاريف) جمع مقرف كمحسن الذى أصوله ردية (وما شهدنا مشهدا الابرز علينا) أى ظهر (وقال) ما قال (لله عز وجل وقلنا) ما قلنا (مقاربة لهم) أى تقربا لخاطرهم (قال الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه) .وقد روى هذه القصة المزنى فى تهذيب الكمال فى ترجمة الحسن من طريق علقمة بن مرثد قال لما ولى عمر بن هبيرة العراق أرسل الى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا أو نحوه فجاء عمر فسلم ثم جلس معظما لهما فقال ان أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب الى كتبا أعرف ان فى انفاذها الهلكة فان أطعته عصيت الله وان عصيته أطعت الله فهل تريان لى فى متابعتى اياه فرجا فقال الحسن يا أبا عمرو أجب الامير فتكلم الشعبي فانحط فى حبل ابن هبيرة فقال ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال أيها الامير قد سمعت ما قال الشعبي قال ما تقول أنت قال أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظا غليظا لا يعصى الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك يا عمر بن هبيرة ان تتق الله يعصمك من يزيد ابن عبد الملك ولن يعصمك يزيد من الله يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله عز وجل اليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بنظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الامة كانوا والله عن الدنيا وهى مقبلة أشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة يا عمر بن هبيرة انى أخوفك مقاما خوفك الله تعالى فقال ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد يا عمر بن هبيرة ان تك مع الله فى طاعته كفاك بائقة يزيد وان تك مع يزيد على معاصى الله وكلك الله اليه قال فبكى عمر وقام بعبرته فلما كان من الغد أرسل اليهما باذنهما وجوائزهما فأكثر منها للحسن وكان فى جائزة الشعبي بعض اقتار فخرج الشعبي الى المسجد فقال يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن منه شيأ فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصانى الله منه (ودخل) أبو عبد الله (محمد بن واسع) تقدم ذكره (على بلال بن أبى بردة) بن موسى الاشعرى قاضى البصرة وأميرها روى له البخارى فى الاحكام تعليقا وروى له الترمذى حديثا واحدا (فقال له ما تقول فى القدر قال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر) وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا عبد الله بن صالح البخارى حدثنا سليمان بن أبى شيخ حدثنا عتبة بن المنهال البصرى قال قال بلال بن أبى بردة لمحمد بن واسع ما تقول فى القضاء والقدر قال أيها الامير ان الله عز وجل لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره انما يسألهم عن أعمالهم (وقال الامام) أبو عبد الله محمد بن ادريس بن عثمان بن شافع (الشافعي رضى الله عنه حدثنى عمى محمد بن على) بن شافع المطلبى روى عن ابن عم أبيه عبد الله بن على بن السائب والزهرى وعنه سبط ابراهيم بن محمد الشافعي والامام محمد بن ادريس الشافعي ووثقه ويونس بن محمد المؤدب روى له أبو داود والنسائى وهو المراد فى الحكاية التى رواها المزنى قال سمعت الشافعي يقول رأيت على بن أبى طالب فى النوم فسلم على وصافحنى وخلع خاتمه فجعله فى أصبعى قال وكان لى عم ففسرها لى فقال أما مصافحتك لعلى فأمان من العذاب وأما خلع خاتمه وجعله فى أصبعك فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم على فى الشرق والغرب (قال انى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر) المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الخليفة (وفيه ابن أبى ذئب) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحرث بن أبى ذئب واسمه هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤى بن غالب القرشى العامرى أبو الحرث المدنى روى عن الزهرى ونافع مولى ابن عمر وسعيد المقبرى والطبقة

وتغيرلونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عنى يا عامر قال نفرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الامثل الفرس العربى بين المقارف وما شهدنا مشهدا الابرز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة فقال له ما تقول فى القدر فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي رضى الله عنه قال حدثنى عمى محمد بن على قال انى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وفيه ابن أبى ذؤيب

وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال فأتى الغفاريون فشكوا الى أبي جعفر شيأ من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم
ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ماتقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد انهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيروالاذى لهم

روى عنه آدم بن أبي اياس وأسد بن موسى وحجاج الاعور وشبابة وعبد الله بن وهب وأبو نعيم الفضل بن دكين ووكيع ويحيى القطان وغيرهم وكان يشبه بسعيد بن المسيب قال أحمد هو ثقة صدوق وقال الشافعي مافاتني أحد فأسفت عليه ماأسفت على الليث وابن أبي ذئب وقال النسائي هو ثقة وقال الواقدي كان من رجال الدهر صوّاما وقوّالا بالحق مات بالكوفة منصرفا من بغداد سنة ١٥٩ روى له الجماعة (قال وكان والى المدينة) من قبل أبي جعفر (الحسن بن زيد) بن الحسن بن علي بن أبي طالب روى عن أبيه وعكرمة وعنه مالك وزيد بن الحباب ولى المدينة وهو والد الست نفيسة رضي الله عنها توفي سنة ١٦٨ (قال فأتى الغفاريون) وهم قبيلة أبي ذر الغفاري (فشكوا الى أبي جعفر شيأ من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذئب قال فسأله) عنهم (فقال ماتقول فيهم يا ابن أبي ذئب فقال اشهد انهم أهل تحطم في أعراض الناس) أي يقعون فيها (كثير والاذى لهم فقال أبو جعفر) للغفاريين (قد سمعتم) ماقال فيكم ابن أبي ذئب (فقال الغفاريون سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذئب ماتقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ماقال فيك ابن أبي ذئب وهو الشيخ الصالح فقال يا أمير المؤمنين سله عن نفسك فقال ماتقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله الا أخبرتني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله وأشهد ان الظلم ببابك فاش) أي ظاهر (قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذئب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا اني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم منك بهذا المكان قال فقال ابن أبي ذئب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما (فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا باقفاء فارس والروم وأصغرا) أي أذلا (آنافهم) جمع أنف (قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا أني أعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن أبي ذئب والله يا أمير المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن أبي ذئب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرني ماخاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد) فالياء فيه للنسبة لانها أصلية وفي التهذيب للمزني بسنده الى أبي بكر المروزي قال قيل لاحمد من أعلم مالك أو ابن أبي ذئب فقال ابن أبي ذئب في هذا أكبر من مالك وابن أبي ذئب أصلح في بدنه وأورع ورعا وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين وقد دخل ابن أبي ذئب على أبي جعفر فلم يهله ان قال له الحق قال الظلم فاش ببابك وأبو جعفر أبو جعفر قال وقال حماد بن خالد ما كان ابن أبي ذئب ومالك في موضع عند سلطان الا تكلم ابن أبي ذئب بالحق والامر والنهي ومالك ساكت وانما كان يقال ابن أبي ذئب وسعد بن ابراهيم أصحاب أمر ونهي فقيل له ماتقول في حديثه قال كان ثقة في حديثه صدوقا رجلا صالحا ورعا وقال يعقوب بن سفيان الفارسي ابن أبي ذئب قرشي ومالك يماني وقال أبو نعيم الفضل بن دكين حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن احدى وعشرين سنة ومعه ابن أبي ذئب ومالك فدعا ابن أبي ذئب فاقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس فقال له ماتقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة قال انه ليتحرى العدل فقال له ماتقول في مرتين أو ثلاثا فقال ورب هذه البنية انك لجائر فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر كف عنه يا ابن اللخناء وأمر له بثلثمائة دينار وقال محمد بن القاسم بن خلاد قال ابن أبي ذئب للمنصور يا أمير المؤمنين قد هلك الناس فلو أعنتهم مما في يديك من الفيء قال ويلك لولا ماسددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح فقال ابن أبي ذئب فقد سد الثغور

فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ماتقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح فقال يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك فقال ماتقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله الا أخبرتني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا اني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني أعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي

قال فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرني ماخاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد

* وعن الاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علىّ واستجلسنى ثم قال لى ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعى قال قلت وما الذى تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيأ مما (٧٤) أقول لك قال وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك وأقدمتك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بى الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك

نصيب

وجيش الجيوش وفتح الفتوح وأعطى الناس اعطياتهم من هو خير منك قال ومن هو خير منى ويلك قال عمر ابن الخطاب فنكس المنصور رأسه والسيف بيد المسيب والعمود بيد مالك بن الهيثم فلم يعرض له والتفت الى محمد بن ابراهيم فقال هذا الشيخ خير أهل الحجاز وقال أيضا لما حج المهدى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد الا قام الا ابن أبى ذئب فقال المسيب بن زهير قم هذا أمير المؤمنين فقال ابن أبى ذئب انما يقوم الناس لرب العالمين فقال المهدى دعه فلقد قامت كل شعرة فى رأسى (و) روى (عن الاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو) بن أبى عمرو امام أهل الشام فى زمانه فى الفقه والحديث وكان يسكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الاوزاع ثم تحول الى بيروت فسكنها مرابطا الى أن مات بها سنة ١٥٧ من آخر خلافة أبى جعفر المنصور وكان قد جمع العبادة والورع بالحق (قال بعث الى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل) أى ساحل بيروت (فأتيته فلما وصلت اليه) وسلمت عليه بالخلافة ردّ علىّ السلام (واستجلسنى) أى طلب منى الجلوس (ثم قال لى ما الذى أبطأ بك عنى يا أوزاعى قال قلت وما الذى تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك وأقدمتك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بى الربيع) يعنى حاجبه (وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول) هو ابن مسلم الشامى أبو عبد الله فقيه الشام وكانت داره بدمشق عند طرق سوق الاحد ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشام رأى أبا امامة الباهلى وأنسا وسمع واثلة وغيره مات سنة ١١٣ روى له مسلم والاربعة (عن عطية بن بشر) المازنى صحابى وهو أخو عبد الله بن بشر روى عنه مكحول وسليم بن عامر روى له أبو داود وابن ماجه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد جاءته من الله موعظة) وهى التذكير بالعواقب (فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر) زاده الله من تلك النعم (والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح اهـ قلت ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ والبيهقى فى الشعب وقد وقع فى نسخ الجامع الصغير للجلال السيوطى عن عطية بن قيس وهو غلط والصواب عطية بن بشر كما ذكرنا ولم يتنبه لها الشارح (يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء وابن عدى فى الكامل فى ترجمة أحمد بن عبيد اهـ قلت وكذلك رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ وروى ابن عساكر من حديث معقل ابن يسار أيما راع غش رعيته فهو فى النار (يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وسلم فقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا بنفسه لهم فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس لحقيق أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط) أى العدل (له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا يغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس) أى تحزن (بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك

نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أبشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب ابن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لافعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة

نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام) بكسر الفاء أي جماعة (وراء فئام) أي وراء جماعة (ليس منهم أحد الا يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة ابن رويم) اللخمي الازدي أبو القاسم روى عن أبي ادريس الخولاني وعدة وله مقاطيع ويرسل كثيرا وعنه الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وخلق وثق وفي موته أقوال الصحيح انه سنة ١٣٥ روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها) أي يخوف (المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا) أي خوفا قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين اهـ قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ (فكيف بمن شقق ابشارهم) أي جلودهم (وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغشيهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد بن جارية) بالجيم التميمي الدمشقي ويقال زيد ويقال يزيد يقال له صحبة وثقه النسائي روى له عن حبيب بن مسلمة وعنه مكحول وعطية بن قيس روى له أبو داود وابن ماجه قال الذهبي أنكر تأخير الجمعة الى العصر فأدخل الخضراء وذبح وذلك في زمن الوليد ابن عبد الملك (عن حبيب بن مسلمة) بن مالك بن وهب القرشي الفهري المكي مختلف في صحبته نزل الشام والراجح ثبوت صحبته لكنه كان صغيرا وله ذكر في الصحيح في حديث ابن عمر ومع معاوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي ذر وعنه زياد بن جارية وابن أبي مليكة قيل شهد اليرموك أميرا روى له أبو داود وابن ماجه مات بأرمينية أميرا عليها لمعاوية سنة ١٤٢ (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص في خدشة خدش) وفي نسخة في خدشة خدشه (اعرابيا لم يتعمده) أي لم يقصد خدشه عمدا (فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لافعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه والحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير فقال أوجعتني قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد اهـ قلت ورواه كذلك من سياق ابن أبي الدنيا البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ (يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء من رواية الاوزاعي معضلا لم يذكر اسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقاب اهـ قلت وجدت بخط الحافظ السخاوي على طرة هذا الكتاب بل الراوي شك هل قال قاب أو قيد اهـ ولفظ الحلية هنا لقاب وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعا القيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والارض (يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك) عبد الله بن عباس يا ويلتنا (مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك) هكذا أخرجه ابن مردويه وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين والكبيرة القهقهة بذلك (فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة) قال تطلق على الذكر والانثى من أولاد الضأن

على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المؤمنين أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى فى الزبور يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلج على صاحبه فأمحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلى الى عبادى رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء يا أمير المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين أن يحملنه وأشفقن منه يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن ابن عمرة الانصارى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال انه بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلى شيأ من أمور الناس الا أتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها الا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به فى النار سبعين خريفا فقال له عمر رضى الله عنه ممن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان فأرسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر رضى الله عنه من سلب الله أنفه وألصق خده بالارض مرفوعا

والمعز ساعة تولد والجمع سخال (على شاطئ الفرات) بالعراق (لخشيت أن أسأل عنها) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا يحيى بن عبد الله البابلى حدثنا الاوزاعى حدثنى داود بن على قال قال عمر لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت ان الله تعالى سائلى عنها يوم القيامة (فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا أمير المؤمنين أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك) عبد الله بن عباس (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا أقعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى) أى ميل نفس (فلا تملن نفسك) وفى نسخة فلا تتمنى فى نفسك (أن يكون الحق له فيفلج على صاحبه) أى يفوز ويظفر (فأمحوك من) ديوان (نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلى الى عبادى رعاء) بالكسر جمع راعى (كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا) أى يرشدوا (الهزيل) أى الضعيف (على الكلا والماء يا أمير المؤمنين انك بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين أن يحملنه وأشفقن منه) وهى الولاية على الناس فانها أمانة يقلدها الانسان فى عنقه فهو مسؤل عنها يوم القيامة (يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن يزيد بن جابر) الازدى الشامى الدمشقى أخو عبد الرحمن بن يزيد قال ابن معين والنسائى ثقة وقال أبو داود هو من ثقات الثقات أجازه الوليد بخمسين ألف دينار وذكر للقضاء فاذا هو أكبر من القضاء وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وكان من خيار عباد الله وهو من أمثل أصحاب مكحول قال الهيثم بن عدى مات فى خلافة ابى العباس قال ولا أظنه الا قد ادرك أبا جعفر وقال خليفة وغيره مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وقال ابن سعد سنة أربع روى له مسلم حديثا واحدا وأبو داود والترمذى وابن ماجه (عن عبد الرحمن بن عمرة الانصارى) كذا فى النسخ وتبعه العراقى سهوا والصواب عن عبد الرحمن بن أبى عمرة كذا هو فى نسخ الحلية وهو الانصارى البخارى المدنى القاضى واسم أبى عمرة عمرو بن محصن قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وروى له الجماعة وقال الذهبى فى الكاشف روى عن عثمان وعبادة وعن شريك بن أبى نمر وعبد الرحمن بن أبى الموالى (ان عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت ان لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال انه بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلى شيأ من أمور الناس الا أتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار) يحتمل انه أراد به الصراط ويحتمل غيره والواقف به بعض الملائكة أو الزبانية (ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد ليحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيأ انخرق به ذلك الجسر فهوى به فى النار سبعين خريفا) لانه لما خرق حرمة من قلده الله أمره من عباده واستهان بهم وخان فيما جعل أمينا عليه ناسب أن ينخرق به الجسر والجزاء من جنس العمل وهذا وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد (فقال له عمر عمن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان) رضى الله عنهما (فارسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر من سلت الله أنفه وألصق خده بالارض) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن سفيان بن الحكم عن أبى وائل ان عمر استعمل بشر بن عاصم فذكره أخصر منه وان بشرا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان اه قلت ومن الوجه الذى رواه ابن أبى الدنيا رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ وأما حديث بشر بن عاصم فرواه ابن عساكر فى التاريخ

قال فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه
وسلم امارة مكة أو الطائف
أو اليمن فقال له النبي عليه
السلام يا عباس يا عم النبي
نفس تحييها خير من امارة
لا تحصيها نصيحة منه لعمه
وشفقة عليه وأخبره انه
لا يغني عنه من الله شيأ اذ
أوحى الله اليه وأنذر
عشيرتك الاقربين فقال
يا عباس ويا صفية عمي النبي
ويا فاطمة بنت محمد اني
لست أغني عنكم من الله
شيأ ان لي عملي ولكم عملكم
وقد قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لا يقيم أمر الناس
الا حصيف العقل أريب
العقد لا يطلع منه على عورة
ولا يخاف منه على حرة ولا
تأخذه في الله لومة لائم
وقال الامراء أربعة فأمير
قوي ظلف نفسه وعماله
فذلك كالمجاهد في سبيل الله
يد الله باسطة عليه بالرحمة
وأمير فيه ضعف ظلف نفسه
وأرتع عماله لضعفه فهو على
شفا هلاك الا أن يرحمه الله
وأمير ظلف عماله وأرتع
نفسه فذلك الحطمة الذي
قال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم شر الرعاة الحطمة
فهو الهالك وحده وأمير
أرتع نفسه وعماله فهلكوا
جميعا وقد بلغني يا أمير
المؤمنين أن جبريل عليه
السلام أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أتيتك حين
أمر الله بمنافخ النار فوضعت
على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها

مرفوعا بلفظ ايما وال ولي من أمور المسلمين شيأ وقف به على جسر جهنم فيهتز به الجسر حتى يزول كل عضو منه وفي امالي أبي القاسم بن بشران من حديث علي ايما وال ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فان كان عادلا انجاه الله بعدله وان كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق الصراط فأول ما يتقي به أنفه وحر وجهه (قال فأخذ) أبو جعفر (المنديل فوضعه في وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه (النبي صلى الله عليه وسلم امارته على مكة والطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء هكذا معضلا بغير اسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسل اه قلت ورواه هكذا معضلا البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ ورواه ابن سعد كذلك عن محمد بن المنكدر مرسلا وكذلك عن الضحاك ابن حمزة مرسلا وأما المعضل فمن رواية ابن المنكدر عن جابر (نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يغني عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال) صلى الله عليه وسلم (يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة ابنة محمد اني لست أغني عنكم من الله شيأ لي عملي ولكم عملكم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملي ولكم عملكم اه قلت ورواه معضلا كذلك في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ ورواه أحمد وابن سعد والطبراني من طريق علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال يا رسول الله علمني شيأ ينفعني الله به قال يا عباس أنت عمي واني لا أغني عنك من الله شيأ ولكن سل ربك العفو والعافية وروى البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار فاني لا أملك لك شيأ يا صفية بنت عبد المطلب يا صفية عمة رسول الله اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة يا عائشة لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق وروى البزار من طريق سماك بن حذيفة عن أبيه رفعه قال يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لله خيرا فاني لا أغني عنك من الله شيأ يوم القيامة يا عباس يا عم رسول الله اعمل لله خيرا فاني لا أغني عنك من الله شيأ يوم القيامة الحديث وقال البزار لا نعلم لحذيفة ابنا يقال له سماك الا في هذا الاسناد وروى الترمذي من حديث عائشة وقال حسن غريب بلفظ يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بني عبد المطلب اني لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ما شئتم (وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف العقل) أي محكمه (أريب العقد) أي شديده (لا يطلع منه على عورة) أي قبيحة (ولا يخنو على حرة) هكذا في النسخ وفي بعضها ولا يخف منه على حرمة وفي أخرى ولا يخنو (ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال) أيضا (الامراء أربعة فأمير قوي ظلف) أي منع (نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير فيه ضعف ظلف نفسه) أي منعها (وارتع عماله) أي خلاهم يرتعون (لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله) تعالى (وامير ظلف عماله) أي منعهم من الرتع (وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاء رعاء الحطمة فهو الهالك وحده وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا) قال العراقي هكذا رواه ابن أبي الدنيا عن الاوزاعي معضلا ورواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزني متصلا اه قلت ورواه معضلا كذلك البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر ورواه متصلا أيضا أحمد وأبو عوانة وابن حبان والطبراني في الكبير (وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار) وفي نسخة بمنافيخ وفي نسخة العراقي بمسالح النار (فوضعت على النار تسعر) أي تسجر وتقاد (ليوم القيامة) أي لاجله (فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها

ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لايضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها اصب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا ادخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أتبكي يامحمد وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت ياجبريل وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ياجبريل ويامحمد ان الله قد آمنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة وقد بلغني ياأمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم أني أبالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين ياأمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك ثم نهضت فقال لي الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لايضيء جمرها ولا يطفأ لهبها) كذا في النسخ وفي بعضها لايضيء لهبها ولا جمرها وفي أخرى ولا يطفأ جمرها ولا لهبها (والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا) أي دلوا (من شرابها اصب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله) عز وجل (وضع على جبال الارض لذابت وما استقلت) أي ما حملت (ولو أن رجلا ادخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشوه خلقه وعظمه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه فقال أتبكي يامحمد وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت ياجبريل أنت وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ياجبريل ويامحمد ان الله قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر ملائكة السماء) قال العراقي رواه بطوله ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء هكذا معضلا بغير اسناد اه قلت وكذلك البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر (وقد بلغني ياأمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني أبالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين ياأمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله تعالى التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه) فقد روى ابن لال والخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث عائشة من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاما (فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت) أي تحركت للقيام (فقال) أبو جعفر (الى أين فقلت الى الولد) كذا في النسخ ولفظ الحلية الى البلاد (والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا) وفي نسخة بمثلها (فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب) بن صدقة القرقساني بقافين ومهملة وهو راوي هذا الحديث عن الاوزاعي وقد روى أيضا عن أبي بكر بن أبي مريم وروى عنه يعقوب الدورقي والرمادي والحرث فيه ضعف مات سنة ثمان ومائتين روى له الترمذي وابن ماجه (فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف) أبو جعفر (المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك) وفي الحلية في رده قال العراقي قصة الاوزاعي هذه مع المنصور وموعظته له وفيه عشرة أحاديث مرفوعة وهي بجملتها رواها ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي اسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق اه قلت وقد أورد هذه القصة بتمامها البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ كلاهما في ترجمة الاوزاعي ولفظ الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن زيد الحوطي فيما أرى حدثنا محمد بن مصعب القرقساني ح وحدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي واللفظ له حدثنا محمد بن محمد بن سليمان ومحمد بن مخلد قالا حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح عن محمد بن مصعب القرقساني عن الاوزاعي قال بعث الى أبو جعفر أمير المؤمنين فساقها الى آخرها كسياق المصنف حرفا بحرف

وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة ليصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبيناهو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ماهذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى أنبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض أنت فقال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى قال وهل دخل أحدا من الطمع مادخلك يا أمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فاغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبى الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شئ الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك

بحرف (وعن ابن المهاجر) هو محمد بن مهاجر بن أبى مسلم الانصارى الشامى مولى أسماء بنت يزيد الاشهلية قال أحمد وابن معين وأبو داود ثقة وله أحاديث كبار حسان وقال النسائى ليس به بأس وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وقال كان متقنا روى عن نافع وربيعة بن يزيد وعنه أبو مسهر والوحاظى مات سنة سبعين ومائة روى له الجماعة الا البخارى (قال قدم أمير المؤمنين) أبو جعفر (المنصور) عبد الله ابن محمد بن على (مكة حاجا فكان يخرج من دار الندوة) أى محل نزول الخلفاء وهو الموضع الذى كانت قريش تتشاور فيه (الى الطواف بالبيت فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه) واعلموه بالوقت (وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس) اماما (فخرج ذات ليلة حين اسحر) أى دخل فى السحر (فبيناهو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ماهذا الذى سمعتك تقوله) فى الملتزم (من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت) أى ملأت (مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى) أى أورثنى المرض والقلق (فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى أنبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل فقال له امنتك على نفسك) لا تخف فيما تقوله (فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض أنت) يا أمير المؤمنين (فقال وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء) أى الذهب والفضة (فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى) أى ملكى (قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم) أى جعلك راعيا لهم (فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر) يعنى الابنية (وأبوابا من الحديد وحجبة) عليها (معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها) أى فى تلك البيوت (عنهم وبعثت عمالك فى جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان أحسنت لم يعينوك) فهم وزراء سوء (وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وأمرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف القدر ولا أحد) من هؤلاء (الا ولهم فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم) أى اخترتهم (على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك تجبى الاموال) من مواضعها (ولا تقسمها) على أربابها (قالوا هذا قد خان الله) فى مال الله (فما لنا أن لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا) أى تشاوروا (على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا) من الامور (الا أقصوه) أى أبعدوه (حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك

عينيك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهى اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا أهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه مالك تبكى لا بكت عيناك فقال أما انى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما ان كان قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال بالملك الا لواحد من ثلاثة ان قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما زال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء وان قلت أجمع المال لأشيد سلطانى فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع

عينك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم) أى خافوهم (وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا به على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة) أى المال الكثير (من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم) يشكو ظلامته (حيل بينه وبين الدخول اليك) أى منع (وان أرادوا رفع قصة اليك عند ظهورك) للناس (وجدوك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم) وهو صاحب ديوان المظالم (فان جاء ذلك الرجل المتظلم فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه) بعلل كثيرة (فاذا جهد وأخرج وظهرت) أنت (صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره) وعبرة لمن يعتبر (وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنو أمية) قبلك (وكانت العرب لا ينتهى اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته فينصف) ويؤخذ بيده (ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا أهل الاسلام فيبتدرونه) ويقولون (مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له) أى يأخذ له الانصاف (ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين) وهى أقصى بلاد الهند (وبها ملك) كافر (فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم) أى ثقل سمعه (حتى لا يسمع شيأ فجعل يبكى فقال له وزراؤه مالك تبكى لا بكت عيناك فقال اما انى لست أبكى على المصيبة) يعنى ذهاب السمع (لم نزلت بى ولكن المظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته اما ان كان ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا مظلوم فكان يركب الفيل) الحيوان المعروف (فى طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه وأنت) بحمد الله تعالى (مؤمن بالله وابن عم نبى الله) صلى الله عليه وسلم (لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع المال الا لواحد من ثلاثة ان قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه نفس شحيحة تحويه) أى تضمه (فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى وان قلت أجمع المال لأشيد سلطانى فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة) أى المال (والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أجسم) أى أعظم (من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع

بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فاذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شئ مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ياليتني لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال الحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل أما تتقي الله قال بلى قال أما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي الى الامير فقد آلى أن يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شئ فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت الي فان رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني ان أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بنعمك وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك أنت التواب

بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا ترى اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شئ مما كنت فيه مما شححت عليه) أي بخلت (من ملك الدنيا) قال (فبكى المنصور بكاء شديدا حتى انتحب وارتفع صوته ثم قال ياليتني لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال) له (كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال من هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل) أي السوية (وأنا ضامن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل) فبينماهم في هذا (وجاء المؤذنون) يؤذنونه بالصلاة (فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسي يطلب الرجل فبيناهو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب) من تلك الجبال المطيفة بمكة (فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل أما تتقي الله قال بلى قال أما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى) أي حلف (أن يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا) أحسن القراءة (فأخرج من مزود) بالكسر مثل الجراب يوضع فيه الزاد (كان معه رقا فيه مكتوب شيأ فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت الي فان رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بقدرتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا) وفي بعض النسخ بعد فرجا ومن كل ضيق مخرجا (اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بنعمك وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك أنت التواب

الرحيم) ولا بأس أن يزيد بعد ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وقد أورده الشهاب البوني في كتابه شمس المعارف في ذكر خواص اسمه اللطيف وزاد بعده انك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (قال) الحرسي (فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام) وقد أورد الحافظ ابن حجر في الاصابة هذه القصة في ترجمة الخضر عليه السلام مختصرة جدا وفيه ان أبا جعفر المنصور سمع رجلا يقول في الطواف أشكو اليك ظهور البغي والفساد فدعاه ووعظه وبالغ ثم خرج فقال اطلبوه فلم يجدوه فقال ذلك الخضر وفي كتاب الدعاء للطبراني قصة أخرى من طريق محمد بن المهاجر الذي ساق المصنف هذه القصة عنه فقال حدثنا يحيى بن محمد الجار حدثنا المعلى بن حرمي عن محمد بن المهاجر البصري حدثني أبو عبد الله بن التوأم الرقاشي ان سليمان بن عبد الملك أخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف الى منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به فجعل الرجل لا يأتي بلدة الا قيل له كنت تطلب ههنا فلما طال عليه الامر عزم أن يأتي بلدة لا حكم لسليمان فيها فذكر قصة طويلة فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء اذا هو برجل يصلي قال فخفته ثم رجعت الى نفسي فقلت والله ما هي راحلة ولا دابة قال فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت الي فقال لعل هذا الطاغي أخافك قلت أجل قال فما منعك من السبع قلت يرحمك الله وما السبع قال قل سبحان الواحد الذي ليس غيره اله سبحان القديم الذي لا بادئ له سبحان الدائم الذي لا نفاد له سبحان الذي كل يوم هو في شان سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم ثم قال قلها فقلتها وحفظتها والتفت فلم أر الرجل قال وألقى الله في قلبي الامن ورجعت راجعا من طريقي أريد أهلي فقلت لآتين باب سليمان بن عبد الملك فأتيت بابه فاذا هو يوم اذنه وهو يأذن للناس فدخلت وانه لعلى فرشه فما عدا ان رآني فاستوى على فراشه ثم أومأ الي فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش ثم قال سحرتني وساحر أيضا مع ما بلغني عنك فقلت يا أمير المؤمنين ما أنا بساحر ولا أعرف السحر ولا سحرتك قال فكيف فما ظننت انه يتم ملكي الا بقتلك فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشي ثم قال أصدقني أمرك فأخبرته قال تقول أبو سليمان الخضر والله الذي لا اله الا هو علمكها اكتبوا له أمانه واحسنوا جائزته واحملوه الى أهله (وعن أبي عمران الجوني) ويقال له الجويني الحافظ متأخر سكن بغداد وهو ثقة وليس هو أبا عمران عبد الملك بن حبيب الجويني فانه قديم الوفاة قبل زمان سفيان وهرون مات سنة ثمان وعشرين ومائة فليتنبه لذلك (قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة) وذلك في سنة سبعين ومائة وتوفي سفيان سنة احدى وستين ومائة ففي سياق هذه الحكاية نظر ولعلها وقعت لابيه المهدي فانه تولى الخلافة سنة ثمان وخمسين والثوري حي فلينظر ذلك (زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وفيه وفتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية) أي العطايا الواسعة (وكان قبل ذلك) أي قبل أن يلي الخلافة (يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتعفف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديما) اعلم أن ولادة هرون في سنة تسع وأربعين ومائة فكان عمره اذ مات سفيان ثلاث عشرة سنة الا أشهرا وقوله قديما يدل على ان هذه المؤاخاة كانت قبل الخلافة مدة فلا نقول الا أنه قبل الخلافة بخمس سنين فكيف يؤاخي سفيان وهو ابن ثمان سنين أو هو محجور عليه في دار الخلافة وسفيان ليس له اختلاف الى دار الخلافة بل مشرد من بلد الى بلد خوفا من أبيه المهدي وجده المنصور فمن تأمل هذه التواريخ وجد الحكاية مفتعلة الا أن يكون ذلك المهدي أو المنصور فيسلم (فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق اليه هرون ليخلو به ويحدثه) على عادته

الرحيم قال فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام * وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد ابن المنذر الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه

(فلم

فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولابما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد
أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخى قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أنى
قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبالك ولم أقطع منها ودك وانى منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو
حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة واعلم يا أبا عبد الله انه ما بقى من اخوانى واخوانك أحد الا وقد زارنى وهنانى بما صرت اليه وقد فتحت بيوت
الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى وانى استبطأتك (٨٣) فلم تأتنى وقد كتبت اليك كتابا شوقا
منى اليك شديدا وقد علمت
يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل
المؤمن وزيارته ومواصلته
فاذا ورد عليك كتابى فالعجل
العجل فلما كتب الكتاب
التفت الى من عنده فاذا
كلهم يعرفون سفيان
الثورى وخشونته فقال
على برجل من الباب فأدخل
عليه رجل يقال له عباد
الطالقانى فقال يا عباد خذ
كتابى هذا فانطلق به الى
الكوفة فاذا دخلتها فسل
عن قبيلة بنى ثور ثم سل عن
سفيان الثورى فاذا رأيته
فألق كتابى هذا اليه وع
بسمعك وقلبك جميع ما
يقول فأحص عليه دقيق
أمره وجليله لتخبرنى به
فأخذ عباد الكتاب وانطلق
به حتى ورد الكوفة فسأل
عن القبيلة فأرشد اليها ثم
سأل عن سفيان فقيل له هو
فى المسجد قال فأقبلت الى
المسجد فلما رآنى قام قائما
وقال أعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم
وأعوذ بك اللهم من طارق
يطرق الا بخير قال عباد
فوقعت الكلمة فى قلبى فخرجت فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه
قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الى رأسه وردوا السلام على
رؤس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ومددت عينى اليهم فقلت ان المصلى هو سفيان
فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته
وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فانى أستغفر الله أن أمس

(فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولابما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه) فى الله ورسوله (سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد
يا أخى قد علمت أن الله تعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم انى واخيتك مواخاة لم أصرم منها
حبالك ولم أقطع عنها ودك) وصرم الحبل كناية عن قطع الود ثم بينه بقوله (وانى منطو لك على أفضل المحبة
والارادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله) يعنى الخلافة (لأتيتك ولو حبوا) على الركب (لما أجد لك فى
قلبى من المحبة واعلم يا أبا عبد الله انه ما بقى من اخوانى واخوانك أحد الا وقد زارنى وهنانى بما صرت اليه)
من أمر الخلافة اما فى اخوانه فمسلم واما فى اخوان سفيان ففيه مجازفة لانهم من أهل الآخرة ليس لهم هم
فى تهنئة أمير ولا دخول فى مثل هذه الاحوال فما زاره الا من كان مثله فى الحرص على الدنيا والتكالب
(وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية) نعم فتح وأعطى ولكن لارباب الملاهى والقيان
واشتغل بحظ النفس ولذة الهوى (ما فرحت به نفسى وقرت به عينى) وكان قرة عينه فى الشرب والسماع
(وانى استبطأتك) اى انتظرت بطوءك عنى (فلم تأتنى وقد كتبت كتابا شوقا منى اليك شديدا وقد علمت
يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل) اى اسرع الينا
والتكرار للتأكيد (فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده) من الاصحاب والخدم (فاذا كلهم يعرفون
سفيان وخشونته فقال على برجل من الباب) اى من خدمة الباب (فادخل عليه رجل يقال له عباد
الطالقانى فقال يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ثم اسأل عن
سفيان الثورى فاذا رأيته فالق كتابى هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول) اى احفظ (فاحص عليه
دقيق أمره وجليله لتخبرنى به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فارشد
اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو فى المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال أعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة من
قلبى) موقعا عظيما (فخرجت فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت الصلاة قال فربطت فرسى
بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص) من شدة الخوف والخجل
كأنهم (قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الى رأسه وردوا السلام
على رؤسهم) وفى نسخة برؤس الاصابع الاشارة بالسلام بالرأس أو باليد بدعة حدثت بعد العصر الاول
وكيف يجوز لاصحاب سفيان أن يتركوا رد السلام باللسان هذا بعيد عن مثلهم (فبقيت واقفا فما منهم
أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة وقد مددت عينى اليهم فقلت ان المصلى هو سفيان)
اى عرفته بالفراسة (فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد عنه كأنه حية عرضت له فى
محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده) وفى نسخة يقلبه بيده
(ثم دحاه) اى رماه (الى من كان خلفه) من اصحابه (وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فانى أستغفر الله أن أمس

شيأ مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه فى قرطاس نقى فقال اكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى الى العبد المغرور بالآمال هرون الرشيد الذى سلب حلاوة الايمان أما بعد فانى قد كتبت اليك أعرفك انى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتنى شاهدا عليك باقرارك على نفسك فى (٨٤) كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناءعنى حتى كتبت الى تشهدنى على نفسك أما انى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والارامل والايتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد ياهرون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار كأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيآت غيرك فى ميزانك زيادة على سيآتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية فاتق الله ياهرون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم

شيأ مسه ظالم بيده قال عباد فاخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه) أى كسر ختمه (وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الظالم فى ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة) فى الارض (فلو كتبت اليه فى قرطاس نقى) اى خالص عن الكتابة (فقال اكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به) اى نارا (ولا يبقى شئ مسه الظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى الى العبد المغرور بالآمال هرون الذى سلب حلاوة الايمان أما بعد فانى كتبت اليك اعرفك انى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك) اى ابغضته والمراد بالموضع توليته للخلافة (وانك قد جعلتنى شاهدا عليك باقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت عليه من مال بيت المسلمين فانفقته فى غير حقه وأنفذته) أى اهلكته (فى غير حكمه ثم لم ترض بما فعلت وأنت ناء) اى بعيد (حتى كتبت الى تشهدنى على نفسك اما انى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى ارض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والارامل والايتام) وهؤلاء المذكورون هم اهل الحقوق فى بيوت اموال المسلمين (هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد ياهرون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدى الحكم العدل) وتسئل (فقد رزئت فى نفسك) اى اصبت (اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما ياهرون قعدت على السرير ولبست الوثير) اى اللين (وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون حجابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سائق وامام الى النار وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المشاق) اى المتاعب (وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيآت غيرك فى ميزانك زيادة على سيآتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها واعلم أنى قد نصحتك وما ابقيت لك فى النصح غاية فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه

وسلم فى أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فنهم من تزوّد زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وانى أحسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام قال عباد فألقى الىّ الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا أهل الكوفة فاجابونى فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الىّ بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان علىّ من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزأ بى من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى والملك يزول عنى سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الىّ فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه وان سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق * وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ أقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى

وسلم فى أمته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فنهم من تزوّد زادا نفعه) فى عاقبته (ومنهم من خسر دنياه وآخرته وانى احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك واياك ان تكتب الى كتابا بعد هذا) تطلب فيه اللقاء والنصح (فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فاخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا أهل الكوفة فاجابونى فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الى بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية) مما تعمل بالبصرة (قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع امير المؤمنين وأقبلت اقود البرذون) وهو الحصان الرومى (وعليه السلاح الذى كنت احمله حتى أتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزأ بى من كان على باب الخليفة فاستؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى والدنيا) مالى (والملك يزول عنى سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الىّ فاقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه وان سفيان امة وحده) اى لا يشبهه احد فى وصفه (فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله تعالى) سنة ثلاث وتسعين ومائة (فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج) هرون (الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس) يتفرجون (وخرج بهلول المجنون) هو بهلول بن عمرو الصيرفى كذا فى تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر قال وذكره الخطيب فى رواة مالك فقال بهلول بن عمرو بفتح العين قلت وفى المغنى للذهبى هو بهلول بن عبيد روى عن مالك وأرخ ابن الجوزى وفاته فى سنة ١٩٢ (فيمن خرج) من النظارة (فجلس بالكناسة والصبيان) حوله (يؤذونه ويولعون به اذا اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول) لبيك يا بهلول (فقال يا أمير المؤمنين حدثنا ايمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى) تقدم ذكرهما قريبا فى قصة سفيان مع المهدى (قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك) رواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفا من عرفة وانما قالوا يرمى الجمرة وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى (وتواضعك فى سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى

سقطت دموعه على الارض ثم قال يابهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال أحسنت يابهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يابهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يابهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك و ينساني قال فأسبل هرون السجاف ومضى (٨٦) * وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال دخلت على الحرث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال أكتم حالي اني لاقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من أنت فقال أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأي شئ عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه فقلت له أما علمت ان أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم و يسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه منها فمكث عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت ازالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد هذا صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم ان لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي

سقطت دموعه على الارض ثم قال يابهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله مع الابرار قال احسنت يابهلول ودفع اليه الجائزة قال اردد الجائزة الى من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يابهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يابهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وأنت من عيال الله فمحال ان يذكرك و ينساني قال فاسبل هرون السجاف ومضى) ولفظ ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ثمان وثمانين ومائة ان الرشيد حج فيها فكانت آخر حجة حجها ثم ساق بسنده الى محمد بن الحسن الحراني عن احمد ابن عبد الله القزويني عن الفضل بن الربيع قال حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فاذا بهلول يهذي قلت اسكت فهذا امير المؤمنين فسكت فلما حاذاه قال يا أمير المؤمنين حدثنا ايمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث ولم يكن ثم ضرب ولا طرد ولا اليك اليك ثم أنشده

فهب انك قد ملكت الارض طرا * ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غدا مصيرك جوف قبر * و يحثو الترب هذا ثم هذا

(وعن أبي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون) العباسي (قال دخلت على الحرث) بن أسد (المحاسبي رحمه الله تعالى فقلت له يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال أكاتم حالي اني لاقرأ آية من كتاب الله تعالى فاضن بها) اي أبخل (أن تسمعها نفسي ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة) من الليالي (قاعدا في محرابي فاذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من أنت فقال أنا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فاي شئ عملك قال قلت كتمان المصائب) عن الغير (واستجلاب الفوائد) من السير (قال فصاح وقال ما علمت أحدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فاردت أن أزيد عليه فقلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم و يكتمون أسرارهم و يسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه) منها (فمكث عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت ازالة عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت ان هذا لكفني قد آثرتك به فاغتسل) وألبس هذا الثوب (وأعد صلواتك) التي ذهبت عليك (فقال هات الماء) فاتيته الماء (فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون) وهو يومئذ خليفة (فسلم عليه فقال يا ظالم انا ظالم ان لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فاقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي حظا فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم) يعني به الشهادة على قول الحق (قال فأمر بضرب عنقه فاخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي

هــذا فلما أخذه قال الحرث فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهــم بحاله فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فاذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول ياحارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم قلت ومافعلوا قال الساعــة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من أنتم قالوا الكاتمون أحوالهــم حرك هذا الفتى كلام ملك فلم يكن فى قلبه مما وصــفت شئ نخرج للامر والنهى وان الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده * وعن أحمد بن ابراهيم المقرى قال كان أبو الحسن النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بشرعــة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لانه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيأ يعبر عنه بلطف فقال الملاح ايش فى هــذه الدنان قال وايش عليك امض فى شغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القــول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرنى ايش فى هذه الدنان قال وايش عليك أنت والله صوفى فضــولى هــذا خمر للمعتضــد يريد أن يتمم به مجلسه فقال النورى وهذا خمــر قال نعم قال أحب ان تعطينى ذلك المدرى فاغتاظ الملاح عليــه وقال لغلامه أعطــه حتى انظر ما يصنع فلما صارت المــدرى فى يده صــعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يســتغيث الى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض عــلى النورى وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس فى أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حــديد وبيــده عمود يقلبه فلما رآنى قال من أنت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنــين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى وقال ما الذى حملك على ما صنعت فقلت شفقة منى عليك اذ بسطت يدى الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه الى وقال كيف تخلص هــذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرنى فقلت يا أمير المؤمنين انى أقدمت على الدنان بمطالبة

هذا فلما أخذه قال الحرث فاختبأت عنه فاخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهــم بحاله) قال (فاقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فاذا هو بين وصائف) اى الجوارى (لم أر أحسن منهن وهو يقول ياحارث أتيت والله الكاتمين الذى يخفون أحوالهم ويطيعون ربهــم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من أنتم قالوا) الكاتمون أحوالهم (حرك هذا) الفتى (كلام ملك فلم يكن فى قلبه) مما وصفت شئ (نخرج للامر والنهى وان الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده وعن أحمد بن ابراهيم المقرى قال كان أبو الحسين) أحمد بن محمد (النورى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (رجلا قليل الفضول) فى الكلام (لا يسأل) أحدا (عما لا يعنيه) أى لا يهمه (ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه) أى هلاكه (فنزل ذات يوم الى مشرعة) أى مورد من موارد الدجلة (تعرف بشرعة الفحامين) يتطهر للصلاة (اذ رأى زورقا) أى سفينة صغيرة (وفيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار) وهو الزفت الذى تطلى به السفن (لطف فقرأه وأنكره لانه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيأ يعبر عنه بلطف فقال الملاح) وهو خادم السفينة (ايش) أى اى شئ (فى هذه الدنان قال وايش عليك امض فى شغلك فلما سمع النورى من الملاح هــذا القول ازداد تعطشا) أى شوقا (الى معرفته فقال له أحب ان تخبرنى ايش فى هــذه الدنان قال وايش عليــك أنت والله صوفى فضولى) تتكلم فيما لا يعنيك (هذا خمر للمعتضــد) بالله ابى العباس أحمد بن الموفق أبى محمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد وهو السادس عشر من الخلفاء بويع له سنة خمس وأربعين ومائتين ومات سنة تسع وثمانين ومائتين عن سبع وأربعين سنة (يريد ان يتمم به مجلسه فقال النورى) للملاح (وهذا خمر قال نعم قال أحب ان تعطينى ذلك المدرى) وهو بالكسر المجداف (فاغتاظ الملاح عليــه وقال لغلامه اعطه المدرى حتى انظر ما يصنع فلما صار المدرى فى يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها) أى تلك الدنان (حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث) ويصيح (الى ان ركب صاحب الجسر) وهو الحاكم المولى من طرف الخليفة (وهو يومئذ ابن بشر أفلح) كذا فى النسخ وفى بعضها مؤنس الافلح وفى أخرى يونس (فقبض على النورى وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد) صعبا (سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال أبو الحسين) النورى (فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى من حــديد وبيده عمود يقلبه فلما رآنى قال من أنت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى وقال ما الذى حملك على ما صنعت فقلت شفقة منى عليك اذ بسطت يدى الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه) وفى نسخة قد قصرت عنه (قال فاطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه الى وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان قلت فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان اذن لى قال هات اخبرنى فقلت يا أمير المؤمنين انى أقدمت على الدنان بمطالبة

الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد جلال الحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فجزت) وفى بعض النسخ فاستشعرت (نفسى كبرا على انى أقدمت على مثلك فنعت ولو أقدمت عليه بالحال الاولى وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك) وأذنا لك (غير ما أحببت ان تغيره من المنكر قال أبو الحسين) النورى (فقلت يا أمير المؤمنين بغض التغيير الى لانى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير شرطيا فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجى) من المدينة (سالما) فى نفسى (فأمر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر ايامه بها خوفا ان يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد) أى خوفا من كثرة الشفاعات فانه اذا فتح بابها اسده عسر (فاقام بالبصرة الى ان توفى المعتضد) سنة ٢٨٩ (ثم رجع النورى الى بغداد) ولم يزل بها الى ان مات سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى اعلم أن مواعظ الخلفاء والملوك كثيرة فذكر المصنف بعضها فى كتاب الحلال والحرام كقصة سليمان بن عبد الملك مع أبى حازم حين دخل المدينة وغيرها وقد جمع منها حافظ الدنيا أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب مستقل سماه مواعظ الخلفاء وكذلك ابن الجوزى فى كتاب سماه المصباح المضىء ومن طالع كتاب الحلية لابى نعيم الحافظ وجد منها شيأ كثيرا وقد انتخبت بعض حكايات من منهاج القاصدين لابن الجوزى * فمنها قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انى موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه اخش الله فى الناس ولا تخش الناس فى الله ولا يخالف قولك فعلك فان خير القول ما صدقه الفعل وأحب لقريب المسلمين و بعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ولا تخف فى الله لومة لائم قال عمر ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب فى عنقه مثل الذى ركب فى عنقك * ومنها قال قتادة خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه الجارود فاذا امرأة بارزة على ظهر الطريق فسلم عليها فردت عليه أو سلمت عليه فرد السلام فقالت هيه يا عمر أعرفك وأنت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم انه من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر فقال الجارود هيه قد اجترأت على امير المؤمنين وأبكيتيه فقال عمر دعها أما تعرف هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سماواته فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها ومنها دخل فتى من الازد على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ان يلحقك الطالب وانا وما نحن فيه وأنت زائل والذى صائرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر ومنها قال عمر بن عبد العزيز لابى حازم عظنى فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن وما تكره ان يكون فيك فدعه الآن ومنها وقال محمد بن كعب القرظى لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق منها خرج الناس بما يضرهم وما ينفعهم وكم من قوم غرهم منها مثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة واقتسم ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم فنحن محقوقون يا أمير المؤمنين ان ننظر الى تلك الاحوال التى نغبطهم بها فنخلفهم فيها والى الاعمال التى نتخوف عليهم فيها فنكف عنها فاتق الله وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله عز وجل اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له (فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين) ايثارا لاقامة حق الله تعالى لانهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم ويحوطهم من سطوتهم (ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة) فى سبيله ولاجله (فلما أخلصوا لله) وفى بعض النسخ فيه (النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها) فان الكلام اذا خرج

الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسى كبرا على انى أقدمت على مثلك فنعت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بغض الى التغيير لانى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجى سالما فأمر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفى المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها

من القلب وقع على القلب وكان محمد بن واسع بجنبه واعظ يعظهم فقال يوما مالى أرا كم لاتبكون ولاتخشعون ولاتتعظون فقال محمد يافلان امانهم انما أتوا من قبلك أى لم تعظ نفسك أولا ولم تهذبها فكيف يؤثر كلامك فيهم ولقد كانت الملوك والامراء من قبل يعرفون حق العلم وفضله فيصبرون على بعض هؤلاء المواعظ (وأما الآن) فالذى أراه الهرب منهم والحذر من الدخول عليهم (فقد قيدت الاطماع الدنيوية (السن العلماء) فأخرستها (فسكتوا) وصمت آذانهم فلم يسمعوا (وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم) للمباينة بينها (فلم ينجحوا) أى لم يفلحوا (ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لافلحوا) وفازوا (ففساد الرعية بفساد الملوك) أى اختلال أحوال الرعية بظلم الملوك وجورهم وأخذ الاموال منهم عدوانا (وفساد الملوك بفساد العلماء) فانهم اذا جاروا على الرعية لم يمنعهم عن ذلك الا العلماء لما أخذ الله عليهم ذلك ولهيبة العلم وجلالته تذعن لقولهم الملوك ولذا قيل

ان الاكابر يحكمون على الورى * وعلى الاكابر تحكم العلماء

(وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه) فما من أحد منهم الا وينطلب لنفسه الثروة والسعة فى المعيشة وكذلك يطلب الجاه عند الملوك لقضاء حاجته (ومن استولى عليه حب الدنيا) من المال والجاه (لم يقدر على الحسبة على الاراذل) والعامة لعدم هيبته على قلوبهم (فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال) يعنى ان الهروب منهم الآن أولى وانه ان قدر له لقاؤهم اقتنع بلطف الموعظة حسب لسببين أحدهما يتعلق بالمحتسب وهو سوء قصده وميله الى الدنيا والرياء فلا يخلص له احتسابه والثانى يتعلق بالمحتسب له فان حب الدنيا قد شغل الاكثرين عن ذكر الآخرة وتعظيمهم الدنيا انساهم تعظيم العلماء وليس للمؤمن ان يذل نفسه وهذا آخر الكلام فى شرح كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات قال المؤلف فرغت من تسويده فى آخر ساعة من نهار الثلاثاء تاسع ذى القعدة سنة ١١٩٩ وكتب الفقير أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر الله زلله وبلغه أمله حامدا الله ومصليا ومسلما ومستغفرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر الحمد لله مفيض المواهب على الاطلاق * مولى الرغائب بالاغداق * الذى لاخير الا من يديه * ولا فضل الا من لديه * أحمده سبحانه حمدا أستمطر به سحاب كرمه الغيداق * وأستغفره من ذنوب أحاطت احاطة الرباق وعمت عموم الاستغراق * ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له اله وضع الآجال وقسم الارزاق * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * صاحب النجب والبراق * والطرف الكحيل والخد الاسيل * والثغر البراق * الذى بعثه لتتميم مكارم الاخلاق * وهدى به السبيل فلا يحيد عنه غير أهل الشقاق والنفاق * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه * وورثته وحزبه * وسلم ماتحركت الاغصان بالاوراق * وهبت الرياح بالعشى والاشراق * وبعد فهذا شرح (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة) وهو العاشر من الربع الثانى من كتاب الاحياء لحجة الاسلام * مجدد دين الملك العلام * الامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى قدس الله سره * وأفاض علينا بره * سلكت شعابه * وروضت صعابه * ونحضت لججه * وأثبت حججه * حتى وضح السبيل * وصفا السلسبيل وراق الزلال * وامتدت الظلال * وعمرت ربوعه * وانبطت ينبوعه * وبانت مساربه * وحليت مشاربه * والى الله أرغب فى حسن التوفيق لمراضيه ومحابه * وأن يلحقنى بالمنعم عليهم من صديقيه وأحبابه * انه بكل فضل جدير * وعلى مايشاء قدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالقرآن واستفتاحا باسمه الذى هو فاتحة كل عنوان واتباعا لخبر سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم مادارت الازمان (الحمد لله الذى خلق كل شئ فأحسن خلقه وترتيبه) أى جعل كل شئ فى مرتبته وهو المعبر عنه بالاحسان أشار به الى قوله تعالى

وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال * تم كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق كل شئ فأحسن خلقه وترتيبه *

وأدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تاديبه* وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه* ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه* وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه* وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا (أما بعد) فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب وهي مغارس الافعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه من الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى

الذي خلق كل شئ فقدره تقديرا أي حده بحده الذي يوجد من حسن وقبح ونفع وضر وغيرهما حسبما اقتضت حكمته (وأدب نبيه صلى الله عليه وسلم) بان أعطاه رياضة النفس وحلاه بأحسن الاخلاق* أخرج العسكري في الامثال من طريق النسائي عن أبي عمارة عن علي رضي الله عنه قال قدم بنو نهد بن زيد على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أتيناك من غور اتهامة وذكر خطبتهم وما أجابهم النبي قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال ان الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر والسدي ضعيف هذا* وفي أدب الاملاء لابي سعيد بن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه ان الله أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق وسنده منقطع وفي الدلائل لثابت السرقسطي ان أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ما رأيت أنعم منك فمن أدبك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد (وزكى أوصافه) الدالة على ذاته أي نماها (وأخلاقه) الباطنة أي طهرها بحيث صدرت عنها الافعال الحسنة بسهولة (ثم اتخذه صفيه) أي مختاره من خلقه (وحبيبه) وخليله (ووفق للاقتداء به) أي اتباع طريقته (من أراد تهذيبه) أي هدايته وخلوصه من الردى (وحرم التخلق بأخلاقه) أي منع عنه (من أراد) أي سبق في ارادته الازلية (تخييبه) أي تخسيره واضلاله واكتفى عن جملة الصلاة بما تقدم له في أوله من ذكره في الفقرة الثانية بقوله صلى الله عليه وسلم (أما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن) عنوان كل شئ بالضم ما يستدل به عليه ويضمر والمعنى أن البواطن يستدل عليها بالظواهر فان كانت جارية على وفق الاستقامة فالظواهر تتبعها (وحركات الجوارح) الظاهرة (ثمرات الخواطر) الباطنة ان حسنا فحسنا وان سيأ فسيأ (والاعمال نتيجة الاخلاق) فان الخلق بالضم عبارة عن هيئة راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا أو الافعال القبيحة سميت الافعال خلقا سيأ فالاعمال كلها انما هي نتائج للاخلاق تختلف باختلافها (والآداب رشح المعارف) أي ان الآداب في الظاهر انما ترشح عن بحر المعارف فان وجدت المعارف رشحت منها رشحا تبعث صاحبها على الكمال في الآداب (وسرائر القلوب) أي ما تسره القلوب وتضمره وتكنه (هي مغارس الافعال وينابيعها) أي هي محل ظهورها ومنشؤها (وأنوار) تلك (السرائر هي التي تشرق على الظواهر) أي تلوح عنها أنوارها (فتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه) بجلال الله وعظمته (لم تخشع جوارحه) روى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (ومن لم يكن صدره مشكاة للانوار الالهية) والمشكاة بالكسر كوة في الحائط يوضع فيها المصباح (لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب المذكورة) والآتية (ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتى على جملة من الآداب) مفرقة في مواضع منها (فاستثقلت تكريرها واعادتها) ثانيا (فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة) أي مجافاة (المعادات) المكررات فالاول مصدر عاداه يعاديه معاداة وهاؤه مربوطة والثانية جمع سالم المعاد وهو الذي أعيد ثانيا في الذكر وتاؤه مطولة وبينهما جناس (فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه) الشريفة (المأثورة عنه) أي المنقولة (بالاسناد) عن فلان عن فلان (فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد) وفي نسخة الاسانيد (ليجتمع فيه مع الآداب تجديد الايمان) وتطريته (وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع) والجزم (بانه أكرم خلق الله تعالى

وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا) وأفضلهم مقاما (فكيف بمجموعها ثم أضيف الى ذكر أخلاقه) الباطنة (ذكر خلقته) الظاهرة (ثم ذكر معجزاته التى صحت بها الاخبار) ودلت عليها الآثار ونقلتها الثقات من الاخيار (ليكون ذلك معربا) أى مبينا (عن) وفى بعض النسخ معرفا (مكارم الاخلاق والشيم) جمع الشيمة بالكسر وهى الغريزة والطبيعة والجبلة وهى التى خلق الانسان عليها (ومنتزعا عن آذان الجاحدين) أى المنكرين (لنبوّته) صلى الله عليه وسلم (صمام الصمم) الصمام بالكسر ما يسد به فم القارورة ونحوها وهو ما يجعل فى فمها سدادا والصمم محركة بطلان حاسة السمع وبينهما جناس (والله تعالى ولى التوفيق) وهو الهداية والارشاد (للاقتداء بسيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (فى الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه) جل وعز (دليل المتحيرين) أى مرشدهم من حيرتهم الى ما يخلصهم منها (ومجيب دعوة المضطرين) أى الملجئين الى المشقة والهلاك وفيه أن العبد وان علت منزلته فهو دائم الاضطرار لان الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممده وكما أن الحق هو الغنى المطلق فالعبد مضطر اليه أبدا ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله قوما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم (ولنذكر أوّلا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه) التى جبل عليها (ثم بيان جملة من آدابه) الظاهرة (وأخلاقه) الباطنة (ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه فى اللباس ثم بيان عفوه) عن الجانى (مع القدرة) على الانتقام منه (ثم بيان اغضائه) أى مسامحته (عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه) فى الحروب (ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته) الظاهرة (ثم بيان جوامع معجزاته وآياته) الباهرة (صلى الله عليه وسلم) اجمالا وتفصيلا

* (بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

اعلم انه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال) الضراعة بالفتح اسم من التضرع والابتهال هو التضرع الى الله تعالى وهو اظهار الضراعة أى الذل بين يدى الله تعالى (دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب) الظاهرة (ومكارم الاخلاق) الباطنة (فكان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى) الاوّل بفتح فسكون والثانى بضمتين واحد الاخلاق أى لاتقوى على تحمل أثقال الخلق والخلق بمحض العبودية والرضا بالقدر ومشاهدة الربوبية وقال الطيبى ويحتمل أن يراد به طلب الكمال واتمام النعمة عليه باكمال دينه وفيه اشارة الى ما سيأتى من قول عائشة كان خلقه القرآن وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان قال العراقى رواه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلقى واسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان اه قلت ووهم من زعم انه أبو مسعود ولفظه ولفظ أحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى المرآة قال اللهم أحسنت الخ وفى رواية اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وفى أخرى فأحسن خلقى وتمسك بهذا الحديث من قال ان حسن الخلق غريزى لامكتسب والمختار ان أصول الاخلاق غرائز والتفاوت فى الثمرات وهو الذى به التكليف وروى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث أنس رفعه كان اذا نظر وجهه فى المرآة قال الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى فحسنها وجعلنى من المسلمين وروى أبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس رفعه كان اذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى حسن خلقى وخلقى وزان منى ماشان من غيرى (و) كان صلى الله عليه وسلم (يقول اللهم جنبنى منكرات الاخلاق) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذى اللهم انى أعوذ بك اه قلت وقطبة بن مالك هو عم زياد بن علاقة روى عنه زياد ولفظ الترمذى وكذا الطبرانى فى الكبير اللهم انى أعوذ بك من منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء والادواء ولفظ الحاكم

وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف بمجموعها ثم أضيف الى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التى صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوّته صمام الصمم والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين فى الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه فى اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى ويقول اللهم جنبنى منكرات الاخلاق

هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ

اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء والادواء ومنكرات الاخلاق كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها ومنكرات الاعمال الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب وسرقة ونحوها ومنكرات الاهواء الزيغ والانهماك فى الشهوات أى المستلذات والمستحسنات عند النفس لانه شغل عن الطاعة يؤدى الى الاشر والبطر ومنكرات الادواء من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب فهذه كلها نوائب الدهر فهو يقول أعوذ بك من نوائب الدهر وعطف العمل على الخلق والهوى على العمل والداء عليه وان كان الكل على الاول من باب الترقى فى الدعاء الى ما يعم نفعه وقال الطيبى والاضافة الى المعرفتين الاوليين اضافة الصفة الى الموصوف قال الحكيم الترمذى وانما استعاذ من هذه الاربع لان ابن آدم لا ينفك عنها فى منقلبه ليلا ولا نهارا ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم فذلك الذى يشار اليه بالاصابع فى ذلك ومنه يعظم الوبال وذكر هذا مع عصمته تعليم لامته (فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله عز وجل ادعونى أستجب لكم فأنزل عليه القرآن وأدبه) وتقدم ما يتعلق بهذه الآية فى كتاب الاوراد والادعية (فكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام) بن عامر الانصارى المدنى ابن عم أنس بن مالك روى عن أبيه وعائشة وعنه زرارة بن أوفى والحسن وحميد بن هلال قال النسائى ثقة وذكر البخارى انه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله روى له البخارى حديثا واحدا والباقون (دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن) أى ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده الى غير ذلك وقال القاضى أى خلقه كان جميع ما فصل فى القرآن فان كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا اليه فقد تحلى به وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه فكان القرآن بيان خلقه وقال فى الديباج معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بامثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته وقال السهروردى فى العوارف فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشم الراوى الحضرة الالهية ان يقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبر الراوى عن المعنى بقوله كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وذا من وفور العقل وكمال الادب وبذلك عرف ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معانى القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر اه قال العراقى رواه مسلم ووهم الحاكم فى قوله انهما لم يخرجاه اه قلت ورواه كذلك أحمد وأبو داود (وانما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقوله تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) وأمثال ذلك وهى كثيرة وفى أدب الاملاء لابن السمعانى من حديث ابن مسعود رفعه أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية وأخرج القشيرى نحوه فى التحبير (ولما كسرت رباعيته) وهو على وزن ثمانية السن التى بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف أيضا (وشج) وجهه (يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه) ولفظ أنس وجعل يمسح وجهه (ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال العراقى رواه مسلم من حديث أنس وذكره البخارى تعليقا اه قلت وكذلك رواه ابن اسحق فى سيرته من طريق حميد عن

أنس و رواه أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعى قال بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما جرح يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف دمه وقال لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى المواهب اللدنية جرح وجهه عبد الله بن قمئة وعتبة بن أبى وقاص أخو سعد وهو الذى كسر رباعيته وروى ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه وعند الطبرانى من حديث أبى امامة قال رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله تعالى شرها كلها قال فى فتح البارى وهذا مرسل قوى ويحتمل ان يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة (تأديباته على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تنحصر وهو صلى الله عليه وسلم المقصود الاوّل بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن فتأدب به وأدب الخلق به ولذلك قال) صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) قال العراقى رواه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وقد تقدم فى آداب الصحبة قلت رواه مالك فى الموطأ بلاغا عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ انما بعثت وقال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة مرفوعا منها ما أخرجه أحمد فى مسنده والخرائطى فى أوّل مكارم الاخلاق من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ صالح الاخلاق ورجاله رجال الصحيح وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عن جابر مرفوعا بلفظ ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال (ثم رغب الخلق فى محاسن الاخلاق) وفى بعض النسخ فى حسن الخلق (بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق) وسيأتى ان شاء الله تعالى قريبا (فلا نعيده هنا ثم لما أكمل الله خلقه أثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما أعظم شانه وأتم امتنانه) وأعم احسانه (ثم انظر الى عميم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد أشار السهروردى الى ذلك فى العوارف فقال وما انطوى عليه من جميل الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى أصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق أنواره من قلبه الى أن وصل لاعظم غاية وأتم نهاية (ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق) وفى لفظ معالى الاخلاق (ويبغض سفسافها) وفى لفظ ويكره وفى آخر ان الله يحب معالى الامور واشرافها والسفساف بالفتح ما يطير من غبار الدقيق والتراب اذا نثر والمراد حقيرها ورديئها أى من اتصف من عبيده بالاخلاق الزكية أحبه ومن تخلق بالاوصاف الردية كرهه وقد خلق سبحانه لكل من القسمين أهلا لما أن بنى آدم تابعون للتربة التى خلقهم منها فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة على الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها والتربة الخبيثة نفوسها التى خلقت منها مطبوعة على الصعوبة والشح والحقد وما أشبهه وقد علم مما تقرر ان العبد انما يكون فى صفات الانسانية التى فارق بها غيره من الحيوانات والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتهم الى معالى الامور واشرافها التى هى صفات الملائكة فحينئذ ترتفع همته الى العالم الرضوانى وتنساق الى الملا الروحانى قال العراقى رواه البيهقى من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات اهـ قلت ولفظ معالى الاخلاق رواه الطبرانى فى الكبير باللفظ الاخير من حديث الحسين بن على بن أبى طالب وفيه خالد بن الياس ضعيف

تأديباته على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تنحصر وهو عليه السلام المقصود الاوّل بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وادب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق فى محاسن الاخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما أعظم شانه وأتم امتنانه ثم انظر الى عميم وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها

قال على رضى الله عنه ياعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وماهو خير منه لما أتى بسبايا طيئ وقعت جارية فى السبى فقالت يامحمد ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائى فقال صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما الترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو

(وقال على) بن أبى طالب (رضى الله عنه ياعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وماهو خير منه لما أتى سبايا طيئ) القبيلة المعروفة وكان ذلك فى ربيع الاول سنة تسع من الهجرة فى سرية على رضى الله عنه الى القلس بفتح القاف وسكون اللام وهو اسم صنم لطيئ وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مائتى رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشيأ (وقعت جارية فى السبى) وهى سفانة بنت حاتم الطائى أخت عدى بن حاتم (فقالت يامحمد ان رأيت ان تخلى عنى ولا تشمت بى احياء العرب فانى بنت سيد قومى) تعنى به حاتم بن عدى بن الحشرج فانه كان ساد قومه بالجود والسخاء والمروءة وحسن الخلق كما قالت (وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى) أى الاسير (ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط) واخباره فى ذلك مشهورة (أنا ابنة حاتم الطائى فقال) صلى الله عليه وسلم (ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما الترحمنا عليه) أى لانه مات فى الجاهلية قبل البعثة (خلوا عنها) أى لانها كانت مربوطة بحبل خوفا من الفرار (فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق) فاطلقوها فاسلمت وكان ذلك سبب اسلام أخيها عدى وعند ابن سعد ان الذى كان سباها خالد بن الوليد (فقام أبو بردة) هانئ (بن نيار) بكسر النون بعدها تحتية خفيفة ابن عمرو ابن عبيد بن كلاب بن غنم بن هبيرة البلوى حليف الانصار صحابى وهو خال البراء بن عازب وقيل عمه شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ويقال فى اسمه الحرث بن عمرو وقيل مالك بن هبيرة مات سنة احدى وأربعين وقيل بعدها روى له الجماعة (فقال يارسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق) قال العراقى الحديث المرفوع منه رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول بسند ضعيف اهـ قلت روى القصة بطولها وفيها الحديث المذكور الخرائطى فى مكارم الاخلاق قال الحافظ فى الاصابة وفى سنده من لا يعرف وقال محمد بن اسحق فى المغازى أصابت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا طيئ فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت فى حضيرة بباب المسجد فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله ومضى حتى مر ثلاثا قالت فأشار الى رجل من خلفه ان قومى فكلميه فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علىّ منّ الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك فآذنينى فسألت عن الرجل الذى أشار الى فقيل على بن أبى طالب وقدم ركب من بلى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومى قالت فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت على أخى فقال ماترين هذا الرجل قلت أرى ان تلحق به قال الحافظ فى الاصابة قال ابن الاثير كذا رواه يونس ولم يسم سفانة وسماها غيره ورواه عبد العزيز بن أبى رواد بنحوه وزاد وكانت أسلمت وحسن اسلامها وأخرجه أبو نعيم من طريقه وأخرج قصتها الطبرانى وسماها (وعن معاذ بن جبل) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك) أى من محاسن الاعمال (حسن المعاشرة) مع الناس (وكرم الصنيعة) أى حسنها (ولين الجانب) وهو كناية عن التواضع (وبذل المعروف) وهو اسم عام جامع للخير كله وبذله اعطاؤه وقيل المراد به القرض (واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم) أى المشى خلفها حتى تدفن (وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم) أى تعظيمه (واجابة) الداعى لدعوة (الطعام والدعاء عليه والعفو) عمن

اجترأ

اجترأ عليه (والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ماحرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف) وفي بعض النسخ واذهب الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف (كلها) وتقدم الكلام على المعازف في الكتاب الذي قبله واختلافهم فيها (وكل ذي وتر وكل ذي دخل) وهو مابفتح فسكون التاء وكسر الدخل لبني تميم وفتحها لاهل الحجاز وفيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس (والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم) قال العراقي الحديث بطوله لم اقف له على أصل ويغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث (قال أنس) بن مالك (رضي الله عنه فلم يدع) صلى الله عليه وسلم (نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا ولا شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية) قال العراقي لم أقف له على اسناد وهو صحيح من حيث الواقع اهـ قلت والذي يظهر لي من سياق المصنف ان الحديث المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ فتأمل وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق الحرث العطلي عن أبيه قال مر علي بن أبي طالب بقوم يتحدثون فقال فيم أنتم قالوا نتذاكر المروءة فقال أوما كفاكم الله عز وجل ذلك في كتابه اذ يقول ان الله يأمر بالعدل والاحسان فالعدل الانصاف والاحسان التفضل فما بقي بعد هذا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحبونه الا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وانما نهى عن سفاسف الاخلاق ومذامها (وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه (أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصي اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد وتقدم في آداب الصحبة اهـ قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن أبي عاصم ثنا يعقوب ابن حميد ثنا ابراهيم بن عيينة عن اسمعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاذ انطلق وارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك الى اليمن فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال يامعاذ اني أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تكذب صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصي اماما عادلا يامعاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر واحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية رواه ابن عمر نحوه أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه ثنا الحسن بن معروف ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش ثنا أبي عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث معاذا الى اليمن ركب معاذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي الى جانبه يوصيه فقال يامعاذ أوصيك وصية الاخ الشفيق أوصيك بتقوى الله وذكر نحوه وزاد وعد المريض واسرع في حوائج الارامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف الناس من نفسك وقل الحق ولا تخف في الله لومة لائم. قلت وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق نوح بن ذكوان عن عبد الله الدمشقي عن مكحول

والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ماحرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو قال شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصي اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية

الشامى عن معاذ فذكره بطوله مع زيادة قال والمتهم به ركن قال ابن معين ليس بشئ وقال النسائى والدارقطنى متروك وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به قلت والذى ساقه أبو نعيم ليس فيه ركن (فهكذا أدّب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب)

(بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار)

(فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس) قال العراقى رواه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن ابزى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل وروى أبو حاتم وابن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة اسلام زيد بن سعنة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا عمر كل علامات النبوّة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدّة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرهما الحديث اه قلت روى هذه القصة أيضا الطبرانى والحاكم وابن حبان والبيهقى وأبو الشيخ فى الاخلاق كلهم من الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جدّه عن عبد الله بن سلام قال قال زيد بن سعنة ما من علامات النبوّة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا خصلتين يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لان أخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ثوبه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر أى عدوّ الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربتك بسيفى رأسك ورسول الله ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوّة كنت قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما فذكرهما ثم قال أشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورجال الاسناد موثقون وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن السرى الراوى له عن الوليد وثقه ابن معين ولينه أبو حاتم وقال ابن عدى محمد كثير الغلط قال الحافظ فى الاصابة وقد وجدت لقصته شاهدا من وجه آخر لكن لم يسم فيه قال ابن سعد حدثنا يزيد ثنا جرير بن حازم حدثنى من سمع الزهرى يحدث ان يهوديا قال فما كان بقى من نعت محمد فى التوراة الا رأيته الا الحلم فذكر القصة وقال الواسطى لما سئل لاى شئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق قال لانه خلق روحه أوّلا فوقع له صحة التمكين والاستقرار (و) كان صلى الله عليه وسلم (أشجع الناس) قال العراقى متفق عليه من حديث أنس اه قلت ولفظهما كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس والاقتصار على هذه الثلاثة من جوامع الكلم فانها أمهات الاخلاق اذ لا يخلو كل انسان من ثلاثة قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوية وكمالها الجود والعقلية وكمالها النطق بالحكمة (و) كان صلى الله عليه وسلم (أعدل الناس) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم اه قلت وفى هذا الحديث قبل جملة لا يقصر معتدل الامر غير مختلف والمعنى أن جميع أقواله وأفعاله على غاية الاستواء والاعتدال وهى مع ذلك محفوظة عن أن يصدر منه فيها أمور متخالفة الحامل متناقضة الاواخر والاوائل وقوله لا يقصر عن الحق من التقصير والقصور أى فى سائر أحواله حتى يستوفيه لصاحبه وان علم منه شحا فيه ولا يعطى فيه رخصة ولا تهاونا ولا يجاوزه أى ولا يأخذ أكثر منه وهذا شأن العدل ومنهم من فسر الجملتين بقوله أى لا افراط فيه ولا تفريط فيه وهذا هو معنى العدل اذ هو

فهكذا أدب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب

(بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار)

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس

الامر المتوسط بينهما ومعنى أعدل الناس أى أكثرهم عدلا (و) كان صلى الله عليه وسلم (أعف الناس) أى أكثرهم عفة وهى بالكسر حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة ولذلك قال (لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه) قال العراقى رواه الشيخان من حديث عائشة ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها اهـ قلت أخرجه البخارى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عائشة وأخرجه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق بلفظ قال معمر فأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وأخرجه البخارى تعليقا ومسلم والنسائى وابن ماجه من طريق يونس بن يزيد عن الزهرى وفيه قالت عائشة ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط غير انه يبايعهن بالكلام قالت عائشة ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما أمره الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول لهن اذا أخذ عليهم قد بايعتكن كلاما هذا لفظ مسلم وأخرجه مسلم وأبو داود من طريق مالك عن الزهرى ما مس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط الا أن يأخذ عليها فاذا أخذ عليها فأعطته قال اذهبى فقد بايعتك والمفهوم من هذه الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لم تمس يده قط يد امرأة غير زوجاته وما ملكت يمينه لا فى مبايعة ولا فى غيرها واذا هو لم يفعل ذلك مع عصمته وانتفاء الريبة فى حقه فغيره أولى بذلك والظاهر انه كان يمتنع من ذلك لتحريمه عليه فانه لم يعد جوازه من خصائصه وقد قال الفقهاء من أصحاب الشافعى وغيرهم انه يحرم مس الاجنبية ولو فى غير عورتها كالوجه وان اختلفوا فى جواز النظر حيث لا شهوة ولا خوف فتنة فتحريم المس آكد من تحريم النظر ومحل التحريم ما اذا لم تدع الى ذلك ضرورة والا فقد أجازوه ودخل فيما لا يملكه المحارم وذلك على سبيل التورع وليس ذلك ممتنعا فى حقه صلى الله عليه وسلم وان اقتضت عبارة النووى فى الروضة امتناعه حيث قال ويحرم مس كل ما جاز النظر اليه من المحارم وحكى الاسنوى فى المهمات الجواز واليه يشير قول المصنف أو تكون ذات محرم منه والذى ذكره الرافعى وغيره انه لا يجوز للرجل مس بطن أمه ولا ظهرها ولا أن يغمز ساقها ولا رجلها ولا أن يقبل وجهها وقد يكون لفظ الحديث من العموم المخصوص أو يدعى دخول المحارم فيما لا يملك مسه لان المراد يملكه الاستمتاع به وهو بعيد (و) كان صلى الله عليه وسلم (أسخى الناس) أى أكثرهم سخاء قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان انه منكر وفى الصحيحين من حديثه كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وقد تقدم فى الزكاة اهـ قلت حديث أنس تقدم قريبا وفى حديث آخر سنده ضعيف أنا أجود بنى آدم وهو بلا ريب أجودهم مطلقا كما أنه أكملهم فى سائر الاوصاف ولان جوده لله تعالى فى اظهار دينه بل كان بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته (لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط فان فضل) أى بقى شئ (ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل) أى أتاه فجأة (لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه) قال العراقى رواه أبو داود من حديث بلال فى حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع قلائص وكانت عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفى دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده وفيه قال فضل شئ قلت نعم ديناران قال انظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى اذا كان فى آخر النهار جاءه راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى اذا صلى العتمة دعانى قلت ما فعل الذى

وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شئ ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه

قبلك فقال قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقة من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعه حتى جاء أزواجه الحديث وللبخارى من حديث عقبة بن الحرث ذكرت وأنا فى الصلاة تبرا فكرهت أن يمسى و يبيت عندنا فأمرت بقسمته ولابن عبيد فى غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا كان لا يقيل مال عنده ولا يبيته (ولم يأخذ مما آتاه الله الاقوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير و يضع باقى ذلك فى سبيل الله) قال العراقى متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم فى الزكاة اه ولا تعارض بينه و بين ما روى عنه انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر قوت غد رواه أبوداود والترمذى فان معناه لنفسه واما لعياله فقد كان يدخر لهم قوت سنة على انه مع ذلك كان تنوبه أشياء يخرج منها ما ادخر لهم فلا تنافى بين ادخاره ومضى الزمن الطويل عليه وليس عنده شئ له ولا لهم و يشير الى ذلك سياق المصنف فيما بعد حيث قال (لا يسئل شيأ الا أعطاه) قال العراقى رواه الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه ان الرجل الذى سأله الشملة فقال له القوم سألته اياها وقد علمت انه لا يرد سائلا الحديث ولمسلم من حديث أنس ما سئل على الاسلام شيأ الا أعطاه وفى الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيأ قط فقال لا اه قلت و رواه الحاكم من حديث أنس بلفظ لا يسئل شيأ الا أعطاه أو سكت ولله در القائل حيث يقول يمدحه صلى الله عليه وسلم

ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

و روى أحمد من حديث ابن أسيد الساعدى كان لا يمنع شيأ يسأله وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك كما سيأتى للمصنف تفصيله ومن ذلك مما لم يذكره جاءته امرأة يوم حنين أنشدته شعرا تذكره أيام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ماقيمته خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله (ثم يعود على قوت عامه) الذى ادخره لعياله (فيؤثر منه) على نفسه وعياله (حتى لربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شئ) قال العراقى هذا معلوم و يدل عليه ما رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لاهله وقال ابن ماجه بثلاثين صاعا من شعير واسناده جيد وللبخارى من حديث عائشة توفى ودرعه مرهونة عند يهودى اه قلت هذا اليهودى هو أبو الشحم والجمع بين الروايتين انه أخذ منه أولا عشرين ثم عشرة ثم رهنه اياها على الجميع فمن روى العشرين لم يحفظ العشرة الاخرى ومن روى الثلاثين حفظها على ان روايتها أصح وأشهر فكانت أولى بالاعتبار وهذا يدل على غاية تواضعه صلى الله عليه وسلم اذ لو سأل مياسير أصحابه فى رهن درعه لرهنوها على أكثر من ذلك فاذا ترك سؤالهم وسأل يهوديا ولم يبال بان منصبه الشريف يابى أن يسال مثل يهودى فى ذلك فدل على غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق مرتبته وفيه دليل على ضيق عيشه صلى الله عليه وسلم لكن عن اختيار لا عن اضطرار لان الله تعالى فتح عليه فى أواخر عمره من الاموال ما لا يحصى وأخرجها كلها فى سبيل الله وصبر هو وأهل بيته على مر الفقر والضيق والحاجة التامة (وكان) صلى الله عليه وسلم (يخصف النعل) أى يصلحها بترقيع وخرز (و يرقع الثوب) أى يضع لما وهى منه رقعة أخرى يخيطها به (و يخدم فى مهنة أهله) المهنة بالكسر وأنكرها الاصمعى وقال الكلام بالفتح يقال هو فى مهنة أهله أى فى خدمتهم وخرج فى ثياب مهنته أى فى ثياب خدمته التى يلبسها فى أشغاله وتصرفاته قال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة كان يخصف نعله و يخيط ثوبه و يعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ و يرقع الثوب وللبخارى من حديث عائشة كان يكون فى مهنة أهله اه قلت وروى الترمذى فى الشمائل كان يفلى ثوبه أى يلقط ما فيه من القمل ونحوه وظاهر ذلك أن نحو القمل كان يؤذى بدنه الشريف الا أن يقال لا يلزم من التفلية وجوده بالفعل ونقل ابن سبع انه لم يكن القمل يؤذيه تعظيما له و روى أبو نعيم فى الحلية من

لا يأخذ مما آتاه الله الاقوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير و يضع سائر ذلك فى سبيل الله لا يسئل شيأ الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شئ وكان يخصف النعل و يرقع الثوب و يخدم فى مهنة أهله

حديث عائشة كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (ويقطع اللحم معهن) قال العراقي رواه احمد من حديث عائشة ارسل الينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالت فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعنا وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأيم الله مامن الثلاثين ومائة الاحزله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها (وكان) صلى الله عليه وسلم (من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها اه قلت ورواه كذلك الترمذي في الشمائل والعذراء البكر لان عذرتها وهي جلدة بكارتها باقية والخدر بالكسر ستر يجعل لها في جنب البيت تكون فيه وحدها حتى عن النساء وهي فيه أشد حياء منها خارجه اذ الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فعلم أن المراد الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التي تكون عليها حين انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه وفيه شأن عظيم في حيائه صلى الله عليه وسلم وان الحياء من الاوصاف المحمودة المطلوبة المرغب فيها وقد جمع له صلى الله عليه وسلم الغريزي والمكتسب الذي هو مناط التكليف فكان في الغريزي أشد حياء من البكر في خدرها ومن ذلك ماروي انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد (و) كان صلى الله عليه وسلم (يجيب دعوة العبد والحر) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه وللدارقطني في غرائب مالك والخطيب في أسماء رواة مالك من حديث أبي هريرة كان يجيب دعوة العبد الى أي طعام دعي ويقول لودعيت الى كراع لاجبت وهذا بعمومه دال على اجابة دعوة الحر وهذه القطعة الاخيرة عند البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس الا أجابه الحديث وهو مرسل اه (و) كان صلى الله عليه وسلم (يقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها) قال العراقي روى البخاري من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الارنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل انها أرسلت بقدح من اللبن الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه ولاحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اه قلت والذي رواه البخاري من جهة قبول الهدية والاثابة عليها رواه كذلك أحمد وأبوداود والترمذي في السنن وفي الشمائل ومعنى يثيب عليها أي يجازي عليها فيسن التأسي به صلى الله عليه وسلم ولكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها وندب الاثابة حيث لم يظن المهدي اليه أن المهدي انما أهدى له حياء لا في مقابل فاما اذا ظن أن الباعث عليه انما هو الاثابة فلا يجوز له الا ان أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن حاله وقد تقدم البحث في ذلك في باب هدايا الامراء (و) كان صلى الله عليه وسلم (يأكلها) أي الهدية (ولا يأكل الصدقة) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم ورواه أحمد والطبراني من حديث سلمان ورواه ابن سعد من حديث عائشة (و) كان صلى الله عليه وسلم (لا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين) هكذا في النسخ وفي نسخة العراقي لا يستكبر أن يمشي مع المسكين وقال رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصحبة ورواه الحاكم أيضا من حديث أبي سعيد وقال صحيح على شرط الشيخين اه قلت ولفظ النسائي كان لا يأنف أن يمشي مع الارملة والمسكين وبهذا يظهر أن الذي في سياق المصنف من ذكر الامة تحريف من النساخ والصواب الارملة ثم وجدت في البخاري أن كانت الامة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعند أحمد فتنطلق به في حاجتها وعنده أيضا كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت

ويقطع اللحم معهن وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين

(و) كان صلى الله عليه وسلم (يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم اهـ قلت ومعناه لا تغضبه العوارض المتعلقة بها الناشئة عن غلبة الهوى والنفس واستيلاء الشيطان على القلب بتزيين زخارفها الزائلة الفانية عنده حتى يؤثرها على الكمالات الباقية وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أى للتمتع بلذاتها وشهواتها وقوله لم يقم لغضبه أى لم يقاومه شئ لانه انما يغضب للحق وهو لا قدرة للباطل على مقاومته وقوله لا ينتصر لها أى لانه ليس فيه حظ من حظوظها وشهواتها وانما تمحضت حظوظه وأغراضه وارادته لله فهو قائم بها ممتثل لما أمره به فيها (وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه) أشار به الى قصة أبى جندل ابن سهيل بن عمرو وهى عند البخارى فى قصة الحديبية وذكرها فى الشروط مطولة كذا وجد بخط الحافظ ابن حجر فى طرة كتاب شيخه وقد أغفله العراقى (عرض عليه) صلى الله عليه وسلم (الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال انا لا انتصر بمشرك) وفى نسخة انا لا انتصر بالمشركين أو قال بمشرك قال العراقى رواه مسلم من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان تذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال جئت لاتبعك وأصيب معك قال له تؤمن بالله ورسوله فقال لا قال فارجع فلن نستعين بمشرك الحديث اهـ قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بلفظ انا لا نستعين بمشرك ورواه أحمد أيضا والبخارى فى التاريخ من حديث خبيب بن سياف بلفظ انا لا نستعين بالمشركين على المشركين وروى البيهقى من حديث أبى حميد الساعدى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى جاوز ثنية الوداع اذا كتيبة خشناء قال من هؤلاء قال عبد الله بن أبى فى ستمائة من مواليه بنى قينقاع قال وقد أسلموا قالوا لا قال فليرجعوا انا لا نستعين بالمشركين على المشركين (ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف) أى لم يجر (عليهم ولا زاد على مر الحق) أى لم يتجاوز عن الحق الذى هو مر (بل وداه) أى القتيل من عنده (بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به) قال العراقى متفق عليه من حديث سهل بن أبى حثمة ورافع بن خديج والرجل الذى وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الانصارى (وكان) صلى الله عليه وسلم (يعصب الحجر على بطنه من الجوع) قال العراقى متفق عليه من حديث جابر فى قصة حفر الخندق وفيه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا وأغرب ابن حبان فقال فى صحيحه انما هو الحجزة بضم الحاء وآخره زاى جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك ويرد عليه ما رواه الترمذى من حديث أبى طلحة شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثقات اهـ قلت وقد استشكل بما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال انى لست كأحدكم انى أطعم وأسقى وفى رواية يطعمنى ربى ويسقينى وبهذا تمسك ابن حبان فى حكمه ببطلان الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع قال وانما هو الحجز بالزاى وهو طرف الازار وما يغنى الحجر عن الجوع ويجاب بان هذا خاص بالمواصلة فكان اذا واصل يعطى قوة الطاعم والشارب أو يطعم ويسقى حقيقة على الخلاف فى ذلك وأما فى غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك فوجب الجمع بين الاحاديث بحمل الاحاديث الناصة على جوعه على غير حالة المواصلة وروى ابن أبى الدنيا أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة الحديث وفى الصحيح من حديث جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم هذه كدية عرضت فى الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام

يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال أنا لا أنتصر بمشرك ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع

لا نذوق ذواقا الحديث وقد رواه أيضا أحمد والنسائى فقد علم بما تقرر أن الصواب صحة الاحاديث وقد رد الضياء المقدسى قول ابن حبان المتقدم فى رسالة عد فيها أوهامه وعد ذلك من جملتها وحكمة شد الحجر انه يسكن بعض ألم الجوع لان البطن اذا خلا ضعف صاحبه عن القيام بتقوس ظهره فاحتيج لربط الحجر لشده واقامة صلبه ومما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم انه مع تألمه بالجوع ليضاعف له الاجر حفظ قوته ونضارة جسمه حتى انه من رآه لا يظن به جوعا بل كان جسمه الشريف مع ذلك يرى أشد نضارة ورونقا من أجسام المترفهين بنعيم الدنيا (يأكل ماحضر) لديه (ولا يرد ماوجد) وفى كتاب الشمائل لابى الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الاوزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبالى مارددت به عنى الجوع وهذا معضل قاله العراقى قلت وقد رواه ابن المبارك فى الزهد عن الاوزاعى كذلك (ولا يتورع من مطعم حلال) ففى الترمذى من حديث أم هانئ قالت دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شئ قلت لا الا خبز يابس وخل فقال هاتى الحديث ولمسلم من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا ماعندنا الا الخل فدعا به الحديث (وان وجد تمرا دون خبز أكله) روى مسلم والترمذى من حديث أنس قال رأيته مقعيا يأكل تمرا وروى أبو داود من حديث أنس قال كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه (وان وجد شواء أكله) روى الترمذى فى السنن وصححه وكذا فى الشمائل من حديث أم سلمة انها اخرجت اليه جنبا مشويا فأكل منها الحديث (وان وجد خبز بر أو شعير أكله) وروى الشيخان من حديث عائشة ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله لفظ مسلم وفى رواية له ماشبع من خبز شعير يومين متتابعين وللطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس كان يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزهم الشعير وروى الترمذى فى الشمائل كان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة (وان وجد حلوا أو عسلا أكله) وروى الشيخان والاربعة من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل والحلواء يمد ويقصر كل مافيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم وقال الخطابى الحلواء يختص بما دخلته الصنعة وقال ابن سيده هى ماعولج من الطعام بحلو وقد تطلق على الفاكهة وقال الثعالبى فى فقه اللغة ان حلواءه صلى الله عليه وسلم التى كان يحبها هى المجيع وهى تمر يعجن بلبن وقال الخطابى لم تكن محبته صلى الله عليه وسلم للحلواء على معنى كثرة التشهى لها وشدة نزع النفس وانما كان ينال منها اذا احضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه (وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به) وروى الشيخان من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضمض (وان وجد بطيخا أو رطبا أكله) روى الحاكم من حديث أنس قال كان يأكل الرطب ويلقى النوى فى الطبق وروى النسائى من حديث عائشة قالت كان يأكل الرطب بالبطيخ واسناده صحيح ولفظ الترمذى كان يأكل البطيخ بالرطب وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد والطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر وزاد أبو داود والبيهقى فى حديث عائشة ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا وروى الطبرانى فى الاوسط والحاكم وأبو نعيم فى الطب من حديث أنس قال كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة اليه (لا يأكل متكئا) تقدم فى الباب الاول من كتاب آداب الاكل وروى أحمد من حديث ابن عمر وكان لا يأكل متكئا ولا يطأ عقبه رجلان (ولا يأكل على خوان) تقدم أيضا فى الباب المذكور وهو بالكسر ويضم المائدة عليها طعام معرب يعتاد بعض المترفهين والمتكبرين الاكل عليه احترازا عن خفض رؤسهم فالاكل عليه بدعة لكنها جائزة (منديله باطن قدمه) قال العراقى لا أعرفه من فعله وانما المعروف فيه مارواه ابن ماجه من حديث جابر كنا زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا مانجد الطعام فاذا وجدناه لم تكن لنا مناديل الا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم

يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر أو شعير أكله وان وجد حلوا أو عسلا أكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا أو رطبا أكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه

لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لافقرا ولابخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلاحارس أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر

في الطهارة (لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله عز وجل) رواه الشيخان من حديث عائشة ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وقد تقدم قريبا (ايثارا) منه للغير (على نفسه لافقرا ولابخلا) لان الله تعالى فتح عليه في أواخر عمره من الاموال مالايحصى وأخرجها كلها في سبيل الله وصبرهو وأهل بيته على الفقر والضيق والحاجة التامة (يجيب الوليمة) وهي طعام العرس وتقدم قوله لودعيت الى كراع لاجبت وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس ان كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب واسناده ضعيف وقد تقدم قريبا (ويعود المرضى) حتى لقد عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وقصته في البخاري وروى أبوداود من حديث عائشة كان يعود المريض وهو معتكف (ويشهد الجنائز) روى الترمذي وابن ماجه وضعفه والحاكم وصححه من حديث أنس قال كان يعود المريض ويشهد الجنائز ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف وقال صحيح الاسناد وفي الصحيحين وغيرهما عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز منها حديث جابر عندهما قال مرضت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأبوبكر رضي الله عنه وهماماشيان الحديث وقد أخرجه الشيخ أبوداود (ويمشي وحده بين أعدائه بلاحارس) قال العراقي رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمني الله قال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد (أشد الناس تواضعا) اعلم أن العبد لايبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل والتخشع الا اذا أدام تجلي نور الشهود في قلبه لانه حينئذ يذيب النفس ويصفيها عن غش الكبر والعجب فتلين وتطمئن للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر الى قدرها ولما كان الحظ الاوفر من ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تواضعا وحسبك شاهدا على ذلك ان الله سبحانه خيره بين أن يكون ملكا نبيا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا ومن ثم لم يأكل متكئا بعد وقال آكل كما يأكل العبد حتى فارق الدنيا ولم يقل لشئ فعله أنس خادمه أف قط وماضرب أحدا من عبيده وامائه وهذا أمر لايتسع له الطبع البشري لولا التأييد الالهي قال العراقي روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم متواضع في غير ذلة وسنده ضعيف وفي الاحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائي من حديث ابن أبي أوفى كان لايأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين الحديث وقد تقدم اه قلت ومنها ماروى عن عائشة ما كان أحسن خلقا منه مادعاه أحد من أصحابه الاقال لبيك وكان يركب الحمار ويردف خلفه وفي مختصر السيرة للطبري انه كان ركب حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة فقال أحملك فقال ماشئت يارسول الله فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب فقال له مثل ذلك فقال لا والذي بعثك بالحق مارميتك ثالثا وانه كان في سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل علي ذبحها وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها فقال صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره ان أتميز عليكم وان الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه اه وروى ابن عساكر القصة الاخيرة مختصرة وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان في الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه ناولني أصلحه لك فقال هذه أثرة ولا أحب الأثرة وفي الشفاء انه صلى الله عليه وسلم خدم وفد النجاشي فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم فكل هذه الاخبار دالة على شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم (وأسكنهم) أي أكثرهم سكونا (في غير كبر) قال العراقي روى أبوداود وابن ماجه من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رؤسنا الطير ولاصحاب السنن

وأبلغهم فى غير تطويل وأحسنهم بشرا لايهوله شئ من أمور الدنيا ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة بردحبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده

من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير وفى الشمائل للترمذى أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا وفى الشمائل لابى الحسن بن الضحاك من حديث أبى سعيد الخدرى دائب الاطراق وسنده ضعيف أى دائم السكون وقوله كأنما على رؤسهم الطير كناية عن كونهم عند كلامه صلى الله عليه وسلم على غاية تامة من السكوت والاطراق وعدم الحركة والالتفات أوعن كونهم مهابين مدهوشين فى هيئتهما ان كلامه عليه ابهة الوحى وجلالة الرسالة وأصل ذلك ان سليمان عليه السلام كان اذا أمر الطير بأن تظلل أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة أوعن كونهم متلذذين بكلامه وأصل ذلك ان الغراب يقع على رأس البعير يلقط عنه صغار القردان فيسكن سكون راحة ولذة ولايحرك رأسه خوفا من طيرانه عنه وهذه الحالة لهم انما هى من تخلقهم باخلاقه صلى الله عليه وسلم اذ كان صلى الله عليه وسلم لكمال استغراقه بالمشاهدة فى سكون دائم واطراق ملازم (وأبلغهم) أى أكثرهم بلاغة فى الكلام (من غير تطويل) قال العراقى روى الشيخان من حديث عائشة كان يحدث حديثا لوعده العاد لاحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخارى ووصله مسلم زاد الترمذى ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس اليه وله فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضول ولاتقصير (وأحسنهم بشرا) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله فى الجامع من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء مارأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لهيعة (لايهوله شئ من أمور الدنيا) يقال هاله الشئ اذاراعه وأعجبه قال العراقى روى أحمد من حديث عائشة ماأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ من الدنيا ولا أعجبه أحد قط الا ذوتقى وفى لفظ له ماأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ولاأعجبه شئ من الدنيا الا أن يكون منها ذوتقى وفيه ابن لهيعة (ويلبس ماوجد) من غير قيد (فمرة) يلبس (شملة ومرة بردحبرة يمانية ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس) قال العراقى روى البخارى من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة ببردة قال سهل هل تدرون ماالبردة هى الشملة منسوج فى حاشيتها وفيه فخرج الينا وانها لازاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى شملة قدعقد عليها فيه الاحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين (وخاتمه فضة) متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (يلبسه فى خنصره الايمن) رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه وللبخارى من حديثه فانى لارى بريقه فى خنصره ولان التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بهما أولى وأحق وبه قال أبو حنيفة والشافعى (و) تارة فى خنصره (الايسر) لبيان الجواز روى مسلم وأحمد عن أنس كان خاتمه صلى الله عليه وسلم فى هذه وأشار لخنصر يساره وروى أبو داود من حديث عمر كان صلى الله عليه وسلم يتختم فى يساره وهو مذهب مالك ورواية عن أحمد وقد انتصر بعضهم لافضلية التختم فى اليسار حتى قال بعض الحفاظ التختم بها مروى عن عامة الصحابة والتابعين والجواب ان حديث التختم فى اليمين رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى قال محمد يعنى البخارى هذا أصح شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب واذا كان حديثه أصح وكان هو الموافق للمعروف من حاله صلى الله عليه وسلم انه كان يؤثر اليمين بكل مافيه تكريم وزينة فلامحيد عن اعتماد أفضلية التختم فى اليمين (يردف خلفه عبده) أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو فى الصحيحين

أيضا من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه (أوغيره) أردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو فى الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمرو وغيرهم من الصحابة قاله العراقى وروى أبوداود وغيره ان قيس بن سعد صحبه راكبا حمارا بيه فقال له اركب فأبى فقال له اما أن تركب واما أن تنصرف وفى رواية اركب امامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها وتقدم ركوب أبى هريرة خلفه على حمار عرى وهو متوجه الى قباء عن السيرة الطبرية قريبا (يركب ما أمكنه مرة فرسا) روى الشيخان من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة ولمسلم من حديث سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها اللحيف (ومرة بعيرا) روى الشيخان من حديث البراء ومن حديث ابن عباس طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على بعير (ومرة بغلة شهباء) روى الشيخان من حديث البراء رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يوم حنين (ومرة حمارا) روى الشيخان من حديث أسامة انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمارا كاف الحديث (ومرة راجلا) اى ماشيا على الرجل فروى الشيخان من حديث ابن عمر كان يأتى قباء راكبا وماشيا (ومرة حافيا) أى بلا نعل (ومرة بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة) روى مسلم من حديث ابن عمر فى عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشى فى السباخ (يحب الطيب) وفى نسخة زيادة والرائحة الطيبة (ويكره الرائحة الرديئة) وفى نسخة الروائح الرديئة اعلم انه صلى الله عليه وسلم كان طيب الرائحة دائما وان لم يمس طيبا ومن ثم قال أنس ماشممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والبزار بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مر من طريق وجد منه رائحة المسك وقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق ومع ذلك كان يحب الطيب والروائح الطيبة روى النسائى والطبرانى والخطيب من حديث أنس حبب الى النساء والطيب ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وروى أبوداود والحاكم من حديث عائشة انها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرف وجد ريح الصوف فخلعها وكان تعجبه الريح الطيبة لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه الاريح طيبة (ويجالس الفقراء) روى أبوداود من حديث أبى سعيد جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين ان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وفيه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث ولابن ماجه من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث فى نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية واسنادهما حسن (ويؤاكل المساكين) روى البخارى من حديث أبى هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون الى أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها فاذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم) روى الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم الحديث وللطبرانى من حديث جرير فى قصة اسلامه فالقى الى كساء ثم أقبل على أصحابه ثم قال اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الانصارى نحوه وقال صحيح الاسناد (ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم) روى الحاكم من حديث ابن عباس كان يجل العباس اجلال الولد الوالد وله من حديث سعد بن أبى وقاص انه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله عز وجل

أوغيره يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم

أخرجكم وأسكنه قال في الاول صحيح الاسناد وسكت في الثاني وفيه مسلم الملائي وهو ضعيف قال العراقي فأشار عليا لفضله بتقدم اسلامه وشهوده بدرا والله أعلم قلت ووجدت بخط الحافظ ابن حجر مانصه في مسند أحمد مايدل على ان ابقاء باب علي لكونه لم يكن له باب غيره اهـ وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لايبقى في المسجد باب الاسد الاباب أبي بكر (لايجفو على أحد) روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس قلما واجه رجلا بشئ يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة ان رجلا استأذن عليه وسلم فقال بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول الحديث (ويقبل معذرة المعتذر اليه) متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق المخلفون يعتذرون اليه فقبل منهم علانيتهم الحديث (يمزح) أحيانا (ولايقول الاحقا) رواه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ قالوا انك تداعبنا قال انى لاأقول الاحقا وقال حسن قاله العراقي اعلم انه صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق حتى يظن كل أحد من أصحابه انه أحبهم اليه وهذا مبدان ليس فيه الاواجب أومستحب ولولم يكن من مباسطته لهم الا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ماعندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والاخذ عنه كان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال والحاصل ان المداعبة لاتنافي الكمال بل هي من توابعه ومتمماته اذا كانت جارية على القانون الشرعي بان يكون على وفق الصدق والحق ويقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وادخال السرور والرفق عليهم والمنهي عنه من المزاح انما هو الافراط فيه والدوام عليه لانه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب والاعراض عن ذكر الله تعالى وعن التفكر في مهمات الدين بل ربما يؤل كثيرا الى الايذاء وحقد وسقوط المهابة والوقار ومزاحه صلى الله عليه وسلم سالم من جميع هذه الامور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض أصحابه فهو بهذا القصد سنة وماقال بعضهم الاظهر انه مباح لاغير فضعيف اذ الاصل في أفعاله صلى الله عليه وسلم وجوب أوندب التأسي به فيها الالدليل يمنع من ذلك ولادليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والاصوليين هذا وقد ألقى الله سبحانه عليه المهابة ولم يؤثر فيه مزاحه ولامداعبته فقد قام رجل بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال هوّن عليك فاني لست بملك ولاجبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته وروى مسلم من حديث عمرو بن العاصي صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأت عيني منه قط حياء وتعظيما له ولوقيل لي صفه لماقدرت فاذا كان هذا حاله وهو من أجلاء أصحابه فما ظنك بغيرهم ومن ثم لولا مزيد تألفه ومباسطته لهم لماقدر أحد منهم أن يجتمع به هيبة وخوفا منه سيما عقب ماكان يتجلى عليه من مواهب القرب وعوائد الفضل لكن كان لايخرج اليهم بعد ركعتي الفجر الا بعد الكلام مع عائشة أو الاضطجاع بالارض اذلوخرج اليهم على حالته التي تجلى بها من القرب في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك مما يكل اللسان عن وصف بعضه لما استطاع بشر أن يلقاه فكان يتحدث معها أو يضطجع بالارض ليستأنس بجنسه أو بجنس أصل خلقه وهي الارض ثم يخرج اليهم بحالة يقدرون على مشاهدتها رفقا بهم ورحمة لهم (يضحك من غير قهقهة) روى الشيخان من حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته انما كان يتبسم والترمذي من حديث عبدالله بن الحرث بن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسما وقال صحيح غريب ولفظه في الشمائل لايضحك الا تبسما وله في الشمائل أيضا من حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم وقوله الاتبسما جعله من الضحك مجازا اذهو مبدؤه فهو كجعل السنة من النوم ومعنى قوله فتبسم ضاحكا من قولها أي شارعا في الضحك اذهو انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور ثم ان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة والافالضحك وان كان بلاصوت فهو التبسم وروى الترمذي في الشمائل

لايجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولايقول الاحقا يضحك من غير قهقهة

من حديث أبي ذر في حديث ساقه وفيه ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قيل المراد منه المبالغة في كونه ضحك فوق ما كان يصدر عنه وفيه دليل على أن الضحك في مواطن التعجب لا يكره ولا يخرم المروءة اذا لم يجاوز به الحد المعتاد ولا ينافي هذا ما مر من حديث عائشة لانها انما نفت رؤيتها وأبو ذر أخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي والحاصل من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك والمكروه من ذلك الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار (يرى اللعب المباح فلا ينكره) روى الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرفدة وقد تقدم في كتاب السماع (ويسابق أهله) رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة في الباب الثالث من كتاب النكاح (ترفع الاصوات عليه) هكذا في النسخ وعند العراقي عنده (فيصبر) قال العراقي روى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اه قلت وكذلك رواه ابن المنذر وابن مردويه وروى البخاري وابن المنذر أيضا والطبراني عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب من بني تميم فساقه وأخرجه الترمذي من هذا الطريق قال وحدثني عبد الله بن الزبير به وأخرجه ابن جرير مثله (وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها) روى محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن أو قالت أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الجد ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بذي الجدر فيئوب الينا ألبانها بالليل الحديث وفي اسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الاكوع كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد الحديث ولابي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا نريد ان تزيد فاذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس) روى محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن واسناده ضعيف وروى أيضا ان أبا بكر بن حزم كتب الى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وآنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأبا مويهبة وزرافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري باسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه ولمسلم من حديث أبي اليسر أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون الحديث (لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه لصلاح نفسه) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي كان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (يخرج الى بساتين أصحابه) تقدم في الباب الثالث من آداب الاكل خروجه صلى الله عليه وسلم الى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري وغيرهما (لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا) روى البخاري من حديث سهل بن سعد مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب أن ينكح الحديث وفيه فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الارض مثل هذا ولمسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب

يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق أهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا

الى كسرى وقيصر والنجاشى والى كل جبار يدعوهـم الى الله عز وجل (قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى) منسوب الى بطن الام (لا يكتب ولا يقرأ) تقدم الكلام فيه فى كتاب العلم (نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم) اذ كانا قد توفيا من قبل أن يكبر (فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه الفوز والنجاة فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول) هذا كله معروف معلوم فروى الترمذى فى الشمائل من حديث على فى صفته وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه الحديث وفيه فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان لا يخزن لسانه الا فيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والاكثار ومالا يعنيه الحديث وقد تقدم بعضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم فى العلم وللبخارى من حديث ابن عباس اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ولاحمد وابن حبان من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة ان جعفرا قال للنجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة الحديث ولاحمد من حديث أبى ابن كعب انى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر فاذا كلام فوق رأسى الحديث وللبخارى من حديث أبى هريرة كنت أرعاها أى الغنم على قراريط لاهل مكة ولابى يعلى وابن حبان من حديث حليمة انما كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما *(تتمة)* قال الحليمى فى شعب الايمان من تعظيمه صلى الله عليه وسلم أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا ومن ثم أنكر بعضهم اطلاق الزهد فى حقه ولقد قيل لمحمد بن واسع فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها ونقل السبكى عن الشفاء وأقره ان فقهاء الاندلس أفتوا بقتل من استخف بحقه صلى الله عليه وسلم فسماه أثناء مناظرته باليتيم وزعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لاكلها وذكر البدر الزركشى عن بعض الفقهاء انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفى أمر دنياه فى نفسه وعياله وكان يقول فى قوله اللهم أحينى مسكينا المراد به استكانة القلب لا المسكنة الشرعية وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك (وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين) أى استجب (رب العالمين)

(بيان جملة أخرى من أخلاقه)

الزكية وشمائله السنية (وآدابه) المرضية (مما رواه أبو البخترى) سعيد بن فيروز الطائى مولاهم قال ابن معين ثبت وقال أبو زرعة وأبو حاتم وابن معين أيضا ثقة زاد أبو حاتم صدوق قال ابن معين لم يسمع من على شيأ وقال أبو داود لم يسمع من أبى سعيد وقال هلال بن خباب كان من أفاضل أهل الكوفة قال أبو نعيم مات فى الجماجم سنة ثلاث وثمانين روى له الجماعة (قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة) وفى نسخة العراقى الا جعلها الله وقال متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فأى المؤمنين شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة وفى رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفى رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفى رواية فاجعل ذلك له كفارة يوم القيامة (وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة) قال العراقى المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس لم يكن فحاشا ولا لعانا وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى (وقيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا) رواه مسلم من حديث أبى هريرة وروى البخارى فى التاريخ بلفظ انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا (وكان اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له) روى الشيخان من حديث أبى هريرة قالوا يا رسول الله ان

قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين يا رب العالمين

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

مما رواه أبو البخترى قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وكان اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له

دوساقد كفرت وأبت فادع عليها فقيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوساوات بهم ولما أذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون (وما ضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شئ صنع اليه قط الا أن تنتهك حرمة الله) رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي ولا ضرب بيده شيأ قط الا أن يجاهد ولا ضرب خادما ولا امرأة وما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها مالم تنتهك محارم الله وفي المتفق عليه من حديث عائشة نحو ذلك وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة وروى الحاكم مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر أي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيأ قط الا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيأ قط فمنعه الا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه من شئ الا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم (وما خير بين أمرين قط الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك) أي اما بأن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الاخف أو في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد واما بأن يخيره المنافقون أو الكفار فعلى هذا قوله الا أن يكون فيه اثم الخ رواه البخاري والترمذي في الشمائل والطبراني من حديث عائشة ولفظ البخاري مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ولفظ الترمذي مأثما ولفظ الطبراني مالم يكن لله فيه سخط (وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه في حاجته) روى البخاري تعليقا من حديث أنس ان كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت ووصله ابن ماجه وقال وما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم قريبا وتقدم أيضا حديث ابن أبي أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين حتى يقضي لهما حاجتهما (وقال أنس) خادمه رضي الله عنه (والذي بعثه بالحق ما قال لي في شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر) روى الشيخان من حديثه ما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب الاخلاق من حديثه قال فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئ كان وفي رواية له كذا قضي (قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب ليس بفظ الى أن قال ولا عياب رواه الترمذي في الشمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس ما عاب على شيأ قط وفي الصحيحين من حديث ابن عمر اضطجاعه على حصير وللترمذي وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه الحديث اهـ قلت وقد رواه الطبراني عنه بأبسط من ذلك وهو انه دخل عليه في غرفة كأنها بيت حمام أي لشدة حرها وهو نائم على حصير أثر في جنبه فبكى فقال ما يبكيك يا عبد الله قال يا رسول الله كسرى وقيصر ينامون على الديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير وقد أثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الآخرة وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم نظير ذلك لكن بزيادة لم يكن عليه غير ازار وانه كان مضطجعا على خصفة وان بعضه لعلى التراب (وقد وصفه الله تعالى في التوراة) الذي أنزل على موسى عليه السلام (قبل أن يبعثه) بمدة طويلة (في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار) أي اخترته من بين عبادي (لا فظ ولا غليظ ولا صخاب) من الصخب بالصاد والسين والخاء محركة هو الضجر واضطراب الاصوات للخصام (في الاسواق) أي لانه ليس مما ينافس في الدنيا وجمعها حتى يحضر الاسواق لذلك فذكرها انما هو لكونها محل ارتفاع الاصوات لذلك لا لاثبات الصخب في غيرها أو لانه اذا انتفى فيها انتفى في غيرها بالاولى والمراد بالمبالغة هنا

وما ضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما انتقم من شئ صنع اليه قط الا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه في حاجته وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامني نساؤه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق

أصل الفعل (ولايجزى بالسيئة السيئة) ولما كان ذلك موهما انه ترك الجزاء عجزا فاستدركه بقوله (ولكن يعفو) أى بباطنه (ويصفح) يعرض بظاهره امتثالا لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (مولده بمكة وهجرته بطابة) وهو من أسماء المدينة المنورة (وملكه بالشام) المراد به الاقليم (يأتزر على وسطه) أى يستعمل الازار كما هو من عادة العرب (هو ومن معه) من أصحابه (رعاة القرآن والعلم) أى حملة لهما وحفظة يرعونهما حق الرعاية بالفهم والحفظ والعمل بما فيه (يتوضأ على أطرافه) أى يغسل أطرافه عند الوضوء أخرج البيهقى فى الدلائل من حديث فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت له أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر الحديث وفى لفظ له ولا صخاب فى الاسواق وفيه ولكن يعفو ويصفح رواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح ورواه البيهقى نحو ذلك من حديث عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفيه ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز ومن طريق محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أم الدرداء انها سألت كعبا عن صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق الحديث ورواه من طريق المسيب عن نافع عن كعب قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وأخرجه البيهقى من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته وآبائه انه كانت عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وفيها الامة تاتى فى آخر الزمان يسلون أطرافهم ويتزرون على أوساطهم الحديث (وكذلك نعته فى الانجيل) من جهة بعثته ومهاجرته وما خصه الله من أوصافه أخرج البيهقى فى الدلائل من طريق العيزار بن حريث عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح وقد ذكر ذلك صاحب الشفاء وغيره وأوسع شراحه الكلام فيه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث عائشة لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح (وكان من خلقه) صلى الله عليه وسلم (أن يبدأ من لقيه بالسلام) رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام وكذا روى الطبرانى والبيهقى وفى لفظ ويبتدر بدل يبدأ (ومن قاومه) وفى بعض النسخ فاوضه (لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف) رواه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على ولابن ماجه من حديث أنس كان اذا لقى الرجل فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف ورواه الترمذى نحوه وقال غريب قلت ورواه ابن سعد فى الطبقات من حديث أنس بلفظ كان اذا لقيه أحد من أصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه (وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ) رواه الترمذى وابن ماجه فى حديث أنس الذى قبله كان اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع وقال غريب قاله العراقى قلت ورواه ابن سعد فى الطبقات بلفظ واذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله اياه ثم لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها منه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشابكه ثم شد قبضته) روى أبو داود من حديث أبى ذر وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم اذا لقيتموه قال ما لقيته قط الا صافحنى الحديث وفيه الرجل الذى من عنزة ولم يسم وسماه البيهقى فى الادب عبد الله ورويناه فى علوم الحديث للحاكم من حديث أبى هريرة قال شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عند مسلم بلفظ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى قاله العراقى

ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة للقرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته فى الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها

وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان أكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس يجلس وما رئ قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد الا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه

قلت وقد وقع لنا مسلسلا بالمشابكة من طريق أبي العباس جعفر بن محمد المستغفرى قال حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكى وشبك بيدى أخبرنا أبو الحسن محمد بن طالب وشبك بيدى قال حدثنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن بن بكر بن عبد الله بن الشرود الصغانى وشبك بيده قال شبك بيدى أبى وقال أبى شبك بيدى أبى وقال شبك بيدى ابراهيم بن أبى يحيى قال شبك بيدى صفوان بن سليم قال شبك بيدى أيوب بن خالد قال شبك بيدى عبد الله بن رافع قال شبك بيدى أبو هريرة قال شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وقال خلق الله سبحانه وتعالى الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة وقد روى عن عبد العزيز بن الحسن بن بكر جماعة على المتابعة محمد بن أحمد بن سعيد القاضى ومحمد بن ابراهيم بن زوزان الحارثى وأبو بكر محمد بن الحسن بن ابراهيم بن فيل الانطاكى ومحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة البغدادى ومحمد بن محمد مهدى القشيرى وأحمد بن على بن الحسن المقرى وخيثمة بن سليمان الاطرابلسى وآخرون ورواه كذلك عن بكر بن عبد الله بن الشرود أيوب بن سالم وعن ابراهيم بن أبى يحيى محمد بن همام وأصل الحديث مخرج فى صحيح مسلم كما أشار اليه العراقى رواه من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج عن اسمعيل بن امراقية عن أيوب ابن خالد وقول المصنف بداءه بالمصافحة أى بعد السلام لما روى الطبرانى فى الكبير من حديث جندب كان اذا لقى أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم وقوله ثم شد قبضته قال بعض الشيوخ أراد بذلك زيادة المحبة وتأكيدها وقد وقع لنا كذلك مسلسلا فى بعض طرق المصافحة (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى) روى الترمذى فى الشمائل من حديث على فى حديثه الطويل فى صفته وقال على ذكر بالتكبير ويفهم من عموم حديث كان يذكر الله على كل احيانه (وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته) قال العراقى لم أجده أصلا قلت ولكن روى أحمد فى مسنده عن رجل من الصحابة قال كان مما يقول للخادم ألك حاجة وهذا يدل اذا جاءه الخادم وجده فى الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة وهو من جملة مكارم الاخلاق اذ لا يأتيه فى ذلك الوقت الا لحاجة فاذا طول فى الصلاة فقد أوقعه فى الانتظار (وكان) صلى الله عليه وسلم (أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة) روى أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيده واسناده ضعيف وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيده قاله العراقى قلت وحديث أبى سعيد رواه أيضا البيهقى وفيه احتبى بيديه ورواه البزار وزاد ونصب ركبتيه وفى بعض نسخ أبى داود اذا جلس فى المسجد وقول العراقى واسناده ضعيف أشار به الى أنهم رووه من طريق عبد الله بن ابراهيم الغفارى عن اسحق الانصارى عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن ابى سعيد قال أبو داود الغفارى منكر الحديث وقال الذهبى فى المهذب انه ليس بثقة وقال الصدر المناوى فى ربيح عن أحمد انه غير معروف ثم الاحتباء هو جمع الساقين الى البطن مع الظهر باليدين عوضا عن جمعهما بالثوب وفى بعض الاخبار الاحتباء حيطان العرب فاذا أرادوا الاستناد احتبوا لان الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار (ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه) روى أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل الحديث (لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس) رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل (وما روئى) صلى الله عليه وسلم (قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد الا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه) قال العراقى رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وللترمذى وابن ماجه لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف

(وكان) صلى الله عليه وسلم (أكثر ما يجلس مستقبل القبلة) وكان يحث أصحابه بذلك ويقول أكرم المجالس ما استقبل به القبلة كما رواه الطبراني في الاوسط وابن عدى من حديث ابن عمر (وكان) صلى الله عليه وسلم (يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه) اكراما له وتأليفا لقلبه روى الحاكم وصحح اسناده من حديث أنس دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ بردته فالقاها اليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة وللطبراني في الكبير من حديث جرير فألق الى كساءه ولابي نعيم في الحلية فبسط الى رداءه وأما من بينه وبينه قرابة فروى الخرائطي في مكارم الاخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي صلى الله عليه وسلم ان عميرا يعني أباه جاء والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد فبسط له رداءه فقال اجلس على ردائك يا رسول الله قال نعم فانما الخال والد واسناده ضعيف ويروى عن القاسم عن عائشة ان الاسود بن وهب خال النبي صلى الله عليه وسلم استأذن عليه فقال يا خال أدخل فبسط رداءه وكذا وقع لامه وأخيه وأبيه من الرضاعة كما هو مذكور في السير (وكان) صلى الله عليه وسلم (يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته) وهي المفرشة لا المخدة (فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل) أي يقبل تقدم في الثالث من آداب الصحبة (وما استصفاه أحد الا ظن انه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة) رواه الترمذي في الشمائل في حديث على الطويل وفيه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه وفيه ومجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة (قال) الله (تعالى) ممتنا عليه في كتابه العزيز (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) خلاه بحسن الاخلاق ثم امتن عليه بذلك يقال رجل فظ غليظ القلب أي شديد وقد فظ فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه والانفضاض التفرق (ولقد كان) صلى الله عليه وسلم (يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم) ففي الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولابي يعلى الموصلي من حديث سعد بن أبي وقاص فقال من هذا أبو اسحق فقلت نعم (ويكنى من لم تكن له كنية) باكبر أولاده وتارة وان لم يولد له (فكان يدعى بما كناه به) تبركا بكنيته الشريفة روى الحاكم من حديث ابن عباس انه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر انه لاول يوم كناني فيه بابي حفص وقال صحيح على شرط مسلم وفي الصحيح انه قال لعلي يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك ان أبا حسن وجد مغصا في بطنه الحديث يريد عليا وله أيضا من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له وروى الترمذي من حديث أنس قال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أجتنيها يعني أبا حمزة قال حديث غريب ولابن ماجه ان عمر قال لصهيب مالك تكتني وليس لك ولد قال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي يحيى وللطبراني من حديث أبي بكرة تدليت ببكرة من الطائف فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكرة (وكان) صلى الله عليه وسلم (يكنى أيضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى) روى الحاكم من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة الحديث ولابن ماجه من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كل أزواجك كنيت غيري قال فأنت أم عبد الله وفيه مولى الزبير لم يسم ورواه أبو داود باسناد صحيح نحوه وللبخاري من حديث أم خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم خالد هذا سناه وكانت صغيرة (ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم) ففي الصحيحين من حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاخ له صغير يا أبا عمير ما فعل النغير (وكان) صلى الله عليه وسلم (أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا) هذا من المعلوم ويدل على ذلك اخباره صلى الله عليه

وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه أحد الا ظن انه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكنى أيضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا

وسلم ان بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفىء ه رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وقد تقدم (وكان) صلى الله عليه وسلم (أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس) هذا من المعلوم ور وينا فى الجزء الاول من فوائد أبى الدحداح من حديث على فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (ولم يكن ترفع فى مجلسه الاصوات) لانهم كانوا على غاية الخضوع والتأدب والاطراق كأنما على رؤسهم الطير رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام) أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل عن أحمد بن محمد عن زين العابدين بن عبد القادر الطبرى عن أبيه أخبرنى جدى يحيى بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن أخبرنا الشهاب الحجازى أخبرنا أبو الفضل العراقى أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أحمد بن محمد الحلبى أخبرنا يوسف بن خليل أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفى أخبرنا الحسن بن أحمد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا اسمعيل بن عبد الله ثنا سعيد بن الحكم ثنا خلاد بن سليمان حدثنى خالد بن أبى عمران عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها. قالت ما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ولا تلا قرآنا ولا صلى الا ختم ذلك بكلمات فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلى صلاة الا ختمت بهؤلاء الكلمات قال نعم من قال خيرا كن طابعاله على ذلك الخير ومن قال شرا كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك أخرجه النسائى فى اليوم والليلة عن محمد بن اسمعيل بن عسكر عن سعيد بن الحكم به فوقع لنا بدلا له عاليا وأخرجه أيضا الحاكم فى المستدرك من حديث رافع بن خديج وقد تقدم فى الاذكار والدعوات

(بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم) (كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول انا أفصح العرب) روى أبو الحسن الضحاك فى الشمائل وابن الجوزى فى الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى أنا أعرب العرب واسناده ضعيف وللحاكم من حديث عمر قال قلت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث وفيه على بن الحسين بن واقد مختلف فيه وفى كتاب الرعد والمطر لابن أبى الدنيا فى حديث مرسل ان اعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما رأيت الذى هو أفصح منك (وان أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم) روى الحاكم من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربى وروى الطبرانى فى الاوسط من طريق شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبى هريرة رفعه أنا عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وسنده ضعيف (وكان) صلى الله عليه وسلم (نزر الكلام) أى قليله عند الحاجة اليه سيأتى بعد هذا من حديث عائشة (سمح المقالة اذا نطق ليس بهذار) وهو الرجل الكثير الكلام (وكان كلامه كخرزات النظم) روى الطبرانى من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن حلوا لمنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم وفى الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لاحصاه (قالت عائشة رضى الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا) رواه البخارى ومسلم (كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا) رواه الخلعى فى فوائده من حديث عائشة باسناد منقطع (قالوا وكان) صلى الله عليه وسلم (أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كل ما أراد) من المعانى (وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه) قال العراقى

وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس ولم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام

(بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول أنا أفصح العرب وان أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظم قالت عائشة رضى الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كل ما أراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه

وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق

روى عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الاول متفق عليه قال البخاري بلغني في جوامع الكلم ان الله جمع له الامور الكثيرة في الامر الواحد والامرين ونحو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظنيها وروى الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بعثت بجوامع الكلم ولابي داود من حديث جابر كان في كلامه صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقال الترمذي يحفظه كل من جلس اليه وقال النسائي في اليوم والليلة يحفظه من سمعه واسناده حسن اه قلت روى العسكري في الامثال من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي عن جعفر بن محمد عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا وهو مرسل في سنده من لم يعرف والديلمي بلا سند من حديث ابن عباس مثله بلفظ أعطيت والحديث بدل الكلم وعند البيهقي في الشعب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة ان عمر مر برجل يقرأ كتابا من التوراة فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت فاتحا وخاتما وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصارا وللطبراني من طريق أبي الدرداء قال جاء عمر فذكره ولابي يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال كنت عند عمر فجاءه رجل فذكره وفيه قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصارا وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ أعطيت فواتح وفي لفظ مفاتيح وفي آخر جوامع الكلم ونصرت بالرعب ومن حديث سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي هريرة بلفظ أعطيت جوامع الكلم وفي لفظ بعثت بجوامع الكلم ومن طريق أبي موسى مولى أبي هريرة عن مولاه بلفظ أوتيت جوامع الكلم ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ أعطيت ومن حديث عطاء بن السائب عن أبي جعفر عن أبيه عن علي في حديث أعطيت خمسا ففيه وأعطيت جوامع الكلم وفي حديث أبي موسى الاشعري أعطيت فواتح الكلم وخواتمه ونص البخاري في الصحيح فيما رواه عن ابن شهاب قال بلغني في جوامع الكلم ان الله يجمع له الامور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الامر الواحد والامرين ونحو ذلك وحاصله انه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بالقول الوجيز القليل اللفظ الكثير المعاني وقال سليمان بن عبد الله النوفلي كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة وقال غيره يعني القرآن بقرينة قوله بعثت والقرآن هو الغاية في ايجاز اللفظ واتساع المعاني وقال آخر القرآن وغيره مما أوتيه في منطقه فبان به من غيره بالايجاز والابلاغ والسداد ودليل هذا كان يعلمنا جوامع الكلم وفواتحه (وكان) صلى الله عليه وسلم (جهير الصوت) قال العراقي روى الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بينما نحن عنده اذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نحو من صوته هاؤم الحديث وقال أحمد في مسنده وأجابه نحوا مما تكلم به الحديث فقد يؤخذ منه انه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وانما رفع صوته رفقا بالاعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر (أحسن الناس نغمة) روى الشيخان من حديث البراء ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه (وكان) صلى الله عليه وسلم (طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة) وبذلك وصف ابدال هذه الامة لا يتكلمون الا عن ضرورة رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة (ولا يقول المنكر) من القول وحاشاه من ذلك (ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق) روى أبو داود من حديث عبد الله ابن عمر وقال كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا

ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه أنزل على وجوه وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فاراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يارسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين

تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه الى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا الحق ورواه الحاكم وصححه (ويعرض عمن تكلم بغير جميل) روى الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث (ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره) فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخاري من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض خذي فرصة ممسكة فتطهري بها الحديث (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا سكت تكلم جلساؤه) كذا في سائر النسخ وبخط الحافظ ابن حجر اذا جلس (ولا يتنازع عنده في الحديث) أي لا يتخاصم فيه رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث أي ذلك من عظيم أدبهم في حضرته صلى الله عليه وسلم وخضوعهم بين يديه واجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم علو شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم بأخلاقه صلى الله عليه وسلم (ويعظ بالجد والنصيحة) روى مسلم من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض) روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن ان القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض وفي رواية للهروي في ذم الكلام ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض (فانه نزل على وجوه) ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان هذا القرآن أنزل على سبعة احرف (وكان) صلى الله عليه وسلم (أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما حدثوا به وخلطا لنفسه بهم) روى الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني الا تبسم وللترمذي في الشمائل من حديث علي يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ولمسلم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه) أي أضراسه وقيل أربع آخر الاسنان كل منهم يسمى ضرس العقل لانه لا ينبت الا بعد البلوغ وقيل أنيابه وقيل ضواحكه وفي القاموس هي أقصى الاسنان او الانياب أو التي على الانياب أو الاضراس قيل ضحكه الى أن يبدو آخر أسنانه بعيد من شيمته فلذا قيل المراد المبالغة في كون ضحكه هذا فوق ما كان يصدر ويؤيده قول الجوهري حتى بدت نواجذه اذا استغرب منه وقد جاء ذلك في المتفق عليه من حديث ابن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الحبر الذي قال ان الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة المجامع في رمضان وغير ذلك وفي كل ذلك دليل على أن الضحك في مواطن التعجب سيما اذا هو في مثل تعجبه صلى الله عليه وسلم لا يكره ولا يخرم المروأة اذا لم يتجاوز به الحد المعتاد وقد تقدم الكلام عليه قريبا (وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبسم (قالوا وقد جاءه أعرابي) أي من سكان البادية (يوما وهو صلى الله عليه وسلم متغير) لونه (ينكره أصحابه فأراد أن يسأله) في شيء (فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يارسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب) اليد (في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا) أي امتلأت (آمنت بالله) وحده (وكفرت به) يعني الدجال (قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما أغنى به المؤمنين) قال العراقي وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله صلى الله عليه وسلم في المتفق

عليه

عليه من حديث المغيرة بن شعبة حين سأله انهم يقولون انه معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم يقولون معه جبال من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما ان معه ماء ونارا الحديث (قالوا وكان) صلى الله عليه وسلم (من أكثر الناس تبسما) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما منه وقد تقدم قريبا (وأطيبهم نفسا) روى الطبراني في الكبير من حديث أبي امامة كان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا ولا ينافيه ما تقدم من انه كان لا يضحك الا تبسما لان التبسم كان أغلب أحواله أو كل راو روى بحسب ما شاهد أو أولا كان لا يضحك ثم صار آخرا لا يضحك الا تبسما وروى ابن عساكر من حديث أنس كان من أفكه الناس (مالم ينزل عليه قرآن أو تذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة) روى الطبراني في مكارم الاخلاق من حديث جابر كان اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا وفيه ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ ولاحمد من حديث علي أو الزبير كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة وكان اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه وفيه عبد الله بن سلمة مختلف فيه ورواه يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم كان اذا خطب (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا) في الصحيحين في حديث كعب بن مالك قال وهو يبرق وجهه من السرور وفيه وكان اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه كان اذا رضي كأنما يلاحظ الجدر وجهه واسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار (وان وعظ وعظ بجد) أي من غير تهاون (وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها) روى مسلم من حديث جابر كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه الحديث وللترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا نزل به الامر فوض الامر) الى الله تعالى (وتبرأ من الحول والقوة) الى حول الله وقوته (واستنزل الهدى فيقول اللهم أرني الحق حقا فاتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم) قال العراقي لم أقف لاوله على أصل وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم انك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه الا بك فاعطنا منها ما يرضيك عنا وفيه ولهان بن خبير ضعفه الازدي وان لمسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه الى آخر الحديث

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد) تقدم قريبا (وكان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف) محركة (ما كثرت عليه الايدي) قال العراقي رواه أبو يعلى والطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل من حديث جابر باسناد حسن أحب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدي ولابي يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم الا على ضفف واسناده جيد اه قلت وحديث جابر رواه أيضا ابن حبان والبيهقي والضياء (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة) قال العراقي أما التسمية فرواها النسائي من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعاما قال بسم الله الحديث واسناده صالح وأما بقية الحديث فلم أجده (وكان) صلى الله عليه وسلم (كثيرا اذا جلس يأكل

قالوا وكان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة وكان اذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم أرني الحق حقا فاتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد وكان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل

يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان يأكل مما يليه

يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجمع المصلي) في حال صلاته (الا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) قال العراقي رواه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل احتفز وقال آكل كما يأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وأفعل كما يفعل العبد وروى أبو الشيخ في الاخلاق بسند جيد من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكئ أورده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبزار من حديث ابن عمر انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولابي يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد واسنادهما ضعيف اه قلت وروى بسند حسن أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا وانما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا لله تعالى ومن ثم قال انما أنا عبد الخ وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان الله يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا أو نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير له فأومأ اليه ان تواضع فقال لا بل عبدا نبيا قال فما أكل متكئا ووصله النسائي قال ما روئي النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط والسنة أن يجلس جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى قال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع ظهر اليمنى على بطن قدمه اليسرى تواضعا لله عز وجل وأدبا بين يديه قال وهذه الهيئة أنفع الهيآت للاكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يأكل) الطعام (الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فأبردوه) قال العراقي روى البيهقي من حديث أبي هريرة باسناد صحيح أتي النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولاحمد باسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فنفضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فاحرقت أصابعه فقال حس وللطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فان الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أتي بصحفة تفور فرفع يده منها وقال ان الله لم يطعمنا نارا وكلاهما ضعيف اه قلت حديث الطبراني في الاوسط رواه من طريق هشام بن عمار حدثنا عبد الله بن يزيد البكري عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة وحديثه فيه وفي الصغير معا رواه من طريق هشام عن البكري المذكور بن قال حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء المدني حدثنا بلال بن أبي هريرة عن أبيه فساقه وفي لفظ فأشرع يده فيها ثم رفع يده وقال لم يرو عن بلال الا يعقوب ولا عنه الا عبد الله تفرد به هشام وبلال قليل الرواية عن أبيه اه والبكري ضعفه أبو حاتم ولابن ماجه من طريق علي بن مسهر عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ أتي يوما بطعام سخن فأكل منه فلما فرغ قال الحمد لله ما دخل وساقه كسياق البيهقي وروى الديلمي من طريق عبد الصمد بن سليمان عن قزعة بن سويد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعا أبردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه ولابي نعيم في الحلية من طريق يوسف بن أسباط عن صفوان بن سليم عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا وان الحار لا بركة له وللطبراني في الكبير بسند فيه من لم يسم عن جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره الطعام حتى يذهب فوره ودخانه وأما حديث خولة فرواه كذلك ابن منده في معرفة الصحابة كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع عنها وفيه بعد قوله فقبضها وقال يا خولة لا نصبر على حر ولا برد الحديث لفظ البيهقي والطبراني (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل مما يليه) قال العراقي رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفي اسناده رجل لم

يسم وسماه فى روايته له وكذلك البيهقى فى روايته فى الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثورى وقال البيهقى تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولابى الشيخ من حديث عبدالله بن جعفر نحوه اه قلت وروى البخارى فى التاريخ عن جعفر بن أبى الحكم مرسلا كان اذا أكل لم تعد أصابعه مابين يديه ورواه أبونعيم فى المعرفة عن الحكم بن رافع بن يسار ورواه الطبرانى فى الكبير عن الحكم بن عمرو الغفارى وروى الخطيب من حديث عائشة كان اذا أتى بطعام أكل مما يليه واذا أتى بالتمر جالت يده ثم ان الاكل مما يلى الآكل على الندب على الاصح وقيل على الوجوب لانه من الحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة وانتصر له السبكى ونص عليه الشافعى فى الرسالة ومواضع من الام ومحل الكراهة أو الحرمة ان لم يعلم رضا من يأكل معه والا فلا لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يتتبع الدباء من حوالى القصعة كما سيأتى لانه علم ان أحدا لا يكره ذلك ولا يستقذره ومن أجاب بانه كان يأكل وحده مردود بان أنسا كان يأكل معه على أن قضية كلام الاصحاب ان الاكل مما يليه سنة وان كان وحده ويفهم من خبر عائشة السابق التفصيل فى الطعام والتمر وفيما اذا كان الطعام لونا واحدا فلا يتعدى الاكل مما يليه واذا كان أكثر يتعداه ولا ضرر فى نحو التمر ولا تقذر وبحث بعضهم التعميم غفلة عن المعنى وعن السنة والله أعلم (ويأكل بأصابعه الثلاث) الابهام والسبابة والوسطى قال العراقى رواه مسلم من حديث كعب بن مالك اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى فى الشمائل ولفظهم جميعا كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها ورواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث بالابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام (وربما استعان بالرابعة) قال العراقى رويناه فى الغيلانيات من حديث عامر ابن ربيعة وفيه القاسم بن عبدالله العمرى هالك وفى مصنف ابن أبى شيبة من رواية الزهرى مرسلا كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس اه قلت حديث عامر بن ربيعة رواه أيضا الطبرانى فى الكبير ولفظه كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة وأما مرسل الزهرى فمحمول على المائع وذلك لان الاقتصار على الثلاث محله ان كفت والا فكما فى المائع زاد بحسب الحاجة (ولم يكن) صلى الله عليه وسلم (يأكل بأصبعين ويقول ان ذلك أكلة الشياطين) قال العراقى رواه الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف لاتأكل بأصبع فانه أكل الملوك ولاتأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث اه قلت ورواه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول بلفظ لاتأكلوا بهاتين وأشار بالابهام والمشيرة كلوا بثلاث فانها سنة ولاتأكلوا بالخمس فانها أكلة الاعراب (و) يروى انه صلى الله عليه وسلم (جاءه عثمان ابن عفان) رضى الله عنه (بفالوذج) وهو اسم أعجمى لنوع من الحلواء (فأكل منه وقال ماهذا يا أبا عبد الله) قال ابن عبد البر يكنى أبا عبدالله وأبا عمرو كنيتان مشهورتان وأبو عمرو أشهرهما قيل انه ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا فسماه عبدالله واكتنى به ومات ثم ولد له عمرو فاكتنى به الى أن مات قال وقد قيل انه كان يكنى أبا ليلى (قال بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل فى البرمة) وهى بالضم قدر من فخار (ونضعها على النار حتى نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة) أى لبابها (اذا طحنت فنقليه على السمن والعسل ثم نسوطه) أى نحركه بالسوط (حتى ينضج) أى يستوى (فيأتى كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب) قال العراقى المعروف ان الذى صنعه عثمان الخبيص رواه البيهقى فى الشعب من حديث ليث بن أبى سليم قال أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقى والعسل الحديث وقال هذا منقطع وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عبدالله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة وعليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال لاصحابه كلوا هذا الذى تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه باسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال أول

ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل بأصبعين ويقول ان ذلك أكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال ماهذا يا أبا عبدالله قال بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل فى البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الطعام طيب

وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب وبالملح وكان أحب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب

ما سمعنا بالفالوذج ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أمتك تفتح عليهم الارض ويفاض عليهم من الدنيا حتى انهم ليأكلون الفالوذج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما الفالوذج قال يخلطون السمن والعسل جميعا قال ابن الجوزى فى الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له اه قلت أخرجه ابن الجوزى من طريق ابن أبى الدنيا قال حدثنى ابراهيم بن سعد الجوهرى ثنا أبو اليمان عن اسمعيل بن عياش عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى عن ابن عباس فذكره وفى رواية أخرى بزيادة فشهق النبى صلى الله عليه وسلم شهقة قال وهذا حديث باطل لا أصل له ومحمد بن طلحة قد ضعفه يحيى بن معين وعثمان بن يحيى الحضرمى قال الازدى لا يكتب حديثه عن ابن عباس وقال النسائى اسمعيل بن عياش ضعيف قلت وهذا القدر الذى ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلا لا أصل له كيف وقد أخرجه ابن ماجه وغاية ما يقال ان اسمعيل ابن عياش اذا روى عن غير الشاميين فلا يحتج بحديثه وفرق بين ان يقال ضعيف وأن يقال باطل والعجب من الحافظ العراقى كيف سكت عن التعقب عليه (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل خبز الشعير غير منخول) من نخالته وفى هذا تركه صلى الله عليه وسلم التكلف والاعتناء بشأن الطعام فانه لا يعتنى به الا أهل البطالة والغفلة قال العراقى رواه البخارى من حديث سهل بن سعد اه قلت ورواه مسلم والترمذى نحوه (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل القثاء بالرطب) قال الكرمانى الباء للمصاحبة أو للملاصقة وانما يفعل ذلك لان الرطب حار رطب فى الثانية يقوى المعدة الباردة لكنه سريع التعفن مورث السدد والقثاء بارد رطب فى الثانية منعش للقوى مطفئ للحرارة ففى كل منهما اصلاح للآخر قال العراقى متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر اه قلت وكذلك رواه أحمد والاربعة الا النسائى ورواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى يمينه قثاء وفى شماله رطب وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة وسنده ضعيف (و) كان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء (بالملح) لكونه يدفع ضرره قال العراقى رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد بن كثير متروك (وكان) صلى الله عليه وسلم (أحب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب) البطيخ معروف وبتقديم الطاء على الباء لغة فيه وهل المراد به الاصفر أو الاخضر مختلف فيه كان يأكل هذا بهذا رفعا الضرر كل منهما بالآخر قال العراقى روى أبو نعيم فى الطب النبوى من رواية أمية بن زيد العبسى ان النبى صلى الله عليه وسلم يحب من الفاكهة العنب والبطيخ وروى ابن عدى من حديث عائشة فان خير الفاكهة العنب وسنده ضعيف اه قلت وقد روى ابن عدى هذا الحديث الذى ساقه المصنف بهذا اللفظ فى ترجمة عباد بن كثير الثقفى وهو ضعيف وساقه أيضا الذهبى فى ميزانه فى ترجمته ونقل تضعيفه عن جمعة وكذلك أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من حديث أبى هريرة (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل البطيخ بالخبز) قال العراقى لم أره وانما وجدت أكله العنب بالخبز فى حديث عائشة عند ابن عدى بسند ضعيف (و) يأكل تارة (بالسكر) قال العراقى ان أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتى بعده وان أريد بالسكر الذى هو بطبرزد فلم أر له أصلا الا فى حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم أكل بطيخا بسكر وفيه موسى ابن ابراهيم المروزى كذبه يحيى بن معين اه قلت قال فى المصباح السكر نوع من الرطب شديد الحلاوة قال أبو حاتم فى كتاب النخلة نخل السكر الواحدة سكرة وقال الازهرى التمر نخل السكر وهو معروف عند أهل البحرين فان كان المراد بالسكر هنا هو الطبرزدى فيتعين أن يكون المراد بالبطيخ هو الاصفر فانه الذى يؤكل به مع احتمال ارادة الاخضر الا أن ابن حجر ذكر فى شرح الشمائل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير السكر وما ورد بانه حضر ملاك بعض الانصار فنثر على العروس بالسكر واللوز فلا أصل له (وربما أكله بالرطب) قال العراقى رواه الترمذى والنسائى من حديث عائشة وحسنه الترمذى ولابن ماجه من حديث سهل بن سعد

كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ البطيخ بالرطب وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة اليه فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفاكهة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وهو ضعيف أيضا اه قلت ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر بلفظ كان يأكل البطيخ بالرطب وروى الطيالسي من حديث جابر بسند حسن كان يأكل الخبز بالرطب ويقول هما الاطيبان وهذا يؤيد قول من قال ان المراد بالبطيخ هو الاصفر وروى أبو داود والبيهقي من حديث عائشة كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا قال ابن القيم في البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شئ غير هذا الحديث الواحد (ويستعين باليدين جميعا) قال العراقي رواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى يديه رطبات وفي الاخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث اه قلت وتقدم أيضا أكله القثاء بالرطب بيديه من رواية الطبراني في الاوسط بنحوه قال العراقي ولا يلزم من هذا وثبت أكله بشماله فلعله كان يأخذ بيده اليمنى من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه فلا مانع من ذلك (وأكل) صلى الله عليه وسلم (يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة فأشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة) قال العراقي هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس باسناد ضعيف اه قلت وروى الحاكم في الاطعمة من حديث أنس كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي (وربما أكل العنب خرطا) يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه وأخذ حبه وخرج عرجونه عاريا وفي رواية ذكرها ابن الاثير خرصا بالصاد بدل الطاء أي من غير عدد (يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو) أي الرؤال بالضم (الماء الذي يتقاطر منه) قال العراقي رواه ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف اه قلت وكذا رواه الطبراني في الكبير هو والعقيلي من طريق داود بن عبد الجبار عن ابن الجارود عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رفعه كان يأكل العنب خرطا قال العقيلي داود ليس بثقة ولا يتابع عليه وأخرجه البيهقي في الشعب من طريقين ثم قال ليس فيه اسناد قوي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب بل هو ضعيف (وكان أكثر طعامه صلى الله عليه وسلم (التمر والماء) قال العراقي روى البخاري من حديث عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شبعنا من الاسودين التمر والماء (وكان) صلى الله عليه وسلم (يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين) قال العراقي روى أحمد من رواية اسمعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يتجبع لبنا بتمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماهما الاطيبين ورجاله ثقات وابهام الصحابي لا يضر اه قلت التجبيع كامير تمر يعجن بلبن وقد سبق ذكره في فقه اللغة للثعالبي وانه صلى الله عليه وسلم كان يحبه وتقدم من حديث جابر كان يأكل الخبز بالرطب ويقول هما الاطيبان (وكان أحب الطعام اليه صلى الله عليه وسلم (اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل) قال العراقي رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وللترمذي في الشمائل من حديث جابر أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا انا نحب اللحم واسناده صحيح ولابن ماجه من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم اه قلت قصة جابر وقعت في غزوة الخندق وسيأتي ذكرها عند ذكر المعجزات وهي طويلة أشار اليها الترمذي في الشمائل

ويستعين باليدين جميعا وأكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما أكل العنب خرطا يرى رؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ وكان أكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل

بقوله وفى الحديث قصة وقال الزهرى أكل اللحم يزيد سبعين قوة وقال الشافعى أكله يزيد فى العقل وعن على رضى الله عنه يصفى اللون ويحسن الخلق ومن تركه اربعين صباحا ساء خلقه وروى أبو نعيم فى الطب من حديث على سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم ورواه البيهقى من حديث بريدة بزيادة وسيد الشراب الحديث بطوله وروى الحاكم فى تاريخه من حديث صهيب بزيادة ثم الارز (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل الثريد باللحم والقرع) رواه مسلم من حديث أنس وروى أبوداود والحاكم من حديث ابن عباس كان أحب الطعام اليه الثريد من الخبز والثريد فى الحيس (وكان) صلى الله عليه وسلم (يحب القرع) وهو الدباء (ويقول انها شجرة أخى يونس عليه السلام) قال العراقى روى النسائى وابن ماجه من حديث أنس كان النبى صلى الله عليه يحب القرع وقال النسائى الدباء وهو عند مسلم بلفظ يعجبه وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة فى قصة يونس فلفظته فى أصل شجرة وهى الدباء اهـ قلت وروى الترمذى فى الشمائل من حديث أنس كان يتتبع الدباء من حوالى القصعة وعند أحمد كما عند مسلم كان يعجبه القرع وقوله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قالوا هى الدباء (قالت عائشة رضى الله عنها كان) صلى الله عليه وسلم (يقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين) قال العراقى رويناه فى فوائد أبى بكر الشافعى من حديثها ولا يصح (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل لحم الطير الذى يصاد) قال العراقى روى الترمذى من حديث الحسن قال كان عند النبى صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم آتنى بأحب الخلق اليك يأكل معى هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة وروى أبوداود والترمذى واستغربه من حديث سفينة قال أكلت مع النبى صلى الله عليه وسلم لحم حبارى (وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله) قال العراقى هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه أبوداود والترمذى والنسائى من حديث ابن عباس وقال الترمذى حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبرانى قد كانت قبلى لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد وهو ضعيف جدا (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ورفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا) روى أبوداود من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فآخذ اللحم من العظم فقال ادن العظم من فيك فانه أهنأ وأمرأ وللترمذى من حديثه انهس اللحم نهسا فانه أهنأ وأمرأ وهو والذى قبله منقطع وللشيخين من حديث أبى هريرة فتناول الذراع فنهس منها نهسة الحديث قاله العراقى والنهس والانتهاس الاخذ بمقدم الاسنان (وكان) صلى الله عليه وسلم (يأكل الخبز والسمن) متفق عليه من حديث أنس فى قصة طويلة فيها فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته الحديث وفيه ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم. وفى رواية ابن ماجه وضعت فيها شيأ من سمن ولا يصح ولابى داود وابن ماجه من حديث ابن عمر وددت ان عندى خبزة بيضاء من برة سمراء مبلغة بسمن قال أبوداود منكر (وكان) صلى الله عليه وسلم (يحب من الشاة الذراع والكتف) روى الشيخان من حديث أبى هريرة قال وضعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة اليه الحديث وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف واسناده ضعيف ومن حديث أبى هريرة لم يكن يعجبه من الشاة الا الكتف وتقدم قاله العراقى قلت وروى أحمد وأبوداود وابن السنى وأبو نعيم كلاهما فى الطب من حديث ابن مسعود كان أحب العراق اليه ذراع الشاة وحديث ابن عباس المذكور رواه أيضا أبو نعيم فى الطب وروى أبوداود أيضا من حديث ابن مسعود بلفظ كان يعجبه الذراع ولابن السنى وأبى نعيم فى الطب من حديث أبى هريرة كان يعجبه الذراعان والكتف (ومن القدر) أى المطبوخ فى القدر (الدباء) تقدم حديث أنس قبل هذا بستة أحاديث كان يحب الدباء ولابى الشيخ من حديث أنس كان أعجب الطعام

وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة أخى يونس عليه السلام قالت عائشة رضى الله عنها وكان يقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا وكان يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء

اليه الدباء (ومن الصباغ الخل) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب الصباغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل واسناده ضعيف قاله العراقي قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الطب والمراد به مايصبغ الخبز فيكون اداماله وقد ورد نعم الادام الخل (ومن التمر العجوة) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف كان أحب التمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة قاله العراقي قلت وكذا رواه أبو نعيم في الطب والمراد بالعجوة عجوة المدينة وهي أجود التمر وألينه وألذه (ودعا) صلى الله عليه وسلم (في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة) يريد المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة فكانها منها (وشفاء من السم والسحر) قال العراقي روى البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الاسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فاهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا له تمرا فقلنا له هذا الجذامي فقال بارك الله في الجذامي وفي حديقة نخرج هذا منها الحديث قال أبو موسى المدني قيل هو تمر أحمر والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر اهـ قلت وروى أبو نعيم في الطب بسند ضعيف من حديث بريدة العجوة من فاكهة الجنة وروى أحمد وابن ماجه والحاكم والديلمي من حديث رافع بن عمرو المزني العجوة والصخرة والشجرة من الجنة ولابن النجار من حديث ابن عباس العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم الحديث وأما حديث أبي هريرة الذي أورده العراقي فقد رواه أيضا أحمد وروي عن أبي سعيد الخدري وجابر رواه كذلك أحمد والنسائي وابن ماجه وابن منيع والديلمي وعندهم كلهم زيادة والكماة من المن وماؤها شفاء للعين قال الزمخشري العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحليمي معنى كونها من الجنة ان فيها شبها من ثمار الجنة في الطبع فلذلك صارت شفاء من السم وقال السمهودي لم يزل اطباق الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في ذلك وأما حديث من تصبح كل يوم الخ فقد رواه كذلك أحمد وأبو داود كلهم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه (وكان) صلى الله عليه وسلم (يحب من البقول الهندبا والباذروج) هو الريحان القرنفلي وهو الضيمران (والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة) قال العراقي روى أبو نعيم في الطب من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه مامن يوم الا وهو يقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة اهـ قلت في سند حديث ابن عباس عمرو بن أبي سلمة ضعفه ابن معين وغيره قال العراقي وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم في الطب من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك انبتي حيث شئت أنت شفاء من سبعين داء أدناها الصداع وهو مرسل ضعيف (وكان) صلى الله عليه وسلم (يكره الكليتين) تثنية كلية وهي من الاحشاء معروفة والكلوة بالواو لغة لاهل اليمن وهما بضم الاول قالوا ولا تكسر وقال الازهري الكليتين للانسان ولكل حيوان وهما منبت زرع الولد (لمكانهما من البول) أي لقربهما منه فتعافهما النفس ومع ذلك يحل أكلهما وانما قال لمكانهما من البول لانهما كما في التهذيب لحمتان حمراوان لاصقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين فهما مجاوران لتكون البول أو تجمعه قال العراقي رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين اهـ قلت وكذلك رواه ابن السني في كتاب الطب النبوي (ولا يأكل من الشاء) جمع شاة والشاة الواحدة من الغنم للذكر والانثى (سبعا) مع كونها حلالا (الذكر والانثيين) أي الخصيتين (والمثانة) وهي مجمع البول (والمرارة) وهي ما في جوف الحيوان فيها ماء أخضر قال الليث المرارة لكل ذي روح الا البعير فلا مرارة له (والغدد) جمع غدة بالضم وهي لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك

ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد

بالتحريك (والحياء) ممدود الفرج من ذوات الخف والظلف قاله ابن الاثير (والدم) غير المسفوح لان الطبع السليم يعاف هذه الاشياء وليس كل حلال تطيب النفس لاكله (ويكره ذلك) قال الخطابي الدم حرام اجماعا وعامة المذكورات معه مكروهة لا محرمة وقد يجوز أن يفرق بين القرائن التي جمعها نظم واحد بدليل يقوم على بعضها فيحكم له بخلاف حكم صواحباتها ورده أبو شامة بانه لم يرد بالدم هنا ما فهمه الخطابي فان الدم المحرم بالاجماع قد انفصل من الشاة وخلت منه عروقها فكيف يقول الراوي كان يكره من الشاة يعني بعد ذبحها سبعا والسبع موجودة فيها وأيضا فمنصبه صلى الله عليه وسلم يجل عن أن يوصف بانه كره شيأ هو منصوص على تحريمه على الناس كافة وكان اكثرهم يكرهه قبل تحريمه ولا يقدم على اكله الا الجفاة في شظف من العيش وجهد من القلة وانما وجه هذا الحديث المنقطع الضعيف انه كره من الشاة ما كان من أجزائها دما منعقدا مما يحل أكله لكونه دما غير مسفوح كما في خبر أحل لنا ميتتان ودمان فكأنه أشار بالكراهة الى الطحال والكبد مما ثبت انه أكله والله أعلم قال العراقي رواه ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلا اه قلت رواه ابن عدي من طريق فهد بن نسر عن عمر بن موسى بن وجيه عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال البيهقي بعد ان أخرجه من طريقه وعمر ضعيف ووصله لا يصح اه وقال ابن القطان عمر بن موسى متروك وقد جزم عبد الحق بتضعيفه وتبعه العراقي وأما مرسل مجاهد فأخرجه البيهقي عن سفيان عن الاوزاعي عن واصل بن أبي جميلة عنه ورواه أبو حنيفة الامام عن واصل بن أبي جميلة ورواه الطبراني في الاوسط من حديث ابن عمر وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث) قال العراقي رواه مالك في الموطا عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلا وهو عند الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتي ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه فاني أناجي من لا تناجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه اليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال لكني اكرهه من أجل ريحه اه قلت ويقاس على هؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة آخر طعام أكله صلى الله عليه وسلم فيه بصل ولا ينافي ما تقدم من الاخبار لان محله في النيء على أن الاصح ان هذه مكروهة عليه وليس بحرام وروى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ عن أنس كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وانه يكلم جبريل (وما ذم) صلى الله عليه وسلم (طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه) وهذا قد تقدم بلفظ ما عاب والذم والعيب مترادفان (وان عافه لم يبغضه الى غيره) ففي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي (وكان) صلى الله عليه وسلم (يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما) أما الضب ففي الصحيحين من حديث ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ولهما من حديث ابن عمر لست بآكله ولا محرمه وأما الطحال فروى ابن ماجه من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه وأما الدمان فالكبد والطحال والبيهقي موقوفا على زيد بن ثابت اني لا آكل الطحال وما بي اليه حاجة الا ليعلم أهلي انه لا بأس به اه قلت وروى ابن صصري في أماليه كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمهما (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلعق الصحفة) التي فيها الطعام (ويقول آخر الطعام أكثر بركة) قال العراقي روى البيهقي في الشعب من حديث جابر في حديث قال فيه ولا يرفع القصعة حتى يلعقها أو يلعقها فان آخر الطعام فيه البركة ولمسلم من حديث أنس أمرنا ان نسلت الصحفة قال ان أحدكم لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه اه قلت وفي بعض روايات مسلم من حديث جابر فانكم لا تدرون في أي طعامكم البركة وأما حديث جابر الذي رواه البيهقي فقد رواه أيضا ابن حبان بلفظ ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فان في آخر الطعام البركة وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والبغوي والدارمي وابن أبي خيثمة وابن السكن وابن

والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول آخر الطعام أكثر بركة

وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لايمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة و يقول انه لايدرى فى أى الطعام البركة واذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فاشبعت وسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه

شاهين وابن قانع والدارقطنى من حديث نبيشة الخير الهذلى مرفوعا من أكل فى قصعة ولحسها استغفرت له قال الترمذى والدارقطنى غريب وأورده بعضهم تستغفر القصعة لاحسها (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر) قال العراقى رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل اه قلت والمعنى يبالغ فى لعقها وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذى فى الشمائل كان يلعق أصابعه ثلاثا أى يلعق كل أصبع ثلاث مرات (وكان) صلى الله عليه وسلم (لايمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول لايدرى فى أى الاصابع البركة) قال العراقى روى مسلم من حديث كعب بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لايمسح يده بالمنديل حتى يلعقها وله من حديث جابر فاذا فرغ فليلعق أصابعه فانه لايدرى فى أى طعامه تكون البركة وللبيهقى فى الشعب من حديثه لايمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فان الرجل لايدرى فى أى طعامه يبارك له اه قلت روى فى هذا عن ابن عباس وجابر وأبى هريرة وزيد بن ثابت وأنس فلفظ حديث ابن عباس اذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها رواه كذلك أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه وحديث جابر مثله بزيادة فانه لايدرى فى أى طعامه البركة رواه كذلك أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه وأما حديث أبى هريرة فلفظه اذا أكل أحدكم طعاما فليلعق أصابعه فانه لايدرى فى أى طعامه تكون البركة رواه كذلك أحمد ومسلم والترمذى ورواه كذلك الطبرانى فى الكبير عن زيد بن ثابت ورواه كذلك الطبرانى فى الاوسط عن أنس قال ابن حجر فى شرح الشمائل الاكمل أن يلعق كل أصبع ثلاثا متوالية لاستقلال كل فناسب كمال تنظيفها قبل الانتقال الى البقية فيبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثا اذ هى أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولانها لطولها أول ما ينزل الطعام ثم بالسبابة ثم بالابهام لما روى الطبرانى فى الاوسط رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام وعند مسلم اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لانه لايدرى فى أى طعامه البركة وفى هذه الاخبار الرد على من كره اللعق استقذارا ومن ثم قال الخطابى عاب قوم افسد عقولهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح كأنهم لم يعلموا ان الطعام الذى لعق بالاصابع والصحفة جزء مما أكلوه فاذا لم يستقذر كله فلا يستقذر بعضه وليس فيه أكثر من مصها بباطن الشفة ولا يشك عاقل أن لابأس بذلك وقد يدخل الانسان أصبعه فى فيه فيدلكه ولم يستقذر ذلك أحد اه ملخصا ويؤيده ان الاستقذار انما يتوهم فى اللعق أثناء الاكل لانه يعيدها فى الطعام وعليها آثار ريقه وهذا غير سنة واعلم أن الكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لامع نسبته للنبى صلى الله عليه وسلم والا خشى عليه الكفر اذ من استقذر شيأ من أحواله صلى الله عليه وسلم مع علمه بنسبته اليه كفر ثم قوله أو يلعقها غيره أى ممن لايتقذره من نحو ولد وخادم وزوجة يحبونه و يتلذذون بذلك منه فان فى ذلك بركة (و) كان صلى الله عليه وسلم (اذا فرغ) من الطعام (قال اللهم لك الحمد) لان الطعام نعمة والحمد عقيب النعم يقيدها ويؤذن باستمرارها وزيادتها فلذلك أتى صلى الله عليه وسلم بتلك الصفات البليغة تحريضا للامة على التأسى به فى ذلك فقال (أطعمت واشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور) أى غير مجحود بفضله ونعمته (ولا مودّع) بتشديد الدال مع فتحها أى غير متروك ومع كسرها أى حال كونى غير تارك له ومعرض عنه فمآل الروايتين واحد وهو دوام الحمد واستمراره (ولا مستغنى عنه) بفتح النون قيل عطف تفسير اذ المتروك المستغنى عنه وفيه نظر بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه هنا وهى انه لا استغناء لاحد عن الحمد لوجوبه ان من تركه لفظا يأثم به على انه ان أتى به فى مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب المندوب قال العراقى رواه الطبرانى من حديث الحرث بن الحرث بسند ضعيف اه قلت هو صحابى أزدى والحديث المذكور من رواية محمد بن أبى قيس عن عبد الاعلى عنه ورواه أحمد عن

رجل من بني سليم له صحبة ولفظه كان اذا فرغ من طعامه قال اللهم لك الحمد أطعمت وسقيت وأشبعت وأرويت فلك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنك قال الحافظ ابن حجر وفيه عبد الله بن عامر الاسلمي فيه ضعف من قبل حفظه وسائر رجاله ثقات قال العراقي وللبخاري من حديث أبي امامة كان اذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا اه قلت وروى الجماعة الا مسلما من حديث أبي امامة كان اذا رفع مائدته قال الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا وفي رواية الترمذي وابن ماجه واحدى روايات النسائي الحمد لله حمدا وفي لفظ للنسائي اللهم لك الحمد حمدا وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين رواه الاربعة واللفظ لابي داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أكل أو شرب قال فذكر نحوه وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه وعن أبي هريرة قال دعا نارجل من الانصار من أهل قباء يعني النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو يديه قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافى ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين رواه النسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحهما وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال اللهم أشبعت وأرويت فهنيتنا ورزقتنا فأكثرت وأطبت فزدنا وروى الحاكم من حديث أبي الهيثم بن التيهان فاذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي هو أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا) قال العراقي روى أبو يعلى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذي من حذاءه اه قلت ورواه ابن عدي في الكامل بلفظ اذا أكل أحدكم طعاما فليغسل يده من وضر اللحم واسناده ضعيف أيضا وعليه يحمل ما رواه أحمد والطحاوي والطبراني وابن عساكر من حديث سهل بن الحنظلية رفعه من أكل لحما فليتوضأ أي فليغسل يده من وضره أي زهومته ودسمه وتقدم قريبا حديث أبي هريرة دعا نارجل من الانصار وفيه فلما طعم وغسل يده أو يديه (ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان) صلى الله عليه وسلم (يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات ولمسلم من حديث أنس كان اذا شرب تنفس ثلاثا اه قلت وروى ابن السني من حديث نوفل بن معاوية كان يشرب بثلاثة أنفاس يسمي الله في أوله ويحمد الله في آخره وروى أيضا الطبراني من حديث ابن مسعود كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا يسمي عند كل نفس ويشكر عند آخرهن قال النووي ضعيف وهذا يدل على انه انما يشكر مرة واحدة بعد فراغ الثلاث وفي الغيلانيات من حديث ابن مسعود كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهن وروى أحمد والشيخان والاربعة من حديث أنس كان اذا شرب تنفس ثلاثا ويقول هو أهنأ وأمرأ وأبرأ وروى الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين أي في أثناء الشرب فيكون قد شرب ثلاث مرات وسكت عن التنفس الاخير لكونه من ضرورة الواقع فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث (وكان) صلى الله عليه وسلم (يمص) الماء (مصا) قال العراقي روى البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا ويشرب مصا اه قلت ورواه كذلك ابن السني

وكان اذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا

ولا يعب عبا وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فان أحببت آثرتهم وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وأتى باناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله

وأبو نعيم في الطب وكلهم من طريق بشير بن كثير عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن بهز وهو القشيري قال البغوي وليس له الا هذا الحديث وهو منكر وفي الاصابة ورواه بعضهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقيل ان ابن المسيب سمعه منه فأرسله الراوي عنه فظنه بعضهم صحابيا ولكن روي في بعض طرقه عن جد بهز وهو معاوية فسقط لفظ جد من الراوي وبالجملة فاسناده مضطرب ليس بالقائم ورواه أيضا في السنن عن ربيعة بن أكثم وكذا العقيلي كلاهما من طريق علي بن ربيعة عن ابن المسيب عنه وهو أيضا ضعيف (ولا يعب عبا) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم سلمة كان لا يعب ولابي الشيخ من حديث ميمونة لا يعب ولا يلهث وكلها ضعيفة اه قلت لفظ حديث أم سلمة عند الطبراني كان يبدأ بالشراب اذا كان صائما وكان لا يعب فيشرب مرتين أو ثلاثا وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف وروى سعيد بن منصور وابن السني وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الشعب من مرسل ابن أبي حسين اذا شرب أحدكم فليمص مصا ولا يعب عبا فان الكباد من العب وروى الديلمي من حديث علي اذا شربتم الماء فاشربوه مصا ولا تشربوه عبا فان العب يورث الكباد وروى أبو داود في مراسيله عن عطاء بن أبي رباح اذا شربتم فاشربوا مصا واذا استكتم فاستاكوا عرضا (وربما كان) صلى الله عليه وسلم (يشرب بنفس واحد حتى يفرغ) قال العراقي رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبي قتادة وصححه اذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الاناء والله أعلم (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يتنفس في الاناء) أي في جوفه (بل ينحرف عنه) لانه يغير الماء اما لتغير الفم بالمأكول واما لترك السواك واما لان النفس يصعد ببخار المعدة قال العراقي روى الحاكم من حديث أبي هريرة لا يتنفس أحدكم في الاناء اذا شرب منه ولكن اذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس قال حديث صحيح الاسناد اه قلت وروى ابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس كان لا ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء وأما ما روي عن ابن مسعود كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا فمعناه أن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك ثم يشرب ثم يفعل كذلك (وكان) صلى الله عليه وسلم (يدفع فضل سؤره) أي ما بقي من الشراب (الى من على يمينه) قال العراقي متفق عليه من حديث انس اه قلت ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الايمن فالايمن أو الايمنون فالايمنون واستفيد منه تقديم الايمن ندبا ولو صغيرا مفضولا (فان كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فان أحببت آثرتهم) قال العراقي متفق عليه من حديث سهل بن سعد اه قلت وروى عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا باناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لي الشربة لك فان شئت آثرت بها خالدا فقال ما كنت أوثر على سؤرك أحدا الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسن وروى النسائي هذا القدر المذكور (وأتى) صلى الله عليه وسلم (باناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فان من تواضع لله رفعه) قال العراقي رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة الخ وسنده ضعيف اه قلت ورواه الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرك في الاطعمة من حديث أنس قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقعب فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال أدمان في اناء لا آكله ولا أحرمه قال الحاكم صحيح ورده الذهبي في التلخيص وقال بل منكر واه وقال الهيثمي عقب عزوه للحاكم فيه عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات وقال الحافظ ابن حجر في طريق الطبراني راو مجهول وأما قوله من تواضع لله رفعه فرواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة ورواه ابن النجار بزيادة ومن اقتصد أغناه الله وروى ابن منده وأبو عبيد من حديث أوس بن

خولى بزيادة ومن تكبر وضعه الله و روى أبو الشيخ من حديث معاذ بلفظ من تواضع تخشعا لله رفعه الله وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر فى أثناء حديث انى قد أوحى الى ان تواضعوا ولا يبغى أحد على أحد فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضع نفسه رفعه الله الحديث (وكان) صلى الله عليه وسلم (فى بيته أشد حياء من العاتق) يقال عتقت المرأة خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج فهى عاتق بلاهاء روى الشيخان والترمذى من حديث أبى سعيد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها وقد تقدم (لايسألهم طعاما) يعتنيه (ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما أعطوه) وفى بعض النسخ وما أطعموه (قبل وماسقوه شرب) والمراد بعدم سؤاله اياهم طعاما يتشهاه لنفسه وأما مطلق السؤال فقد ثبت قال العراقى روى مسلم من حديث عائشة انه قال لها ذات يوم هل عندكم شئ قالت فقلت ماعندنا شئ الحديث وفيه فلمارجع قلت أهديت لنا هدية قال ماهو قلت حيس قال هاتيه وفى رواية قربيه وفى رواية النسائى أصبح عندكم شئ تطعمينيه ولابى داود هل عندكم طعام وللترمذى أعندك غداء وفى الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر برمة على النار فيها لحم الحديث وفى رواية لمسلم لوصنعتم لنا من هذا اللحم الحديث فليس فى قصة بريرة الا الاستفهام والعرض والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهى والله أعلم وللشيخين من حديث أم الفضل انها أرسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولابى داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة باناء فيه شراب فناولته فشرب منه واسناده حسن (وكان) صلى الله عليه وسلم (ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه) قال العراقى روى أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على وعلى ناقه ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث واسناده حسن وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما الحديث

(بيان آدابه وأخلاقه) صلى الله عليه وسلم (فى اللباس)

(كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ماوجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك) قال العراقى روى الشيخان من حديث عائشة انها أخرجت ازارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت فى هذا قبض النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ازارا غليظا ولهما من حديث أنس كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال البخارى برد نجرانى ولابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول ولابى داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث أم سلمة كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولابى داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد كم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل ذلك حديث الجبة والشملة والحبرة اهـ قلت ومن ذلك مارواه الشيخان وأبو داود والنسائى من حديث أنس كان أحب الثياب اليه الحبرة ولفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه كان يلبس قميصا فوق الكعبين مستوى الكمين بأطراف أصابعه وقد أخرجه كذلك ابن عساكر فى التاريخ وروى الحاكم من حديثه كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع الاصابع وروى ابن سعد من مرسل يزيد بن أبى حبيب كان يرخى الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه (وكان) صلى الله عليه وسلم (يعجبه الثياب الخضر) أغفله العراقى وقد روى أبو الشيخ وأبو نعيم فى الطب من حديث أنس كان أحب الالوان اليه الخضرة أى من الثياب وغيرها لان الخضرة من ثياب الجنة قال ابن بطال وكفى به شرفا موجبا للمحبة ورواه كذلك البزار وأخرج ابن عدى والبيهقى عن قتادة قال خرجنا مع أنس الى أرض فقيل ما أحسن هذه الخضرة فقال أنس كنا نتحدث ان أحب الالوان الى النبى صلى الله عليه وسلم الخضرة (وكان) صلى الله عليه وسلم (أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها وكفنوا بها موتاكم) قال

وكان فى بيته أشد حياء من العاتق لايسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما أعطوه قبل وماسقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب

(بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ماوجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

العراقي رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس خير ثيابكم البيض فالبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال الحاكم صحيح الاسناد وله ولاصحاب السنن من حديث سمرة عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الترمذي حسن صحيح اه قلت حديث ابن عباس أخرجه أيضا الطبراني بتقديم وتأخير وزيادة وخيرا كحالكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر وحديث سمرة أخرجه كذلك أحمد وابن سعد والروياني والطبراني والبيهقي والضياء بزيادة فانها من خير ثيابكم (وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القباء المحشو) بالقطن أو الصوف (وغير المحشو) قال العراقي روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية من ديباج مزررة بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها الا في طريق علقها البخاري قال فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث ولمسلم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء ديباج أهدي له ثم نزعه الحديث (وكان) صلى الله عليه وسلم (له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه) قال العراقي روى أحمد من حديث أنس ان أكيدر دومة أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه انه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذي وصححه والنسائي انه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب (وكانت ثيابه) صلى الله عليه وسلم (كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق) قال العراقي روى أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك واسناده ضعيف وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عند ابن ماجه بلفظ قميصا قصير اليدين والطول وسندهما ضعيف وللترمذي في الشمائل من رواية الاشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا ازاره الى نصف ساقيه ورواه النسائي وسمى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمة الاشعث رهم بنت الاسود ولا تعرف اه قلت عبيد ابن خالد السلمي البهزي وقيل عبيدة وقيل عبدة شهد صفين مع علي قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو رفعت ازارك كان أبقى وأنقى قاله شيبان النحوي عن أشعث بن أبي الشعثاء عن عمته عن عمتك قال خليفة كنيته أبو عبد الله من ساكني الكوفة أدرك زمن الحجاج وقال ابن أبي حاتم اسمه عبيدة (وكان) صلى الله عليه وسلم (قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها) قال العراقي رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي في الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن اياس قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة فبايعناه وان قميصه لمطلق الازرار والبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محلول ازراره فسألته عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وفي العلل للترمذي انه سأل البخاري عن هذا الحديث فقال أنا أتقي هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد ورواه ابن خزيمة في صحيحه اه قلت وجدت بخط الشمس الداودي كذا في الاصل والوليد لم يلحق زيد بن أسلم وانما رواه عن زهير بن محمد أيضا كذا في أصل ابن خزيمة في كتاب الصلاة اه وبخط الشمس الشامي تحته وكذا أخرجه ابن حبان والحاكم من الوجه الذي أخرجه عنه ابن خزيمة وكذا أخرجه البيهقي والحاكم وكذا في مسند البزار وغيره اه قال العراقي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الازرار (وكانت له) صلى الله عليه وسلم (ملحفة) بكسر الميم الملاءة تلتحف بها المرأة (مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها) قال العراقي روى أبو داود والترمذي من حديث قيلة بنت مخرمة قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال الترمذي لا نعرفه الا من حديث

وكان يلبس القباء المحشو المحشو وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها

عبدالله بن حسان قلت ورواته موثقون ولابي داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات اه قلت وروى الخطيب في تاريخه في ترجمة نوح القوسي من حديث أنس كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران يدور بها على نسائه فاذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء واذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء وسنده ضعيف والورس نبت أصفر يزرع باليمن يصبغ به أوالمراد صنف من الكركم أو يشبهه وفيه حل لبس المزعفر والمورس وفيه اختلاف عند العلماء (وربما لبس) صلى الله عليه وسلم (الكساء وحده ماعليه غيره) قال العراقي رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الاشهل وعليه كساء متلفف به الحديث وفي رواية البزار في كساء (وكان له) صلى الله عليه وسلم (كساء ملبد يلبسه) قال العراقي روى الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت الينا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم (ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد) رواه البخاري من حديث عمر انما أنا عبد ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعا معضلا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا قاله العراقي قلت وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر من لبس الصوف وانتعل بمخصوف الحديث وفيه أنا عبد بن عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس جلسة العبد الحديث (وكان له) صلى الله عليه وسلم (ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة) قال العراقي رواه الطبراني في الصغير والاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناهما الى مثله ويرده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولايطوى له ثوب اه قلت ويمكن الجمع بينهما بأن يستثنى أي غير ثوبي الجمعة وسيأتي انه كان له برد أخضر للجمعة خاصة (وربما لبس) صلى الله عليه وسلم (الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه) قال العراقي روى الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في ازار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (وربما أم به الناس على الجنائز) قال العراقي لم أقف عليه (وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه) يدل له حديث جابر السابق قبله (ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ) قال العراقي روى أبو يعلى باسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في ثوب واحد فقلت يا أم حبيبة أيصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان يعني الجماع ورواه الطبراني في الاوسط (وكان) صلى الله عليه وسلم (ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك) قال العراقي روى أبو داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه علي ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا الى جنبه وأنا حائض وعلي مرط وعليه بعضه الى جنبه وللطبراني في الاوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (ولقد كان له) صلى الله عليه وسلم (كساء أسود فوهبه) لآخر (فقالت له أم سلمة) رضي الله عنها (بأبي أنت وأمي) يارسول الله (مافعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت مارأيت شيأ قط كان أحسن من بياضك على سواده) قال العراقي لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولابي داود والنسائي صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت بياض النبي صلى الله عليه وسلم

وسوادها

وربما لبس الكساء وحده ماعليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه وربما أم به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي مافعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت مارأيت شيأ قط كان أحسن من بياضك على سواده

وسوادها ورواه الحاكم بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (وقال أنس) رضي الله عنه (ربما رأيته) صلى الله عليه وسلم (يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها) قال العراقي رواه البزار وأبو يعلى بلفظ صلى في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس واسنادهما صحيح ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان الى قفاه وفي خبر الغطريف فعقدها في عنقه ما عليه غيرها واسناده ضعيف (وكان) صلى الله عليه وسلم (يتختم) رواه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس قاله العراقي ولفظهما كان يتختم في يمينه وكذلك رواه الترمذي عن ابن عمر ورواه مسلم والنسائي عن أنس ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر وروى ابن عدي عن ابن عمر بزيادة ثم حوله في يساره وكذلك رواه ابن عساكر عن عائشة وروى مسلم عن أنس كان يتختم في يساره وكذلك رواه أبو داود عن ابن عمر وعند الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر كان يتختم بالفضة (وربما خرج) صلى الله عليه وسلم (وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشئ) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث واثلة بسند ضعيف كان اذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف اه قلت حديث ابن عمر هذا أخرجه أبو يعلى من طريق سالم بن عبد الاعلى بن الفيض عن نافع عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في رابع الخلعيات وسالم ضعيف جدا وقال الدارقطني في الافراد انه تفرد به ورواه ابن سعد في الطبقات والحكيم الترمذي في النوادر بلفظ كان اذا أشفق من الحاجة ينساها ربط في خنصره أو خاتمه الخيط ويروى عن رافع بن خديج قال رأيت في يد النبي صلى الله عليه وسلم خيطا فقلت ما هذا قال استذكر به رواه الدارقطني في الافراد وقال تفرد به غياث بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن الحرث عن عياش بن أبي ربيعة عن سعيد المقبري عنه (وكان) صلى الله عليه وسلم (يختم به على الكتب) روى الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب الى الروم قالوا انهم لا يقرؤن كتابا الا مختوما فاتخذ خاتما من فضة الحديث وللنسائي والترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح (ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة) قال العراقي لم أقف له على أصل (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلبس القلانس) جمع قلنسوة فعنلوة بفتح العين وسكون النون (تحت العمائم) جمع عمامة (و) تارة يلبسها (بغير عمامة) والظاهر انه كان يفعل ذلك في بيته وأما اذا ظهر للناس فالظاهر انه كان لا يخرج الا بعمامة فوق القلنسوة (وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها) الظاهر انه كان يفعل ذلك عند عدم تيسر ما يستتر به أو بيانا للجواز قال العراقي رواه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر وربما وضعها بين يديه اذا صلى واسنادهما ضعيف ولابي داود والترمذي من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس قال الترمذي غريب وليس اسناده بالقائم اه قلت وحديث ابن عباس أخرجه أيضا الروياني وابن عساكر بلفظ كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهي البيض المضربة ويلبس ذوات الآذان في الحرب وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه وهو يصلي وحديث ابن عمر الذي أورده أولا تفرد به عبد الله بن خراش وهو ضعيف وقال العراقي في شرح الترمذي أجود اسناد في القلانس ما رواه أبو الشيخ عن عائشة كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان وفي الحضر المضمرة يعني الشامية (وربما لم تكن

وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشئ وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن

العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته) قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عباس صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر قد عصب رأسه بعصابة دسماء الحديث (وكانت له) صلى الله عليه وسلم (عمامة تسمى السحاب فوهبها من على) رضى الله عنه (فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم على فى السحاب) قال العراقى رواه ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابى نعيم فى دلائل النبوة من حديث عمر فى أثناء حديث عمامته السحاب الحديث اهـ قلت ومن هنا اشتبه على الرافضة فزعموا ان المراد بالسحاب التى فى السماء فقالوا هو حى ورفع فى السحاب وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنة (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لبس ثوبا) أى اذا أراد لبسه (يلبسه من قبل ميامنه) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف فى رفعه اهـ قلت الميامن جمع ميمنة والمراد بها هنا جهة اليمين وقال الهروى اى كان يخرج يده اليمنى من الثوب وقال الطيبى يعنى منه أى بجانب يمينه أى فيندب التيامن فى اللبس ولفظ الترمذى كان اذا لبس قميصا بدأ بميامنه ورواه أيضا النسائى فى الزينة بنحوه (ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس) قال العراقى رواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب اهـ قلت ورووه من حديث أبى امامة قال لبس عمر بن الخطاب ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل فيه فى حياتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا هذا لفظ الترمذى ففى الاسناد رواية صحابى عن صحابى وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة وابن السنى فى عمل يوم وليلة والطبرانى فى الدعاء كلهم من حديث عمر وروى ابن السنى من حديث معاذ بن أنس رفعه من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (واذا نزع ثوبه خرج من مياسره) جمع ميسرة ضد الميمنة قال العراقى رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان اذا لبس شيأ من الثياب بدأ بالايمن واذا نزع بدأ بالايسر وله من حديث أنس كان اذا ارتدى أو ترجل او انتعل بدأ بيمينه واذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو فى الانتعال فى الصحيحين من حديث أبى هريرة من قوله لا من فعله اهـ قلت فيندب التياسر فى النزع كما يندب التيامن فى اللبس ومعنى خرج من مياسره أى أخرج اليد اليسرى من الثوب (وكان له) صلى الله عليه وسلم (ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة) قال العراقى تقدم قريبا بلفظ ثوبين اهـ قلت وروى البيهقى من حديث جابر كان له برد يلبسه فى العيدين والجمعة وفى رواية أخضر وفى رواية كان يلبس برده الاحمر فى العيدين والجمعة ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من غير ذكر الاحمر وأخذ منه الامام الرافعى انه يسن للامام يوم الجمعة أن يزيد فى حسن الهيئة واللباس ويتعمم ويرتدى وروى الخطيب من حديث أنس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لبس) ثوبا (جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا) قال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذى كسانى ما أتجمل به فى حياتى وأوارى به عورتى ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه قال البيهقى اسناده غير قوى وهو عند الترمذى وابن ماجه دون ذكر لبس النبى صلى الله عليه وسلم لثيابه وهو أصح وقد تقدم اهـ قلت روى الترمذى وقال حسن غريب من حديث ابن عباس ما من مسلم كسا مسلما ثوبا الا كان فى حفظ الله ما دام عليه منه خرقة وهو عند ابن النجار من كسا مسلما ثوبا كان فى حفظ من الله عز وجل ما بقى عليه منه

العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا

خرقة و رواه الحاكم وتعقب وأبو الشيخ بلفظ من كسا مسلما ثوبا لم يزل فى ستر الله مادام عليه منه خيط أوسلك (وكان له) صلى الله عليه وسلم (فراش من ادم) أى جلد مدبوغ وهو محركة جمع ادمة أو أديم (حشوه ليف) أى من ليف النخل لانه الكثير بل المعروف عندهم والضمير للادم باعتبار لفظه وان كان معناه جمعا فالجملة صفة لادم خلافا لمن منع ذلك وجعلها حالية من الفراش وهو متفق عليه من حديث عائشة قاله العراقى قلت و رواه الترمذى فى الشمائل وروى أحمد والاربعة الا النسائى كانت وسادته التى ينام عليها من ادم وحشوه ليف (طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه) قال العراقى رواه أبو الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع للانسان فى قبره وفيه من لم يسم اهـ قلت رواه أبو داود فى اللباس فى سننه عن بعض آل أم سلمة وهذا الذى أشار اليه الشيخ ان فيه من لم يسم ولفظه كان فراشه نحوا مما يوضع للانسان فى قبره وكان المسجد عند رأسه وقد رواه أيضا ابن ماجه فى الصلاة فيمكن أن يؤخذ التحديد الذى ذكره المصنف من هذا الحديث (وكانت له) صلى الله عليه وسلم (عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين تحته) قال العراقى رواه ابن سعد فى الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولابن سعد عنها انها كانت تفرش للنبى صلى الله عليه وسلم عباءة باثنين الحديث وكلاهما لا يصح وللترمذى فى الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه الحديث وهو منقطع اهـ قلت وقصة الانصارية رواها البخارى عن عائشة ان أنصارية دخلت على فرأت فراشه صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت لها بفراش حشوه صوف فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فذكرت له القصة فقال رديه فوالله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة (وكان) صلى الله عليه وسلم (ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره) قال العراقى متفق عليه من حديث عمر فى قصة اعتزال النبى صلى الله عليه وسلم نساءه اهـ قلت وذلك انه دخل عليه فى مشربة وكان مضطجعا على خصفة وان بعضه لعلى التراب الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه وعند الطبرى انه دخل عليه فى غرفة وهو نائم على حصير قد أثر فى جنبه فبكى الحديث وعند ابن حبان فى صحيحه ان أبا بكر وعمر دخلا عليه فاذا هو نائم على سرير له مزمل بالبردى عليه كساء أسود حشوه بالبردى فلما رآهما استوى جالسا فنظراه فاذا أثر السرير فى جنبه الحديث (وكان من خلقه) صلى الله عليه وسلم (تسميته دوابه وسلاحه ومتاعه) أغفله العراقى وقد روى الرويانى وابن عساكر من حديث ابن عباس كان يلبس القلانس تحت العمائم الحديث وفى آخره وكان من خلقه أن يسمى سلاحه ودوابه ومتاعه أى كما كان يسمى قميصه ورداءه وعمامته (وكان اسم رايته العقاب) رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب و رواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا قاله العراقى قلت وكذلك رواه ابن سعد فى الطبقات و روى الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض قال الطيبى أى غالب لونها أسود بحيث ترى من بعيد سوداء لا ان لونها أسود خالص وسكت عنه الحاكم ولم يصححه لان فيه يزيد بن حبان مضعف وقيل بل هو مجهول الحال وساقه ابن عدى من مناكير حبان بن عبيد الله ثم رواه الترمذى فى العلل عن البراء من طريق آخر بلفظ كانت سوداء مربعة من نمرة ثم قال سألت عنه محمدا يعنى البخارى فقال حديث حسن اهـ و رواه الطبرانى باللفظ المذكور من هذا الوجه وزاد مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وفى سنن أبى داود انها كانت صفراء *(تنبيه)* الراية العلم الكبير واللواء العلم الصغير فالراية هى التى يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها واليها تميل المقاتلة واللواء علامة كبكبة الامير تدور معه حيث دار وقال ابن العربى اللواء ما يعقد فى طرف الرمح ويكون عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح (واسم

وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم

سيفه الذى) كان (يشهدبه الحروب ذوالفقار) قال ابن القيم تنفله من بدر وهو الذى أرى فيه الرؤيا ودخل به يوم فتح مكة وكانت أسيافه سبعة وهذا ألزمهاله وقال الزمخشرى سمى ذا الفقار لانه كانت فى احدى شفرتيه حزوز شبهت بفقار الظهر وكان هذا السيف لمنبه بن الحجاج أومنبه بن وهب أوالعاص بن منبه أوالحجاج بن علاط أوغيرهم ثم صار عند الخلفاء العباسيين قال العراقى روى أبو الشيخ من حديث علىّ بن أبى طالب كان اسم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وللحاكم من حديث على فى أثناء حديث وسيفه ذوالفقار وهو ضعيف اه وقال الاصمعى دخلت على الرشيد فقال أريكم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار قلنا نعم فجاء به فما رأيت سيفا أحسن منه اذا نصب لم ير فيه شئ واذا بطح عد فيه سبع فقر واذا صفحته عمانية يحار الطرف فيه من حسنه وقال قاسم فى الدلائل ان ذلك كان يرى فى رونقه شبها بفقار الحية فاذا التمس لم يوجد وله ذكر فى حديث ابن عباس الطويل وسيأتى ذكره (وكان له) صلى الله عليه وسلم (سيف يقال له المخذم) كمنبر (وآخر يقال له رسوب وآخر يقال له القضيب) قال العراقى روى ابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد بن المعلى مرسلا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه انه يقال انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ومعه سيفان يقال لاحدهما القضيب شهد به بدرا اه قلت اختلفوا فى عدد سيوفه صلى الله عليه وسلم فقيل خمسة وهو قول عبد الملك بن عمير وقيل سبعة نقله صاحب رأس مال النديم وتقدم أيضا عن ابن القيم وقيل تسعة ذكره عبد الباسط البلقينى والمخذم ورسوب أحد السيوف التى أهدت بلقيس لسليمان عليه السلام ثم آل الى الحرث بن شمر الغسانى وفى مفاهيم الاشراف للبلاذرى فى سرية على رضى الله عنه لما توجه الى هدم القلس بضم القاف وسكون اللام اسم صنم لطئ كان مقلدا بسيفين اهداهما اليه الحرث بن أبى شمر المخذم ورسوب وفيهما يقول علقمة بن عبدة

مظاهر سربالى حديد عليهما * عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والقضيب فى اللغة هو اللطيف من السيوف (وكان قبيعة سيفه) صلى الله عليه وسلم (من الفضة) القبيعة بالقاف كسفينة ما على طرف مقبض السيف قال العراقى روى أبو داود والترمذى والنسائى وقال حسن وقال منكر من حديث أنس كان قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة اه قلت ولفظ الشمائل من فضة وفى حديث ابن عباس الآتى ذكره كان له سيف محلى قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة وكان يسمى ذا الفقار الحديث وأراد بالنصل الحديدة التى فى أسفل قرابه قال ابن حجر فى شرح الشمائل فيه حل تحلية آلة الحرب بها للرجل اما بالذهب فيحرم كهما للنساء ووقع لمن لا فقه عنده فى التضبيب والتمويه بالذهب مالا يرضى فاحذره والحاصل ان الذهب لا يحل للرجال مطلقا لا استعمالا ولا اتخاذا ولا تضبيبا ولا تمويها الا لآلة حرب ولا لغيرها وكذا الفضة الا فى التضبيب والخاتم وتحلية آلة الحرب وما وقع فى بعض العبارات من حل المموه وحرمته أخرى محمول على تفصيل علم من مجموع كلامهم وهو انه ان حصل شئ بالعرض على النار من ذلك المموه حرمت استدامته كابتدائه وان لم يحصل منه شئ حرم الابتداء فقط اما نفس التمويه الذى هو الفعل والاعانة عليه والتسبب فيه فحرام مطلقا ويأتى هذا التفصيل فى تمويه الرجل الخاتم وآلة الحرب بالذهب فتفطن لذلك لتأمن من العثار الواقع فيه بعض الشراح ممن لا يتقن المسائل الفقهية التى هى أحق بالاتقان من سفاسف الحكمة ومقدمات البرهان (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلبس المنطقة) بكسر الميم (من الادم) محركة الجلد المدبوغ أو الاحمر أو مطلقا أقوال (فيها ثلاث حلق من الفضة) قال العراقى لم أقف له على أصل ولابن

سيفه الذى يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب له وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة

سعد فى الطبقات وأبى الشيخ من رواية على بن الحسين مرسلا كان فى درع النبى صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة عند موضع الثدى وحلقتان خلف ظهره من فضة (وكان اسم قوسه) صلى الله عليه وسلم (الكتوم و) اسم (جعبته الكافور) قال العراقى لم أجد له أصلا وفى حديث ابن عباس عند الطبرانى انه كان له قوس يسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبى خيثمة فى تاريخه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بنى قينقاع ثلاثة قسى قوس اسمها الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع اهـ قلت يقال قوس كتوم أى لا ترن اذا انبضت أو التى لا شق فيها أو التى لا صدع فى نبعها وأنشد الجوهرى لاوس

كتوم طلاع الكف لادون ملئها * ولا عجسها فى موضع الكف أفضلا

وأما الكافور فهو وعاء كل شئ من النبات (وكان اسم ناقته) صلى الله عليه وسلم (القصوى وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة) قال العراقى بعضه مذكور فى حديث ابن عباس أى الآتى ذكره وروى البخارى من حديث أنس كان للنبى صلى الله عليه وسلم ناقة يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر فى حجة الوداع ثم ركب القصوى وللحاكم من حديث على ناقته القصوى وبغلته دلدل وحماره عفير الحديث ورويناه فى فوائد أبى الدحداح فقال حماره يعفور وفيه شاته بركة وللبخارى من حديث معاذ كنت أردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير ولابن سعد فى الطبقات من رواية ابراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبع عجوة وزمزم وسقيا وبركة وورسة وأطلال وأطراف وفى سنده الواقدى وله من رواية مكحول مرسلا كانت له شاة تسمى قمرا اهـ قلت حديث الحاكم الذى أخرجه عن على قد أخرجه أيضا البيهقى ولفظه كان فرسه يقال له المرتجز وناقته القصوى وبغلته الدلدل وحماره عفير ودرعه ذات الفضول وسيفه ذو الفقار وروى أحمد من حديث على والطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث ابن مسعود بسند حسن كان له حمار اسمه عفير (وكانت له) صلى الله عليه وسلم (مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة) قال العراقى لم أقف له على أصل اهـ ولنذكر حديث ابن عباس الموعود بذكره وهو جامع لما تقدم مع زيادة ساقه العراقى فقال روى الطبرانى من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكان له قوس يسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الذقن وكان له ترس أبيض يسمى الموجز وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج الموجز وكانت له بغلة شهباء يقال لها دلدل وكانت له ناقة تسمى القصوى وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكز وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المدلة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق وفيه على بن عذرة الدمشقى نسب الى وضع الحديث اهـ قلت ورواه من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن على بن عذرة عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء وعمرو بن دينار كلاهما عن ابن عباس وعلى بن عذرة قال الهيثمى متروك وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال عبد الملك وعلى وعثمان متروكون ونوزع فى عبد الملك فان الجماعة سوى البخارى رووا له وفى بعض ألفاظ هذا الحديث كان له سيف محلى قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة وفيه وكان له قوس يسمى ذا السداد قال ابن القيم كانت له ست قسى هذا أحدها وفيه وكان له كنانة تسمى ذا الجمع وهو بضم الجيم وسكون الميم والكنانة جعبة السهام والدرع المسماة ذات الفضول

وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوى وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة

هي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي وكان له سبعة دروع هذه أحدها والنبعاء بتقديم النون على الموحدة ممدودة كذا في بعض ألفاظه قال ابن القيم وكانت له حربة أخرى كبيرة تدعى البيضاء والمجن بالكسر الذي يتستر به في الحرب وهو الترس والذفن بفتح الذال وسكون الفاء وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء وليس في بعض رواياته ذكر الترس بل زاد بعده وكان له فرس أشقر يقال له المرتجز والسكب المذكور كان أغر محجلا طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه قاله النووي في التهذيب ودلدل كقنفذ أهداها له يوحنا ملك أيلة وظاهر البخاري انه أهداها له في غزوة حنين وقد كانت هذه البغلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال القاضي ولم يرد انه كانت له بغلة غيرها نقله النووي عنه وتعقبه الجلال البلقيني فان البغلة التي كان عليها يوم حنين غير هذه ففي مسلم انه كان على بغلة بيضاء أهداها له الجذامي قال وفيما قاله القاضي نظر فقد قيل كان له دلدل وفضة والتي أهداها ابن العلماء والايلية وأخرى أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من النجاشي كذا في سيرة مغلطاي وقال ابن القيم كان له من البغال دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس وأخرى اسمها فضة أهداها له فروة الجذامي وأخرى شهباء أهداها له صاحب أيلة وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل وقوله القصوى هي التي قطع طرف اذنها فاذا جاوز القطع فهي العضباء قال ابن الاثير ولم تكن ناقته صلى الله عليه وسلم كذلك بل هو لقب لها وجاء في خبر انه له ناقة تسمى العضباء وأخرى تسمى الجدعاء فيحتمل ان كل واحدة صفة ناقة مفردة ويحتمل كون الكل صفة ناقة واحدة فيسمى كل واحد منها بما تخيل فيها وقوله يعفور أو عفير هو بضم العين المهملة تصغير اعفر أخرجوه عن بناء أصله كسويد تصغير أسود من العفرة بالضم وهي حمرة يخالطها بياض ذكره جمع ووهموا عياضا في ضبطه باعجام الغين قال الحافظ ابن حجر وهو غير الذي يقال له يعفور وزعم ابن عبدوس انهما واحد ورده الدمياطي فقال عفير اهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس قال الواقدي نفق يعفور منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وقيل طرح نفسه في بئر يوم موته صلى الله عليه وسلم وقوله وكان له بساط كذا في نسخ الطبراني ووقع في بعض النسخ بدله فسطاط وهو تصحيف والكنز بالزاي المعجمة هكذا ضبطه بعض قوله وكانت له عنزة هو بالتحريك أي حربة وقوله تسمى الصادر سميت به لانه يصدر عنها بالري ذكره ابن الاثير وقوله قضيب شوحط أي غصن مقطوع من شوحط وهو من أشجار الجبال تعمل منها القسي والسهام قيل هو الذي كان الخلفاء يتداولونه وروى البخاري من حديث سهل بن سعد قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم في حائطنا فرس يقال له اللحيف وروى البيهقي عنه بلفظ كان له فرس يقال له الظرب وآخر يقال له اللزاز وجملة أفراسه صلى الله عليه وسلم سبعة متفق عليها جمعها ابن جماعة في بيت فقال

والخيل سكب لحيف ظرب لزاز * مرتجز ورد لها أسرار

وقيل كانت له افراس خمسة عشر والله أعلم

(بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

(كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس) أي أكثرهم حلما وقد تقدم (و) كان (أرغبهم في العفو مع القدرة) على الانتقام (حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة) أي القلائد المصنوعة منهما وهو الحلي (فقسمها بين أصحابه) بما أراه الله تعالى (فقام رجل من أهل البادية) أي من الاعراب الجفاة (فقال يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل) في القسمة (فما أراك تعدل) حيث أعطى بعضا وترك بعضا أو أكثر لبعض وأقل لآخرين (فقال) صلى الله عليه وسلم (ويحك فمن يعدل عليك بعدي فلما ولى) الاعرابي (قال ردوه علي رويدا) أي من غير استعجال فحلم عليه وعفا عنه مع غلظة كلامه وأمر برده على امهال لئلا يرتاع قال العراقي رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد اه قلت ورواه الحاكم من حديث ابن عمرو وفيه

زيادة

(بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة) كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا

زيادة فى آخره (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض) مبنيا للفاعل أى يعطى وفى بعض النسخ كان يفيض من الافاضة (الناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يانبى الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا أعدل فقام عمر) رضى الله عنه (فقال الا أضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس انى أقتل أصحابى) رواه مسلم فى صحيحه قاله العراقى قلت ورواه أيضا أحمد والبخارى والطبرانى فى الكبير بزيادة ان هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية (وكان صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة) أى غفلة (فجاء رجل) منهم (حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو قائل تحت شجرة فى قائلة وسيفه معلق بها وقد تفرق عنه أصحابه (بالسيف) أى بسيفه صلى الله عليه وسلم الذى كان معلقا بالشجرة فاخترطه وانتبه صلى الله عليه وسلم من نومه فرآه واقفا على رأسه وبيده السيف (فقال من يمنعك منى) أى أنا قاتلك به الآن (فقال) صلى الله عليه وسلم (الله) عز وجل يمنعنى منك (قال) الراوى (فسقط السيف من يده) واندهش فى نفسه (فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف) من الارض (وقال من يمنعك) الآن (فقال كن خير آخذ قال قل أشهد ان لا اله الا الله فقال لا) أقول ذلك (غير انى لا أقاتلك ولا أكون معك) أى فى نصرتك (ولا أكون مع قوم يقاتلونك) أى لا أكون عونا لك ولا عليك (فخلى سبيله) أى تركه حتى ذهب (فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس) قال العراقى متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب الى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحرث اه قلت أخرجه أحمد وكذا مسدد بن سرهد فى مسنديهما عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سليمان بن قيس عن جابر بطوله وفيه بعد قوله كن خير آخذ قال لا أو تسلم قال لا ولكن أعاهدك انى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وأما البخارى فقد أخرجه من ثلاث طرق احداها موصولة والاخرى معلقة والاخرى مختصرة جدا أما الموصولة من طريق الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر الحديث وفيه اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسم فى هذه الرواية وأما المعلقة فقال البخارى عقب هذه قال أبان حدثنا يحيى عن أبى سلمة عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فذكر الحديث بمعناه وفيه ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تهددوه وليس فيه تسمية أيضا وأما المختصرة فقال قال مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحرث (وروى أنس) رضى الله عنه (ان يهودية أتت الى النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجىء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا أفلا نقتلها فقال لا) قال العراقى رواه مسلم وهو عند البخارى من حديث أبى هريرة اه قلت وروى الحاكم فى المستدرك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى ان يهودية أهدت شاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سميطا فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فان عضوا من أعضائها يخبرنى انها مسمومة قال فارسل الى صاحبتها أسممت طعامك هذا قالت نعم أحببت ان كنت كاذبا أريح الناس منك وان كنت صادقا علمت ان الله سيطلعك عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا اسم الله وكلوا فأكلنا فلم يضر أحدا منا شئ قال صاحب سلاح المؤمن اسم هذه اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام ابن مشكم وكان بشر بن البراء بن معرور ممن أكل من الشاة فمات منها وذلك عام خيبر قال وقوى شيخنا الدمياطى القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية به (وسحره) صلى الله عليه وسلم (رجل من

وروى جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يارسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى وكان صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك منى فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فقال لا غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى أنس أن يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجىء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا أفلا نقتلها فقال لا * وسحره

رجل من

اليهود فأخبره جبريل) عليه السلام (بذلك حتى استخرجه) من بئر ذروان (وحل عقده فوجد لذلك خفة ولا ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط) قال العراقي رواه النسائي باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر اهـ قلت اسم ذلك اليهودي لبيد بن الاعصم وقد روى حديث سحره من طرق وتقدم بعضها في كتاب العلم اما حديث زيد بن أرقم فاخرجه أيضا عبد ابن حميد في مسنده قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان فارسل عليا فجاء به فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وأما حديث عائشة أيضا فاخرجه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يهودي يخدمه يقال له لبيد بن الاعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذوب ولا يدري ما وجعه فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نائم اذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي هو عند رأسه للذي عند رجليه ما وجعه قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال بم طبه قال بمشط ومشاطة وجف طلعة ذكر بذي أروان وهي تحت راعوفة البئر فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ومعه أصحابه الى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فاذا فيها مشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مشاطة رأسه واذا تمثال من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيها ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة الحديث فقيل يارسول الله لو قتلت اليهودي فقال قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه ومن حديث أنس مختصرا (وقال علي كرم الله وجهه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد) بن الاسود (فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ) موضع بين الحرمين (فان بها ظعينة) في المصباح يقال للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لان زوجها يظعن بها أي يرتحل ويقال الظعينة الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا ويقال الظعينة في الاصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وان كانت في بيتها لانها تصير مظعونة وهي هنا امرأة من مزينة قال ابن اسحق بلغني انها كانت مولاة لبني عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به (معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا) تعادى بنا خيلنا (حتى أتينا روضة خاخ) فاذا نحن بها (فقلنا اخرجي الكتاب فقالت مامعي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها) أي من شعرها المعقوص وفي رواية من حجزتها (فأتينا به) أي بالكتاب (النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة) واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي وكان حاطب حليف بني أسد بن عبد العزى (الى أناس من المشركين) بمكة (يخبرهم أمرا من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ببعض أمره بتجهيزه اليهم (فقال ياحاطب ماهذا فقال يارسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قومي) أي لكونه من بني لخم وأنا حالف بني أسد (وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي) ولا يؤذونهم (ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صدقكم حاطب فقال عمر) رضي الله عنه (دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال العراقي متفق عليه اهـ قلت هو عندهما من طريق ابن عيينة عن عمرو ابن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال سمعت عليا يقول وأخرجاه أيضا من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن علي وانه فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآية قال سفيان فلا أدري اذاك في الحديث أم قول من عمرو بن دينار ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث

اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجي الكتاب فقالت مامعي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ماهذا قال يارسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب منهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

ابن

ابن عباس عن عمر فذكر يعني حديث علي وفيه فقال يا حاطب ما دعاك الى ما صنعت فقال يا رسول الله كان أهلي فيهم فكتبت كتابا لا يضر الله ولا رسوله وروى ابن شاهين والماوردي والطبراني وسموه من طريق الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال وحاطب رجل من أهل اليمن وكان حليفا للزبير وكان قد شهد بدرا وكان بنوه واخوته بمكة فكتب حاطب من المدينة الى كفار قريش ينتصح لهم فذكر الحديث نحو حديث علي وفي آخره فقال حاطب والله ما أذنبت في الله منذ أسلمت ولكنني كنت امرأ غريبا ولي بمكة بنون واخوة الحديث وزاد في آخره فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآيات ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر باسناد قوي (وقسم صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله أخي موسى قد أوذي باكثر من هذا فصبر) قال العراقي متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وتمامه لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة مثلها وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل ما قال وفيه فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فاخبرته فقال صلى الله عليه وسلم ما قال وقوله قد أوذي باكثر هذا فصبر أي آذاه قومه باشد مما أوذيت به من تشديد فرعون وقومه وبانه عليه وقصده اهلاكه بل ومن تعنت من آمن معه من بني اسرائيل حتى رموه بالادرة واتهموه بقتل أخيه هرون عليهما السلام لما مات معه في التيه ولما شق لهم البحر قالوا ان صحبنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق كطريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوات في الماء فتراءوا وتسامعوا الى غير ذلك من تعنتاتهم معه عليه السلام وكلامه صلى الله عليه وسلم ذلك شفقة عليهم ونصحا في الدين لا تهديدا وتثريبا (وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيأ فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه اهـ قلت ورواه كذلك أحمد والبيهقي

(بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

(كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة) محركة ظاهر الجلد وهو علامة اعتدال المزاج ويكنى به عن الحياء أيضا (لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه) الشريف (غضبه ورضاه) قال العراقي روى أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم (كان) صلى الله عليه وسلم (اذا اشتد وجده) أي غضبه يقال وجد عليه وجدا وموجدة اذا غضب عليه (أكثر من مس لحيته) قال العراقي رواه أبو الشيخ من حديث عائشة رضي الله عنها باسناد حسن (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يشافه أحدا بما يكرهه) لئلا يشوش عليه وذلك لكثرة حيائه وسعة صدره وسببه انه (دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيأ) أي في وجهه (حتى خرج) من عنده (فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا) لو للشرط فالجزاء محذوف أي لكان أحسن أي لانه فيه نوع تشبه بالنساء وهو من غير قصد التشبيه بهن مكروه أو للتمني (أن يدع هذه يعني الصفرة) الظاهر ان ذلك الاثر لم يكن محرما والا لم يؤخر أمره صلى الله عليه وسلم بتركه الى مفارقته المجلس فزعم بعضهم ان غضبه صلى الله عليه وسلم عند انتهاك المحارم لا ينافي تفويضه لغيره الامر بازالتها وان أدى الى تأخيرها غفلة عن كلام الائمة في بحث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه يجب على القادر ازالة المنكر فورا بلسانه أو بيده ولا يجوز له أن يستنيب غيره في ذلك اذا أدت استنابته الى تأخير ذلك المنكر ولو لحظة وهو صلى الله عليه وسلم سمع كلام هذا الرجل ثم ولم يأمرهم أن يقولوا له أزل هذا الا بعد قيامه من المجلس فأخر الازالة الى انقضاء المجلس وهذا لا يقوله الا جاهل بالفقه وقواعده فتعين ما ذكرته من ان ذلك الاثر الذي كان عليه لم يكن محرما

وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله أخي موسى قد أوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه يقول لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيأ فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر

(بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيأ حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة

وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيأ فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجلت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل الى الاعرابي وزاده شيأ ثم قال أحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ماقلت وفي نفس أصحابي شئ من ذلك فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ماقال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيأ

ويؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رأى على عمرو بن العاص ثوبين معصفرين أمره فورا بازالتهما فان قلت لم أمر هنا عمرا وثم أنابهم في ذلك قلت لما تقرر أن عمرا عليه محرم بخلاف ذلك الرجل وبفرض تحريم المعصفر الذي قال به كثيرون فوجهه ان عمرا عليه محرم يفرح بذلك ويبادر الى امتثاله وذلك الرجل لعله قريب عهد بالاسلام فخشي عليه ان واجهه بامره بازالة ما عليه ففوضه لغيره لا على وجه الالزام به وهذا أيضا مما يصرح بانه لم يكن محرما قال العراقي رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس باسناد ضعيف اه قلت وكذلك رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وفي رواية للطيالسي وأحمد والنسائي لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة ورواه كذلك البخاري والبيهقي من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ (وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب) أي قصدوا ومنعه عن ذلك (فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه) بضم التاء الفوقية وسكون الزاي (اي لا تقطعوا عليه البول) فانه يضر البائل قال ذلك شفقة عليه (ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلاء) أي الغائط (وفي رواية قربوا ولا تنفروا) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس اه قلت ٧ (وجاء اعرابي يطلب منه شيأ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت اليك) يخبر بذلك باطنه (فقال الاعرابي لا ولا أجلت قال فغضب المسلمون لذلك وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا) أي امتنعوا عنه (ثم قام ودخل منزله وأرسل الى الاعرابي وزاده شيأ ثم قال أحسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ماقلت) آنفا (وفي نفس أصحابي شئ من ذلك فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد أو من العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ماقال فزدناه فزعم انه رضي بذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الارض) أي مما يقم من وجهها من حشيش وتبن (فردها هوى هوى) هكذا بضم الهاء وسكون الواو والياء فيهما كذا في بعض النسخ وهو اسم صوت لدعاء الناقة وفي بعض النسخ هونا هونا حتى جاءت (واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها) راكبا (واني لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار) قال العراقي رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(بيان سخائه صلى الله عليه وسلم وجوده)

(كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم) أي أكثرهم جودا وسخاء وهما مترادفان وقال بعضهم الجود صفة هي مبدأ افادة ما ينبغي لا لغرض والسخاء اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي روى الشيخان من حديث أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس قاله العراقي قلت وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه (وكان) صلى الله عليه وسلم (في شهر رمضان كالريح المرسلة) بفتح السين أي المطلقة (لا يمسك شيأ) قال العراقي روى الشيخان من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة اه قلت وكذلك رواه الترمذي في الشمائل وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم نعم الريح المرسلة بجميع ما تهب عليه ورواه كذلك أحمد بزيادة لا يسأل شيأ الا أعطاه وسبب أجوديته اتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما في الصحيحين وانما كان اتيانه سببا لذلك لانه رسول ربه اليه وأمين حضرته والمتولي لقسمة مواهبه وذلك موجب نهاية الاجودية وأيضا اذا جاءه جبريل وعرض عليه

القرآن

٧ هكذا هو بالاصل ولعل هنا سقطا تأمل اه مصححه

القرآن تجدد تخلقه بأخلاق ربه وأفيض عليه غاية جودة ونهاية قربه فحينئذ يزداد جوده ويتسع وجوده (وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا) وفي بعض النسخ أوسع بدل أجرأ ولفظ الشمائل أجود الناس صدرا أي قلبا تسمية الشيء باسم محله أو مجاوره أي بجوده صلى الله عليه وسلم بالسجية والطبع لا بالتكلف وقيل من الجودة أي أحسنهم قلبا بالسلامته من كل غش ودنس كيف وقد صح ان جبريل شقه واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست ذهب بماء زمزم (وأصدق الناس لهجة) بفتحتين أو بفتح فسكون أي لسانا أي كان لسانه صلى الله عليه وسلم أصدق الالسنة اذهو أفصح الخلق وأعذبهم كلاما وأسرعهم اداء وأحلاهم منطقا كان حسن كلامه يأخذ بمجامع القلوب (وأوفاهم بذمة) وفي نسخة ذمة (وألينهم عريكة) أي طبيعة فهو مع الناس على غاية من السلامة والمطاوعة وقلة الخلاف والنفور (وأكرمهم عشيرة) وفي نسخة عشرة أي اختلاطا وصحبة وعلى الاول هنا أكرمهم قبيلة أي قوما من جهة أبيه وأمه (من رآه بديهة) أي فجأة عن غير قصد (هابه) أي أخذته الهيبة لما كان يظهر عليه من عظيم الجلالة والمهابة والوقار (ومن خالطه معرفة أحبه) لكمال حسن معاشرته وباهر عظيم تألفه (يقول ناعته) أي واصفه (لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم) للزوم هذا الوصف له وظهوره عند من له أدنى بصيرة فلما لم يخف كان كل واصف ملزوما بان هذا القول يصدر عنه وان لم يصدر عنه التصريح به غفلة وذهولا فالرؤية هنا علمية أي لم أعلم به مماثلا في وصف من أوصاف الكمال وأما ماثبت من وجوه شبهه صلى الله عليه وسلم بمن ذكروهم وهم اثنا عشر أو أكثر فان المراد به الشبه في البعض والا فجملة محاسنه منزهة عن الشريك كما أفاده صاحب البردة رحمه الله تعالى قال العراقي رواه الترمذي وقال ليس اسناده بمتصل قلت ولفظه أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة والباقي سواء (وما سئل) صلى الله عليه وسلم (قط على الاسلام) شيأ من متاع الدنيا (الا أعطاه) وجاد به أو وعده أو سكت (فان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة) وفي لفظ الفقر رواه مسلم من حديث أنس قاله العراقي. قلت رواه من طريق عاصم ابن النضر عن خالد بن الحرث حدثنا حميد بن موسى عن موسى بن أنس عن أبيه ورواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن أبي يعقوب الكرماني عن خالد بن الحرث وتمامه عند مسلم وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة حتى صار أحب الناس اليه بعدما كان أبغضهم اليه فكان ذلك سببا لحسن اسلامه وروى مسلم والترمذي من طريق سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال والله لقد أعطاني النبي صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الناس الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الناس الي (وما سئل) صلى الله عليه وسلم (شيأ فقال لا) قال العراقي متفق عليه من حديث جابر اهـ قلت وروى ابن سعد في الطبقات من مرسل محمد بن الحنفية كان لا يكاد يقول لشيء لا فاذا هو سئل فاراد أن يفعل قال نعم واذا لم يرد أن يفعل سكت ومن هنا قال الشاعر ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وقد تقدم شيء من ذلك في أول الباب (وحمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) هكذا رواه الترمذي وقال العراقي روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله أحد يومئذ الا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه اهـ قلت ولفظ البخاري وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز

وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط على الاسلام الا أعطاه وان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيأ قط فقال لا وحمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها

ابن صهيب عن أنس أتى بمال من البحرين فأمر بصبه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به فخرج الى المسجد ولم يلتفت فلما قضى الصلاة جاء يجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه انسان فسأله فقال خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه لى قال لا قال ارفعه أنت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال كالاول فقال له لا فنثر منه ثم احتمله فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره حتى غاب عجبا من حرصه فما قام صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم قال ابن دحية هذا على امتداد قامة العباس وطوله فى الناس اذ كان ممن يقل من الارض فيما الجمل اذا برك يحمله فما يدرى قدر ما حمل من تلك الدراهم النقرة على كاهله اه وفى خبر مرسل انه كان مائة ألف ألف رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن حميد ابن هلال (وجاءه رجل فسأله) شيأ من متاع الدنيا (فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على) بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية أى اشتر شيأ بثمن النمة على أداؤه (فاذا جاء شئ قضيناه فقال عمر) رضى الله عنه (يارسول الله ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا) أى شيأ من الفقر (فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن أبى علقمة الفردى لم يروعنه غير ابنه ماروى اه قلت وفيه عنده فقال عمر يارسول الله قد أعطيته فما كلفك الله مالا تقدر عليه ومعنى قوله أعطيته أى شيأ مرة أخرى قبل هذه أو الميسور من القول وهو قولك ما عندى شئ فاكتف بذلك ولا تجعل فى ذمتك شيأ وفيه فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر أى من حيث التزامه قنوط السائل وحرمانه لا لمخالفة الشرع وفيه فقال رجل من الانصار يارسول الله أنفق الخ وفى آخره بهذا أمرت أى بالانفاق وعدم الخوف لا بما قال عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر أى قصر القلب رد الاعتقاد عمر وأفاد صلى الله عليه وسلم بذكره أمره بالانفاق فى هذه الحالة أى انه مأمور به فى كل حال دعت المصلحة اليه لاستيلاف أو نحوه لانه عكنه بقرض أو نحوه فان عجز فبعدة اذهى انفاق لانها التزام النفقة *(تنبيه)* الحديث المشهور على الالسنة أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وفى لفظ يا بلال وفى لفظ ولا تخافن رواه الطبرانى والبزار من حديث ابن مسعود ورواه العسكرى فى الامثال من حديث عائشة وأخرجه الطبرانى أيضا من حديث أبى هريرة وكذلك رواه البيهقى فى الشعب متصلا ومن مرسل ابن سيرين وما يحكى عن كثيرين فى لفظه أنفق بلالا ويتكلمون فى توجيهه بكونه نهيا عن المنع فليس له أصل نبه عليه الحافظ السخاوى (ولما قفل) صلى الله عليه وسلم (من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه) هى من أشجار البادية (نعما) أى ابلا (لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) قال العراقى رواه البخارى من حديث جبير بن مطعم قلت ولفظه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقبلة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب حتى اضطروه الى سمرة فذكروه وفيه ولا كذوبا بدل كذابا ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ المصنف

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

(كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم) قال العراقى رواه الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت انجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس (قال على رضى الله عنه لقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقرب الى العدو وكان أشد الناس بأسا يومئذ) قال العراقى رواه أبو الشيخ فى الاخلاق باسناد جيد (وقال) رضى الله عنه (أيضا كنا اذا احمر البأس) أى اشتد الكرب فى الحرب (ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو

منه)

وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يارسول الله ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم قال على رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أيضا كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو

منه) قال العراقى رواه النسائى باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر) قال العراقى رواه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسلا اه قلت وروى أحمد من طريق سماك قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم وكان طويل الصمت قليل الضحك رجاله رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة وسعد بن عياض المذكور تابعى يروى عن ابن مسعود وعنه أبو اسحق السبيعى وثق روى له أبو داود والنسائى كذا فى الكاشف (وكان) صلى الله عليه وسلم (من أشد الناس بأسا) رواه أبو الشيخ من حديث على فى قصة بدر وقد تقدم قريبا (وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو) قال العراقى رواه مسلم من حديث البراء كنا والله اذا حمى البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به (وقال عمران بن حصين) رضى الله عنه (مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة) طائفة من الجيش مجتمعة (الا كان أول من يضرب) قال العراقى رواه أبو الشيخ وفيه من لم أعرفه (قالوا وكان) صلى الله عليه وسلم (قوى البطش) قال العراقى رواه أبو الشيخ من رواية أبى جعفر معضلا اه قلت ورواه ابن سعد عن محمد بن على مرسلا بلفظ كان شديد البطش قال الشارح ومع ذلك فلم تكن الرحمة منزوعة عن بطشه لتخلقه بأخلاق الله تعالى وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ليس فيه شئ من الرحمة واللطف وقال العراقى وللطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو وأعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف (ولما غشيته المشركون) يوم حنين (نزل) عن بغلته (فجعل يقول)

(أنا النبى لا كذب) * (أنا ابن عبد المطلب)

قال العراقى متفق عليه من حديث البراء اه قلت ومعنى قوله أنا النبى لا كذب أى حقا فلا أفرق ولا أزول أى صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكأنه قال أنا النبى والنبى لا يكذب لست بكاذب فيما أقول حتى انهزم بل أنا متيقن ان ماوعدنى الله تعالى من النصر حق فلا يجوز على الفرار أنا ابن عبد المطلب فيه دليل لجواز قول الانسان فى الحرب أنا فلان بن فلان ومنه قول على رضى الله عنه * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * وقول سلمة أنا ابن الاكوع والمنهى عنه قول ذلك على وجه الافتخار كما كانت الجاهلية تفعله وانتسب لجده عبد المطلب دون أبيه عبد الله لانه توفى شابا فى حياة أبيه عبد المطلب فلم يشتهر كاشتهار أبيه وكان عبد المطلب سيد قريش وسيد أهل مكة ومن ثم نسب اليه صلى الله عليه وسلم فى نحو قول ضمام أيكم ابن عبد المطلب (فما روى يومئذ أحد أشد منه صلى الله عليه وسلم) لانه لما استقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم الا عمه العباس وأبو سفيان ابن الحرث وأبو بكر وعمر وأسامة فى اناس من أهل بيته وأصحابه قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل الى العدو لانه كان يتقدم فى نحوهم وأبو سفيان آخذ بركابه * ومما يدل على شجاعته صلى الله عليه وسلم وكونه أشدهم بأسا ركوبه يومئذ على بغلته البيضاء وهى دلدل كما فى رواية مسلم مع عدم صلاحيتها للحرب كرا وفرا ومن ثم لم يسهم لها ومع العادة انما هى من مراكب الطمأنينة ومع ان الملائكة الذين قاتلوا معه فى ذلك اليوم لم يكونوا الا على الخيل لا غير ومع انه كانت له أفراس متعددة فى مواطن الحرب وهذا هو النهاية القصوى فى الشجاعة والثبات وفيه اعلام بأن سبب نصرته مدده السماوى والتأييد الالهى الخارق للعادة وبأنه ظاهر المكانة والمكان ليرجع اليه المسلمون وتطمئن قلوبهم بمشاهدة جميل ذاته وجليل آياته كركضه بها فى نحر العدو مع فرار الناس عنه ولم يبق معه الا أكابر أصحابه وكنزوله عنها الى الارض مبالغة فى الثبات والشجاعة ومساواة فى مثل هذا المقام للماشين من أصحابه والله أعلم

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

منه وقيل كان صلى الله عليه قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذى يقر[ب] منه فى الحرب لقر[به] من العدو وقال عمران [بن] حصين مالقى رسول [الله] صلى الله عليه وسلم ك[تيبة] الا كان أول من يضر[ب] وقالوا كان قوى البط[ش] ولما غشيه المشركون [نزل] عن بغلته فجعل يقو[ل أنا] النبى لا كذب أنا ابن [عبد] المطلب فما رؤى يومئذ [أحد] كان أشد منه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا على علو منصبه) قال العراقى روى أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه تواضع فى غير مذلة (قال ابن عامر) كذا فى النسخ الصحيحة ووقع فى بعضها ابن عباس وهو غلط (رأيته) صلى الله عليه وسلم (يرمى الجمرة) أى جمرة العقبة (على ناقة صهباء لا طرد ولا ضرب ولا اليك اليك) قال العراقى رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال الترمذى حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة ابن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف اه قلت تقدم هذا الحديث فى الكتاب الذى قبله من رواية سفيان الثورى عن أيمن بن نائل نزيل عسقلان عن قدامة وكذا من رواية البهلول عن أيمن بن نائل فى قصة الرشيد وهو قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية العامرى الكلابى له صحبة وله أحاديث وقال ابن السكن كان يسكن نجد ولم يهاجر لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وروى عبد الرزاق عن أيمن بن نائل هذا الحديث ونسبه فيه الى جده فقال قدامة بن عمار وبه يظهر أن المصنف تبع نسخة أبى الشيخ فى قوله ابن عامر (وكان) صلى الله عليه وسلم (يركب الحمار موكفا) أى مشدودا عليه بالاكاف (عليه قطيفة) وهى دثار له خمل (وكان مع ذلك يستردف) رواه الشيخان من حديث أسامة بن زيد وتارة يركبه عريا ليس عليه شئ كما رواه ابن سعد من حديث حمزة بن عبد الله بن عتبة مرسلا وهذا يدل على غاية التواضع ونهاية الخضوع (وكان) صلى الله عليه وسلم (يعود المريض) ولو كان فى آخر المدينة راكبا وماشيا (ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك) وفى لفظ العبد الى أى حاجة دعاه اليها قرب محلها أو بعد رواه الترمذى وضعفه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث أنس وتقدم مقطعا ولفظ الحاكم كان يردف خلفه ويضع طعامه على الارض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار (ويخصف النعل) أى يخرزها بيده (ويرقع الثوب) أى يخيطه أو يخط له رقعة روى ابن عساكر من حديث أبى أيوب كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف (ويصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم) روى أحمد من حديث عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وقد تقدم فى أوائل آداب المعيشة (وكان أصحابه) صلى الله عليه وسلم (لا يقومون له) اذا أقبل عليهم (لما عرفوا من كراهته لذلك) أى لاجل المعلوم المستقر عندهم وهو كراهته تواضعا وشفقة عليهم واسقاطا لبعض حقوقه المعينة عليهم فاختاروا ارادته على ارادتهم ولا يعارض ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم أى سعد بن معاذ لان هذا حق للغير فأعطاه صلى الله عليه وسلم له وأمرهم بفعله بخلاف قيامهم له صلى الله عليه وسلم فانه حق لنفسه فتركه تواضعا قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس وتقدم فى آداب الصحبة قلت لفظ الترمذى فى الشمائل وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك (وكان) صلى الله عليه وسلم (يمر على الصبيان) وهم يلعبون (فيسلم عليهم) فيردون عليه رواه الترمذى من حديث أنس وتقدم فى آداب الصحبة وروى البخارى بلفظ انه صلى الله عليه وسلم مر على صبيان فسلم عليهم وروى النسائى من حديثه كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم (وأتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته) أى انتفض جسمه من مهابته صلى الله عليه وسلم عند وقوع بصره عليه اذ قد تقدم من وصفه انه من رآه بديهة هابه (فقال هون عليك فلست بملك) كملوك الارض يهاب منهم (انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل من القديد) وهو اللحم اليابس وكانت قريش تقدد اللحم وترفعه لوقت الحاجة قال العراقى رواه الحاكم من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (وكان) صلى الله عليه وسلم (يجلس بين أصحابه) حالة كونه (مختلطا بهم كانه أحدهم فيأتى الغريب) من الخارج (فلا يدرى أيهم هو) صلى الله عليه وسلم (حتى يسأل عنه) فكان يقول أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم رسول الله فكانوا يقولون هذا الابيض المتكئ (حتى طلبوا اليه أن يجلس مجلسا) مرتفعا (يعرفه الغريب) فبنى له صلى الله عليه

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا فى علو منصبه قال ابن عباس رضى الله عنهما رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كانه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب

وسلم موافقا لما رأوه (فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه) فى المصباح الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة التى يقعد عليها قال الاصمعى اذا مالت النخلة بنى تحتها من قبل الميل بناء كالدكان فتمسكها باذن الله تعالى أى دكة مرتفعة وقال الفارابى الطلل ماشخص من آثار الدار كالدكان ونحوه وأما وزنه فقال السرقسطى النون زائدة عند سيبويه وكذلك قال الاخفش وهى مأخوذة من قولهم أكمة دكاء أى منبسطة وقال ابن القطاع وجماعة هى أصلية مأخوذة من دكنت المتاع اذ نضدته ووزنه على الزيادة فعلان وعلى الاصالة فعال حكى القولين الازهرى وغيره فان جعلت الدكان بمعنى الحانوت ففيه التذكير والتأنيث ووقع فى كلام المصنف فى كتب الفروع حانوت أودكان فاعترض بعضهم عليه وقال الصواب حذف احدى اللفظتين فان الحانوت هى الدكان ولا وجه لهذا الاعتراض لما تقدم من ان الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة والله أعلم قال العراقى رواه أبوداود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر وقد تقدم (وقالت عائشة رضى الله عنها) لرسول الله (كل جعلنى الله فداءك متكئا فانه أهون عليك قال فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) قال العراقى رواه أبو الشيخ من رواية عبدالله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف قلت ورواه أيضا ابن سعد فى الطبقات وأبو يعلى نحوه وهذا أورده على منهج التربية لامته فانه المربى الاكبر فاخباره عن نفسه بذلك فى ضمنه الارشاد لهم الى مثل ذلك الفعل وأما هو فى حد ذاته فيخالف جميع العباد فى العبادة والعادة تمكن للاكل أولم يتمكن اذ لولم يكن مستحضر المرائى ربه من اقباله فى سائر حالاته لما حسن منه هذا القول (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يأكل على خوان) بالكسر ويضم هو المائدة مالم يكن عليها طعام وهو مما يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الاكل عليه احترازا عن خفض رؤسهم فالاكل عليه بدعة الا انها جائزة (ولا فى سكرجة) بضم أحرفه الثلاث مع تشديد الراء وقيل الصواب فتح رائه لانه معرب عن مفتوحها وهى اناء صغير يجعل فيه مايشهى و يهضم من الموائد حول الاطعمة (حتى لحق بالله عز وجل) قال العراقى رواه البخارى من حديث وتقدم فى آداب الاكل قلت ورواه كذلك الترمذى فى الشمائل (وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم الا قال لبيك) قال العراقى رواه أبونعيم فى الدلائل من حديث عائشة وفيه حسن بن علوان متهم بالكذب والطبرانى فى الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن طالب فى أثناء حديث ان أمه قالت يارسول الله فقال لبيك وسعديك الحديث اه قلت لفظ أبى نعيم فى الدلائل ما كان أحسن خلقا منه مادعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وقد أخرج حديث محمد بن حاطب أيضا أحمد والبغوى وفيه ان أمه قالت يارسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمى بك الحديث وليس فى سياقه مازاده الطبرانى (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة أخذ معهم) أى فى الحديث (وان تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم وان تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبى الوليد ذكره ابن حبان فى الثقات قلت وأخرجه البيهقى فى الدلائل من هذا الوجه سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد ان نفرا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا احدثنا عن بعض أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت جاره فكان اذا نزل الوحى عليه بعث الى فآتيه فاكتب الوحى وكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا بكل هذا نحدثكم عنه (وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا) فيسمعهم (ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا) ولا يزيد على ذلك (ولا يزجرهم الا عن حرام) قال العراقى رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم الا عن حرام قلت رواه مسلم عن يحيى بن يحيى حدثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله

فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت عائشة رضى الله عنها كل جعلنى الله فداءك متكئا فانه أهون عليك قال فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة أخذ معهم وان تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم وان تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام

صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون و يتبسم ورواه البيهقي في الدلائل من رواية شريك وقيس عن سماك عن جابر بن سمرة بلفظ قال نعم كان طويل الصمت قليل الضحك وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشئ من أمورهم فيضحكون وربما يتبسم

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم وخلقته)

الظاهرة وانما قدم الكلام على خلقه صلى الله عليه وسلم اذ هو أولى بالتقديم من حيث ان الكلام فيه أظهر وأتم اذ هو الطبع والسجية وحقيقة الصورة الباطنة من النفس وأوصافها ومعانيها المختصة بها ثم عقبه بذكر ما يتعلق بخلقه الظاهر لكونه تابعا للباطن وعنوانا عليه واعلم أن من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم اعتقاد انه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه صلى الله عليه وسلم وسر ذلك ان المحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة والاخلاق الزكية ولا أكمل منه صلى الله عليه وسلم ولا مساواه في هذا المدلول فكذلك الدال ومن ثم نقل القرطبي عن بعضهم انه لم يظهر تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما طاقت أعين الصحابة النظر اليه ثم اعلم أن الكلام على خلقه صلى الله عليه وسلم يستدعي الكلام على ابتداء وجوده فاحتيج الى ذكره وان أغفله المصنف رحمه الله تعالى وملخصه انه صح في مسلم انه قال ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وصح أيضا اني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته أي لطريح ملقى قبل نفخ الروح فيه وصح أيضا يا رسول الله متى كنت نبيا فقال وآدم بين الروح والجسد وروى كتبت من الكتابة وروى الترمذي وحسنه يا رسول الله متى وجبت لك النبوة فقال وآدم بين الروح والجسد ومعنى وجوب النبوة وكتابتها ثبوتها وظهورها في الخارج أي للملائكة وروحه صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح اعلاما بعظيم شرفه وتميزه عن بقية الانبياء عليهم السلام وخص الاظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد لانه أوان دخول الارواح الى عالم الاجساد والتمايز حينئذ أتم وأظهر فاختص صلى الله عليه وسلم بزيادة اظهار شرفه حينئذ ليتميز على غيره تميزا أظهر وأتم وأجاب المصنف في بعض كتبه عن وصف نفسه بالنبوة قبل وجود ذاته وخبر أنا أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الايجاد فانه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقا موجودا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود فقوله كنت نبيا أي في التقدير قبل تمام خلقة آدم اذلم ينشأ الا لينتزع من ذريته محمد صلى الله عليه وسلم وتحقيقه ان الدار في ذهن المهندسين وجودا ذهنيا سببا للوجود الخارجي وسابقا عليه فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا اهـ وذهب السبكي الى ما هو أحسن وأبين وهو انه جاء ان الارواح خلقت قبل الاجساد والاشارة فكنت نبيا الى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه ولا يعلمها الا الله ومن حباه بالاطلاع عليها ثم ان الله تعالى يؤتي كل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء فحقيقته صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاضه عليه من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها فحينئذ فايتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخير فيه وانما المتأخر تكونه وتنقله في الاصلاب والارحام الطاهرة الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم ومن فسر بعلم الله انه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه انه أمر ثابت له والا لم يختص بأنه نبي حينئذ اذ الانبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى وقال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم ان

(بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم)

بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه و يأخذ العهد بذلك وأخذ السبكي من الآية انه على تقدير مجيئه فى زمانهم مرسل اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء والامم كلهم من أمته فقوله و بعثت الى الناس كافة يتناول من قبل زمانه أيضا وبه يتبين معنى قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وكذا حكمة كون الانبياء تحت لوائه فى الآخرة وصلاته بهم ليلة الاسراء فاوّل الاشياء على الاطلاق النور المحمدى ثم الماء ثم العرش ثم القلم ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه ولما توفى كان ولده شيث وصيه فوصى ولده بما أوصاه به أبوه أن لا يوضع هذا النور الا فى المطهرات من النساء ولم يزل العمل بهذه الوصية الى ان وصل ذلك النور الى عبد الله مطهرا من سفاح الجاهلية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى عدة أحاديث ثم زوّج عبد المطلب ابنه عبد الله بآمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها وحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر فى حمله ومولده عجائب تدل لما يؤل اليه أمر ظهوره ورسالته وقد صح ان أمه صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام وولد مختونا فى قول عام الفيل وحكى الاتفاق عليه والمشهور انه بعده بخمسين يوما وقيل بأربعين وقيل بعشر سنين وقيل غير ذلك ثم الجمهور على انه ولد فى شهر ربيع الاوّل فقيل ثانيه وقيل ثامنه وانتصر له كثيرون من المحدثين وقيل عاشره وقيل ثانى عشره وهو المشهور وقيل غير ذلك وذلك فى يوم الاثنين كما صح فى مسلم عقب الفجر كما فى رواية ضعيفة ومدة حمله تسعة أشهر أو عشرة أو ثمانية أو سبعة أو ستة أقوال بمكة بمولده المشهور الآن وهو الاصح وقيل بالشعب وقيل بالروم ثم أرضعته حليمة السعدية والمشهور موت أبيه بعد حمله بشهرين وقيل وهو فى المهد وماتت أمه ودفنت بالابواء وقيل بالحجون بعد أربع سنين أو خمس أو ست أو سبع أو تسع أو اثنتى عشرة وشهرا أو وعشرة أيام أقوال ومات جده كافله عبد المطلب وله ثمان سنين أو تسع أو عشر أو ست أقوال ثم كفله عمه شقيق أبيه أبو طالب وتزوّج خديجة وهي بنت أربعين وهدمت قريش الكعبة وعمره خمس وثلاثون سنة ثم لما بلغ أربعين سنة أو وأربعين يوما أو وشهرين بعثه الله رحمة للعالمين يوم الاثنين لخبر مسلم فى رمضان وقيل ربيع فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة و بالمدينة عشر سنين فهذا ما يتعلق بمولده صلى الله عليه وسلم على وجه الاختصار (كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قامته) الشريفة (انه لم يكن بالطويل البائن) بالهمز ووهم من جعله بالياء أى المفرط طولا مع اضطراب (ولا بالقصير المتردد) الذى يتردد بعض خلقه على بعض ففيه نفى الطول المفرط والقصر المفرط (بل كان ينسب الى الربعة) بفتح فسكون وقد يحرك وتأنيثه باعتبار النفس ولذلك استوى فيه المذكر والمؤنث اذ يقال فى جمع كل منهما ربعات بالسكون والتحريك شاذ روى الشيخان والخرائطى من حديث البراء كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث وروى البيهقى فى الدلائل من حديث أبى هريرة كان ربعة الى الطول مائل الحديث وعند المنذرى فى الزهريات من حديثه كان ربعة وهو الى الطول أقرب واسناده حسن وعند البيهقى من حديث على وهو الى الطول أقرب وعنده أيضا من حديث عائشة كان ينسب الى الربعة وفى زوائد المسند لعبد الله بن أحمد ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة ولا تنافى بين الاخبار لانه أمر نسبي فمن وصفه بالربعة أراد الامر التقريبي ولم يرد التحديد ومن ثم قال ابن أبى هالة كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب وهو البائن الطول فى نحافة رواه الترمذى فى الشمائل والطبرانى والبيهقى وروى الترمذى أيضا فى الشمائل ليس بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وذلك (اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يماشه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة) رواه ابن أبى خيثمة فى التاريخ والبيهقى فى الدلائل وابن عساكر من حديث عائشة وفى خصائص ابن سبع كان

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو عليه السلام الى الربعة

اذا جلس يكون كتفه أعلى من الجالس (و يقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة) يعني المعتدل القامة رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق والديلمي من حديث عائشة و روي عن الحسن ابن علي ان الله جعل البهاء والهوج في الطوال قال السخاوي وما اشتهر على الالسنة ما خلا قصير من حكمة لم أقف عليه (وأما لونه) صلى الله عليه وسلم (فقد كان أزهر اللون) أي مشرقه نيره قال في الروض الزهرة لغة اشراق في اللون أي لون كان من بياض أو غيره وسيأتي المصنف تفسيره بعد ذلك (ولم يكن بالآدم) بالمد أي لم يكن شديد السمرة وانما يخالط بياضه الحمرة لكنها حمرة بصفاء فيصدق عليه انه أزهر (ولا الشديد البياض) وهو المعبر عنه بالامهق رواه البخاري والترمذي من حديث أنس بلفظ أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم الحديث ورواه الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين الحديث (والازهر) في اللغة (هو الابيض الناصع) أي الخالص الصافي (الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان) والاسم الزهرة بالضم قال ابن السكيت هو البياض وزاد غيره النير وتقدم عن السهيلي في الروض نقلا عن أبي حنيفة هو الاشراق في أي لون كان وقال شمر الازهر هو الابيض العتيق البياض النير الحسن وهو أحسن البياض كان له بريقا ونورا يزهر كما يزهر النجم والسراج وروى مسلم وأبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وفي رواية لمسلم كان أبيض مليح الوجه والترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة وفي رواية لاحمد فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البزار ويعقوب بن سفيان من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان شديد البياض والطبراني من حديث أبي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره (ونعته عمه) شقيق أبيه (أبو طالب) عبد مناف بن عبد المطلب والد علي رضي الله عنه واخوته الحرث وجعفر وعقيل (فقال) في قصيدة طويلة

(وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل)

ذكره ابن اسحق في السيرة وفي المسند عن عائشة انها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللبخاري تعليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقي الغمام فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده وقد وصله ابن ماجه باسناد صحيح (ونعته بعضهم بانه) صلى الله عليه وسلم (مشرب) بتخفيف الراء وتشديدها (بحمرة) وقد روي بالوجهين والاشراب مداخلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء الداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه ومن قال بالتشديد أراد به التكثير والمبالغة في شدة البياض للحمرة و به فسر كان أزهر اللون كما عند مسلم عن أنس وهذا القول نقله صاحب المصباح عن بعضهم وروى البيهقي في الدلائل من حديث علي كان أبيض مشربا بياضه بحمرة الحديث ورواه الترمذي كذلك والبيهقي أيضا من حديثه كان أبيض مشربا بحمرة ضخم الهامة الحديث ثم اعلم ان البياض اذا كان مشربا بالحمرة فان العرب تطلق عليه بالاسمر ويقولون السمرة هي الحمرة التي تخالط البياض وعليه يحمل ما رواه أحمد والبزار وابن منده انه صلى الله عليه وسلم كان أسمر قال الحافظ وسنده صحيح صححه ابن حبان وروى البيهقي في الدلائل كان أبيض بياضه الى السمرة وفي لفظ لاحمد بسند حسن أسمر الى البياض وروي عن ابن عباس كان جسمه ولحمه أحمر الى البياض فثبت بمجموع الروايات ان المراد بالسمرة حمرة تخالط البياض وبالبياض المثبت في روايات معظم الصحابة ما يخالطه الحمرة وان وصف في رواية بأنه شديد الوضح وفي أخرى سندها قوي شديد البياض لامكان حمل شدته على الامر النسبي فلا ينافي كونه مشربا بها وبالمنفي ما لا تخالطه هي وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق وما روى البخاري والبيهقي في الدلائل من حديث أنس أزهر اللون أمهق ليس بأبيض ولا آدم الحديث فمحمول على ان المراد بالامهق الاخضر اللون الذي

لبس

و يقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه أبو طالب فقال

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة

ليس بياضه فى الغاية الاحمرية والاسمرية فقد نقل عن رؤبة بن العجاج ان المهق خضرة الماء كما قاله الحافظ ابن حجر فما توهم القاضى ان رواية ليس بالابيض ولا بالآدم غير صواب مردود بل معناها صحيح كما تقرر وهذا الذى قررناه فى الجمع بين الاخبار حسن وقد أشار المصنف الى الجمع بتقرير آخر بقوله (فقال) أى هذا البعض الذى نعته بأنه مشرب بحمرة بعد ثبوت رواية كان أبيض شديد البياض وفى بعض النسخ فقيل وفى أخرى فقالوا (انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافى من الحمرة ما تحت الثياب منه) وهذا القول نقله البيهقى فى الدلائل فقال يقال ان المشرب منه بحمرة والى السمرة ما ضحا منه للشمس والريح وأما ما تحت الثياب فهو الابيض الازهر وهذا القول قد رده ابن حجر فى شرح الشمائل فان أنسا الملازم له وقربه منه لا يخفى عليه أمره حتى يصفه بغير صفته الاصلية الملازمة له فتعين حمل السمرة فى روايته على الحمرة التى تخالط البياض كما مر على انه ثبت فى عنقه الشريف انه أبيض كأنما صيغ من فضة مع ان العنق بارز ورد ذلك أيضا بان تأثير الشمس فيه ينافى ما ورد انه كان يظلله سحابة وهو غفلة لانه اذ ذاك كان ارهاصا ومتقدما على النبوة وأما بعدها فلم يحفظ ذلك كيف وأبو بكر قد ظلل عليه بثوب به لما وصل المدينة وصح انه ظلل بثوب وهو يرمى الجمرات فى حجة الوداع *(تنبيه)* قالوا يكفر من قال كان النبى صلى الله عليه وسلم أسود لان وصفه بغير صفته نفى له وتكذيب به ومنه يؤخذ ان كل صفة علم ثبوتها له بالتواتر كان نفيها كفرا للعلة المذكورة وقول بعضهم لابد فى الكفر من ان يصفه بصفة تشعر بنقصه كالاسود هنا فان السواد لون مفضول فيه نظر لان العلة كما علمت ليست من النقص بل ماذكر فالوجه انه لافرق فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم أشرف الالوان ولون أهل الجنة كذلك فلم لم تكن ألوانهم البياض المشرب بالحمرة بل بالصفرة كما قال جمهور المفسرين فى قوله تعالى كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون فى عشها ولونها بياض به صفرة حسنة قلت اللون واحد وانما اختلف فيما شيب به وحكمته والله أعلم ان الشوب بالحمرة ينشأ عن الدم وصفائه واعتدال جريانه فى البدن وعروقه وهو من الفضلات الجيدة التى تنشأ عن أغذية هذه الدار فناسب الشوب بها وأما الشوب بالصفرة التى تورث البياض صفاء وصقالة فلا ينشأ عادة من غذاء من أغذية هذه الدار فناسب أن يختص الشوب به فى تلك الدار فظهر ان الشوب فى كل من الدارين بما يناسبها فان قلت من عادة العرب مدح النساء بالبياض المشرب بصفرة كما وقع فى لامية امرئ القيس وهذا يدل على انه فاضل فى ألوان أهل الدنيا أيضا قلت لانزاع فى انه فاضل وانما النزاع فى انه أفضل الالوان فى هذه الدار وليس كذلك بل أفضلها المشرب بحمرة لما تقرر ان لونه صلى الله عليه وسلم أفضل الالوان (وكان عرقه صلى الله عليه وسلم) العرق محركة ما يترشح من الجلد (فى وجهه كاللؤلؤ) فى الصفاء والبياض روى مسلم فى المناقب من حديث أنس كان أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ الحديث وروى البيهقى من حديث عائشة كان يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتلألأ نورا وروى أيضا من حديث على كان عرقه اللؤلؤ (أطيب من المسك الاذفر) أى شديد الرائحة رواه البيهقى من حديث على ولريح عرقه أطيب من المسك الاذفر وفى سنده رجل مجهول وروى مسلم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب ورواه أيضا من طريق أبى قلابة عن أنس عن أم سليم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعا فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أم سليم ماهذا قالت عرقك أذوف به طيبى (وأما شعره فقد كان) صلى الله عليه وسلم (رجل الشعر حسنها) بسكون الجيم وكسرها (ليس بالسبط) بسكون الباء وكسرها (ولا الجعد القطط) بفتح الطاء الاولى وكسرهما

فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الاذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط

أى شعره صلى الله عليه وسلم ليس بنهاية فى الجعودة وهو تكسره الشديد ولافى السبوطة وهى عدم انكساره أصلابل كان وسطابينهما رواه مسلم والبيهقى فى الدلائل من طريق على بن حجر عن اسمعيل بن جعفر عن ربيعة عن أنس ورواه البخارى ومسلم أيضا من طريق مالك وغيره عن ربيعة وروى البخارى عن مسلم بن ابراهيم وعمرو بن على كلاهما عن وهب بن جرير عن أبيه عن أنس قال شعره بين الشعرين لا سبط ولا جعد بين اذنيه وعاتقه ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق مسلم بن ابراهيم وفى رواية لمسلم من طريق قتادة عن أنس كان شعرا رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط بين اذنه وعاتقه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث أبى هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا مشطه بالمشط) أى سرحه به (يأتى كأنه حبك الرمل) بضم الحاء المهملة والباء الموحدة وهى طرائق الرمل وهذا يؤيد من فسر الرجل بالمتكسر قليلا ولا ينافى ذلك ما تقدم من الروايات لان الرجولة أمر نسبى فحيث أثبتت أريد بها الامر الوسط بين السبوطة والجعودة وحيث نفيت أريد بها السبوطة (وقيل كان شعره) صلى الله عليه وسلم (يضرب منكبيه) مثنى منكب كمجلس وهو مجتمع رأس العضو والكتف روى الشيخان من حديث أنس كان شعره يضرب منكبيه أخرجاه من طريق حبان عن همام عن أنس رواه البخارى من طريق أبى غسان عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء بلفظ ان جمته تضرب قريبا من منكبيه ورواه كذلك البيهقى فى الدلائل ورواه مسلم من طريق أبى كريب عن وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء بلفظ له شعر يضرب منكبيه الحديث (وأكثر الرواية انه كان الى شحمة أذنيه) روى الشيخان من حديث البراء يبلغ شعره شحمة أذنيه أخرجاه من طريق شعبة عن أبى اسحق عن البراء وروى البيهقى فى الدلائل من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شحمة أذنيه وروى مسلم من طريق حميد عن أنس كان شعره الى انصاف أذنيه ولفظ الترمذى فى الشمائل عظيم الجمة الى شحمة أذنيه أى تكاثفها ينتهى الى شحمة أذنيه وتقدم عن الصحيحين فى حديث أنس انه كان بين أذنيه وعاتقه وفى أخرى عند الترمذى وغيره فوق الجمة ودون الوفرة وفى رواية ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره وفى أخرى كان الى أذنيه وفى أخرى الى كتفيه والجمع بين هذه الروايات ان مما يلى الاذن هو الذى يبلغ شحمتها وما خلفها هو الذى يضرب منكبيه أو بان ذلك لاختلاف الاوقات فكان اذا ترك تقصيرها بلغ المنكب واذا قصرها كانت الى الاذن أو شحمتها أو نصفها فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك (وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل اذن بين غديرتين) قال العراقى روى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانئ قدم مكة وله أربع غدائر اه قلت ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم هانئ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله أربع غدائر تعنى ضفائر والغديرة والضفيرة هى الذؤابة ولفظ الترمذى فى الشمائل قدم مكة قدمة وشعره الى انصاف أذنيه وله أربع غدائر والظاهر انها عنيت قدومه مكة عام الفتح لانه حينئذ اغتسل وصلى الضحى فى بيتها وقدماته الى مكة أربع متفق عليها فى عمرة القضاء والفتح ولما رجع من حنين دخلها حين اعتمار من الجعرانة وفى حجة الوداع (وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ) أى تضىء وتتنور من وبيص الطيب (وكان شيبه) صلى الله عليه وسلم (فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك) رواه البيهقى فى الدلائل من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قيل له هل كان شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شانه الله تعالى بالشيب ما كان فى رأسه الا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة هكذا هو فى نسخة الدلائل عندى وفى لفظ له عنده ما كان فى رأسه ولحيته ولم أره فى الدلائل وروى البخارى من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة عن أنس توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ورواه

وكان اذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية انه كان الى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك

هو

هو ومسلم أيضا من طريق مالك عن ربيعة وروى الترمذى فى الشمائل من حديث ابن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء ولا منافاة بين الروايتين لان الاربع عشرة دون العشرين لانها أكثر من نصفها ومن زعم انه دلالة لنحو الشئ على القرب منه فقد وهم ويجمع بين هذه الاخبار وبين ما قال المصنف بانه اختلف لاختلاف الاوقات أو بان الاول اخبار عن عده والثانى اخبار عن الواقع فهو لم يعد الاربع عشرة وأما فى الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة ونفى الشيب فى رواية أنس المراد به نفى كثرته لا اصله وسبب قلة شيبه ان النساء يكرهنه غالبا ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيأ كفر وأما خبر ان الشيب وقار ونور فيجاب عنه بانه وان كان كذلك لكنه شين عند النساء غالبا أو ان المراد بالشيب المنفى فيما من الشين عند من كرهنه لا مطلقا لتجتمع الروايتان وأما أمره صلى الله عليه وسلم لهم لما رأوا أبا قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلا يدل على انه شين مطلقا بل بالنسبة لمن مر وفى تغييره مصلحة بالنسبة الى الجهاد وارهاب الكفار وبالنسبة لوقوع الالفة بين الزوجين والجمع بين الاحاديث ما أمكن أسهل من دعوى النسخ وان أيدها منع الاكثرين للتغيير والله أعلم (وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم) روى الشيخان من حديث البراء كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الحديث ولهما وللترمذى وابن ماجه من حديث أنس كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وقد تقدم وروى مسلم من حديث ابن الطفيل كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث أبى هريرة كان ابيض كانما صيغ من فضة الحديث وقد تقدم وفى حديث هند بن أبى هالة عند الترمذى والبيهقى والطبرانى انور المتجرد وقوله كانما صيغ من فضة أى باعتبار ما يعلو بياضه من النور والاضاءة (لم يصفه واصف الاشبهه بالقمر) وانما اختير على الشمس لانه يتمكن من النظر اليه ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه بخلاف الشمس لانها تغشى البصر وتؤذى وقال (ليلة البدر) لان القمر فيها فى نهاية اضاءته وكماله وروى البيهقى فى الدلائل من حديث أبى اسحاق الهمدانى عن امرأة من همدانى سماها قالت حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران الحديث وفيه قال أبو اسحاق فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وروى البخارى من حديث كعب بن مالك لما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه وكان اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وروى البيهقى من طريق أبى اسحق عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت اماثل بينه وبين القمر ورواه من حديث جابر بن سمرة بلفظ فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان أحسن فى عينى من القمر وروى البخارى من طريق زهير عن أبى اسحق قال سأل رجل البراء أليس كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا كان مثل القمر ورواه مسلم بلفظ لا بل مثل الشمس والقمر مستديرا وفى الشمائل للترمذى من حديث هند بن أبى هالة فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وروى البيهقى من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ صفى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وفى رواية يا بنى لو رأيته رأيت الشمس طالعة ورواه من طريق أبى يونس مولى أبى هريرة عن أبى هريرة قال ما رأيت شيأ أحسن من النبى صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه الحديث ثم ان تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس انما جرى على عادة العرب والشعراء أو على سبيل التقريب والتمثيل والا فلا شئ يعادل شيأ من أوصافه صلى الله عليه وسلم اذ هى أعلى وأجل من كل مخلوق (وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته) تقدم فى أول الباب (وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر) رضى الله عنه (حين يقول

(أمينا مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام)

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لم يصفه واصف الاشبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول

أمين مصطفى للخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام

وفى بعض النسخ أمين بالرفع و زايله فارقه فالبدر أضوأ مايكون اذذاك وفى بعض النسخ الظلام بكسر الظاء المهملة وليس له وجه (وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة) أى واضحها قال الخليل هى مستوى مابين الحاجبين الى الناصية وقال الاصمعى هى موضع السجود والجمع جباه (أزج الحاجبين) أى مقوسهما مع كثرة شعرهما وطول فى طرفه وامتداده أو دقيقهما مع طول (سابغهما) أى كاملهما (وكان ابلج مابين الحاجبين كان مابينهما الفضة المخلصة) أى كان بين حاجبيه بلجة أى فرجة بيضاء دقيقة لاتتبين الالمتأمل فهو غير أقرن فى الواقع وان كان أقرن بحسب الظاهر عند من لم يتأمله لانهما سبغا حتى كادا يلتقيان قال الاصمعى كانت العرب تكره القرن وتستحب البلج والبلج هو ان ينقطع الحاجبان فيكون مابينهما نقيا روى البيهقى فى الدلائل من حديث أبى هريرة كان مفاض ٧ أهدب الاشفار وروى الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة كان واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب الحديث وروى البيهقى من طريق حرب بن شريح صاحب الخلقان قال حدثنى رجل من بامدوية قال حدثنى جدى قال انطلقت الى المدينة فذكر الحديث فى رؤيته رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة الحديث وروى من حديث أبى هريرة كان أحسن الناس صفة وأجملها الحديث وفيه أسيل الجبين شديد سواد الشعر الحديث وفى بعض الروايات كان صلت الجبين وكلها تؤل الى معنى واحد (وكانت عيناه) صلى الله عليه وسلم (نجلاوين) أى واسعتين (ادعجهما) أى شديد سواد حدقتهما روى البيهقى من طريق عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده قال قيل لعلى انعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مشربا بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أهدب الاشفار وروى من طريق ابراهيم بن محمد من ولد على قال كان على اذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فى الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الاشفار ولابى بكر بن أبى شيبة من حديث جابر بن سمرة قال كنت اذا نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل العينين وليس بأكحل الحديث (وكان فى عينيه تمزج من حمرة) روى البيهقى من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن على عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العين بحمرة وروى مسلم من طريق غندر عن شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة قال كان ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين ورواه الحاكم بلفظ كان أشكل العينين ضليع الفم ورواه أبو داود فقال أشهل العينين قال أبو عبيد الشكلة كهيئة الحمرة تكون فى بياض العين والشهلة غير الشكلة وهى حمرة فى سواد العين (وكان) صلى الله عليه وسلم (أهدب الاشفار) جمع شفر بالضم وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب قال ابن قتيبة والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وانما الاشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر (حتى تكاد تلتبس من كثرتها) روى ذلك من حديث على بالفاظ مختلفة ففى لفظ عظيم العينين أهدب الاشفار وفى لفظ أسود الحدقة أهدب الاشفار وفى لفظ أدعج العين أهدب الاشفار وفى لفظ أغر أبلج أهدب الاشفار ومن حديث أبى هريرة كان أهدب أشفار العينين وفى لفظ كان مفاض الجبين أهدب الاشفار وفى لفظ أكحل العينين أهدب الاشفار كل هذه الالفاظ عند البيهقى فى الدلائل (وكان) صلى الله عليه وسلم (أقنى العرنين) بكسر العين المهملة أوّل الانف حيث يكون فيه شمم وأوله هو ما تحت مجتمع الحاجبين والقنى فى الانف طوله ورقة ارنبته مع حدب فى وسطه يعنى (مستوى الانف) أى من غير حدب وفى رواية أقنى الانف أى سائل مرتفع وسطه وروى الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل والطبرانى من حديث هند بن أبى هالة فى حديثه الطويل أقنى العرنين له نور يحسبه من لم يتأمله اشم الحديث وروى البيهقى من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة فساق الحديث وفيه فاذا رجل حسن الوجه عظيم الجبهة دقيق الانف رقيق الحاجبين الحديث (وكان) صلى الله عليه وسلم (مفلج الاسنان أى مفرجها) هذا أحد الوجوه فى تفسير المفلج

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما وكان ابلج مابين الحاجبين كان مابينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان فى عينيه تمزج من حمرة وكان أهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أقنى العرنين أى مستوى الانف وكان مفلج الاسنان أى متفرقها

وقيل فلجها تفريق الثنايا والرباعيات فقط رواه مسلم والترمذى فى الشمائل من حديث جابر بن سمرة ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان الحديث وفى رواية لابن سعد مبلج الثنايا بالوحدة ولابن عساكر براق الثنايا وروى البيهقى من حديث ابن عساكر كان أفلج الثنيتين وكان اذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا) أى ضوء (البرق اذا تلألأ) فى ظلمة الليل روى البيهقى من حديث عائشة وكان يتبسم عن مثل البرد والمنحدر من متون الغمام فاذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وروى من حديث أبى هريرة واذا ضحك يتلألأ وفى حديث هند ويفتر عن مثل حب الغمام (وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم) رواه البيهقى فى الدلائل من حديث عائشة على ماسيأتى ذكره وعند مسلم والترمذى من حديث جابر ضليع الفم أى واسعه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال بعضهم الضليع المهزول الذابل وهو فى صفة فم النبى صلى الله عليه وسلم ذبول شفتيه ورقتهما وحسنهما (وكان) صلى الله عليه وسلم (سهل الخدين صلتهما) أى سائلهما من غير ارتفاع وجنتيه وذلك أحلى عند العرب رواه الترمذى فى الشمائل والبيهقى والطبرانى من حديث هند بن أبى هالة وروى البزار والبيهقى كان أسيل الخدين واصلت الخدين أسيلهما هو المستوى الذى لا يفوت بعض لحم بعضه بعضا كما سيأتى ذلك عند ذكر حديث عائشة (ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم) أى لم يكن شديد تدوير الوجه والمكلثم هو المدور الوجه يقول فليس كذلك ولكنه مسنون رواه الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث على لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان فى وجهه تدوير الحديث والمطهم هو المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد (كث اللحية) أى الكثير نبات الشعر الملتفه رواه البيهقى من حديث عائشة ورواه من طريق محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه ورواه من طريق نافع بن جبير عنه كان ضخم الهامة عظيم اللحية وفى لفظ له ضخم الرأس واللحية ومن حديث أبى هريرة كان أسود اللحية حسن الشعر ومن طريق أبى ضمضم عن رجل من الصحابة لم يسم كان مرجلا مربوعا حسن السبكة قال كانت اللحية تدعى فى أول الاسلام سبكة ورواه الطبرانى فى الكبير وسماه العداء ابن خالد (وكان) صلى الله عليه وسلم (يعفى لحيته و يأخذ شاربه) ويأمر بذلك روى ابن عدى والبيهقى فى السنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده احفوا الشوارب واعفوا اللحى ورواه أيضا الطحاوى من حديث أنس بزيادة ولا تشبهوا باليهود (وكان) صلى الله عليه وسلم (أحسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب) وماغيبت الثياب من عنقه وماتحته فكأنه القمر ليلة البدر هكذا رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره وروى الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث هند بن أبى هالة دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة الحديث ولفظ البيهقى من حديث على كان عنقه ابريق فضة (وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه) رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره بلفظ وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة فى سموتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضا على بياض القمر ليلة البدر وفى سنده نظر وروى من حديث هند بن أبى هالة عريض الصدر وفى لفظ فسيح الصدر وروى الترمذى فى الشمائل بعيد مابين المنكبين قال الشارح أى عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد فى الطبقات رحيب الصدر (موصول مابين لبته) وهى النقرة التى فوق الصدر (وسرته) متعلق بموصول (بشعر كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره) رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره وروى الترمذى فى الشمائل والطبرانى والبيهقى من حديث هند بن أبى هالة موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك الحديث وروى البيهقى من

وكان اذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته و يأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة فى حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه موصول مابين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره

حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة بلفظ واذا من لون نحره الى سرته كالخيط الممدود شعره الحديث وفى حديث على بلفظ وكان فى صدره مسربة وفى لفظ له كان دقيق المسربة وفى لفظ آخر له من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره واختلف هل كان لابطيه صلى الله عليه وسلم شعر فزعم القرطبى انه لم يكن وقد رده أبو زرعة العراقى بأن ذلك لم يثبت بوجه من الوجوه والخصائص لاتثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فانه اذا نتف بقى المكان أبيض وان بقى فيه أثر (وكانت له عكن ثلاث يغطى الازار منها واحدة وتظهر اثنتان) العكنة بالضم طية من طيات البطن والجمع عكن رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره الا انه قال يغطى الازار منها اثنتين وتظهر منها واحدة ومنهم من قال واحدة وتظهر اثنتان ثم قال تلك العكن أبيض من القباطى المطواة وألين مسا (وكان) صلى الله عليه وسلم (عظيم المنكبين) رواه البيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ عظيم مشاش المنكبين وروى الترمذى فى الشمائل والبيهقى من حديث على جليل المشاش والكتد قال أبو عبيد الجليل المشاش العظيم رؤس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين (أشعرهما) رواه الترمذى فى الشمائل والطبرانى والبيهقى من حديث هند بن أبى هالة أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر أى أشعر هذه الثلاثة (ضخم الكراديس أى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين) رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى والطلة والكراديس عظام المنكبين والمرفقين والوركين والركبتين ورواه أيضا من حديث على ضخم الكراديس طويل المسربة ورواه الترمذى فى الشمائل من حديثه جليل المشاش والكتف أو قال الكتد وفى لفظ جليل المشاش والكتد بلا شك ورواه أيضا من حديث هند بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس (وكان) صلى الله عليه وسلم (واسع الظهر) وبه فسر بعيد ما بين المنكبين أى عريض أعلى الظهر كما تقدم وقد روى بعيد ما بين المنكبين فى عدة أحاديث روى الشيخان من حديث البراء كان مربوعا بعيد ما بين المنكبين الحديث وروى البيهقى من حديث أبى هريرة كان بعيد ما بين المنكبين وفى لفظ لمسلم له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين (ما بين كتفيه خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها والمراد به هنا الاثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذى يختم به وهو الطابع واضافته للنبوة للدلالة عليها قيل أو لكونه ختما عليها بحفظها وما فيها أو ختم عليها الاتمامها كما تتم الاشياء ثم يختم عليها ويحتمل انه من قبيل خاتم فضة كان ذلك الخاتم أيضا من نبوته وفى ذلك كله تكلف لايخفى (وهو مما يلى منكبه الايمن) فالبينية المذكورة تقريبية هذا قول والصحيح انه كان عند أعلى كتفه الايسر قاله السهيلى وقد وقع التصريح به عند مسلم قال حدثنا حامد بن عمر البكراوى وأبو كامل الجحدرى قالا حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما وساق الحديث وفيه ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى الحديث (فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس) هكذا رواه ابن أبى خيثمة فى تاريخه الا انه قال متركبات بدل متواليات وفى تحديد خاتم النبوة أقوال كثيرة نذكرها فمنها جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس بالسند المتقدم قريبا وقيل مثل زر الحجلة رواه البخارى من حديث السائب بن يزيد وزاد وينم مسكا ورواه مسلم بلا زيادة وقيل كبيضة الحمام رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة وقيل مثل السلعة رواه البيهقى من حديث معاوية بن قرة عن أبيه وقيل شعر مجتمع رواه الحاكم فى المستدرك وقيل مثل التفاحة رواه الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث اياد بن لقيط وقيل مثل بعرة البعير رواه أيضا من حديث أبى رمثة عن أبيه وقيل مثل السلعة رواه أيضا من حديثه عن أبيه وقيل لحمة ناتئة رواه أيضا من حديث أبى سعيد وقيل بضعة ناشزة رواه الترمذى فى الشمائل وقيل كالبندقة رواه ابن عساكر فى التاريخ زاد الحاكم فى تاريخ

وكانت له عكن ثلاث يغطى الازار منها واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس أى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس

نيسابور مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وقيل كالمحجمة الضخمة رواه البيهقي من حديث التنوخي رسول هرقل وللسهيلي في الروض كأثر المحجم القابضة على اللحم وقيل شامة خضراء محتفرة في اللحم رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ وقيل ثلاث شعرات مجتمعات نقله القاضي وقيل كبيضة حمام مكتوب بباطنها الله وحده لا شريك له وبظاهرها توجه حيث كنت فانك منصور رواه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقيل كان نورا يتلألأ رواه ابن عائذ وقيل غرزة كغرزة الحمام أي قرطمته وقرطمتاه بكسر القاف نقطتان على أصل نقاره وقيل كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة روى ذلك عن عائشة قال الحافظ في فتح الباري ورواية كأثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها محمد رسول الله أو سر فانك منصور لم يثبت منها شئ وتصحيح ابن حبان ذلك وهم وقال الهيثمي ان راوي كتابة محمد رسول الله هنا اختلط عليه بخاتمه الذي كان يختم به وقال بعض العلماء وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة بل كل شبه بما سنح به له وتلك الالفاظ كلها مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى وقال القرطبي الاحاديث الثابتة تدل على ان خاتم النبوة كان شيأ بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل جعل كبيضة الحمام واذا أكثر جعل كجمع اليد وقال القاضي رواية جمع الكف تخالف بيض الحمام وزر الحجلة فتتأول على وفق الروايات الكثيرة أي كهيئة الجمع لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة واختلفوا هل ولد به أو وضع عند ولادته قولان لكن في حديث البزار وغيره بيان وقت وضعه وكيف وضع ومن وضعه وهو قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبم علمت حتى استغنيت قال أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فقال أحدهما شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الامر معاينة وقال أبو نعيم في الدلائل لما ولد أخرج الملك صرة من حرير أبيض فيها خاتم فضرب على كتفيه كالبيضة وأخرج الحاكم عن وهب بن منبه لم يبعث الله نبيا الا وعليه شامات النبوة في يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامات نبينا بين كتفيه وعليه فوضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به على سائر الانبياء صلى الله عليه وسلم (وكان) صلى الله عليه وسلم (عبل العضدين والذراعين) أي ضخمهما روى البيهقي من حديث أبي هريرة كان شثن الذراعين بعيد ما بين المنكبين الحديث أي عريضهما وفي حديث هند بن أبي هالة ضخم الكتد وهو محركة مجتمع الكتفين والظهر (طويل الزندين) أي عظيمهما اذ الزند موصل عظم الذراع وهما زندان الكوع والكرسوع (رحب الراحتين) أي واسعهما حسا ومعنى والراحة باطن الكف (سائل الاطراف) بالسين المهملة أي ممتدها وهي الاصابع امتدادا معتدلا بين الافراط والتفريط وروى بالشين المعجمة أي مرتفعها رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة طويل الزندين رحب الراحة سائل الاطراف أو شائل الاطراف (كان أصابعه) صلى الله عليه وسلم (قضبان الفضة) في امتدادها وصفاء لونها رواه البيهقي من حديث عائشة الآتي اسناده (كفه) صلى الله عليه وسلم (ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أولم يمسها) قال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال ما مسست بيدي ديباجا ولا حريرا ولا شيأ ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مسلم حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال ما شممت شيأ قط مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مسست شيأ قط حريرا ولا ديباجا ألين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مسلم حدثنا عمرو بن حماد ثنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاولى ثم رجع الى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى

وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان أصابعه قضبان الفضة كفه ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أولم يمسها

أحدهم واحدا واحدا قال وأما أنا فمسح خدي قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار وأخرج البيهقي من طريق جابر بن زيد بن الاسود عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمنى فقلت يا رسول الله ناولني يدك فناولنيها فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وقد وقع في حديث مسلسل بالمصافحة من طريق أبي القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنبجي عن عمرو بن سعيد عن أحمد بن دهقان عن خلف بن تميم عن أبي هرمز عن أنس قال صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مسست خزا ولا حريرا ألين من كفه صلى الله عليه وسلم وله طرق ذكرتها في التعليقة الجليل على مسلسلات ابن عقيل وفي بعض ألفاظه فما مسست خزا ولا قزا وقد أوسع الكلام فيه الحافظ أبو بكر بن عدي في الخامس من مسلسلاته (يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها) أي ريح يده الشريفة (ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي وأورده ابن دحية في المستوفى بلفظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا صافح أحدا فيظل يومه يجد ريحها والباقي سواء (وكان) صلى الله عليه وسلم (عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق) أي ضخمهما رواه البيهقي كذلك الا أنه قال من الفخذين والساق (وكان) صلى الله عليه وسلم (معتدل الخلق في السمن) رواه البيهقي كذلك ولم يقل في السمن وقد رواه الترمذي في الشمائل هكذا من حديث هند بن أبي هالة والمراد به اعتدال خلقه في جميع أوصاف ذاته لان الله تعالى جعله خلقا وشربعة وأمة من غائلتي الافراط والتفريط (بدن في آخر زمانه وكان لحمه) مع ذلك (متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن) أي الطعن في العمر وفي نسخة لم يضره السمن رواه البيهقي كذلك بلفظ بدن في آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكا وكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن وروى الترمذي في الشمائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة بادن متماسك أي ضخم البدن لامطلقا بل بالنسبة لما مر من كونه جليل المشاش والكتد ولما كان اطلاق البادن يوهم الافراط في السمن المستدعي لرخاوة البدن وعدم استمساكه وهو مذموم اتفاقا استدرك ونفى ذلك فقال متماسك أي يمسك بعضه بعضا لما اشتمل عليه من الاعتدال التام وبلوغ الغاية في تناسب الاعضاء والتركيب (وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان) صلى الله عليه وسلم (يمشي فكأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب) محركة أي انحدار (يخطو تكفيا) بالفاء والهمز أي مائلا الى سنن المشي (الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا) أي يمشي بقوة رواه البيهقي بلفظ واذا مشى فكأنما يتقلع في صخر وينحدر في صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير عثر والهوينا تقارب الخطا والمشي على الهينة وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة واذا زال تقلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب الحديث وروى مسلم من حديث أنس اذا مشى تكفأ وروى البيهقي من حديث أبي هريرة وما رأيت أحدا أسرع في مشيه منه كأن الارض تطوى له انا لنجهد وانه غير مكترث وفي لفظ آخر له بطأ بقدمه جميعا اذا أقبل أقبل جميعا واذا أدبر أدبر جميعا ومن حديث علي اذا مشى تكفى تكفؤا كأنما ينحط من صبب الحديث وفي لفظ آخر له وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشي من صبب وفي لفظ آخر اذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد وفي لفظ آخر وكان اذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب وفي لفظ آخر اذا مشى يمشي قلعا كأنما ينحدر من صبب وفي لفظ آخر له اذا مشى كأنما ينحدر من صبب واذا مشى كأنما يتقلع من صخر ومن حديث أنس وكان يتوكأ اذا مشى وقوله في حديث علي يمشي قلعا ضبط بالفتح وهو مصدر بمعنى الفاعل أي قالعا لرجله من الارض وبالضم اما مصدر أو اسم بمعنى الفتح أو بفتح فكسر وهو بمعنى رواية كأنما ينحط من صبب اذ الانحدار من الصبب والتقلع من الارض متقاربات والمعنى انه يستعمل التثبت ولا يتبين منه حينئذ استعجال ومبادرة شديدة وقوله يمشي هونا نعت لمصدر محذوف أي مشيا هونا أو حال أي هينا في تؤدة وسكينة وحسن سمت ووقار

يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا

وحلم

وحلم لا يضرب بقدميه ولا يخفق بنعليه أشرا و بطرا ومن ثم قال ابن عباس فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أى بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال بعض المفسرين وذهبت طائفة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض أى ان المشى هو الهون ويشبه أن يتأول هذه على أن يكون أخلاق ذلك الماشى هونا مناسبة لمشيه فيرجع الامر الى نحو ما مر فالثناء عليهم ليس من حيث صفة المشى فقط اذ رب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس وقال الزهرى سرعة المشى تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع غير الخفيف لانه يخل بالوقار والخير فى الامر الوسط وسرعة مشيه صلى الله عليه وسلم كما فى قوله ذريع المشية أى واسع الخطوة كانت برفق وتثبت دون عجلة وهوج واسراع عمر رضى الله عنه جبلة لا تكلف والله أعلم ولله در الابوصيرى رحمه الله تعالى حيث يقول فى مدحه صلى الله عليه وسلم

سيد ضحكه التبسم والمشـ * ـى الهوينا ونومه الاغفاء

وكان عليه الصلاة والسلام يقول أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بى خلقا وخلقا

(وكان صلى الله عليه وسلم يقول أنا أشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان أبى ابراهيم أشبه الناس بى خلقا وخلقا) رواه البيهقى كذلك والى هنا تم الحديث الذى ساقه المصنف من أوله وهو من قوله بيان صورته وخلقته ولنذكر أولا سياق العراقى ثم نتبعه سياق البيهقى فى الدلائل قال العراقى قوله كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبى طالب ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ ودون قوله وكان واسع الجبهة الى قوله وكان سهل الخدين وفيه صبيح بن عبد الله الفرغانى منكر الحديث قاله الخطيب اهـ قلت قد أورد البيهقى فى الدلائل الحديث المذكور بتمامه كسياق المصنف وفيه زيادات من طريق هذا الرجل ولم أجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وهذا نص البيهقى فى الدلائل قال وقد روى صبيح بن عبد الله الفرغانى وليس بالمعروف حديثا آخر فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأدرج فيه تفسير بعض ألفاظه ولم يبين قال تفسيره فيما سمعنا الا أنه يوافق جملة ما روينا فى الاحاديث الصحيحة والمشهورة فرويناه والاعتماد على ما مضى أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يوسف المؤذن قال حدثنا محمد بن عمران النسوى ثنا أحمد بن زهير ثنا صبيح بن عبد الله الفرغانى ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ثنا جعفر بن محمد عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا المشذب الذاهب المشذب الطويل نفسه الا أنه المخفف ولم يكن صلى الله عليه وسلم بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول نسب الخير كله الى الربعة وكان لونه ليس بالابيض الامهق الشديد البياض الذى يضرب بياضه الشهبة ولم يكن بالآدم وكان أزهر اللون والازهر الابيض الناصع البياض الذى لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شئ من الالوان وكان ابن عمر كثيرا ما ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت عمه أبى طالب اياه فى لونه حيث يقول

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

ويقول كل من سمعه هكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم وقد نعته بعض من نعته بانه كان مشرب حمرة وقد صدق من نعته بذلك ولكن انما كان المشرب منه حمرة ما ضحى للشمس والرياح فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة وما تحت الثياب فهو الابيض الازهر لا يشك فيه أحد ممن وصفه بانه أبيض أزهر فعنى ما تحت الثياب فقد أصاب ومن نعت ما ضحى للشمس والرياح بانه أزهر مشرب حمرة فقد أصاب ولونه الذى لا يشك فيه الابيض الازهر وانما الحمرة من قبل الشمس والرياح وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الاذفر وكان رجل الشعر حسنا ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط كأنه حبك

الرمل أو كأنه المبثوث الذى يكون فى القدر اذا سفتها الرياح فاذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضا وتحلق حتى يكون متحلقا كالخواتم كان أول مرة قد سدل ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصى الخيل ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق فكان شعره فوق حاجبيه ومنهم من قال كان يضرب شعره منكبيه وأكثر ذلك اذا كان الى شحمة أذنيه وكان صلى الله عليه وسلم ربما جعله غدائر أربعا يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها ويخرج الاذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها وتخرج الاذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر كأنهما توقدا لكواكب الدرية من سواد شعره وكان أكثر شيبه فى الرأس فى فودى رأسه والفوذان حوفا الفرق وكان أكثر شيبه فى لحيته فوق الذقن وكان يشيبه كانه خيوط الفضة يتلألأ من بين ظهر سواد الشعر الذى معه واذا مس ذلك الشيب الصفرة كان كثيرا ما يفعل صار كانه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهر سواد الشعر الذى معه وكان أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصف واصف قط بلغتنا عنه الاشبه وجهه بالقمر ليلة البدر ولقد كان يقول من كان يقول منهم لربما نظرنا الى القمر ليلة البدر فيقول هو أحسن فى أعيننا من القمر أزهر اللون نير الوجه يتلألأ تلألؤ القمر يعرف رضاه وغضبه فى سروره بوجهه كان اذا رضى أو سر فكان وجهه المرآة وكانما الدر يلاحك وجهه واذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه قال وكانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

أمين مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

ويقولون كذلك كان وكان ابن عمر كثيرا ما ينشد قول زهير بن أبى سلمى يقول لهرم بن سنان

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضىء ليلة البدر

فيقول عمر ومن سمع ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم كذلك ولم يكن كذلك غيره وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعد ما سار من مكة مهاجرا لجزعت عليه بنو هاشم فانبعثت تقول

أعينىّ جودا بالدموع السواجم * على المرتضى كالبدر من بنى هاشم

على المرتضى للبر والعدل والتقى * وللدين والدنيا بهيج المعالم

على الصادق الميمون ذى الحلم والنهى * وللفضل والداعى لخير التراحم

تشبهه بالبدر ونعتته بهذا النعت وقعت فى النفوس لما ألقى الله تعالى منه فى الصدور وقد نعتته وانها لعلى دين قومها وكان صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين اذا طلع جبينه من بين الشعر أو اطلع فى فلق الصبح أو عند طفل الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كانه ضوء السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد فى الداج البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كاحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وكان النبى صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما والازج الحاجبين هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو شعرة منها شعرة فى النبات والاستواء من غير فرق بينهما وكان أبلج ما بين الحاجبين حتى كان ما بينهما الفضة المخلصة بينهما عرق يدره الغضب لا يرى ذلك العرق الا أن يدره الغضب والابلج النقى ما بين الحاجبين من الشعر وكانت عيناه صلى الله عليه وسلم نجلاوين ادعجهما والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج شدة سواد الحدقة لا يكون الدعج فى شئ الا فى سواد الحدق وكان فى عينيه تمزج من حمرة وكان أهدب الاشفار حتى تلتبس من كثرتها أقنى العرنين والعرنين المستوى الانف من أوله الى آخره وهو الاشم كان أفلج الاسنان أشنبها قال والشنب ان تكون الاسنان متفرقة فيها طرائق مثل تقرض المشط الا أنها حديدة الاطراف وهو الاثر الذى يكون أسفل الاسنان كانه ماء يقطر فى تفتحه ذلك وطرائقه وكان يتبسم على مثل البرد والمنحدر من متون الغمام فاذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا

تلألأ وكان أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم سهل الخدين صلتهما قال والصلت الخد الاسيل الخد المستوى الذى لا يفوت بعض لحمه بعضه بعضا ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم كث اللحية والكث الكثير منابت الشعر وكانت عنفقته بارزة فنيكيه حول العنفقة كأنهما بياض اللؤلؤ فى أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها والفنيكان هما مواضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعا وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه ابريق فضة يشوب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وحمرة الذهب وما غيبت الثياب من عنقه ما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة فى شدتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضا على بياض القمر ليلة البدر موصول ما بين لبته الى سرته شعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره وكان له صلى الله عليه وسلم عكن ثلاث يغطى الازار منها واحدة وتظهر ثنتان ومنهم من قال يغطى الازار منها ثنتين وتظهر واحدة تلك العكن أبيض من القباطى المطواة وألين مسا وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس والكراديس عظام المنكبين والمرفقين والركبتين والوركين وكان جليل الكتد قال والكتد مجتمع الكتفين والظهر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن وفيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنهن من عرف فرس ومنهم من قال كانت شامة النبوة بأسفل كتفه خضراء منحفرة فى اللحم قليلا وكان طويل مسربة الظهر والمسربة الفقار الذى فى الظهر من أعلاه الى أسفله وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين والزندان العظمان اللذان فى ظاهر الساعدين وكان نعم الاوصال ضبط العصب شثن الكف رحب الراحة سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان فضة كفه ألين من الخز وكأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق شثن القدم غليظهما ليس لهما خمص منهم من قال كان فى قدمه شئ من خمص يطؤ الارض بجميع قدميه معتدل الخلق بدن فى آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكا وكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن وكان فخما مفخما فى جسده كله اذا التفت التفت جميعا واذا أدبر أدبر جميعا وكان صلى الله عليه وسلم فيه شئ من الصور والصور الرجل الذى كأنه يلمح الشئ ببعض وجهه واذا مشى فكأنه يتقلع من صخر وينحدر فى صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير عثر والهوينا تقارب الخطا والمشى على الهينة فيبذر القوم اذا سارع الى خير أو مشى اليه ويسوقهم اذا لم يسارع الى شئ بمشية الهوينا وترفعه فيها وكان صلى الله عليه وسلم يقول أنا أشبه الناس بأبى آدم عليه السلام وكان ابراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بى خلقا وخلقا صلى الله عليه وعلى جميع أنبياء الله وأخبرناه عاليا القاضى أبو عمر محمد بن الحسين قال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب ثنا محمد بن عبدة المصيصى من كتابه حدثنا صبيح بن عبد الله القرشى أبو محمد قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن جعفر بن محمد عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالمشذب الذاهب قال وساق الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم بهذا

(فصل) قد سبقت الاشارة الى حديث هند بن أبى هالة وهو أجمع حديث فى شمائله صلى الله عليه وسلم الظاهرة والباطنة وقد أخرجه الترمذى فى الشمائل والبغوى والطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طرق عن الحسن بن على عنه ووقع لنا بعلو فى نسخة أبى على بن شاذان من طريق أهل البيت أخرجها البغوى أيضا وأخرجه ابن منده من طريق يعقوب التميمى عن ابن عباس انه قال لهند بن أبى هالة صف لى النبى صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أورده هنا من طريق البيهقى ثم أتبعه بحديث أم معبد الخزاعية فانه ذكر فيه ما لم يذكره غيرها من غرائب الصفات فأقول * أخبرنا بكتاب دلائل النبوة للبيهقى المسند عمر بن

أحمد بن عقيل الحسيني قراءة عليه من أوله واجازة لسائره قال أخبرنا كذلك حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري قال أخبرنا كذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال أخبرنا كذلك النور علي بن يحيي الزيات قال أخبرنا كذلك المسند يوسف بن زكريا الانصاري قال أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي سماعا عليه قال أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر سماعا عليه قال أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني سماعا عليه لجميعه أخبرنا الحجاج يوسف الزكي المزني اجازة أخبرنا الرشيد محمد بن أبي بكر العامري سماعا أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني سماعا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي اجازة أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعا قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ لفظا وقراءة عليه قال حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيي بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العقيقي صاحب كتاب النسب ببغداد قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ٢٩٤ قال حدثني علي بن جعفر ابن محمد عن أبي محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسين بن علي سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا أرجو أن يصف لي شيأ أتعلق به حينئذ قال البيهقي وأخبرنا أبو الحسين بن المفضل القطان ببغداد أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي حدثنا يعقوب بن سفيان النسوي ثنا سعيد بن حماد الانصاري المصري وأبو غسان مالك بن اسمعيل النهدي قالا حدثنا جميع بن عمير ابن عبد الرحمن العجلي قال حدثني رجل بمكة عن ابن لابي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند ابن أبي هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اشتهي ان يصف لي منها شيأ أتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق وفي رواية العلوي عقيصته والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين وفي رواية العلوي أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر وفي رواية العلوي فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة وفي رواية العلوي رحب الجبهة سبط القصب شثن الكفين والقدمين لم يذكر العلوي القدمين سائل الاطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت معا وفي رواية العلوي جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبتدر وفي رواية العلوي يبدأ من لقي بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة وفي رواية العلوي الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكتة وفي رواية العلوي السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم وفي رواية العلوي الكلام فصل لا فضول ولا تقصير دمث ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيأ الا يذم ذواقا ولا يمدحه وفي رواية العلوي لم يكن ذواقا ولا ممدحة لا يقوم لغضبه اذا تعرض الحق شيء حتى ينتصر له وفي الرواية الاخرى لا تغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى وفي رواية العلوي فيضرب بابهامه اليمنى باطن راحته اليسرى واذا غضب أعرض وأشاح واذا فرح غض

طرفه وجل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال فكتمتها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقنى اليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله فلم يدع منه
شيأ فذكر الحديث بطوله وهو مذكور فى الشمائل للترمذى مع اختلاف ألفاظ فى سياقه نبه عليه البيهقى
وأما حديث أم معبد الخزاعية فقد رواه البغوى وابن شاهين وابن السكن والطبرانى وابن منده والبيهقى
وغيرهم من طريق حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عن جده حبيش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن
حرام الخزاعى ويقال له حبيش الاشعرى وهو لقب والده خالد وهو أخو أم معبد واسمها عاتكة بنت خالد
ولهما صحبة وأورده ابن السكن من حديث أم معبد نفسها فقال حزام بن هشام بن حبيش بن خالد سمعت
أبى يحدث عن أم معبد وهى عمته فساق القصة وأنقله هنا من كتاب الدلائل للبيهقى فانه ساق الحديث بطوله
فبالسند المتقدم اليه قال أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال أخبرنا أبو عمرو
محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن
سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى الكعبى بقديد املاء قال حدثنى عمى سليمان بن الحكم عن جدى أيوب
ابن الحكم الخزاعى عن حزام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ح وحدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا محمد بن محمد بن
سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى بقديد يعرف بابى عبد الله بن أبى هشام
الخزاعى قال حدثنا أبى محمد بن سليمان ثنا عمى أيوب بن الحكم عن حزام بن هشام عن أبيه عن جده
حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ح وأخبرنا أبو نصر بن قتادة
أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلوانى حدثنا مكرم بن محرز بن مهدى
حدثنى أبى عن حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد وهو أخو عاتكة بنت
خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر
عامر بن فهيرة ودليلهما الليثى عبد الله بن الاريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت برزة جلدة
تحتبى بفناء القبة ثم تسقى وتطعم فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيأ من ذلك وكان القوم
مرملين مسنتين فقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزناكم نحرها فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى شاة فى
كسر الخيمة فقال ماهذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال أبها من لبن وقال أبو زيد هل
بها من لبن قالت هى أجهد من ذلك قال أتأذنى لى أن أحلبها قالت بأبى وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت عليه ودرت
واجترت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى
رووا ثم شرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها
ثم بايعها وارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا تساوك هزلا ضحاهن قليل
فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب فى البيت
فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه لى قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة
أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزره صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى أشفاره عطف وفى صوته
صهل وفى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة أزج أقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل
الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات
نظم يتحدرن ربعة لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظرا
وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا
معتد صلى الله عليه وسلم فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ماذكر بمكة ولقد

همت أن أصحبه ولافعلنّ ان وجدت الى ذلك فاصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من قائله وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكم * به من فعال لاتجارى وسودد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها واناءها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح درت الشاة مزبد
نخلى درها رهنا لديها بحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت الانصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شبب بها يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقد سر من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد به كل مهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى مالا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

هذا لفظ حديث أبى نصر بن قتادة وحدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الاحمسى ثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخباز ثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى ثنا أخى أيوب بن الحكم بن سالم بن محمد الخزاعى جميعا عن حزام بن هشام فذكره نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان فى آخره وقد ذكرهما فى موضع آخر ورواه يعقوب بن سفيان النسوى عن مكرم بن محرز دون الاشعار أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدى فذكره وحدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى وعبد الله بن محمد الدورقى ومخلد بن جعفر قال الاول حدثنا الحسين ابن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار وقال الثانى حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة الامام وقال الثالث حدثنا محمد بن جرير قالوا كلهم ثنا مكرم بن محرز والله أعلم وقد وجدت حديثا آخر فى صفته صلى الله عليه وسلم أخرجه البيهقى فى الدلائل وبالسند المتقدم اليه قال أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا فيض البجلى ثنا سالم بن سكين عن مقاتل بن حيان قال أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جد فى أمرى ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهر البكر البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلىّ فتوكل فسر لاهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك انى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول صدقوا النبى الامى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقروق الحاجبين الانجل العينين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الجبين الكث اللحية عرقه فى وجهه كأنه اللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جامع الناس غمرهم واذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر فى

صبب ذا النسل القليل وكأنه أراد الذكور من صلبه ولنعد الى شرح كلام المصنف قال (وكان صلى الله عليه وسلم يقول ان لى عندربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد وأنا الحاشر يحشر العباد على قدمى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم قال أبو البخترى والقثم الكامل الجامع) اعلم أن الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعت بازاء شئ متى أطلقت فهم منها اذهى امامعرفة أومخصصة قيل والاسم عين المسمى لقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يايحيى فنادى الاسم وردبانه يلزم عليه ان من قال النار احترق لسانه والعسل ذاق حلاوته وهو بديهى البطلان ولاحجة فى الآيتين لان سبح بمعنى اذكر أوعلى حقيقته وأريد بتنزيه الاسم نفسه اذأسماؤه تعالى توقيفية فيجب تنزيهها عن ان يخترع له تعالى مالم يصح عنه أوعن رسوله لقصور من عداهما عن ان يحيط بما يناسب جلاله العلى ومعنى النداء ياأيها الغلام المسمى يحيى فالصواب انه غيره كما عرف من الحد وقد تقدم بحث ذلك فى شرح كتاب قواعد العقائد من هذا الكتاب هذا ان أريد اللفظ وهو الذى الكلام فيه ومنه وعلم آدم الاسماء كلها فان أريد به الذات فعينه ومنه ماتعبدون من دونه الاأسماء أوالصفة كما يقول الاشعرى انقسم عنده اقسامها فان رجع للذات كالله فعينه أوللفعل كالخالق فغيره أولصفة الذات كالتعليم فليس عينه اذعلمه تعالى زائد على ذاته ولاغيره لعدم انفكاكه عنه من الجانبين بناء على ان الغيرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما ثم ان اسماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تعرض جماعة لتعدادها فمنهم من بلغها تسعة وتسعين موافقة لتعداد أسمائه تعالى الحسنى الواردة فى الحديث فقال القاضى عياض خصه الله تعالى ان سماه بنحو من ثلاثين اسما من أسمائه الحسنى وقال ابن دحية فى المستوفى اذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة وبلغها بعض الصوفية الى ألف كاسمائه تعالى وقد جمعها البدر البلقينى فى مجلد حافل وكذا ابن دحية فى المستوفى والمراد حينئذ مايشمل الاوصاف فاذا اشتق له من كل وصف من أوصافه المختصة به أوالغالبة عليه أوالمشتركة بينه وبين الانبياء بلغت ذلك العدد بزيادة وقد وصلها جماعة كالقاضى عياض وابن العربى وابن سيد الناس الى أربعمائة فأول ذلك الاسماء على الاطلاق محمد وهو علم منقول من اسم مفعول المضعف سمى به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة روى البيهقى من طريق أبى بكر الحميدى قال حدثنا سفيان ثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون كيف يصرف الله عز وجل عنى شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد وروى البخارى فى الصحيح عن على بن عبد الله عن سفيان وقد سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله تعالى له بذلك رجاء ان يحمده أهل السماء وأهل الارض وقد حقق الله رجاءه وأنزل الله تصديقه فى القرآن فقال محمد رسول الله الاسم الثانى أحمد وابتدأ بهذين الاسمين لانبائهما عن كال الحمد المنبئ على كال ذاته والراجع اليه سائر أوصافه اذصيغة التفعيل منبئة عن التضعيف والتكثير الى مالانهاية له وصيغة أفعل منبئة عن الوصول لغاية ليس وراءها منتهى اذ معناه أحمد الحامدين لربه لانه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ثم لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم فى قول موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من أمة محمد وقول عيسى عليه السلام اسمه أحمد قدمه على محمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل فبأحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بتلك المحامد التى لم يفتح بها على أحد قبله فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فتقدم أحمد ذكرا أو وجودا أودنيا وأخرى هذا حاصل كلام السهيلى وجرى عليه القاضى فى الشفاء وغيره وهو أظهر من دعوى ابن القيم فى أحمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول اى أنه أولى الناس بان يحمد فهو بمعنى محمد وان تفاوتا فى أن محمدا أكثر خصاله

وكان يقول ان لى عندربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم قال أبو البخترى والقثم الكامل الجامع والله أعلم

يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره ولو أريد انه أكثر حمد الربه لكان الاولى به الحماد * ومن مزاياهما مساواتهما الجلالة حروفا ومن مزايا الاول موافقته لمحمود من أسمائه ومن ثم قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وورد عند أبي نعيم انه سمى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام وهذا ان صح يعكر على ما مر عن السهيلي في تاخره عن أحمد وجودا وورد عن كعب ان اسم محمد مكتوب على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام أهل الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين أعين الملائكة قيل ووجد مكتوبا على ورد بالهند وعلى جنب سمكة وأذن أخرى قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته انه لم يسم به أحد قبله صيانة لهذا الاسم كما صين يحيى عن ذلك وخشية من وقوع لبس نعم لما قرب زمانه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو وغفلوا عن انه تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته وأشهرهم خمسة عشر * الاسم الثالث الماحي وقوله يمحو الله بي الكفر أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما زوى له صلى الله عليه وسلم ووعد أن يبلغه ملك أمته أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهر عليه بالحجة والغلبة قال الله تعالى ليظهره على الدين كله أو انه يمحو سيآت من اتبعه اى آمن فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يهدم ما قبله وخص صلى الله عليه وسلم بهذا لانه لم يمح الكفر باحد مثل ما محي به صلى الله عليه وسلم اذ بعث وقد عم الكفر الارض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معادا بل منهم من يعبد الحجر أو الكواكب أو النار فمحي ذلك به صلى الله عليه وسلم وظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسار القمرين * الاسم الرابع العاقب وهو الذي يخلف من كان قبله في الخير ومنه عقب الرجل ولده ويفسر أيضا بالذي ليس بعده أحد أي من الانبياء والرسل لان العاقب هو الآخر وهو عقب الانبياء أي آخرهم صلى الله عليه وسلم * الاسم الخامس الحاشر وقوله على قدمي بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية وفي رواية على عقبي أي على أثري وزمان نبوتي ورسالتي اذ لا نبي بعده أو يقدمهم وهم خلفه أو على اثره في المحشر اذ هو أول من تنشق الارض عنه صلى الله عليه وسلم * الاسم السادس رسول الرحمة أي التراحم بينهم الحاصل ببركته صلى الله عليه وسلم قال تعالى فألف بين قلوبكم رحماء بينهم أو المراد انه تعالى جعل ذاته نفسها رحمة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومن ثم أخبر عن نفسه انه رحمة مهداة رواه البيهقي بلفظ انما أنا رحمة مهداة فحينئذ تعلق به الخلق مؤمنهم وكافرهم * الاسم السابع رسول التوبة أي ان قبول التوبة بشروطها من جملة ما حققه الله تعالى ببركته على هذه الامة * الاسم الثامن رسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدى باللحمة ولكثرة لحوم القتلى فيها ولم يجاهد نبي قط وأمته ما جاهد صلى الله عليه وسلم وأمته كيف وهم يقاتلون الاعور الدجال ومن معه من اليهود وغيرهم وفي القاموس سمى نبي الملاحم لانه سبب لالتحامهم واجتماعهم * الاسم التاسع المقفى أي التابع للانبياء عليهم السلام فكان آخرهم يقال قفوت وقفيت اذا تبعت وقافية كل شئ آخره * الاسم العاشر قثم وقد فسره أبو البختري بانه الكامل الجامع يقال قثم له من المال أعطاه قطعة جيدة واسم الفاعل قثم مثل عمر على غير قياس وبه سمى وهو معدول عن قاثم تقديرا ولهذا لا ينصرف للعلمية والعدل التقديري وحيث فرغنا مما يتعلق بالعبارة فلنذكر التخريج قال العراقي لفظ المصنف رواه ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة باسناد ضعيف وله ولابي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربي عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب ان أبا جعفر قال ان الاسمين طه ويس واسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي

وأنا العاقب وأسلم من حديث أبي موسى والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح اهـ قلت رواه البخاري عن أبي اليمان أخبرني شعيب عن الزهري أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي اليمان ورواه البخاري أيضا من طريق مالك عن الزهري ومسلم أيضا من طريق ابن عيينة وعقيل عن الزهري وعند مسلم من رواية عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وأنا العاقب قال قلت للزهري وما العاقب قال الذي ليس بعده نبي قال البيهقي ويحتمل أن يكون تفسير العاقب من قول الزهري كما عرفت وهذا قد رده ابن دحية في المستوفى وأطال فيه وأثبت انه من تفسيره صلى الله عليه وسلم كما بينته روايات غيره وفي لفظ لمسلم الذي ليس بعده أحد ورواه البيهقي من طريق محمد بن ميسرة عن الزهري وفيه وأنا العاقب يعني الخاتم ومن طريق جعفر بن أبي وحشية عن نافع بن جبير عن سليم عن أبيه رفعه أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر والماحي والخاتم والعاقب وروى البخاري في تاريخه الصغير والاوسط والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي وابن سعد كلهم من طريق عقبة ابن مسلم عن نافع بن جبير انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك أتحصي أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان أبوك يعدها قال نعم هي ستة محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فأما الحاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد وأما عاقب فانه عقب الانبياء وأما ماح فان الله تعالى محا به سيآت من اتبعه وروى البيهقي من طريق الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفي ونبي التوبة والملحمة ورواه أبو داود الطيالسي عن المسعودي عن عمرو بن مرة بلفظ سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه اسماء منها ما حفظنا ثم ذكرهن رواه مسلم عن اسحق بن ابراهيم عن جرير عن الاعمش وذكر النقاش في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم قال لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وقال أبو محمد مكي بن ابي طالب في كتاب الهداية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة أسماء فذكر ان منها طه ويس واسناده في ذلك ضعيف جدًا وقول العراقي ولابي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل الى قوله ضعيف قلت أورده ابن دحية في المستوفى عن شيخه أبي طاهر السلفي عن أبي علي الحسن بن حمزة عن أبي الحسين بن خشيش عن أبي جعفر بن رحيم عن عبد الله التمار عن محمد بن عمران بن أبي ليلى عن اسمعيل بن يحيى التميمي عن سيف بن وهب قال سمعت أبا الطفيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي عشرة أسماء عند ربي عز وجل قال أبو الطفيل حفظت ثمانية ونسيت اثنين أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم والحاشر والعاقب والماحي قال فحدثت بهذا الحديث أبا جعفر فقال يا سيف الا أخبرك بالاسمين قلت بلى قال يس وطه قال ابن دحية هذا السند لا يساوي شيأ بدو وعلى وضاع وضعيف قال أحمد سيف بن وهب ضعيف الحديث وقال يحيى كان هالكا من الهالكين وقال النسائي ليس بثقة واسمعيل بن يحيى التيمي يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه قاله أبو حاتم وقال الدارقطني كذاب متروك وقال الازدي ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه وأما قثم فذكره ابن فارس اللغوي في كتابه المنبئ في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خمسة أوراق وأسند أبو اسحق الحربي في غريب الحديث له فيه حديثا ونصه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ملك الموت فقال أنت قثم وخلقك قيم ونفسك مطمئنة قال قثم أي مجتمع الخلق القثوم الجموع وخلقك قيم أي مستقيم قال ابن دحية فالقثم من معنيين أحدهما القثم وهو الاعطاء سمى بذلك لانه كان أجود بالخير من الريح المرسلة يعطي فلا يبخل ويمنح ولا يمنع الثاني انه من القثم وهو الجمع يقال الرجل الجموع

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)
اعلم ان من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته فى مضايق الاسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك أوائل دقائقها فى طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربى القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله فى جميع مصادره وموارده

الخير قثوم وقثم رواه ابن فارس عن الخليل بن أحمد وانما سمى به لانه جمع المناقب كلها ولم تكن فضيلة ولا خلة جليلة الا وقد كان لها جامعا وقد تسمى به لبركته أهل بيته منهم قثم بن العباس وهو أصغر من أخيه عبد الله وكان سنه يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى عشرة سنة ذكره أحمد بن كامل بن شجرة فى تاريخه وكان قثم يشبه النبى صلى الله عليه وسلم استشهد بسمرقند ولا عقب له وكان خرج اليها مع سعيد بن عثمان بن عفان فى أيام معاوية ومنهم قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس وكان قد ولى اليمامة من قبل المنصور *(تنبيه)* الحصر الذى أفاده تقديم الجار والمجرور وفى رواية الشيخين وكذا الترمذى والنسائى اضافى لا حقيقى والمعنى أسماء خمسة اختص بها لم يسم بها أحد قبلى اذ هى مشهورة فى الامم الماضية أو موجودة فى الكتب المتقدمة وانما قلنا انه حصر اضافى لورود الروايات بزيادة على ذلك منها ما تقدم ومنها انه تعالى سماه فى القرآن رسولا نبيا أميا وسماه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماه رؤفا رحيما وسماه مذكرا ونعمة وهاديا وسماه عبدا صلى الله عليه وسلم

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم ان كبار الائمة يسمون معجزات الانبياء دلائل النبوة وآيات النبوة ولم يرد أيضا فى القرآن لفظ المعجزة بل ولا فى السنة أيضا وانما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان واما لفظ المعجزة اذا أطلق فانه لا يدل على كون ذلك آية الا اذا فسر المراد به وذكرت شرائطه وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن أثبت للاولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام أحمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبى فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان للولى آية وبرهانا فاذا عرفت ذلك فاعلم ان المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم السلام سميت بذلك لعجز البشر عن الاتيان بمثلها (اعلم ان من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم) بعينه (أو أصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه) الشريفة التى جبل عليها (وأفعاله) الجيدة (وأحواله) الزكية (وعاداته) المنيفة (وسجاياه) المطهرة (وسياسته لاصناف الخلق) أحمرهم وأسودهم (وهدايته الى ضبطهم) على القانون الالهى (وتألفه أصناف الخلق) مع اختلاف طبائعهم (وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى) من طرق صحيحة (من عجائب أجوبته فى مضايق الاسئلة) أى مشكلاتها حتى يتحير فيها الحاضرون (و) من (بدائع تدبيراته فى مصالح الخلق) بوضع كل شئ فى محله (و) من (محاسن اشاراته) اللائحة من جواهر منطوقاته (فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء) المحققون (والعقلاء) المدققون (عن ادراك أوائل دقائقها) فضلا عن بواطنها (فى طول أعمارهم) وهم مكبون على مطالعتها واستخراج غوامضها (لم يبق له ريب ولا شك فى ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة) أى بصدق فى تدبير الامور بنوع لطف (تقوم بها القوة البشرية) فى استعدادها (بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد) والاستجلاب (من تأييد سماوى) أى من فوق وهى الموهبة الربانية (وقوة الهية) تنقض العادات ويعجز عن بلوغ شأوها جنس البشر ولا يقدر عليها الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (وان ذلك كله لا يتصور لكذاب) عهد منه كثرة الكذب (ولا ملبس) أى مخلط فى حاله (بل كانت شمائله) أى خصاله الشريفة (وأحواله) المنيفة (شواهد قاطعة بصدقه) أى تدل على صدقه (حتى ان العربى القح) بالضم أى الخالص فى العربية (كان يراه) مفاجأة (فيقول والله ما هذا وجه كذاب) كما وقع ذلك لكثير منهم وكان سببا لايمانهم (فكان يشهد له بالصدق) والكمال والامانة (بمجرد) رؤية (شمائله) الظاهرة فى وجهه الشريف ولونه وطلعته وقامته وحركته وسكونه (فكيف بمن شاهد أحواله ومارس أخلاقه) أى زاولها (فى جميع مصادره وموارده) فى حضر وسفر ويقظة ونوم

ومشى وجلوس وأكل وشرب ولبس وغيرذلك (وانما أوردنا بعض أخلاقه) صلى الله عليه وسلم (لتعرف محاسن الاخلاق) التى جبل عليها (ولينتبه لصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه) ورفعة مقامه (ومكانته العظيمة عند الله) عز وجل (اذ آتاه الله جميع ذلك) وحلاه به ظاهرا وباطنا (وهو رجل أمى) منسوب الى بطن أمه فى سذاجته وقد وصف كذلك فى القرآن وقبله فى التوراة والانجيل ثم بينه بقوله (لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الاعراب يتيما) من أبويه (ضعيفا مستضعفا) لم يكن عنده ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة يتقهر بها الرجال ولا أعوان على الرأى الذى أظهره والدين الذى دعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عصبية الجاهلية والتقادم والتباغى وسفك الدماء وشن الغارات لا يجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أعمالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا أئمة (فمن أين حصل له) صلى الله عليه وسلم (محاسن الاخلاق) وجميل الشيم (و) معالى (الآداب ومعرفة مصالح الفقه) فى الدين (مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله) تعالى حق المعرفة (وملائكته وكتبه) ورسله (وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحى) المنزل من السماء (ومن أين للبشر الاستقلال بذلك) فان قواه تعجز عن حمل مثل ذلك ثم بعد تلك المعاداة منهم والمخالفات لم يزل بهم بحسن سياسته حتى ألف بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتباصرت القلوب وترادفت الايدى فصاروا الفا واحدا فى نصرته وهجروا بلادهم وأوطانهم فى محبته وبذلوا مهجهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلا أموال أفاضها عليهم ولا عرض فى العاجل أطمعهم فى نيل يرجونه فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلى والتدبير الفكرى (فلو لم يكن له) صلى الله عليه وسلم (الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية) ومقنع (وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب) أى لا يشك (فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار) أى اشتهرت (واشتملت عليه الكتب الصحاح) والحسان (اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل) والاشتغال بذكر الاسناد والتخريج (فقد خرق الله العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية) على صدقه اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة وهى أخص الشمائل وأكملها وأشرفها وأعمها القرآن وسيأتى الكلام عليه فى آخر الباب وأما غيره فمنه ما وقع التحدى به وهو طلب المعارضة والمقابلة ومنه ما وقع بدون طلب ولا ينافى تسميته معجزة اذ التحدى شرط فيها لانا نقول هو شرط فيها من حيث الجملة لا فى كل من جزئياتها وبهذا يرد ما أورد على مشترط ذلك كالباقلانى مما شنع به جمع عليه وأطالوا وهى اما قبل نبوته كقصة الفيل والنور الذى أخرج معه حتى أضاء له قصور الشام وأسواقها وحتى رؤيت أعناق الابل ببصرى ومسح الطائر لفؤاد أمه حتى لم تجد ألما لولادته والطواف به فى الآفاق وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه وانتكاس الاصنام وخرورها لوجهها من غير واقع لها فى أمكنتها الى سائر ما نقل من العجائب فى أيام ولادته وأيام حضانته وبعدها الى ان نبأه الله تعالى كاظلال الغمام أى فى السفر وشق الصدر وهذا القسم لا يسمى معجزة حقيقة لتقدمه على التحدى جملة وتفصيلا وانما يسمى ارهاصا أى تأسيسا للنبوة وهذا ما عليه أهل السنة وقال المعتزلة لا يجوز تقدم المعجزة على الارسال وبما قررته يعلم أن الخلاف لفظى وأما بعد موته وهو غير محصور اذ كل خارق وقع لخواص أمته انما هو فى الحقيقة له اذ هو السبب فيه وأما من حين نبوته الى حين وفاته وهذا هو الذى الكلام فيه فمنه انشقاق القمر الذى أشار اليه المصنف والدليل على وقوعه ظاهر الآية وأجمع عليه أهل السنة وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم وخواصها اذ ليس فى معجزات الانبياء ما يقارب به لانه ظهر فى الملكوت الاعلى خارجا عن طباع هذا العالم فلا حيلة فى الوصول اليه وقد حقق التاج السبكى أن انشقاقه متواتر

وانما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولينتبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحى ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية

قال العراقي متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس اه قلت أما حديث ابن مسعود فلفظه انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا رواه كذلك عبد بن حميد والشيخان والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق أبي معمر عن ابن مسعود وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة فقالوا انتظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق الاسود عن ابن مسعود قال رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا وأما حديث ابن عباس فلفظه انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أخرجه الشيخان وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال خرج المشركون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والنضر بن الحرث فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فاشقق القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فامسى القمر قد مثل نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا أبا سلمة بن عبد الاسود والارقم بن أبي الارقم اشهدوا وأما حديث أنس فلفظه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما هكذا رواه الشيخان وابن جرير وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل بلفظ سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة فرقتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الآية وقد رواه أيضا عبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم قال ابن حجر في شرح الشمائل وقد أنكر جمهور الفلاسفة ذلك لانكارهم الخرق والالتئام في الاجرام العلوية وهؤلاء كفار وتقرر بطلان مذهبهم في الاصول وأنكره أيضا بعض الملاحدة محتجين بأنه لو وقع لم يخف على أحد من أهل الارض ولم يختص أهل مكة ورد بأنه وقع ليلا لحظة وقت الغفلة والنوم فلامانع من خفائه على من بعد عن تلك الاقاليم وليس هو دون الكسوف الذي يظهر بمحل دون آخر على أنه لولا اخبار المنجمين قبل وقوعه لربما خفي على أكثر أهل الارض وحكمة عدم بلوغ معجزة من معجزاته غير القرآن تواتره أن ينظر ذلك في الامم السابقة أعقب هلاك من كذب بها وهو صلى الله عليه وسلم رحمة عامة فكانت معجزته غير عامة لئلا يعاجل المكذبون بما عوجل به من سبقهم وحكى البدر الزركشي عن شيخه العماد بن كثير ان ما حكى ان القمر دخل من جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أطعم النفر الكثير في منزل جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال العراقي متفق عليه من حديثه اه قلت وهو ان جابرا في غزوة الخندق قال انكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شئ فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خموصا شديدا فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن أي شاة سمينة فذبحتها أي أنا وطحنت أي زوجتي الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئته صلى الله عليه وسلم وأخبرته الخبر سرا وقلت له تعال أنت ونفر معك فصاح بأهل الخندق ان جابرا صنع سورا بالضم وسكون الواو فارسية

وأطعم النفر الكثير في منزل جابر

وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق وهو من أولاد المعز فوق العتود

اى طعاما يدعو اليه الناس فحيهلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجىء فجاء فأخرجت له عجينا فبصق فيه و بارك ثم عمد الى برمتنا فبصق و بارك ثم قال ادع خابزة لتخبز معك واقدحى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط و يسمع غطيطها كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو رواه الشيخان فأخرجه البخارى عن عمر بن على حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فأتيت زوجتى ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبى عاصم ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق عباس بن محمد الدورى عن أبى عاصم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه أطعم النفر الكثير فى (منزل أبى طلحة) زيد بن سهل الانصارى البدرى رضى الله عنه المتوفى سنة أربع وثلاثين من الهجرة قال العراقى متفق عليه من حديث أنس اهـ قلت رواه مسلم من طريق حرملة والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل من طريق هرون بن معروف واللفظ له كلاهما عن ابن وهب قال أخبرنى أسامة أن يعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى حدثه انه سمع أنس بن مالك قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة قال أسامة وأنا أشك على حجر فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الجوع فذهبت الى أبى طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت يا أبتاه قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فدخل أبو طلحة على أمى فقال هل من شئ فقالت نعم عندى كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبعناه وان جاء معه بأحد قل عنهم فقال لى أبو طلحة اذهب يا أنس فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة بابه فقل أبى يدعوك ففعلت ذلك فلما قلت ان أبى يدعوك قال لاصحابه يا هؤلاء تعالوا ثم أخذ بيدى فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى اذا دنونا من بيتنا أرسل يدى فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به فقلت يا أبتاه قد قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قلت لى فدعا أصحابه فقد جاءك بهم فخرج أبو طلحة اليهم فقال يا رسول الله انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندى ما يشبع من أرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فان الله عز وجل سيبارك فيما عندك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجمعوا ما عندكم ثم قربوه وجلس من معه بالسكة فقربنا ما كان عندنا من كسر وتمر فجعلناه على حصيرنا فدعا فيه بالبركة فقال يدخل عليه ثمانية فأدخلت عليه ثمانية فجعل كفه فوق الطعام فقال كلوا وسموا الله تعالى فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا ثم أمرنى أن أدخل عليه ثمانية وقام الاولون ففعلت فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم أمرنى فادخلت عليه ثمانية فما زال كذلك حتى دخل عليه ثمانون رجلا كلهم يأكل حتى يشبع ثم دعانى ودعا أبى أبا طلحة فقال كلوا فأكلنا حتى شبعنا ثم رفع يده فقال يا أم سليم أين هذا من طعامك حين قدمتيه قالت بأبى وأمى أنت لولا انى رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شئ وسيأتى قريبا عند قوله ومرة أكثر من ثمانين ما يشبه هذه القصة وفيه انه أدخلهم عشرة عشرة ودل ظاهر مغايرة المصنف بينهما على تعدد القصة وهو الذى استظهره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان أطعم (يوم الخندق مرة ثمانين) رجلا هكذا فى سائر النسخ والصواب ثمانمائة كما يدل له سياق القصة الآتى ذكرها (من أربعة أمداد شعيرا) وهى صاع فان المد بالضم رطل وثلث بالبغدادى عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لان الصاع خمسة أرطال وثلث كما تقدم ذلك فى كتاب الزكاة (وعناق وهو) أى العناق كسحاب الانثى (من أولاد المعز) قبل استكمالها الحول وهى (فوق العتود) والعتود من أولاد المعز ما أتى عليه الحول قال العراقى رواه الاسماعيلى فى صحيحه ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث جابر وفيه انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند البخارى دون ذكر العدد وفى رواية لابى نعيم وهم ألف اهـ

قلت قال البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الاديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي أخبرنا أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة أخبرنا وكيع أخبرنا عبد الواحد بن أيمن ح قال الاسماعيلي وأخبرني الحسن هو ابن سفيان أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا المحاربي هو عبد الرحمن بن محمد عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال قلت لجابر بن عبد الله حدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أرويه عنك فقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق نحفر فيه فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيأً ولا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذه كدية قد عرضت في الخندق فرشينا عليها الماء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم و بطنه معصوب بحجر فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثا فعادت كثيبا أهيل فلما رأيت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ائذن لي فأذن لي فجئت امرأتي فقلت ثكلتك أمك اني قد رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم شيأً لا اصبر عليه فما عندك قالت عندي صاع من شعير وعناق فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها في البرمة وعجنت الشعير ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن لي فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت ان عندنا طعيما فان رأيت ان تقوم معي أنت ورجل معك فعلت فقال وما هو وكم هو قلت صاع من شعير وعناق قال ارجع الى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الاثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي ثم قال للناس قوموا الى بيت جابر قال فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله فقلت لامرأتي ثكلتك امك قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعون فقالت أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سألك عن الطعام فقلت نعم قالت الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك فذهب عني بعض ما كنت أجد قلت لقد صدقت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ثم قال لاصحابه لا تضاغطوا ثم تبرك على التنور وعلى البرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقرب اليهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس على الصحفة ثلاثة وقيل سبعة أو ثمانية فلما أكلوا كشفنا عن البرمة والتنور وجعلنا نأخذ من التنور الخبز واللحم من البرمة واذا هما قد عادا الى املأ مما كانا فنثرد ونغرف ونقرب اليهم فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملا ما كانا حتى شبع المسلمون منها وبقيت طائفة من الطعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم قال وأخبرني انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة ورواه البخاري في الصحيح عن خلاد بن يحيي عن عبد الواحد بن أيمن الا انه لم يذكر العدد في آخره ويروى انهم كانوا ثلاثمائة من غير شك قال البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب أخبرنا أحمد بن عبد الجبار أخبرنا يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبي الزبير قال أخبرني جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة رجل نحفر الخندق فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حجرا فجعله بين بطنه وازاره يقيم بطنه من الجوع فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله ائذن لي فان لي حاجة في أهلي فأتيت المرأة فقلت قد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا غاظني فهل عندك من شئ قالت هذه العناق فاطبخها وهذا صاع من شعير فاطحنه فطحنته وذبحت العناق وقلت اطبخي حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستتبعه فانطلقت اليه فقلت يا رسول الله اني قد ذبحت عناقا وطحنت صاعا من شعير فانطلق معي فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في القوم ألا أجيبوا جابر بن عبد الله قال فرجعت على المرأة فقلت قد افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فقالت بلغته وبينت له فقلت نعم فقالت ارجع اليه وبين له فأتيته فقلت يا رسول الله انما هي عناق وصاع من شعير قال فارجع ولا تحركن شيأً من التنور ولا من القدر حتى آتيها واستعر صحافا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الله عز وجل على القدر والتنور ثم قال اخرجي واثردي ثم اقعدهم عشرة عشرة فادخلهم فأكلوا وهم ثلاثمائة وأكلنا

ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير جملها أنس في يده ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم

وأهدينا لجيراننا فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل وفيه انهم كانوا ألفا فقد تقدم من رواية حنظلة بن أبي سفيان عن جابر ورواه البخاري ومسلم والبيهقي ودل سياقهم على تعدد القصة ولذلك غاير بينهما المصنف فتأمل (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه أطعم (مرة أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير جملها أنس) بن مالك رضي الله عنه (في يده) قال العراقي رواه مسلم من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لابي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا اه قلت لفظ الشيخين من حديث أنس قال قال أبو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شئ فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أي الموضع الذي أعده للصلاة فيه في محاصرة الاحزاب يوم الخندق ومعه الناس فسلمت عليه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فاخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا وفي رواية لمسلم انه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا بالضم مهموزا أي بقية وفي رواية للبخاري أدخل على عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر هل نقص منها شئ وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس انه لما انتهى الى الباب قال لهم اقعدوا ثم دخل وفي رواية عمرو ابن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه وفي رواية مبارك بن فضالة عن أنس فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان في العكة شئ فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن أنس عن أبيه فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة والحكمة في ادخالهم عشرة عشرة ان تلك القصعة لم تكن تسع ان يجلس عليها أكثر من ذلك وفي قول المصنف أكثر من ثمانين اشارة الى رواية مسلم المتقدمة وهو انهم لما فرغوا من الاكل وكانوا ثمانين أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت والمراد بهم أم سليم وأبو طلحة وأنس فهؤلاء أربعة ولا بد في البيت من صبيان وبنات ونسوة لم تذكر اسماؤهم فصح قول المصنف انهم أكثر من ثمانين فتأمل (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه أطعم (مرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر) كذا في النسخ بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وفي بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة وكلاهما غلط والصواب بنت بشير كأمير (في يديها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم) قال العراقي رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن اسحق حدثنا سعيد بن يسار عن ابنة بشير بن سعد واسناده جيد اه قلت هكذا هو في كتاب العراقي حدثنا سعيد بن يسار والذي في الدلائل للبيهقي سعيد بن ميناء وهو غير سعيد بن يسار فان سعيد بن ميناء يكنى أبا الوليد روى له الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسعيد بن يسار يكنى أبا

الحباب روى له الجاعة قال البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا أحمد ابن عبد الجبار أخبرنا يونس عن ابن اسحق حدثنى سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعيد قالت بعثتنى أمى بتمر فى طرف ثوبى الى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق فمررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادانى فأتيته فاخذ التمر منى فى كفيه وبسط ثوبا فنشره عليه فتساقط فى جوانبه ثم أمر بأهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا حتى صدروا عنه اه كذا فى نسخة الدلائل بشير بن سعيد وعليها سماع العراقى على المحب الخلاطى والذى يظهر بشير بن سعد كما ذكره العراقى وهو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة صحابية وهذه المعجزات الخمس التى ذكرها المصنف بعد انشقاق القمر تتعلق بتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ومن هذا الباب أيضا مارواه مسلم من حديث أبى هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يارسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة الحديث ومن ذلك مارواه البخارى ومسلم من حديث أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت امى أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله قيل لانس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم قال لى يا أنس ارفع فرفعته فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت * ومن ذلك مارواه مسلم من حديث جابر قال ان أم مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى التى كانت تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيها سمنا فمازال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فأتت النبى صلى الله عليه وسلم قال أعصرتيها قالت نعم قال لو تركتها مازال قائما * ومن ذلك مارواه مسلم عنه أيضا ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير فمازال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم قال النووى فى شرح مسلم والحكمة فى ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة واعدام بركة الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن الاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله * ومن ذلك ماأخرج الدارمى وابن أبى شيبة والترمذى من حديث سمرة بن جندب قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من أى شئ تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء ورواه أيضا الحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل * ومن ذلك أيضا ماأخرجه البخارى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وانه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حزله حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل من القصعتين فحملته على البعير * ومن ذلك أيضا ماأخرجه ابن أبى شيبة والطبرانى وأبو نعيم فى الدلائل من حديث أبى هريرة قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدعو هل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ماشئنا وفرغنا

وهي مثلها حين وضعت الآن فيها أثر الاصابع ومن ذلك أيضا ماذكره صاحب الشفاء من حديث علي بن أبي طالب قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا ومنه وبقي كأنه لم يشرب منه (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن (نبع الماء) الطهور (من بين أصابعه) وهو أشرف المياه قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزني انه قال نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم اه‍ (فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش) روى ابن شاهين من حديث أنس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يارسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال فرأيتها تخالل عيونا بين أصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يارسول الله فرفع يده فارتفع الماء وروى أحمد من حديث جابر قال اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيأ من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كأنه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال ألفا وخمسمائة وأخرجه ابن شاهين أيضا وفيه فأصابنا عطش بالحديبية الحديث وأخرج البخاري من حديث علقمة عن ابن مسعود بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه (وتوضأ من قدح صغير ضاق أن يبسط صلى الله عليه وسلم يده فيه) قال العراقي متفق عليه من حديث انس في ذكر الوضوء فقط ولابي نعيم من حديثه خرج الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه ثم قال هلم الى الشرب قال انس بصر عيني ينبع الماء من بين اصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه واسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال ائتوني بماء فاتوه باناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء يطفور من بين أصابعه واسناده ضعيف اه‍ قلت حديث أنس في الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فأمر الناس ان يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وفي لفظ البخاري كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ له فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلاثمائة وفي الصحيحين من حديث جابر قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال مالكم فقالوا يارسول الله ليس عندنا مانتوضأ به ولا مانشربه الا مابين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وأخرج البيهقي من طريق عثمان بن ابي شيبة عن جرير عن الاعمش عن سالم بن ابي الجعد عن جابر بلفظ لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن تبسط عليه السلام يده فيه

وأهرق عليه السلام وضوأه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء

وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل في اناء فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأدخل يده فيه وفرج أصابعه وقال حي هلا أهل الوضوء والبركة من الله قال فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه قال فتوضأ الناس وشربوا قال فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه وعلمت انه بركة قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال ألفا وأربعمائة ورواه البخاري عن قتيبة بن سعيد عن جرير وأخرج أحمد والبيهقي من طريق الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن يومئذ بضع عشرة مائة فحضرت الصلاة فقال هل في القوم من طهور فجاء رجل يسعى باداوة فيها شئ من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فركب الناس ذلك القدح وقالوا تمسحوا تمسحوا فلما سمعهم يقولون ذلك قال على رسلكم قال فوضع كفه في الماء والقدح وقال سبحان الله ثم قال أسبغوا الوضوء فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرفعها حتى توضؤا أجمعون وقال الاسماعيلي في الصحيح أخبرنا أبو يعلى ثنا أبو الربيع ثنا حماد بن زيد ثنا ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بماء فأتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضؤن فحزرت ما بين السبعين الى الثمانين قال فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه ورواه مسلم عن أبي الربيع ولفظ البخاري عن مسدد عن حماد عن ثابت دعا باناء من ماء فاتي بقدح رحراح فيه شئ من ماء فوضع أصابعه فيه قال أنس فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه قال فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين الى الثمانين وأما حديث أنس الذي ذكره العراقي من عند أبي نعيم فقد أخرجه أيضا البيهقي في الدلائل من طريق اسمعيل بن أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير قال فأدخل النبي صلى الله عليه وسلم يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الاربع ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال الى القوم هلموا الى الشراب الحديث اعلم ان ظاهر هذه الروايات دل على أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة لي رؤية الرائي وهو في نفس الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الرائي نابعا من بين يديه وظاهر كلام القرطبي انه ينبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم وهو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملامسة ماء ولا وضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابداع المعدومات وايجادها من غير أصل والله أعلم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (اهراق) بفتح الهمزة والهاء أصله اراق (وضوأه) بالفتح هو الماء الذي يتوضأ به (في عين تبوك) وهو موضع بالشام (ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء) قال العراقي رواه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الاكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا واما بصق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء انه توضأ وصبه فيها وفي الحديثين معا انهم كانوا أربع عشرة مائة وكذلك عندهما من حديث جابر ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة ولمسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة اه قلت لفظ حديث معاذ عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيأ قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شن ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماءها قد ملأ جنانا

وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي منه بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم

وعمرانا ورواه عياض في الشفاء بنحوه من طريق مالك في الموطأ وزاد فقال قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وأما قصة الحديبية فرواها البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه وحديث سلمة بن الاكوع أخرجه مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الاكوع قال أخبرني أبي قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة ماترويها قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جانبها فامادعا واما بزق فجاشت فسقينا واستقينا وحديث البراء رواه البخاري من طريق عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فماترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا وأخرجه أيضا من حديث زهير بن معاوية عن أبي اسحق وفي لفظ له فدعى بدلو فنزع منها ثم أخذ منه بفيه فمجه فيها ودعا الله فكثر ماؤها حتى صدرنا وركائبنا ونحن أربع عشرة مائة وفي مغازي أبي الاسود من رواية ابن لهيعة ودعا بدلو من ماء فتوضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه في البئر ودعا الله تبارك وتعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس مع شفتها وكذا روى الواقدي من طريق أوس بن خولي وهذه القصة غير القصة التي سبقت في ذكر نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقعتين قال بعضهم في تقرير هذا القول حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ماء وأعم من ذلك ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها والله أعلم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أمر عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه) وهيئته (كربضة البعير وهو) بفتح الراء وسكون الموحدة والضاد المعجمة (موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه) قال العراقي رواه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد باسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود من غير بيان لعددهم اه قلت النعمان ودكين مزنيان وأخرج أحمد من طريق سالم بن الجعد عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعة من مزينة ورجاله ثقات لكنه منقطع فان النعمان استشهد في خلافة عمر فلم يدركه سالم وقال الحافظ في الاصابة دكين بن سعيد له حديث واحد تفرد أبو اسحق السبيعي بروايته عنه وأخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو داود والدارقطني في الالزامات (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (رمى الجيش بقبضة من تراب) الارض وقال شاهت الوجوه أي قبحت (فعميت عيونهم) وذلك يوم بدر لما التقى الجمعان فلم يبق مشرك وكانوا ألفا أو الا خمسين الا ودخل في عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا من ذلك على الاصح وانه صلى الله عليه وسلم فعل نظيره في يوم حنين وهو الذي أراده المصنف هنا وقد أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الاكوع ولفظه بقبضة من تراب الارض كما هو عند المصنف وعند غيره انه صلى الله عليه وسلم تناول حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بذا مرة وبالآخر أخرى أو انه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب وروى أحمد وأبو داود والدارمي من حديث أبي عبد الرحمن الفهري انه صلى الله عليه وسلم اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من

تراب قال فأخبرني الذي كان أدنى اليه مني انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله تعالى قال يعلى بن حطان راويه عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن الفهري فحدثني أبناؤهم وهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وروى أحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به بغلته صلى الله عليه وسلم فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا (ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس قال ابن حجر في شرح الشمائل وقد ضلت جماعة في فهم هذه الآية حيث جعلوها أصلا في ابطال نسبة الافعال الى العباد ولم يبالوا بما يلزم على ذلك من أن يقال وما صليت اذ صليت ولكن الله صلى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والمراد أن تلك الرمية لما لم تبلغ ذلك المبلغ عادة بين الله تعالى ان من نبيه المبدأ ومنه تعالى الغاية وهو الايصال (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أبطل الله الكهانة ببعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت) قبل (ظاهرة موجودة) قال العراقي رواه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الاوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولابي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زجروا بالنجوم وأصله عند البخاري بهذا السياق اه قلت مرداس بن قيس هذا ذكره أبو موسى في الذيل والحديث الذي ذكره الخرائطي فانه أخرجه في كتاب الهواتف له من طريق عيسى بن يزيد بن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس بن قيس قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكره الى قوله عند مخرجه ثم قال فقلت يارسول الله عندنا شئ من ذلك أخبرك به فذكر قصة طويلة فيها ان كاهنهم كان يصيب كثيرا ثم أخطأ مرة بعد مرة ثم قال يامعشر دوس حرست السماء وخرج الانبياء وانه مات عقب ذلك قال الحافظ في الاصابة وعيسى أظنه ابن داب وهو كذاب وفي السند أيضا عبد الله بن محمد البلوي كذاب وأخرج البيهقي في الدلائل عن الزهري قال ان الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم وانقطعت الكهنة فلا كهانة وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قال حرست بها السماء حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم لكيلا يسترق السمع فانكرت الجن ذلك فكان كل من استمع منهم قذف وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كانت الجن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون من السماء فلما بعث حرست فلم يستطيعوا ان يستمعوا (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان (حن الجذع) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ساق النخلة (الذي كان يخطب اليه) أي مستندا اليه في حال خطبته (لما عمل له صلى الله عليه وسلم المنبر) وحنينه شوقه وانعطافه الدال عليهما صوته المسموع (حتى سمع منه جميع أصحابه) الحاضرين اذ ذاك (مثل صوت الابل فضمه اليه) بعد نزوله من المنبر (فسكن) قال التاج السبكي وحنينه متواتر لانه ورد عن جماعة من الصحابة الى نحو العشرين من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه وبينها ثم قال ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين وتبعه بعض الحفاظ قال فقد نقل هو وانشقاق القمر نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم وجرى في الشفاء انه متواتر قال البيهقي قصة حنينه من الامور الظاهرة التي نقلها الخلف عن السلف وعن الشافعي رضي الله عنه ان حنينه أعظم في المعجزات من احياء الموتى قال العراقي رواه البخاري من حديث ابن عمر وجابر اه قلت أما حديث جابر فرواه البخاري عن اسمعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد أخبرني حفص عن عبيد الله بن أنس بن مالك انه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول كان المسجد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعت لذلك الجذع صوتا كصوت العشار

ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وأبطل الله تعالى الكهانة ببعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن

حتى

حتى جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن وأخرجه ابن سعد فى الطبقات فقال أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى أويس حدثنى سليمان بن بلال فذكره وقال ابن سعد أيضا أخبرنا يعقوب بن أبى ابراهيم بن سعد الزهرى عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثنى من سمع جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الى جذع نخلة منصوب فى المسجد حتى اذا بدا له أن يتخذ المنبر شاور ذوى الرأى من المسلمين فرأوا ان يتخذه فاتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم الجمعة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على المنبر فلما فقده الجذع حن حنينا أفزع الناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجلسه حتى انتهى اليه فقام اليه ومسه فهدأ فلم يسمع له حنين بعد ذلك اليوم وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا العلاء بن سلمة البصرى حدثنا شيبة أبو قلابة عن سعيد الجريرى عن أبى بصرة عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع نخلة فقيل يارسول الله انه قد كثر الناس وتأتيك الوفود من الآفاق فلو أمرت بصنعة شئ تشخص عليه الحديث وفيه فلما صنعه صعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فحن جذع النخلة التى كان يقوم عليها حنين الناقة فسمع أهل المسجد صوتها شوقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فالتزمها وقال والذى نفسى بيده لو تركتها لحنت الى يوم القيامة قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه عرف العنبر فى وصف المنبر بعد ان أخرجه من كتاب اليتيمة للحافظ أبى موسى المدينى من طريق الطبرانى المتقدم مانصه كذا فى هذه الرواية عن ابى بصرة عن جابر والاشبه عن أبى بصرة عن أبى سعيد قال عبد بن حميد فى مسنده أخبرنا على بن عاصم عن الجريرى عن أبى بصرة العبدى حدثنى أبو سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع نخلة وذكر الحديث بطوله وقد روى عن جابر أيضا من غير هذا الوجه قال أبو بكر بن المقرى فى فوائده أخبرنا أبو يعلى حدثنا مسروق بن المرزبان حدثنا ابن أبى زائدة عن أبيه عن أبى اسحق عن سعيد يعنى ابن أبى كريب عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال ان شئت فعلت لك شيأ اذا قعدت عليه كنت كأنك قائم قال نعم قال فجعل له المنبر فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها حتى نزل النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فلما ان كان من الغد رأيت قد حولت فقلت ماهذا قال جاء النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فحولوها تفرد به يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن أبيه قاله أبو القاسم الحافظ وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه له البخارى معلقا من طريق أبى حفص عمر بن العلاء سمعت نافعا يحدث عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه قال وقال عبد الحميد أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا ورواه أبو عاصم عن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم هكذا علقه وقد وصله غيره من طريق سعد بن عمر وثنا أبو عاصم ثنا ابن أبى رواد حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر ان تميما الدارى رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسن وثقل الا اتخذ لك منبرا يحمل أو قال يجمع عظامك أو كلمة تشبهها فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة يجلس عليها قال فصعد النبى صلى الله عليه وسلم فحن جذع كان فى المسجد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يستند اليه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتضنه وقال شيأ لا أدرى ماهو ثم صعد المنبر وكان أساطين المسجد جذوعا وسقائفه جريدا أخرجه أبو داود فى سننه عن الحسن بن على ثنا أبو عاصم فذكره مختصرا الى قوله مرقاتين دون مابعده وحديث عثمان بن عمر رواه أبو القاسم البغوى عن الحسن بن محمد وأحمد بن منصور كلاهما عن عثمان بن عمر أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع نخلة فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فالتزمه تابعهم عمرو بن على الفلاس وسليم بن خلاد عن عثمان بن عمر بن فارس وتابعه يحيى بن محمد بن السكن وبدل بن المحبر عن معاذ

ابن العلاء وقال أحمد في مسنده حدثنا حسين بن محمد حدثنا خلف يعني ابن خليفة عن أبي خباب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره اليه اذا كان يوم الجمعة أوحدث أمر يريد أن يكلم الناس فقالوا ألا نجعل لك يارسول الله شيأ كقدر قيامك قال لا عليكم الا تفعلوا فصنعوا له منبرا ثلاث مراق قال فجلس عليه قال فخار الجذع كما تخور البقرة جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزمه ومسحه حتى سكن أبو خباب يحيى بن أبي حية الكوفي ضعفه القطان وأحمد وابن معين توفي سنة ١٥٠ وأبوه اسمه حية تابعي كوفي محله الصدق فيما قاله أبو حاتم الرازي وقد روى حديث حنين الجذع آخرون منهم سهل بن سعد وأبي بن كعب وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري وعائشة وأبو هريرة وابن عباس وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم أما حديث سهل بن سعد فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات قال أخبرنا أبو بكر بن أبي أويس المدني حدثني سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بن قيس عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة اذا خطب الى خشبة ذات فرضتين قال أراها من دوم كانت في مصلاه وكان يتكئ اليها وساق الحديث في عمل المنبر ثم قال فقام عليه النبي صلى الله عليه وسلم فحنت الخشبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة فأقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتاها فوضع يده عليها فسكنت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بها فدفنت تحت منبره أوجعلت في السقف ورواه أبو اسمعيل الترمذي عن أبي بشر سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال فذكره ورواه أبو اسمعيل الترمذي أيضا عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية انه سمع عباس بن سهل بن سعد الساعدي يحدث عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذا خطب على خشبة ذات فرضتين كانت في المسجد فلما زاد الناس فذكر الحديث في عمل المنبر وفيه فما هو الا أن قعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم ففقدته الخشبة فخارت كما يخور الثور لها حنين قال فجعل العباس بن سهل عديديه كنحو ما رأى أباه عديديه يحكي حنين الخشبة حتى تفزع الناس وكثر البكاء ثمار أوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ألا ترون هذه الخشبة انزعوها واجعلوها تحت المنبر وأما حديث أبي بن كعب فأخرجه أبو القاسم البغوي عن عيسى بن سالم ثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع وكان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجال من أصحابه يارسول الله نجعل لك شيأ تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك فقال نعم فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فاصغى عليه الجذع فقال له اسكن ثم التفت فقال ان تشا أغرسك في الجنة فيأكل منك الصالحون وان تشا أن نعيدك رطبا كما كنت فاختار الآخرة على الدنيا فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى أبي حتى أكلته الارضة تابعه عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال في زوائد المسند حدثني عيسى بن سالم أبو سعيد الشاشي في سنة ٢٥١ فذكره بطوله ورواه محمد بن سعد في الطبقات فقال أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي ثنا عبيد الله بن عمرو عن ابن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه فذكره بنحوه وفيه فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر فر اليه فخار الجذع حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع الى المنبر وكان اذا صلى صلى الى ذلك الجذع فلما هدم وغير أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى بلي وأكلته الارضة وعاد رفاتا وأخرج ابن ماجه بنحوه عن اسمعيل بن عبد الله الرقي عن عبيد الله بن عمرو ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن سعيد بن أبي الربيع السمان عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن ابن عقيل فذكره بطوله وأما حديث أنس بن مالك فأخرجه أحمد في مسنده فقال ثنا هاشم انا المبارك

عن الحسن عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا منبرا فبنوا له فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبرني أنس انه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكنت وأخرجه عن شيبان بن فروخ عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره مثله وفى آخره فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا لمكانه من لقيه فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه تابعهما عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة بطوله ورواه أبو يعلى الموصلى عن شيبان بن فروخ حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن أنس بنحوه وفيه فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر حنت الجذعة حنين الناقة الى ولدها حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر واحتضنها فسكن حنينها فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث قال ابن آدم هذه جذعة تحن شوقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق بالبكاء اليه تابعه أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندى عن شيبان بن فروخ ومن طرق حديث أنس ما قال الامام أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة ثنا محمد بن بسار ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا اسحق بن أبى طلحة ثنا أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره الى جذع منصوب فى المسجد فيخطب فجاء رومى فقال ألا أصنع لك شيأ تقعد وكأنك قائم فصنع له منبرا له درجتان و يقعد على الثالثة فلما قعد نبى الله صلى الله عليه وسلم خار الجذع خوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ثم قال والذى نفسى بيده لولم ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن يعنى الجذع أخرجه الترمذى عن محمود بن غيلان عن عمر بن يونس به وأما حديث أبى سعيد الخدرى فقد أخرجه عبد بن حميد فى مسنده وتقدم فى أثناء سياق حديث جابر وأما حديث عائشة فاخرجه الطبرانى باسناد ضعيف ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فرروى فقال لو دعانى محمد لجعلت له ما هو أرفق من هذا فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل له المنبر أربع مراق الحديث وأخرجه البيهقى كذلك وفى آخره انه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وأما حديث أبى هريرة فاخرجه محمد بن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر الواقدى أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع فى المسجد قائما فقال ان القيام قد شق على فقال له تميم الدارى ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام فساق الحديث وفيه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة وذكر بقية الحديث وأما حديث بريدة فاخرجه الدارمى وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت أن أردك الى الحائط الذى كنت فيه فذكر الحديث وفيه فاصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسنى فى الجنة الحديث وأما حديث أم سلمة فاخرجه أبو نعيم فى الدلائل واعلم ان القصة واحدة فما وقع فى الفاظها مما ظاهره التغاير انما هو من الرواة وعند التحقيق والتأمل يرجع لمعنى واحد والله أعلم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان (دعا) طائفة (اليهود الى تمنى الموت وأخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه) قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عباس لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا الحديث والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا الحديث واسناده ضعيف (وهذا مذكور فى سورة) من سور القرآن وهى سورة الجمعة وهو قوله تعالى ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم (يقرأ بها فى جميع جوامع الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا) على ملأ من الناس (تعظيما للآية التى فيها) وهى

ودعا اليهودى الى تمنى الموت وأخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم و بين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التى فيها

المذكورة آنفا وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة فى قوله تعالى ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم قال ان سوء العمل يكره الموت شديدا وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال عرفوا ان محمدا نبى الله وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه (و) من معجزاته انه (أخبر صلى الله عليه وسلم بالغيوب) جمع غيب وهو كل ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل فيحصل به العلم (و) جملة ذلك (أنذر ان عثمان) بن عفان (رضى الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى اهـ قلت أخرجاه من طريق أبى عثمان النهدى عن أبى موسى قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من تلك الحوائط اذ جاء رجل فاستفتح الباب فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فاذا هو عثمان فأخبرته فقال والله المستعان ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن معمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حش من حشان المدينة فاستأذن رجل خفيض الصوت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فأذنت له وبشرته فاذا هو عثمان فقرب يحمد الله حتى جلس وروى أيضا من طريق قتادة عن أبى الحجاج عن أبى موسى قال جاء رجل فاستأذن مرة فقال ائذن له وبشره بالجنة فى بلوى فقال عثمان أسأل الله صبرا (و) من جملة ذلك انذر (بان عمارا) هو ابن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسى يكنى أبا اليقظان وأمه سمية بنت خياط وكانت أمة لابى حذيفة بن المغيرة المخزومى وكان أبوه ياسر قدم من اليمن الى مكة فحالف أبا حذيفة وزوجه مولاته سمية فولدت له عمارا فاعتقه أبو حذيفة وكان سلمة بن الازرق أخاه لامه أسلم بمكة قديما هو وأبوه وأمه وكانوا ممن يعذب فى الله فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة (تقتله الفئة الباغية) قال القاضى فى شرح المصابيح يريد به معاوية وقومه اهـ وأما قول بعضهم المراد أهل مكة الذين عذبوه أول الاسلام فقد تعقبوه بالرد قال القرطبى وهذا الحديث من أثبت الاحاديث ولما لم يقدر معاوية على انكاره قال انما قتله من أخرجه فأجابه على بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قتل حمزة حين أخرجه قال ابن دحية وهذا الزام مفحم لاجواب عنه وحجة لا اعتراض عليها وقال الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتاب الامامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق وأهل الحديث والرأى والمتكلمون وسائر أهل العلم ان عليا رضى الله عنه مصيب فى قتاله لاهل صفين وأهل الجمل وان الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكنهم لا يكفرون وبمثل هذا قال الامام أبو منصور الماتريدى فى كتاب الفرق قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى قتادة وأم سلمة والبخارى من حديث أبى سعيد اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وابن حبان فى الصحيح ولفظهم كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قال السيوطى فى الخصائص هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر ويروى ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية رواه هكذا أبو يعلى والبزار والحاكم عن حذيفة وابن مسعود معا ورواه أبو يعلى أيضا من حديث أبى هريرة ورواه ابن عساكر من حديث أم سلمة ورواه الخطيب من حديث عمرو بن العاص ويروى عمار تقتله الفئة الباغية رواه هكذا أبو نعيم فى الحلية والخطيب من حديث ابى قتادة ورواه الطبرانى أيضا لكن بزيادة الناكبة عن الحق ويروى من حديث ابى أيوب تقتل عمارا الفئة الباغية وأخرج ابن سعد فى الطبقات من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت قال شهد خزيمة الجمل وهو لا يسل سيفا وشهد صفين وقال أنا لا أضل أبدا حتى يقتل عمار فانظر من يقتله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لى الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل وكان الذى قتل عمارا أبا غادية المزنى طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل فى محفة فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة ودفن هنالك * (تنبيه) * وجد بخط الحافظ ابن رجب الحنبلى ما نصه ليس فى أكثر نسخ البخارى من حديث أبى سعيد تقتله الفئة الباغية

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية

وانما

وانما وجد في بعض النسخ ووجد بخط الحافظ ابن حجر تحته قلت وليس هو في روايتنا والله أعلم (و) من جملة ذلك انه صلى الله عليه وسلم أخبر (ان) ابنه (الحسن) أبا محمد عليه السلام (يصلح الله به) أي بسبب عزله لنفسه عن الخلافة (بين فئتين عظيمتين من المسلمين) وكان كذلك فانه رضي الله عنه لما بويع له بعد أبيه وصار هو الامام الحق مدة أشهر تكملة الثلاثين سنة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعده يكون ملكا عضوضا ثم سار الى معاوية بأربعين ألفا بايعوه على الموت فلما تراءى الجمعان علم انه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فنزل له عن الخلافة لا لقلة ولا لذلة بل رحمة للامة واشترط على معاوية شروطا التزمها وقال ابن بطال وغيره ولم يوف له بشيء منها وصار معاوية من يومئذ خليفة ولما خيف من طول عمر الحسن أرسل يزيد الى زوجته جعدة انه يتزوجها ففعلت فأرسلت تستخبر فقال انا لم نرضك له فنرضاك لنا وفيه منقبة للحسن رضي الله عنه ورد على الخوارج الزاعمين كفر علي وشيعته ومعاوية ومن معه لقوله من المسلمين قال العراقي رواه البخاري من حديث ابي بكرة اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني كلهم من حديث الحسن عن أبي بكرة وفي سماع الحسن منه اختلاف والاصح انه سمع ولفظهم جميعا ان ابني هذا سيد وفي رواية لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين (و) من ذلك انه صلى الله عليه وسلم (أخبر عن رجل قاتل في سبيل الله انه من أهل النار فظهر ذلك بأن قتل ذلك الرجل نفسه) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد اه قلت أما حديث ابي هريرة فاخرجه البخاري عن ابي اليمان عن شعيب بن ابي حمزة عن ابن المسيب عن الزهري عن أبي هريرة وأخرجه البيهقي في الدلائل من طريق عثمان بن سعيد وعلي بن محمد بن عيسى واللفظ لهما كلاهما عن أبي اليمان ولفظهما قال ابو هريرة شهدنا عشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى بالاسلام ان هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فاثبتته فجاء رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت الذي ذكرت انه من أهل النار قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه من أهل النار فكان بعض الناس ارتاب فبينما هو كذلك وجد الرجل ألم الجراح هوى بيده الى كنانته فاستخرج منها اسهما فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر قال البخاري تابعه معمر عن الزهري قال البيهقي ومن ذلك الوجه وقال يونس عن الزهري حنين وفي آخر هذا الحديث كالدلالة على ان الرجل استحل قتل نفسه أو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم منه نفاقا فهو وأما حديث سهل بن سعد فرواه البخاري عن عبد الله بن مسلمة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد وأخرجه هو ومسلم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم وأخرجه الاسمعيلي في الصحيح ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الحسن بن سفيان والقاسم قالا حدثنا محمد بن الصباح واللفظ له قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم الى عسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل يا رسول الله ما أجزى أحد اليوم ما أجزى فلان فقال اما انه من أهل النار فقال رجل والله لا يموت على هذه الحال أبدا فاتبعه كلما أسرع أسرع واذا ابطأ ابطأ معه حتى جرح فاشتدت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لرسول الله قال وماذاك فاخبره بالذي كان من أمره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار وانه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وانه من

وان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من أهل النار فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه

أهل الجنة قلت واختلف في اسم هـذا الرجل فقيل هو قزمان بن الحرث حليف بني ظفر قال ابن قتيبة في المعارف هو الذي قتل نفسه وكان منا فقاوفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقال غيره ان هذا الرجل قتل نفسه يوم أحد وقيل انه صرح بالكفر وذكر ابن اسحق والواقدي قصته انه كان شجاعا معروفا في حروبهم وانه لما أصابته الجراح قيل له هنيأ لك يا أبا الغيداق بالجنة قال والله ماقتلنا الا على الاحساب وانه قتل نفسه وبمجموع ماذكرنا يظهر ان القصة تعددت والله اعلم (وهذه كلها أشياء لاتعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها الابنجوم ولا بكتف ولابخط ولا بزجر) كما كانت أهل الجاهلية تفعله فكان بعضهم ينظر في النجوم ومافي أحكامها من التسديس والتثليث والتربيع والمقابلة ومنهم من ينظر في الكتف فيخبر عن حوادث كونية ومنهم من يخط على الرمل خطوطا فيخبر به عن غائب ومنهم من يزجر الطيور والسوانح والبوارح فيخبر بها عن أمور ستقع وكل ذلك حرمها الشارع وأبطل الاشتغال بها (لكن باعلام الله تعالى له) وتعريفه اياه (ووحيه اليه و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (اتبعه) حال مهاجرته الى المدينة (سراقة) بن مالك (بن جعشم) بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي وقد ينسب الى جده كما عند المصنف يكنى أبا سفيان كان ينزل قديدا (فساخت) أي غارت (قدما فرسه في الارض واتبعه دخان) أي غبار من الارض اي مع يبوسة الارض ولا تسوخ قوائم الفرس في العادة الا اذا كانت الارض ندية (حتى استغاثه) وانه لا يدل عليه (فدعا له فانطلقت الفرس) وكتب له أمانا وأسلم يوم الفتح قال العراقي متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق اهـ قلت وروى البخاري هذه القصة من طريق البراء بن عازب عن أبي بكر الصديق وفي هذه القصة يقول سراقة مخاطبا لابي جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(وأنذره) صلى الله عليه وسلم (بان سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك) رواه ابن عيينة عن اسرائيل أبي موسى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك كيف بك اذا لبست سواري كسرى قال فلما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه وكان رجلا ازب كثير شعر الساعدين فقال له ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الاعرابي روى ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وروى عنه أيضا ابن عباس وجابر وسعيد ابن المسيب وطاوس قال ابن عمر مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أخبر بمقتل الاسود العنسي) بفتح العين المهملة وسكون النون أي قبيلة من اليمن (الكذاب) لكونه كان ادعى النبوة باليمن وكان قد أهمه صلى الله عليه وسلم أمره (ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله) قال العراقي هو مذكور في السير والذي قتله هو فيروز الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فاوحي الي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث اهـ قلت أخرج سيف في الفتوح من طريق ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم بشرهم بموت الاسود العنسي قبل أن يموت وقال لهم قتله فيروز الديلمي وفيروز هذا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث ثم رجع الى اليمن وأعان على قتل الاسود وأخرج الجوزجاني من طريق حمزة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم برأس الاسود العنسي الكذاب (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه) قال العراقي رواه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن

وهذه كلها أشياء الهية لاتعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها الابنجوم ولا بكتف ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان كذلك وأخبر بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه

عباس وليس فيه انهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا اه قلت ولفظ السيرة ثم اجتمع رأى قريش على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك وفيه ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لايبصرون (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (شكا اليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له) قال العراقى رواه أبوداود من حديث عبدالله بن جعفر فى أثناء حديث وفيه فانه شكا الى تجيعه وتدئبه وأول الحديث رواه مسلم دون قصة البعير اه قلت حديث عبدالله بن جعفر أخرجه ابن شاهين فى الدلائل قال أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر الى حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح جرانه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لى يارسول الله فقال الاتتق الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى انك تجيعه وتدئبه وهو حديث صحيح ورواه أبوداود عن موسى بن اسمعيل عن مهدى بن ميمون وقد رويت هذه القصة من وجه آخر روى أحمد والبغوى فى شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفى بينا نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ مربنا بعير يسقى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره فقال أما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه وقد روى فى قصة سجود الجمل له روى أحمد والنسائى من حديث أنس قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسقى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل الحديث (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (قال لنفر من أصحابه) كانوا (مجتمعين أحدكم ضرسه فى النار مثل) جبل (أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا) قال العراقى ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة بغير اسناد فى ترجمة الرجال بن عنفوة وهو الذى ارتد وهو بالجيم وذكره عبدالغنى بالحاء المهملة وسبقه لذلك الواقدى والمدائنى والاول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطنى وابن ماكولا ووصله الطبرانى من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر فى النار وفيه الواقدى عن عبد الله بن نوح متروك اه قلت وعنفوة بنون وفاء ذكر ابن أبى حاتم انه قدم فى وفد بنى حنيفة وكانوا بضعة عشر رجلا فأسلموا سمعت أبى يقول ذلك قال الحافظ ولكنه ارتد وقتل على الكفر فروى سيف بن عمر فى الفتوح عن مخلد بن قيس البجلى قال خرج فرات بن حيان والرجال بن عنفوة وأبوهريرة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لضرس أحدهم فى النار أعظم من أحد وان معهم لقفا غادر فبلغهم ذلك الى ان بلغ أباهريرة وفراتا قتل الرجال نفرا ساجدين وروى الواقدى عن رافع بن خديج قال كان فى الرجال ابن عنفوة من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير فيما يرى النبى صلى الله عليه وسلم شئ عجيب فخرج علينا يوما والرجال معنا جالس فقال أحد هؤلاء النفر فى النار قال رافع فنظرت فاذاهم أبوهريرة وأبوأروى والطفيل بن عمرو والرجال فجعلت أنظر وأتعجب فلما ارتدت بنوحنيفة سألت مافعل الرجال قالوا افتتن شهد

وشكا اليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا

لمسيلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه فى الامر فقلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق قالوا وكان الرجال يقول كبشان انتطحا فأحبهما الينا كبشنا يعنى مسيلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (قال لآخرين منهم) أى من الصحابة (آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها فمات) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من حديث أبى محذورة وفى رواية البيهقى آخرهم موتا سمرة بن جندب ولم يذكر انه احترق ورواه البيهقى من حديث أبى هريرة بنحوه ورواته ثقات وقال ابن عبد البر انه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات وروى ذلك باسناد متصل الا ان فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور اه قلت لفظ ابن عبد البر بعد قوله فمات فكان ذلك تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولابى هريرة ولابى محذورة آخركم موتا فى النار وقال المزى فى التهذيب كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين سقط فى قدر مملوءة ماء حارا كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط فى القدر الحارة فمات تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولابى هريرة وثالث معهما آخركم موتا فى النار (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا) قال العراقى رواه أحمد من حديث يعلى بن مرة بسند صحيح اه قلت ورواه أحمد من طريق أبى سفيان بن طلحة بن نافع وهو تابعى عن يعلى بن مرة قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب ان أريك آية فقال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع الى تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى حسبى ورواه الدارمى من حديث أنس وأخرج الترمذى وصححه من حديث ابن عباس قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك نبى الله قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ارفع فعاد فأسلم الاعرابى وقد روى مسلم من حديث جابر بنحوه قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى علىّ باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالنصف قال التئما على باذن الله تعالى فالتأمتا (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (دعا) طائفة (النصارى الى المباهلة) أى الملاعنة (فامتنعوا) عن ذلك (وأخبر) صلى الله عليه وسلم (انهم ان فعلوا) ذلك (هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا) قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عباس فى أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (وأتاه عامر بن الطفيل) بن مالك بن جعفر الكلابى (وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم) والفتك هو الاخذ بقوة وبطش (عازمين) أى قاصدين (على قتله صلى الله عليه وسلم فحيل بينهما وبين ذلك فدعا صلى الله عليه وسلم عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاكبر والاوسط من حديث ابن عباس بطوله بسند فيه لين اه قلت عامر بن الطفيل رئيس بنى عامر فى الجاهلية وقصة قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة فانه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة فقال له أبايعك على أن لى كذا وكذا وذكر شروطا فامتنع النبى صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فأصابته غدة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أخبر انه يقتل أبىّ بن خلف) بن ربيعة بن حذافة بن جهم (الجمحى) القرشى وكان قد حضر مع المشركين يوم

وقال لآخرين منهم آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا وكان عليه السلام نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم ودعا عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا فعرفهم صلى الله عليه وسلم انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته وأخبر عليه السلام انه يقتل أبى بن خلف الجمحى

أحد وهو أخو أمية والمغيرة وعامر وأحيحة (فخدشه خدشا لطيفا فكانت منيته) قال العراقى رواه
البيهقى فى الدلائل من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا اه قلت والذى فى
الدلائل انه لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول أين محمد
لانجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول النبى
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فلما أخذها صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضا تطايروا
عنه تطاير الشعرات عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله صلى الله عليه وسلم فطعنه طعنة وقع بها عن ظهر
فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من أضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلنى والله محمد أليس قد كان قال
بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة ورواه أيضا أبو نعيم فى
الدلائل ولم يذكر فكسر ضلعا من أضلاعه قال الواقدى وكان ابن عمر يقول مات أبى بن خلف ببطن رابغ
فانى لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل اذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يصيح
العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف ورواه
البيهقى أيضا (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو صلى الله
عليه وسلم بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم) قال العراقى رواه أبو داود من حديث جابر وفى رواية مرسلة
ان الذى مات بشر بن البراء وفى الصحيحين من حديث أنس ان يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة
مسمومة فأكل منها الحديث وفيه فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم اه قلت حديث
أنس رواه البخارى عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى حدثنا خالد بن الحرث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن
أنس ورواه مسلم عن يحيى بن حبيب بن عربى عن خالد بن الحرث وقد تقدم ذكره فى أول هذا الكتاب
عند عفوه صلى الله عليه وسلم وأما حديث جابر فلفظه ان يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه
معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اليهودية فدعاها فقال لها أسممت هذه الشاة قالت له اليهودية من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى
الذراع قالت نعم قال فما أردت الى ذلك قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى
لبنى بياضة من الانصار هكذا رواه أبو داود فى سننه عن سليمان بن داود المهرى ثنا ابن وهب أخبرنا
عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث فساق الحديث وقول العراقى فى رواية مرسلة الخ يشير
الى ما رواه أبو داود أيضا فقال ثنا وهب بن بقية أخبرنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر قال فمات بشر بن البراء بن معرور
فأرسل الى اليهودية ما حملك على الذى صنعت فذكر نحو حديث جابر وأمر بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة قال البيهقى فى الدلائل ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن
أبى سلمة عن أبى هريرة ويحتمل انه لم يقتلها فى الابتداء ثم لما مات بشر أمر بقتلها وأخرج البيهقى أيضا من
طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل من قتل منهم أهدت
زينب بنت الحرث اليهودية وهى ابنة أخى مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها وأكثرت فى الكتف والذراع
لانه بلغها انه أحب أعضاء الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وأخو بنى سلمة فقدمت اليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكتف وانتهش منها وتناول بشر بن البراء عظما فانتهش منه فلما استرط رسول الله صلى

فخدشه يوم أحد خدشا
لطيفا فكانت منيته فيه
وأطعم عليه الصلاة والسلام
السم فمات الذى أكله معه
وعاش هو صلى الله عليه
وسلم بعده أربع سنين
وكلمه الذراع المسموم

وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا احد منهم ذلك الموضع وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك وزويت له الارض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بان ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها

الله عليه وسلم لقمته استرط بشر بن البراء مافى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان كتف هذه الشاة ان قد نعيت فيها فقال بشر بن البراء والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها الا انى أعظمت أن أنغصك طعامك فلما أسغت مافى فيك لم أكن لارغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول الا ماحول قال وفى رواية ابن فليح قال الزهرى قال جابر وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين كان وجعه الذى توفى فيه فقال مازلت أجد من الاكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عداء حتى كان هذا أوان انقطع الابهر منى فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا هذا لفظ حديث موسى بن عقبة ورواه البيهقى أيضا من طريق معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امرأة يهودية أهدت الى النبى صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ماهذه فقالت هدية وحذرت أن تقول من الصدقة فلا يأكل ثم ساق الحديث وفى آخره فاحتجم النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله وأمر أصحابه فاحتجموا فمات بعضهم قال الزهرى فأسلمت فتركها النبى صلى الله عليه وسلم وأما الناس فيقولون قتلها النبى صلى الله عليه وسلم (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعدوا احد منهم ذلك الموضع) قال العراقى رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب اه قلت رواه مسلم عن شيبان وغيره عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال تراءينا الهلال فما من الناس أحد يزعم انه رآه غيرى فقلت لعمر يا أمير المؤمنين اما تراه وجعلت أريه اياه فلما أعيا أن يراه قال فاراه وأنا مستلق على فراشى ثم أنشأ يحدثنا عن يوم بدر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا عن مصارع القوم بالامس هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤا تلك الحدود وجعلوا يصرعون عليها ثم القوا فى القليب الحديث ورواه أبو داود والطيالسى عن سليمان بن المغيرة (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (انذر ان طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك) قال العراقى متفق عليه من حديث أم حرام اه قلت رواه البخارى من طريق الموطا لمالك عن اسحق بن أبى طلحة عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه فدخل عليها فأطعمته وجلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك الحديث فى شهداء البحر وفى آخره قال فركبت ام حرام البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت وفى بعض طرقه فى البخارى عن أنس عن أم حرام بنت ملحان وكانت خالته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام فى بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال عرض على أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت فقلت يارسول الله أدع الله ان يجعلنى منهم قال انك منهم ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلت يارسول الله مايضحكك قال عرض على ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قلت يارسول الله أدع الله ان يجعلنى منهم قال أنت من الاولين قال فتزوجها عبادة بن الصامت فأخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها قال ابن الاثير وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس فدفنت فيها وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان وكان معه أبوذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة وذلك فى سنة سبع وعشرين (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه (زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وأخبر بان ملك أمته سيبلغ مازوى منها فكان ذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بلاد الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال وضم اللام اقليم بالمغرب (وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال) قال العراقى رواه مسلم من حديث ثوبان (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أخبر فاطمة ابنته رضوان الله عليها) وهى الزهراء تكنى بام أبيها ولدت سنة احدى وأربعين من مولد أبيها صلى الله عليه وسلم وهى أصغر البنات

(بانها أوّل أهله لحاقابه فكان كذلك) فانها توفيت بعده بستة أشهر رواه البخاري في الصحيح عن عائشة قال الواقدي وهو المثبت وروى الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار وانها بقيت بعده ثلاثة أيام وقال غيره أربعة أشهر وقيل شهرين وعند الدولابي في الذرية الطاهرة خمسة وتسعون يوما قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا اهـ قلت أخرجاه من طريق مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كان مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر اليها حديثا فبكت ثم أسر اليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لافشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره فلما قبض سألتها فأخبرتني انه قال ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين وما أراه الا وقد حضر اجلي وانك أول أهل بيتي لحوقابي ونعم السلف أنا لك فبكيت فقال ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت وأخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة قالت جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها عنه فقالت أخبرني انه مقبوض في هذه السنة فبكيت فقال ما يسرك ان تكوني سيدة نساء أهل الجنة الا مريم فضحكت (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (أخبر نساءه بان أطولهن يدا أسرعهن لحاقابه فكانت زينب بنت جحش) بن رياب بن يعمر (الاسدية) أخت عبد الله وحمنة وأم حبيبة بني جحش أمهم أميمة عمة النبي صلى الله عليه وسلم (أطولهن يدا بالصدقة وأوّلهن لحاقابه) قال العراقي رواه مسلم من حديث عائشة وفي الصحيحين ان سودة كانت أولهن لحوقابه قال ابن الجوزي وهذا غلط من الرواة بلاشك اهـ قلت وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعكن لحاقابي أطولكن يدا قال فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا قالت وكانت أطولنا يدا زينب لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحوه وفيه قالت عائشة فكنا اذا اجتمعنا في بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن باطولنا فعرفنا حينئذ ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة وكانت زينب امرأة صناع باليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله وروى ابن سعد بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال قالت زينب حين حضرتها الوفاة اني قد أعددت كفني وان عمر سيبعث الي بكفن فتصدقوا باحدهما وان استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا ومن وجه آخر عن عمرة قالت بعث عمر بخمسة أثواب فكفنت منها وتصدقت عنها اختها حمنة بكفنها الذي كانت اعدته قالت عمرة فسمعت عائشة تقول لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامى والارامل واخرج ايضا بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفا لم تأخذه الا عاما واحدا فجعلت تقول اللهم لايدركني هذا المال قابلا فانه فتنة ثم قسمته في اهل رحمها في اهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها الخير فوقف عليها وارسل السلام وقال بلغني مافرقت فأرسل بالف درهم يستبقيها فسلكت به ذلك المسلك قال الواقدي ماتت سنة عشرين وأخرج الطبراني من طريق الشعبي ان عبد الرحمن بن ابزى أخبره انه صلى مع عمر على زينب بنت جحش وكانت أوّل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ماتت بعده (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (مسح ضرع شاة حائل) يقال حالت الشاة وكذا الناقة والمرأة وكل أنثى حيالا بالكسر لم تحمل فهي حائل (لالبن لها فدرت) اللبن (فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد اهـ قلت ورواه أيضا الطبراني في المعجم الصغير من حديثه كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن قلت نعم لكن مؤتمن عليها قال فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لها ضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت

بانها أوّل أهله لحاقابه فكان كذلك وأخبر نساءه بان أطولهن يدا أسرعهن لحاقابه فكانت زينب بنت جحش الاسدية أطولهن يدا بالصدقة وأوّلهن لحوقابه رضي الله عنها ومسح ضرع شاة حائل لالبن لها فدرت وكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضي الله عنه

النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقعرة فاحلبت الشاة فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان فلما رأيت هذا قلت يارسول الله علمني فمسح رأسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم

(وفعل ذلك) صلى الله عليه وسلم (مرة أخرى في خيمة أم معبد) عاتكة بنت خلف (الخزاعية) تقدم حديث أم معبد هذه في ذكر حليته الشريفة وأشرت هنالك انه قدروي هذه القصة أيضا من حديث أبي معبد وهو زوجها فلنسقها هنا أخرج البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن مكرم قال حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا الحر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة هاجر من مكة الى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الرحمن بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي فسألوها هل معها لحم أو لبن يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ من ذلك فقالت لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى واذا القوم مرملون مسنتون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شاة في كسر خيمتها فقال ماهذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال فهل لها من لبن قالت بأبي وأمي هي أجهد من ذلك قال تأذنين لي أن أحلبها قالت ان كان بها حلب فاحلبها قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله تعالى ومسح ضرعها وذكر اسم الله تعالى ودعا باناء لها يربض الرهط فتفاجت ودرت واجترت فحلب فيها ثجاحتى علاه الثمال فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل حتى أراضوا وشرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا الحديث وأخرج البيهقي أيضا من طريق محمد بن عمران بن يحيي بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأسد بن موسى كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا عبد الرحمن الاصبهاني قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا الى حي من احياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت متنحيا فقصد اليه فلما نزلنا لم يكن فيه الا امرأة فقالت ياعبد الله انما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي ان أردتم القرى قال فلم يجبها وذلك عند المساء فجاء ابن لها باعنزله يسوقها فقالت له يابني انطلق بهذا العنز والشفرة الى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي اذبحا هذه وكلا وأطعمانا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انطلق بالشفرة وجئني بالقدح قال انها قد عزبت وليس لها لبن قال انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ثم قال انطلق به الى أمك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئني باخرى ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ثم جاء باخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم قال فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا وكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا الى المدينة فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه فقال يا أمه ان هذا الرجل الذي كان مع المبارك فقامت اليه فقالت ياعبد الله من الرجل الذي كان معك قال وماتدرين من هو قالت لا قال هو النبي صلى الله عليه وسلم قالت فادخلني عليه قال فادخلها عليه واهدت اليه شيأ من أقط ومتاع الاعراب قال فكساها وأعطاها قال ولا أعلمه الا قال أسلمت قال البيهقي وهذه القصة وان كانت تنقص على مار وينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة وقد ذكر ابن اسحق من قصة أم معبد شيأ يدل على انهما وهذه القصة واحدة والله أعلم ثم ساق من طريق ابن اسحق قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد فارادوا القرى فقالت والله ماعندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة الا حائل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله عز وجل وحلب في العس حتى ارغى وقال اشربي يا أم معبد فقالت اشرب أنت فأنت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامرا ثم تروح وطابت قريش

وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا رأيت محمدا ان حليته كذا فوصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل قالت قريش فذاك الذى نريد قال البيهقى فيحتمل أن يكون أولا رأى الى فى كسر الخيمة كما روينا فى حديث أبى معبد ثم رجع ابنها بأعنز كما روينا فى حديث ابن أبى ليلى ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم وذكر البيهقى قصة أخرى تناسب فى الباب أخرجها من طريق اياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت أول الشتاء وقد أخرجت وما بقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبى صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال او تراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت الذى تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد أنك نبى واشهد أن ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك فقال انك لا تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما) قال العراقى رواه أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذى سقطت عينه ففى رواية البيهقى انه كان ببدر وفى رواية أبى نعيم انه بأحد وفى اسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى اه قلت قال البيهقى فى الدلائل فى اثناء سياق غزوة بدر أخبرنا أبو سعد المالينى أخبرنا أبو أحمد بن عدى الحافظ ثنا أبو يعلى ثنا يحيى الحمانى ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر ابن قتادة عن أبيه عن قتادة بن النعمان انه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا ان يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت قلت ويحيى الحمانى ضعيف ولم ينبه عليه العراقى وفى المواهب للقسطلانى وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر ابن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه ❊ فردت بكف المصطفى أيما ردّ

فعادت كما كانت لاوّل أمرها ❊ فياحسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلى وروى محمد بن أبى عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله ابن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة وروا الدارقطنى عن ابراهيم الحربى عن عمار ابن نصر وأخرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الدلائل عن قتادة قال كنت يوم أحد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (تفل فى عين على كرم الله وجهه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية) قال العراقى متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا اه قلت حديث سهل بن سعد رواه الشيخان وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الدلائل كلهم من طريق قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم عن سهل

ونَدرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما وتفل فى عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية

ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال أين على بن أبي طالب فقال هو يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فدعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك أن يكون لك من حمر النعم قال أبو نعيم فى الحلية بعد سياقه الحديث رواه سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وسلمة بن الاكوع نحوه فى المحبة ولحديث سلمة طرق فمن أغربها ما حدثناه أبو بكر بن خلاد ثم ساق سنده الى محمد بن اسحق حدثنا ابن بريدة بن سفيان الاسلمى عن أبيه عن سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بن أمية الى حصون خيبر يقاتل فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار قال سلمة فدعا بعلى وهو أرمد فتفل فى عينيه فقال هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله على يديك الحديث وقال غريب من حديث ابن بريدة عن أبيه فيه زيادات ألفاظ لم يتابع عليها وصحيحه من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قلت ورواه البيهقى من هذا الوجه الا انه قال حدثنا ابن بريدة بن سفيان عن فروة الاسلمى عن أبيه عن سلمة هكذا هو فى نسخة الدلائل وعليها سماع الحافظ العراقى وفيه زيادات كما أشار اليه أبو نعيم وأخرج البيهقى أيضا من طريق الحسين بن واقد المروزى عن عبد الله بن بريدة قال أخبرنا أبى قال لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له فساق الحديث نحوه وفيه لادفعن لواء غدا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح له الحديث وفيه فدعا على بن أبي طالب وهو يشتكى عينه فمسحها ثم دفع اليه اللواء ففتح الحديث وأخرج أيضا من طريق المسيب بن مسلم الازدى قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لايخرج ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس وان أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا أشد من الاول ثم رجع فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم على فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم ان يكون صاحب ذلك فاصبح وجاء على على بعيره حتى اناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة برد قطرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال رمدت بعدك قال ادن منى فتفل فى عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله الحديث وروى الشيخان عن قتيبة بن سعيد عن حاتم ابن اسمعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال كان على قد تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا فقال أنا أتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فخرج على فلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التى فتح الله فى صباحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا أو قال ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله أو قال يفتح الله عليه فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح الله عليه وهكذا رواه الحسن بن سفيان فى مسنده عن قتيبة بن سعيد ومن طريقه أبو بكر الاسماعيلى فى المستخرج وأخرج البيهقى من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه فذكر حديثا طويلا وفيه قال فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على يدعوه وهو أرمد فقال لاعطين الحديث وفيه قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرئ فاعطاه الراية الحديث وقد أخرجه مسلم فى الصحيح وأخرج أبو داود والطيالسى والطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث على قال فوضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوم خيبر فوعظ الناس فلما فرغ من موعظته دعا على بن أبى طالب وهو أرمد فبصق فى عينيه ودعا له بالشفاء الحديث وقد وقع مثل ذلك لرفاعة بن رافع بن مالك قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما آذانى منها شئ رواه البيهقى فى الدلائل ولفديك نفث فى عينيه وكانا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان ورواه ابن أبى شيبة والبغوى وأبو نعيم والبيهقى والطبرانى (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انهم (كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم) قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن مسعود اه قلت التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون فى غير من قام به مجازا فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفى سماعهم التسبيح تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم قال البخارى حدثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال انكم تعدون الآيات عذابا وكنا نعدها بركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام الحديث ورواه أبو بكر الاسماعيلى فى المستخرج عن الحسن بن سفيان عن محمد بن بشار عن أبى أحمد ورواه البيهقى فى الدلائل من طريقه وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبى صلى الله عليه وسلم فسبح رواه عياض فى الشفاء ونقله عنه الحافظ فى الفتح ومن ذلك تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم روى من حديث أبى ذر قال تناول النبى صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن فى يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبرانى فى الاوسط وفى رواية الطبرانى فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع أحد منا قال البيهقى فى الدلائل كذا رواه صالح بن أبى الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهرى عن سويد بن يزيد السلمى عن أبى ذر والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبى حمزة عن الزهرى قلت يشير الى ما أخرجه محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن أبى حمزة عن الزهرى قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بنى سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبى ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرنى انه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس وكأنى أراه فى وحى فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله فأمرنى أن أجلس فجلست الى جنبه لا أسأله عن شئ ولا يذكره لى فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلم فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال جاء بى الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبى بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس الى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كفه ثم أخذهن منه فوضعهن على الارض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه نحو ما سبق فى كف أبى بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن وليس لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس (و) من معجزاته صلى

وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم انه (أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرئت من حينها) قال العراقي رواه البخاري في قصة قتل أبي رافع اهـ قلت قال البخاري حدثنا يوسف بن موسى ثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي رافع اليهودي رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن فلان وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا امكانكم فاني منطلق متلطف للبوّاب فلعلي أدخل قال فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّاب ياعبد الله ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد على ود قال فقمت الى الاقاليد ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي فلما ان ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته عليّ من داخل قلت ان القوم قد نذروا بي لم يخلصوا اليّ حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت قلت يا أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنى شيأ فصاح قال فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ماهذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صدر السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعلمت اني قد قتلته فجعلت أفتح الابواب بابا فبابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وأنا لا أرى الا اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت لا أبرح الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعي أبا رافع فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء النجاء قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأني لم أشكها قط ورواه الحسن بن سفيان في مسنده عن اسحق بن ابراهيم قال أخبرنا عبيد الله بن موسى وعند الاسماعيلي في المستخرج ورواه الاسماعيلي أيضا عن المنيعي أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى وقال موسى بن عقبة قال ابن شهاب قال ابن كعب فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يارسول الله قال أقتلتموه قالوا نعم قال ناولوني السيف فسله فقال أجل هذا طعامه في ذباب السيف وأخرج البخاري عن أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي عن شريح بن سلمة عن ابراهيم بن يوسف بن اسحق عن أبيه عن أبي اسحق قال سمعت البراء قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في أناس معهم فساق الحديث نحو سياق حديث عبيد الله بن موسى الا أنه ليس فيه فقال ابسط رجلك الخ وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن الحسن الخثعمي عن أحمد بن عثمان (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (قل زاد جيش كان معه صلى الله عليه وسلم فدعا بجميع مابقي واجتمع شئ يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك) قال العراقي متفق عليه من حديث سلمة بن الاكوع اهـ قلت وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يارسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم ودعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاء الا ملؤه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وقد تقدم صدر هذه القصة عند ذكر تكثير الطعام (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه (حكى الحكم بن العاصي) بن أمية بن عبد شمس كذا في النسخ وصوابه الحكم بن أبي

العاصي

وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع مابقي فاجتمع شئ يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن العاص ابن وائل

العاصي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان (مشيته صلى الله عليه وسلم مستهزئا به فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات) قال العراقي رواه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديجة باسناد جيد والحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد اهـ قلت أورد ابن منده في معجم الصحابة في ترجمة هند بن هند بن هند من طريق حسان بن عبد الله الواسطي عن السري بن يحيى عن مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم أبي مروان فجعل يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم ويشير بأصبعه حتى التفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجعله وزعا يعني ارتعاشا قال فرجف مكانه وهكذا أخرجه أبو حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من هذا الوجه ومالك بن دينار لم يدرك هند بن أبي هالة وانما أدرك ابنه فكأنه نسبه لجده وقد ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه ان رواية هند بن هند عن أبيه مرسلة وجرى أبو عمر على ظاهره فذكر هذا الحديث لهند بن أبي هالة وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر قال كان الحكم بن أبي العاصي يجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم اختلج فبصر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فما زال يختلج حتى مات في اسناده نظر وأخرجه البيهقي من هذا الوجه وفيه ضرار بن صرد وهو منسوب بالرفض وبه تعلم أن قول العراقي باسناد جيد فيه نظر وأخرج البيهقي أيضا من طريق مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فساقه مثل سياق ابن منده وأبي حاتم الرازي وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم المذكور الى الطائف وذكر أبو عمر في النسب قولا في سبب نفيه انه كان يحكيه في مشيته وقيل لانه كان يشيع بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك ومات الحكم في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه (خطب امرأة) من أبيها (فقال أبوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر) قال العراقي هذه المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك اهـ قلت وقيل اسمها أمامة وقيل قرصافة وهو الاكثر وهي ابنة الحرث بن عوف بن أبي حارثة المزني وأبوها من فرسان الجاهلية وكان قد بقي عليه شئ من دمائهم فلما أسلم أهدره النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم خطب اليه ابنته فقال لا أرضاها لك ان بها سوأ ولم يكن بها فرجع فوجدها قد برصت فتزوجها ابن عمها يزيد بن جمرة المزني فولدت له شبيبا فعرف بابن البرصاء واسم البرصاء قرصافة ذكر ذلك الرشاطي وذكر العراقي في تخريجه قبل هذه المعجزة معجزة أخرى وهذا لفظه ويد طلحة لما زاد ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حتى مسحها بيده قال رواه النسائي من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه فقاتل طلحة حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه مسحها وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم هذا آخر كلامه ولم أجد ذلك في نسخ الاحياء الموجودة عندي (الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلوات الله عليه وسلامه وانما اقتصرنا على المستفيض) المشهور ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم رد الشمس له أخرجه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار وابن منده وابن شاهين والطبراني في الكبير باسناد حسن من حديث أسماء بنت عميس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الارض ونام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء وفي لفظ آخر كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل الله عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي

مشيته عليه السلام مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض

صلى الله عليه وسلم صليت العصر يا على قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر وقد صحح الحديث الطحاوى ونقله عنه القاضى عياض فى الشفاء وأقره على تصحيحه وقال اختلف فى حبسها هنا فقيل ردت على ادراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل المراد بطء حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة اه وقال الطحاوى ان أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وكأنه تبع قول امامه أحمد فيما نقل عنه الحافظ بن حجر فى تخريج الرافعى انه لا أصل له وتبعه ابن تيمية فذكر فى الجزء الذى رد فيه على الروافض انه موضوع وقال ابن الجوزى فى سنده أحمد بن داود متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطنى وقال ابن حبان كان يضع الحديث ثم قال ابن الجوزى وهذا حديث باطل ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة فيها وان صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء قلت وهذا تحامل من ابن الجوزى وقد رد عليه الحافظان السخاوى والسيوطى وحاله فى ادراج الاحاديث الصحيحة فى حيز الموضوعات معلوم عند الائمة وقد رد عليه وعابه كثيرون من أهل عصره ومن بعدهم كما نقله الحافظ العراقى فى أوائل نكته على ابن الصلاح فلا نطيل بذكره وهذا الحديث صححه غير واحد من الحفاظ حتى قال السيوطى ان تعدد طرقه شاهد على صحته فلا عبرة بقول ابن الجوزى وقوله ولم يلمح عدم الفائدة فيها أجيب بانه بل فيه فائدة وهو عود الوقت بعودها وقوله ورجوع الشمس لا يعيدها أداء أجاب عنه ابن حجر فى شرح الارشاد بانه لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضا لهذا الحديث وقال الشهاب فى شرح الشفاء انكار ابن الجوزى فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع من الاداء وهو عدم تشويشه على النبى صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة فلما عادت حاز فضيلة الاداء أيضا وقال غيره دل ثبوت الحديث على أن الصلاة وقعت أداء وبذلك صرح القرطبى فى التذكرة قال فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ذكره فى باب ما يذكر الموت والآخرة فى أوائل التذكرة ووجهه أن الشمس لما عادت كأنها لم تغب والله أعلم اه وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر باسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى فى روايته عن ابن اسحق كما ذكره القاضى عياض لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجىء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس ولا يعارضه ما فى الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة بأن يقال ان المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيره الا ليوشع * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر عليه بمكة روى مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال صلى الله عليه وسلم انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن وقد اختلف فيه فقيل هو الحجر الاسود وقيل بل الذى بزقاق المرفق المشهور بمكة ومما يقويه ما ذكره الامام أبو عبد الله محمد بن رشيد بالضم فى رحلته مما ذكره فى شفاء الغرام عن علم الدين أحمد بن أبى بكر بن خليل أخبرنى عمى سليمان أخبرنى محمد بن اسمعيل بن أبى الضيف أخبرنى أبو حفص الميانشى قال أخبرنى كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر هو الذى كلم النبى صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على بن أبى طالب قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة نخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى الترمذى وأبو نعيم فى الدلائل من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البيهقى فى الدلائل من حديث جابر قال لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر

الا

الا سجدله * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم تأمين أسكفة الباب وحوائطه على دعائه ثلاثا وهو ما رواه أبو نعيم فى الدلائل من حديث أبى اسيد الساعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب لا تبرح منزلك أنت وبنوك غدا حتى آتيكم فان لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين ورواه ابن ماجه مختصرا * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم كلامه للجبل وكلام الجبل له روى أحمد والبخارى والترمذى وأبو حاتم من حديث أنس قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان قال ابن المنير قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك واستقر ومن ثم صح أحد جبل يحبنا ونحبه قال الخطابى كنى به أهل المدينة وأجراه البغوى على ظاهره وهو الأصح اذ لا بعد فى محبة الجمادات للانبياء والاولياء ومن ثم سمع حنين الجذع لما فارقه وأخرج الترمذى والنسائى والدارقطنى ان هذه القصة بعينها وقعت فى ثبير مكة وأخرجها مسلم من حديث أبى هريرة انه كان ذلك بحراء لكن بزيادة على وطلحة والزبير ولفظه اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وهؤلاء الثلاثة شهداء أيضا وفى رواية له وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا وانفرد مسلم بذلك وأخرجه الترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ مكان اسكن وقال حديث صحيح وأخرج أيضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال اثبت حراء وكذا رواه أبو الحسن الخلعى فى فوائده ولم يذكر أبا عبيدة وهذا الاختلاف محمول على انها قضايا تكررت قاله الطبرانى وغيره * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم تسليم الشجر له وسجوده له روى البغوى فى شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفى سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا منزلا فنام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم على فأذن لها وتقدم حديث بريدة نحوه من كتاب الشفاء وفيه حتى وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله الحديث وفيه فقال الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك الحديث ولله در الابوصيرى حيث يقول

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الحيوانات وطاعتها له فمنها سجود الجمل وقد تقدم ومنها سجود الغنم رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه دلائل النبوة باسناد ضعيف من حديث أنس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد الا لله ومنها كلام الذئب رواه جماعة من الصحابة أبو هريرة وأنس وابن عمر وأبو سعيد الخدرى فحديث أبى سعيد رواه أحمد باسناد جيد بلفظ عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فقال يا عجبا ذئب يتكلم فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بن عبد الله بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق قال فأقبل الراعى يسوق غنمه

حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فأخبرهم وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء الذئب فاقعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيأ قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وروى البغوي في شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضا قال جاء ذئب الى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فاقعى فاستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم وانصرف الذئب فتعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا * ومنها كلامه الحمار أخرج ابن عساكر عن أبي منصور قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي وقد كنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره ومنها كلام الضب رواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وذكره القاضي عياض في الشفاء وقد روي من حديث عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا قالوا نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مذكور في الشفاء وما انصف من أدخله في الموضوعات * ومنها كلام الغزالة

رواه البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الائمة لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وذكره القاضي في الشفاء ورواه أبو نعيم في الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة قالت بينما النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي متجندل في شملة نائم في الشمس فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين فقالت عذبني الله عذاب العشار ان لم أعد فاطلقها فذهبت ورجعت وأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجلها الارض وتقول أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وقول ابن كثير فيما نقله السخاوي عنه انه لا أصل له مردود وقد أورد الحافظ ابن حجر له في تخريج أحاديث المختصر طرقا بعضها يقوّي بعضا * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم اطاعة السحاب له روى الشيخان من حديث أنس قال أصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا كذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الاحدث بالجود وفي رواية اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى اذ كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر يارسول الله ان الله قد عوّدك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوّة وابراء ذوي العاهات أخرج البيهقي في الدلائل ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء لقبرها فقال يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم اي تحبين أن ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله اني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا وحديث احياء أمه حتى آمنت به رواه جماعة وصححه بعض الحفاظ وان قال ابن كثير منكر جدا وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم ان عجوزا عمياء مات ولدها فلما عزيت به قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة فكشف الثوب عن وجهه وطعم وطعموا وروى ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت ان زيد بن حارثة بينا هو يمشي اذ خر فتوفي فجيء به الى بيته فلما كان بين المغرب والعشاء سمعوا على لسانه محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته وأخرج أبو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها فجاء بها النبي صلى الله عليه وسلم فأكل هو وأصحابه ونهاهم عن كسر العظام ثم جمعه ووضع يده عليه ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها وأخرج البيهقي انه صلى الله عليه وسلم جيء له بغلام يوم ولد فقال من أنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت بارك الله فيك ثم لم يتكلم بعد حتى شب فكان يسمى مبارك

اليمامة * ومن غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ان انقطع يوم أحد سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يده سيفا فقاتل به وكان يسمى العرجون ولم يزل يتوارثونه حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم في بغداد بمائتي درهم ومن ذلك مانقل ابن اسحق انه قاتل عكاشة بن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جزلا من خشب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان يسمى العون ولم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده ومن ذلك ماذكر عياض عن ابن وهب ان عكرمة بن أبي جهل ضرب يد معاذ بن عمرو فتعلقت بجلدة فبصق صلى الله عليه وسلم عليها فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش حتى كان زمن عثمان ومن ذلك مارواه البيهقي في الدلائل من طريق ابن شهاب ان عبد الله بن أنيس أصابه المشير بن رزام اليهودي من وجهه بمخرش فشجه مأمومة فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وهذا نزر من كثير ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى أو تعد فانك ان تأملتها وجدتها شاملة العلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل الى غير ذلك مما لو أعيد لطال (ومن يستريب في انخراق العادات على يده) صلى الله عليه وسلم (ويزعم ان آحاد هذه الوقائع) ظنية (لم ينقل تواترا وانما المتواتر هو القرآن كمن يستريب في شجاعة على) رضي الله عنه (وسخاوة حاتم ومعلوم ان آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع) تلك (الوقائع) سواء مما وقع التحدي به أو وقع دالا على صدقه من غير تحد فانه (يورث علما ضروريا) ويفيد قطعا بانه ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شئ كثير مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع يفيد القطع النظري لما كان مستبعدا وذلك لانه لامرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا انكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ عن الاغضاء على الباطل وعلى تقدير انه يوجد من بعضهم انكار أو طعن على بعض من روى شيأ من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق أو تهمته بكذب أو توقف في ضبطه أو نسبة الى سوء الحفظ أو جواز الغلط ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الاحكام وحروف القرآن ونحو ذلك والله أعلم (ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم) اعلم أن وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر ولكن قرر فيه بعضهم على ستة أوجه أحدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير وحكى أبو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع الآخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام ومن ذلك قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين والثاني ان اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شئ منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلام العرب ومستعملة في نظمهم ونثرهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم الثالث ان وجه اعجازه وهو ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة ولا يزال غضا

ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة على رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم ان آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم

رطبا وغيره من الكلام ولو بلغ ما بلغ فى الحسن والبلاغة يمل من ترديده و يعادى اذا أعيد * الرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه ومما لم يعلموه فاذا سئلوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه * الخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته * السادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب فهذه ستة أوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بان يكون معجزا باولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها (اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوأة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم) أى مفاخرتهم مع توفر دواعيهم (وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معينا ومساعدا (وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك) أى عن الاتيان بشئ منه (وصرفوا عنه) ونكلوا قال بعض العلماء ان الذى أورده صلى الله عليه وسلم على العرب من الكلام الذى أعجزهم عن الاتيان بمثله أعجب فى الآية وأوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين فى اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا فى ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على أن العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وقال أبو سليمان الخطابى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله تعالى على الاطلاق وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه بانهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما أخبر عنه خلف والا لم يأذن له عقله أن يقطع القول فى شئ بانه لا يكون وهو يكون اه وهذا أحسن ما يقال فى هذا المجال وأبدعه وأكمله فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير قبل بلوغ الغرض فى المناقضة صارخا بهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر الاجتهاد (حتى عرضوا أنفسهم) الاية ورضيت هممهم السرية (للقتل) وسفك الدماء (و) عرضوا (نساءهم وذراريهم للسبى) والهتك (وما استطاعوا أن يعارضوا) شيأ منه (ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه) وقد ورد من الاخبار فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة * فمنها ما ورد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المجلس يا معشر قريش الا أقدم الى هذا فأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها منا ويكف عنا قالوا بلى يا أبا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرآنا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت قال فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله لقد جاءكم عتبة بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال انى والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر

اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوأة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم ان يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبى وما استطاعوا أن يعارضوا ولا ان يقدحوا فى جزالته وحسنه

قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل و بين ماهو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وقد أجابني بشئ والله ماهو بسحر ولا بشعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقي وروى مسلم والبيهقي في الدلائل من حديث اسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ماسمعت باشعر من أخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ومايقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فماهو بقولهم وقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون وروى ابن اسحق في السيرة والبيهقي في الدلائل عن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية قال أعد فأعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق ومايقول هذا بشر الحديث وأخرج أبو نعيم من طريق اسحق حدثني اسحق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه أخبرني ماسمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ماأحسن هذا وأجمله وكل كلامه مثل هذا قال ياأبت وأحسن من هذا (ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة) فان تأليفه لهذا الكتاب كان قبل دخول القرن السادس وهذا على أن المراد بالقرن مائة سنة ومنهم من قال القرن خمس وسبعون على مانقله صاحب القوت (فلم يقدر أحد على معارضته) بلى قد رام قوم من أهل الزيغ والالحاد أوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يصنعوا شيأ يعارضون به القرآن فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والنصر وأشباههما لوقوع الشبهة على الجهال لقلة عدد حروفه لان العجز انما يقع في التأليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب بالتشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال ياضفدع نقي كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا قال انه لكلام لم يخرج من آل أي من ربوبية وقال أيضا في معارضة والنازعات والباذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وماسبقكم أهل المدر وقال أيضا ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال أيضا الفيل وما الفيل وماأدراك ماالفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل وغير ذلك من الهذيانات ففيها مع قلة الحروف من السخافة مالاخفاء به على من لايعلم فضلا عمن يعلم وحكى عن يحيى بن حكيم الغزالي وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيأ من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والانابة وحكى أيضا أن ابن المقفع وكان أفصح أهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر الآية فرجع ومحا ماعمل وقال أشهد ان هذا لايعارض أبدا وماهو من كلام البشر (فأعظم بغباوة) أي جهل (من ينظر) بعين البصيرة (في أحواله) صلى الله عليه وسلم (ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه) وسجاياه وشمائله (ثم في معجزاته) الكثيرة المشهورة (ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره) وظهوره (في أقطار العالم) شرقا وغربا (ثم في اذعان ملوك الارض له) مع ماجبلوا عليه من الترفع وعدم لين الجانب (في عصره) صلى الله عليه وسلم (وبعد عصره مع ضعفه) أي قلة شوكته (ويتمه) وأميته (ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه)

ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه

فيما

فيما يقول (وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه) فيما جاء به (واتبعه) أي سيرته وطريقته (في كل ورد وصدر) وفي كل صفو وكدر (فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به) والتأسي بطريقته (في الاخلاق الموهوبة من ربه (والافعال والاحوال والاقوال بمنه) تعالى وكرمه (وسعة جوده) وفضله (انه) تعالى (سميع) النداء (مجيب) لمن دعاه وهذا آخر كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه نصف الكتاب

حمدت الله ربي اذ هداني * لما أبديت مع عجزي وضعفي
ومن لي بالخطا فأرده عنه * ومن لي بالقبول ولو بحرف

فرغ من تحريره هذا مسوده العبد العاجز أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني غفر الله زلله وأصلح خلله وتقبل عمله وبلغه أمله في ليلة الثلاثاء ثالث ساعة منها سلخ ذي القعدة الحرام ختام سنة ١١٩٩ حامدا لله ومصليا ومسلما ومستغفرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ويتلوه شرح عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه فأشرقت بنور اليقين * وملأها من معرفته ومحبته فهاموا في عجائبها ووردوا من مناهلها أصفى معين * وأورثهم التفكر والتأمل في غرائب مصنوعاته الدالة على قيوميته وأشهدهم معارج التمكين * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ديان يوم الدين * شهادة اخلاص ويقين * لا تقليد وتلقين * وأشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله السيد الامين خاتم زمرة الانبياء والمرسلين * الذي جاء بالدين القويم والهدى الواضح المبين * وأيد بالمعجزات الظاهرة البراهين صلى الله عليه وعلى آله الاكرمين الاطهرين * وأصحابه السادة المتقين * وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين * وبعد فهذا شرح (كتاب عجائب القلب) وهو الاول من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات صنفه الامام الاوحد الرباني * والقطب الكامل الصمداني * حجة الاسلام * علم الائمة الاعلام * السالك سبيل الحق السوي العالي * أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي * تغمده الله بواسع رحمته * وأسكنه فسيح جنته * كشفت فيه عن مخدرات ألفاظه ومعانيه * وبينت غوامضه المستكنة في مدارج مبانيه * على وجه يحصل به معانيه ما يبتغيه * من مثالثه ومثانيه * وقد وفق الله جلت نعماؤه وتقدست أسماؤه الى شرح النصف الاول من هذا الكتاب * وأرشد الآن الى خدمة نصفه الباقي بلا ارتياب * باذلا في ذلك جهد الاستطاعه * معترفا بقلة البضاعه * والتقصير عن شأو أهل البراعه * والعجز عن كثير من مقتضيات الصناعه * سائلا من الله الكريم ان يفتح علي وعلى من عني بخدمته أو مطالعته باب الفهم وان يرشدنا الى الصواب الخالص من الوهم * وان يجعل لنا في مقاصد الخيرات أوفر سهم * ضارعا اليه في الامداد بالتوفيق والسداد وهو الكافي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) تيمنا باسمه الكريم واقتداء بالكتاب العظيم (الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله) أي عظمته (القلوب والخواطر) جمع خاطر وهو من الصفات في الغالب اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى وقد يسمى محله باسم ذلك والادراك هو بلوغ أقصى غاية الشئ واحاطته بكماله والمعنى لا تطيق القلوب والخواطر الواردة عليها الاحاطة لعظم قدره وفخامة شأنه فتقف دونها وقوف المتحير الذي لا يهتدي للصواب لاشكال الامر عليه (وتدهش) وهو من باب علم وأصل الدهشة ذهاب العقل اما حياء أو خوفا (في مبادي) أي اوائل (اشراق) أي اضاءة (أنواره) أي أنوار وارداته التي ترد على القلب (الاحداق والنواظر) الاحداق جمع حدقة محركة وهي من العين سوادها والنواظر جمع الناظر وهو السواد الاصغر من العين الذي يبصر به الانسان أشار المصنف بهاتين الجملتين الى ان نهاية معرفة العارفين بالله تعالى عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة في انهم لا يمكنهم معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى وانه لا يحيط مخلوق من ملاحظة ذاته الا بالحيرة والدهشة

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده تم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى

(كتاب عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر * وتدهش في مبادي اشراق أنواره الاحداق والنواظر

*المطلع على خفيات السرائر * العالم (٢٠٠) بمكنونات الضمائر * المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب

وغفار الذنوب * وستار العيوب * ومفرج الكروب * والصلاة على سيد المرسلين * وجامع شمل الدين * وقاطع دابر الملحدين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من أنواره وهو

وقد خص الحيرة بالقلوب والدهش بالنواظر اشارة الى ان كلا من المسلكين بابهما مسدود على السالك بهما وانما يكون الاتساع في معرفة أسمائه وصفاته وقد تقدم البحث في ذلك عند قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك (المطلع) بتشديد الطاء وكسر اللام أي المشرف (على خفيات الاسرار) أي خواطر النفس (العالم بمكنونات الضمائر) أي ما تكنه وتخفيه (المستغني) لقيامه بنفسه (في تدبير ملكه) في عالمي الغيب والشهادة (عن المشاور) أي من يشاور معه (والموازر) من يعينه ويحمل عنه وزره أي ثقله ومؤنته لانه تعالى واجب الوجود بنفسه لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة عن الاغيار مستغن عن المشاورة والمعاضدة بالانصار (مقلب القلوب) أي مصرفها كيف يشاء (وغفار الذنوب) حقيرها وجليلها (وستار العيوب) يستعمل العيب اسما ويجمع على العيوب وهو كل ما يعاب الانسان على فعله ويلام (ومفرج الكروب) أي كاشفها وأصل الكرب الغم والضيق (والصلاة) الكاملة التامة (على) سيدنا ومولانا محمد (سيد المرسلين) أي رئيسهم وأفضلهم (وجامع شمل الدين) أي جامع ما تفرق من أمره لانه بعث والناس في جاهلية جهلا قد تناسوا أمور الدين ورغبوا الى عبادة الكواكب والاصنام فهداهم بنور رسالته وأخذ بنواصيهم الى دين الحق (وقاطع دابر الملحدين) أي الطاعنين في الدين والمجادلين أي المحاربين فيه من طوائف اليهود والنصارى والمشركين فلم يبق منهم أحد الا وقد دخل في الدين ولحق بزمرة الموحدين قيل والملحدون بعد زمانه صلى الله عليه وسلم هم الباطنية الذين أحالوا الشريعة وتأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن وبين الجمع والقطع حسن المقابلة (وعلى آله الطيبين الطاهرين) وهم أهله وذوو قرابته ويطلق أيضا على الاتباع لطريقته فدخل فيهم أصحابه وذهب الكسائي الى منع اضافة آل الى الضمير فلا يقال آله بل أهله ونقله البطليوسي في كتابه الاقتضاب وهو أول من قال ذلك وتبعه النحاس والزبيدي وليس بصحيح اذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده قاله صاحب المصباح وحكم افراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه في أول كتاب العلم (أما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق) انما هو (باستعداده) أي طلب تأهبه بالقوة القريبة أو البعيدة (لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله) أي زينته (وكماله وفخره وفي الآخرة) هي (عدته) أي يعتد بها (وذخره) وقد تدن العارفون بالله حول هذه المعرفة فروي عن مالك بن دينار انه قال خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هو يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سالم والخواص وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى وقد أشرف على الموت ماذا تشتهي فقال ان أعرفه قبل ان أموت ولو بلحظة (وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب) الذي هو لطيفة ربانية على ما سيأتي بيانه قريبا للمصنف (هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح) الظاهرة في الحقيقة (اتباع وخدم وآلات) أي بمنزلة هؤلاء (يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد) فهم لا يخالفونه (و) يستخدمها (استخدام الراعي للرعية و) استخدام (الصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله) اذ هو محل نظره (اذا سلم من غير الله) بان يصان من تطرق خيال السوى اليه (وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله) ومن المعلوم ان المستطرق في شئ ينصرف نظره عن سواه فلا يتوارد الاشتغالات على مورد واحد بحسب الكمال (وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب و) هو (المعاقب وهو الذي يسعد) ويبقى (بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه) أي طهره من دنس الاغيار (وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه) أي اخفاه والاصل دسسه أشار بذلك الى قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (وهو المطيع) المتخاشع (بالحقيقة لله وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره) وتجلياته وارداته وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش) والمعاصي (آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن

العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن   الظاهر

الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين و ينخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى الى أعلى عليين و يرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه و يراعيه و يترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين واذ فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات و العادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الافهام (بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وماهو المراد بهذه الاسامي) اعلم أن هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب و يقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها

الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه) وهو من الاقوال المشهورة على الالسنة و يروى كل اناء بما فيه يطفح (وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه) معرفة تليق بمقام العارف وهذا القول يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله كذا قاله أبو المظفر بن السمعاني وكذا قال النووي انه لا يعرف مرفوعا وقيل في تأويله من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالبقاء ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء (وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل) ضرورة اذ منشؤ أصل المعرفة هو القلب فمن لم يعرفه لم يدر أصل المعرفة فلا يهتدي لمعرفة غيره بطريق الاولى (وأكثر الخلق) اذا تأملت حالهم (جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وحيل بينهم وبين أنفسهم) فحجبوا عن ادراك سرها (و) اليه الاشارة بقول الله تعالى واعلموا (ان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن) تقدم الكلام عليه في قواعد العقائد ومن ذلك تقلبه في اليوم سبع مرات كما رواه البيهقي من حديث أبي عبيدة بن الجراح (وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين و ينخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع مرة (أخرى الى أعلى عليين و يرتقي الى عالم الملائكة المقربين) وانخفاضه وارتفاعه انما هو بالاتصاف بما لكل من الدرجتين من الاوصاف الذميمة والحميدة فاذا استولى عليه الشهوة والغضب التحق بأفق الشياطين وان ملكهما حتى صفا التحق بأفق الملائكة المقربين (ومن لم يعرف قلبه ليراقبه و يراعيه و يترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه) أي في حقه (نسوا الله فنسيهم) ولما كانت تلك المراقبة عين الفكر جعل تركها نسيانا فهذا معنى قوله نسوا الله وأما نسيان الله لهم فهو ترك نظر الرحمة عليهم وأشد من ذلك قوله تعالى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) سماهم فساقا اذ نسوا الله بعدم مراقبتهم قلوبهم (فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين) الى محجة الطريق وهذا طريقة سلوك شيخه أبي علي الروذباري أحد أصول طريقة مشايخنا النقشبندية فان المراقبة عندهم مع نفي الخواطر أحد الاصول الثلاثة التي عليها مدار سلوكهم (واذ قد فرغنا من الشطر الاول) أي النصف الاول (من هذا الكتاب عن النظر فيما يجرى على الجوارح) للسالك (من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر) لتعلقه بعالم الملك (ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجرى على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن) لتعلقه بعالم الملكوت (فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات) كل منهما في ربع (فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام) بسهولة (فان التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الافهام) لعدم المامها بهذا العلم (و بالله التوفيق) ومنه أستمد العون

(بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وماهو المراد بهذه الاسامي)

اذا ذكرت (اعلم أن هذه أربعة أسام تستعمل في هذه الابواب و يقل في فحول العلماء) أي أكابرها (من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها) فكل واحد منهم سالك فيهما مسالك

بغرضنا * (اللفظ الاول) لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين * والمعنى الثانى هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين * أحدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة * والثانى أن تحقيقه يستدعى افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه (والمقصود

مختلفة (وأكثر الاغاليط) جمع اغلوطة أو جمع غلط على غير قياس (منشؤها الجهل بمعرفة هذه الاسامى وباشترا كها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معانى هذه الاسامى ما يتعلق بغرضنا) فى هذا الكتاب (فمن ذلك لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين) أى بازاء معنيين (أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه) وتحقيقه فى كتب التشريح للاطباء قالوا هو جسم مخروطى كهيئة الصنوبرة المعكوسة قاعدته فى وسط الصدر وبها تتصل الرباطات الحافظة للقلب على وضعه ورأسه المخروط أسفل الى اليسار وهو أحمر رمانى مركب من اللحم والعصب والغضروف والشرايين النابتة منه والاجوف الواصل اليه من الكبد والروح الحيوانى والدم الغذائى والشريانى والغشاء الصلبى الذى هو غلافه وانما خلق فى وسط الصدر لانه مبدأ الحياة لشرفه يجب أن يكون فى أحرز المواضع وأكرمها وأحرزها تنور الصدر اذ العظام المحيطة به سور حصين والاغشية والعضلات وقاء قوى والرئة المكتنفة بالقلب فراش وطىء وهى تمنع من أن تلقاه عظام الصدر من قدام وله بطنان أحدهما الاعين وهو مملوء بالروح الكثير والدم القليل وهو منبت الشرايين من طرف القاعدة كأنه قاعدة لجميع القلب وكذا غشاؤه أصلب من سائر الاغشية لانه عضو شريف ومعدن الروح الحيوانى ومنبع الحرارة الغريزية التى هى الحرارة المجففة وهو أول عضو يتحرك من الحيوان وآخر عضو يسكن منه وغشاؤه محيط الا انه لم يلتزق به بالكلية بل فيه سعة وفائدة ذلك ان لا ينعصر القلب اذا تحرك حركة الانبساط وتجاويفه ثلاثة فى الحقيقة اثنان كبيران والثالث صغير كائن بين الاثنين وهو كمنفذ بينهما وقاعدة التجويف الاعين انزل قليلا ليكون طريق الغذاء قصيرا وهو أكبر ليسع ما يدخر فيه من الغذاء أكثر ولحم جانب اليسار أصلب لان الروح فيه أكثر من الدم ودمه رقيق اصلابة لحمه تمنع من ترشح الدم وتحلل الروح وقد نبت فى طرف القاعدة قطعتان من اللحم الغليظ على شكل أذنين احداهما عنة والاخرى يسرة مما ينفذ النسيم تتواتران اذا انبسط وتسترخيان اذا انقبض هذا ما ذكره الاطباء فيما يتعلق بتشريح القلب (ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا تتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء) لاعوازهم الى معرفة ذلك لاجل معالجة ما يعرض عليه (وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك) ولم نقصده (فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك) بالضم (والشهادة) من المحسوسات الطبيعية (اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثانى) للقلب (هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى) الصنوبرى المودع فى الجانب الايسر من الصدر (تعلق) معنوى (وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان) الكمالية ويسميها الحكيم النفس الناطقة والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبه (وهى المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب) فالمضغة الجسمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر (ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسدانى وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته وتعلقها به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام و) تعلق (الاوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان) وقد اختلفوا فى ذلك وطولوا البحث فيه (وشرح ذلك) بكشف الغطاء عنه (مما نتوقاه) ونتحرج عنه (لمعنيين أحدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا فى هذا الكتاب الا علوم المعاملة) فلو استطردنا فيه القول خرجنا عن المقصود المهم (والثانى أن تحقيقه يستدعى افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فعلمت انه يوحى اليه الحديث وقد تقدم (فليس لغيره أن يتكلم فيه) تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمقصود أنا اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها (اللفظ الثانى) الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين * أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين القلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا * المعنى الثانى هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذى شرحناه فى أحد معانى القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربى وهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والافهام عن درك حقيقته

(والمقصود انا اذا أطلقنا القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة) الربانية (وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاته وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها) فلذا أضربنا عنه (اللفظ الثانى الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى) قابل لقوة الحس والحركة التى تنبعث من القلب (وينتشر بواسطة العروق الضوارب) بسريانه فى تجاويفها (الى سائر أجزاء البدن) وأراد بالعروق الضوارب الشرايين ومنبتها هو التجويف الايسر من القلب ويخرج عن هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف ويسمى الوريدى والثانى كبير جدا ويسمى الابهر والوريدى يدخل فى الرئة وينقسم فيها فلذلك خلق رقيقا غير مضاعف وسائر الشرايين خلقت صلبة مضاعفة لانها تحوى جسما لطيفا وهو الروح الحيوانى ودما حارا وهى دائمة الحركة بسطا وقبضا فلم يؤمن أن تنشق أو يترشح منها الروح ان جعلت طبقة واحدة والابهر حين طلوعه تتشعب منه شعبتان احداهما وهى أصغرهما تصير الى التجويف الايمن من تجويفى القلب والثانية تستدير حول القلب ثم تدخل اليه وتتفرق فيه (وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على أعضائه يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت) أى أطرافه (فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثاله حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب) واستطرد الشهاب السهروردى فى العوارف هذا البحث مختصرا وقال وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذى قوامه باجراء سنة الله تعالى بالغذاء غالبا ويتعرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط اه وذكر الحكماء ان الروح جسم لطيف بخارى يتولد من الدم الوارد على القلب فى البطن الايسر منه قالوا وفائدة وجوده فى البدن أن يكون حاملا للقوى حتى تنتقل وتجول فى البدن بتوسطه لان القوى لكونها من الاعراض لا تنتقل بدون الحامل ولذلك صار أصنافها كأصنافها فان الروح اذا تولد فى القلب يسمى روحا حيوانيا لكونه حاملا للقوة الحيوانية فتنتقل فى الشرايين الى الاعضاء فيفيدها الحياة وجزء صالح فى هذا الروح يصعد الى الدماغ فيغيره الى مزاج آخر يصير به روحا نفسانيا أى روحا صالحا لان يكون مركبا للقوى النفسانية فيصدر أفعالها عنه وجزء ليس بكثير فى المقدار من هذا الروح أى الحيوانى يصير الى جانب الكبد فيغيره تغييرا يصير به روحا طبيعيا أى روحا يستعد لقبول القوى الطبيعية فيصدر أفعالها عنه (وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان) عن أمراضها الظاهرة (فاما غرض أطباء الدين الذين يعالجون القلوب) عن أمراضها الباطنة (حتى تنساق) بحسن سيرها (الى جوار رب العالمين) جل جلاله (فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا المعنى الثانى هو اللطيفة) الربانية (العالمة المدركة من الانسان وهو الذى شرحناه فى أحد معنيى القلب) اعلم انه قد يجعل اسما للنفس لكون النفس بعض الروح فهو كتسمية النوع باسم الجنس نحو تسمية الانسان بالحيوان وقد يجعل اسما لهذه اللطيفة وهى الجزء الذى تحصل به الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار (وهو الذى أراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) وهذه اللطيفة هى الراكبة على الروح الحيوانى نازل من عالم الامر (وهو أمر عجيب ربانى يعجز أكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته) قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة فى البدن وقال صاحب العوارف وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلى الله عليه وسلم معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة اليه لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المطلعة الى الفضول المتشوفة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما أمرت فيه بالسكوت فيه والمتشوفة

بحرصها الى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر فى مسارح الفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت فى التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف من أرباب النقل والعقل فى شئ كالاختلاف فى ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى فاما أقاويل من ليس مستمسكا بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها لانها أقوال أبرزتها العقول التى ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الانبياء فهم كما قال الله تعالى فيهم كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حجبوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فاصروا على الجهالات وحجبوا بالعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدى به قوما ويضل به آخرين فلم ننقل أقوالهم فى الروح واختلافهم فيه وائمة المتمسكون بالشرائع تكلموا فى الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم فى ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الاولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال الجنيد الروح شئ استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين لاقوالهم محملا ويجوز أن يكون كلامهم فى ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله اذ لا يسع القول فى التفسير الا نقلا وأما التأويل فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك واذا كان الامر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل قال أبو عبد الله الباجى الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم وقال ابن عطاء خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى ولقد خلقناكم يعنى الارواح ثم صورناكم يعنى الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قائم فى كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم فى كثيف وفى هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا الا أن يحمل على معنى الاحياء فقد قال بعضهم الاحياء صفة المحيى كالتخليق صفة الخالق وقال قل الروح من أمر ربى وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أى صار الحى حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى فى الجسد فمن الاقوال ما يدل على أن قائله يعتقد قدم الروح ومن الاقوال ما يدل على أن قائله يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون فى الروح الذى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبريل ونقل عن على رضى الله عنه انه قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ولكل وجه منه سبعون ألف لسان ولكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة وروى عن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله تعالى صورهم الله على صورة بنى آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه أحد من الروح وقال أبو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال مجاهد الروح على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن يبتلع السموات والارضين السبع فى لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه فى صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور احترق أهل السموات من نوره فهذه الاقاويل لا تكون الا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك واذا كان الروح المسؤل عنه شيأ من ذلك فهو غير الروح الذى فى الجسد فعلى هذا يسوغ القول فى هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا قال بعضهم الروح لطيفة من الله تسرى الى أماكن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن أى شئ خرج قال من بين جلاله وجماله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه فهى معتقة من ذل كن وسئل أبو سعيد الخراز عن

الروح أمخلوقة هي قال نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت بلى والروح هي التي قام بها البدن
واستحق اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح الحجة ولولم تكن الروح كان العقل معطلا لاحجة عليه
ولاله وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصفى الجواهر وأبهرها وبها ترى المغيبات وبها
يكون الكشف لاهل الحقائق واذا حجبت الروح عن مراعاة السر أساءت الجوارح الادب ولذلك
صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الارواح سواء وقيل الروح تجول
في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء من أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش
وأرواح طيارة الى الجنان والى حيث شاءت على أقدارهم من السعي الى الله أيام الحياة وروى سعيد بن
المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الارض حيث شاءت بين السماء والارض
حتى يردها الله الى أجسادها وقيل اذا ورد على الارواح ميت من الاحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله
بها ملائكة تعرض عليها أعمال الاحياء حتى اذا عرض على الاموات ما يعاقب به الاحياء في الدنيا من
الذنوب كان عذر الله ظاهرا عند الاموات فانه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى وقد ورد مرفوعا تعرض
الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله عز وجل وتعرض على الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون
بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر ان أعمالكم تعرض
على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان حسنا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم

*(اللفظ الثالث) النفس
وهو أيضا مشترك بين معان
ويتعلق بغرضنا منه

كما هديتنا وهذه الاخبار والاقوال تدل على انها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض وقال بعضهم
الروح خلق من نور العزة وابليس خلق من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر أن
النور خير من النار وقال بعضهم قرن الله العلم بالروح فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في
علم الله لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند أكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية والحيوانية
عرضان خلقا في الانسان والموت يعدمهما وان الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا وبالاعادة
اليه في القيامة يصير حيا وذهب بعضهم الى انه جسم لطيف اشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود
الاخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الاخبار الدالة
على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف بأوصاف دل على انه جسم
لان العرض لا يوصف بأوصاف اذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى وأصر بعضهم على انه عرض سئل
ابن عباس قيل له أين تذهب الارواح عند مفارقة الابدان فقال أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان
قيل له فأين تذهب الاجسام اذا بليت قال أين يذهب لحمها اذا مرضت وقال بعض من يتهم بالعلوم المردودة
المفهومة المذمومة وينسب الى الاسلام الروح تنفصل عن البدن في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا
فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة للمعاني المحسوسات لان
تجرده من هيآت البدن عند المفارقة غير ممكن وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخيلة نفسها
مقبورة وتتصور جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم أسلم
المقالات أن يقال الروح شئ مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحيي البدن ما دام متصلا بها وانه أشرف
من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت فان الكيفية والماهية يتعاشى
العقل فيهما كما يتعاشى البصر في شعاع الشمس ولما رأى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة
قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح أيهم من هؤلاء فاختار قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم
لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لانه أمر والامر كلام الله والكلام قديم فما أحسن الامساك عن
القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى أن الارواح أعيان في الجسد
وهكذا في النفوس والله أعلم (اللفظ الثالث النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه

معنيان أحدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان على ماسيأتى بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس) حيث أطلقوا (الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد) للسالك (من مجاهدة النفس وكسرها) أى كسر حدتها حتى تزول عنها تلك الصفات (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك) أى أكثرهم عداوة لك (نفسك التى بين جنبيك) قال العراقى رواه البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن ابن غزوان أحد الوضاعين اه قلت عرف أبوه بغزوان أبو نوح قال الدارقطنى محمد هذا يضع الحديث وقال ابن عدى هو ممن يتهم بالوضع اه وأما أبوه فممن خرج له البخارى ووثقه جماعة من الائمة والحفاظ ولم أر فيه جرحا ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه وللحديث طرق أخرى غير هذه من حديث أنس وغيره وقد روى الديلمى من حديث ابى مالك الاشعرى مرفوعا أعدى عدوك زوجتك التى تضاجعك وماملكت يمينك (المعنى الثانى هى اللطيفة التى ذكرناها التى هى الانسان بالحقيقة وهى نفس الانسان وذاته) قال ابن الكمال فى رسالة فى النفس ان المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله أنا وقد اختلف أهل العلم فى ان المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره أما الاول فقد ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الانسان هو هذا البدن وكل أحد فانما يشير اليه بقوله أنا وهذا باطل والقائلون بانه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا فمنهم من قال انه جسم ومنهم من قال انه جسمانى ومنهم من قال جوهر روحانى وهو مذهب الحكماء الالهيين ووافقهم فى ذلك جماعة من أرباب المكاشفة ثم ذكر لصحة مذهبهم دلائل وبراهين لم أطول بذكرها وقال الفخر الرازى فى التفسير الكبير انهم قالوا لا يجوز أن يكون الانسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس لان أجزاءه أبدا فى النمو والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان ولا شك ان الانسان من حيث هو هو أمر باق من أول عمره الى آخره وغير الباقى غير الباقى فالمشار اليه عند كل أحد بقوله أنا واجب أن يكون مغايرا لهذا الهيكل ثم أطال الكلام فى ذكر ما يشير اليه كل أحد بقوله أنا واختلاف الاقوال فيه بما لم نطول بذكره ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت) هذه (النفس المطمئنة) ومنهم من قال فى وصفها انما هى تنورت بنور القلوب حتى اذا انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة ورفعت حجب الكثائف الخلقية حتى شهدت اللطائف الخفية وعرفت سريان أسرار الربوبية فى مظاهر أطوار العبودية فرجعت فى كل حال الى الله وتلقت كل واقعة من الله ورأت آيات الانفس والآفاق من الله فهى راضية فى كل مشهد بالله مرضية فى كل حضرة لله (قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) وصاحب هذه هو عارف الوقت المحفوظ بالمحو من السلب وبالقبول من المقت قد أخذ ببرد الرضا حرارة الانتقام وبلوعة الشوق نفاقر المهانة والاحجام وبمحض التسليم أمن من قواطع القرب وبسلامة الذوق فارق الملل من الشرب (والنفس بالمعنى الاول) الذى هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الانسان تسمى المستكبرة وهى أصعب النفوس المتلونة قيادا وأبعدها حذرا وأعظمها عنادا وأشدها نفورا تصول صولة أهل الدولة والرياش وتتهافت على الرذائل تهافت الفراش وتقول بلسان الدعاوى أنا الشمس والقمر فاذا بدا ما فيها من المساوى عسعس الغيهب واعتكر * (لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة من) حضرة (الله وهى من حزب الشيطان) الا ان صاحبها اذا لوحظ بعين الامداد وجذبته العناية بأزمة السداد أهزل من انفتها ما كان سمينا وحقر من افتخارها ما كان ثمينا وأفردها من الرياضة فى جبل صعب المسالك بعيد الذرى والمدارك ليس لعشاق الرياسة له من سبيل ولا للهمم الدنية عليه تعويل (واذا لم يتم سكونها) تحت الامر (ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها

معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان على ماسيأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك * المعنى الثانى هى اللطيفة التى ذكرناها التى هى الانسان بالحقيقة وهى نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى فى مثلها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهى من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره

فى عبادة مولاها) فهى تنورت بنور القلب قدر ماتنبهت من سنة الغفلة كلما صدرت منها سيئة بحكم جبلاتها الظلمانية نفتها بلوم وتتوب عنها لا تزال شأنها الملل فى كل علم وعمل كلما حصلت على مطلوب نشأ لها حظ وامل فهى أبدا فى شكاية ووجل وكآبة أنشأتها الرغبة فى الفائت والضجر مما حصل (قال تعالى لا أقسم بيوم القيامة (ولا أقسم بالنفس اللوّامة) وصاحب هذه ان وقف بالذل والخضوع على باب مولاه فتح له وآواه وأحضره حضرة مناجاته أومنحه رؤياه وأجلسه على موائد مدده وهداه وأورده مشاهد رضاه فى تقواه (وان تركت الاعتراض وأذعنت) ومالت الى الطبيعة البدنية (وأطاعت لمقتضى الشهوات) الحسية (ودواعى الشيطان) وجذبت القلب الى الجهة السفلية (سميت النفس الامارة بالسوء) لانفعالها بالخواطر المارة هى سقط رأس القرينين وتجمع بجيوش الوصل والبين ان تغلب عليها القرين الجانى وهو القوى الشهوانى غرس فيها من رذائل الاخلاق أشجار الزقوم وأجرى منها من نقائص الاعمال بحار الحموم وألبسها من المجانسة الخلقية تارة جلد كلب وتارة جلد حمار وبنى قصر تقصيرها على شفا جرف هار وان تبوأها القرين الروحانى وهو نور البيان الانسانى أرغد غذاء قلبها من طيب ثمر المعانى وروق شراب أعضائها من العمل الرضوانى وألبسها من تسبيح الفضائل الخلقية حللا سندسية واستبرقية وجعلها حرما آمنا لمن فزع من جهله وذنوبه تجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدن علام غيوبه أشجار كلمة طيبة لاتخبط ولاتقطع وطائر وارادته لاينفر ولا يروع (قال تعالى وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء) الا مارحم ربى وصاحب هذه ان رحم سلك فى منهاج الحذر من غوائلها وتدرع باليقظة من سهام دسائسها عن أن تقع فى مقاتلها كلما أحس رأى انه مقصر فكيف به اذا وجب عليه أن يستغفر هكذا ذكر الله تعالى النفس فى كلامه القديم بثلاثة أوصاف وهى نفس واحدة ولها صفات متغايرة فالسكينة مزيد الايمان وبها تحصل الطمأنينة وبرتقى القلب الى مقام الروح وتتوجه النفس الى مقام القلب وفى ذلك طمأنينتها فهى اذا المطمئنة واذا انزعجت عن مقار جبلاتها متطلعة الى مقار الطمأنينة فهى اللوّامة فاذا قامت فى محلها لا يغشاها نور المعرفة والعلم فهى الامارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعى الروح وتارة تملكه دواعى النفس (وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هى النفس بالمعنى الاوّل) الذى هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الانسان (فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم و بالمعنى الثانى محمودة لانها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى و بسائر المعلومات) ثم اعلم ان النفوس الممنوحة بالتمكين فروش العقول المجردة من غلبات التلوين وهى ست كالجهات لتصور التجليات فى الحضرات العلميات والنفوس المحجوبة بحجاب التعين الموقوفة عند النفوذ من أقطار الكيان فى رحلة التلون فروش العقول النظرية المعقولة بالقيود الخبرية والحدود الفكرية قد حجبت عن شهود حقائق القدس بقياس الغيوب على شواهد الحس وهى على عدد الحواس الخمس فهن احدى عشرة نفسا فذكر المصنف منها أربعة المطمئنة والمستكبرة واللوّامة والامارة ونحن نشير الى باقيها فنقول الخامسة هى النفس الدساسة المتلونة فى الاخلاق المعكوسة ولثمها الارضاع من شيمة الطباع وادقها الاكناف والاشكال ودستها فى مرتبة الوهم والخيال واليها الاشارة بقوله تعالى وقد خاب من دساها وصاحبها الاحياءله الارضاع ثدى الذكر والاعتزال والفطام عن خلط أهل المراء وخبط أهل الجدال حتى يعود اليها روح الفطرة وتذهب عنها فترة الغمرة * السادسة هى النفس المشتراة من الملكية البشرية الممنوحة بالمكنة من المملكة السرية جاهدت فغنمت وشاهدت فنعمت وقتلت بصفاء الزهد شيطانها وقبلت بوفاء العهد سلطانها واليها الاشارة بقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وصاحب هذه امام وصل الفتح لواحق سيادته بسوابق ارادته وقطع العزم علائقه الحسية فى حقائق الجمال فأكمل لذاته واتاه مدد السمع والبصر والروح بانجاز عداته * السابعة النفس السوّالة

فى عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوّامة وان تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هى النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاوّل مذمومة غاية الذم و بالمعنى الثانى محمودة لانها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات

الدساسة القتالة تزخرف المهالك الفواتك بحلاء الفضائل والمناسك واليها الاشارة فى قصة السامرى فانها فعلت به الذى فعلت وسقته السم فى العسل وهى مستدرجة بعلوم النظر محجوبة عن المؤثر بالاثر محبوسة السمع والبصر فى سجن القياس والفكر لادواء لامراضها الا اذلالها بين معظمها فى البرايا وتنقيصها وان أتت بكل المزايا وشج رأس رياستها بالذل والخمول وملء مواسك افكها بالرد وعدم القبول * الثامنة النفس الزاكية قد أشرقت شمس حقيقتها الفعلية فقد أنور فاعلها بضحاها وتلألأ قمر قبولها الفطرى فتمت كلتها بظهور معناها وهجم نهار توحيدها على ظلم صور الاسباب فجلاها وسكنت الى الله بخمود حركات الحظوظ فلم تزل آمنات الايجاد بمحو المنازعة تغشاها واليها الاشارة بقوله قد أفلح من زكاها وصاحب هذه ملهم البصيرة طاهر الظاهر والسريرة رفع عنه الصور حجاب الصور فشهد الله فى كل مشهد مولاه ونصيره قد أنعم بالتوفيق والسكينة خشونة الطباع والاخلاق وامتزج مزاجه بنفحات الرحمة فطابت بأنفاس معارفه وعوارفه جميع الآفاق * التاسعة النفس الذاكرة بلسان شهود المسمى فى معرفة أسمائه الشريفة واليها الاشارة بقوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة قد حررت نيران خوفها ورجاها وجاوزت الاطراف ففازت من الوسطية بمنتهى شهدت معناها فرأت بلوغ مناها وعلمت أن لا حول ولا قوة الا بمولاها فخرجت عن تخيل حيلها وقواها وخشعت الاصوات لواهيها فسمعت كلام مناجيها وحييت من هواها كما حييت من مهاو بها فتنشقت أنفاس الرحمة من جميع نواحيها وصاحب هذه هو الذاكر على الحقيقة والعيان المحفوظ من الغفلة والنسيان الموهوب أفضل ما يعطى السائلون من الامانى والامان ظاهره بالجلال فى الشرع مضبوط وباطنه بالجمال فى الجمع مبسوط ثبت أصل شجرته وطال فرع سدرته كما اهتزت فكرته بيد الرياضة جذع عبرته تساقط عليه من روض الرضا جنى ثمرته واستغرقته لذة ذوقه عن زهارة زهر خضرته ولم يدع له استقبال قبلة القبول أربا دون محبوب يرتضيه ولا طلبا غيره يفرح بتقاضيه تلاصق توجهه التوحيدى فى كل مقام بلسان الدهش والاصطلام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام * العاشرة هى النفس المملوكة بأصل الوضع ذات المكنة فى عوالم السمع هى التى اصطنعت فى النفس العلية وصنعت على عينها الحكمية تولدت على قوى التلقى والالهام على صورة ما تجلى به عليها ذو الجلال والاكرام فلما شبت على صورة الاصل قيل لقوامها من خلف حجاب الوصل لا تخف نجوت من الفصل ولما دعيت لكشف القناع فى حضرة السماع قدس من خشاش الشواغل واديها وخلع مرام صدقها نعل الكيف والدين عند طرق ناديها تنزيها واجلالا لمقعد صدق مناديها وسترت ببرقع الصعد والدلك خفى وجوه الغيرية وباديها فقال لها قد بلغت المنى انى أنا وقيل لصاحبها انى اصطفيتك نفذ ما آتيتك حين جاهد فى الله حق جهاده بخروجه لمراد الله عن مراده وأناله الله منالا فوق الامل وأقامه مقاما لا يبلغ بالعمل واليها الاشارة بقوله رب انى لا أملك الا نفسى صاحبها كل أيامه طيب وطرب وسائر لياليه قرب وقرب وجميع أحواله دنو وأدب فى عجزه معروف بالقوة الباهرة وفى فقره موصوف باسباغ النعم الباطنة والظاهرة * الحادية عشر النفس العلية أم حضرة الكمالات وكتاب التفصيل والاجمالات صحيفة المعانى اللاهوتية المحمولة على عرش الكلمات الناسوتية هى التى تعرف جلابيب النسب والاضافات والبست خلع أستار الصفات العليات وكشف دونها حجاب حضرة الذات فتحجبت بنور عز الوحدة عن غواشى أعين الشتات وصاحب هذه فى كل زمان واحد الاعيان وروح الاكوان ومسير البيان عن علم الرحمن (اللفظ الرابع العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها) أى من جملة تلك المعانى المذكورة (معنيان أحدهما انه قد يطلق و يراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب) وقد ورد فى أخبار داود انه سأل ابنه سليمان عليهما السلام أين موضع العقل منك قال القلب لانه قالب الروح والروح قالب الحياة (والثانى انه قد

(اللفظ الرابع) العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان * أحدهما انه قد يطلق و يراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب والثانى انه قد

يطلق

يطلق و يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق و يراد به صفة العالم وقد يطلق و يراد به محل الادراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا قد انكشف لك أن معاني هذه الاسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر و يقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان و يعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة و بين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو

يطلق و يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب) لانه كذلك و(أعني) بالقلب هنا (تلك اللطيفة) لا المضغة (ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق و يراد به صفة العالم وقد يطلق و يراد به محل الادراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل) رواه داود بن المحبر في كتاب العقل عن صالح المري عن الحسن مرسلا مرفوعا وابن المحبر كذاب وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد أن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولانه لا يمكن الخطاب معه) ولذا قال الحافظ ابن حجر الوارد في أول ما خلق الله حديث أول ما خلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل (وفي الخبر انه قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر الحديث) أخرجه عبد الله ابن الامام أحمد في زوائد الزهد عن علي بن مسلم عن يسار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصري مرفوعا مرسلا لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر قال ما خلقت خلقا أحب الي منك بك آخذ وبك أعطي و يسار بن حاتم ضعفه غير واحد وقال القواريري انه لم يكن له عقل وقد تقدم الكلام فيه في كتاب العلم مفصلا (فاذا قد انكشف لك أن معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه أربعة معان تطلق عليها الالفاظ الاربعة) النفس والروح والقلب والعقل (وكل لفظ أطلق لمعنيين) على ما ذكرنا آنفا (وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر و يقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء) والاصل خاطران ملكي وشيطاني فمن الملكي خاطر الروح والعقل والقلب ومن الشيطاني خاطر النفس وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال وسيأتي الكلام على ذلك في محله ان شاء الله تعالى (فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي) ليكون المطالع لكلامنا على بصيرة ولا يخلط اصطلاحا باصطلاح (وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان و يعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي) هو (في الصدر لان بين تلك اللطيفة و بين جسم القلب) الذي هو عبارة عن المضغة (علاقة خاصة) كما تقدم (فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب) ثم بسائر البدن (وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها) قال صاحب العوارف بعد كلام طويل ساقه في تكون القلب من الروح والنفس في عالم الامر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ما نصه والعقل جوهر الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزاكية تدبير الوالد للولد البار والزوجة الصالحة وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة تدبير الوالد للولد العاق والزوجة السيئة فينكر من وجه وينجذب الى تدبيرهما من وجه اذ لا بد له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل فمن قائل ان محله الدماغ ومن قائل ان محله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه الى البار تارة والى العاق تارة أخرى والقلب والدماغ نسبة الى البار والعاق فاذا رأى تدبير العاق قيل مسكنه في الدماغ واذا رأى له تدبير البار قيل مسكنه القلب ثم أطال في ذلك بما يأتي بعضه في محله (ولذلك شبه) أبو محمد (سهل) بن عبد الله (التستري) رحمه الله تعالى (القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو

العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه *(بيان جنود القلب)* قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت واذا أمر الرجل بالحركة تحركت واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شئ وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع

العرش والصدر هو الكرسي) فيما نقله عنه صاحب القوت وكذا قال غيره الروح ثلاثة أجزاء سلطانية وروحانية وجسمانية فموضع السلطان في القلب وموضع الروحانية في الصدر وموضع الجسمانية بين الدم واللحم وقيل بين العظام والروح (ولا تظن به انه يرى انه عرش الله) المعهود (وكرسيه) المشهود (فان ذلك محال بل أراد به انه مملكته) ومحل سلطنته (والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه) ثم منه ينصرف الى سائر أجزاء البدن (فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الا من بعض الوجوه) ويقرب من ذلك قول من قال منهم القلب عرش الله الاعظم (وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا) اذ هو عالم الملكوت (فلنتجاوزه) الى غيره *(تنبيه)* وجد في كلام القوم السر فنهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منه وألطف وقالوا هو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة ولم يقع لهذا اللفظ ذكر في كتاب الله ولا في السنة الا في حديث موضوع لا أصل له بلفظ وفي القلب فؤاد وفي الفؤاد ضمير وفي الضمير سر وفي السر أنا وانما المذكور في كلام الله الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل قال صاحب العوارف الذي سموه سرا ليس بشئ مستقل بنفسه له وجود كالروح والنفس وانما لما صفت النفس وتزكت انطلقت الروح من وثاق ظلمة النفس وأخذت في العروج الى ادراك القلب وانتزع القلب عند ذلك من مستقره متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه فانجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا والذين زعموا انه ألطف من الروح روح متصفة بوصفه أخص مما عهدوه والذين سموه قبل الروح سرا هو قلب اتصف بوصف غير ما عهدوه

(بيان جنود القلب)

(قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو) قال قتادة من كثرتهم أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن ابن جريج مثله أخرجه ابن المنذر وفي حديث أبي سعيد الخدري صاحب سماء الدنيا ملك اسمه اسمعيل وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم جنده مائة ألف وتلا هذه الآية أخرجه الطبراني في الاوسط (فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم) الملكوتية (جنود مجندة) أي كثيرة مجتمعة (لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو) جل جلاله (ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا) في الكتاب (وله) أي للقلب (جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو) أي القلب (في حكم الملك) المتصرف في رعايته (والجنود في حكم الخدم والاعوان) والاتباع (وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها) لانها بمنزلة الرعية له (وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا) وعصيانا (فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت واذا أمر الرجل بالحركة تحركت واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم) كل ذلك بسرعة (وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس القلب يشبه من وجه تسخر الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة) والانقياد (لا يستطيعون له خلافا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) به كما هو معلوم من شأنهم (وانما يفترقان في شئ وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها القلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره) واحتياجه (الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى

وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل الى الله سبحانه مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها أدنى المنزلتين فاضطر الى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بأن يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التى هى آلات الشهوات وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور فى الجوارح من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وألفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا الى طرف يسير منها فى كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافى كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثانى هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة وهى جنود مبثوثة فى سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار

وقطع المنازل الى لقائه) ومشاهدته (فلاجله خلقت القلوب قال تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) والمراد بالعبادة هنا المعرفة ولاتتم المعرفة الا بالسفر الى الله (وانما مركبه البدن وانما زاده) الذى يتزوده من دنياه (العلم) النافع (وانما الاسباب التى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح) فالعمل الصالح وان كان فرعا للعلم النافع فى الحقيقة لكنه صار بمنزلة الاصل فى استقرار العلم به كما قيل هتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل ونقل صاحب الذريعة عن على رضى الله عنه قال الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر و بطن أمه مبدؤ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر

رأيت أخا الدنيا وان كان حاضرا * أخا سفر يسرى به وهو لا يدرى

(وليس يمكن أن يصل العبد الى الله تعالى مالم يسكن البدن) و يتزود من العلم والعمل (ولا) يصل ما (لم يجاوز الدنيا) بسفره منها (فان المنزل الادنى لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة) قد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم (وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا) وهى تأنيث الادنى (لانها أدنى المنزلتين) من الدنو بمعنى القرب وأقصى المنزلتين وهى الآخرة ومنهم من جعله تأنيث الادنأ بالهمز من الدناءة وهى الخساسة (فاضطر الى أن يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره) كالشرب واللبس والنسيم (و بان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من أسباب الهلاك) من الجوع المفرط والعطش المفرط وتخفيف اللباس فى الشتاء وشم الروائح الكريهة واستعمال ما يضر من المسكرات والسموم وغير ذلك (فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة) وهى الارادة النفسية (وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه) من قبول الاغذية (وخلقت الاعضاء التى هى آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الاعداء) وأصله من ثوران دم القلب تنبعث منه الحرارة فتنتشر فى الاعضاء فيكون سببا لحماية عرضه وانتقامه (وظاهر وهو اليد والرجل الذى يعمل) من الحركات (بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها) تقوية لها (ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا تنفعه شهوة الغذاء وآلته فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها و وجه الحكمة فيها يطول ذكره) لكثرة الكلام فيه وفى متعلقاته (ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا الى طرف يسير منه فى كتاب الشكر) كما سيأتى (فليقنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة أصناف) الاول (صنف باعث) ومحرك (ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافى كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة) اذ هى القوة المركبة من الشهوة والحاجة والامل (و) الصنف (الثانى هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد) من جلب نافع أو دفع ضار (و يعبر عن هذا الثانى بالقدرة) اذ هى اظهار الشئ من غير سبب ظاهر (وهى جنود مبثوثة) أى منتشرة (فى سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار) اما الاوتار جمع وتر بحركة وهو عضو عصبانى ينبت من طرق العضل فيلاقى الاعضاء المتحركة وهو مؤلف فى الاكثر من العصب النافذ فى العضلة البارز منها فى

الجهة الاخرى ومن الرباط الذى هو عضو عصبانى المراى والملمس من جهة البياض واللزوجة وقد تتألف من أوتار عضلات كثيرة موضوعة على الساق كوتر العنق وأما العضلات محركة جمع عضلة كقصبة وقصبات فهو اسم لجملة العصب والرباط اذا استدقت وتشظت شظايا دقاقا وحشى الخلل الواقع بينها لحما وغشى غشاء ومنفعة العضل ان الانسان اذا أراد أن يصرف عضوا من آخر حرك فتشنجت وزاد فى عرضها ونقص من طولها واذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد فى طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود والعضل الذى يحرك عضوا كبيرا كالعضل الذى فى الفخذ المحرك ينبت منه اما وترا واما أوتار متصل بالعضو الذى يحركه وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد والذى يحرك عضوا صغيرا يكون صغيرا كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جدا وليس لها أوتار وكل عضو يتحرك حركة ارادية فانه له عضلة بها تكون حركته فان كان يتحرك الى جهات متضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها الى ناحيتها عند كون تلك الحركة ويمسك المضادة لها عن فعلها وان اعملت المتضادتان فى الوضع فى وقت واحد انشق العضو أوتمدد وقام مستقيما لا يتحرك مثال ذلك ان الكف اذا مدها العضل الموضوع فى باطن الساعد انثنى وان مده العضل الموضوع فى ظهره انحنى وانقلب الى خلف وان مداها جميعا استوى وقام بينهما وجملة ما للبدن من الحركات الارادية حركة جلدة الجبهة وحركة العينين والخدين وطرفى الانفين والشفتين واللسان وحركة الحنجرة والفك وحركة الرأس والعنق وحركة الكتف وحركة مفصل العضد مع الساعد وحركة مفصل الساعد مع الرسغ وحركة الاصابع وكل واحد من مفاصلها وحركة الاعضاء التى فى الحلق وحركة الصدر للتنفس وحركة القضيب وحركة المثانة فى منعها خروج البول وحركة المعاء المستقيم فى منعها خروج الثفل وحركة مراق البطن وحركة مفصل الورك والفخذ وحركة مفصل الفخذ والساق وحركة مفصل الساق والقدم وجملة ما ذكر جالينوس من عضلات البدن خمسمائة وتسع وعشرون أو سبع وعشرون عضلة منها تسع للوجه وأربع وعشرون للعينين واثنتا عشرة لتحريك الفك الاسفل وثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق وثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة وتسع لتحريك اللسان وأربع عشرة للكتفين وست وعشرون للعضدين وثمان لعضل المرفقين وأربع وثلاثون للساعدين وست وثلاثون فى الكتفين ومائة وسبع لحركة الصدر وثمان وأربعون لتحريك الصلب وثمان موضوعة على البطن أربع للانثيين وواحدة لعنق المثانة وأربع يحرك الذكر وأربع يحيط بالدبر وست وعشرون لعضل الورك وقيل أربع وعشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق وثمان وعشرون لحركة القدم وبعض حركات الاصابع وثمان وخمسون أوثنتان وخمسون موضوعة فى القدم ولبيان ذلك تفصيل تطويل لا يسعه هذا الموضع وانما أشرنا بجمل منها لئلا يخلو الكتاب منه (والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس) جمع جاسوس وهو الذى يتجسس الاخبار ويستخبر عنها (وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها) كاللمس (وهى مبثوثة فى أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك) أما العلم فمعروف وأما الادراك فهو احاطة الشئ بكماله وهذا هو الادراك الكامل وقد يكون ناقصا اذا لم يكن كذلك ولكل من هذه القوى ادراكات مخصوصة يأتى ان شاء الله ذكرها (ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهى الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التى أعدت آلات لهذه الجنود) أما اللحم فهو حشو خلل الاعضاء وقوتها التى يندعم بها وهذا الحد تندرج فيه أنواع اللحم * أحدها اللحم الذى فى العضل وهو أكثر ما فى البدن * الثانى اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الاسنان وانما احتيج اليه ليقوى أصول الاسنان ويمنع من التزعزع وهذا هو المسمى باللحم على الاطلاق والثالث اللحم الفردى كلحم الاسنان ولحم الثدى ولحم الندة التى تحت اللسان وغير ذلك والرابع السمين وهو ما يعلو على اللحم الاحمر ولانواع اللحم مطلقا منافع مذكورة فى محالها وأما الشحم فهو جسم أبيض لين فى

والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهى مبثوثة فى أعضاء معينة يعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهى الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التى أعدت آلات لهذه الجنود

الغاية أكثر لينا من السمين مثل الالية فى ذوات الاربع وأما العصب فهو عضو أبيض لين الانعطاف صلب الانفصال منبته الدماغ أو النخاع وفائدته أن يتم به للاعضاء الحس والحركة وأما الدم فهو رزق البدن الاقرب اليها المحوط فيه وأما العظم فهو عضو مفرد وهو الذى أى جزء محسوس أخذت منه كان مشاركا للكل فى الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاعضاء وقد خلق صلبا لانه أساس البدن ودعامة الحركات (فان قوة البطش انما هى بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشئ بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة أعنى الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة) وهى ظاهرة لكل متأمل (وانما نتكلم الآن فيما أيدبه) القلب (من جنود لم تروها) وهى الباطنة (وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما أسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس) وتحقيق هذا المقام يستدعى الى بسط كلام حاصله ان منفعة الاعصاب منها ماهى بالذات ومنها ماهى بالعرض والذى بالذات افادة الدماغ بتوسطها لسائر الاعضاء حسا وحركة والذى بالعرض فمن ذلك تشديد اللحم وتقوية البدن والاعصاب مبدؤها الدماغ والنخاع فان الدماغ لما لم يحتمل أن يكون منبتا لجميع أعصاب الحس والحركة ان لو نبت الجميع منه وهو مخلوق على مقداره الا أن يبقى منها ما يبقى صغيرا لا يليق بنوع الانسان ولو خلق كبيرا ليبقى بعد خروج الاعصاب منه قدر طبق بالنوع للزم منه آفات مذكورة فى محالها فلذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يخلق جسما على طبيعة الدماغ متصلا به كالنهر الكبير الجارى من ينبوع عين وهو النخاع وهو جعله خليفة له فى ذلك وحظى بخرز الظهر والسناسن كما حظى الدماغ بالقحف وأخرج منه الاعصاب فى مقابلة عضو عضو من الاعضاء كالجداول والسواقى التى تأخذ من النهر الكبير لتصل قوة الحس والحركة من الدماغ الى الاعضاء بتوسط الاعصاب والنخاعية فمبدأ الاعصاب هو النخاع ثم انه يصلب كلما بعد حتى يصير عصبا تام النوع وجميع الاعصاب الدماغية والنخاعية أزواج فرد من كل نبت من اليمين وآخر من اليسار سوى عصب واحد فانه فرد لا زوج له وهو آخر النخاعيات فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حس الحواس الخمسة وحس بعض الاعضاء كما سيأتى بيانه وان كان حس اللمس منها عاما فى جميع الجسد واللحم وانما جعل هذه الاعصاب مبدأ الحواس الخمس دون النخاعيات لانها يجب أن تكون ألين من النخاعيات لدرك الحواس أسرع وتؤدى ما تدرك الى القوى الباطنة كذلك وكان لينها مناسبا للين الدماغ بخلاف النخاعيات فانها لما كان الاعتماد فى الحركات اليها احتاجت الى فضل صلابة لا يناسب ما ذكرنا وأيضا لما كانت الحواس فى الرأس كان المناسب ان تكون الاعصاب الدماغية مبدألها لئلا تبعد المسافة بين المبدأ والمقصود فيلزم ما مرت الاشارة اليه من الآفات * الزوج الاول من الازواج السبعة الدماغية عصبتان مجوفتان منشؤهما من زائدى مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى اللتين تصيران الى المنخرين وبهما تكون حاسة الشم وقد فارقتا لين الدماغ قليلا ولم تلحقهما صلابة العصب وأخذ كل منهما أى من العصبتين الى خلاف جهة منشئه فاذا بعدتا من منشئهما قليلا اتصلتا وأفضى ثقب كل منهما الى الاخرى ويسمى ذلك مجمع النور وانما جمعاههنا لئلا يرى الشئ الواحد شيئين ولتكون للزوج السائلة الى الحدقتين غير محجوبة من السيلان الى الاخرى اذا عرضت له آفة ولذلك يصير كل واحدة من الحدقتين أقوى ابصارا اذا غمضت الاخرى وأصفى منها لو لحظت والاخرى لا تلحظ ولكن يستدعى كل عصبة بالاخرى ويستند اليها ويصير كأنهما نبتت من قرب الحدقة ثم يفترقان وهما بعد داخل القحف فيصير شكلها هكذا ⊣⊢ ثم يخرجان من القحف وذكر جالينوس انهما اذا التقتا فى موضع التقاطع الصلبى انعطف النابت يمينا الى الحدقة اليمنى والنابت يسارا الى الحدقة اليسرى ثم يستدير كل منهما حول الرطوبة الزجاجية ويحتوى عليها بعد أن يصيرا عريضتين ويتسع ويغلظ شفتاهما فيوصلا الى العينين حاسة البصر * الزوج الثانى منشؤهما خلف الزوج الاول يتفرقان فى عضل العين فيوصل اليها قوة الحركة * الزوج الثالث منشؤهما منشأ الزوج

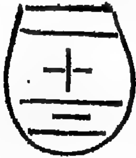
فان قوة البطش انما هى بالاصابع وقوة البصر انما هى بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة أعنى الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس

الثانى وعند طلوعهما من القحف ينقسمان أربعة أجزاء الثالث منها يخرج من الثقب الذى فى العين ثم ينقسم ثلاثة أقسام الثالث منها ينحدر فى الوجنة ثم ينقسم قسمين الثانى منها يتفرق فى طرف الانف والشفة العليا وفى الجلدة التى على الوجه ورابع الاجزاء المشار اليها أولا ينحدر فى اللحى الاعلى فيتفرق أكثره فى طبقة اللسان ويوصل اليها حاسة الذوق * الزوج الرابع منشؤهما منشأ الزوج الثالث يتفرق فى الطبقة المغشية لاعلى الحنك فيوصل اليها حسا ناقصا فقط * الزوج الخامس هما مضاعفان كأنهما زوجان أحدهما زوج به حس السمع ومنشؤه خاصة من مقدم خلف منشأ الرابع ومدخله من ثقب المسامع واذا صار فيه غشاه والثانى زوج يخرج من الثقب الذى فى العظم الحجرى المعروف بالاعمى ثم يختلطان بالزوج الثالث ويتصل أكثرهما بالعضلة العريضة التى تحرك الخد من غير أن يتحرك معه اللحى * الزوج السادس مخرجهما من الثقبين اللذين فى منتهى الدرز اللامى ويخرج من كل منهما ثلاثة أعصاب الاول يصير الى أصل اللسان ليعين الزوج السابع فى تحريك اللسان والثانى ينحدر الى الصدر فيتشعب ويتفرق منها شعب تصير الى فم المعدة وبذلك صار بين المعدة والدماغ مشاركة بسببها يحصل الغثيان عند شم الروائح الكريهة ويحس ببرد الماء بين الحاجبين اذا شرب * الزوج السابع منشؤه مؤخر الدماغ ثم ينقسم ويتفرق أكثره فى عضل اللسان فهذه الازواج السبعة التى ذكرناها وهى حس الحواس الخمس منبتها فى الدماغ وأما ماينبت من النخاع فاحد وثلاثون زوجا وفرد ولكل منها أعمال فى أعضاء الحس لبعض الاعضاء على التفصيل الذى ذكره أهل التشريح (والى ما أسكن المنازل الباطنة وهى تجاويف الدماغ) الثلاثة على مايجىء بيانها (وهى أيضا خمسة) وأشار الى وجه الحصر بقوله (فان الانسان بعد رؤية الشئ) بعينه (يغمض عينه) الباصرة (فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال) وتسمى هذه القوة بالمتخيلة ومن شأنها أن تحفظ مايدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة الحادة بحيث يشاهد معا الحس المشترك كلما التفت اليه فهى خزانة للحس المشترك ومحله البطن الاول من الدماغ (ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شئ يحفظه وهو الجند الحافظ) وتسمى هذه بالقوة الحافظة ومن شأنها ضبط الصور المدركة وهى تأكد العقول واستحكامه فى العقل (ثم يتفكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك الى بعض) وهذه هى القوة المتفكرة ومن شأنها اطراق العلم للمعلوم (ثم يتذكر ما نسيه) ويعود اليه وهذه هى لقوة المتذكرة ومن شأنها استحضار ماتقتنيه من المعرفة (ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات) وهذه هى المسماة بالحس المشترك (ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ) وهى المسماة بالحواس الخمسة الباطنة (فلولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة) قال الراغب فى الذريعة قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على وجودها فيه مايظهر من تأثيراتها قوة الغذاء وبها يظهر النشو والتربية والولادة وقوة الحس وبها الاحساس واللذة والالم وقوة التخيل وبها تتصور أعيان الاشياء بعد غيبوبتها عن الحس وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضا والغضب والايثار والكراهة وقوة التفكر وبها يكون النظر والعلم والحكمة والدراية والتدبير والمهنة والرأى والمشورة فاما القوى المدركة منها فخمس الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ فاما الحواس فلكل واحد منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والعذوبة وللشم اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان الصوت الخفيف والصوت الثقيل وللبصر احدى عشرة النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووصفه وابعاده وحركاته وسكناته واعداده فادون هذه الادراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم فالنفس لاتكاد تستعين بها الا

والى ما أسكن منازل باطنة وهى تجاويف الدماغ وهى أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشئ يغمض عينيه فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شئ يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ماقد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فكذلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة

فيما يعود نفعه الى صلاح الجسم وأرفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس الا أن العقل والفكر يدركان الاشياء الروحانية فاما السمع والبصر فتوسطان فانهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس أكثر ويدركان الاشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر فيأخذ تارة من السمع والبصر ويسلم الى العقل والفكر وذلك فى حال اليقظة ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلم الى السمع والبصر وذلك فى حال النوم وفى شرح الشفاء للخفاجى عند ذكره الحواس الخمس الباطنة قد أنكرها قوم وأثبتها الحكماء على انهم فى اثباتها كأنها فى حيص بيص اه ملخصا قلت وتحقيق الكلام فيه ان القوى المدركة خمس فى الظاهر وخمس فى الباطن فالخمس الظاهرة قوة البصر وموضعها عند التقاطع الصليبى بين العصبتين الآتيتين الى العينين من شأنها ادراك الالوان والاضواء والاشكال والمقادير والحركات وقوة السمع وموضعها العصب المفروش على الصماخ من شأنها ادراك الاصوات وقوة الشم وموضعها الزائدتان من الدماغ الشبيهتان بحلمتى الثدى من شأنها ادراك الرائحة المتصعدة مع الهواء المستنشق المتكيف بها وقوة الذوق وموضعها العصب المفروش على اللسان من شأنها ادراك الطعوم بتكيف الرطوبة اللعابية التى فى الفم وقوة اللمس وموضعها الجلد وأكثر اللحم من شأنها ادراك الملموسات فى حرها او بردها او رطوبتها او يبوستها وخشونتها وصلابتها وملاستها ولينها او خفتها وثقلها وأما الخمس الباطنة فمنها مدركة للصور المحسوسة بالادراك الظاهر عند حضور المحسوسات وحال غيبتها وهى الحس المشترك المدرك لما يدركه الحواس الخمس الظاهرة وموضعه مقدم البطن المقدم من الدماغ وخزانته الخيال اذ فيه تجتمع صور المحسوسات بعد غيبتها عن الحواس الظاهرة فتحفظ تلك الصور وموضعه مؤخر البطن المقدم ومنها مدركة للمعانى الجزئية التى ليست بمحسوسة القائمة بتلك الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو وهى الوهم وموضعها البطن الاوسط وخزانته الحافظة وموضعها البطن المؤخر ومنها متصرفة وهى القوة التى تحلل الصور وتركبها وتحلل المعانى وتركبها فتارة تفصل الصورة عن الصورة والمعنى عن المعنى والصورة عن المعنى وتارة تركب الصورة بها او بالمعنى وتارة تركب المعنى بها وبالصورة وهى ان استعملت فى الامور الجزئية تسمى متخيلة ومحل هذه القوة الدودة التى فى وسط الدماغ والدليل على اختصاص هذه القوى بهذه المواضع اختلال فعلها بخلل هذه المواضع فان الفعل اذا اختص بالموضع أورث الآفة فى فعل القوة المختصة بذلك الموضع هذا على رأى الفلاسفة وأما الاطباء فانهم لما لم يعرفوا الاحدوث الآفة فى التخيل والتفكر والذكر بعروض الفساد للتجاويف الثلاثة ولم يثبتوا الا هذه القوى الثلاث فالحس المشترك والخيال عندهم واحد وموضعهما البطن المقدم من الدماغ وكذلك المتصرفة والوهم واحد عندهم وموضعهما البطن الاوسط وموضع الحافظة عندهم البطن المؤخر فلكل بطن من بطون الدماغ قوة واحدة عندهم كذا ذكره شراح الموجز ونزيدك بيانا فى تشريح الدماغ وما فيه من التجاويف فاعلم ان الدماغ جوهر رخو متخلخل أبيض اللون مركب من المخ والشريانات والاوردة وهو مجلل بالغشاء اللين الرقيق المسمى بام الدماغ والسمحاق والغشاء الصلب الثخين الذى يلاقى القحف وهيئته شبيهة بمثلث قاعدته من جانب مقدم الرأس وزاويته التى يحيط بها الساقان من جانب المؤخر واحد الغشاءين وهذا اللطيف مماس لجوهر الدماغ ومخالط له فى مواضع والآخر مماس للقحف وللدماغ أيضا فى أمكنة منه وجميع الدماغ منصف فى طوله من مقدمه الى مؤخره تنصيفا نافذا فى حجبه ومخه وبطونه وليس الدماغ مصمتا بل له تجاويف مملوءة أرواحا يفضى بعضها الى بعض يسمى بطون الدماغ وهى ثلاثة والتجويف الاول أعظم والوسطانى أصغر منه بالتدريج والمؤخر أصغر كذلك وهو منبت النخاع فكان النخاع ذنب الدماغ وأما فضلات الدماغ فأكثرها يندفع فى المجريين الاول عند الحد المشترك بين التجويف الاول والاوسط والثانى عند الحد المشترك بين التجويف الاوسط والاخير وبالدماغ يكون الحس والحركة للاعضاء اما الحس فبواسطة العصب اللين

وأما الحركة فبواسطة العصب الصلب ولما كان أكثر الاعصاب الحسية ينبت من مقدمه والصلبة من مؤخره جعل مقدمه ألين من مؤخره ولذا جعل التخيل فى مقدم الدماغ لاحتياجه الى سرعة انطباع الاشياء فيه ولا يتم ذلك الا باللين وجعل الحافظة فى مؤخره لاحتياجها الى جودة الامساك الذى لا يتم الا باعتدال من اليبس لذ الرطب البسيال لا ثبات له وجعل الفكرة فى الوسط لاحتياجها الى اعتدال بين الرطوبة واليبوسة والوسط كذلك و وجدت بخط بعض المقيدين قال و جدت بخط الحافظ ابن حجر ما لفظه وقع فى حال قراءتى مختصر ابن الحاجب الاصولى على شيخنا امام الائمة عز الدين بن جماعة مفخر هـذا العصر فى الكلام على الفكر بعد تقريره وتحريره ما أخبرنا انه تلقنه عن شيخه العلامة جار الله انه تلقنه عن شيخه الشارح العلامة قطب الدين بن الشيرازى انه أفاده فى تشريح الدماغ ما مختصره باءتنى كيفية من حفظى بعد قراءتى المجلس ان فى الرأس دائرة مطرطحة صورتها هكذا



وان الخط الاول وهو فى مؤخر الرأس للحس المشترك وان الخط الذى يليه خط خزانة الخيال وان الخط الطويل الذى يليه وهو فى وسط الرأس للحفظ وان الخط الصغير الذى يليه خزانة الوهم وان الخط الاخير المقصور وهو فى مقدم الرأس وان الخط الصغير المستطيل للفكر وانه يسمى الدودة وانما سمى بذلك لكونه ينقبض تارة و ينبسط حال الفكر وان من أراد مداواة حفظه ينبغى له أن يحلق وسط رأسه وان فسد تصوّره ينبغى له حلق مقدم رأسه الى آخر كلامه المحرر فى ذلك فولد لى الفكر ان نظمت فيما يتعلق بخط التصوّر هـذين البيتين وما عنيت أحدا وأنشدته اياهما فاستحسنهما اجادة فضله فلما كان عند انفصالى من المجلس سألنى أن أكتبهما ولا أهملهما فامتثلت أمره وعلقت هذه الاجوبة اللطيفة فى هذه التذكرة وهذان البيتان المشار اليهما أوّلا

لناصديق دعواه غايتها * لم يدن منها سوى معلمه
يحتاج فى حال الخطاب الى * تحليقه الرأس من مقدمه

جعلت ذلك كناية عن فساد تصوره بناء على ما تقدم من ذلك التشريح وقلت أيضا

لا تصحبن جهولا * وكن عليك بنفسك * فان فعلت والا * فاحلق مقدم رأسك

اه ما وجدته قلت وقوله فى خط الفكر انه يسمى الدودة الذى ذكره أهل التشريح ما نصه والتجويف الاول يعنى من الدماغ مجرى آخره والزائدتان ينبتان من بطنيه المقدمين وأكثر فضلات هذا التجويف يندفع فى هذا المجرى الى الانف والدروز والانعطافات التى فى الدماغ جعلت كقطع الجوشن المنسوج بعضه ببعض و يسمى قاعدة سقف التجويف الاوسط وأجزاؤه التى فى جانبيه أعنى جانبى التجويف بالدودة لطول قليل فى خلقتها موازٍ لطول الدماغ ولاجل حركة انقباضها وانبساطها فبالانبساط يطول و بالانقباض يقصر و ينبسط عرضا كالدودة المتحركة ولاجل هذه الحركة يجعل فى هذه القاعدة دروز بل هى قطعة واحدة لتكون أقوى فى الحركة اه (فهـذه هى أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول) لانه يحتاج الى بسط مقدمات يخرج فيها عن القصـد (ومقصود هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء) الذين يفهمون المقصود بأدنى عناية (ولكن نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من أفهامهم) و يسهل عليهم ادراكه فنقول *(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)*
(اعلم ان جنـدى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك) الانقياد (منهما على طريقه الذى يسلكه وتحسن مرافقته فى السفر الذى هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد) فيغلبان عليه (حتى يملكانه و يستعبدانه) يجذبهما له الى موافقته لما يصدر منهما (وفيه هلاكه) الابدى (وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله الى سعادة الابد) وهى أربعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وأصعب هذين الجندين جند الشهوة وقمعها أصعب لانها أقدم القوى

فهذه هى أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جنـدى الغضب والشـهوة قـد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقـه الذى يسلكه وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده وقد يسـتعصيان عليـه استعصاء بغى وتمرد حـتى يملكاه ويسـتعبداه وفيه هـلاكه وانقطاعه عن سـفره الذى به وصوله الى سعادة الابد

والقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب بذلك الى فهمك بثلاثة أمثلة (المثال الاول) أن نقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت حمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت بأحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت

وجودا في الانسان وأشدها به تشبثا وأكثرها منه تمكنا فانها تولد معه وتوجد فيه فان لم يغلبها غلبته وضرته وصرفته عن طريق الآخرة كما أشار اليه المصنف فان قيل فاذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الاضرار فاي حكمة اقتضت أن يبلى بها قلت الشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى فاما اذا أدبت فهي المبلغة الى السعادة حتى لو تصور رفعها لم يمكن الوصول الى الآخرة وذلك لان العبادة التي هي سبب الوصلة الى الآخرة لا تتم الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظه الا بتناول الاغذية ولا يمكن ذلك الا بالشهوة فاذا الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها فتأمل (والقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه) أي السالك (أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين) المذكورين (فانهما يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة) بحزب الله (وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال أكثر الخلق) في كل زمان (فان عقولهم صارت مسخرة) أي مذللة تابعة (لشهواتهم في استنباط الحيل) والخداع (لقضاء الشهوة) حتى يعطي لنفسه مناها (وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم) تابعة لها (فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى قلبك بثلاثة أمثال) ومآلها في منازعة الهوى العقل (المثال الاول أن نقول مثل نفس الانسان في بدنه وأعني بالنفس المعنى الثاني) أي (اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته) أي موضع ملكه وحكمه ماسوى مدينته (فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها) لها فيه الحكم النافذ (وقواه) الباطنة (وجوارحه) الظاهرة (بمنزلة الصناع والعملة) المستخدمة (والقوة العقلية المفكرة له كالمشير) العالم الناصح (والوزير) الفطن (العقل والشهوة له) وفيه (كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة) والميرة بالكسر اسم للطعام وغيره وقد مارهم ميرا أتاهم بالميرة (والغضب والحمية له كصاحب الشرطة) وهو عون الوالي (والعبد الجالب للميرة كذاب مكار) كثير الكذب والمكر (مخادع خبيث) صاحب حيل وخبث طبع وخداع (يتمثل) للوالي (بصورة الناصح) في الظاهر (وتحت نصحه الشر الهائل) أي العظيم المخوف (والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح) ومعارضته (في كل تدبير يدبره) لا ينفك عنه (حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره) الناصح له حالة كونه (معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث) المكار (بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رأيه) ومخالفته فيما يقول (وأدب صاحب شرطته وأسلسه) أي جعله سلسا منقادا (لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث) أي سلطه عليه (و) على (اتباعه وأنصاره حتى يكون) هذا (العبد مسوسا) أي داخلا تحت السياسة (لا سائسا ومأمورا مدبرا لا آمرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس) أيضا (متى استعانت بالعقل) وائتمرت بأوامره (وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت بأحداهما على الاخرى تارة بأن يقلل مرتبة الغضب وغلوائه) أي حدته (بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت أخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة) فسد أمره وانخرم نظامه و(كان كمن قال الله تعالى فيه) محذرا غاية الحذر في ذم من اتبع الهوى (أفرأيت

من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وقال عز وجل فمن نهى النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى (المثال الثانى) اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد فى الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (المثال الثالث) مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته (وجماح

من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى) أخلد الى الارض (واتبع هواه فمثله كمثل الكلب) وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (وقال لمن نهى النفس عن الهوى) وخالفها مادحا له. وأما من خاف مقام ربه (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وقال صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك كما تقدم للمصنف قريبا اشارة الى الهوى والعقل وان كان أشرف القوى وبه صار الانسان خليفة الله تعالى فى العالم فليس دأبه الا الاشارة الى الصواب كطبيب يشير الى المريض بما يرى فيه برءه فان قبل منه المريض والا سكت عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه فى المدافعة والممانعة ولهذا الاتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له وقال الشاعر

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقى مربض المستأسد الحامى

(وسيأتى) بيان (كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس) قريبا ان شاء الله تعالى (المثال الثانى ان) الانسان من حيث ما جعله الله عالما صغيرا وجعل (البدن كالمدينة) فى هيئته (والعقل أعنى المدرك من الانسان كملك) فيها (مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة) من الفكرة والخيال والحواس (كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته) وخدمه (والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو) له (ينازعه فى مملكته) ويعارضه (ويسعى فى اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر) تجاه العدو (ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه) فأسره (وقهره على ما يحب) وكما يحب (حمد أثره اذا عاد الى الحضرة) أى دار مملكته (كما قال تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) وكلا وعد الله الحسنى فدفاع الهوى أعظم ثواب وجهاد كما ورد فى الخبر وقد سئل أى الجهاد أفضل فقال جهادك هواك (وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره) اذا عاد اليه كما ورد فى الخبر كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد فى الخبر) قال العراقى لم أجد له أصلا اه قلت ولفظ الراغب فى الذريعة ان الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة ياراعى السوء الخ وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مالك بن دينار فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن ابراهيم بن شبيب حدثنا سليمان بن أيوب حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول قرأت فى بعض الكتب يجاء براعى السوء يوم القيامة فيقال ياراعى شربت اللبن وأكلت اللحم ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها اليوم ننتقم لهم منك (والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) قال العراقى رواه البيهقى من حديث جابر وقال هذا اسناد فيه ضعف اه قلت وسيأتى قريبا للمصنف فى الكتاب الذى بعده بلفظ مرحبا بكم رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا) أى ماهرا فى فروسيته (وفرسه مروضا) أى قد ريضت بالتعليم فى الاقدام والاحجام (وكلبه مؤدبا معلما) بأخذ الصيد (كان جديرا بالنجح) أى ادراك حاجته من الصيد (ومتى كان هو فى نفسه أخرق) هو الذى لا يحسن العمل (وكان الفرس جموحا) صعبا أو حرونا (والكلب عقورا) يعقر الصيد لنفسه (فلا فرسه ينبعث تحته منقادا) لجاحه (ولا كلبه يسترسل باشارته) ويستكين معه (مطيعا فهو خليق) أى لائق (بأن يعطب) أى يهلك (فضلا من أن ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال لجهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته) عن ادراك الامور

وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

(بيان خاصية قلب الانسان) اعلم أن جملة ماذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر مايختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة أما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما أدركه الحس واذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر وأما الارادة فانه اذا أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطى أسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة

(وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه) فهذه الامثلة الثلاثة وقد وجدت لذلك مثالا رابعا ذكره الراغب فى الذريعة قال مثل النفس فى البدن مثل المجاهد بعث الى ثغر لكى يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله اذا عاد الى حضرة الملك وبدنه بمنزلة فرس دفع اليه ليركبه وشهوته كسائس خبيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولاقدر لهذا السائس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل مايحتاج اليه عاجلا وآجلا فيقبح أن ينسى هذا الوالى مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسياسته ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه فالحاصل ان للانسان مع هواه ثلاثة أحوال الاولى أن يغلبه الهوى فيهلكه وهذا حال أكثر الناس الثانية أن يغالبه فيقهرها تارة وتقهره أخرى وهكذا حال المتوسطين الثالثة أن يغلب هواه وهذا حال الانبياء وكثير من صفوة الاولياء

(بيان خاصية قلب الانسان)

(اعلم أن جملة ماذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى اذ للحيوانات الشهوة والغضب) وذلك لان الشهوة أقدم القوى وجودا وأشدها تشبثا وأكثرها تمكنا فانها تولد مع الانسان وتوجد فيه وفى الحيوان الذى هو جنسه بل النبات الذى هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية (والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك الباطن) لكن ذكر الراغب ان القوة المفكرة للانسان خاصة لا للحيوان (فلنذكر مايختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب) أى صار أهلا للقرب (من الله تعالى وهو) أى ذلك الاختصاص (راجع الى علم وارادة أما العلم فهو العلم بالامور الدينية والاخروية) أى مايتعلق بالدين والآخرة (والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات) بالابصار (ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية) التى لا يتوقف ادراكها على نظر واستدلال (من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما أدركه الحس) فهو من الامور المعقولة (واذا فهمت هذا فى هذا العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر) فهذا هو العلم بقسميه (وأما الارادة فهو انه اذا أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطى أسبابها) التى توصله اليها (وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وغير ارادة الحيوانات بل تكون على ضد الشهوة فان الشهوة) بمقتضى جبلتها (تنفر عن الفصد والحجامة) لمنافيهما من الالم الحاصل المنافى لمزاجها (والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة فى) أيام (المرض) ولذائذ الفواكه كذلك وكذا شرب المياه الباردة (والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها) بان يدرك ان عواقبها مضرة (فليس ذلك زاجر الشهوة) فانها لا ترى الا ما يستلذ ظاهرا (ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات) وبها يتميز عنها (بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه) آخرا وذلك (عند البلوغ وأما الشهوة

والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان * احداهما أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول و يكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد * (الثانية) * أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا الكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجة هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين

والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبا) قبل أن يميز (ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان * احداهما أن يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية التي تدرك بالبداهة في أول الامر كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة) في الحالة الراهنة (الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول وتكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة) مع بعضها المفيدة للمعاني (فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد) الدرجة (الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشر الكتابة) في الحال ولكن (لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية) وهي من خواصها (ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها و بشرف المعلومات وخستها و بطريق تحصيلها اذ تحصل) تلك العلوم (لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة) من غير تعلم سابق (ولبعضها بتعلم واكتساب) بجهد ومشقة (ثم قد يكون ذلك سريع الحصول) في أدنى زمن (وقد يكون بطيء الحصول) بعد مدة (وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء) وهم على هذا الترتيب في المقامات (ودرجات الرقي) وفي بعض النسخ الترقي (فيه غير محصورة) بحد أو عدد (اذ معلومات الله لا نهاية لها) كما انه كذلك لا نهاية له (وأقصى الرتب رتبة النبي) ثم الولي (الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف) تعلم (بل بكشف الهي في أسرع وقت) اما وحيا أو الهاما (وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة) تعالى الله عن ذلك وقرره المصنف في المقصد الاسنى بوجه آخر فقال اما الانسان فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكأنه مركب من بهيمية وملكية والاغلب عليه في بداية أمره البهيمية اذ ليس له أولا من الادراك الا الحواس التي يحتاج في الادراك بها الى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة الى أن يشرق عليه في الآخرة نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والارض من غير حاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له بل يدرك الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان وكذلك المتولي عليه أولا شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه الى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب فان غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه من الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك عن أمور تجل عن أن ينالها حس أو خيال أخذ شبها آخر من الملائكة ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أبعد عن البهيمية وأقرب من الملائكة والملك قريب من الله تعالى والقريب من القريب قريب اهـ (ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل) لكثرتها (وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه) وفي نسخة ما وراءه (من المنازل) التي تعدى عنها السالك فيها (وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما) اذ لم يصل اليها بعد ولم يسلكها (لكن قد يصدق به) في قلبه (ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي) قال المصنف في المقصد الاسنى يستحيل أن يعرف النبي غير النبي وأما من لا نبوة له أصلا فلا يعرف من النبوة الا اسمها وانها خاصية موجودة لانسان بها يفارق من ليس نبيا ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية الا النبي خاصة فأما من ليس بنبي فلا يعرفها البتة ولا يفهمها الا بالتشبيه بصفات نفسه اهـ (وكما لا يعرف الجنين) الذي في بطن الام

حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي وأنا الى لقائهم أشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين

(حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية) الاولية (ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على أولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته) قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة) المفتوح بابها الخاصة (مبذولة بحكم الجود والكرم) الواسعين (من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد) ولا ممنوع (ولكن انما تظهر) آثارها (في القلوب المتعرضة لنفحات الله) أي عطاياه (كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات) أي تجليات مقربات يصيب بها من يشاء من عباده (ألا فتعرضوا لها) لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة (والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه) ومع تطهير القلب يكون الطلب منه تعالى في كل وقت قياما وقعودا وعلى الجنب ووقت التصرف في أشغال الدنيا فان العبد لا يدري بنا أي وقت يكون فتح خزائن المنى (والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا يقول هل من داع فاستجيب له) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقد تقدم في كتاب الاذكار والدعوات (وبقوله) صلى الله عليه وسلم (حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي وأنا الى لقائهم أشد شوقا) قال العراقي لم أجد له أصلا الا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكره ولده في مسند الفردوس اسنادا اه (وبقوله) صلى الله عليه وسلم (من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (كل ذلك اشارة الى ان أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن) حجابها عنها (بخبث) نفس (وكدورة) خاطر (وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة ماء لا يدخلها الهواء) لاشتغال المكان (فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله) وعظمته (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء) رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام (ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة) وبهما يفضل (وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله) على ما ينبغي علمه بذلك فيه كمال الانسان وفضله (وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال) واليه الاشارة بقوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة (فالبدن مركب النفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان) وأقصى رغبته (وخاصيته التي لاجلها خلق) قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر) أي الحمل على العدو والفرار عنه عند المطالبة (وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار) فيكونان سواء في الرتبة (فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقه في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى) وفي الذريعة كل ما أوجد لفعل ما فشرفه بتمام ذلك الفعل منه

ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو والسيف للقطع والعمل المختص به فى القتال ومتى لم يوجد
فيه المعنى الذى لاجله أوجد كان ناقصا فاما أن يطرح طرحا واما أن يرد الى منزل النوع الذى هو دونه
كالفرس اذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة أو أعد أكولة فمن لم يصلح لخلافة الله ولا لعبادته ولا لاستعمال أرضه
فالبهيمة خير منه وقال فى المقصد الاسنى ان الموجودات منقسمة بين كاملة وناقصة فالكامل أشرف من
الناقص ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الا له
ولم يكن للموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها كمالات متفاوتة باضافة فأكملها أقرب لا محالة الى الذى
له الكمال المطلق أعنى قربا بالرتبة والدرجة لا بالمكان ثم الموجودات منقسمة بين حية وميتة وتعلم ان
الحى أشرف وأكمل من الميت وان درجات الاحياء ثلاث درجات درجة الملائكة ودرجة الانس ودرجة
البهائم فأما درجة البهائم فهى أسفل فى نفس الحياة التى بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفى ادراك
البهيمة نقص وفى فعلها نقص اما ادراكها فنقصانه انه مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه
لا يدرك الاشياء الا بمماسة أو قرب منها فالحس معزول من الادراك ان لم يكن مماسة ولا قرب فان اللمس
والذوق يحتاجان الى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة
وقرب فالحس معزول من ادراكه فى هذه الحالة وأما فعلها فهو انه مقصور على مقتضى الشهوة والغضب
لا باعث لها سواهما وليس لها عقل يدعو الى افعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب وأما الملك فدرجته
أعلى الدرجات لانه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد فى ادراكه بل لا يقتصر ادراكه على ما يتصور
فيه القرب والبعد اذ القرب والبعد يتصور على الاجسام والاجسام أخص أقسام الموجودات ثم هو
مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاهما بل داعيه الى الافعال أمر هو أجل منهما وهو طلب
القرب الى الله تعالى (و) أما (الانسان) فهو (على رتبة بين البهائم والملائكة) ودرجته متوسطة بين
الدرجتين (فان الانسان من حيث) ما (يتغذى وينسل فنبات ومن حيث) ما (يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته) التخطيطية (وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما) فضيلته بالنطق
وقواه ومقتضاه و(خاصيته معرفة حقائق الاشياء) بتلك القوى ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة
مهملة أو صورة ممثلة فالانسان يضارع الملك بقوة العلم والنطق والفهم ويضارع البهائم بقوة الغذاء
والنكاح (فمن استعمل جميع أعضائه وقواه) وصرف همته كلها (على وجه الاستعانة بها على العلم)
النافع (والعمل) المحكم (فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم) أى بافقهم (وجدير بأن يسمى
ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم) يعنى به يوسف عليه السلام (ومن صرف همته) كلها
(الى) رتبة القوة الشهوية فى (اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق
البهائم فيصير اما غمرا) بضم الغين وسكون الميم هو الجاهل البليد المحض (كثور) ويضرب به المثل فى
البلادة حتى قالوا وما على اذا لم تفهم البقر (واما شرها) أى حريصا (كخنزير واما ضرعا) أى متملقا
(ككلب أوحقودا كجمل أو متكبرا كنمر أوذا روغان) محركة أى حيلة (كثعلب) وفيه قال الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

وهذه خواص الحيوانات المذكورة حتى قالوا أبلد من الثور واشره من خنزير وأضرع من كلب وأحقد
من جمل وأروغ من ثعلب (أو يجمع ذلك كله) فيكون (كشيطان مريد) أى متمرد وعلى ذلك قوله
تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ولكون كثير من صورته صورة الانسان وليس هو
فى الحقيقة الا كبعض الحيوان قال الله تعالى فى الذين لا يعقلون عن الله ان هم الا كالانعام بل هم أضل
وقال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وقال تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم
لا يؤمنون يبين أن الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التى جعلها الله تعالى لهم هم شر من الدواب وقال تعالى

والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب أوسنور أوحقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد

ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالا يسمع الادعاء ونداء أى مثل واعظ الكافر بن كمثل ناعق الاغنام تنبيها أنهم فيما يقال لهم كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض من ذمه فقال

اللؤم من وبرو والده * واللؤم أكبر من وبر وما ولدا

ولم يقل ومن ولدا تنبيها انه لا يستحق أن يقال له من لكونه بهيمة وعلى هذا المعنى قال المتنبي

* تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن * ولماذ كرنا لم يكن بين بعض هذه الانواع وبعضها من التفاوت ما بين انسان وانسان فانك قد ترى واحدا كعشرة بل واحدا كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد كما قال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت * لدى المجد حتى الالف منهم كواحد

بل قد ترى واحدا بعشرة آلاف وترى عشرة آلاف دون واحد وقال الراغب فى الذريعة الانسان لما ركب تركيبا بين بهيمة وملك فشبهه بالبهيمة بما فيه من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمنكح وشبهه بالملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود فصار واسطة بين جوهرين وضيع ورفيع ولهذا قال تعالى وهديناه النجدين والنجدان من وجه العقل والهدى ومن وجه الآخرة والدنيا ومن وجه الايمان والكفر ومن وجه الهدى والضلال ومن وجه موالاة الله تعالى وموالاة الشيطان ومن وجه النور والظلمة ومن وجه الحياة والموت فمن وفقه الله تعالى للهدى وأعطاه قوة لبلوغ الهدى فراعى نفسه وزكاها فقد أفلح ومن حرم التوفيق فاحرم نفسه ودساها فقد خاب وخسر (وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى) فان الخيال يتصور المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها تنقش الشمع بصورة الختم ثم يأخذه الفكر فيميز بعضه من بعض بنور العقل فيبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم يؤديه الى القوة الحافظة فان أراد ابرازه قولا سلط عليه القوى الناطقة فتعبر عنه باللسان وان أراد ابرازه فعلا سلط عليه القوى العاملة فتوجده بالجوارح (كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر) ان شاء الله تعالى (فمن استعمله فيه) أى فى طريق الوصول الى الله تعالى (فقد فاز) وأفلح (ومن عدل عنه فقد خاب وخسر) واليه الاشارة بقوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وقد أشار المصنف الى ضرب مثل لهذه القوى يعرف منه تصور تأثيرها فقال (وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا طريقه والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته) أو القوى المفكرة لا أسكنها وسط الدماغ (كالملك) يسكن وسط المملكة (ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده) فيبلغها الملك (ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه) الذى يجمع ما دخل ويحفظه (ويجرى اللسان) وهى القوة الناطقة (مجرى ترجمانه) الذى يترجم له عن الغير (ويجرى الاعضاء المتحركة) وهى القوة العاملة (مجرى كتابه) الذين يكتبون له ويردون منه (ويجرى الحواس الخمس) الظاهرية (مجرى جواسيسه) الذين يتجسسون له الاخبار ويجرى أصحاب الاخبار الصادقى اللهجات فيما يرفعونه من الاخبار (فيوكل كل واحد بأخبار صقع من الاصقاع) من مملكته (فيوكل العين بعالم الالوان و) يوكل (السمع بعالم الاصوات و) يوكل (الشم بعالم الاراييح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن) بعد أن يسقط منه ما يراه حشوا ويرفع الباقى صافيا فيعرضه (على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه) مما ينفعه ويضره (فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به) وهى الشهوة لانها شديدة التثبت به وكثيرة التمكن منه وقد اقتضت الحكمة بابتلائه بها (ودفع قواطع الطريق عليه) أى دفع ما يعوقه عن طريق الآخرة ويثبطه عنها ثم بعد اطلاعه عليها يسلمها للخازن

وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب * وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه

ثانيا الى وقت حاجته فحينئذ يتقدم باخراجها (فاذا فعل ذلك) وقهر ذلك العدو وأمن من القواطع (وكان موفقا سعيدا شاكرا لنعمة الله تعالى) بل بصير المعيار بائنا (واذا عطل هذه الجملة) بان لم يستعملها كما ذكر (أو استعملها ولكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة وفى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة) واليه الاشارة بما رواه الديلمى من حديث ابن عمر الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها (كان مخذولا شقيا كافر النعمة الله مضيعا لجنود الله) التى هى الاعضاء والجوارح والحواس (ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك) وكما أن الملك أفعالا يستعين فيها بغيره وأفعالا ينفرد فيها بنفسه والافعال التى يتولاها بنفسه أشرف مما يفوضها الى غيره كذلك القوة المفكرة أفعال تفوضها الى غيرها وأفعال تختص هى بها وهى الروية والفكر والاعتبار والقياس والفراسة فبهذه الاشياء تدبير الامور واستخراج الغوامض وتحصيل التجربة واستنباط المجهول بتوسط المعلوم والاطلاع على الاسرار (والى المثال الذى ضربناه أشار كعب الاحبار) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته فى كتاب العلم (وقال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد) وفى لفظ هاديتان (وأذناه قمع) وفى لفظ قمعان (ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده قالت) عائشة رضى الله عنها (هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يقول قال العراقى رواه أبو نعيم فى الطب النبوى والطبرانى فى مسند الشاميين والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث أبى ذر اما الاذنان فقمع وأما العين فقرة لما يدعى القلب ولا يصح منه شئ اه قلت أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين من طريق كعب قال أتيت عائشة فقلت هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الانسان فانظرى هل يوافق نعتى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انعت فقال عيناه هاد فساقه وزاد بعد قوله بريد وكبده رحمة ورئته نفس وطحاله ضحك وكليته مكر والقلب ملك الحديث فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الانسان هكذا وقول العراقى والبيهقى فى الشعب الخ يشير الى ما رواه من كلام أبى هريرة لا من حديثه ولفظه القلب ملك وله جنود فاذا صلح الملك صلحت جنوده واذا فسد الملك فسدت جنوده والاذنان قمع والعينان مسلحة واللسان ترجمان واليدان جناحان والرجلان بريد والكبد رحمة والطحال ضحك والكليتان مكر والرئة نفس هكذا رواه ثم قال قال أحمد هكذا جاء موقوفا ومعناه فى القلب جاء فى حديث النعمان بن بشير مرفوعا اه وهذه فى الميزان من المناكير وقول العراقى رواه أبو نعيم فى الطب ظاهره انه من حديث عائشة وليس كذلك وانما أخرجه فيه من حديث أبى سعيد الخدرى وكذلك أخرجه أيضا أبو الشيخ فى كتاب العظمة وابن عدى فى الكامل ورواه الحكيم الترمذى من حديث عائشة ولفظهم جميعا العينان دليلان والاذنان قمعان واللسان ترجمان واليدان جناحان والكبد رحمة والطحال ضحك والرئة نفس والكليتان مكر والقلب ملك فاذا صلح الملك صلحت رعيته واذا فسد الملك فسدت رعيته (وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى أرضه آنية) جمع اناء وهو وعاء الشئ (وهى القلوب فأحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها) هكذا فى القوت من قول على وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى عنبة الخولانى مرفوعا ان لله تعالى آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وأبو عنبة قيل له صحبة وقيل بل ولد فى عهده صلى الله عليه وسلم ولم يره وانما صحب معاذ بن جبل ونزل دمشق قال البيهقى اسناده حسن وقال شيخه العراقى فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث فيه قال صاحب القوت (ثم فسره) أى على رضى الله عنه (فقال أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان) الى هنا نص القوت (وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم) قال صاحب القوت فمثل القلوب مثل الاوانى فى تفاوت جوهرها أرقها وأصفاها أعلاها يصلح للوجه

فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو فى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى ضربناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم

والملك والطيب وأكثفها وأدناها يصلح للادناس ومابين ذلك يصلح لما بينهما ومثلها أيضا مثل الموازين
البلبار اللطيف المعيار يصلح لوزن الذهب والكثيف الجافي يصلح للقت ومابينهما يصلح لما بينهما فيوزن بكل
ميزان مايصلح له كما يلتى فى كل اناء مايليق به كذلك الحكمة والحكم فى الملكوت الباطن كالحكمة والحكم فى
الملك الظاهر بتعديل الظاهر الباطن اهـ وقال بعض شراح الحديث عند قوله ألينها وأرقها أى فان القلب
اذالان ورق انجلى وصار كالمرآة الصقيلة فاذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من
شعاعها فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمر الله فى خلقه فيؤديه ذلك الى ملاحظة نور الله فاذا لاحظه فذلك قلب
استكمل الزينة والبهاء بما رزق من الصفاء فصار محل نظر الله من بين خلقه فكلما نظر الى قلبه زاده به فرحا
وله حبا وعزا واكتنفه بالرحمة وأراحه من الزحمة وملأه من أنوار العلوم اهـ وأشار اليه (قوله تعالى مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبى بن كعب) رضى الله عنه فى تفسيره (معناه مثل نور المؤمن وقلبه
وقوله أو كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق) ولفظ القوت فسره أبى بن كعب قال مثل نور المؤمن وكذلك
كان يقرؤه قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح كلامه نور وعمله نور ويتقلب فى نور ثم قال فى قوله
تعالى أو كظلمات فى بحر لجى قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ويتقلب فى ظلمة اهـ قلت أخرجه عبد
ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبى بن كعب الله نور
السموات مثل نوره قال هو المؤمن الذى قد جعل الايمان والقرآن فى صدره فضرب الله مثله فقال الله نور
السموات والارض فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به فكان أبى بن كعب يقرؤها
مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن فى صدره كمشكاة قال فصدر المؤمن المشكاة فيها
مصباح المصباح النور وهو القرآن والايمان الذى جعل فى صدره والزجاجة قلبه فقلبه مما استنار فيه القرآن
والايمان فكأنها كوكب درى أى مضىء والشجرة المباركة أصله المبارك الاخلاص لله وحده وعبادته قال
فمثله كمثل شجرة التف بها الشجر فهى خضراء ناعمة لاتصيبها الشمس على أى حال كانت لا اذا طلعت ولا
اذا غربت فكذلك هذا المؤمن قد أجير من ان يضله شئ من الفتن وقد ابتلى فيثبته الله فهو بين أربع خلال
ان قال صدق وان حكم عدل وان أعطى شكر وان ابتلى صبر فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى بين قبور
الاموات نور على نور فهو يتقلب فى خمسة من النور فكلامه وعمله نور ومدخله نور ومصيره
الى نور يوم القيامة الى الجنة ثم ضرب مثل الكافر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب الآية قال
وكذلك الكافر يأتى يوم القيامة وهو يحسب ان له عند الله خيرا فلا يجده ويدخله الله النار قال وضرب مثلا
آخر للكافر فقال أو كظلمات فى بحر لجى الآية فهو يتقلب فى خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله
ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات الى النار فكذلك ميت الاحياء يمشى فى الناس
لايدرى ماذا له وماذا عليه وأخرج أبو عبيد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال هى فى قراءة أبى
ابن كعب مثل نور من آمن به وفى لفظ له مثل نور المؤمن أخرجه عبد بن حميد وابن الانبارى فى المصاحف
عن الشعبى عنه وقد روى مثله عن ابن عباس قال مثل نوره الذى أعطاه المؤمن كمشكاة وقال فى قوله نور
على نور فذلك مثل قلب المؤمن نور على نور وقال فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى ذلك مثل قلب الكافر ظلمة
على ظلمة أخرجه الفريابى وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال مثل نوره هى خطأ من الكاتب هو أعظم من
أن يكون نوره مثل نور المشكاة قال مثل نور المؤمنين وفى لفظ له مثل نوره مثل هواه فى قلب المؤمن هكذا
أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الاسماء والصفات وأخرج عبد الرزاق وعبد بن
حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة قال أو كظلمات فى بحر لجى اللجى العميق القعير أى
مثل عمل الكافر فى ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ أعمى فيها لا يبصر (وقال زيد بن أسلم) العدوى مولى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبو عبد الله ويقال أبو أسامة المدنى ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين وروى

وقوله تعالى مثل نور
كمشكاة فيها مصباح قال
أبى بن كعب رضى الله عنه
معناه مثل نور المؤمن وقلبه
وقوله تعالى أو كظلمات
فى بحر لجى مثل قلب المنافق
وقال زيد بن أسلم فى قوله
تعالى

فى لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب *(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)* اعلم ان الانسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه فى نفسه أمر ربانى كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربى فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب فكأن المجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء

(والشيطان)

الجماعة له (فى لوح محفوظ هو قلب المؤمن) نقله صاحب القوت وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال فى لوح محفوظ فى صدور المؤمنين (وقال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى) نقله صاحب القوت وقد تقدم قريبا (فهذه أمثلة القلب)

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثاله)

(اعلم أن الانسان قد اصطحب فى تركيبه وخلقته) الاصلية (أربعة شوائب) جمع شائبة وهى العلقة والشبهة وأصله من شابه بمعنى خلطه (فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الاوصاف) المختلفة (وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب) والتهور (يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم) كما ان السباع تهجم على الناس بالعض والقطع (ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق) محركة شدة الغلمة (وغيره) أى غير ماذكر من الاوصاف التى تعزى للبهائم (ومن حيث انه هو فى نفسه أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى فانه يدعى لنفسه الربوبية) والانانية (ويحب الاستيلاء والاستعلاء) على الغير (والتخصص والاستبداد) أى الاستقلال (بالامور كلها والتفرد بالربانية) أى الملكية والسيادة (والانسلال عن رتبة العبودية) أى الخلوص منها (و) من (التواضع) أى خفض المقام (ويشتهى الاطلاع على العلوم) والمعارف (كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور) كما ينبغى (ويفرح اذا نسب الى العلم) والكمال (ويحزن اذا قذف بالجهل) أو النقص أى اتهم به (والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية) ومن خواصها (وفى الانسان حرص على) حصول (ذلك) له (ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز) والفطانة وقوة النطق والادراك (مع مشاركته لمعانى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا) أى كثير الشر معروفا به (يستعمل) تلك القوى التى تميز بها عن الحيوانات فى غير مواضع استعمالها فصار يجرى (التمييز فى استنباط وجوه الشر ويتوصل) به وبها (الى) جملة (الاغراض) الفاسدة من حيث المآل (بالمكر والخداع والحيلة ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين) قطعا (وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب) يتوارد عليه بعضها ويختلف باختلاف الاحوال وقد يكون منها فيه كلها وقد يكون بعضها (وكان المجموع فى اهاب الانسان) أى جلده (خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه) الجشع محركة شدة الحرص والكلب محركة العداوة والحرص أيضا (والكلب هو الغضب فان السبع الضارى) أى اللهج بالعقر (والكلب العقور) الذى من شأنه يعقر الناس (ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة) وهو الاجتراء والولع والصيد (والعدوان) أى التعدى على الصيد (والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه) أى غلمته (فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء

والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى أحدهما بالآخر ويحسن لهما ماهما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه أن ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم أو فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهوته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد

والشيطان) موكل بهذه الاوصاف (لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى أحدهما بالآخر) أى يولع بهما وفى نسخة يقوّى بدل يغرى (ويحسن لهما ماهما مجبولان عليه) فى أصل الطبيعة (والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه) وخداعه (ببصيرته النافذة) فى الامور (ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب تكسر سورة الشهوة) أى فورانها (وتدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته) وأمره وتدبيره (فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم) السالم من الاعوجاج (وان عجز عن قهرها قهروه) وغلبوه (واستخدموه) واستلينوه (فلا يزال) لاجل ذلك (فى استنباط الحيل) بانواعها (وتدقيق الفكر) وصرف الهمم (ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب أوخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج) بان يعطى كل منهما حظه الخاص به (ومنافسة الاعداء) ومفاخرتهم (والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة) المنحوتة بايديهم وهو أسوأ حالا منهم بكثير (ولو كشف) له (الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله) بان يمثل له حقيقة حاله (كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم أو اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته و) واقفا عند (أمره) ونهيه (فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهوته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع) مجد (فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما) أى بواسطتهما فكيف ينكر من هو مثل هذا على عبدة الاصنام مع اقرارهم بانهم انما يعبدونهم التقربهم الى الله زلفى وعابد الخنزير والكلب أسوأ حالا منهم لهوانهم تلك النية (فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقعوده وقيامه) وسائر أحواله (ولينظر بعين البصيرة) النافذة (فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء) مسخرا لخدمتهم (وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء) لانه جوهر الروح العلوى ولسانه والدال عليه (وقد سخره لخدمة هؤلاء) وذلله لها (فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاث صفات تتراكم عليه) وتتزاحم (حتى تصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له) واليه الاشارة بقوله تعالى بل طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون وقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم (اما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة) أى قلة الحياء (والخبث) وهو الوصف الجامع لكل ما يضاد الطيب (والتبذير) وهو تفريق المال على وجه الاسراف (أو التقتير) وهو تقليل النفقة (والرياء والهتكة) محركة كشف الستر (والهجانة) أى الهزل والسخرية (والعبث) محركة وهو عمل ما لا فائدة فيه (والحرص والجشع) هو محركة أشد الحرص والحرص طلب الاستغراق فيما فيه الحظ (والملق) محركة اسم من التملق (والحسد) وهو تمنى زوال نعمة

والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر بالقلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ماهي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور والمؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب

المحجوبين

الغير عنه (والشماتة) وهي الفرح بمصيبة الغير (وغيرها) من الاوصاف الذميمة (وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور) وهو الاقدام على أمور لا تنبغي (والبذالة) وهي الامتهان وعدم التصاون (والبذخ) محركة التكبر (والصلف) محركة العجب (والاستشاطة) وهو الاحتراق غضبا (والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها) من الاوصاف الذميمة (وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة) بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وآخره زاي وهو بمعنى الخداع (وأمثالها) من الاوصاف الذميمة (ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفة الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ماهي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم و) نور (البصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة) تضاد تلك الصفات المذكورة (مثل العفة والقناعة والهدو) وهو السكون والطمأنينة (والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف) وهو بالفتح ذكاء القلب والكياسة (والمساعدة) للاخوان على الخير (وأمثالها) من الصفات الجيدة (ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم) وهما يتلازمان غالبا (والنجدة) بالفتح شدة الشجاعة (وضبط النفس) عن الوقوع في رذيلة (والصبر) على المكاره (والحلم والاحتمال والعفو والثبات) في الامر (والنبل) بالضم رفعة المقام الى المطالب (وغيرها) من الصفات الجيدة (والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي) أي التتابع (واصلة الى القلب) لا ينفك عنها (أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وتنكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا) أي ناصحا ومذكرا العواقب (من قلبه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة واسناده جيد اهـ قلت رواه ابن لال في مكارم الاخلاق ومن طريقه أورده الديلمي ولفظه جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه ولفظ القوت وفي الخبر اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه قلت وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول ابن سيرين بزيادة يأمره وينهاه (وبقوله) صلى الله عليه وسلم (من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا قلت أخرجه أحمد في الزهد عن أبي الجلد قال قرأت في الحكمة من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية (وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر) وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس فهذا وصف قلب كاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة كما وصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام وفي دليل الخطاب اما صريحه فانه (قال تعالى) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي تسكن اليه ولولا ان الذكر استقر فيه ما اطمأن اليه وقال الله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وأما دليل الخطاب الذي يشهد بالتدبر فقوله تعالى في صفة قلوب

المحجوبين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ومثله أعنده علم الغيب فهو يرى ففى تدبر معناه ان عباده المحسنين له سامعين منه ناظرين الى غيبه مكاشفين بذكره (وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم و يصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى) فى ذكر القلوب المقفلة بالذنوب (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطابع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال) تعالى (واتقوا الله واسمعوا) وقال تعالى فى فض الطابع بالتوبة وفى مفتاح القفل بالتقوى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال صلى الله عليه وسلم فى محل صلة القلب التقوى ههنا وأشار الى القلب (ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين و يستهين بالآخرة و يستعظم أمر الدنيا و يصير مقصورا عليها واذا قرع سمعه أمر الآخرة ومافيها من الاخطار) أى الشدائد (دخل من اذن وخرج من الاخرى) ولم يلق له بالا (ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك) عما فرط فيه (أولئك الذين يئسوا من الآخرة) كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما يئس الاحياء من الذين كفروا أن يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة) اما القرآن فقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والرين صدأ يعلو الشئ الجلى وأما السنة فأشار اليه المصنف بقوله (قال ميمون بن مهران) هو الحبر ذو الثقة كاتب عمر ابن عبد العزيز تابعى وقد تقدمت ترجمته ولفظ القوت وروينا عن جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول (اذا أذنب العبد) ولفظ القوت ان العبد اذا أذنب (ذنبا نكت فى قلبه) بذلك الذنب (نكتة سوداء) فان تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل المرآة ما يأتيه الشيطان الا أبصره وأما الذى يتتابع فى الذنوب كلما أذنب نكت فى قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت فى قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه هذا لفظ ميمون بن مهران عند صاحب القوت وأما قول المصنف فان هو نزع الخ هو بقية حديث مرفوع قال صاحب القوت وقد روى أبو صالح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء (فان هو نزع واستغفر وتاب صقل) قلبه (وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الرين) كذا فى النسخ والصواب فهو الران الذى ذكره الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قلت وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذى والحاكم وصححاه والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن حبان وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وأما قول ميمون بن مهران فهو كالمبين لهذا الحديث وقد روى حذيفة فى تفسير هذه الآية نحوه أخرجه الفريابى والبيهقى فى الشعب و يروى عن ابن عمر مرفوعا قال أعمال السوء ذنب على ذنب حتى مات قلبه واسود وأخرجه نعيم بن حماد فى الفتن والحاكم وصححه وتعقب وقال مجاهد هذا اى اثبتت على قلبه الخطايا حتى غيرته أخرجه عبد بن حميد وقال ابن عباس ران أى طبع أخرجه ابن جرير وقال مجاهد الرين اليسير من الطبع والطبع اليسير من الاقفال والاقفال أشد ذلك كله أخرجه ابن جرير وأخرج عبد ابن حميد من طريق خليد بن الحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع خصال تفسد القلوب مجاراة الاحمق فان جاريته كنت مثله وان سكت عنه سلمت منه وكثرة الذنوب مفسدة القلوب وقد قال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والخلوة بالنساء والاستماع منهن والعمل برأيهن ومجالسة الموتى قيل وما الموتى قال غنى قد أبطره غناه (وقد قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس) ولفظ القوت وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان قلب المؤمن أجرد فيه سراج

وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة ومافيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من أذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا أذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس

فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسوّدات له فمن أقبل على المعاصي اسودّ قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فإنها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى إن الذين إذا اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

(بيان مثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب (وحقائق

يزهر في تقسيم القلوب اهـ وهو بعض الحديث الذي يأتي ذكره بعد (فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات القلب ومعاصيه مسوّدات له فمن أقبل على المعاصي اسودّ قلبه) ثلثه أو ربعه أو نصفه فإن داوم عليها اسودّ كله (ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره فهو كالمرآة يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فإنها) تجلى لكنها (لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر) أي يلمع (فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس) أي مقلوب أعلاه أسفله وأسفله أعلاه (فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به) الخ قال العراقي رواه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري اهـ قلت وقال صاحب القوت وروينا عن أبي سعيد الخدري وأبي كبشة الأنماري وبعضه أيضا عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ساق الحديث كسياق المصنف مع ذكر الرواية الثانية ورواه صاحب العوارف من حديث حذيفة وسياقه كسياق المصنف قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن محمد حدثنا محمد ابن حميد حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة قال القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب الكافر وقلب مصفح فذلك قلب المنافق وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب فيه نفاق وإيمان فمثل الإيمان كشجرة يمدها ماء طيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم فأيهما غلب عليه غلب وقال في ترجمة أبي البختري حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي حدثنا أحمد بن خالد الوهبي حدثنا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن ليث بن أبي سليم عن عمرو ابن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة فقلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وذلك قلب المؤمن وسراجه فيه نوره فساقه ثم قال غريب من حديث عمرو تفرد به شيبان عن ليث وحدث به الإمام أحمد عن أبي النضر عن شيبان بمثله ورواه جرير عن الأعمش فخالف ليثا فقال عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة وأرسله (وقد قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر) ولفظ القوت إن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب (وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى) ولفظ القوت وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى لأنه سبب الاجتناب وهو الاتقاء وهو الورع فقال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وأخبر تعالى أنه أظهر البيان للتقوى في قوله عز وجل كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

(بيان أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة)

(اعلم أن محل العلم هو القلب أعني) به (اللطيفة) النورانية (المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء) لا المضغة الصنوبرية (وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورته فتنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص) في نفسها (غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب) بمنزلة المرآة

وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة أمور * أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل * والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة * والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة * والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه * والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها اذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له

(وحقائق الاشياء) بمنزلة صور الاشخاص (وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه) بمنزلة حصول مثال تلك الصور (فالعالم) بكسر اللام (عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة) فهي ثلاثة عالم ومعلوم وعلم ثم زاده وضوحا بمثال آخر فقال (كما ان القبض يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا) بعد (لعدم وقوع السيف في اليد) ولقائل أن يقول ان هذا تشبيه المعقول بالمحسوس وليس بين المشبه والمشبه به مناسبة تامة فلم يتفقا فأشار الى ذلك بقوله (نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها) بانها جسم محرق (فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور) أي صور الاشخاص (لخمسة أمور أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل) يعني به مرآة الهندوان (والثاني لخبثه وصدئه وكدورته) فان من شأن الحديد ذلك (وان كان تام الشكل) وهذان منتفيان في مرآة الزجاج اذا الصق بظهره الزئبق فانه حينئذ لا يحتاج الى تدويرها وصقلها ولا يركبها الصدأ أو الكدر (والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع الحجاب المرسل بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي بها) أي يقابل (شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان تنجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه) فان الحق نور والشهوة ظلمة وهما ضدان (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا) أي أصاب وارتكب (فارقه عقل لا يعود اليه أبدا) قال العراقي لم أر له أصلا اهـ (أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها أبدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له) أخرج الديلمي من طريق محمد بن سومة عن الحرث عن علي مرفوعا من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة

فليست المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث أن يكون

معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي *الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق *الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم

فهو في النقصان فالموت خير له واسناده ضعيف (فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا) أي نفوسهم وعدوهم الذي يأمرهم بالفحشاء والتفكر فصابروه وغلبوا نفوسهم باماتتها (لنهدينهم سبلنا) أي لنطرقنهم الى مكاشفات العلوم ولنوصلنهم الى أقرب الطريق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم الامر بقوله وان الله لمع المحسنين (وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في كتاب العلم وأورده صاحب القوت ثم قال أي من معرفة الاختبار والاختيار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأديب والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة المنقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد وفسر بعض العلماء قوله تعالى وان الله لمع المحسنين فقال هم الذين يعملون بما يعلمون قال يوفقهم ويهديهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء ولاجل هذه المناسبة أورد المصنف هذا الحديث عقب الآية وقال بعض السلف هذه الآية نزلت في المتعبدين المنقطعين الى الله عز وجل المستوحشين من الناس فيسوق الله اليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار (الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان القلب المطيع الصالح وان كان صائبا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق) أي ليس بصدده (وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم) مستغرق الفكر (بتفصيل الطاعات البدنية) ان كان فارغ البال (أو بتهيئة أسباب المعيشة) له ولاهله (ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية) أسرارها (الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وحقائق عيوب النفس ان كان متفكرا فيه أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقيد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات) التي تقرب الى الله (مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي) والحاصل ان تعلق القلب بغير الله ولو كان في الطاعات الموصلة اليه مانع عن حصول انكشاف الحقائق كما هي لعدم التفاته اليه (الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته) بمجاهدة نفسه (المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد) والتلقي (والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه) أولا (من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب) المتبوعة حتى صارت قلوبهم بذلك التقليد مصمتة لا تسمع غير ما تقلده منذ صباوته (بل أكثر الصالحين) من عباده (المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق) على ما هي عليها وقد تقدم البحث عن ذلك في كتاب العلم (الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور) أي الاطلاع (على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم

التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لاتقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لايحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال مايحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار و بعير وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما الازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان و بينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول و بكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها و يرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه

التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها و رتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب) وتنكشف (لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية) أى مما يمكن حصوله من أصل الفطرة (لاتقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة) عنده (بل كل علم لايحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال مايحصل من النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم) أى هذا (كما ان من أراد أن يستنتج رمكة) محركة وهى الانثى من البراذين (لم يمكنه ذلك من حمار و بقرة وانسان بل من أصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان و بينهما طريق) خاص (فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب والجهل بتلك الاصول و بكيفية الازدواج هو المانع من العلم) للاكثرين (ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه فى المرآة فانه ان رفع المرآة بازاء وجهه) أى فى مقابلته (لم يكن قد حاذى بها) اى قابل (شطر القفا) أى فى جهته (فلا يظهر فيها القفا) لعدم المقابلة (وان رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها) فان العين هى التى تبصر (فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه) المرآة (فى مقابلته بحيث يبصرها و يرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية ثم تنطبع صورة هذه فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة و يعز على بسيط الارض) أى يندر وجود (من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات والتحريفات (فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب عن معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف) اذ هو عبارة عن تلك اللطيفة وهو جوهر لطيف (فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف) وهى الصلوح لمعرفة الحقائق (واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) انه كان ظلوما جهولا ففيه (اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا) أى قادرا (لحمل أمانة الله تعالى وتلك الامانة) اختلف فيها على أقوال منها (هى المعرفة) للحقائق كما هى (والتوحيد) لله تعالى العارى عن الحلول والاتحاد والايجاد (وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل) أى فى أصل فطرته (ولكن يثبطه) أى يؤخره (عن النهوض) أى القيام (باعبائها) أى أثقالها (والوصول الى تحقيقها الاسباب) المانعة التى ذكرناها (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود) من بنى آدم (يولد على الفطرة) اللام للعهد والمعهود فطرة الله التى فطر الناس عليها أى الخلقة التى خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والتهيؤ للتمييز بين الخطأ والصواب (وانما أبواه) والداه

هما اللذان (يهوّدانه) أى يصيرانه يهوديا بان يدخلاه فى دين اليهودية المحرف المبدل (وينصرانه) أى يصيرانه نصرانيا (ويمجسانه) أى يدخلانه فى دين المجوسية كذلك بان يصداه عما ولد عليه ويزينان له الملة المبدلة والنحل الزائغة ولا ينافيه لا تبديل لخلق الله لان المراد به لا ينبغى أن تبدل تلك الفطرة التى من شأنها أن لا تبدل أو هو خبر بمعنى النهى قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت رواه البخارى بلفظ المصنف الا انه قال فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه وزاد كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء ولفظ مسلم كل انسان تلده أمه على الفطرة فابواه بعد يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه فان كانا مسلمين فمسلم الحديث وقد رواه الترمذى وقال حسن صحيح بلفظ كل مولود يولد على الملة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه و يشركانه قيل يارسول الله فان هلك قبل ذلك قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفى الباب عن الاسود بن سريع وعن جابر وعن أنس فحديث أنس أخرجه أبو يعلى والبغوى والباوردى والطبرانى فى الكبير والبيهقى بلفظ كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه وحديث جابر أخرجه أحمد والضياء فى المختارة بلفظ أبى يعلى الا انه قال بعد قوله لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما شاكرا أو كفورا وأما حديث أنس فأخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول بلفظ كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فانما يولد على الفطرة على الاسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهوّدتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا (وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء) تقدم قريبا فى كتاب الصوم (اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت) وقد تقدم الكلام على ذلك فى كتاب الصوم (واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر) رضى الله عنهما (قال قيل يارسول الله أين الله فى الارض قال فى قلوب عباده المؤمنين) هكذا هو فى القوت وقال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى من حديث أبى عنبة الخولانى مرفوعا ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث وقد تقدم قريبا (وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن) وفى لفظ زيادة (اللين الوادع) أى الساكن المطمئن هكذا هو فى القوت والرسالة للقشيرى والمشهور ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن وقال العراقى لم أجد له أصلا وفى حديث أبى عنبة قبله عند الطبرانى بعد قوله وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها اه قلت وسبقه ابن تيمية الحافظ فقال هو مذكور فى الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبى صلى الله عليه وسلم ومعناه وسع قلبه الايمان بى ومحبتى ومعرفتى والافن قال ان الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده اه وفى المقاصد للحافظ السخاوى مانصه ورأيت بخط الزركشى سمعت بعض أهل العلم يقول هذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤس العوام على بن وفا المقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم اه قلت وهذا من الزركشى تحامل على الصوفية الذين هم من خواص خلق الله تعالى ويعنى بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسن على بن وفا الشاذلى قدس سره جد السادة الوفائية وناهيك به جلالة وقدرا قد خصه الله بالفيوضات والكشوفات مالو فتح للزركشى عين قلبه لرأى جلية الحق وتحققت له الحقائق ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على ربقة التقليد وان كان هو علم من ربه وما كنت أرى له أن يتكلم بما قال كيف وقد أخرج عبد الله ابن أحمد فى زوائد الزهد بسنده عن وهب بن منبه قال ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يارب فقال الله ان السموات والارض ضعفن عن أن يسعننى ووسعنى قلب المؤمن الوادع اللين والى هذا أشار ابن تيمية بقوله مذكور فى الاسرائيليات ويشهد لصحة معناه حديث أبى عنبة الخولانى المار ذكره قريبا عن الطبرانى وهذا القدر يكفى للصوفى ولا نعترض عليه اذا عزاه الى

يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله يارسول الله أين الله فى الارض أو فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع

حضرة الرسالة والانصاف من أوصاف المؤمنين ولا اعتراض على قول القطب عند الوجد طوفوا ببيت ربكم فان القلب بيت الرب وليس يعنى به هذه المضغة الصنوبرية بل اللطيفة النورانية تأمل (وفى الخبر انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر باسناد جيد اه قلت لفظ ابن ماجه خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق قيل قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم قال هو التقى النقى الذى لا اثم فيه ولا بغى ولا حسد قيل فمن على أثره قال الذى يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فمن على أثره قال مؤمن فى خلق حسن وقد رواه كذلك الحكيم الترمذى فى النوادر والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب ورواه أحمد فى الزهد عن أسد بن وداعة مرسلا (ولذلك قال عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب) بينه وبين قلبه (بالتقوى) ومزيد الايمان وقوته بما أورثه سعة المشاهدة (ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه) فالملك عالم الشهادة والملكوت عالم الباطن (فيرى) بعين بصيرته (جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف) أى النواحى (فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر) لاختصاصه بارواح النفوس (فلا نهاية له) لسعته وعالم الشهادة بالنسبة الى عالم الملكوت كالقشرة بالنسبة الى اللب وكالصورة والقالب بالنسبة الى الروح وكالظلمة بالنسبة الى النور وكالسفل بالنسبة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوى والعالم الروحانى والعالم النورانى وفى مقابلته العالم السفلى والجسمانى والظلمانى (نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له) كما لا نهاية لمعلوماته (وجملة عالم الملك والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية) وحضرة الالهية غير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس وتمييز حضرة الملك من حضرة الربوبية يستدعى شرحا طويلا والكل من حضرات الالهية الخمس عوالم فحضرة الشهادة عالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف عالمها عالم الملكوت وعالم الملك مظهر عالم الملكوت ولا يكون العبد ملكوتيا الا وتبدل فى حقه الارض غير الارض والسموات ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتدأ سفره الى قرب الحضرة الربوبية (لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله) وفى بعض النسخ ومملكته من عبيده وأفعاله وقد اتفق العارفون على ذلك فهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق وأفعاله لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقا حاليا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق منهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا فلم يكن عندهم الا الله (فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم) من العارفين (وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بسبب سعة معرفته) واتساع باعه فى اليقين (وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله) وفى ذلك يتفاوتون على قدر مقاماتهم وسعة معرفتهم (وانما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه) قال الله تعالى (قد أفلح من زكاها) أى النفس وبتزكية النفس يحصل تزكية القلب وفى بعض النسخ وقد أفلح من زكاه أى القلب (ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعنى اشراق نور المعرفة) بالله فيترقى من الحضيض الى أوج الحقيقة فيرى بالمشاهدة العيانية أن ليس فى الوجود الا الله

وفى الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو النقى الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهى الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعنى اشراق نور المعرفة

وان كل شئ هالك الا وجهه ونصيب كل عبد من ذلك حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين عن قربه من القريب جل وعلا وقربه على حسب قرب الله تعالى من قلبه بقدر علمه بالله واتساعه فيه على نحو مكانه من نور الايمان ومزيد ايمانه على قدر احسان الله اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وايثاره له (وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فالنور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر فظهرت له العلامات الدالة عليه من الانابة والاستعداد للموت وغيرها كما سيأتى (وبقوله) تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله (نعم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلاث مراتب) اعلم ان التجلى يستدعى رفع الحجاب ومعرفة الحجاب وسببه وما يقابله فرفع الحجاب هو الانكشاف الحاصل للقلب بنور الايمان وأما الحجاب فهو انتكاس القلب وانغلاقه وسببه الظلمة وأما ما يقابله فهو نور الايمان ويندرج فيه نور العلم ونور الذوق والله سبحانه وتعالى يتجلى فى ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب فى الاضافة الى محجوب لا محالة فالمحجوبون على أقسام ومراتب كما أن المؤمنين على أقسام ومراتب فمنهم من يحجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحجب بالنور المحض ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة ولكل هؤلاء أصناف لا يحصون كثرة وأما الايمان بالله فهو التصديق الجازم بوجوده أولا ثم بتقديسه عن سمات الحوادث ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته رابعا وهذا التصديق له مراتب ذكر المصنف منها ثلاثة وهى فى الحقيقة تسعة فان كل مرتبة من المراتب الثلاثة منقسمة الى ثلاثة واقتصر المصنف هنا على ثلاثة اذ هى الاصول وذكر فى آخر كتابه الجام العوام ستة وهى أقسام المرتبتين وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها فى كتابه مشكاة الانوار وقد تبع هنا صاحب القوت حيث ذكر المراتب ثلاثة ونحن نذكر ان شاء الله تعالى خلاصة ذلك كله قال (المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض) وفيها ثلاث مراتب الاولى منها التصديق بوجود السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق فان من حسن اعتقاده قد يخبر عن شئ فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره فى قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه وهذا كاعتقاد الصبيان فى آبائهم ومعلميهم فانهم يسمعون الاعتقادات ويصدقون ويستمرون عليه من غير حاجة الى دليل ومحاجة المرتبة الثانية من المرتبة الاولى التصديق الذى يسبق اليه العلم عند سماع الشئ مع قرائن الاحوال لا يفيد القطع منه المحقق ولكن يلقى فى حق العوام اعتقادا جازما لا يخالجه ريب ولا يطالب دليلا المرتبة الثالثة من المرتبة الاولى أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر الى التصديق بمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد فى قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما فى طبعه وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات لان ما قبلها استند الى دليل ما وان كان ضعيفا من قرينة أو حسن اعتقاد فى المخبر فهى أمارات يظنها العامى أدلة فتعمل فى حقه عمل الادلة (والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال) وفيها أيضا ثلاث مراتب الاولى وهو أقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى المستوفى بشروطه المحرر بأصوله ومقدماته درجة درجة كلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس وذلك هو الغاية القصوى الثانية أن يحصل بالادلة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المزيد فيها وهذا الجنس أيضا يفيد فى بعض الامور فى حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث لا يتغير صاحبه بامكان خلافه أصلا الثالثة أن يحصل التصديق بالادلة الخطابية التى جرت العادة باستعمالها فى المحاورات والمخاطبات الجارية فى العادات وذلك يفيد فى حق الاكثرين تصديقا ببادئ الرأى وسابق الفهم اذا لم يكن الباطن مشحونا بتعصب ورسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل (والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين) وفيها أيضا ثلاث مراتب الاولى علمهم بان كل ما سواه اذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره ولا قوام لوجوده

وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلاث مراتب (المرتبة الاولى) ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين

المستعار

المستعار بنفسه بل بغيره ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض فاذا انكشف للعبد هذه الحقيقة بنور اليقين علم انه مالك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه أصلا الثانية ترقوا من حضيض المجاز الى أوج الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العينية ان ليس فى الوجود الا الله وان كل شئ هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا فى وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبدا لا يتصور الا كذلك وان كل شئ سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبرت من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الاول رؤى موجودا لا فى ذاته لكن من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه فاذا كل شئ هالك الا وجهه أزلا وأبدا ولم يفتقر هؤلاء لقيام القيامة ليسمعوا نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر انه أكبر من غيره حاشا الله اذ ليس فى الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى يليه فالوجود وجهه فقط فمحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الاضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان أو ملكا بل لا يعرف كنه معرفته الا الله تعالى الثالثة بعدما عرجوا الى سماء الحقيقة اتفقوا انهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقا حاليا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم فقال أحدهم أنا الحق وقال الآخر سبحانى ما أعظم شأنى وقال آخر ما فى الجبة الا الله وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذى هو ميزان الله فى الارض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه فى تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره كان قد يشعر بنفسه وتسمى هذه الحال بالنسبة الى المستغرق به بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا وقال صاحب القوت كل قلب اجتمع فيه ثلاث معان لم تفارقه خواطر اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعانى ودقتها ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لان هذه الثلاث مكان اليقين أحدها الايمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثانى العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين فى القلب ومثل القلب فى قوته بقوة مدده وفى صفائه بجودة عدده مثل المصباح فى القنديل الماء مكان العقل منه والزيت موضع العلم به هو روح المصباح وبمدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الايمان منه هو أصله وقوامه الذى يظهر بها فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان فى قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضىء النار التى من اليقين وهو مثل العلم فى مدد الزهد وفقد الهواء فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد فى التوحيد على قدر المكان فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد فى الدنيا ازداد ايمانا وعلا لانه يرى فى علوه ما لا يراه غيره ويعلم فى اتساعه ما لا يعلمه سواه فليكثر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله سبحانه وتعالى بمعانى صفاته وأحكام ملكوته قلت المؤمنات فقل ايمان هذا العبد ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف يعجزه عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه ويختل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من قدر الله تعالى وصفاته وأحكامه وآياته مائة ألف معنى ثم شهدها كلها من قرب

وتبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات *(الاولى) أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته فى القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم ألقى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى اليهم كلمة الحق

عن كشف مثل من علم منها عشرة معان ثم شهرها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما فى القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة الى مائة ألف فيكون ايمان قلب المسلم معشار عشر ايمان قلب الموقن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء ويكون ايمان قلب الموقن فيما بين ذلك من الزيادة على العشرة والنقصان عن مائة ألف على قدر قسمه (وتتبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات* الاولى أن يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه فى القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد) فان من حسن اعتقاده فى انسان قد يخبر عن شئ كموت شخص وقدوم غائب وغيره فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره فى قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضى الله عنه اذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم من مصدق به جزما وقابل له قولا مطلقا (وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم) ومشايخهم (وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه و) صدق (ما جاء به وكما سمعوه) بادروا الى التصديق (وقبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه) ولم يخالجهم ريب وشك ولا مستند لقبولهم ذلك الا (لحسن ظنهم) واعتقادهم (بآبائهم وأمهاتهم أو معلميهم) وقد يستمرون على ذلك من غير حاجة الى دليل ومحاجة (وهذا الايمان سبب النجاة) من عذاب الله (فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين) المشار اليهم فى قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين الآية (وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم ألقى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى اليهم كلمة الحق) وانما قلنا ان هذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة لان أكثر الناس آمنوا فى الصبا وكان تصديقهم بمجرد التقليد للآباء والمعلمين بحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم على مخالفيهم وحكايات أنواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم ان فلانا اليهودى مسخ فى قبره كلبا وفلانا النصرانى انقلب خنزيرا أو حكايات ومنامات وأحوال من هذا الجنس تنغرس به فى نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى ينزع الشك بالكلية من قلبه والتعلم فى الصغر كالنقش على الحجر ما لم يقع تشويش عليه فلا يزال ذلك فى نفسه فاذا بلغ استمر اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذى لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى أولاد النصارى والروافض والمسلمين كلهم لا يبلغون الا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم فى الحق والباطل جازمة ولو قطعوا اربا اربا لما زاغوا عنها ولم يسمعوا عليها دليلا لا حقيقيا ولا رسميا وكذلك ترى العبيد والاماء يسبون من المترك ولا يعرفون الاسلام فاذا وقعوا فى أيدى المسلمين مدة ورأوا ميلهم الى الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا بأخلاقهم كل ذلك بمجرد التقليد والتشبيه بالغير فالطباع مجبولة على التشبيه لاسيما طباع الصبيان والشباب فبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الادلة

(فصل) ولعلك تقول لا أنكر وصول التصديق الجازم الى قلوب العوام بهذه الاسباب ولكن ليس ذلك من المعرفة فى شئ وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل لا يتميز فيه الباطل عن الحق فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق أن يعتقدوا الشئ بما هو عليه اعتقادا جازما لتنتقش قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة الحق حتى اذا ماتوا انكشف لهم الغطاء فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها ولم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزى والخجلة أولا وبنار جهنم ثانيا وصورة الحق اذا انتقش به قلبه فلا نظر الى السبب المفيد له أهو دليل حقيقى أم رسمى أم اقناعى أو قبول عن الاعتقاد فى قائله أو

قبول

قبول لمجرد التقليد من غير تسبب فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ماهو عليه فمن اعتقد حقيقة الحق في الله تعالى وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر على ماهو عليه فهو سعيد وان لم يكن ذلك الدليل محرر كلامي فلم يكلف الله تعالى عباده الا ذلك وذلك معلوم على الضرورة بجملة أخبار متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في توارد الاعراب عليه وعرض الايمان عليهم وقبولهم ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير تكليفه اياهم الفكر في المعجزة ووجه دلالتها والفكر في حدوث العالم واثبات الصانع في أدلة الوحدانية وسائر الصفات بل الاجلاف من العرب أكثرهم لو كلفوا لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلفه فيقول آلله الله ارسلك رسولا فيقول والله الله أرسلني رسولا فكان يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الآخر اذا قدم عليه ونظره والله ماهذا وجه كذاب وأمثال ذلك مما لا يحصى بل كان أسلم في غير غزوة واحدة في عصر أصحابه آلاف لا يفهم أكثرهم أدلة الكلام والتوحيد ومن كان يفهمه فانه يحتاج الى أنه يترك صناعته ويختلف الى تعلميه مدة مديدة ولم ينقل قط شئ من ذلك نعلم علما ضروريا ان الله لم يكلف الخلق الا الايمان والتصديق الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق نعم لا ينكر ان للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق مؤمن كما ان العارف مؤمن فان قيل بم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهودي المقلد قلنا المقلد لا يعرف التقليد ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد في نفسه انه محق عارف فلا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه الى التمييز كقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعله أيضا مستظهر بقرائن أو أدلة ظاهرة وان كانت غير قوية و يرى نفسه مخصوصا بها ومتميزا بسببها عن خصومه وان كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوش ذلك على الحق اعتقاده كما ان العارف الناظر يزعم انه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف فكذلك لا يشكك المقلد القاطع ويكفيه الايمان ان لا يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه فهل رأيت عاميا قط اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي بل لا يخطر ذلك ببال العوام وان يخطر ببالهم أو شوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا ماهذا الهذيان وكان بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج الى فارق يفرق انه على الباطل وانا على الحق وأنا متيقن لذلك غير شاك فيه وكيف أطلب الفرق حتى يكون الفرق معلوما قطعا من غير طلب فهذه حالة المقلدين من الفرقتين وهذا اشكال لا يقع ليهودي مبطل لقطعه لمذهبه مع نفسه فكيف يقع للمقلد المسلم الذي وافق اعتقاده ماهو الحق عند الله تعالى وظهر بهذا على القطع ان اعتقاداتهم جازمة وان الشرع لم يكلفهم الا ذلك والله أعلم (الرتبة الثانية أن يسمع كلام زيد) مثلا (وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فيستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل) وهو يفيد في بعض الامور وفي حق الناس تصديقا جازما بحيث لا يتغير صاحبه بامكان خلافه أصلا (والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الرتبة الثالثة أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين) اما انطواء ايمان العوام فظاهر وأما ايمان المتكلمين فلانه حاصل لهم بالبرهان المستوفى بشروطه المحررة بأصوله ومقدماته حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس (و يتميزون) يعني أهل المشاهدة اليقينية (بمزية يستحيل معها امكان الخطأ)

(الرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أي يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا *(الرتبة الثالثة)* أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين و يتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ

لقوة معرفتهم وأصل سياق هذا المثال لصاحب القوت وقد أخذه المصنف وزاده تحريرا وبيانا وهذا لفظه مثال ذلك فيما نعقله مثل رجل قال لك ان عندي فلانا فقد حصل لك علم انه عنده غيران هذا العلم غير يقين لانه يجوز أن يكون قد اشتبه عليه أو يكون قد كان عنـدي ثم خرج وليس هو الآن عندي وهذا مثل ايمان المسلم هو علم خبر لاخبر ثم انك تأتي الى الدار فتسمع كلامه من وراء حجاب وقد علمت الآن انه عندي لانك سمعت كلامه واستدللت على كونه الان هذا العلم أيضا غير تحقيق لان الاصوات تشتبه والاجرام تتفاوت ولو قلت لك لم يكن عنـدي وانما كان ذلك غيره أشبه صوته لشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين تدفع به قولي ولا شهادة تنكر بها علي وهذا مثل لايمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمري وفيه يقين استدلال ممتزج بظن غيران مشاهدة العارفين قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين ثم انك تدخل علي بعد ان قيل لك هو عندي أو بعد ان سمعت كلامه فتشهده جالسا لاحجاب بينك وبينه فهذا هو يقين المعرفة وهذه شـهادة المؤمن وعندها انتفى كل شك وتحقيق خبر العلم وهذا ايمان المؤمنين الذي قد اندرج فيه عموم المؤمنين عن علم الخبر المحتمل ومن سمع الكلام من وراء الحجاب المشتبه واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاول علم انه عندي بما قيل فصدق والثاني علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع والثالث عاين فقطع وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزيد فقال ليس الخبر كالمعاينة وليس المخبر كالمعاين ثم زاد صاحب القوت على هـذا فقال ومثل آخر في تفاوت المؤمنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت فجاء رجل فأدرك الركعة الثانية ثم جاء آخر فأدرك الثالثة ثم جاء آخر فأدرك الرابعة وكلهـم قد صلوا وقد أدرك الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة وليس من أدرك الركعة الاولى في كمال الصلاة وأدرك حقيقتها كمن أدرك الثانية أو الثالثة أو الرابعة ولا يكون أيضا من أدرك التكبير للاحرام في الفضل كمن لم يدرك شيأ من القيام وهما مدركان معا فكذلك المؤمنون في كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا بالدخول في الاسم والمعنى (ثم وهم) أي أهل المرتبة الثالثة (أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم و بدرجات الكشف اما الدرجات) الكشفية (فمثاله أن يبصر زيدا في الدار من قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية) وقد أشار الى هذا صاحب القوت بقوله ومثل ذلك أيضا أن ترى الشئ بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه ثم انك تحتاج اليه ليلا فلست تعرف مكانه رأى عين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظن انه موجود أو بعرف معهود انه لا يتحول وكذلك الادلة التي هي للغائبات وسقوطها مع الشهادات وبمعناها مرؤية الشئ بنور القمر فانه يشبح ويلوح المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس فانها تكشف الامور على ما هو به فهو مثل لنور اليقين الى نور الايمان (وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغـير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لامحالة فهذه حالة القلب بالاضافة الى العلوم)

(بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية)

(اعلم ان القلب بغريزته) أي بطبيعته الفطرية (مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق) تقريره آنفا (ولكن العلوم التي تحل فيـه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من أين تحصل ولا كيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين و) ان (الشئ الواحد لا يكون حادثا قديما) ولا يكون (موجودا معدوما معا)

ثم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم و بدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

(بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية)

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا

فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا ولا
فليس يخفى عليه أن الله هو الذى خلقه وهداه والى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضى
الله عنه رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع (٢٤١) كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الابصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة ادراك البصر فى العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا الى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى
مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله
تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه

أى فى حالة واحدة وكذلك القول الواحد لا يكون صدقا وكذبا واذا ثبت الشئ جوازه ثبت لمثله وان الاعم لا الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد انسان فقد وجد حيوان وأما عكسه فلا يلزم فى العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية (فان هذه العلوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا) أى من مبتدا حال عبادته (مفطورا عليها) أى مخلوقا معها (ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل) وانما هو شئ قد عرفه بداهة (أعنى انه لا يدرى فيه سببا قريبا ولا فليس يخفى أن الله تعالى هو الذى خلقه والى مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال) فهما لا يفارق العقل فى كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى أن يهز أعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات (وكلا القسمين قد يسمى عقلا) ويسمى الاول بالعقل الفطرى والبديهى والمطبوع والضرورى والثانى بالعقل المكتسب والمسموع والمستفاد والنظرى (قال على كرم الله وجهه) فيما نسب اليه (العقل عقلان * مطبوع ومسموع وما ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع) هكذا نقله صاحب القوت وتقدم فى كتاب العلم (والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل) رواه الحكيم الترمذى فى النوادر باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم (والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه اذا تقرب الناس الى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث على باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم (اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على) رضى الله عنه (هو الذى يقدر على التقرب) الى الله تعالى (باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين) فما كل علم يقرب الى الله (والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد فى البصير وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء) اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيرا فى العبارة فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة وان كان فى الاعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها فاعلم ان فى الانسان عينا هذه صفة كمالها وهى التى يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانى فهو أولى بان يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع (وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا الى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى به سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم بقلب الصبى قبل أوان التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم) ولكن الاستعداد موجود (والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة قال القلم نعمة عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وقال علم الانسان ما لم يعلم أى الخط (وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما أن

وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة
من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة

وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه ليس ذاته من جوهر ولا عرض) وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين وخلق النون وهى الدواة وخلق اللوح فكتب فيه ثم خلق السموات فكتب ما يكون من حينئذ فى الدنيا الى أن تكون الساعة من خلق مخلوق أو عمل معمول بر وفجور وكل رزق حلال أو حرام ورطب ويابس (فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما فى الشرف) فان البصر الظاهر موسوم بانواع من النقصان وهى السبع التى تقدم ذكرها قريبا والبصيرة الباطنة منزهة عنها وأيضا (فان البصيرة الباطنة) هى عبارة عن (عين النفس التى هى اللطيفة المذكورة) وهى التى يعبر عنها بالعقل وبالروح كما تقدم (وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة) وهى البصيرة (فان ذلك غير مخصوص بابراهيم صلوات الله عليه وسلامه) حتى يذكر فى معرض الامتنان) وانما المراد به الرؤية القلبية (ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال) تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وعمى البصيرة هو الحجب عن انكشاف جلية الحق (فهذا بيان العلم العقلى أما العلوم الدينية فهى المأخوذة) المستفادة (بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه) (وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله) عز وجل (وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما) على قدر الاستعداد (بعد السماع وبه كمال صفات القلب) اذ به يحصل التنوير والجلاء (وبه سلامته عن الادواء) جمع داء (والامراض) عطف تفسير أو مرادف (فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان) القلب (محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير) جمع عقار وهو النبات وكأنه أراد بالادوية المركبة وبالعقاقير المفردة (بطريق التعلم من الاطباء لا بالمطالعة فى الكتب اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه) كما أن مجرد المطالعة لا يكفى (ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه) وتلقيه (الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور) بيانه ان العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية وبعضها مما يحتاج الى نظر واستدلال وتنبيه وانما ينبهه كلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكم كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكون منزلتهما عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فأحرى أن يسمى القرآن والسنة نورا كما يسمى نور الشمس نورا ولذلك قال المصنف عن أنوار القرآن والسنة (فاياك أن تكون من الفريقين) المفرط والمفرط (وكن جامعا بين الاصلين) العقل والنقل (فان العلوم العقلية كالاغذية) أى بمنزلتها فى احتياج نمو البدن اليها (والعلوم الشرعية كالادوية) أى بمنزلتها فى احتياج استدامة صحة البدن اليها (والشخص المريض يتضرر

البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى

* أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل

يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه
ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل
بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان
العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء

بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى
ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية

واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها بأوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات
الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر

بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها الا بادوية مستفادة من الشريعة وهى لطائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه (لاصلاح القلوب) وهى بمنزلة الادوية الظاهرة التى ركبها الاطباء لاصلاح الابدان (فمن لا يداوى قلبه المريض) المملوء بأوجاع المعاصى ورياح الشهوات (بمعالجات العبادات الشرعية) المركبة على أحسن قانون (واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء) فلا تتم له الصحة مطلقا ويمكن تقرير السياق بوجه آخر أقرب مما قرره المصنف فنقول المعقولات تجرى مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجرى مجرى الاغذية الحافظة للصحة وكان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية بل يستضر بها كذلك متى كان مريض النفس كما قال تعالى فى قلوبهم مرض لم ينتفع بسماع القرآن الذى هو موضوع الشرعيات بل صار ذلك ضاراله مضرة الغذاء المريض فتشبيه الشرعيات بالاغذية التى لا يستغنى عنها بدن الانسان أولى من تشبيهها بالادوية التى لا يحتاج اليها فى كل وقت والقصد تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب فى الامور العقلية وأيضا فالقلب بمنزلة مزرعة المعتقدات والاعتقاد فيه بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الذى يسقيه فكما ان الماء اذا سقى الارض يختلف نباته بحسب بذوره فكذا القرآن اذا ورد على الاعتقادات الراسخة فى القلوب تختلف تأثيراته واليه الاشارة بقوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات الآية وقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته الآية وأيضا فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر وغشاء على القلب ووقر فى الاذن والقرآن لا يدرك خفياته الا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره ولهذا قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وأيضا فالمعقولات كالحياة التى بها الابصار والاسماع والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر وكما انه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات (وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية) ومصادمة لها (وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر من عمى فى عين البصيرة) وهو أشد من العمى فى عين البصر (نعوذ بالله من ذلك بل ربما هذا القائل) أى المجوز لذلك (ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض فى الدين فيتحير به) تحيرا الضب اذا ضل عن جحره (وينسل عن) ربقة (الدين انسلال الشعرة من العجين) وهو لا يدرى كيف انفصل (وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين) ومصادمة فى علومه (وهيهات وانما مثاله الاعمى الذى دخل دارا فتعثر فيها بأوانى الدار) أى زلت قدمه بها (فقال ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق) أى على الممر (لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاوانى) موضوعة (فى مواضعها) اللائقة بها (وانما أنت لست تهتدى الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك) أى زلة قدمك (على عماك وتحيله على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى) العلوم (العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات) فان ثمراتها منوطة بالدنيا ولا تعلق لها بالآخرة الا من وجوه بعيدة (والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله) ويندرج فى ذلك علم المبانى الحسن وغير ذلك (كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان) أى علم الدنيا ينافى علم الآخرة وعلم الآخرة ينافى علم الدنيا ثم ذكر وجه المنافاة بقوله (أعنى ان من صرف عنايته) وبذل همته (الى) تحصيل (أحدهما حتى تعمق فيه) أى دخل فى عمقه وهو كناية عن نهاية الاشتغال به (قصرت بصيرته عن الآخر) فلا يمكنه أن يهتدى اليه وهذا (على الاكثر) فيما

ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا أرضيت احداهما
أسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله أى البله فى أمور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين يجحده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار) اعلم أن

جرب (ولذلك ضرب على كرم الله وجهه للدنيا والآخرة أمثلة ثلاثة فقال هما ككفتى الميزان) ان رجحت احداهما خفت الاخرى (وكالمشرق والمغرب) واليه أشار القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

(وكالضرتين اذا أرضيت احداهما أسخطت الاخرى) ولم يبق بعد هذه الامثلة مثال يليق لهما فسائر ما قيل فيهما من الامثلة راجع الى هذه الثلاثة وهذه الامثلة الثلاثة ذكرها الشريف الموسوى فى نهج البلاغة ونقله الراغب فى الذريعة (ولذلك ترى الاكياس فى أمور الدنيا) الفطنين فيها (وفى) علومها مثل (علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة) وما أقبح هذا (و) ترى الاكياس (فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى الاكثر) أى فى الاغلب (بعلوم الدنيا) وما أحسن هذا وذلك (لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله) بضم فسكون جمع الابله (أى البله فى أمور الدنيا) قد أغفلوها فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهلها وقيل هم الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير أو الذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء قال الزبرقان خير أولادنا الابله المغفول قال العراقى رواه البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبى فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى انه منكر اهـ قلت وسبقه ابن الجوزى فقال ما نصه حديث لا يصح قال ابن عدى حديث منكر وقال الدارقطنى تفرد به سلامة عن عقيل وهو ضعيف اهـ كلام ابن الجوزى وقال الهيثمى فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد بن صالح وغيره (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم) انهم (مجانين) أى لغفلتهم عن أمور الدنيا (ولو رأوكم لقالوا) انكم (شياطين) أى لما فيكم من الدهاء والمكر والخداع فى تحصيل المعايش وهذا الكلام نقله صاحب القوت وسيأتى تمامه فى آخر كتاب الزهد والمراد بأولئك الاقوام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلية التابعين (فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين) قد (يجحده أهل الكياسة فى سائر العلوم) وظنوه مناقضا (فلا يغرنك جحودهم عن قبوله) فلكل عمل رجال (اذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد فى الغرب) فانما أورثهم ذلك الجحود جهلهم بعلوم الدين (وكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال) الله (تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدين والدنيا لا يكاد يتيسر) ويسهل (الا لمن رشحه الله) وهيأه بالخلافة العظمى (لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء) عليهم السلام (المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية) تفاض عليهم (التى تتسع لجميع الامور) الدنيوية والاخروية على الكمال (ولا تضيق عنها وأما قلوب سائر الخلق فانها اذا اشتغلت بأمر انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه) ولكن لنوابهم وورثتهم فى ذلك نصيب ومراتبهم فى ذلك مختلفة باختلاف الاشخاص والاحوال

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق)

السادة (الصوفية فى استكشاف) جلية (الحق وطريق النظار اعلم أن) نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهى مركوزة فيها بالفطرة مجعولة لها بالقوة كالنار فى الحجر والنخل فى النواة والذهب فى الحجارة

وكالماء

العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التى سبق ذكرها فهى كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح فى مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن

وكالماء تحت الارض لكن كان من الماء ما يجرى من غير فعل بشرى ومنه ما يعاين تحت الارض ولكن لا يتوصل اليه الا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج فى استنباطه الى حفر وتعب شديد فان عنى به أدرك والا بقى غير منتفع به ثم ان (العلوم) ضرورية ومكتسبة فالضرورية قد تقدم الكلام فيها و (التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال) من غير فعل بشرى (يختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى) يطمئن له الصدر (وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم) فمنها ما يوجد بادنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده (فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل) بل بطريق الفيض (يسمى الهاما) ويختص بما من الله والملا الاعلى (والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا) وفيه قياس ما غاب على ما ظهر بدليل (ثم الواقع فى القلب من غير تعمل) أى تكلف (وحيلة واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى انه كيف حصل ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفيد ذلك العلم وهو شهادة الملك الملقى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع) بالضم الخاطر والقلب والنفث فيه هو الالقاء ومنه الحديث ان روح القدس نفث فى روعى الحديث (والثانى يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء) وأنواع الوحى ستة أحدها انه كان يأتيه كصلصلة الجرس الثانى يتمثل له الملك رجلا فيكلمه الثالث الرؤيا المنامية الرابع الالقاء فى القلب الخامس يأتيه جبريل فى صورته الاصلية له ستمائة جناح كل جناح يسد الافق السادس يكلمه الله كما كلمه ليلة الاسراء وهو أعلى درجاته هكذا ذكره شراح البخارى فالالقاء فى القلب هو النفث فى الروع وقد جعلوه من أقسام الوحى وسياق المصنف يؤذن باختصاصه للاولياء ووافقه فى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره قال فى الفتوحات العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم ضرورة أو عقب نظر فى دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل الثانى علم الاحوال ولا سبيل له الا بالذوق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا اقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه دلائل لا يعلمها الا من يتصف بها ويذوقها الثالث علم الاسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس فى الروع يختص به النبى والولى وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اهـ (وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التى سبق ذكرها فهى كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح) المحفوظ (فى مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها) فحقائق العلوم كلها منقوشة فى اللوح المحفوظ بقلم القدرة وما يتجلى منها على مرآة القلب انما هو بمقابلة مرآته لمرآة اللوح فتنطبع فيه تلك الحقائق فما فى القلب من النور انما هو من نور اللوح وهو فى عالم الملكوت على الترتيب وفى عالم الشهادة أيضا ولمعرفته بضرب مثال بان تفرض ضوء القمر داخلا فى كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط ومنعكسا منها الى حائط آخر فى مقابلتها ثم منعطفا منه الى الارض بحيث تستنير منه الارض فانت تعلم ان ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما فى القمر تابع لما فى الشمس اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض فالنور الاول هو الذى أفاض على اللوح فانتقشت فيه الحقائق كلها ثم أفيض النور من مرآته الى مرآة القلب بحكم المقابلة فانطبعت فيه أنوار تلك الحقائق وأشرق ثم افيض منه على كل مرآة قلب قوبلت بتلك المرآة ثم انه قد يعترى الحجاب بين المرآتين فيكون مانعا من حصول التجلى واليه أشار المصنف بقوله (والحجاب تارة يزال باليد وأخرى يزال بهبوب ريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف) الالهية (فتنكشف الحجب عن

أعين القلوب فيتجلى فيها بعض ماهو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شئ من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي الى حدما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شئ من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية الحسية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها

أعين القلوب) فتعود على استعدادها الاول في قبول التجلي (فيتجلى فيها على بعض ماهو مسطور في اللوح المحفوظ) بحكم التقابل (ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل) وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (وانما ارتفاع الحجاب) أي كمال التجرد (بالموت) أي بعده (وبه) يتجرد العقل عن النوازع الخيالية والوهمية و(ينكشف الغطاء) وتتجلى الاسرار ويصادف كل أحد ماقدم من خير أو شر محضرا وعندها يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم (وفي اليقظة أيضا ينقشع الحجاب) أي يزول (بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب) وهو عالم الملكوت (شئ من غرائب العلم) الذي هو كهيئة المكنون وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم إن يكن في هذه الامة محدث فهو عمر ويكون ذلك (تارة كالبرق الخاطف و) أخرى (على التوالي) أي التتابع (الى حدما ودوامه في غاية الندور) أي القلة (فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شئ من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة) افاضة من الله تعالى وحاصله ان الطريق التي تستفاد منها العلوم أضرب الاول المستفاد من بديهة العقل ومصادمة الحس الثاني المستفاد من جهة النظر اما بمقدمات عقلية أو محسوسة الثالث المستفاد بخبر الناس اما بسماع أو قراءة الرابع ما كان عن الوحي اما بلسان ملك مرئي واما بسماع كلامه من غير مصادفة عين واما بالقاء في روع في حال يقظة واما بالمنام (واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) ففيه حصر المعلومات التي أشرنا اليها (فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية) وهي التي تفاض على الانسان بغير فعل بشري (دون التعليمية) التي تحصل باكتساب وتعلم (فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم) على الوجه المعهود (وتحصيل ما صنفه المصنفون) ورعاية ترتيب ما رتبوه (والبحث على الاقاويل والادلة المذكورة) في كتبهم على الوجه الذي أوردوه (بل قالوا الطريق) الموصل الى الله تعالى وراء ذلك وهو (تقديم المجاهدة) للنفس الامارة (بمحو الصفات المذمومة) عن لوح القلب والانخلاع عن التحلي بها (وقطع العلائق) الظاهرية والباطنية (كلها والاقبال بكنه الهمة) أي خالصها (على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره) واشراقه (بانوار العلم) وافاضتها عليه (واذا تولى الله أمر القلب فاضت الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر) بالهداية والتوفيق (وانكشف له سر الملكوت) وتبدل في حقه الارض غير الارض والسموات وصار كل ماهو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتداء سفره الى قرب حضرة الربوبية (وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقائق الامور الالهية) لصفاء مرآة قلبه بالنور الالهي (فليس على المريد) السالك في طريق الحق (الا الاستعداد بالتصفية المجردة) عن مكدرات القلب (واحضار الهمة) في سلوكه (مع الارادة الصادقة) التي لا يشوبها نقص (والتعطش التام) للحصول والوصول (والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله) تعالى عليه (من الرحمة) العامة (اذ الانبياء والاولياء انكشفت لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة) المعهودة (للكتب) المعلومة (بل بالزهد في الدنيا) والتقلل منها (والتبري عن علائقها)

وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق فى ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيها وجود كل شئ وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شئ سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهى الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط

الحسية والمعنوية (وتفريغ القلب من شواغلها) الشاغلة (والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا) وصدقوا فيما زعموا (ان الطريق فى ذلك أولا ان يقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه منها) وفى نسخة عنها (ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن) فانها شواغل مشغلة بل (وعن العلم والولاية) للمناصب (والجاه) عند الولاة (بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيه وجود كل ذلك وعدمه) وهذه أول درجة من درجات السلوك وفى هذا المقام تكون بدايته فى السلوك نهاية غيره من السالكين فى غير هذا الطريق (ثم) بعد تمكنه من ذلك (يخلو بنفسه فى زاوية) من زوايا بيته ان أمكنه أو فى زاوية من زوايا مسجد قريب من بيته ان علم سلامة حاله وشرط ذلك الخلوة عن الناس فان لم يمكنه فليسبل على رأسه مثل الطيلسان يمنعه من التطلع الى يمين وشمال فقد قالوا انه الخلوة الصغرى (مع الاقتصار على الفرائض) الجنس (والرواتب) التى قبلها وبعدها (ويجلس فارغ القلب) عن وسواس أو خيال أو وهم (مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسيره و وجوه اعرابه (ولا بكتب حديث) ولا بسماعه (وغيره) كالاشتغال بالاذكار والاوراد (بل يجتهد ان لا يخطر بباله شئ سوى الله فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه) مراقبا بقلبه (الله الله على الدوام مع حضور القلب) وهو ذكر من غلب عليه الجذب قبل السلوك وهو اختيار طائفة منهم أو يقول لا اله الا الله وهو ذكر من غلب عليه السلوك قبل الجذب واختاره طائفة منهم وكلاهما موصلان لكن حضور القلب شرط على كل حال ولم يزل كذلك (حتى ينتهى الحال الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى أن تنمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيأة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه) فى حال من الاحوال (وله اختيار الى أن ينتهى الى هذا الحد) بجهده (واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس) ونفى الخطرات النفسية والشيطانية (وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله) تعالى (بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة) الالهية (فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته) من عنده (فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق) فيلحق مع المنعم عليهم (وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته) لهذا العمل (ولم تجاذبه شهواته) وعلائقه (ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق فى قلبه) وتتجلى له أسرار الملكوت (ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم) مع المواظبة (يعود وقد يتأخر) هذا التجلى (وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته) زمانا (وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع) مآل (هذا الطريق الى تطهير محض) أى تطهير القلب من خبائث الاشغال (من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار) لرحمة الله (فقط) وهذا هو طريق شيخ المصنف الامام أبى على الفارمذى الطوسى وله فى هذا الطريق نسبتان احداهما وهى طريقة الخدمة والصحبة والاستقامة عن الشيخ أبى القاسم الكركانى وهو عن الشيخ أبى عثمان المغربى عن الشيخ أبى على الكاتب عن الشيخ أبى على الروذبارى عن سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد عن خاله السرى السقطى عن معروف الكرخى عن داود بن نصير الطائى عن أبى محمد حبيب العجمى عن الحسن البصرى رضى الله عنه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم والثانية وهى المشهورة تلقاها عن روحانية الامام أبى يزيد البسطامى وهى كنسبة أويس

من النبي صلى الله عليه وسلم وأبو يزيد تلقاها من روحانية الامام جعفر الصادق وهو عن جده لامه القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبي محمد سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد وصلتنا هذه الطريقة بواسطة القطب أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني وكان في عصر المصنف عن أبي علي الفارمدي المشار اليه وقد عرفت سلسلته بالنقشبندية باسم أحد رؤساء هذه الطريقة القطب بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بنقشبند باخذه لها عن شيخه السيد أمير كلال البخاري عن الخواجه محمد بابا السماسي عن علي الراميتني المشهور بعزيزان عن الخواجه محمود النغنوي عن الخواجه محمد عارف الديوكري عن الخواجه عبد الخالق الغجدواني عنه وقد اتفقوا على ان طريقتهم دوام العبودية وهي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه بلا مزاحمة شعور بالغير مع الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق سبحانه ولا يحصل ذلك بغير تصرف الجذبة الالهية ولا سبب في طريق الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي سلوكه بطريق الجذبة وقالوا أيضا ان طريق الوصول الى الله تعالى اما ان يكون بمحض الصحبة أو بالذكر أو بالمراقبة وأثر الذكر في النفي والاثبات انك في زمان النفي ينتفي عنك وجود البشرية وفي زمان الاثبات يظهر عليك أثر من آثار تصرفات الجذبات الالهية والاثر يتفاوت بحسب الاستعدادات فبعضهم أول ما يحصل له الغيبة عما سوى الله وبعضهم أول ما يحصل له السكر والغيبة وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم وبعده يتشرف بالفناء قال الشيخ عبد الله الانصاري أحد رجال هذه الطريقة في تفسير هذه الآية واذكر ربك اذا نسيت أي اذا نسيت غيره ثم نسيت نفسك ثم نسيت ذكرك في ذكرك ثم نسيت في ذكر الحق اياك كل ذكرك وأعلى الدرجات وأتمها الفناء أعني لا يبقى للسالك خبر عما سوى الله ومقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق كأنك تراه وملكة الحضور يسمونها مشاهدة وتكون بالقلب وأما الرؤية فانها تكون بعين الرأس والفرق بين الرؤية والمشاهدة أنك في الرؤية لا تقدر ان تبعدها من نفسك وفي المشاهدة أنت بالخيار فهذا ما يتعلق بالذكر واما التوجه والمراقبة فهو أسهل الطرق وأقربها للوصول الى الله تعالى وهو عبارة عن ملاحظة ذلك المعنى المقدس الذي بغير كنه ولا مثال المفهوم من الاسم المبارك وهو الله بغير واسطة عبارة عربية أو فارسية أو غيرهما وحفظه بعد الفهم في الخيال والتوجه بجميع القوى والمدارك الى القلب الصنوبري والمداومة على ذلك والتكلف في ملازمته حتى تذهب الكلفة من البين ويصير هذا الامر ملكة فان عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله في مقابلة البصيرة ومع حفظ ذلك فليتوجه الى القلب الصنوبري بجميع القوى والمدارك الى أن تقوى البصيرة وتذهب الصورة ويترتب على ذلك ظهور المعنى المقصود وهذا أقرب من طريق الذكر وأقرب للخدمة الالهية من غيرها ولذلك اقتصر عليها المصنف ومنها يكون الوصول الى الوزارة والتصرف في الملك والملكوت وبها يمكن الاشراف على الخواطر والنظر الى الغير بالموهبة وتنوير باطنه ومن ملكتها يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القول وهذا المعنى يسمى جمعا وقبولا وأما الطريق الرابطة بالشيخ فانها تفيد فائدة الذكر وصحبته تنتج صحبة المذكور فينبغي أن يحفظ ذلك الاثر الذي يشاهد من صحبته بقدر الامكان فان حصل فتور راجع مصاحبته حتى يرجع ذلك الاثر وهكذا يفعل مرة بعد أخرى حتى تصير تلك الكيفية ملكة وقد يحصل من صحبة محبة وانجذاب فيحفظ صورته في الخيال ويتوجه الى القلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس وقد زاد الخواجه عبد الخالق الغجدواني أحد رجال الطريقة المتقدم ذكره مراعاة حبس النفس في اثناء الذكر والمراقبة وجعله من مباني هذه الطريقة وانه ينبغي الاجتهاد على حفظ ما بين النفسين حتى لا يدخل بغفلة ولا يخرج بغفلة ويقال ان هذا تلقاه عن الخضر عليه السلام فانه ظهر له في ابتداء سلوكه فعلمه حبس النفس وانه مما يوصل الى المطلوب في أقرب زمن فلم يمكنه ذلك فأمره بان يغوص في الماء ويفعل ذلك فغاص في الماء وفعله حتى

حصله وصار ذلك لمن بعده سنة متبوعة حتى لا يكاد أهل هذا الطريق يتركونه سواء في الذكر أو في المراقبة وهي زيادة حسنة قالوا وان وقف في أثناء الذكر أو المراقبة تفرق الخاطر فان كان متعلقا بالاعمال كمثل الميل الى شراء فرس ونحوه مما هو مباح شرعا فليبادر لفعله أو يخرجه من قلبه حتى تكون تلك الحضرة كعدو يبذل جهده في دفعه والمقصود مراعاة الوقت فليس شئ أعز من الوقت واذا فاته لا يتدارك قالوا وخطور الاغيار تكون عن رؤية الالوان والاشكال المختلفة ومن مطالعة الكتب ومن الصحبة المفرقة فينبغي للسالك أن يكون أياما بغير ملاحظة الاغيار في صحبة شيخ كامل ليحصل له ملكة الحضور ببركته في الجمعية ثم يحصل الرضا والتسليم وهو منتهى نهاية العبودية والعبادة وكمال الاسلام في التسليم والتفويض هذا خلاصة ما ذكروه ولهم في ذلك لطائف عبارات وعجائب اشارات قد أشرنا اليها في مؤلفات مختصرة كتبناها في صور اجازات وفيما ذكرناه مقنع للطالب الراغب والله أعلم ولنرجع الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (وأما النظار وذو والاعتبار) من العلماء (فلم ينكروا وجود هذه الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد) يقع (على الندور) والقلة (فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء) لما فيه من لوامع النهايات (ولكن استوعروا هذا الطريق) أي استصعبوه (واستبطؤا ثمرته) ونتيجته (واستبعدوا اجتماع شروطه) التي شرطوها (وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد) الذي حددوه (كالمتعذر) على الانسان (وان حصل في حالة فثباته أبعد منه اذ أدنى وسواس و) أقل (خاطر يشوش القلب) وهم قالوا ان نفي الخواطر الثلاثة لازم للمريد أعني النفسية والشيطانية والملكية وانه لابد من اثبات الخاطر الحقاني ومعرفة الخواطر وتمييزها عسر ولا تتم معرفة ذلك وتمييزها الا لمن تحلى بالتقوى والزهد وأكل الحلال الطيب دائما وأنى يتيسر ذلك لكل أحد في كل وقت وانه يلزم المريد دائما مراقبة خواطره ولا يترك خاطر الغير يمر بباله وكل ذلك صعب المنال قريب المحال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غليانها) قال العراقي رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الاسود اهـ قلت ولفظ القوت القدر اذا استجمعت في غليانها وسيأتي قريبا في آخر هذا الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) قال العراقي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو اهـ قلت ولفظ مسلم ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء وكذلك رواه أحمد قال النووي فيه المذهبان التفويض أو التأويل على المجاز التمثيلي كما يقال فلان في قبضتي لا يراد به انه حال في كفه بل المراد تحت قدرتي فالمعنى انه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف يشاء لا يمتنع عليه فيها شئ ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الانسان ما كان بين أصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيدا له في نفوسهم (وفي أثناء هذه المجاهدة فقد يفسد المزاج) بطرق أمراض و (يختلط العقل) بحصول وسواس (ويمرض القلب) بعلل خارجة (واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم) الظاهرة (تشبث بالقلب خيالات فاسدة) وأوهام باطلة (تطمئن النفس اليها مدة طويلة) من الزمان (الى أن تزول) عنها (والعمر) لا يفي لذلك بل قد (ينقضي دون النجاح فيها) والدرك لما طلبه منها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة وأكثر وأقل وكل ذلك لعدم تهذيبه في العلوم (ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال) وقد يجاب عن ذلك بان تلك الخيالات الفاسدة التي تتشبث بالقلب انما منشؤها تلك العلوم التي تعلمها وظن في نفسه انها معارف موصلة وفي الحقيقة هي القواطع عن الطريق وهي التي لا تفي الاعمار في تحصيلها وأما السالك الذي بصدد تصفية قلبه من الكدورات الوهمية فهو على هدى من ربه ان اعتل بدنه أو فسد مزاجه فحصل له بذلك تفرقة خاطر فهو معذور عند الله وان مات فقد وقع أجره على الله وحقيق ان يقال هو عاشق ان مات ليلة وصاله لا يلام ثم قالوا (والاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الغرض) وهو صحيح في نفسه ولكن

وأما النظار وذو والاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته أبعد منه اذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الغرض

وزعموا ان ذلك يضاهي مالو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرر وتعليق فأنا أيضا ربما انتهى بالرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع

عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لابد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

(بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين * أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه

كم من مشتغل في طريق التعلم قد جره علم الى علم آخر فلم يتبع علما فعلما ولا كتابا فكتابا حتى يأتيه الاجل وهو لم يتم العمل به بل جذبه الى الخوض فيما لا يعنيه وأما من اشتغل بتعلم ما يهتدي به مقتصرا على الواجب منه ثم اهتدى الى السلوك فهذا أقل من قليل وأهل الطريق منهم (وزعموا ان ذلك يضاهي مالو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم) بالواسطة (ولكن صار فقيها بالوحي) النازل من السماء (والالهام) الملقى في روعه (من غير تكرار) لمسائل علمية (وتعليق بكتابة فأنا أيضا ربما أنتهي بالرياضة اليه) وتحصل لي الفتوح بالتفقه في الدين (ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه) وضيع عمره فيما لا يعني بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة بالارض (رجاء العثور على كنز من الكنوز) يفتح له فيأخذ منه ما يستغني به (فان ذلك ممكن) في العقل (وهو بعيد جدا فكذلك هذه) وهذان المثالان صحيحان ولكن ليس في السالكين طريق الحق من يخطر بباله شيء من ذلك وحاشاهم من ذلك نعم من المتشبه بهم في الطريق أو المتشبع بما ليس له قد يمكن أن يقع منه ولكن لا كلام مع هؤلاء والصادقون في سلوكهم على خلاف ذلك فلا ينسب الزعم المذكور اليهم (فقالوا لابد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك) وهذا مسلم ولكن تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ان كان المراد به على وجه الاحاطة والكمال فالاعمار لا تفي بذلك لاختلاف أقوالهم وأقوائهم ومعارفهم فاذا اشتغل بتمييز أقوالهم وتوجيهها الى أحسن المحامل والجمع بينها على أحسن الوجوه وهو في هذه متى يتفرغ لتصفية القلب عن الغير وهو قد ملأه بالغير وهذه الوجوه والمناقضات متى انتقشت في لوح القلب خصوصا من زمن الصغر فان ازالتها عسيرة جدا وكيف ينكشف له ما لم ينكشف لغيره وهو بعد مشحون القلب ولا تتم المجاهدة الا بتخليته عن ذلك كله فتأمل فيما أشرت اليك ولا تعجل في رده ولا عليك ان تتأنى في فهمه فان المواهب لا حرج عليها

(بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس)

(اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس) الظاهرة (لان القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس) الظاهرة (تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس) في الخارج (ونحن نقرب ذلك الى أفهام الضعفاء بمثالين أحدهما انا لو فرضنا حوضا) وهو مجمع الماء (محفورا في الارض احتمل أن يساق الماء اليه من فوقه بأنهار تفتح اليه) من نواحيه (ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافي) من الكدر (فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى) من الماء الذي يأتي من فوق بواسطة الانهار (وأدوم) أي أثبت في الدوام (وقد يكون أغزر وأكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء) الوارد عليه (والحواس الخمسة) الظاهرة (مثل الانهار ويمكن أن تساق العلوم) المختلفة الانواع (الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات) في عالم الملك (حتى يمتلئ علما) جدا (ويمكن أن تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر) ومنع السمع من أن يتطرق اليه شيء من الاخبار (ويعمد الى عمق القلب) أي باطنه (بتطهيره) من الوساوس والارجاس (ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر ينبوع العلم) الالهي (من داخله) فيستغني عن مدد المعارف من فوق (فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه) والارض من شأنها اذا حفرت نبع منها الماء لكونه موجودا في عروقها الباطنة وعند الاستنباط يحصل له الظهور وكيف يتصور هذا في القلب وليس فيه من المعارف ما هو كامن فيه حتى اذا صفا عن كدورات ظهرت

فاعلم ان هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره فى علم المعاملة بل القدر الذى يمكن ذكره أن حقائق الاشياء مسطورة

تلك المعارف ظهور الماء من الارض (فاعلم ان هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره فى علم المعاملة) لانه من وراء طور العقل (والقدر الذى لا يمكن ذكره) الآن هو (ان حقائق الاشياء) بأسرها (مسطورة) بالقلم الاعلى (فى اللوح المحفوظ) عنده (بل) أزيد على ذلك وأقول هى مسطورة أيضا (فى قلوب الملائكة المقربين) وبيان ذلك ان الانوار السماوية التى تقتبس منها الانوار الارضية مرتبة بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أعلى رتبة وهكذا ترتيب فى عالم الشهادة ولا يفهم ذلك الا بمثال وهو أن يفرض ضوء القمر داخلا فى كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط ومنعكسا منها الى حائط آخر فى مقابلتها ثم منعطفا منها الى الارض بحيث تستنير منه الارض فأنت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما فى القمر تابع لما فى الشمس اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا تتعداه فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وان القرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن يكون ما فى اللوح منتقشا فى قلوب المقربين من الملائكة لقرب درجاتهم من حضرة الربوبية التى هى منبع الانوار والاسرار (وكما ان المهندس) وهو مقدر مجارى القنى والآبار (يسطر صورة أبنية الدار فى بياض) أولا فيجعلها نسخة وهو الوجود الذهنى (ثم يخرجها الى الوجود) الخارجى (على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض) أى مبدعهما بلا مثال سابق (كتب نسخة العالم) وهو ما سوى الله (من أوله الى آخره فى اللوح المحفوظ) كما قال تعالى بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فالابداع أول مراتب الكتب وقوله ايجاده وابداعه وكتبته قوله فاذا صدر الابداع عن أمره يكون قولا فاذا وصل الى المحل وظهر المبدع يكون كتابة وحروف المكتوب أشخاص الاملاك وكلمات المكتوبات أجسام الافلاك فالعالم اذا كتابة من الله عز وجل لا حقيقة قوله لان قوله اظهار كلامه وكلامه صفة ذاته وصفاته قديمة وكلامه قديم وقوله قديم والعالم ليس بقديم فهو محدث والكتابة أمر ظهر من القول وهى حادثة والعالم مع انه مكتوب بخط صنع الاله عن يد قدرته حادث مبدع محدود متناه فاذا أول مرتبة من مراتب كتاب الله عز وجل الابداع (ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذى خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض فى خياله حتى كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والارض فى نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله أثر فى القلب فتحصل فيه حقائق الاشياء التى دخلت فى الحس والخيال فالحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات فى الوجود وجود فى اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسمانى ويتبعه وجوده الحقيقى ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى أعنى وجود صورته فى الخيال) أى العلم بصورته وحقيقته (ويتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى أعنى وجود صورته فى القلب) فاطلاق الوجود على ما فى الذهن والخيال لا على الحقيقة لكن على معنى انه صورة محاكية لذلك الوجود الحقيقى كما ان ما يرى فى المرآة يسمى انسانا لا بالحقيقة لكن على معنى انه صورة محاكية للانسان الحقيقى وكذلك كل شئ فله فى الوجود أربع مراتب وجود فى الاعيان ووجود فى الاذهان ووجود فى اللسان ووجود فى البياض المكتوب عليه (وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية) فالوجود الاول والثانى جسمانيان والثالث والرابع روحانيان (والروحانيات بعضها أشد روحانية من

فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين وكما ان المهندس يصور أبنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره فى اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذى خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض فى خياله حتى كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والارض فى نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب فتحصل فيه حقائق الاشياء التى دخلت فى الحس والخيال والحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات فى الوجود وجود فى اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسمانى ويتبعه وجوده الحقيقى ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى أعنى وجود صورته فى الخيال ويتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى أعنى وجود صورته فى القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من

بعض) كالوجود العقلى أصفى وروحانية من الوجود الخيالى (وهذا الطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم) من جملته (السموات والارض على اتساع أكنافها) أى جوانبها (ثم يسرى من وجوده فى الحس وجوده فى الخيال ثم منه وجود فى القلب) وهذا الوجود أقوى وانما يحتجب منه ما يحتجب بسبب صفات بين مقارنة له تضاهى لحجاب العين عن نفسه عند تغميض الاجفان (فانك أبدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل العالم كله مثالا فى ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب فى القلوب والابصار ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها) ومن جملة هذه العجائب الصورة الانسانية مرتبة بموجب المشاكلة التى بين عالمى الملك والملكوت على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله لان الرحمة الالهية هى التى صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما فى العالم لان كل ما فى العالم هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أعنى هذه الصورة المكتوبة بخط الله فهو الخط الالهى المنزه من أن يكون رقم حروف ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمى عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة الله فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم على صورة الرحمن كما هو لفظ الصحيح غير منظوم لفظا وهذا الانموذج يهديك الى ان غالب الخلق قد جهلت أنفسها كما جهلت الآفاق وهذا وأمثاله بحر لا ساحل له (فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور أن تحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما يتصور أن تحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب) العارض بسبب صفات بين مقارنة له (بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه) بحقائقها الاصلية (وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض) مستغنيا به عن وصوله من الجداول (ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ) وانما حجابه حيث يحجب فمن نفسه لنفسه بسبب تلك الصفات (كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار فى الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض) لاستغنائه به (فكما ان من نظر الى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس) وبيان ذلك اجمالا ان العالم الملكوتى عالم غيب والعالم الحسى عالم شهادة وهو مرقاة الى العالم العقلى ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقى الى حضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن الحس والخيال هو الذى نعنيه بعالم القدس ثم جعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم ولا بد من نوع مماثلة ومطابقة بينهما فان كان فى تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم يستصغر ومنه تنفجر الى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم موجودات تتلقى تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجرى من قلب الى قلب فهذه القلوب أيضا ومفتتح الوادى قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم (فان للقلب بابين باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة) لانه على موازنته فما من شئ من عالم الملك الا وهو مثال شئ من عالم الملكوت كما ذكرنا وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان للشئ الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الملك وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة

على اتساع أكنافها ثم يسرى من وجودها فى الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود فى القلب فانك أبدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل العالم كله مثالا فى ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب فى القلوب والابصار ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع فى الانهار منع ذلك من التفجر فى الارض وكما أن من نظر الى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا القلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة واستيفاء

واستيفاء ذلك عسير الضبط وقد أشرنا الى بعضها قريبا وعلم التفسير يعرف بمنهاج ضرب المثال لان الرؤيا جزء من النبوة اما ترى ان الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحانى وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الانوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى أن بيده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر به انه مؤذن يؤذن قبل الصبح فى رمضان ومن رأى انه يصب الزيت فى الزيتون تعبيره انه يطؤ جارية هى أمه وهو لا يعرف وغير ذلك مما يزيد أنسابه هذا الجنس (فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك) فان غالب العلوم كذلك (وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعته اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل فى عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ماسيكون فى المستقبل أوكان فى غير الماضى من غير اقتباس) فى ذلك (من جهة الحواس) الظاهرة (وانما ينفتح ذلك الباب لمن أفرد ذكر الله تعالى قال النبى صلى الله عليه وسلم سبق المفردون) روى بتشديد الراء وتخفيفها والتخفيف هو الذى جنح اليه الحكيم الترمذى كما سيأتى كلامه واياه تبع المصنف وقال النووى فى الاذكار والمشهور الذى قاله الجمهور التشديد اه وقال الحافظ والراء مفتوحة وقيل مكسورة يقال فرد الرجل مشددا ومخففا وتفرد وأفرد الكل بمعنى اه وقال غيره فرد بالتشديد اذا اعتزل وتخلى للعبادة فكأنه أفرد نفسه بالتبتل الى الله تعالى والمعنى سبقوا بنيل الزلفى والعروج الى الدرجات العلى (قيل ومن هم قال) هم (المستهترون بذكر الله) وفى رواية المستهترون فى ذكر الله وعلى الاول فالمراد الذين أولعوا به يقال اهتر بفلان واستهتر فهو مستهتر أى مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل سواه وقال الحكيم الترمذى المستهتر هو الذى نطق من ربه يشبه به كلامه كلام من لم يستعمله عقله لان العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبر وتؤدة وهذا المهتر انما نطقه كأنما يجرى على لسانه حتى يشبه الهذيان فى بعض الاحيان عند العامة وهو فى الباطن مع الله من الاصفياء الناطقين اه (وضع الذكر) عنهم (أوزارهم) أى أثقالهم من ذنوبهم التى أثقلتهم (فوردوا القيامة خفافا) فيسبقون لانهم جعلوا أنفسهم افرادا ممتازة بذكر الله عمن لم يذكر الله أو جعلوا ربهم فردا بالذكر وتركوا ذكر ما سواه وهو حقيقة التفريد ههنا وقال الحكيم الترمذى المفرد هنا من أفرد قلبه للواحد فى وحدانيته ولازم الباب حتى رفع له الحجاب وأوصله الى قربه فكان بين يدى ربه وعبارة القوت فاما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون وقد وضعت الاذكار عنهم الاوزار كما جاء فى الخبر سيروا سبق المفردون والمفردون أيضا بالفتح فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله عز وجل قيل من المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فلما أفردهم عمن سواهم له أفردوه عما سواه به تعالى بذكرهم فاستولى عليهم ذكره فاصطلم قلوبهم نوره تعالى فاندرج ذكرهم فى ذكره وكان هو الذاكر بهم وكانوا هم المكان لمجارى قدرته فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا تكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والارض فى كفة لرجح ذكره تعالى بهما (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (فى وصفهم أقبل عليهم بوجهى أترى من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه ثم قال أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم) ولفظ القوت وهم الذين قال لهم فترى من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه لو كانت السموات والارضون فى موازينهم لاستقللتها بهم أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم قال وهذا هو ظاهر أوصافهم وأول عطائهم اه قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه الحاكم قال الذين يستهترون فى ذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه الترمذى يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة

فأما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل من عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ماسيكون فى المستقبل أوكان فى الماضى من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يارسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال فى وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم أقبل بوجهى عليهم أترى من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم

ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء و بين علوم العلماء والحكماء
هذا وهو أن علومهم تتأتى
من داخل القلب من الباب
المنفتح الى عالم الملكوت
وعلم الحكمة يتأتى من
أبواب الحواس المفتوحة
الى عالم الملك وعجائب عالم
القلب وتردده بين عالمى
الشهادة والغيب لا يمكن
أن يستقصى فى علم المعاملة
فهذا مثال يعلمك الفرق
بين مدخل العالمين المثال
الثانى يعرفك الفرق بين
العملين أعنى عمل العلماء
وعمل الاولياء فان العلماء
يعملون فى اكتساب نفس
العلوم واجتلابها الى القلب
وأولياء الصوفية يعملون
فى جلاء القلوب وتطهيرها
وتصفيتها وتصقيلها فقط
فقد حكى أن أهل الصين
وأهل الروم تباهوا بين
يدى بعض الملوك بحسن
صناعة النقش والصور
فاستقر رأى الملك على أن
يسلم اليهم صفة لينقش
أهل الصين منها جانبا وأهل
الروم جانبا و يرخى بينهما
حجاب يمنع اطلاع كل
فريق على الآخر ففعل
ذلك فجمع أهل الروم من
الاصباغ الغريبة مالا ينحصر
ودخل أهل الصين من غير
صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم
و يصقلونه فلما فرغ أهل
الروم ادعى أهل الصين أنهم
قد فرغوا أيضا فعجب الملك
من قولهم وأنهم كيف
فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق و بريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك

خفافا وقال حديث حسن غريب ورواه هكذا الطبرانى فى المعجم الكبير من حديث أبى الدرداء دون الزيادة التى ذكرها المصنف فى آخره وكلاهما ضعيف اه قلت رواه مسلم عن أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال هذا جمدان سيروا سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وأخرجه ابن حبان فى مسنده والفريابى فى كتاب الذكر والتسبيح كلاهما عن الحسن بن سفيان عن أمية بن بسطام وأخرجه كذلك أحمد فى مسنده ولفظ حديث أبى الدرداء عند الطبرانى سبق المفردون قالوا وما المفردون قال هم المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا وسنده ضعيف لضعف شيخه فيه عبد الله بن سعيد ابن أبى مريم قاله الهيثمى وقال اسحق بن راهويه فى مسنده حدثنا اسحق بن سليمان سمعت موسى بن عبيدة يحدث عن أبى عبد الله القراظ عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنا نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرقين جمدان فقال يامعاذ أين السابقون فقلت مضوا وتخلف أناس فقال ان السابقين الذين يهترون بذكر الله عز وجل من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر من ذكر الله وموسى ضعيف لكن يقوى بحديث أبى هريرة السابق ذكره *(تنبيه)* قال البيضاوى وانما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لانهم أرادوا تفسير اللفظ وبيان ماهو المراد منه لاتعيين المتصفين به وتعريف أشخاصهم فسال فى الجواب عن بيان اللفظ الى حقيقة ما يقتضيه توفيقا للسائل بالبيان المعنوى على المعنى اللغوى ايجازا فاكتفى فيه بالاشارة المعنوية الى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية اه (ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن) ونقل صاحب القوت عن سهل التسترى قال للقلب تجويفان أحدهما باطن فيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذى فى سواد العين (فاذا الفرق بين علوم الانبياء والاولياء و بين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم تأتى من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكماء يأتى من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك) وشتان بين العلمين (وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمى الشهادة والغيب) أى الملك والملكوت (لا يمكن أن يستقصى فى علم المعاملة) لصعوبتها على أفهام الضعفاء ولكثرتها (فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين) وأيهما أعلى درجة (المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين أعنى عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب) بمبلغ جهدهم (وأما الصوفية فيعملون فى جلاء القلب وتطهيره وتصفيته) عن الكدورات (وتصقيله) بالذكر (فقط وقد حكى أن أهل الصين) اقليم معروف وقد قيل الحكمة نزلت على ثلاثة أعضاء أدمغة اليونان وأيادى أهل الصين وألسنة العرب (وأهل الروم تباهوا) أى تفاخروا (بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور) فقال كل منهم نحن أحسن فى هذه الصناعة (فاستقر رأى الملك على أن يسلم اليهم صفة) وهى بالضم من البيت معروفة والجمع صفف (لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا و يرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك وجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة مالا ينحصر) واعتنوا غاية الاعتناء (ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم و يصقلونه) بالمصاقل (فلما فرغ أهل الروم) من عملهم (ادعى أهل الصين انهم أيضا قد فرغوا) من العمل (فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوه فاذا جانبهم وقد تلألأ فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق و بريق) أى لمعان (اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل) والجلاء (فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك

عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روى فى الخبر أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضىء مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد فى ميدانه والذى أعطى نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهى قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع

عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق) والاضاءة (كفعل أهل الصين) لما صقلوا الصنعة ظهرت فيها النقوش الظاهرية وهم لما صقلوا صنعة القلب ظهرت فيه الصور والمعلومات الباطنية (وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها فى القلب) وشتان بينهما (وكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت) حين يموت القالب (وعلمه عند الموت لا ينمحى) والمراد بالعلم ما يتعلق بمعرفة الله تعالى (وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن) البصرى رحمه الله تعالى بقوله (التراب لا يأكل محل الايمان) كما نقله صاحب القوت ومعلوم ان محل الايمان والتقوى القلب كما ورد فى الخبر الا ان التقوى ههنا وأشار الى القلب (ويكون) العلم (وسيلة القربة الى الله تعالى أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نقش العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم) بالله (والمعرفة الصارفة عنان قلبه اليه) ولفظ القوت ولا يصل العبد الى مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين وقال فى موضع آخر حقيقة العلم انما هو بين العلم واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون (وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدراهم غنى وصاحب الخزائن المترعة) أى الملآنة (غنى وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف) الالهية (أنوار) لانها حصلت من أشعة النور الالهى (ولا يسعى المؤمنون) يوم القيامة (الى لقاء الله تعالى الا بأنوارهم قال) الله (تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد ورد فى الخبر ان بعضهم) أى المؤمنين (يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر) منه (حتى يكون رجل يعطى نوره على ابهام قدمه فيضىء مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق) الخاطف (ومنهم) من يمر (كالسحاب ومنهم) من يمر (كانقضاض الكوكب) وهو سقوطه يشير الى السرعة (ومنهم من يمر كشد الفرس) اى عدوه (والذى أعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد) أى تسقط (وتعلق أخرى وتخر رجل وتعلق أخرى وتصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث) قال العراقى رواه الطبرانى والحاكم من حديث ابن مسعود وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين اهـ قلت وكذا أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه بلفظ يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره على ابهامه يطفأ مرة ويقد أخرى وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود يسعى نورهم بين أيديهم قال على الصراط وروى الحسن كذلك وزاد حتى يدخلوا الجنة أخرجه ابن أبى شيبة وعن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من لا يضىء له نوره الا موضع قدميه والناس منازل بأعمالهم (فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان أبى بكر) رضى الله عنه (بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح) واليه الاشارة بقوله فى الخبر ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشئ وقر فى صدره وقد تقدم فى كتاب العلم (وهذا أيضا يضاهى قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمعة

وايمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر وايمان الانبياء نوره (كنور الشمس) على هذا الترتيب ومنبع النور الاكمل من هؤلاء الانوار هو الشمس ومن نورها تفاض على سائر الانوار (وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف فى نور السراج الازاويه ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين) فالموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعالمون من الموقنين ارفع مقاما فالمؤمنون فى كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا بالدخول فى الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم فى الآخرة (ولذلك جاء فى الخبر انه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال من ايمان وربع مثقال) من ايمان (وذرة) من ايمان وهكذا هو فى القوت وقال العراقى متفق عليه من حديث أبى سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال اﻫ قلت وأخرج الطيالسى وأحمد والشيخان وقال الترمذى حسن صحيح وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان كلهم من حديث أنس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح من حديث أبى سعيد يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان (وكل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار) ولفظ القوت فقد حصلوا متفاوتين فى الايمان ما بين الذرة الى المثقال وكلهم قد دخل النار الا أنهم على مقامات فيها (وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا وان من فى قلبه مثقال ذرة) من الايمان (لا يستحق الخلود فى النار وان دخلها) ولفظ القوت وفيه دليل على ان من كان فى قلبه مثقال من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظيم ما اقترف من الاوزار وان كان فى قلبه وزن ذرة من الايمان لم يحق عليه الخلود فى دار الهوان لتعلقه بيسير الايقان وان من زاد ايمانه على زنة مثقال لم يكن للنار عليه سلطان وكان من الابرار وان من نقص ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كانت سيماه وكان اسمه فى الظاهر فى المؤمنين لانه من المنافقين فى علم الله تعالى الفجار وقد قال الله تبارك وتعالى فى وصفهم وان الفجار لفى جحيم ثم قال وما هم عنها بغائبين ثم صار صاحب المثقال والذرة فى الجنة على تفاوت درجات وكان الزائد ايمانه على مثقال فى أعلى عليين على هؤلاء وارتفع أهل الدرجات العلى على أعلى عليين ارتفاع الكوكب الدرى فى أفق السماء وكلهم قد اجتمع فى الجنة على تفاوت مقامات (وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان أو المؤمن) هكذا هو فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى من حديث سلمان بلفظ الانسان ولاحمد من حديث ابن عمر لا اعلم شيأ خيرا من مائة مثله الا الرجل المؤمن واسنادهما حسن اﻫ قلت حديث سلمان أخرجه أيضا كذلك الضياء فى المختارة بلفظ ليس شئ خيرا وهكذا أيضا فى بعض نسخ الكتاب واختلف قول الهيثمى فيه فقال مرة مداره على اسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جدا وقال مرة فى موضع آخر رجاله رجال الصحيح غير ابراهيم ابن محمد بن يوسف وهو ثقة وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه أيضا الطبرانى فى الاوسط (أشار الى تفضيل قلب العارف المؤمن وانه خير من ألف من عوام الناس) أى العارف الموقن قد يبلغ بقوة ايمانه وايقانه الى ثبوت فى الدين وقيام بمصالح الاسلام والمسلمين بعلم يكسبه أو مال يبذله أو شجاعة يسد بها مسد ألف ولفظ القوت فلعمرى ان قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لان ايمانه فوق ايمان مائة مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة مؤمن وقال بعض علمائنا يعطى الله عز وجل بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل أحد ويعطى بعضهم ذرة (وقد قال) الله سبحانه و (تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمن على المسلم) لانه وصف المؤمنين بالعلو ولا نهاية لعلو الايمان فصار علو كل مؤمن على قدر ايمانه (والمراد به المؤمن العارف دون المقلد) الذى لم تتمكن

وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف فى نور السراج الازاويه ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء فى الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا وأن من فى قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود فى النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد

وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل على ذلك أن اسم المؤمن يقع عن المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف

المعرفة في قلبه فهو بعد أسير ربقة التقليد (وقال تعالى) في رفع العلماء على المؤمنين (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فاراد هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا) تقليدا (من غير علم) صحيح (وميزهم عن الذين أوتوا العلم) فانكشفت به بصائرهم فصدقوا وتحققوا (ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف) كما تقدم الكلام عليه قريبا (وفسر ابن عباس رضي الله عنه (قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين ما بين السماء والارض) ولفظ القوت قال ابن عباس الذين أوتوا العلم درجات فوق المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض اهـ قلت وقد روى ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس السريع المضمر مائة عام رواه ابن عدي في الكامل وابن عبد البر في كتاب العلم وسنده ضعيف ورواه أبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند لا بأس به ولفظه فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض (وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب) هكذا هو في القوت وقال العراقي تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا وهي مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري (وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي) رواه الترمذي من حديث أبي امامة وصححه وقد تقدم في كتاب العلم الا أن لفظه كفضلي على أدناكم (وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بزيادة ليلة البدر بعد القمر وقد تقدم أيضا في كتاب العلم (فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم) فالموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعالمون من الموقنين أرفع مقاما (ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن) أي يسمى بذلك قال الله تعالى ذلك يوم التغابن (اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران) والتغابن تفاعل من الغبن وهو الخسارة في أصل المال (والمرحوم) برحمته (يرى فوق درجته درجات عظيمة) يتأسف لنوالها (فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني) في حد ذاته (ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك) قال الله تعالى (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

(بيان شواهد الشرع من الكتاب والسنة)

(على صحة طريق التصوف في اكتساب المعرفة) بالله (لا من) طريق (التعلم ولا من الطريق المعتاد) المألوف عند الناس (اعلم أنه من انكشف له ولو الشئ اليسير) أي القليل (بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري) كيف وقع وما سببه (فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به) أي يصدقه بقلبه وهذا أقل الدرجات (فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا وتشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي جاهدوا نفوسهم وبأموالهم وجاهدوا عدوهم اذ يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فصابروه وغلبوه فباعوا النفوس والاموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من الحساب والاهوال لنهدينهم سبلنا أي لنصرفنهم الى مكاشفات العلوم ولنسمع منهم غرائب الفهوم ولنوصلهم الى أقرب الطريق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم الآية بقوله تعالى وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات فكان المجاهد فيه

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا *(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد)* اعلم أن من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

معهم أولا بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد وكان الحسن منهم آخر اليوم فيه أحسنوا الى نفوسهم غدا وقال بعض العلماء فى تفسير هذه الآية الذين يعملون بما يعلمون نوفقهم ونهديهم الى مالا يعلمون وقال بعض السلف نزلت هذه الآية فى المتعبدين المنقطعين الى الله عز وجل المستوحشين من الناس فيسوق الله اليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة (فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) تقدم فى كتاب العلم قال صاحب القوت الحياء من الاختيار والاختبار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأييد والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة النقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل (ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار) هذا نص القوت فهو من قول بعض التابعين وسياق المصنف يقتضى انه بقية الحديث السابق ولذا قال العراقى صدر الحديث تقدم فى العلم وهذه الزيادة لم أرها اه والذى يظهر لى انه سقط كلام من النساخ ثم قال صاحب القوت نقلا عن بعضهم كلما ازداد العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا ووهنا (وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل) فى تأويله (يجعل له مخرجا من الاشكالات) الخيالية (والشبه) الوهمية (و) يرزقه من حيث لا يحتسب أى (يعلمه علما من غير تعلم) أى بالشاهد الصحيح والعلم الصريح وقيل معناه يجعل له مخرجا من كل أمر ضاق على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب أى يعلمه من غير تعليم بشر ويفطنه من غير تجربة (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات) هكذا نقله صاحب القوت الا أنه قال تفرقون به بين الحق والباطل وتعرفون به المشكلات (ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور) لانه كما قال صاحب القوت هو جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبدا أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار (فقال اللهم اعطنى نورا) من أنوارك استضىء به (وزدنى نورا واجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا حتى قال وفى شعرى وبشرى ولحمى ودمى وعظامى) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن عباس اه قلت ورواه الترمذى فى السنن ومحمد بن نصر فى كتاب الصلاة والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الدعوات من طريق داود بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال بعثنى العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام فصلى من الليل فلما صلى الركعتين قبل الفجر قال اللهم انى أسألك الخ وساق الحديث الطويل وفيه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى يدى ونورا من تحتى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى اللهم أعظم لى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا الحديث وقد تقدم بتمامه مع الكلام عليه فى كتاب ترتيب الاوراد (وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) هكذا فى سائر النسخ والذى فى القوت وسئل عن معنى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (ماهذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف فى القلب اتسع له الصدر وانشرح) ولفظ القوت فقال هو النور يقذف به فى القلب فينشرح له الصدر وينفسح وقال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم اه قلت وكذلك رواه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طرق وأخرجه ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظى قال نزلت هذه الآية أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال

فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر والشرح

في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وأخرجها الحكيم الترمذي في نوادر الاصول من حديث ابن عمر بنحوه ثم أخرجه عن أبي جعفر المدايني رفعه بنحوه (وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضي الله عنه (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) قال العراقي أخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم في العلم اه قلت وقال صاحب القوت ومن خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظاهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم الا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس الخ (وقال علي رضي الله عنه ماعندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا أن يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه) كذا في القوت وقد تقدم في آداب تلاوة القرآن وفيه رد على الشيعة حيث انهم يدعون أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر اليه بالخلافة وبأسرار غيرها كما هو شأن الاوصياء (وليس هذا بالتعلم) والدراسة بل هو كشف رباني (و) كما (قيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء) ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (انه الفهم في كتاب الله تعالى) كذا في القوت (وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم) ولفظ القوت نخصه بفهم منه فقه قلبه به زاده فوق الحكم والعلم الذي شركه أبوه فزاد على قتياه (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه (يقول المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم) كذا في القوت الا انه قال المؤمن ينظر الى الغيب والباقي سواء (وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة) أي كأنه سحر في نفاذه وصحة وقوعه كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) عز وجل رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم والمعنى بنور الله أي باليقين وفي لفظ آخر اتقوا فراسة العلماء فكأنه مفسر له (واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين) أي المتفرسين كما ورد وهذا كان من طريق السلف من الصحابة والتابعين اذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق بخاطر اليقين اذا ورد على قلب موقن اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفي على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وان التبس على ما سواه (و) من ذلك (قوله تعالى) في تخصيص الموقنين (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم نافع في القلب وذلك هو النافع) تقدم في كتاب العلم والمراد بالحسن البصري كما صرح به صاحب القوت فالحديث مرسل (وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله يقذفه الله في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا) نقله صاحب القوت الا انه قال سئل بعض أهل المعرفة (وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من أمتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر ورواه مسلم من حديث عائشة (وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين) نقله صاحب القوت (والمحدث) كمعظم (هو الملهم والملهم) هو (الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل) الذي هو قلب القلب وفيه باب الى الملكوت الاعلى (لا من جهة المحسوسات الخارجة) وهو باب القلب (والقرآن مصرح بان التقوى مصباح الهداية والكشف وذلك بغير تعلم قال الله تعالى) في نعت المتقين (وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال تعالى في فضل العلماء بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وقال تعالى ولنبينه

لقوم يعلمون لحقيقة العلم انما هي بين التقوى واليقين وهذا هو عـلم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبينات والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء (و) قد (كان أبو يزيد) البسطامي قدس سره (وغيره) من العارفين (يقول) ولفظ القوت يقولون (ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله) تبارك وتعالى (فاذا نسي ماحفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا) لعمري لاينسى علمه وهو ذاكر أبدا لايحتاج الى كتاب و (هو العالم الرباني) علمه منسوب الى الرب قد أفيض عليه بلا اكتساب وهذا هو وصف قلوب الابدال من المؤمنين ليسوا واقفين مع حفظ انما هم قائمون بحافظ (واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما) أي من عندنا ولدن ظرف مكان بمعنى عند الا انه لايستعمل الا في الحاضر (مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا) بل علما انفعاليا لكونه أخذ من الغير (بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب) أي باطنه المسمى بقلب القلب (من غير سبب مألوف من خارج) كتعلم ودراسة (فهذه شواهد النقل) من الكتاب والسنة (ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن) حد (الحصر) والاستقصاء (وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك عن الصحابة) رضوان الله عليهم (و) عن التابعين (ومن بعدهم) من أتباعهم وغيرهم (قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما اخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا) لم تلد بعد (فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت) فهذه كرامة له أكرمه الله بها قال الحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بابن سيد الناس في كتابه المقامات العلية في الكرامات الجلية بسنده الى عائشة رضي الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال اما بعد فان أحب الناس غنى الى بعدي أنت وان أعز الناس فقرا الى بعدي أنت واني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا من مالي فوددت والله انك كنت حزتيه وأخذتيه فانما هو اخواك وأختاك قالت قلت هذا أخواي فمن أختاي فقال ذو بطن ابنة خارجة فاني أظنها جارية فكان كذلك (وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته في يوم جمعة ياسارية الجبل) الجبل (اذ انكشف له) أي وقع في روعه (العدو وقد أشرف اليهم) وذلك في الجيش الذي أرسله مع أسامة الى فارس فلاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل (فحذره لمعرفته) ذلك ورفع به صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز الناس الى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم (ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة) وقد أخرج هذه القصة الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر وأخرجها سيف في الفتوح مطولة عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء عن رجل من بني مازن فذكرها وهي عند البيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة والدير عاقولي في فوائده وابن الاعرابي في كرامات الاولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا وولى عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر يخطب جعل ينادي ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله قال فقيل لعمر انك كنت تصيح هكذا وكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب باسناد حسن ولابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر عن أبيه انه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم الى بعض فقال لهم علي ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في ظني ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل وان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج مني ماتزعمون انكم سمعتموه قال فجاء البشير بعد شهر وذكر انهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وقد أفرد لطرقه القطب الحلبي الحافظ جزأ (وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت

وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ماحفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما اخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته ياسارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت

قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت اليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت على أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لأعزرنك فقلت أوحي بعد النبي فقال

لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري أنك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال وقمت فأخذتها وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله عز وجل

قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت اليها شزرا) أي من مؤخر العين (فتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه أما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن) الى الله تعالى (أو لأعزرنك فقلت أوحي بعد النبي فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة) وأما قوله زنا العينين النظر فهو حديث مرفوع أخرجه ابن سعد في الطبقات والطبراني في الكبير عن علقمة بن الحويرث وروى الحافظ أبو الفتح اليعمري بسنده الى زيد بن وهب قال جاء وفد من البصرة فيهم رأس من الخوارج يقال له جعدة بن بعجة يخطب وحمد الله ثم قال يا علي اتق الله فانك ميت فقال علي بل مقتول قتلا تصاب هذه فتخضب هذه عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى وكان كما ذكر (وعن أبي سعيد) أحمد بن محمد (الخراز) البغدادي صحب ذا النون المصري والبناجي والبسري وبشرا والسري توفي سنة ٢٧٧ (قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس) أي عالة عليهم (فناداني) اذ أشرف على خاطري (وقال والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري) أي في باطني (فناداني) اذ أشرف على خاطري ثانيا (وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره) فهذا الاشراف على الخاطر انما هو من مشاهدة اليقين (وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس) أحمد (بن مسروق) الطوسي توفي ببغداد سنة ٢٩٥ صحب الحرث المحاسبي والسري (على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل) أي مريض بعوده (وكان ذا عيال ولم نعرف له سببا) أي ظاهرا لرزقه (قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال) فاشرفه الله على خاطري (فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية) أي الخسيسة (فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على) أبي بكر (الشبلي يوما فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاودني خاطري) أي عاودني ثانيا (فقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء) أي من الفتوح (الا دفعته الى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم) أحد خدام الخليفة (ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك) أي اصرفها في نفقتك (قال فأخذتها وخرجت فاذا بفقير مكفوف) البصر (بين يدي مزين) أي حلاق (يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا) دينارا (قال أوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين) كما أمر (فقال) المزين بعد أن أبى من أخذها (قد عقدنا لما جلس الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة) أي النهر المعروف (وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله عز وجل) ففيها أن اشراف الشبلي صحيح وقد أيده اشراف الولي المكفوف وفي الرسالة القشيرية سياق حكاية تشبه هذه قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد قال حدثنا محمد بن عطية قال حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال سمعت أبا بكر الصائغ قال سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعري ولم يكن معي قطعة آخذ بها شعري فتقدمت الى مزين توسمت فيه الخير وقلت تأخذ شعري لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني وحلق شعري ثم دفع الي قرطاسا فيه دراهم وقال استعن بها على بعض حوائجك فأخذتها واعتقدت أن أدفع اليه أول شيء يفتح علي قال فدخلت المسجد فاستقبلني بعض اخواني وقال جاء بعض اخوانك بصرة من البصرة من بعض اخوانك فيها ثلاثمائة دينار قال فأخذت الصرة وجئت بها الى المزين وقلت هذه ثلاثمائة دينار تصرفه في بعض أمورك فقال لي يا شيخ ألا تستحي تقول احلق شعري لله تعالى ثم آخذ عليه شيئا

وقال حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت فى نفسى أن أسلم عليه ولا آكل فى داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يافتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقى قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدنى سبع فعدت الى أبي الخير وقلت قصدنى سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفانى فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لى اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكى من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ماحكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لاتنفع الجاحد مالم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل * والدليل القاطع الذى لايقدر أحد على جحده أمران * أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لايسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * الثانى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون فى الوجود

انصرف عافاك الله تعالى (وقال) القشيرى فى الرسالة أيضا سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت (حمزة بن عبد الله العلوى) يقول (دخلت على أبي الخير التيناني) يعرف بالاقطع مغربى الاصل سكن تينات بكسر المثناة الفوقية وسكون الياء التحتية كأنه جمع تين قرية من قرى الموصل (و) كنت (اعتقدت فى نفسى ان اسلم عليه ولا آكل) عنده (فى داره طعاما فلما خرجت من عنده) ومشيت قدرا يسيرا (اذا به) خلفى (قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يافتى كل) هذا (فقد خرجت الساعة من اعتقادك) فاشرفه الله على خاطره أولا وعند خروجه عنه ثانيا قال القشيرى (وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات) والفراسة الحادة وكان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة (قال ابراهيم) بن داود (الرقى) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد وقد عمر الى سنة ست وعشرين وثلاثمائة (قصدته) يعنى أبا الخير التيناني (مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب) فصلى اماما (فلم يكن يقرأ سورة الفاتحة مستويا) أى مستقيما (فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلم) وسلمت (خرجت الى الطهارة) أى الى موضعها كنى به عن اراقة الماء (فقصدنى سبع) أراد أن يبطش بى (فعدت الى أبي الخير وقلت قصدنى الاسد فخرج) أبو الخير (وصاح به) أى عليه (وقال ألم أقل لك لاتتعرض اضيافى فتنحى الاسد فتطهرت فلما) فرغت (ورجعت قال لى اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم الباطن) أى القلب (فخافنا الاسد) نقله القشيرى فى الرسالة ونقل أيضا انه حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان اماترى هذا السبع فقال لاتخف وأخذ شيبان أذنيه فعركهما فبصبص وحرك أذنيه فقال سفيان ماهذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى الا على ظهره حتى آتى مكة ونقل هو وصاحب الحلية انه كان ابراهيم بن أدهم فى رفقة فعرض لهم السبع فقالوا يا أبا اسحق قد عرض لنا السبع فجاء ابراهيم وقال يا أسد ان كنت أمرت فينا فامض والا فارجع فرجع الاسد ومضوا ونقلا عن حامد الاسود قال كنت مع ابراهيم الخواص فى البرية فبينما نحن عند شجرة وجاء السبع فصعدت الشجرة الى الصباح لا يأخذنى النوم ونام الخواص والسبع يشم من رأسه الى قدمه ثم مضى فلما كان الليلة الثانية بتنا فى مسجد فى قرية فوقعت بقة على وجهه فضربته فأن أنه فصاح فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الاسد والليلة تصيح من البقة فقال اما البارحة فتلك حالة كنت فيها مع الله تعالى وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها مع نفسى (وما حكى من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس و) عن (ضمائرهم يخرج عن الحصر) لكثرته (بل ماحكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام) عيانا (والسؤال له ومن سماع صوت الهاتف) من الغيب (ومن فنون الكرامات) التى أكرم الله تعالى أصفياءه بها (خارج عن الحصر) أيضا لكثرته (والحكاية لاتنفع الجاحد) أى المنكر (مالم يشاهد ذلك من نفسه) فيكون ذلك برهانا له (ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل) فى فروعه (والدليل القاطع الذى لايقدر أحد على جحده) أى انكاره (أمران أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة) فى المنام (فانه ينكشف بها الغيب) أى ماغاب عن الحس (واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس) وخمودها (وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص) فى بحر خيال (لايسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه) حتى انه يمر عليه الانسان فيسلم عليه فلا يحس به (والثانى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب) من أحوال الانبياء وأخبارهم وأخبار الجنة والنار (و) عن (أمور) تقع (فى المستقبل) كأحوال البرزخ والحشر والنشر وأحوال أمته ومايؤل اليه أمرها (كما اشتمل عليه القرآن) والسنة (واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق) بهدايتهم وارشادهم لما فيه مصلحتهم (فلا يستحيل أن يكون فى

الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق) بل باصلاح نفسه (وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا) قال القشيرى فى الرسالة ظهور الكرامات على الاولياء جائز والدليل على جوازه انه أمر موهوم حدوثه فى العقل لا يؤدى حصوله الى رفع أصل من الاصول فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده فاذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شئ يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات ٧ على من صدق ممن ظهرت عليه فى أحواله فلم يكن صادقا فظهور مثله عليه لا يجوز والذى يدل عليه ان تعريف القديم سبحانه ايانا حتى نفرق بين من كان صادقا فى أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك الا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه وذلك الامر هى الكرامة ولابد من أن تكون الكرامة فعلا ناقضا للعادة فى أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله اه (فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة بان يقر بان القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث فى الروع والوحى) فالاخير خاص بالانبياء والالهام والنفث عام فيهم وفى الاولياء ومنهم من جعلهما من أقسام الوحى وقد تقدم الكلام عليه قريبا (فاذا أقر بهما) أى بالامرين المذكورين (جميعا) من غير انكار ولا نقص (لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة) فى الدراسة (بل يجوز أن تكون المجاهدة) فى نفسه التى هى أعدى عدوه (سبيلا اليه) كما يرشد اليه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (فهذا ما ينبه على حقيقة ماذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب فى انكشاف الامر فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ماذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف فيها) قال القشيرى فى الرسالة الرؤيا نوع من الكرامات وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور فى الوهم اذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الانسان عند اليقظة انه كان رؤية فى الحقيقة وانما كان ذلك تصورا وأوهاما تقررت فى قلوبهم حين زال عنهم الاحساس الظاهر تجردت تلك الاوهام من المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها فاذا استيقظ ضعفت تلك الاحوال التى تصورها بالاضافة الى حال احساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله كالذى يكون فى ضوء السراج عند اشتداد الظلمة فاذا طلعت الشمس عليه غلب ضوء الشمس ضوء السراج فيتقاصر ضوء السراج بالاضافة الى ضوء الشمس فمثال حال النوم كمن هو فى ضوء السراج ومثال المتيقظ كمن تعالى عليه النهار وان المتيقظ يتذكر ما كان متصورا له فى حال نومه ثم ان تلك الاحاديث والخواطر التى كانت ترد على قلبه فى حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس ومرة بخواطر الملك ومرة تكون تعريفا من الله تعالى بخلق تلك الاحوال فى قلبه ابتداء وفى الخبر أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا (فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى فقلت فيكفيكما ذلك) هكذا نقله صاحب القوت (وهذا اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة) وقال بعض العارفين بل يطلعون على بعض أعمال القلب بقرائن خارجة فان المؤمن اذا ذكر الله فى قلبه فاحت منه رائحة طيبة الى فيه فيشمونها الملائكة فيدركونها اذا ذكر الله تعالى فيكتبون ذلك فى صحيفة حسناته (وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من) ولفظ القوت وحدثنا بعض العلماء قال سألت بعض الابدال عن علم (مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره

وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث فى الروع والوحى فاذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ماذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب فى انكشاف الامر فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ماذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره

وقال ماتقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبي وسألته فحدثنى بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان فى أمتى محدثين وان عمر منهم وفى الاثر ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى و ينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم أمور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه فى مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالحواس شيأ حصل منه أثر فى القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل و بسبب قوة فى المزاج حصل منها فى القلب أثر وان كف

وقال ماتقول رحمك الله ثم أجاب باغرب جواب سمعته) قط وأعلاه (فسألته عن التفاته) ولفظ القوت فقلت رأيتك التفت عن شمالك وعن يمينك ثم أقبلت على صدرك فماذاك (فقال لم يكن عندى فى المسألة) التى سألتنى عنها (جواب) ولفظ القوت علم (عتيد) أى حاضر (فسألت صاحب الشمال) فظننت أن عنده منها علما (فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبي وسألته فحدثنى بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما) هكذا نقله صاحب القوت (وكان هذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى أمتى محدثين وان عمر منهم) تقدم الكلام عليه قريبا وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله نقلا عن والد الشيخ أبى الحسن الشاذلى قال دخلت على والدى فسمعته يقول والله لقد يسألونى عن المسئلة لا يكون لها عندى جواب فاذا الجواب مسطر فى الزاوية فى الحصيرة أو الحائط (وفى الاثر) عن بعض التابعين (ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته) أى بيدى (وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن عطية (الدارانى رحمه الله تعالى القلب بمنزلة القبة المضروبة) بالعمد والاطناب والاوتاد (حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب الى جهة من جهات الملكوت والملا الاعلى و ينفتح ذلك الباب بالمجاهدة) للنفس (والورع) عن المحرمات (والاعراض عن شهوات الدنيا) وملاذها (ولذلك كتب عمر رضى الله عنه الى أمراء الاجناد) وهم الذين ولاهم على عساكر الاسلام الموجهين لقتال الاعداء وكان لا يولى أميرا الا من كانت له صحبة (احفظوا ما تسمعون من المطيعين) لله تعالى (فانهم تتجلى لهم أمور صادقة) نقله صاحب القوت (وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق) نقله صاحب القوت قلت أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند من طريق عبد الله بن زيد قال قال لقمان الا ان يد الله فذكره (وقال آخر) منهم (لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين) لله تعالى (على بعض سره) نقله صاحب القوت

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وغلبتها)

(اعلم أن القلب كما ذكرناه) عن أبى سليمان الدارانى (فى مثال قبة مضروبة لها) من حوالها (أبواب مغلقة (تنصب اليه الاحوال من كل باب) على اختلافها فى ورودها عليه (ومثاله أيضا مثال هدف) محركة هو الغرض الذى يرمى عليه بالسهام (تنصب اليه السهام من الجوانب) والاطراف المحاذية له (أو هو مثال مرآة) كبيرة مصقولة (منصوبة) على موضع عال حيث يمر الناس وغيرهم (يجتاز) أى يمر (عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة فلا تخلو عنها أو) هو (مثال حوض) لها (تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار) أو مساق أو جداول (مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس) الظاهرة (وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان) أى من أصل خلقته (فانه اذا أدرك بالحواس شيأ) من مسموع أو مبصر أو مذوق أو ملموس أو مشموم (حصل منه أثر فى القلب) ظاهر ينفعل له (وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل) للاطعمة المقوية للشهوة (و بسبب قوة فى المزاج) وقوته بسبب قربه من الاعتدال الحقيقى وذلك فى سن الوقوف وسن الشباب (حصل منها فى القلب اثر وان كف

عن الاحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى وينتقل الخيال من شئ الى شئ وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر
والمقصود أن القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هو الخواطر وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه
من الافكار والاذكار وأعنى به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان
كان القلب غافلا عنها والخواطر هى المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما (٢٦٥) تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة

عن الاحساس فى الخيالات الحاصلة فى النفس تبقى) مركوزة فيها (وينتقل الخيال من شئ الى شئ وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود ان القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هى الخواطر وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار وأعنى به) أى بما يحصل فيه مما ذكر (ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر) فيه (بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هى المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى مايدعو الى الشر أعنى الى مايضر فى العاقبة والى مايدعو الى الخير أعنى الى ماينفع فى الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما) وهو ما يلقى فى الروع بطريق الفيض (والخاطر المذموم أعنى الداعى الى الشر يسمى وسواسا) من الوسوسة وهى الخطرة الردية (ثم انك تعلم ان هذه الخواطر) بانواعها (حادثة ثم ان كل حادث فلا بدله من محدث) ضرورة (ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا والسبب الداعى الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر الى أسام مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق) خلقه الله تعالى (شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر) لقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والوسوسة فى مقابلة الالهام والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق فى مقابلة الخذلان) فكل منهما زوج للآخر ومقابل له منها ما هى أدوات الظاهر ومنها ما هى اعراض الباطن وهى حواس الجسم والقلب فادوات الجسم هى الصفات الظاهرة واعراض القلب هى المعانى الباطنة قد عدلها سبحانه بحكمته وسوّاها على مشيئته وقومها اتقانا بصنعته أولها النفس والروح وهما مكانان للالقاء والعدو والملك وهما تخصصان بلقيان الفجور والتقوى ومنها عرضان متمسكان فى مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيئة حاكم وهما التوفيق والاغواء ومنها نوران ساطعان فى القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه القائمة وآلاته والقلب وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدى اليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها (واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين) وقوله تعالى الذى خلقك فسوّاك فعدلك وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم (فان الموجودات كلها متقابلة

فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى مايدعو الى الشر أعنى الى مايضر فى العاقبة والى مايدعو الى الخير أعنى الى ماينفع فى الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم أعنى الداعى الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بدله من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر

 الداعى الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذى
يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر الى
أسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره
لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة فى مقابلة الالهام
والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق فى مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة

مزدوجة) مسوّاة معدولة مقوّمة (الا الله تعالى فانه لامقابل له) كما انه لاشريك له (بل هو الواحد الحق) المطلق (الخالق للازواج كلها) وقد قسم صاحب القوت الخواطر وفسر أسماءها بما يقرب من تقدير المصنف فقال ماوقع فى القلب من عمل الخير فهو الهام وماوقع من عمل الشر فهو وسواس وماوقع فى القلب من المخاوف فهو ايجاس وما كان من تقدير الخير وأمله فهو نية وما كان من تدبير المباحات والطمع فيها او ترجيها فهو أمل وامنية وما كان من تذكر أمر الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث النفس بمعاشها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لانه خطور همة نفس أو خطور عدوّ بحدس أو خطرة ملك بهمس ثم ان ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة فى القلب على ستة معان وهى حدود الشئ المظهر ثلاثة منها معفوّة وثلاثة مطالب بها فاوّل ذلك الهمة وهو مايبدو من وسوسة النفس بالشئ يجده العبد بالحس كالبرق فان صرفها بالذكر امتحت وان تركها بالغفلة صارت خواطر وهو خطور العدوّ بالتزيين وان نفى الخاطر ذهب وان دنا منه قوى فصار وسوسة وهذه محادثة النفس للعدوّ واصغاؤها اليه وان نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله عز وجل خنس العدوّ وضعفت النفس وهذه الثلاثة معفوّة رحمة من الله سبحانه غير مؤاخذ بها العبد وان مرح العدوّ والنفس فى محادثة العدوّ وطاولت النفس العدوّ بالاصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية فان أبدل العبد هذه النية بنية خير أو استغفر منها وتاب والاقويت فصارت عقدا فان حل هذا العقد بالتوبة وهو الاصرار والاقوى فصار عزما وهو القصد وهذه الثلاث من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤل عنها فان تداركه الله تعالى بعد العزم والا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وظهور العمل على الجوارح من خزانة الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم فى خزانة الملك والشهادة فهذه المعانى توجد من أعمال البر والاثم فما كان منها من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد فى باب النيات مكتوبا له فى دوان الارادات له به حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب أعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصى وليس مجانس للعدوّ ومؤاخ له الا النفس جمع بينهما فى الوسوسة قال الله تعالى الوسواس الخناس وقال تعالى ونعلم ماتوسوس به نفسه وكل شئ خلقه الله تعالى فله مثل وضد فمثل النفس الشيطان وضدها الروح واعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم فى الاجر والوزر معا الا ما لا يتأتى أن يعلمه بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك وكفر واعتقاد بدعة والله أعلم (فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدوّ ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير) قال صاحب القوت هو من قول ابن مسعود وقد رويناه من طريق مسندا وقال العراقى رواه الترمذى والنسائى فى الكبير من حديث ابن مسعود اه قلت ورواه كذلك ابن حبان وقال الترمذى بعد ان رواه عن هناد حدثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هو حسن غريب لانعلمه مرفوعا الا من حديث أبى الاحوص ولفظهم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والرواية الصحيحة ايعاد فى الموضعين وهو وان كان مختصا بالشر عرفا الا أنه استعمله فى الخير للازدواج والامن من الاشتباه بذكر الخير بعده واللمة بالفتح القرب والاصابة فعلة من الالمام ونسبة لمة الملك الى الله تعالى فيها تنويه بشأن الخير واشارة بذكره (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (انما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدوّ فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما

مزدوجة الاالله تعالى فانه
فرد لامقابل له بل هو الواحد
الحق الخالق للازواج كلها
فالقلب متجاذب بين
الشيطان والملك وقد قال
صلى الله عليه وسلم فى القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم انه من
الله سبحانه وليحمد الله ولمة
من العدو ايعاد بالشر
وتكذيب بالحق ونهى
عن الخير فمن وجد ذلك
فليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم تلا قوله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر
ويأمركم بالفحشاء الآية
وقال الحسن انما هما همان
يجولان فى القلب هم من
الله تعالى وهم من العدو
فرحم الله عبدا وقف عند
همه فما كان من الله تعالى
أمضاه وما

كان من عدوّه مجاهده والتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب (٢٦٧) المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر الا بخير

كان من عدوّه جاهده) نقله صاحب القوت والتمييز بين اللمتين لا يهتدى اليه أكثر الناس وانما يتشوف الى معرفتهما وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف الى ذلك كتشوف العطشان الى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوف الى ذلك المقربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الابرار قد يتشوف الى ذلك بعض التشوف لان التشوف اليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو في مقام عامة المسلمين والمؤمنين لا يتطلع الى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر (ولتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو وقد تقدم قريبا (فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال بأصابعك) وجميع الالفاظ الموهومة في الاخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله ومعرفة انه ليس بجسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (والله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب) أي نحوها الى خير أو شر (كما ان أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا) بطرفيه (ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات) أي الملازمة عليها (والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان) أي مأواه (ومعدنه) أي محل اقامته (لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه) بان تنصل عنها واسترذلها (وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم) * اعلم أن المستولي على الانسان أولا شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه الى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب فان غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبها آخر من الملائكة فان خاصيتا الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والكمال ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أقرب من الملائكة (ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة من الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله) وفي رواية معه (شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فاسلم) بلفظ الماضي من الاسلام أو بلفظ المضارع من السلامة وقد روي بالوجهين (فلا يأمر الا بخير) قال العراقي رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ قلت هذا لفظ مسلم من حديث عائشة ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث أسامة بن شريك وليس فيه فلا يأمر الا بخير وأما لفظ حديث ابن مسعود عند مسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وكذلك رواه أحمد ويروى ذلك أيضا عن شريك بن طارق بلفظ ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا ولك يا رسول الله قال ولي ولكن الله أعانني عليه فأسلم رواه ابن حبان والبغوي والطبراني وقال البغوي ولا أعلم لشريك بن طارق غيره ويروى أيضا عن المغيرة بن شعبة بلفظ ما من أحد الا جعل معه قرين من الجن قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير رواه الطبراني

وانما كان هذا الان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى أن ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد من الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبران للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شئ انعدم منه ما كان فيه

(وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير) لتضييق طرقه فلا يقدر على التسلط (ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا) أي محل جولان (فوسوس) ودبر شغله (ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله) ولم يقدر على اقامته (وأقبل الملك والهم الخير) وفي نسخة فالهم الملك وأقبل (والتطارد بين جندي الملائكة والشيطان في معركة القلب دائم) لا ينقطع بين غالب ومغلوب (الى أن ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن) فيه (ويستوطن) أي يتخذه محل اقامة وفي بعض النسخ فيستوطن ويتمكن (ويكون اجتياز الثاني اختلاسا) يختلسه (فأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها) وفي نسخة ملكوها (فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار) الحياة (العاجلة) الفانية (واطراح الآخرة) الباقية (ومبدأ استيلائها) أي تلك الجنود (اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب من قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة) ومحل ظهورهم (قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد) بن مطر العدوي البصري أحد العباد كنيته أبو نصر ثقة روى له البخاري معلقا وأبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه مات سنة أربع وتسعين ومائة (ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا وتركوه) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الصمد حدثنا جرير بن عبيدة العدوي عن أبيه قال قلت للعلاء بن زياد اذا صليت وحدي لم أعقل صلاتي قال ابشر هذا علم الخير أما رأيت أن اللصوص اذا مروا بالبيت الخرب لم يلووا عليه واذا مروا بالبيت الذي فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منه شيأ وقد ظهر من هذا السياق انه سقط على المصنف عن أبيه والعلاء بن زياد ترجمة حسنة في الحلية (يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال) الله (تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي تسلط وتمليك لانهم قد أخلوا قلوبهم عن الشهوات ومقتضياتها (فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى) وذليله ومسخره (لا عبد الله ولذلك سلط) الله (عليه الشيطان) ووكل به (وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أي ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عمرو بن العاصي) كذا في النسخ والصواب عثمان بن أبي العاصي وهو أبو عبد الله الثقفي الطائفي أخو الحكم بن أبي العاصي ولهما صحبة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الكوفة ثم أقره أبو بكر وعمر مات سنة احدى وخمسين روى له الجماعة سوى البخاري وقد تقدم ذكره في كتاب الصلاة (للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الزاي (فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني) قال العراقي رواه مسلم من حديثه (وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه) قال العراقي رواه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس اسناده بالقوي عند أهل الحديث (ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شئ انعدم ما كان فيه

من قبيل ولكن كل شئ سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه. وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات

من قبيل ولكن كل شئ سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده) ليكون مخرجا له ومبطلا أثره (وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبرى من الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون) الخاشعون (الغالب عليهم ذكر الله تعالى) فى سائر أوقاتهم (وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات) والغفلات (على سبيل الخلسة) والمخاتلة (قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فاخبر أن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب وان باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا (وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل) عن ذكر الله تعالى (انبسط على قلبه) هكذا نقله صاحب القوت وروى عن ابن عباس قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله خنس أخرجه ابن أبى شيبة وابن جرير وابن مردويه وروى عنه أيضا انه قال ما من مولود يولد الا على قلبه الوسواس فان ذكر الله تعالى خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس أخرجه ابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى والضياء فى المختارة (فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النار والظلام) أحدهما ينسخ الثانى (وبين الليل والنهار) فاذا جاء الليل ذهب النهار وبالعكس فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهارا كله وآخر ضده (ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم واستمالهم الى ما يريده من الشهوات (فأنساهم ذكر الله) أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (وقال أنس) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه) وهو من الفيل انفه وفى لفظ خطمه أى فمه أو أنفه والخطم من الدابة مقدم أنفها وفمها (على قلب ابن آدم فان هو) وفى لفظ فاذا (ذكر الله تعالى خنس) أى انقبض وتأخر (وان نسى الله التقم قلبه) فذلك الوسواس الخناس فبعد الشيطان من الانسان على قدر ملازمته الذكر والناس فى ذلك متفاوتون قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وأبو يعلى الموصلى وابن عدى فى الكامل وضعفه اه قلت وكذلك رواه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والبيهقى فى الشعب وفى سند أبى يعلى وابن عدى عدى بن أبى عمارة وهو ضعيف وفى الترغيب لابن شاهين أيضا عن أنس مرفوعا بلفظ أن للوسواس خطما كخطم الطائر فاذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار فى أذن القلب يوسوس فاذا ذكر الله خنس فذلك الوسواس الخناس وأخرج أبو بكر بن أبى داود فى كتاب ذم الوسوسة عن معاوية فى قوله الوسواس الخناس قال مثل الشيطان كمثل عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس وان سكت عاد اليه فهو الوسواس الخناس (وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح) وفى نسخة وجه لا يفلح قال العراقى لم أجد له أصلا (وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه) من أهل الفطرة الانسانية (فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس ورواه الشيخان وأبو داود أيضا وابن ماجه من حديث صفية وقد تقدم فى الصوم (وذلك لان الجوع يكسر) سورة (الشهوات ومجرى الشيطان الشهوات) فامر بتضييقه بالجوع بكسر ما يتولد

ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من أحد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من لم ينظر في ذات الشيطان انه جسم لطيف أو ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة عن الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو قد عرف العدو لا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين

منه (ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الاسلام) أولا (فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه) أي خالفه ولم يسمع قوله (وأسلم ثم) لما أيس منه من طريق الاسلام (قعد له بطريق الهجرة فقال) له (أتهاجر أتدع أرضك وسماءك) وتذهب في بلاد الغربة (فعصاه) وخالفه (وهاجر) فرارا بدينه (ثم) لما أيس منه من طريق الهجرة (قعد له بطريق الجهاد فقال) له (أتجاهد وهو) أي الجهاد (تلف النفس والمال فتقاتل) العدو (فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه) ولم يسمع كلامه (وجاهد) رغما عليه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة) قال العراقي رواه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه باسناد صحيح (فقد ذكر صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه) ويقسم ماله (وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد) ويثبطه عنه (وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فانه سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي) ما دام حيا (وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته) فتارة يتابعه وتارة يخالفه (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله شيطان) كما تقدم قريبا (فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان) وكل منهما في مقابلة الآخر (فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه) هل (هو جسم لطيف أو ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها) عنه (ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل) بصاحبه (فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو) قوي مخاتل (فقد عرفه العبد فينبغي أن يشتغل بمجاهدته) بتضييق الطرق عليه وسد مجاريه (وقد عرف الله سبحانه وتعالى) عباده (عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به) أي يصدق بوجوده (ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه) الآية (وقال تعالى ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) وقال تعالى مخبرا عنه لاقعدن لهم صراطك المستقيم الآية وقال تعالى مخبرا عنه كذلك ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم الآية (فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه) بل بمخالفته وعصيانه (نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه لدفعه) فان معرفة ذلك أكيدة (وسلاح الشيطان الهوى والشهوات) وما ينشأ عنهما (وذلك كاف للعالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين) من أهل اليقين المتغلغلين

المتغلغلين فى علوم المكاشفات فلا يحتاج فى علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغى أن يعلم أن الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك فى كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان أن يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك و وعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك فى نفسه و يستجره بلطيف الحيل الى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روى أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لان له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى و بها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور فى آخر هذا الربع ولعلنا ان أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لاسيما فى المذاهب والاعتقادات

(المتغلغلين فى علوم المكاشفات) الغائصين فى بحارها (فلا يحتاج فى علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغى أن يعلم أن الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك فى كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك أو) من (لمة الشيطان فان من) جملة (مكايد الشيطان) ومصايده وفخوخه (أن يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك صعب) الا على العارفين بمكايده من المتقين من أهل اليقين (وأكثر العباد به يهلكون) لعدم تمييزهم بينهما وهو مقام عامة المسلمين والمؤمنين (فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر) ويلقيه (بصورة الخير) فيشتبه عليهم بذلك (كما يقال للعالم) الماهر (بطريق الوعظ) للعامة (اما تنظر للخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار) وكادوا أن يتساقطوا فيها (اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم) أى تخلصهم (من العطب) أى الهلاك (بنصحك و وعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير) للمعانى (ولسان ذلق) أى فصيح (ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه) وغضبه (وتسكت عن اشاعة العلم) وافادته (ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك) وأمثاله (و يستجره بلطيف الحيل) و يستميله الى ما يلقيه فى خياله (الى أن يشتغل بوعظ الناس مدة ثم يدعوه بعد ذلك الى أن يتزين لهم و يتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير و يقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولا يهتدوا الى الحق) وانما تجلب خواطرهم بتأثير كلامك فيهم اذا تزينت لهم بحسن الزى وأظهرت الفصاحة والبلاغة (ولا يزال يقرر ذلك عنده) و يحسنه له (وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع) والحشم والخدم (و) بكثرة (العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم) على العامة (وهو يظن أن قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن) فى نفسه (انه عند الله بمكان) عظيم (وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم) رواه النسائى من حديث أنس باسناد جيد (و) قال (ان الله) ل(يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى كتاب العلم (ولذلك روى أن ابليس جاء لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال) عيسى (كلمة حق ولا أقولها بقولك لان له أيضا تحت الخير تلبيسات) ومخادعات (وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى و بها تهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء وأصناف الخلق مما يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة) الظاهرة للناس فقد استمالهم بتلك الخدع واستولى على قلوبهم فعميت بها أبصارهم (وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور من هذا الربع) ان شاء الله تعالى (ولعلنا ان أمهل الزمان) وامتد الاجل (صنفنا كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس) وقد قلده جماعة ممن أتى بعده فألف كتابا سماه كذلك منهم ابن الجوزى (فانه قد اشتهر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لاسيما فى المذاهب والاعتقادات) فركبوا كل صعب وذلول وتعصبوا

حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي رجعوا الى نور العلم فاذاهم مبصرون أي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيآت وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب

ونبذوا الحق وراء ظهورهم وخدعهم ابليس بما تلقفوه وجدوا عليه (حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها) وهذا اذذاك وأما الآن فلم يبق منها الا اسمها (كل ذلك اذعانا) أي انقيادا (لتلبيسات الشيطان) وتأويلاته (ومكايده) ومصايده ونفوخه فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك أولمة الشيطان (وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة) المؤيدة باليقين (لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى) اذهو مفتاح المكشوفات (والبصيرة) النافذة (وغزارة العلم) أي وفرته وهو العلم بالله وهو مكان التوحيد وتمكن الموحد فيه على قدر المكان (كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي رجعوا الى نور العلم فاذاهم مبصرون أي ينكشف لهم الاشكال) وينجلي لهم الابهام (فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان) والانقياد لتلبيسه (بمتابعة الهوى) والميل النفسي (فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيآت) وذلك حين تعرض صحائفهم وهو زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد (وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد) واليه ذهب عبد الرحيم بن يحيى الارموي ومن تبعه من الشاميين اذ قالوا في شرح حديث طلب العلم فريضة قالوا انما عنى به طلب معرفة علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه ومكره وغدره ومايصلح الاعمال ومايفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص فريضة ومن حيث اعلم بعداوة ابليس ثم أمر بمعاداته كما تقدم ذلك في أول كتاب العلم مفصلا (وقد أهمله الخلق) برمة (واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته) التي اعلموا بها (و) تنسيهم (طريق الاحتراز عنه) وقد أمروا به (ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد أبواب الخواطر) النفسية والشيطانية (وأبوابها من خارج هي (الحواس الخمس) فانها التي يرد على القلب منها مايرد من الخواطر الرديئة (وأبوابها من داخل) هي (الشهوات وعلائق الدنيا) لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الشهوات وعلائق الدنيا هي مجال الشهوات (والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس) الخمس من ظاهر فلا يقع تفرقة على القلب (والتجرد عن الاهل والمال) والحشم والاتباع والجاه (يقلل مداخل الوسواس من الباطن) اذ ماذكر هو الذي كان سببا لدخول الوسوسة في القلب فاذا انسلخ عنه حفظ في حاله (وتبقى مع ذلك مداخل باطنه من التخيلات الجارية في القلب) لا يقوى الانسان على دفعها عنه لانفعاله بها (وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى) مع المراقبة عليه (ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه) بواسطة النفس لما بينهما من المناغاة والمحادثة والتأليف فتتسلط عليه النفس فتنطلق في شيء بهواها من القول والفعل فيتأثر القلب لذلك (و) حينئذ (يلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته) بان يعود من مواطن مطالبات النفس ويقبل على ذكر الله ومحل مناجاته فيستنير القلب ويقبل على النفس معاتبا لها على متابعتها الهوى فتذل لذلك (وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا) فهو كالغريم الملازم الذي لا ينفك (نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه) وقد روى أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي أغفر لهم ما استغفروني (فانه مادام حيا فابواب الشر مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة

والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه

والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها) في محالها (ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل) بل يخشى منه الهجوم من هذا الباب (لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن) البصري (يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا) أشار الى أنه هجام على قلب المؤمن غير غافل عن مكايدته (فاذا الاخلاص للمؤمن منه) بوجه من الوجوه (نعم له سبيل الى دفعه) ومقاومته وكسر سورته (وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن) الكامل (ينضي) وفي لفظ لينضي أي يهزل ويضعف (شيطانه) لكثرة اذلاله وجعله أسيرا تحت قهره وتصرفه ومن أعز سلطان الله أعزه الله وسلطه على عدوه وحكم عكسه عكس حكمه (كما ينضي أحدكم بعيره في سفره) لان البعير يتجشم في سفره أثقال حمولته فيصير نضوا لذلك رواه أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة قاله العراقي قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان والحكيم الترمذي في نوادر الاصول (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (شيطان المؤمن مهزول) وذلك لانه يتجشم أثقال غيظه منه لما يراه من الطاعة والوفاء فيقف منه هزيلا ضعيفا ذليلا لعجز جر الكلاب عنه (وقال قيس بن الحجاج) الكلاعي المصري صدوق مات سنة تسع وعشرين ومائتين روى له الترمذي وابن ماجه (قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور) وهي الناقة السمينة (وأنا الآن مثل العصفور) أي في غاية من النحافة والهزل (قلت ولم) ذلك (قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية) أي الظاهرة (التي تفضي الى المعاصي الظاهرة) أي توصل اليها لان بالتقوى وجود خالص الذكر به ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقي حتى يحمي الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم ينتقل تقواه الى باطنه ويطهر الباطن ويقيده عن المكاره ثم عن الفضول ثم عن حديث النفس (وانما يتعثرون في طرقه الغامضة) الخفية (لانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ) فيما سيأتي ان شاء الله تعالى (والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد) من هذه الابواب (وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة) فلا يكاد يهتدى له والعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق) كثيرة المفارق (غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق) ولا يهتدي الى مطرق يكون سلوكه (الا بعين بصيرة) تدرك التمييز بين تلك الطرق (أو طلوع شمس مشرقة) تنسخ تلك الظلمات (والعين البصيرة ههنا القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير) أي الكثير (المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله) صلى الله عليه وسلم (فيهما يهتدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة) والمراد بالعلم هنا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله) مستقيما (ثم خط خطوطا عن يمين) ذلك (الخط و) عن (شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) فتفرق بكم عن سبيله أي (لتلك الخطوط) التي عن يمينه وشماله (فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه) قال العراقي رواه النسائي في الكبير والحاكم وقال صحيح الاسناد اهـ قلت وكذلك أخرجه عبد الرحمن وأحمد والبزار وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه

وسياقهم جميعا كسياق المصنف وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن مردويه عن ابن مسعود ان رجلا سأله ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه الجنة وعن يمينه جواد وعن شماله جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وأخرج أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط هكذا امامه فقال هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذا سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الاوسط وتلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية (وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة) فضلا عن غيرهم (فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل) أي عابد في صومعته (فعمد الشيطان الى جارية فخنقها) أي لبسها وصرعها وكانت جميلة (وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب) أي هو يرقى عليها فيتطبب لها (فأتوا بها اليه) وعرضوا حالها عليه (فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان) من باب الشهوة (فزين له مقاربتها) أي ألقى في قلبه أن يجامعها (فلم يزل به) يخالجه ويستميله (حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح ويأتيك أهلها) فيرون بها الحمل فيفضحونك وتسقط من مقامك عندهم (فاقتلها فان سألوك فقل ماتت) ولم يزل يسوّل له حتى أطاعه (فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله قطين في مسنده من حديث علي اهـ قلت ومرسل عبيد بن رفاعة وهو الزرقي أخرجه أيضا البيهقي في الشعب وقالوا فيه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن المنذر والخرائطي في اعتلال القلوب من طريق عدي بن ثابت عن ابن عباس من قوله نحوه قال كان راهب في بني اسرائيل متعبدا زمانا حتى كان يؤتى بالمجانين فيقرأ عليهم ويعوّذهم حتى يبرؤا فأتى بامرأة في شرف قد عرض لها الجنون جاء بها اخوتها اليه ليعوذها وساق القصة وفيها فاسجد لي سجدة واحدة فسجد له وكفر فقتل على ذلك الحال وأما موقوف علي عند الحاكم فقد أخرجه أيضا عبد بن حميد وابن راهويه وأحمد في الزهد وعبد الرزاق والبخاري في التاريخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ ان رجلا كان يتعبد في صومعة وان امرأة كانت لها اخوة فعرض لها شئ فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها الى آخر القصة وفي آخرها فاسجد لي سجدة أنجيك فسجد له وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال كان راهب من بني اسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته وكان يؤتى من كل أرض فيسئل عن الفقه وكان عالما وان ثلاثة اخوة لهم أخت حسناء من أحسن الناس وانهم أرادوا أن يسافروا وكبر عليهم أن يدعوها ضائعة فعمدوا الى الراهب فقالوا انا نريد السفر وانا لا نجد أحدا أوثق في أنفسنا ولا آمن عندنا منك فان رأيت جعلنا أختنا عندك فانها شديدة الوجع فان ماتت فلم عليها وان عاشت فاصلح اليها حتى نرجع فقال أكفيكم ان شاء الله تعالى فقام عليها فداواها حتى عاد اليها حسنها وانه اطلع عليها فوجدها متصنعة ولم يزل به الشيطان حتى وقع عليها فحملت ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها وقال ان لم تفعل افتضحت فلم تكن لك معذرة فلم يزل به حتى قتلها فلما قدم اخوتها سألوه ما فعلت قال ماتت

وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك

لم يستوف الشارح في هذه الصحيفة والتي بعدها المتن بتمامه اهـ مصححه

فدفنها

فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه
انه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض
بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه *(بيان
تفصيل مداخل الشيطان الى القلب)* اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه
ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان * فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما
وأنا خلق من خلق الله اذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربى أن يتوب على فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد
النزول قال له ربه أدّ الامانة فقال موسى يارب عبدك ابليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى الى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره
أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر
وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال ياموسى ان لك على حقا بما شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرنى حين

قد فتنتها قالوا أحسنت فعلوا يرون فى المنام ويخبرون ان الراهب قتلها وانها تحت شجرة كذا وكذا وانهم
عمدوا الى الشجرة فوجدوها قد قتلت فعمدوا اليه فاخذوه وقال الشيطان أنا الذى زينت لك الزنا
وزينت لك قتلها فهل لك أن أنجيك وتطيعنى قال نعم قال فاسجد لى سجدة واحدة فسجد له ثم قتل وأخرج
ابن جرير عن ابن مسعود فى هذه الآية قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوى
بالليل الى صومعة راهب فنزل الراهب ففجر بها فأتاه الشيطان فقال اقتلها فقتلها ثم ساق القصة وفيها
فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فانزلوه وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس نحوه
(فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر) من الزنا والقتل والسجود لغير الله تعالى (وكل
ذلك فى طاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما ظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك
فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى
البعض بحيث لا يجد محيصا) عنه (فنعوذ بالله من تضييع أوائل الامور) ومن ضيع الاصول حرم
الوصول (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) متفق عليه من
حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظ البخارى

(بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب)

(اعلم أن مثال القلب مثال حصن) منيع وله أبواب (والشيطان) كأنه (عدوّ يريد أن يدخل الحصن
فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع
ثلمه) أى الثقب والكسر (ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه فحماية القلب عن وسواس
الشيطان واجب) وأمره أكيد (وهو فرض عين على كل مكلف) كما ذهب اليه عبد الرحيم بن يحيى
الارموى ومن تبعه وقد تقدم قريبا (وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع
الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه) التى يدخل بها على
القلب (صفات العبد) فانها بمنزلة الابواب والمداخل بالنسبة اليه (وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب
العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان) وأصل الدرب المضيق بين الجبلين
(فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل) أى يتغوّل به العقل (واذا ضعف جند
القلب هجم جند الشيطان) وجند العقل هو العلم بالله واليقين وجند الشيطان الجهل والطمع وحب الدنيا
(ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة) يدحرجه كيف يشاء كما يفعل الصبى
بالكرة (كما روى) فى الاسرائيليات (ان موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له ياموسى أنت الذى
اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت) وعصيت (وأريد أن أتوب فاشفع لى
الى ربى أن يتوب علىّ) أى يقبل توبتى (فقال) له (موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فاوحى الله تعالى
الى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى ابليس فقال قد
أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب) ابليس (واستكبر وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا
ثم قال ياموسى ان لك على حقا بما شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرنى حين

تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي واياك أن تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فلا أزال حتى أفتنك بها وافتنها بك فقد أشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى وقد حكى أن ابليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شئ أعماه حرصه وأصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس سأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما

تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف) أي صف الكفار (فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي) ظهره (واياك أن تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فانا رسولها اليك ورسولك اليها فقد أشار) ابليس (بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله) كما سيأتي في عدم سجوده لآدم ميتا أيضا أنفة وعجب وكبر وكل هؤلاء من مداخله في بني آدم كما سيأتي ذلك كله (وقد ذكر) في بعض الكتب (ان بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى) أي ميل النفس الى أمر دنيوي (فقد حكى ان ابليس ظهر لراهب) من رهبان بني اسرائيل (فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك) أي أكثر عونا لك في ما يملكه والدخول عليه (قال الحدة) وهي التسرع في الغضب (فان العبد اذا كان حديدا) في غضبه (قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه) وابن آدم لا يخلو من تينك الحالتين وهو فيهما ملازم له بعده وبعينه ويراه من حيث لا يراه فكيف يغلبه (ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان الحريص على كل شئ أعماه حرصه وأصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم) رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف قاله العراقي قلت وكذلك رواه العسكري في الامثال كلاهما من طريق بقية بن الوليد عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعا ولم ينفرد بقية فقد تابعه أبو حيوة شريح بن يزيد ومحمد بن حرب كما عند العسكري ويحيى البابلي كما عند القضاعي في مسنده وعصام بن خالد ومحمد بن مصعب كما عند أحمد في مسنده وابن أبي مريم ضعيف لا سيما وقد رواه أحمد عن أبي اليمان عن ابن أبي مريم فوقفه والاول أكثر وقد بالغ الصغاني فحكم عليه بالوضع وتعقبه العراقي بان ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بالكذب وانما هو ضعيف ويكفي سكوت أبي داود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف بل هو حسن * والمعنى ان من الحب ما يعمي عن طريق الرشد ويصم عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن الرشد قاله العسكري وقيل معناه يعمي ويصم عن الآخرة وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الاغراق في حبه (ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة) أي اختلاسا حذرا من فواته (فيحسن) أي يزين (عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا أو فاحشا) لكنه موافق لما تشتهيه نفسه (فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح) عليه السلام وقد عرفه (اخرج منها يا عدو الله فانك لعين) أي مبعد عن رحمة الله (فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى الى نوح لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس جميعا الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما) يشير الى ما صنعه من ابائه السجود لآدم

وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص * ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا انصح مسلما أبدا ويقال فى كثرة الاكل ست خصال مذمومة أولها أن يذهب خوف الله من قلبه الثانى أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لايجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لايقع فى قلوب الناس والسادس ان يهيج فيه الامراض ومن أبوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه * ومن أبوابه العظيمة الطمع فى الناس لانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين ان طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فانى أملكك اذا غضبت ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الامور وقال صلى الله عليه

لآدم حسدا منه عليه (وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتى منه بالحرص) يشير الى ماوقع منه من القربان الى الشجرة المنهى عن أكلها وانما كان ذلك حرصا على طول لبقائه بتمنية الشيطان واغرائه له (ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا) لاشبهة فيه (فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات مسلحة الشيطان) جمع سلاح (فقد روى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ) جمع معلاق ما يعلق به اللحم وغيره وما يعلق بالزاملة أيضا نحو القمقمة والمطهرة والقربة (فقال له يا ابليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصيب بها ابن آدم قال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا * ومن أبوابه) التى يدخل منها (حب التزين من الاثاث) أى أمتعة الدار (والثياب) وهى ما يلبسها (والدار) التى يسكنها (فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ) وهو كناية عن استدامة اللبث والاقامة فيه (فلا يزال يدعوه) أولا (الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها) وكثرة مرافقها (ويدعوه) ثانيا (الى التزين بالثياب) الفاخرة (والدواب) الفارهة (ويستسخره فيها طول عمره واذا أوقعه فيها فقد استغنى أن يعود اليه) مرة (ثانية فان بعض ذلك يجر الى البعض) وبعده (فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ) مثله (الى أن يساق اليه أجله) المحتوم (فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى) النفسى (ويخشى) عليه (من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه) وهذا مشاهد الآن فى أكثر الناس (ومن أبوابه العظيمة الطمع) فى الناس (فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن اليه) أى يزين فى عينه (التصنع والتزين) أى اظهار الصنع والزينة (ان طمع فيه) أى فى ماله أو جاهه (بأنواع) من (الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك) صعب ذلك المدخل أو هان (وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد روى صفوان بن سلمة) كذا فى النسخ والصواب ابن سليم كما فى نسخة صحيحة وهو أبو عبد الله المدنى الفقيه وهو من موالى بنى زهرة قال ابن سعد ثقة كثير الحديث عابد وقال أحمد هذا رجل يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره وقال مالك كانت ترم رجلاه من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر قيل انه حلف أن لا يضع جنبه على الارض فمكث على ذلك أربعين عاما ومات وانه لجالس سنة ١٣٢ روى له الجماعة (أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة) بن أبى عامر الراهب الانصارى له رواية وأبوه حنظلة غسيل الملائكة قتل يوم أحد واستشهد عبد الله يوم الحرة فى ذى الحجة سنة ١٧٣ وكان أمير الانصار بها روى له أبو داود (فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيأ أعلمكه فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت) يعنى كف نفسك عن انزال حاجتها لغير الله تعالى واحفظها عند الغضب (ومن أبوابه العظيمة العجلة) أى الاسراع (وترك التثبت فى الامور وقال صلى الله عليه

وسلم العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فأيسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة * ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما زيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ماوجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى دارا يعمرها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع   في

وسلم العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى) قال العراقى رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة وقال حسن اه قلت لفظ الترمذى الاناة من الله والعجلة من الشيطان وهكذا رواه العسكرى فى الامثال كلاهما من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل الساعدى عن أبيه عن جده مرفوعا به وقال الترمذى حسن غريب وقد تكلم بعضهم فى عبد المهيمن وضعفه من قبل حفظه وروى أبو بكر بن أبى شيبة وأبو يعلى عنه وابن منيع والحرث بن أبى أسامة كلهم فى مسانيدهم من طريق سنان بن سعد عن أنس مرفوعا بلفظ التأنى من الله والعجلة من الشيطان وأخرجه البيهقى فى السنن كذلك فسمى الراوى عن أنس سعد بن سنان وهو ضعيف وقيل لم يسمع من أنس وروى العسكرى من طريق سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلا التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا قال والتبين عند أهل اللغة مثل التثبت فى الامور والتأنى وقد تقدم فى كتاب العلم عند قصة حاتم الاصم ما استثنى من العجلة واستحب فيه الاسراع (وقال) الله (تعالى خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) وذلك حين كان صلى الله عليه وسلم يتلقف القرآن من جبريل عليه السلام فيتسارع الى أخذه خوفا من نسيان شئ منه فأمر بعدم العجلة فيه وضمن له بان يحفظه ويجمعه فى صدره (وهذا لان الاعمال ينبغى أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك) فقد روى البيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس رفعه اذا تأنيت اصبت أوكدت واذا استعجلت أخطأت أوكدت تخطئ وقد قيل فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين ابليس) أى رئيسهم (فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث) الزموا (مكانكم) حتى آتيكم بخبره (فطار حتى أتى خافقى الارض) أى جانبيه (فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به) أى مجتمعين حواليه (فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا) أى اقطعوا طمعكم (من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة) أى فلم يكن لكم مدخل فيهم الا من هذا الباب فقط وقد حماه الله تعالى من حضور الشيطان عند ولادته والطعن فى خاصرته كما ثبت ذلك فى الاخبار الصحيحة فقد روى أحمد وابن أبى شيبة ومسلم من حديث أبى هريرة ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه وعند ابن جرير ما من مولود الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى بن مريم ومريم (ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فكل ما زيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب) عن هم المعيشة (فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى) من بعضها (دارا يعمرها ويشترى) من البعض (جارية) يتسراها (ويشترى) من البعض (أثاث البيت) من فرش وذخيرة (ويشترى) من البعض (الثياب الفاخرة) لنفسه (وكل شئ من ذلك يستدعى شيأ آخر يليق به) مما لا يفى به ذلك المال (وذلك لا آخر له فيقع

في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه * قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤ وقالوا ماندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين و يقولون ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال ياعيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر ذلك بباله ولا يتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز وقال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ماغلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في

(في هاوية) احدى دركات النار (آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواها قال ثابت) بن أسلم (البناني) أبو محمد البصري المتوفى سنة بضع وعشرين عن ست وثمانين روى له الجماعة (لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه) وهم جنده وعساكره (لقد حدث أمر) من قبل رجمهم بالكواكب ومنعهم عن استراق السمع (فانظروا ماهو فانطلقوا) ينظرون (حتى أعيوا) أي عجزوا (ثم جاؤ وقالوا ماندري) الذي حدث (قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم) بالوسوسة والقاء الشهوات (ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم بالدنيا فنصيب منهم حاجتنا) أي تكثر مداخلنا فيهم فنملكهم بذلك قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا اهـ قلت وقد أخرج بعض هذه القصة ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في دلائل النبوة عن ابن عباس قال كان الشياطين لهم مقاعد في السماء يستمعون فيها الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم ترمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ماهذا الا لأمر حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقالوا هذا الحدث الذي حدث في الارض وأخرج الواقدي وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر وقال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب وأخرجا عن أبي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها (وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا) أي جعله وسادته (فمر به ابليس فقال ياعيسى رغبت في الدنيا فأخذه عليه السلام فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده) ويتكئ عليه (فلا يزال يدعوه الى النوم والى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ذلك ولا تتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف) حال (من يملك المخاد الوثيرة) أي اللينة المحشوة بالقطن والصوف أو الريش (والفرش اللينة) المحشوة (والمتنزهات الطيبة فتى ينشط لعبادة الله تعالى) هيهات وذلك قد جرت به العادة ومعاداتها أصعب ما يكون (ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر) في الحال والمستقبل (فان ذلك هو الذي يمنع) الانسان (من الانفاق) في سبيل الله (و) من (التصدق) على المستحقين (ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم) أي الموجع (وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن) وهو قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (وقال خيثمة بن عبد الرحمن) بن أبي سبرة يزيد بن مالك الجعفي لابيه ولجده صحبة قال ابن معين والنسائي ثقة وقال العجلي كان رجلا صالحا وكان سخيا قال وروي على ابراهيم النخعي قباء فقيل له من أين لك هذا فقال كسانيه خيثمة مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (ان الشيطان يقول ماغلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث) خصال (ان آمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه) أي يأخذ من حيث لا يستحق أخذه وينفق على من لا يستحقه ويمنع عمن يستحقه (وقال سفيان) الثوري (ليس للشيطان سلاح) يقاتل به ابن آدم (مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في

الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هى معشش الشياطين وقال أبو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك مالم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصايد قال النساء ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابى بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوله اذ موالى أبى بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ مابين لحييه وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة فى فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه وهو لا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام

الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء) واليه الاشارة بقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع الاموال) وكذا المسافرة الى بلاد بعيدة وركوب الاخطار لذلك (والاسواق هى معشش الشياطين) أى مجمعهم الذى يلازمونه ويركزون فيها راياتهم (وروى أبو أمامة) الباهلى رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما) أى مرجوما مطرودا (فاجعل لى بيتا آخر قال الحمام) فهو يسكن فيه دائما اذ هو محل كشف العورات (قال اجعل لى مجلسا) أجلس فيه (قال الاسواق ومجامع الطرق) فهى محل انتشارهم (قال اجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم) وهو غرز الجلد بالابرة ثم يذر عليه النؤور وهو دخان الشحم حتى يخضر وقد وشمت المرأة يدها وشما اذا فعلت ذلك وهو من فعل الجاهلية وقد بقى عادة فى عوام الريف (قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مكايد قال النساء) فهن حبائل الشيطان كما رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الرحمن بن عابس بلفظ الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان ورواه ابن لال من حديث ابن مسعود وأكثر الروايات حبائل الشيطان بلفظ الجمع قال العراقى حديث أبى أمامة هذا رواه الطبرانى فى الكبير واسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا (ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء) المختلفة (والحقد) أى اضمار العداوة (على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فالطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية) البهيمية (فاذا خيل اليه الشيطان) أى ألقى فى خياله (ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن) فى نفسه (انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشيطان فترى الواحد منهم يتعصب لابى بكر الصديق رضى الله عنه) أى فى محبته وتفضيله على غيره من الصحابة (وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول) والهذيان (والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه أبو بكر) رضى الله عنه (لكان أول عدوله) أى أول من يعاديه وينكر عليه (اذ موالى أبى بكر) رضى الله عنه (من أخذ سبيله) وسلك منهاجه (وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه) أى من أكل الحرام والكلام فيما لا يعنى (وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة فى فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه) ومن سيرته أيضا انه كان لا يأكل الا من حل ولا يستقر فى جوفه ما فيه شبهة (فأنى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه) وهو يأكل الحرام ويتكلم بما لا يعنى (وترى فضوليا آخر يتعصب لعلى) رضى الله عنه ويذهب الى حبه وتفضيله على غيره (وكان من زهد على) رضى الله عنه (وسيرته انه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا عبد الله ابن مطيع حدثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبى سعيد الازدى قال رأيت عليا أتى السوق وقال من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم فقال رجل عندى فجاء به فأعجبه فقال لعله خير من ذلك قال لا ذلك ثمنه قال فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه واذا هو يفضل من أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه (وترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام

وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه و يدعيه وهو أوّل خصمائه يوم القيامة وليت شعرى من أخذ ولدا عز يز الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه و يمزقه و ينتف شعره و يقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه و ولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب الى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الاهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع و يقطعونه بمقاريض الشهوات و يتوددون به الى عدوّ الله ابليس وعدوّ أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماتحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابى بكر وعمر فالنار لاتحوم حوله و يخيل الى الآخر أنه اذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه اعملى فانى لاأغنى عنك من الله شيأ وهذا مثال أو ردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبى كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم * وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سوّلت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقصموا ظهرى

وهو يتعاطى حب على) رضى الله عنه (و يدعيه وهو أوّل خصمائه يوم القيامة وليت شعرى من أخذ ولدا عز يز الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه و يمزقه و ينتف شعره و يقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه و ولائه فكيف يكون حاله عنده) أيقربه عنده و يصدق حبه له أم يبعده و يبغضه (ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب) الاشياء (الى أبى بكر وعلى) رضى الله عنهما بل (و) الى (سائر الصحابة رضى الله عنهم من الاهل والولد بل من أنفسهم) كما هو ظاهر لمن سبر أخبارهم وعرف سيرتهم (والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع و يقطعونه بمقاريض الشهوات و يتوددون به الى عدو الله ابليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند) لقاء (الصحابة وعند) لقاء (أولياء الله تعالى بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماتحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم) وسوء سيرتهم (ثم الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابى بكر وعمر) رضى الله عنهما (فالنار لاتحوم حوله) أى لاتقربه (و يخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلى) رضى الله عنه (لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه) كما رواه الشيخان وأحمد والحاكم من حديث المسور بن مخرمة فاطمة بضعة منى يقبضنى مايقبضها و يبسطنى مايبسطها وعند البخارى فى التاريخ فمن أغضبها فقد أغضبنى يافاطمة (اعملى) لله خيرا (فانى لاأغنى عنك من الله شيأ) يوم القيامة قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت و رواه أيضا البيهقى فى السنن بلفظ يافاطمة بنت محمد اشترى نفسك من النار فانى لاأملك لك شيأ و رواه البزار من حديث سماك بن حذيفة عن أبيه بلفظ يافاطمة بنت رسول الله اعملى لله خيرا فانى لاأغنى عنك من الله شيأ (وهذا مثال أو ردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة) المتبوعين رضى الله عنهم (فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته) المعهودة عنه من زهد فى الدنيا وتقوى من الله واخلاص فى العمل (فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبى العمل) بالعلم الذى تلقفته (دون الحديث باللسان و) انما (كان الحديث باللسان لاجل العمل) به (لا لاجل الهذيان) والتعصبات (فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت اليه) وحثثت عليه (ثم ادعيت مذهبى كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم) واطماعهم (واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب) لمذاهبهم واعتقاداتهم (فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان) وخدعه (فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكايده بهم فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا) بانفسهم (وأهلكوا) غيرهم (والله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (بلغنا أن ابليس قال سوّلت لامة محمد المعاصى) أى زينتها فى أعينهم (فقطعوا ظهرى

بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى
المعاصي فكيف يستغفرون منها *ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين

بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء) أي اتباع ما تهواه نفوسهم فظنوها عبادة لا ذنوبا (وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها) وكل ما جر الى المعصية فهو معصية ولو علموا انه سبب للمعصية لتابوا منه ولكن الشيطان أعمى بصائرهم عن فهم ذلك (ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه (جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع) لقوة حالهم في الذكر (فأتى رفقة أخرى) بالقرب من ذلك المجلس (يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد) وانما يريد تفرقة أولئك القوم الذين يذكرون الله (فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا يفصلون بينهم) ويصالحونهم (فتفرقوا عن مجلسهم) وتركوا ذكر الله تعالى (وذلك مراد الشيطان منهم) وقد ناله ويرشحه ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث جابر ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون ولكن هو في التحريش بينهم أي يسعى في اغراء بعضهم على بعض وحملهم على الفتن والحروب والشحناء وهذا من دقائق دسائسه (ومن أبوابه) العظيمة (حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم) ولم يزاولوا فيه بالتعلم والدراسة والانكباب على تحصيله على الهيئة المعهودة (ولم يتبحروا فيه) بالغوص على مشكلاته (على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم) أي يوقعهم في الشك (في أصل الدين أو يخيل اليهم) في أثناء تفكيره (في الله تعالى خيالات) وظنونات (يتعالى الله عنها) ويجل شأنه عن نسبتها اليه (يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع في صدره) وأوقر في باله (يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له بذكائه وزيادة عقله فاشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه) أي اعجابا به (وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله) أي فليقل أخالف عدو الله المعاند وأومن بالله وبما جاء به رسول الله (فان ذلك يذهب عنه) لان الشبه منها ما يندفع بالاعراض عنها ومنها ما يندفع بقلعه من أصله بتطلب البراهين والنظر في الادلة مع امداد الحق بالمعونة والوسوسة لا تعطي ثبوت الخواطر واستقرارها فلذا أحالهم على الاعراض عنها قال العراقي رواه أحمد والبزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ قلت ورواه كذلك من حديث عائشة ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء من خلق الارض فيقول الله فيقول من خلق الله فمن وجد من ذلك شيأ فليقل آمنت بالله ورسله ولفظ البخاري يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته ورواه مسلم أيضا وروى الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء فيقول الله فيقول من خلق الارض فيقول الله فيقول من خلق الله فاذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسوله ورجاله رجال الصحيح خلا أحمد بن محمد بن نافع الطحان شيخ الطبراني ورواه أيضا في الاوسط بلفظ من خلق السموات وفيه حتى يقول فمن خلق الله ورواه هكذا أحمد وعبد ابن حميد والطبراني في الكبير أيضا من حديث خزيمة بن ثابت (فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالبحث عن علاج هذا الوسواس) من الشيطان (فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء) منهم

الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله ابن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم *ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل اليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء

وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما أردنا بما أوردناه المثال ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك وروى عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد واني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك

العارفين بنور البصيرة وقد استقر الايمان في قلوبهم فلا يتزلزلون (وانما حق العوام أن يؤمنوا) أي يصدقوا بقلوبهم (ويسلموا) أي ينقادوا لامور الدين (ويشتغلوا بعبادتهم) الظاهرة (ومعايشهم) بينهم (ويتركوا العلم) والغوص في معانيه (للعلماء) الصادقين (فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم) وذلك بمعرفة حججه وبراهينه مع مساعدة تأييد الله تعالى وشهود نور اليقين (وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة) ومن ذلك قول سهل التستري افشاء سر الربوبية كفر فان العوام اذا ورد على اسماعهم ما تنبو عنه طباعهم لم يقبلوه وصاروا أعداء ما جهلوه فالاولى أن لا يخاطبوا بمثل ذلك صيانة لهم عن الزيغ والوقوع في الكفر (ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب) والاهواء والآراء (لا تحصر وانما أردنا بما أوردناه المثال) لينبه على ما وراءه (ومن أبوابه) العظيمة (سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قال ابن عباس نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوأ أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب وروى الشيخان من حديث أبي هريرة اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وأخرج ابن مردويه من حديث عائشة مرفوعا من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه ان الله تعالى يقول اجتنبوا كثيرا من الظن (فمن يحكم بشر على غيره بالظن) والظن يخطئ ويصيب (بعثه الشيطان) أي حمله (على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو) حمله على أن (يقصر في القيام بحقوقه) الواجبة عليه (أو يتوانى) أي يتهاون (في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات) وأصله الذي نشأت منه سوء الظن فليجتنبه ليسلم من المهالك (ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم) قال العراقي لم أجد له أصلا قلت أخرج الزبير بن بكار في الوفقيات عن عمر بن الخطاب قال من تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وأخرج البيهقي في الشعب عن سعيد بن المسيب قال كتب لي بعض اخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض نفسه للتهم فلا يلومن الا نفسه (حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن علي بن حسين) بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور قال ابن عيينة عن الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة (ان صفية بنت حيي) بن أخطب الاسرائيلية أم المؤمنين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خيبر وماتت في خلافة معاوية على الصحيح (أتته) زائرة (وقت الصبح وكان معتكفا في المسجد فتحدثت عنده ثم انصرفت) وانطلق معها يشيعها الى دارها (فمر به رجلان من الانصار فسلما) عليه (ثم انصرفا فناداهما وقال) لهما (انها صفية بنت حيي فقالا) يا سبحان الله (يا رسول الله لا نظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد واني خشيت أن يدخل عليكما) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية ورواه أيضا أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس وقد تقدم في الصوم (فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما) عن مرور ذلك الوهم في قلبهما (وكيف أشفق) صلى الله عليه وسلم (على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهم حتى لا يتساهل العالم الورع) المتقي (المعروف بالدين) والصلاح (في أحواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم

قال الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس

قال الشاعر *(وعين الرضا عن كل عيب كليلة)* أي غاضة *(ولكن عين السخط تبدى المساويا)* وذلك لان الانسان اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العذل وأعماه عن الرشد وقال بعضهم في ذلك * وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى * (فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك) أي سوء ظنه (خبثه يترشح منه وانما رأى غيره من حيث هو) والاناء يرشح بما فيه (فان المؤمن يطلب المعاذير) أخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوأ وأنت تجد لها في الخير محملا وفي الموفقيات للزبير بن بكار مثله بزيادة وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك (والمنافق يطلب العيوب) ويتتبع العثرات (والمؤمن سليم الصدر) من الغل والحقد في حق كافة الخلق (فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعه) على سبيل الاحاطة (لم تقدر عليه وفي هذا القدر) الذي ذكر (ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان) يقاتل به المؤمن (ومدخل من مداخله) الى القلب (فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان) عن حمى القلب (وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى) بأي وجه كان (وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله) وغير ذلك من الاذكار الواردة في السنة (فاعلم ان علاج القلب في ذلك) أولا (سد هذه المداخل) التي هي عبارة عن أبواب هي تلك الاوصاف المذكورة (بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة) فاذا سلم القلب من دخوله عليه من هذه الابواب فقد طهر فالكلام كله على التجنب عن هذه الصفات مهما أمكن (وذلك مما يطول ذكره (وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج صفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد كما سيأتي) ان شاء الله تعالى (نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات) وسدت مداخله منها (كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار) وتمكن بالكلية (ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة) وذلك بعد التنصل عن العلائق وصدق التوبة والانابة (والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فانه (خصص بذلك المتقي) فقال ان الذين اتقوا فعلم من ذلك ان عمارة القلب بالتقوى شرط في تأثير الذكر ودفع سورة الشيطان (فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم ينزجر بأن تقول له اخسأ) أي تأخر (فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم) أو خبز (وهو جائع فانه يهجم على اللحم) أو الخبز (ولا يندفع بمجرد الكلام) الزاجر (فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر بمجرد الذكر) ولا يحتاج في دفعه الى معالجة (فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه) أي داخله (فيستقر الشيطان في سويداء القلب) فيحتاج الى معالجة شديدة لاخراجه عنه (وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس

الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن
وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان

المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى الله فأظل جائعا واذا شرب سمى الله فأظل عطشانا واذا لبس سمى الله فأظل عريانا واذا دهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا ابليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ أو يتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام

فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ

الشيطان) أي تأخر وانقبض (ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي اطلب اللجأ الى الله تعالى من شره (وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين) أي مدهون مسرح الشعر وافر اللحم (وشيطان المؤمن مهزول) أي نحيف البدن (أشعث أغبر عار) الجسد (فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى) الله تعالى على أكله (فأظل جائعا واذا شرب سمى) الله تعالى على شربه (فأظل عطشانا واذا لبس سمى) الله تعالى عند لبسه (فأظل عريانا واذا ادهن سمى) الله تعالى عند ادهانه (فأظل شعثا) متفلا (فقال) شيطان الكافر (لكني مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه) وادهانه فقد روى مسلم من حديث جابر ان الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان الحديث وروى الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ان الشيطان حساس لحاس من الطعام فاحذروه على أنفسكم الحديث ودل أثر أبي هريرة السابق ان الشيطان يأكل ويشرب ويلبس ويشم حقيقة وقد شنع ابن العربي في شرح الترمذي على من قال ان أكله انما هو الشم فقط بل الصحيح انه يشم ويأكل وله لذة في الشم كلذته في اللقمة كلذتنا في كل طعمة (وكان) أبو عبد الله (محمد بن واسع) البصري العابد (يقول كل يوم بعد صلاة الصبح) هذه الاستعاذة (اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا) يعني به الشيطان (يرانا هو وقبيله) أي جماعته (من حيث لا نراهم) لكونهم يجرون مجارى الدم (اللهم فآيسه منا) أي اجعله مأيوسا منا (كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير قال) الراوي (فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا ابليس قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة قال والله ما أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت) وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق سلام بن أبي مطيع قال كان محمد بن واسع اذا صلى المغرب يلتزق بالقبلة يصلي فقال حدثني خياط كان يقرب منه قال كان يقول في دعائه أستغفرك من كل مقام سوء ومخرج سوء وعمل سوء وقول سوء ونية سوء أستغفرك منه فاغفر لي وأتوب اليك منه فتب علي وألقي اليك بالسلام قبل أن يكون لزاما (وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى) الانصاري تابعي وهو والد محمد وأبوه أبو ليلى له صحبة واختلف في اسمه على أقوال شهد أحدا وما بعدها وعاش الى خلافة علي (قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ أو يتعوذ فلا يذهب فأتاه جبريل عليه السلام فقال قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك في الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن خنبش وقيل كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن هل له صحبة فقال لا أعرفه (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (نبئت ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ

آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت من برد
ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك

الشيطان فجا غير الذي سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شرب به بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى

نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف القلوب
يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من
فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من

آية الكرسي) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا (وقال صلى الله عليه وسلم لقد أتاني الشيطان فنازعني) أي في الصلاة (ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه الحديث وللنسائي في الكبير من حديث عائشة كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال وجدت برد لسانه على يدي واسناده جيد اهـ قلت وللبخاري أيضا ان الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا ورواه مسلم أيضا نحوه وفي لفظ له فشد علي بشهاب من نار ليجعله في وجهي وفي لفظ آخر عرض لي في صورة هر (وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك الشيطان فجا) أي طريقا (سلكه عمر) كذا في النسخ وفي بعض النسخ ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره قال العراقي متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ ابن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكا فجا الحديث اهـ قلت وروى الدارقطني في الافراد وابن منده وابن عساكر من حديث حفصة ما لقي الشيطان عمر منذ أسلم الا خر لوجهه ورواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم من طريق الاوزاعي عن سديسة مولاة حفصة ولا يعلم للاوزاعي سماع من أحد من الصحابة ورواه الطبراني في الاوسط فقال عن الاوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب وروى الحكيم في النوادر عن عمر ما لقي الشيطان قط عمر في فج فسمع صوته الا أخذ في غيره وروى أحمد والترمذي وابن حبان من حديث بريدة ان الشيطان ليفرق منك يا عمر (وهذا لان القلوب كانت مطهرة من مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء) من المغلظات (والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة) ورديئها (ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة) لا يستويان (فالذكر) بمنزلة (الدواء والتقوى) بمنزلة (الاحتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فانه اذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال) تعالى (كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه) ومصادقه (وان ذكر الله بلسانه) فانه لا يمنع موالاته (وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا ان الذكر يطرد الشيطان) يشير الى ما تقدم فان ذكر الله خنس (ولم تفهم ان أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط) معروفة (نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان) بالكسر أي كالمعاينة فهو حديث وقد تقدم الكلام عليه (وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة) اذ هي أعظم القربات الى الله تعالى (فراقب قلبك) وتأمل (اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيت من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت) فليسوله بأنواع التسويلات ويشتته في أوديته لا آخر لها حتى لا يدري تارة كم صلى (فالصلاة محك القلوب فيها تظهر محاسنها ومساويها) فان كانت مطهرة عن الشهوات ظهرت محاسنها في الصلاة بالاقبال على الله بكنه الهمة والقاء الوسواس وراء ظهره والا فبعكس ذلك (فالصلاة لا تقبل من

القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لا ينطرد عنك الشيطان) ولا ينزجر بالذكر (بل ربما يزيد عليك الضرر فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى) أولا (ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما فر من ظل عمر رضى الله عنه) وهذا حال من انتهى به سلوكه وأشرقت عليه أنوار التوفيق فلبس لامة الصدق وتحلى باسلحة العزل ودخل فى حومة الحرب بين باعث الدين وداعى الهوى فكانت الغلبة لداعى الدين وفرت جيوش الشياطين ولذا قال أبو حازم ما الشيطان حتى يهاب فوالله لقد أطيع فما نفع وعصى فما ضر وقال بعضهم لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالاستعاذة منه ما استعذت منه لحقارته وهذا شأن المتقين (ولذلك قال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر) أى أنت مطيع له وقال بعضهم واعجبا لمن يعصى المحسن) المطلق (بعد معرفته باحسانه) واصابته منه (و يطيع اللعين) المسىء (بعد معرفته بطغيانه) وعداوته (وكان الله تعالى قال) فى كتابه العزيز (ادعونى أستجب لكم وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (قيل لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (مالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعونى أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها قال ثمان خصال عرفتم الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه) أى وافقتموه (على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين حدثنا أبو يعلى أحمد بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو أحمد محمد بن مهدى بن قدامة حدثنا أبو ياسر عمار بن عبد المجيد حدثنا أحمد بن عبد الله الحرمانى قال سمعت حاتما الاصم يقول قال شقيق بن ابراهيم دخل ابراهيم بن أدهم فى أسواق البصرة فاجتمع اليه الناس فقالوا يا أبا اسحق ان الله يقول فى كتابه ادعونى أستجب لكم ونحن ندعوه بعد دهر فلا يستجيب لنا قال ابراهيم يا أهل البصرة ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء أولها عرفتم الله ولم تؤدوا حقه والثانى قرأتم كتاب الله فلم تعملوا به والثالث ادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم العمل بسنته والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه والخامس قلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها والسادس قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها والسابع قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والثامن اشتغلتم بعيوب اخوانكم ونبذتم عيوبكم والتاسع أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم (فان قلت فالداعى الى المعصية المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو) حيث عرفته باخبار الصادق المصدوق وثبتت لك عداوته (ولا تسأل عن صفته) فانه مما لا يعنيك ومن أمثالهم الدالة على ذلك يقولون (كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة) أى منبته ومن ذلك أيضا قولهم خذ الهدية ولا تسأل عن جالبها (ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة) أى كثيرة (وان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه وأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه) آنفا (وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار

القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر أى أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعونى أستجب لكم وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعونى أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعى الى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة لك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار

فقد قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي في تفسير قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء الآية ان (لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره فذكر زلنبور) وقد تقدم ذكره وضبطه في كتاب الحلال والحرام (والاعور ومسوط) كمنبر كأنه مفعل من السوط (وداسم وثبور) وفي لفظ ثبر (فاما ثبور فهو صاحب المصائب الذي يأمر) ابن آدم (بالثبور) والويل (وشق الجيوب ولطام الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه) في أنفسهم (وأما مسوط فهو صاحب الكذب) يزينه لهم (وأما داسم فانه يدخل مع الرجل الى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبو الشيخ عن مجاهد لفظه باض ابليس خمس بيضات زلنبور وداسم وثبر ومسوط والاعور أما الاعور فصاحب الزنا وأما ثبر فصاحب المصائب وأما مسوط فصاحب أخبار الكذب يلقيها على أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وأما داسم فصاحب البيوت اذا دخل الرجل بيته ولم يسم دخل معه واذا أكل ولم يسم أكل معه وبريه من متاع البيت ما لا يحضر موضعه وأما زلنبور فصاحب الاسواق يضع رأسه في كل سوق بين السماء والارض وأخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن مجاهد قال ولد ابليس خمسة ثبر والاعور وزلنبور ومسوط وداسم فمسوط صاحب الصخب والاعور وداسم لا أدري ما يعملان وثبر صاحب المصائب وزلنبور الذي يبين الناس ويبصر الرجل عيوب أهله وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى أفتتخذونه وذريته قال هم أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال باض ابليس خمس بيضات وذريته من ذلك (وشيطان الصلاة يسمى خنزب) رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاصي وقد تقدم قريبا (وشيطان الوضوء يسمى الولهان) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب بلفظ ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وقد تقدم (وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة) كما ذكرناها ومن ذلك ما روى الحكيم في النوادر عن عبد الرحمن بن أبي سلمة مرسلا وكل بالنفوس شيطان يقال له الهو فهو يخيل اليها ويتراءى لها اذا عرج بها فاذا انتهت الى السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدق ومنهم جماعة سلطهم على الحجاج والمجاهدين روى الطبراني من حديث ابن عباس ان لابليس مردة من الشياطين يقول لهم عليكم بالحجاج والمجاهدين فاضلوهم عن السبيل ومنهم جماعة سلطهم على المصلين روى الشيخان وأبو يعلى من حديث أبي سعيد ان الشيطان ليأتي أحدكم وهو في صلاته فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها فيرى انه أحدث فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا (وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك الملائكة) فيهم كثرة (وقد ذكرنا في كتاب الشكر) على ما سيأتي السر (في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به) أي يخصه دون غيره (وقد قال أبو أمامة الباهلي) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه) أي يدفعون عنه (ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب) أي يطرد ويدفع (عن قصعة العسل في يوم صائف) أي حار فانه يكثر فيه الذباب ويعسر دفعها (وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه) أي فاتح (وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان والطبراني في المعجم الكبير باسناد ضعيف اه قلت وكذا رواه ابن قانع والبزار والصابوني في المائتين ولفظهم جميعا وكل بالمؤمن ستون وثلثمائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر تسعة أملاك يذبون عنه كما تذبون عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل جبل وسهل كلهم باسط يديه فاغرفاه وما لو وكل العبد فيه الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وروى الطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه من حديث أبي امامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أتت على كل شئ الا أحرقته وروى ابن

فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به يزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل الى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين

ماجه

وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يارب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة ان لم تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يارب زدنى قال اجزى بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما أريد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح مادام الروح فى الجسد قال ابليس يارب هذا العبد الذى كرمته على ان لا تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يارب زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال انى أريد أن أنصحك قال لا حاجة لى فى نصحك ولكن اخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم وهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه فى عناء وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم

ماجه من حديث أبى هريرة وكل بالركن اليمانى سبعون ملكا الحديث (وقال أيوب بن يزيد) بن زيد روى عن التابعين قال الرازى مجهول كذا فى المغنى للذهبى (بلغنا انه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم) ونحو ذلك ما روى عن قتادة انهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وعن سفيان انه يجتمع مع كل مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومضر (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله عنه (ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يارب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة ألا تعيننى عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك) يحفظه من شره (قال يارب زدنى قال أجزى بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الا ما أزيد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد الروح قال ابليس يارب هذا العبد الذى كرمته علىّ الا تعيننى عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك قال رب زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك) وشاركهم فى الاموال والاولاد (الى قوله غرورا) ومن هنا كان منه الاضلال والتمنية والاحتناك وغير ذلك وكل منهما أجيب دعاؤه فى صاحبه (وعن أبى الدرداء) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض) أى وحشراتها أى على هيآتهم وصورهم ومن ثم ندب الانذار قبل القتل (وصنف كالريح فى الهواء) وهذان الصنفان لا حساب عليهم ولا عقاب كما يشير اليه قوله (وصنف عليهم الثواب والعقاب) أى مكلفون ولهم وعليهم (وخلق الله الانس ثلاثة أصناف فصنف كالبهائم كما قال الله تعالى لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين) أى مثلها فى الخبث والشر (وصنف فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله) يعنى فى ظل عرشه فلا يصيبهم وهج الحر فى ذلك الموقف الاعظم حين يصيب الناس ويلجمهم العرق الجاما قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن حبان فى الضعفاء فى ترجمة يزيد بن سنان وضعفه وللحاكم نحوه مختصرا فى الجن فقط الجن ثلاثة أصناف من حديث أبى ثعلبة الخشنى وقال صحيح الاسناد اه قلت وكذلك رواه الحكيم فى النوادر وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه فى التفسير والديلمى فى مسند الفردوس ويزيد بن سنان الرهاوى أحد رواته ضعفه ابن معين وغيره وتركه النسائى ثم ساقه له فى الميزان منا كيرهذا منها وأما حديث أبى ثعلبة الخشنى فرواه كذلك الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الاسماء والصفات وأبو نعيم فى الحلية والديلمى فى مسند الفردوس ولفظهم جميعا الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون قال الحكيم الترمذى والصنف الثانى هم الذين ورد النهى عن قتلهم وهم ذوات البيوت فان تلك فى صور الحيات وهم من الجن وهم سكان البيوت (قال وهيب بن الورد) المكى قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه له روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وقد تقدمت ترجمته فى كتاب الحج (بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال انى أريد أن أنصحك قال لا حاجة لى فى نصحك ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف اما صنف فهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ أدركنا منه ثم نعود اليه) بالافتتان والتمكن منه (فيعود) الى الاستغفار والتوبة (فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه) ما نريده من (حاجتنا فنحن منه فى عناء) أى مشقة (وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم

نتلقفهم كيف نشاء) فقد كفونا أنفسهم (وأما الصنف الآخر فهم مثالك معصومون لا نقدر منهم على شئ) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد قال بلغنا أن الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال انى أريد أن أنصحك فقال كذبت أنت لا تنصحنى ولكن اخبرنى عن بنى آدم ثم ساقه كسياق المصنف وزاد فى آخره فقال له يحيى عند ذلك فهل قدرت منى على شئ قال مرة واحدة فانك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه اليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها قال فقال له يحيى لا جرم لا شبعت من طعام أبدا حتى أموت فقال له الخبيث لا جرم لا نصحت آدميا بعدك (فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته هل هى على صورته الحقيقية فاذا كانت على صورته الحقيقية (فكيف يرى فى صور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين مختلفين (وعلى صورتين) مختلفتين (حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما لا ترى بالمشاهدة) بعين البصر (بل بأنوار النبوة فما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى صورته) الحقيقية (الامرتين وذلك انه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى) قال العراقى رواه الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين اه قلت وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم نزعم أو نقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشئ قف له شعرى قلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كتم شيأ مما أمر به أو يعلم الخمس التى قال الله ان الله عنده علم الساعة الآية فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره فى صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة عند اجياد له ستمائة جناح قد سد الافق وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح كل جناح منها سد الافق تتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه الا الله عز وجل وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل فى صورته الا مرتين اما واحدة فانه سأله أن يراه فى صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى معا فى الدلائل عن ابن مسعود قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل الدر والياقوت ما الله به عليم وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل الدر والياقوت وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل عن عائشة قالت كان أول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى فى منامه جبريل باجياد ثم خرج لبعض حاجته فصرخ به جبريل يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيأ ثلاثا ثم رفع بصره فاذا هو ثانى رجليه احدى رجليه على الاخرى على أفق السماء وأخرج عبد بن حميد عن مرة الهمدانى قال لم يأته جبريل عليه السلام فى صورته الا مرتين فرآه فى خضر يتعلق به الدر (وانما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا) أى فى أكثر الاوقات قال العراقى روى الشيخان من حديث عائشة فى قوله

نتلقفهم كيف شئنا فقد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثالك معصومون لا نقدر منهم على شئ فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورة فهل هى صورته الحقيقية أو هو مثال يتمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بأنوار النبوة فما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام فى صورته الا مرتين وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا

فكان يراه فى صورة دحية الكلبى وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه و يسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل به عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لا يكون الاصورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التى تحصل فى الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب

ثم دنا فتدلى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل (فكان يراه فى صورة دحية الكلبى وكان) دحية (رجلا حسن الوجه) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبى صحابى مشهور وشهد أحدا نزل دمشق بقرية المزة وتوفى فى خلافة معاوية وهو بفتح الدال وكسرها معا ومعناه الرئيس قال العراقى روى الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة من هذا قالت دحية الحديث اه قلت وأخرج عبد بن حميد عن ابن عمر أن جبريل كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى وأخرج أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الدلائل عن شريح بن عبيد قال لما صعد النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء ثم ساق الحديث وفيه فرأيته يعنى جبريل فى خلقه الذى خلق عليه منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل الى ان ما بين عينيه قد سد الافقين وكنت لا أراه قبل ذلك الا على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبى وكنت أحيانا لا أراه قبل ذلك الا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث أنس يأتينى جبريل على صورة دحية الكلبى (والاكثر انه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه و يسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز) الاموى رحمه الله تعالى (أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور) بكسر الموحدة وفتح اللام المشددة حجر شفاف (يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع) حيوان مائى معروف (قاعد على منكبه وأذنه) من طرف اليسار (له خرطوم) وهو من الحيوان مقدم فمه وأنفه (طويل دقيق) كما يكون للبعوض (قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس) انقبض وتأخر فهذا رؤيا منام (ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا) وذلك لرداءتها وخستها وكذا قال الشافعى فى تمثيلها

وما هى الاجيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

(وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت) وعالم الملكوت تتجلى فيه حقائق الاشياء لمقابلتها اللوح الذى رسمت فيه تلك الحقائق بقلم القدرة (وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر) و بينهما ارتباط كما تقدم (وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى) للانبياء والاولياء (ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى عالم الشهادة لا تكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا أن الخيال تارة يحصل من الباطن الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى) أى ما رآه فى الظاهر مخالف لما هو فى الباطن (حتى يرى شخصا جميل الصورة) فى ظاهره (وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس) والتخليط (أما الصورة التى تحصل فى الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب)

فلاتكون الاحاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلاجرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على مثال خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لاعين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم *(بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به)* اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها مالم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذاهم

من الوجه الذى يليه (فلاتكون الامحاكية للصفة) بعينها (وموافقة لها) من غير اختلاف (لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة فلاجرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة كلب) تارة (و) صورة (ضفدع) مرة أخرى (و) صورة (خنزير وغيره) من الصور الخبيثة (و يرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على مثال خبيث) لخبثهما (وتدل الشاة على انسان سليم الصدر) منقاد للامر كثير النفع (وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير) كما هو معروف عند أهله (وهذه أسرار عجيبة من عجائب أسرار القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لاعين المعنى الا أنه يشاهد بالمعنى مشاهدة محققة و ينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم) قال الشيخ الاكبر قدس سره فى الفتوحات للجن التشكل فى الصور كالملائكة وأخذ الله بابصارنا عنهم فلا نراهم الا بعضنا بكشف الهى ولما كانوا من عالم اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية فالصورة الاصلية التى ينسب اليها الروحانى انما هو أول صورة أوجده الله تعالى عليها ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نراها بصورة القوة المصورة التى وكلها الله بالتصوير فى خيال المتخيل لرأيت مع الانسان ألف صورة مختلفة لا يشبه بعضها بعضا وكما وقع التناسل فى البشر بالقاء الماء فى الرحم فكان التوالد فى النوع البشرى وقع التناسل فى الجان بالقاء الهوى فى رحم الانثى فكانت الذرية والتوالد وهم محصورون فى اثنى عشر قبيلة أصولا ثم يتفرعون الى أفخاذ وتقع بينهم حروب والزوابع من حربهم ثم قال هذا العالم الروحانى اذا تشكل وظهر فى صورة حسنة يقيده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة مادام البصر ناظرا اليه بالخاصة من الانسان فاذا قيده ولم يبرح ناظراله وليس ثم ما يتوارى فيه أظهر له ذلك الروحانى صورة جعلها عليه كالستر ثم خيل له مشى تلك الصورة الى جهة مخصوصة فيتبعها بصره فاذا تبعها خرج الروحانى عن تقييده فغاب عنه و بغيبه تزول تلك الصورة عن النظر فانها للروحانى كالنور مع السراج المنتشر فى الزوايا نوره فاذا غاب جسم السراج فقد النور وهذا من الاسرار الالهية وليست الصورة غير الروحانى بل عينه ولو كانت بالف مكان واشكال مختلفة واذا قتلت صورة من تلك الصور انتقل ذلك الروحانى من الحياة الدنيا الى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له فى الدنيا حديث مثلنا سواء والفرق بين الجن والملائكة وان اشتركوا فى الروحانية ان الجن غذاؤهم من الاجسام الطبيعية بخلاف الملائكة

(بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنها ولا يؤاخذ به)

(اعلم أن هذا أمر غامض) أى خفى يحتاج الى تفصيل (وقد وردفيه أخبار وآيات متعارضة) مع بعضها (يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء) أى نقادهم وانما كان ثم (فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفى لامتى) أى أمة الاجابة (عما حدثت به نفوسها) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها الحديث اه قلت لفظ البخارى ان الله تجاوز لى عن أمتى عما حدثت به أنفسها وتمامه مالم تتكلم به أو تعمل وفى رواية للبخارى عما وسوست به وفى رواية لمسلم ما حدثت به أنفسها وفى رواية للبخارى صدورها بدل أنفسها وفى رواية لمسلم مالم يتكلموا به أو يعملوا به وأنفسها بالرفع على الفاعلية و يروى بالنصب على المفعولية ورواه كذلك أئمة السنن الاربعة ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث عمران بن حصين وفيه المسعودى وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاهم

عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذاهم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان
عملها فاكتبوها عشرا أخرجه مسلم) واللفظ له (و) كذا (البخارى) كلاهما (فى الصحيحين) وانما
قدم مسلما فى الذكر نظرا الى أن سياق اللفظ له والا فالبخارى مقدم فى الذكر لتقدمه فى الفضل وفى الزمان
و ربما من يجهل ماذكرناه اعترض على المصنف فى تقديمه مسلما على صاحبه ونسبه لمخالفة الاصطلاح
(وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة) قال عياض قال أبو جعفر الطبرى فيه دليل على ان
الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها خلافا لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال الظاهرة وحكى النووى ذلك
عن أبى جعفر الطحاوى وذكر بعضهم ان الملك يعلم ذلك برائحة طيبة تفوح من الانسان بخلاف ما اذاهم
بالسيئة فانه تفوح منه رائحة خبيثة والله أعلم (وفى لفظ آخر) من سياق هذا الحديث (من هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم
تكتب له وان عملها كتبت) رواه الشيخان من حديث ابن عباس رفعه فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
قال ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة
وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ورواه أحمد فى
مسنده بلفظ من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له بعشر أمثالها الى سبعمائة وسبع
أمثالها ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فان لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة
٧ فان لم يعملها لم تكتب عليه (وفى لفظ آخر) عن همام عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يفعل فاذا عملها فانا أكتبها له
بعشر أمثالها (واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا أغفرها له ما لم يعملها) فاذا عملها فانا أكتبها له بمثلها رواه
مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ومعنى تحدث المراد بذلك حدث بذلك نفسه ولا يتوقف ذلك على
تحدثه بلسانه وقد دل على ذلك ما تقدم من الرواية واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة والظاهر
ان المراد اذا منعه من ذلك عذر ولا تكتب الحسنة بمجرد الهم مع الانكفاف عن الفعل بلا عذر ويحتمل
حمله على اطلاقه وان مجرد الهم بالخير قربة وان لم يمنع منه مانع (وكل ذلك يدل على العفو) وهل تكتب له
الملائكة الهم بالحسنة أو فعل الحسنة فيه نظر واحتمال وظاهر لفظ الحديث يقتضى كتابة نفس الحسنة
وقوله فاكتبوها عشرا أى عشر حسنات قيل المراد انه يكتب له عشر حسنات مضمومة الى الحسنة المكتوبة
على الهم أو يكمل له عشر حسنات أو ينتظر الملك بكتابة الهم فان حققه كتب عشرا وان لم يحققه كتب
واحدة فيه احتمال ويحتاج الى نقل صريح وقوله الى سبعمائة ضعف فيه ان التضعيف قد ينتهى الى
سبعمائة ضعف وهذا جود واسع وكرم محض وحديث ابن عباس المتقدم صريح فى أن التضعيف لا يقف
على سبعمائة بل قد يزيده عليها لمن أراد الله تعالى زيادة له وهو أحد القولين فى قوله تعالى والله يضاعف لمن
يشاء أى زيادة عن المذكور والقول الثانى ان المراد والله يضاعف لمن يشاء هذا التضعيف والاول أصح
وقال النووى المذهب الصحيح المختار عند العلماء ان التضعيف لا يقف على سبعمائة (فاما ما يدل على
المؤاخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شئ قدير (وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال) تعالى (ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) فدل على ان القلب يأثم بكتمان الشهادة أخرج ابن جرير عن السدى
فى قوله آثم قلبه قال فاجر قلبه وكتمان الشهادة من أكبر الكبائر كما رواه ابن جرير عن ابن عباس (وقال)
تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) فدل على ان القلب
مؤاخذ به فهذه أربع آيات دلت على مؤاخذة عمل القلب ومن ذلك أيضا قوله تعالى ان الذين يحبون أن

عبدى بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فاكتبوها سيئة
واذاهم بحسنة لم يعملها
فاكتبوها حسنة فان عملها
فاكتبوها عشرا وقد خرجه
البخارى ومسلم فى الصحيحين
وهو دليل على العفو عن
عمل القلب وهمه بالسيئة
وفى لفظ آخر من هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة
ومن هم بحسنة فعملها
كتبت له الى سبعمائة ضعف
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم
تكتب عليه وان عملها
كتبت وفى لفظ آخر واذا
تحدث بان يعمل سيئة فانا
أغفرها له ما لم يعملها وكل
ذلك يدل على العفو فاما ما
يدل على المؤاخذة فقوله
سبحانه ان تبدوا ما فى أنفسكم
أو تخفوه يحاسبكم به الله
فيغفر لمن يشاء ويعذب من
يشاء وقوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤلا فدل على أن
عمل الفؤاد كعمل السمع
والبصر فلا يعفى عنه وقوله
تعالى ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه آثم قلبه
وقوله تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو فى أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

والحق عندنا فى هذه المسئلة لاوقوف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول أول مايرد على القلب الخاطر (٢٩٤) كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره فى الطريق لو التفت اليها لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغى أن يفعل أى ينبغى أن ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا أصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته النفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها (الحديث

تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم والآيات فى هذا كثيرة وقد تظاهرت نصوص الشرع واجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وارادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها وفى الآية الاولى خلاف هل هى محكمة أو منسوخة فروى عن الربيع بن أنس قال انها محكمة لم ينسخها شئ يعرف الله يوم القيامة انك أخفيت فى صدرك كذا وكذا ولا يؤاخذك أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وروى ذلك عن ابن عباس أيضا قال ذلك سر أمرك وعلانيته يحاسبكم الله به وانها لم تنسخ ولكن الله اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول انى أخبركم بما أخفيتم فى أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتى فاما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ماحدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر عن ابن عباس وقيل بل هى منسوخة نسختها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية أخرجه أحمد ومسلم وابن جرير عن ابن عباس وأخرجه الترمذى عن على وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود وأخرجه ابن جرير من طريق قتادة عن عائشة وقيل نزلت هذه الآية فى الشهادة أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر عن ابن عباس (والحق عندنا فى هذه المسئلة لاوقوف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول أول مايرد على القلب الخاطر) وهو اسم لما يتحرك فى القلب من رأى أو سعى ثم سمى محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة وأصل تركيبه يدل على الاضطراب والحركة ذكره المطرزى (كما لو حضر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره فى الطريق لو التفت اليها لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغى ان يفعل أى ينبغى أن ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف) أى الموانع (فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات) اليها (وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل) وذكر صاحب العوارف ان خاطر العقل تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لان العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب الى دواعى النفس تارة والى دواعى الروح تارة والى دواعى الملك تارة والى دواعى الشيطان تارة (الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا أصغى القلب) أى مال (الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس) ومحادثته لها بحسب أصل الامتزاج (تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة) هذا اذا كانت مجاذبة القلب للنفس من باب موافقته لها فيما تنطلق فى شئ تهواه من القول والفعل فاما اذا كانت من باب المعاتبة لها وذلك عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والاعتماد على ذكر الله تعالى فهو يلومها فيما صدر منها من القول والفعل فلا تتأكد حينئذ الهمة المذكورة ولا تصير ارادة مجزومة فتأمل (فاذا انجذبت الارادة فربما يندفع بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار) ولا يمكن دفعه (وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفى لامتى عما حدثت به أنفسها) تقدم قريبا

فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا أنه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع ما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل

(فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون) بن حبيب بن وهب الجمحي يكنى أبا السائب أحد السابقين رضي الله عنه (حيث قال يارسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة) ويقال لها خويلة بنت حكيم بن أمية السلمي وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم (قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي) أي أقطع آلة الشهوة مني (قال مهلا خصاء أمتي دؤوب الصيام) أي ملازمته فانه يقطع الشهوة (قال نفسي تحدثني أن أترهب بنفسي) أي اعتزل الناس وأكون كالراهب في الصومعة (قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم) أي أكله فانه يحرك الشهوة (قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته) أي وجدته (لأكلته ولو سألت الله لاطعمنيه) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاضي عبيد الله العمري كذبه أحمد وابن معين وللدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعثمان اني لم أومر بالرهبانية الحديث وفيه فمن رغب عن سنتي فليس مني وهو عند مسلم بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا وللبغوي والطبراني في معجم الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون انه قال يارسول الله اني رجل يشق علي هذه العزبة في المغازي فتأذن لي يارسول الله في الخصاء فاختصي قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مجفرة ولاحمد والطبراني باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمر خصاء أمتي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاصي باسناد فيه ضعف ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث ولابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف النكاح من سنتي ولاحمد وابي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العمي وهو ضعيف ولابي داود من حديث أبي امامة ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله واسناده جيد (فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور) عثمان (رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستأذنه (اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل) فهذان الحالان لا يؤاخذ بهما العبد وهو مجمع عليه فيما لا يستقر من الخواطر ولا يقترن به عزم (وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي أن يفعل فهذا متردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به) قال الماوردي مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب ان من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها اثم في اعتقاده وعزمه ويحمل ماوقع في هذه الاحاديث وأمثالها على ان ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وانما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم هذا مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الاحاديث وقال القاضي عياض عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ماذهب اليه القاضي أبو بكر للاحاديث الدالة على المؤاخذة باعمال القلوب (الا أنه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه) بذلك الفعل (سيئة وامتناعه) عنه (ومجاهدته نفسه) في تركه (حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل

لعائق أو تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري) وقال القاضي عياض بعد ان صوّب ما ذهب اليه القاضي أبو بكر ونقله عن عامة أهل العلم ما لفظه لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والانابة لكن نفس الاصرار والعزم معصية فتكتب معصية فاذا عملها كتبت معصية ثانية فأما الهم الذي لا يكتب فهو الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية عزم اه قال النووي وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه (والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح) لمسلم (مفصلا في لفظ الحديث) رواه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر) به (فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها) له (بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي) بفتح الجيم وتشديد الراء يقصر ويمد أي من أجلي يقال فعلته من جراك ومن جرائك ومن جريرتك أي من أجلك (وحيث قال لم يعملها أراد به تركها لله) وعند البخاري فان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة زيادة على قوله أيضا في لفظ فاذا تحدث بان يعمل سيئة فانا أغفرها ما لم يعملها لانه لا يلزم من مغفرتها كتابة حسنة بسبب تركها وهو مقيد في الحديث بان يكون تركها من أجل الله وعليه يدل ما عند مسلم انما تركها من جرائي فان التعليل بذلك دال على تصور المسألة به ووجهه ان تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الامارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فلم يقيد ذلك بان يكون لاجل الله تعالى فقد يتمسك به على كتابتها حسنة وان لم يتركها لخوف الله تعالى وقد حكى القاضي عياض عن بعض المتكلمين انه ذكر في ذلك خلافا وعلل كتابتها حسنة بانه انما حمله على تركها الحياء قال القاضي عياض وهذا ضعيف لا وجه له قال الولي العراقي والظاهر حمل هذا المطلق على ذلك المقيد فهو الذي يقتضيه الدليل وتساعده القاعدة والله أعلم وقال الخطابي اذا لم يعملها تاركا لها مع القدرة عليها الا اذا هم بها فلم يعملها مع العجز عنها وعدم القدرة عليها ولا يسمى الانسان تاركا للشئ الذي لا يتوهم قدرته عليه وقوله عند مسلم فاكتبوها بمثلها وعند البخاري فانا أكتبها له بمثلها أي ان جازيته على ذلك وقد يتجاوز الله عنه فلا يؤاخذه بها وفي لفظ مسلم في حديث ابن عباس كتبها الله سيئة واحدة أو محاها الله وعنده أيضا من حديث أبي ذر ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر وعند البخاري معلقا من حديث أبي سعيد الخدري وكل سيئة يعملها له بمثلها الا ان يتجاوز الله عنها ووصله النسائي في سننه وكذلك وصله الدارقطني في غرائب مالك من تسعة طرق (فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب) من الاسباب (أو بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم واسناده حسن ولمسلم من حديث عائشة يبعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يبعثون على نياتهم (ونحن نعلم ان من عزم ليلا على أن يصبح و يقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا) على المعصية (ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما) فقتل أحدهما صاحبه (فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل) يستحق النار (فما بال المقتول) أي فما ذنبه (قال) صلى الله عليه وسلم (لانه أراد قتل صاحبه) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي بكرة اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود والنسائي ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى ولفظهم جميعا قال انه كان حريصا على قتل صاحبه أي اذا التقيا بآلة القتال يتقاتلان بها سيفا كان أو غيره وانما خص السيف لانه أعظم آلته وأكثرها استعمالا فكل منهما ظالم متعمد (وهذا نص في انه صار من أهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما)

بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار بمجرد الارادة من أهل النار مع انه قتل مظلوما

ولا يلزم من كونهما في النار كونهما في رتبة واحدة فالقاتل يعذب على القتال والقتل والمقتول يعذب على القتال فقط وأفاد قوله حريصا ان العازم على المعصية يأثم وان كلا منهما كان قصد القتل لا الدفع عن نفسه فلو قصد أحدهما الدفع فلم يندفع الا بقتله فقتل هدر المقتول لا القاتل ثم هذه المقاتلة يشترط فيها أن يكون عدوانا بغير تأويل سائغ ولا شبهة فاما اذا كان بتأويل كقتال علي وطلحة فلا فان كلا لديانته وفرط صيانته كان يرى ان الامامة متعينة عليه لا يسوغ له تركها (فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة) وقد روى أحمد والبخاري في التاريخ وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود الندم توبة (فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق) من العوائق (فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى) لله ما في السموات وما في الارض (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير (جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم جثوا على الركب (فقالوا) يارسول الله (كلفنا) من الاعمال (ما) نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية و(لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون) وفي رواية أتريدون أن تقولوا (كما قالت بنو اسرائيل) وفي لفظ كما قال أهل الكتاب من قبلكم (سمعنا وعصينا) بل (قولوا سمعنا وأطعنا) غفرانك ربنا واليك المصير فاقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم (فأنزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الى آخرها قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه اه قلت وسياق المصنف أشبه بسياق أبي هريرة مع الزيادات التي سقتها في أثنائه دون قوله ان أحدنا ليحدث الى قوله بذلك وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأما لفظ حديث ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم الآية دخل في قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قولوا سمعنا وأطعنا وأسلمنا فألقى الله الايمان في قلوبهم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية قال قد فعلت هكذا رواه أحمد ومسلم والترمذي والحاكم وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرج عبد الرزاق وأحمد وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن مجاهد قال دخلت على ابن عباس فقال ان هذه الآية لما أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديدا وغاظتهم غيظا شديدا وقالوا يارسول الله هلكنا ان كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل فاما قلوبنا فليست بأيدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا قال فنسختها هذه الآية آمن الرسول الى وعليها ما اكتسبت فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالاعمال وأخرج أبو داود في ناسخه وابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن مرجانة انه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فقال والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه قال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر فقال ابن عباس يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فأنزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى ان قضى الله ان للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت من القول والعمل وقد روى نحو ذلك من حديث علي وابن مسعود وغيرهما وعند الفريابي وابن المنذر عن محمد

فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها

فظهر به ان كل مالايدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لايؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلابد وان يغلط وكيف لايؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أى مايدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه قلب وان أفتوك وأفتوك حتى انا نقول اذا حكم القلب المفتى بايجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجائبها اختلفوا فى هذه المسئلة على خمس فرق *فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه يسكت عن

ابن كعب القرظى قال لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين فقالوا يارسول الله أنؤاخذ بما تحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا قال نعم فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا الى ربكم فذلك قوله آمن الرسول الآية فوضع الله عنهم حديث النفس الا ماعملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وفى الآية أقوال أخر ذكرناها قريبا (فظهر به ان كل مالايدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لايؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس، ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلابد وان يغلط) فى ظنه ويخطئ فى فهمه (وكيف لايؤاخذ بأعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب) وعزمها وقد تظاهرت نصوص الشرع وأقوال العلماء على تحريمها (بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا اى مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ بها) وهذا معنى قولهم النظرة الاولى لك (فاذا اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار) ولولا اختياره لما نظر اليها ثانيا وهذا معنى قولهم والثانية عليك (فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى القلب) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقال الى صدره (وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم) فيما رواه ابن مسعود ما حاك فى صدرك فدعه (الاثم حواز القلوب) بتشديد الواو وبتشديد الزاى وجهان يعنى ما يؤثر فيها فيحزها أو يحوزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقد تقدم فى كتاب العلم مفصلا (وقال) صلى الله عليه وسلم (البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس (وان أفتوك وأفتوك) رواه الطبرانى من حديث أبى ثعلبة ولاحمد نحوه من حديث وابصة بلفظ وان أفتاك الناس وأفتوك وقد تقدما فى كتاب العلم فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر ولفظ حديث وابصة استفت قلبك وان أفتاك المفتون أى ان المفتين يعلمون معنى التأويل والرخصة من علمهم العلانية وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة على علمك السر (حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتى بايجاب شئ وكان مخطئا صار مثابا على فعله) نظرا الحكم القلب (بل من ظن انه متطهر فعليه أن يصلى فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان تركه ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته) فوطئها (لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فى الحقيقة وان ظن انها أجنبية فوطئها عصى وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح) فالقلوب تؤاخذ بأعمالها وعزومها كما ان الجوارح تؤاخذ بأعمالها

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

وفى بعض النسخ ينقلع بدل ينقطع (اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب) المحافظين عليها (الناظرين فى صفاتها وعجائبها) ومالها من الاحوال الغريبة (اختلفوا فى هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه قال صلى الله عليه وسلم) ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم (فاذا ذكر الله خنس) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى من حديث أنس وقد تقدم قريبا (والخنوس) وفى بعض النسخ والخنس (هو السكوت) المفهوم من الانقباض والتأخر ويستعمل لازما ومتعديا يقال خنسته فانخنس أى زويته فانزوى (فكأنه يسكت) عن وسوسته فلا يتحرك بل يتطلب فرصة الغفلة

* وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه * وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف * وقالت فرقة ينعدم عند الذكر فى لحظة و ينعدم الذكر فى لحظة و يتعاقبان فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربهما انها متساوقة وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانك اذا أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة و الذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم مامن عبد الا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه والى هذا ذهب المحاسبى والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه * والوسواس أصناف (الاول) أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولابد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه و يقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصى. ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه و يعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته

عن الذكر فيعود الى الوسوسة (وقالت فرقة) منهم (لا ينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر) يظهر عليه (لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر) أى مستغرقا به (كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة) فهو (كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه) وعلى هذا المعنى يحملون الخنوس فى الحديث (وقالت فرقة) منهم (لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبته للقلب) أى لا يكون القلب مغلوبا للاثر عند الذكر وفى بعض النسخ غلبتها أى الوسوسة (وكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة) منهم (ينعدم عند الذكر فى لحظة) أى حال الذكر ينعدم (و ينعدم الذكر بها فى لحظة و يتعاقبان) على القلب (فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوية وهو كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانها اذا أديرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد) فى الحديث بانه عند الذكر يحصل له ذلك (ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر) فى حال واحد (ولا وجه له الا هذا) والى هذا ذهب صاحب القوت فانه قال وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الاسباب يوجدان فى طرفة عين فتصير أجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه وصلا واحدا كالبرقة فى السرعة بتقلب القدرة على المشيئة اذا قال له كن فيكون (وقالت فرقة) منهم (ان الوسوسة والذكر يتساوقان فى القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى فى حالة واحدة بعينيه شيئين مختلفين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد الا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن محمد الهروى الشماخى الحافظ كذبه الحاكم والآفة منه اه قلت ولفظ الديلمى مامن عبد الا وفى وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا ثم ساق الحديث وفى آخره فاذا أراد الله بعبد خيرا فتح الله عينيه اللتين فى قلبه فابصر بهما واذا أراد به غير ذلك تركه على مافيه ثم قرأ أم على قلوب أقفالها (والى هذا ذهب) الحرث بن أسد (المحاسبى) رحمه الله تعالى وأشار اليه فى الرعاية (والصحيح عندنا فى هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة) ولها وجوه ومخارج (ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه والوسواس أصناف الاول أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس الحق) و يغطيه (فيقول للانسان لا تترك التنعم) فى الدنيا (واللذات) بمتاعها وفى بعض النسخ التنعم باللذات (فان العمر طويل) والاجل المحتوم بعيد (والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم) واذا وسوس له بذلك (فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم عقابه وثوابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولابد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه و يقينه خنس الشيطان وهرب) وتأخر وانقبض (اذ لا يستطيع أن يقول ليس النار أشد من الصبر عن المعاصى ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب فى عمله و يقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه و يعبد الله كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد أن معرفته) وقدرته

وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثاني) أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود و ينـدفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة و يتصوّر أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب و بعيد جدا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصوّر لما ذكره الا أنه لا يتصوّر ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين و ركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوّه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه و يغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه واذا تصوّر هذا في خوف من عدوّ وعند الحرص على مال و جاه فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص و بالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي أنه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبي جهم وائتوني بانبجانيته وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان

بتحريك

(وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعمله كل ذلك من خلق الله فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان) و يتأخر (اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان) كل منهما (يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين) بالله (بنور الايمان والمعرفة) فهذا وجه من قال انه ينقطع بالكلية (الصنف الثاني أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها) واثارتها (وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن) أصل (التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة) ومعالجة شديدة (في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة) وهذا وجه من مال الى قول الفرقة الثانية (الصنف الثالث أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكير الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود) أخرى (فيندفع و يعود فيتعاقب الذكر والوسوسة) معا على القلب (و يتصوّر أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه) تقدم في كتاب الصلاة (فلولا انه متصوّر لما ذكره الا انه لا يتصوّر ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر) المغلوب على عقله (فانا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه) لاستغراقه فيه (ولو كلمه غيره لم يسمع) أي لم يعرله سمعا (ولو اجتاز) أي مر (واحد بين يديه كان) في حال (كأنه لا يراه واذا تصوّر هذا من خوف عدوّ وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز) قليل الوجود (لضعف الايمان بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب) للفرق المتقدمة (وجها) وجيها (ولكن في محل مخصوص و بالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة) واحدة (أو ساعة) واحدة (غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا) و زمانا مديدا (بعيد أو محال في الوجود) لا يكاد يتيسر (ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه صلى الله عليه وسلم نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة) تقدم في كتاب الصلاة (وكان) صلى الله عليه وسلم (في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم) رواه النسائي من حديث ابن عباس وقد تقدم أيضا في الصلاة (وكان ذلك لوسوسة الشيطان

بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها

الا بالرمى والمفارقة فما دام يملك شيأ وراء حاجته ولو دينارا واحدا لايدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى ديناره

بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه) وهو باجماع العلماء من السلف والخلف الا ما كان من ابن حزم الظاهرى فانه جوّز لبس خاتم الذهب للرجال وهو ضعيف لمخالفته النصوص (ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمى والمفارقة) فيكون سببا للخلوص والاخلاص (فما دام يملك شيأ وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان فى صلاته عن الفكر فى ديناره كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أو كيف يظهره حتى يتباهى به) بين أقرانه (الى غير ذلك من الوساوس) وهذا أصعب ما يكون (فمن أنشب مخالبه فى الدنيا) ورتع فيها (وطمع أن يتخلص عن الشيطان كان) مثله (كمن انغمس فى العسل) فى الصيف (وظن أن الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد) حتى يحترز عنه (بل أبواب كثيرة) وبعضها أصعب من بعض (قال حكيم من الحكماء) العارفين (الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع) منها (أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعته) ويحسن له اياها (فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى) من ذلك (شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه الى الجنة) فآخر أعماله اذا عجز عن ابن آدم ايقاعه فى العجب وهو سوس الاعمال وبه يتم الهلاك فان سلم منه نجا بعمله أعاذنا الله منه وقد يستأنس لهذا القول بما مر آنفا من الحديث ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام الخ فراجعه

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات)

(اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال) المختلفة (من الابواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا) فالخواطر الواردة على القلب أربعة خاطر ملكى وخاطر شيطانى وهما الاصلان المفهومان من حديث اللمتين المتقدم ذكره قريبا وخاطر روحى وخاطر نفسى وهما الفرعان وفى كلام بعضهم ان حركة النفس والروح هما الموجبتان للمتين والصحيح أن اللمتين تتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهى شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبتل حكيم وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحى أثر أحدهما بالآخر كما تقدم بيانه قريبا والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار فى ذاته من باب أنس ويبقى أبدا مفتقدا حاله مطالعا آثار اللمتين وذكروا خاطرين آخرين خاطر العقل وخاطر اليقين فخاطر العقل متوسط بين الخواطر الاربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحجة على العبد ليدخل العبد فى الشئ بوجود عقلى اذ لو فقد العقل سقط العتاب والعقاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب وقد تقدمت الاشارة الى انه ليس من العقل خاطر على الاستقلال وانما أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وأما خاطر اليقين فهو روح الايمان ومزيد اليقين وحاصله راجع

وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه الى الجنة *(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات)* اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه

الآثار والاحوال من الابواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا

الى مايرد من الحق سبحانه وقال صاحب القوت جمل الخواطر ستة هى حدود القلب وقواد حه من ورائها خزائن القلب وملكوت القدرة وهى جنود الله تعالى والقلب خزانة من خزائن الملكوت وقد أودعه قبله من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العصمة والجبروت فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لايعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء لا يردان الا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك وهذان لايعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان الا بحق وبما دل عليه العلم وخاطر العقل متوسط بين هذه الاربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول ويصلح أيضا أن يكون للممدوحين فيكون شاهدا للملك ومؤيدا لخاطر الروح والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان اليه ويصدران عنه وهذا الخاطر مخصوص لخصوص لايجده الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بحق وان خفى وروده ودق ولا يقدح الا بعلم اختيار المراد مختار وان لطفت أدلته وبطن وجه الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراد له وهم الذين وصفهم الله تعالى بالذكرى فقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى من تولى الله تعالى حفظ قلبه وسائر ماذكرناه من الخواطر لايعدمه المؤمنون والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعانى جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفى منها مايشاء ويظهر ويبدى منها مايريد ويعيد ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما يشاء عنها ثم قال وقد أجمل الله تعالى ذكر تقليب الكون بمشيئته فى قوله يقلب الله الليل والنهار المعنى بما فيهما الا انهما ظرفان للاشياء معبر عنهما فهما كقوله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى مكركم فى الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لانهما مكانان لمكرهم (واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله فى عجائب القلب وتقليبه) لما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد فى المقلبات مما لم يشهده سواه (كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب) رواه البخارى من حديث ابن عمر (وكان كثيرا مايقول) فى دعائه (يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا وتخاف يارسول الله قال ومايؤمننى والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك (وفى لفظ) حديث (آخر ان شاء أن يقيمه اقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه) قال العراقى رواه النسائى فى الكبير وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان مامن قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه وللنسائى فى الكبير باسناد جيد من حديث عائشة نحوه اه قلت لفظ حديث النواس عند الجماعة مامن قلب الا وهو معلق بين أصبعين والباقى سواء وفى آخره والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة وكذلك رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وأما لفظ حديث عائشة مامن قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه فكذلك رواه ابن عساكر وابن النجار فى تاريخهما (وضرب له) رسول الله (صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة) قال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عبيدة عامر بن الجراح اه قلت وكذلك رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص ولفظهم ان قلب ابن آدم مثل العصفور فيتقلب فى اليوم تسع مرات قال العراقى ورواه البغوى فى معجمه من حديث أبى عبيدة غير منسوب وقال لاأدرى له صحبة أم لا (وقال) صلى الله عليه وسلم (مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا) ولفظ القوت اذا استجمعت فى غليانها وتقدم للمصنف قريبا بلفظ قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها وقال العراقى رواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث المقداد بن الاسود

واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقليبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا مايقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا أوتخاف يارسول الله قال ومايؤمننى والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال عليه السلام مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا

اه قلت ولفظهما لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر اذا استجمعت غليانا (وقال) صلى الله عليه وسلم (مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الاشعرى باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بسند ضعيف اه قلت لفظ حديث أبى موسى عند الطبرانى مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الارض والباقى سواء ولفظه عند البيهقى مثل القلب كمثل ريشة والباقى كسياق المصنف وكذلك رواه ابن النجار فى التاريخ ورواه ابن ماجه بلفظ مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة وأما لفظ حديث أنس عند البزار مثل المؤمن كريشة بفلاة تقلبها الرياح مرة وتفيئها أخرى وهذه الامثلة الثلاثة أوردها صاحب القوت ثم قال فالقلب مكان التقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكانان للاحكام بالتصريف من اختلاف الازمان فى الاوقات والاعيان بتقليب القلوب وبان المقلب سبحانه يحول بين القلب وصاحبه واجب والكون باسره عند الموحدين فى القدر بالتقليب كمثل ريشة فى ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر تعالى وليس فى القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج الى زمان ولا مكان فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلاجل الحكمة والصنع والاتقان وما خفى من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين (وهذه التقلبات وعجيب صنع الله فى تقليبها من حيث لا يهتدى اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب فى الثبات على الخير والشر والترديد بينهما ثلاثة) أحدها (قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق) والترتيب فى هذا المقام غير مراعى فان التطهير عن الخبائث هو أول ما يكون ثم التزكية بالرياضة ثانيا فالذى ينتج عنهما عمارة القلب بالتقوى فهو آخر المراتب جعله أولا أو يكون المراد بعمارته بالتقوى الاتقاء من الشرك المضاد للتوحيد ثم التزكية بالرياضة بأعمال الجوارح ثم التطهير عن الخبائث هو انشراحه بنور اليقين حسبما قسم له (تنقدح فيه خواطر الخير) وهى التى ترد من الله تعالى بواسطة الملائكة (من خزائن الغيب ومداخل الملكوت) الاعلى (فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه) ويتبين له أمره (فيحكم بانه لابد من فعله ويستحث عليه ويدعو الى العمل به) وهذا القلب هو المتطلع الى الروح العلوى الميال اليه وهو القلب المؤيد الذى ورد فيه انه أجرد فيه سراج يزهر (فينظر الملك الى) هذا القلب (فيجده طيبا فى جوهره) أى فى تكونه فى أصل خلقته عند سكون الروح الى النفس (طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة) مغمورا بانوار اليقين (فيراه صالحا لأن يكون مستقرا له ومهبطا) لتنزلاته (فعند ذلك يمده بجنود) معنوية (لا ترى ويهديه الى خيرات أخرى) تتراءى (حتى ينجر الخير الى الخير) هلم جرا (كذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب فى الخير) فى كل لحظة (وبتيسير الامر عليه) فى كل حركة وسكون ولفظ القوت وان أراد الله تعالى اظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت حرس الروح بخفى اللطف فتحرك بامره تعالى فقدح من جوهرها نورا ساطعا فى القلب فظهرت همة عالية وهمة الخير ترد بأحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها الا ان همة كل عبد فى الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه فاحد الاصول مسارعة الى أمر بفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون مظنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت والمعنى الثالث تحمل مباح من تصرف فيما يعنى بما يعود صلاحه عليه أو استراحة للنفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحا من الافكار القلبية تكون جلاء لكربه وتخفيفا لثقله فهذه مرافق للعبد وفى كلها رضاه تعالى فامضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض فاذا أراد الله اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا فى القلب فاثرت فينظر الملك القلب فيرى ما أحدث الله فيه فيظهر مكانه فيتمكن والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة

وقال مثل القلب كمثل ريشة فى أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا البطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقلبها من حيث لا تهتدى اليه المعرفة لا يعرفها الا المراقبون والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى * والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لابد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات أخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير الامر عليه

فيلقى الالهام وهو حضوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتنفيذ ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد وينظر الملك الى اليقين فيشهد اليقين للملك بذلك فيطمئن العقل ويسكن الى شهادة اليقين فيصير مع الملك فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الايمان وتندرج ظلمة الهوى فى أنوار اليقين وتنطفئ شعلة الشهوة لظهور نور الايمان وزينة الحياء فتضعف صفات النفس بسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الايمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمزيد الايمان وسعة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون (واليه الاشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) فالاعطاء اشارة الى تزكية العمل والاتقاء هو عمارة القلب بالتقوى والتصديق بالحسنى هو التطهر عما يضاد الاخلاق المحمودة (وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية) فالقلب بمنزلة القنديل وعلى قدر رقته ولطيف جوهره وصفائه عن كدره وحسن طهارته عن الاكدار تكون العلوم الحسنة فيه والانوار وجوهر الزجاجة يحتاج الى صفاء الماء كما ان صفاء الماء يحتاج الى صفاء الجوهر ومعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النار يحتاج الى قوة الفتيلة فوضعهما فى القوة يكون العلم بالله تعالى واليقين (حتى لايخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء) روى الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن عباس الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل على الصفا وروى الحاكم وأبو نعيم فى الحلية الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء الحديث قال صاحب القوت وهذا لايعدمه المؤمنون الا الصديقون (ولايخفى على هذا النور خافية) بل ينكشف له حقائق الاشياء (ولا يروج عليه شئ من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان) من بعيد (ويوحى زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه) وليس عليه سبيل (وهذا القلب بعد طهارته من) الصفات (المهلكات) وأعظمها الجهل والطمع وحب الدنيا (يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها) بعد (من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك) مما سيأتى ذكره فى الربع الاخير (وهو القلب الذى أقبل الله عليه بوجهه) فسلبه عن ان يكون فيه مستكن لغيره (وهو القلب المطمئن المراد بقول الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى تسكن لجلال تجلياته وتنشرح وهو المراد من حديث حذيفة ان قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر فى تقسيمه القلوب على ماتقدم (والمراد بقوله يا أيتها النفس المطمئنة) ارجعى وهذا مخرج على ان القلب يتكون من سكون النفس الى النفس كما تقدم (القلب الثانى القلب المخذول) الموصوف بالخذلان المضاد للتوفيق (المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة) مثل الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها (المفتحة فيه أبواب الشياطين المسدودة عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى و يهجس فيه) وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى وهى الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها ويظهر خاطر الهوى فى القلب على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها (فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه) اذا ورد اليه الفتوى باذن الشارع (ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته فتسول النفس) وتزين (وتساعد عليه) وذلك لان بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات وترددات فيكون أنسه بالهوى اغماهو بتسويل النفس له من قول أو فعل فيواقعها أحيانا فتروم عليه النفس من نواحيه وتحسن له تلك الموافقة (فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانخناس جند العقل) أى تأخره (عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار

واليه الاشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لايخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شئ من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة (القلب الثانى) القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد (الهوى) عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار

الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والامانى و يوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد و يخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولوا بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون و بقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه أو كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والايمان و يسعى فى تحصيل مراد الشيطان

(القلب الثالث) قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير و يدفع فى وجه الشهوة و يقبح فعلها و ينسبها الى الجهل و يشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى و يقول ماهذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من

الهوى) فى جوانبه (فيقبل عليه) حينئذ عن قرب (بالتزين والغرور والامانى) الكاذبة و يخدعه بها (و يوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد و يخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى) عند التمكن (دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه) فيحجب البصيرة (حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل) فيه (كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلا تقدر على أن تنظر) الى شئ (وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب) اذا استولت عليه أعمت بصيرته (حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار) فى جليات الحقائق (ولو) فرض انه (بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه) وأفهمه بحسن تقريره (عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدر) ولفظ القوت واذا أراد الله بعبد هلكة وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس الى العقل فراجع العقل النفس فسوّلت وطوّعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى فى القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوى سلطان العدوّ لاتساع مكانه وأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فضعف سلطان الايمان لقوّة سلطان العدوّ وخبا نور اليقين لآثار ظلمة الهوى فقويت صفات النفس لضعف القلب واشتعلت نيران الشهوة لخمود نور الايمان فغلب الهوى لقوّة الشهوة فأحرقت العلم والايمان فارتفع الحياء واستتر الايمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء (والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) و بقوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون و بقوله) تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وهذا هو القلب المنكوس الذى ذكر فى حديث حذيفة عند تقسيم القلوب وهو المبال الى النفس واليه الاشارة بقوله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء (القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير) وهذا هو القلب المتردد بينهما و بحسب غلبة ميله يكون حكم السعادة والشقاوة كما أشار اليه المصنف بقوله (فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة و يحسن التمتع) والتلذذ (والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الشر و يدفع فى وجه الشهوة و يقبح فعلها و ينسبها الى الجهل و يشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب) وهذا هو معاقبة القلب للنفس حين تكدره منها فيما انطلقت فيه بهواها وذلك يكون عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والاقبال على الذكر والمراقبة (فتميل النفس الى نصح العقل) وتضعف قوّتها وهذا الميل منها اليه بموجب الالفة التى جعل الله بينهما ان كان تكوّنه منها عند سكونها مع الروح (فيحمل الشيطان حملة على العقل و يقوى داعى الهوى و يقول ماهذا التحرج البارد) والتكلف الذى لا معنى له (ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من

أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محرو ماشقيا ممقوتا يضحك عليك أهل الزمان أفتريد أن تزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان و يقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس الى قول الملك فلا تزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعد الحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقليب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين

أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه فتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محرو ماشقيا ممقوتا يضحك عليك أهل الزمان أتريد أن تزيد منصبك على فلان وفلان) و يسميهم بأسمائهم (وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا) من التمتع بالملاذ (أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه) أتريد أن تكون أفضل منه (فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه) بمقتضى جبلتها الاصلية وتأبى نصح القلب الى ورائها (فيحمل الملك على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال) فى العاجل (ونسى العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة) قريبة الزوال (وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد) لا تنقطع (أم تستثقل ألم الصبر عن شهوة) زائلة أى تعده ثقيلا عليك (ولا تستثقل ألم النار) التى من عذب بها لم يفلح (أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك أرأيت لو كنت فى) زمان (صيف ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد) مظلل (أكنت مساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال) مترددا (بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب من هو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها) من الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها (غلب الشيطان) وكانت تلك الصفات جنداله ومداخل الى القلب (ومال القلب) بحكم الغلبة (الى جنسه من أحزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى) بسبب ذلك (على أعضائه بسابق) القضاء (والقدر ما هو سبب بعده عن) حضرة (الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية) التى تقدمت الاشارة اليها (لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان) أى لم يمل (وتحريضه اياه على العاجلة) أى الدنيا (وتهوينه أمر الآجلة) اى الآخرة (بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) كما تقدم ذكره (أى بين تجاذب هذين الحزبين) المفهوم من قوله فى تفسيره ان المراد به تحت قبضة قهره وقدرته (و) هذا (هو الغالب أعنى التقلب والانتقال من حزب الى حزب) حتى بالغوا فى ذلك وقالوا

وما سمى الانسان الا لانسه ❊ وما القلب الا أنه يتقلب

فالتقلب والانتقال من شأن القلب هذا هو الاصل (أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو حزب الشياطين فنادر من الجانبين) قليل الوقوع واعلم ان أعمال العباد لا تخلو عن ثلاثة أنواع فرض ونفل ومعصية فالفرض بأمر الله تعالى ومحبته ومشيئته تجتمع هذه المعانى الثلاث فى الفرائض والنفل بأمر الله تعالى الا أنه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبته تعالى والمعصية بمشيئته الا أنه قد كرهها اذ لم يأمر بها ولم يندب اليها ولكن بمشيئته اذ لا يخرج شئ عن ارادته كما لا يخرج شئ عن علمه والارادة والمشيئة اسمان لمعنى واحد قد دخل كل شئ فيهما كما دخل كل شئ فى العلم قال تعالى فعال لما يريد فهو عالم بما أراده كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علمه الغيب ظهور ارادته الشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف يخالف المعلوم العلم وهو اجراء ما ينفذ ارادته سابق علمه فى معلومات خلقه وهذا فرض التوحيد فخرجت النوافل عن الامر وخرجت المعاصى عن المحبة فى تفصيل الاحكام ولم تخرج معصية عن مشيئته فاذا

عرفت ذلك فاعلم ان (هذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات) وأمارات (تعرف أرباب القلوب بسابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة وأسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان) واذا كانت الاشياء بعلمه جاريا بان جعل تسليط العدو بسلطانه كشفا واظهارا لما أخطاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفا واظهارا لارادته الباطنة وورد في بعض الاخبار سبق العلم وجف القلم وقضى القضاء وتم القدر بالسعادة من الله عز وجل لاهل طاعته و بالشقاء من الله تعالى لاهل معصيته كذا نقله صاحب القوت وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فانه) أي الشيطان (بأنواع الحكم يغر الحمق) أي يوقعهم في الغرور (كقوله ان الله) غفور (رحيم فلا تبال) مما صنعت (فان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل) والاجل بعيد (فاصبر) اليوم واعمل خلاصك فيه (حتى تتوب غدا) ولفظ القوت والخاطر بعد الهمة هو ظهور العدو على القلب بزين الهمة وعلى العبد برجي و يقسم له في أهله و يمنيه التوبة حتى يهون عليه المعصية و بعده بعدها المغفرة حتى يجرئه على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور و بعده الهلاك والثبور كما قال تعالى (يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) يعدهم أي بالتوبة ويمنيهم أي بالمغفرة فيهلكهم الله) تعالى (بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور و يضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء الله وقدره) ولفظ القوت وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى باظهار الحكم وانفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالاسباب فصار العدو سببا وقد قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقد قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان يعني بحوله وقوته ولا بقهره ومشيئته الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وهذه الاوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها وكان الهوى من القلب على قدر تزين العبد له وتسلطه عليه (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) بان يقذف في قلبه النور فينشرح له الصدر (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) قيل معنى يشرح يوسع قلبه للتوحيد والايمان به وقوله ضيقا حرجا أي شاكا كأنما يصعد في السماء أي كما كان ابن آدم لا يستطيع أن يبلغ السماء كذلك لا يقدر أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله تعالى في قلبه كل ذلك روي عن ابن عباس أخرجه عبد بن حميد وقيل ضيقا حرجا أي ملتبسا رواه أبو الشيخ عن قتادة و يروى ان عمر بن الخطاب قرأ يوما بين يدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا بفتح الراء فقالوا يا أمير المؤمنين حرجا بكسر الراء فقال ابغوا الي رجلا من كنانة فأتوه به فقال له عمر يا فتى ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شئ فقال له عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله (فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد) فاذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي وقد قال الله تعالى فان الله لا يهدي من يضل أي فان الله تعالى من شأنه ان أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله تعالى في سابق علمه فكيف يهديه الآن فاذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل الى قلبه من قلبه ذرة ولا قدر أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لان قلبه وان كان جارحة فهو خزانته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما في قلبه فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب فاذا كان المالك عزيزا وجبارا وكان كل شئ بيده لم يوصل اليه ما عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق اليه الا الصدق

وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي أيضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يغر الحمق بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

والاخلاص والذل والافتقار (لاراد لحكمه ولامعقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة) ويسرلهم أسبابها (وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصى وعرف الخلق علامة أهل النار و) علامة (أهل الجنة فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ثم قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى) قال العراقى رواه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى وقال عبد البر فى الاستيعاب انه مضطرب الاسناد اهـ قلت وأخرج البزار والطبرانى وابن عساكر من حديث أبى الدرداء خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ثم ضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذين على يمينه هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقال للذين على يساره هؤلاء فى النار ولا أبالى (فتعالى الله الملك الحق) لا اله الا هو كل ذلك من خالق النفس ومسوّيها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلا لمن شاء ومنة وفضلا لمن أحب كما قال تعالى وتمت كلمة ربك أى الهداية والاضلال صدقا لاوليائه ما وعدهم من الثواب وعدلا على أعدائه ما أعد لهم من العقاب ثم قال تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر) بل يتطلع الى ما وراءها من الاسرار (ولا يجتزئ) أى لا يكتفى (بالقشور عن اللباب بل يتشوّق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى) وهذا آخر كتاب عجائب القلب وقد ألحقت به فصولا مما يناسب ذكره فى هذا الباب هى كالمتممات له وذلك مما اقتطفته من كتابى قوت القلوب وعوارف المعارف وغيرهما مما تيسر لى الوقوف عليه وقد أعزو ما نقلته عن غيرهما

(فصل) كون خاطر العقل تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك فيه حكمة من الله تعالى لصنعته واتقان لصنعه ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز فتكون عاقبة ذلك من الجزاء أو العقاب عائدا له واليه اذ جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجواز أحكامه ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجرى معهما فى خزانة الجسم اذ لو كان مكانا للتكليف وموضعا للتصريف وسببا للتعريف العائد من معانى ذلك على صورة العبد من لذة نعيم أو عذاب أليم فلم يكن العقل غائبا فيكون العبد عن الفعل ذاهبا ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة اذ فى ذلك تضعيف لحجة الله ووهن لبرهانه لان الفعل شاهد الحجة والشهوة فى النفس والنية فى القلب طريق المحجة وذلك أصل عود جزاء الامر والنهى فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة ومطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما من اعطائه وهواه لهما الى رشاده واغوائه وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولى الاسباب كما قال تعالى فى أحكام ما ذكرناه تكملة لما أخبرنا عما سبق فى علمه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وقال تعالى كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير

(فصل) كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعانى ودقتها ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لان هذه الثلاث مكان اليقين أحدها الايمان وموضعه من اليقين حجر النار الثانى العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين فى القلب ومثل القلب فى قوته بقوة مراده وفى صفائه بجودة عدده مثل المصباح فى القنديل الماء مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وروح المباح وبمدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الايمان منه هو أصله وقوامه الذى يظهر بها فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان فى قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضىء النار

لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصى وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزى بالقشر عن اللباب بل يتشوّق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

التي هي اليقين وهو مثل العسل في مدده بالزهد وفقد الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدنيا ازداد ايمانا وعلا ثم يشهد كل ما أمر به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته قل ايمانه ثم اشهد ما أمر به من وراء حجاب لما غابت عليه قد حجب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه وتختل مشاهدته ولا يتحقق

(فصل) كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى وهو الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها وهو العلم والايمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فاي جند كانت المشيئة معه غلب

(فصل) من خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم الا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل فأهل اليقين العارفون بأحكام الله الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا مطلعها من الغيب وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ

(فصل) وليس يكاد علم اليقين يقدح من معدن العقل لان علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر فما أنتجته الافكار واستخرجته الفطن من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لاهل الدين فاما خاطر اليقين فانه يظهر من عين اليقين يبادأ به العبد مبادأة وتتبعه مفاجأة وله مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف أو خائف أو محب ومن سوى هؤلاء فبحاله محجوب وبعباداته مطلوب والى مقامه ناظر وفي طريقه بعقوله سائر فاما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون ظاهر أوصافهم الاصلاح وأول عطائهم اندراج ذكرهم في ذكره ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين الى عين اليقين فأول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله عز وجل وآخر علم الايمان أول علم اليقين وهو مشاهدة وصف وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لاول عين اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم وظاهر التوحيد توحيد الله سبحانه في كل شيء وتوحيده لكل شيء ومشاهدة ايجاده قبل كل شيء ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها فجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون في وسعها ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها أبد الابد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد الى مشاهدة علوم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى يمخض الجوارح باعمال الصالحات كما يمخض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهو علم اليقين فليست هذه الزبدة غاية لطالبين ولا بغية الصديقين لان وراءها صفوها وخالصها ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدته الوجه بمرآة القرب وهي نوره فحينئذ لا يفارقه وجوده وحضوره فيرفع العبد من خواطر اليقين الى مشاهدة الصفات بعد ذوق علوم الخواطر يتجوهر نور شعاع وجه الذات وهذا مقام الاحسان

(فصل) قال بعض العارفين لي قلب اذا عصيته عصيت الله تعالى يعني انه لا يقدح فيه الا طاعة ولا يقترب به الا حق فقد صار رسوله تعالى اليه فاذا عصاه فقد عصى المرسل يعني الخبر الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وبقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله تعالى فمن نظر بنور الله تعالى كان على بصيرة من الله تعالى وكان عمله بنوره طاعة له وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وما ساكنته طرفة عين

(فصل) خاطر اليقين والروح والملك من خزائن السموات وخواطر العقل والنفس والعدو من خزائن الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهى تميل الى التراب والروح روحانى خلقت من الملكوت فهى ترتاح الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح فيه هذه الخواطر عن أواسطها من خزائن الغيب فتؤثر فى القلب فيتلألأ فيه التأثير فنها ما يقع فى سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع فى بصر القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع فى شم القلب فيكون علما وهو العقل وهذا أقلها لبثا وأيسرها عناء وما وقع فى باطن القلب فيكون علما ٧ وحسه نخرق شغافه ووصل الى سويدائه كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم أسألك ايمانا يباشر قلبى وقال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة وللدنيا وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان الى باطن القلب أبغض الدنيا وهجر هواه فاذا كانت هذه الخواطر من أواسط الهداة وهى الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة قدحت فى قلب العبد نورا وطيبا أدركته الحفظة وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدو والنفوس كانت فجورا وضلالا وهم من خزائن الشر ومغالق الاعراض قدحت فى القلب ظلمة ونتنا أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيآت فهذه جنود منقادة لامره وهو تعالى قادر على كل شئ بيده كل شئ حكيم فى كل شئ والعبد ضعيف عاجز جاهل ساكن لا يقدر على شئ قد ابتلى بالاسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب فالاسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء والله هو المبلى المريد المبدئ المعيد وينشئكم فيما لا تعلمون وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليس يشهد العبد الا ما أشهد فكذلك تفاوت العباد فى المشاهدة ولا يستبين له الا ما أبين له وأريد به فمن ذلك اختلفوا فى الادلة فاذا أراد الله سبحانه اظهار شئ من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت فى القلب همة سوء فينظر العدو الى القلب وهو مراصد ينتظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها مما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا رأى همة قد قدحت من النفس فأثرت ظلمة فى القلب ظهر مكانه فقوى بذلك سلطانه والهمة ترد على أحد ثلاث معان أحدها هوى وهو عاجل حظ النفس وأمنيته وهذا عن الجهل الغريزى ودعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحنة القلب فأى هذه الثلاث قدح فى القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدد منسوب اليها محكوم عليه بالذم ليست تصدر الا بأحد ثلاثة أصول بجهل أو غفلة أو طلب فضول دنيا وهى مما لا تعنى ومضافات الى الدنيا وأعمالها فالاصل مجاهدة النفس والعدو عن امضائها وحبس الجوارح عن السعى فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات فان كن هذه الثلاث وردن بمحرمات ففرض عليه كف الجوارح عن السعى فيها فان أمرج قلبه فى ذكرها أو نشر خطواته فى طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين وان كن وردن بمباحات ففضل له نفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطنا للفضلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى والتقليب والامتحان منه فى التصريف فان أراد الله تعالى سعادة هذا العبد بعد ان أشفى على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء بهوى النفس بنور ايمانه الى الله تعالى وأسر الالتجاء اليه وأخفى التوكل عليه عائذا لائذا به واضطر مخلصا له فهنالك توكل عليه فكان حسبيه ووقى مكر عدوه وجعل له مخرجا ونجاه من شره فينظر اليه تعالى الى القلب نظرة تخمد النفس وتمحى الهمة وتخيف العدو لسقوط مكانه ويذهب لخنوسه شر سلطانه فيصلو القلب من التأثير بنور السراج المنير فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه

(فصل) وقد تختلف اللمتان فربما تقدمت اليه لمة العدو بالامر بالشر ويقدح بعدها لمة الملك

نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب فينهى عن ذلك فعلى العبد أن يعصى الخاطر الاول و يتبع الثانى وقد يتقدم الهام الملك بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهى عنه والاملاء بالتأخير عنه محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل فعليه أن يطيع الخاطر الاول و يعصى الثانى ثم ترقى الخاطر من الهام و وسوسة وقد يتفاوت ذلك لقوة وضعف لتفاوت الاحكام والارادة من الحاكم ومن قبل تقدير القدرة وغرائب الاحكام بالمشيئة لان له فى خزانة الخير خزائن شر اذا شاء وله فى خزانة الشر خزائن خير اذا أحب لمن يحب لئلا يسكن الى سواه فاذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولا يدل به أبدا لانه لا يأمن مكر الله بتقليب خزائن الشر من خزانة الخير اذ غلبه ابداه ولم ييأس من شر عليه أبدا لانه يرجو تقليب خزائن الخير من حيث خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك الا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار فما كان العبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير تنهاه عنها فهو منظور واليه متدارك وهذا هو الواعظ القائم فى القلب والزاجر المؤيد العقل وقد تترادف خواطر الشر عن النفس والهوى فلا يعتقبها خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب وقد يتتابع خاطر الخير من الروح والملك و يعافى العبد من خاطر الهوى والنفس وهذه علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدو ووساوسه بالخير ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيلة من العدو ومكرا من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه آخرا الى اثم أو ليقطعه بذلك عن واجب يشغله به عن الافضل فى الحال فيكون ظاهره برا وباطنه اثما أو يكون أوله خيرا وآخره شرا وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره وشهوة النفس من ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير وموها أوله بالبر تحسينا وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون ولا يعرف بواطنه وسرائره الا العالمون فاما خاطر الملك فلا يرد الا بخير صريح و بر محض على كل حال اذا ورد لان الخداع والحيلة ليسا من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب اذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المبعدين فيخلى بين القلب و بين نوازع العدو اللعين و يخلى العدو بهوى النفس فيستحوذ و يقترن بالعبد نعوذ بالله من ابعاده ولا يزال العبد مع الهام الملك فى مقام الايمان فاذا دفع الى مقامات اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان لقاء الحق سبحانه حتى يرد عليه من الله تعالى من السرائر مالا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تفنى خواطر النفس بالهوى فلا تبقى منها باقية وتقوى النفس فتدرج فى الروح فلا تظهر منها داعية ثم يتولاه الله بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب بكاشفة الجبروت فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونيته ومالا يصلح بعد ذلك كشفه الالاهله أو لمن سأل عنه وهذا يكون فى مقام التوحيد وهو أنصبة المقربين

(فصل) كل عمل وان قل لابد له من ثلاثة معان قد استأثر الله تعالى بتوليها أولها التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك و بين الشئ والثانى القوة وهو اسم لثبات الحركة التى هى أول الفعل والثالث الصبر وهو تمام الفعل الذى به يتم وقد رد الله تعالى هذه الاصول التى تظهر عنها كل عمل اليه تعالى فقال وما توفيقى الا بالله وقال ماشاء الله لاقوة الا بالله وقال واصبر وما صبرك الا بالله

(فصل) قد قرن الله القلب بالايمان والبعث والامر بهما فى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون قال ابن عباس يحول بين المؤمن والكافر و بين الكافر والايمان وقيل بين العبد و بين الاستجابة لله والرسول وقيل بين المؤمن وسوء الخاتمة و بين الكافر وحسن الخاتمة وقيل بين المؤمن وان يلقيه فى كبيرة يهلك فيها و بين المنافق وان يوفقه لطاعة ينجو بها وهذه مخاوف المؤمنين بتحقيق الوعيد

(فصل) نصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد و نصيبه منه حسب قسمه من اليقين وقسمه منه عن قربه من القريب وقربه منه بقدر علمه به تعالى واتساعه فى العلم به على نحو مكانه

من نور الايمان ومزيد اعانة على قدر احسانه اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وايثاره له علم الله من وراء ذلك وذلك سر القدر المحجوب المخترق ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حبه للدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوته فى الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه من كثافة الحجاب وبعد البعد بينه وبين الله تعالى والحجاب والبعد ميراثه الكبر والقسوة والقسوة تورث الانهماك فى المعاصى وادمان المعاصى عن الاعراض والمقت والاعراض عن قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره اليه ومن وراء ذلك سر القدر المحجوب الذى به عن الخلق استأثر

(فصل) قد حجب العقل المكبد عن النظر الى المبدئ المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فستره ذلك عن الاول المصور القادر المحرك فادعى عن نظره الى حركته وسكونه التى هى حجة له عن المحرك الغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهودا فى عمى عن النظر الى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد الا بالغيب وهو اليقين كالا تدرك الشهادة الا بشهادة وهى العين فمن عمى بصره لم ير من الملك شيأ كذلك من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيأ فلعدم اليقين عمى عن الشهادة ولا يقاع الحجة أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولى الابصار لاعتبر الحركة الغيبية بالمحرك الشاهد فكان الحركة تغيب فى الجسم ظهر عنها المتحرك فاظهر تعالى المتحرك وأخفى الحركة فيه وأظهر الصنعة وأخفى الصنع فيه لتفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنعة الاولى والحاكم الاعلى ذو الحكم الاغلب غيب عن الحركة التى أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة فشهد المعقول ما أشهد بما ظهر له ووجهه به لانه معقول عليه محدود له وعمى عما غيبت عنه لفقد اليقين منه فعندها ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحد شهادة التوحيد فوحد لما كوشف له الملكوت بنور اليقين فافرد

(فصل) الخلق محجوبون بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض أحدها أواسط وأسباب معترضة وشهوات حادثة وعادات صادرة فالاسباب توقفهم عليها والشهوات تجذبهم اليها والعادات تردهم فيها فأى هذه الحجب ظهر فى قلب وبعضها أشد من بعض فهى مكان للعدو وأوسع من مكان فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه فويت النفس بتزيين العدو وسولت بتأميله فلكت العبد ملكا أشد من ملك فاذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أسيره فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والاضلال واستحوذ عليه بمعانى المشاركة فى الاولاد والاموال فشغله بذلك عن الله تعالى وأنساه ذكره وهذا هو الاقتران الذى ذمه الله تعالى فى قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز

(فصل) ما كان من لائح يلوح فى القلب من معصية ثم ينقلب ولا يلبث فهذا نزغ من قبل العدو وما كان فى القلب من هوى ثابت أوحال مزعج دائم لا بث فهذا من قبل النفس الامارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها وما ورد على العبد من همة بمعصية ووجد العبد فيه كراهتها فالورود من قبل العدو والكراهة من قبل الايمان وما وجده العبد وجدا فهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجده العبد من ذكر فى عاقبة دنيا أو تدبير الحال ونظر الى معبود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا من الايمان وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو اجلال أو قرب فهذا من اليقين وهو مزيد الايمان واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وكل هذه الفصول لخصتها من كتاب القوت

(فصل) اذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس فى مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الاربعة فى حقه ثلاثة ويسقط خاطر الشيطان الا نادرا لضيق

مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس على التمييز بين الحظ والحق ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان الا نادرا لدخول الابتلاء عليه

(فصل) من المرادين بمقام المقربين من اذا صار قلبه سماء من بنار زينة كوا كب الذكر يصير قلبه سماء يا فيرتقي و يعرج بباطنه ومعناه وحقيقته فى طبقات السموات وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يتجاوز السموت بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقالبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر اليقين لاستتره بانوار القرب و بعد النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضا لان الخاطر رسول والرسالة الى من بعد وهذا قريب وهذا الذى وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود فى هبوطه الى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعى وجودا وما أشرنا اليه حالة الفناء فلا خاطر فيه وخاطر الحق ابقاء لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل عليه السلام فى ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لو دنوت أنملة لاحترقت

(فصل) وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لاخامس لها اماضعف اليقين أوقلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أومتابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أومحبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يتطلبها وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الاربعة دون البعض وأقوم الناس بتمييز الخواطر اقومهم بمعرفة النفس ومعرفة النفس عسر المنال لا يكاد يتيسر الا بعد الاستقصاء فى الزهد والتقوى واتفق المشايخ على ان من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وقال أبو على الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الاطلاق الا بتقييد وذلك ان من المعلوم مايقيمه الحق تعالى لعبد سبق اليه الاذن فى الاخذ منه والتقوت ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر انما يقال ذلك فى حق من دخل فى معلوم باختيار منه وايثار لانه يحجب بملوضع اختياره والذى أشرنا اليه منسلخ عن ارادته ولا يحجبه المعلوم

(فصل) فرقوا بين هواجس النفس و وسوسة الشيطان وقالوا ان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا و لم يجب يوسوس باخرى اذلا غرض له فى تخصيص بل مراده الاغواء كيف أمكن

(فصل) تكلم الشيوخ فى الخاطرين اذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد الخاطر الاول لانه اذا بقى رجع صاحبه الى التأمل وهذا بشرط العلم وقال ابن عطاء الثانى لانه ازداد قوة بالاول وقال أبو عبد الله بن خفيف هما سواء لانهما من الحق فلا مزية لاحدهما على الآخر

(فصل) قالوا الواردات أعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع خطاب أومطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور و وارد حزن و وارد قبض و وارد بسط

(فصل) من قصر عن دقائق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخواطر أولا بميزان الشرع فما كان من ذلك فضلا أوفرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما أومكروها ينفيه فاذا استوى الخاطران فى نظر العلم ينفذ أقربهما الى مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوى كامن فى أحدهما والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون الى الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن انه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق لسكونه الى النفس ولا يدرك نفاق الخواطر المتولدة منه الا الراسخون وأكثر ماتدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال فهم من هذا القبيل وذلك

لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم وينبغي أن يعلم العبد انه مهما بقي عليه أثر من الهوى وان دق قد يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في تمييز الخواطر من حرم قليل العلم ولا يؤاخذ بذلك مالم تكن عليه من الشرع مطالبة وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخطا في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت وهذه الفصول لخصتها من كتاب العوارف

(فصل) قال المصنف في مشكاة الانوار مراتب الارواح البشرية النورانية وهي خمسة* الاول الروح الحساس وهو أصل الروح الحيواني وأوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبي الرضيع* الثاني الروح الخيالي وهو الذي يكتسب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزونا عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوه فلذلك يولع بالشئ ليأخذه فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى أن يكبر قليلا فيصير بحيث اذا غيب عنه بكى وطلبه وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض* الثالث الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية *الرابع الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة* الخامس الروح القدسي النبوي الذي به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض واليه الاشارة بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم فالروح الحساس أوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة والروح الخيالي أوفق مثال له الزجاجة والروح العقلي أوفق مثال له المصباح والروح الفكري أوفق مثال له الشجرة والروح القدسي أوفق مثال له الزيت واذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحسي هو الاول وهو كالتوطئة للخيالي اذ لا يتصور الخيالي الا موضوعا بعده والفكري والعقلي بعدهما فبالحري ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة واذا كانت هذه كلها أنوارا بعضها فوق بعض فبالحري أن تكون نورا على نور وهذا مثل قلب المؤمن

(فصل) ومثال قلب الكافر هو المشار اليه بقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الآية فالبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الشهوات المردية والكدورات المعمية والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية فبالحري أن يكون هذا الموج مظلما لان حب الشئ يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة والتكاثر وبالحري أن يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري أن يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات واغفل عن اللذات فان الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلا وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجبا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك يحجب الكفار عن معرفة أحوال عجائب النبي صلى الله عليه وسلم مع قرب تناوله وظهوره بادنى تأمل فبالحري أن يعبر عنه بانه ان أخرج يده لم يكد يراها واذا كان منبع الانوار كلها من النور الاول الحق فبالحري ان يعتقد كل موحد ان من لم يجعل الله نورا فماله من نور

(فصل) ولنختم هذا الكتاب بكلام الامام قطب الاقطاب أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره قال في كتاب

جمع من كلامه على اسرار الطريق مانصه قرأت سورة الاخلاص والمعوذتين ذات ليلة فلما انتهيت الى قوله من شر الوسواس الخناس رأيت بعد ذلك يقال لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك و بين جنبيك يذكرك أعمالك السيئة و ينسيك ألطافه الحسنة و يكثر لديك ذات الشمال و يقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالى وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذرك هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد وفيه أيضا قال رحمه الله تعالى اذا كثر عليك الخواطر والوسواس فقل سبحان الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقال رحمه الله تعالى ان أردت ان تسلم من الوسواس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد و به ختمت شرح كتاب عجائب القلب * والفكر منقسم والخاطر متشعب * والهم الى الضرورات الدنيوية منصرف وأسأل الله العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم * فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير * واستكشاف الانوار العلوية من وراء الحجب عسير غير يسير * والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي دبر أمور الكائنات بلطيف صنعه وعظيم قدرته أحسن تدبير * وأبدع المخلوقات بسابق ارادته الازلية من غير سبق مثال فصورها أتم تصوير * وخص النوع الانساني منها بما زينه من حسن صورته وبديع شكله فى أعدل تقويم وأقوم تركيب وأبدع تقدير * ثم حرس سواده عن الفساد بما ألهم به من تهذيب الاخلاق الباطنة وصانه عن شوائب النقص والتقصير * وحبس مراده على السداد فاجراه على حسن التشكل حسبما جرى به قلم التقدير * أحمده حمد من رأى آيات قدرته الباهره وشاهد شواهد فردانيته القاهره وعرف مواضع التقديم والتأخير * وأشكره شكر من اعترف لفضائل كرمه واحسانه واغترف من بحار جوده وامتنانه واستفتح به باب المزيد من الفتح الغزير والخير الكثير * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جل عن شبيه ونظير * واستغنى بوحدانيته عن الشريك والمشير والوزير * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الهادى البشير * و رسوله السراج المنير * الذى بعثه وطرق الايمان قد عفت آثارها * وخبت أنوارها * والعلم قد درست ربوعه * و انقطعت نبوعه * فأحياه احياء الارض بالوابل المطير * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين * وأصحابه الفاضلين * وسلم تسليما مالاح البدر المنير * وناح الحمام المطوق بالهدير * وبعد فهذا شرح (كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلب) وهو الكتاب الثانى من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات من كتاب الامام * علم الائمة الاعلام * حجة الاسلام * أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى بل الله بالرحمة ثراه * وأجزل من المغفرة قراه * اختصرت فيه الكلام اختصارا * واقتصرت على ما أورده منها اقتصارا * ايثارا للتخفيف لا رغبة فى التطفيف * على انى ما أوردته لا يخلو من فائدة تلفى * وحكمة تثبت ولا تنفى واشارات موقظة تقرب الى الله زلفى * ومنبهات تذكر الناسى * وتلين القلب القاسى * ولطائف غريبة تلعب بالالباب * وتشوق الى منازل الاحباب * والى الله الرغبة فى الاعانة * فيما يسهل به طريق الكشف والابانه * وأن يوردنا من مناهل التوفيق الصافية أحلاها * وأن يولينا من أنواع الاحسان أعلاها * انه بكل فضل جدير * وعلى ما يشاء قدير * قال المؤلف رحمه الله تعالى فى مفتتح كتابه (بسم الله الرحمن الرحيم) تيمنا بالذكر الحكيم واقتداء بالكتاب الكريم والنبى العظيم ثم أردفه بقوله (الحمد لله) جمعا بين الحديثين وحوزا للفضيلتين (الذى صرف الامور) أى حولها وقلبها (بتدبيره) أى حسن صنعه وأصل التدبير النظر فى دبر الامور أى عواقبها (وعدل) أى سوى (ترتيب الخلق) فعل بمعنى مفعول أى جعل كل شئ منه فى مرتبته التى تليق به (فاحسن فى تصويره) أى اقامة صورته (وزين صورة الانسان) من بين خلقه (بحسن تقويمه) أى تعديله (وتقديره) أى تحديده بحده الذى يوجد وأصل صورة الشئ ما به يحصل الشئ بالفعل (وحرسه

(كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه

من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره) فجعله على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضته حكمته الازلية (وفوّض تحسين الاخلاق) وتسويتها (الى اجتهاد العبد وتشميره) هو الاجتهاد مع السرعة وفيه الخفة ومنه يقال شمر فى العبادة اذا اجتهد وبالغ وفيه ان الاخلاق ليست غرائز وسيأتى الكلام عليه (واستحثه) أى حرضه (على تهذيبها) أى تخليصها من مساويها (بتخويفه وتحذيره) وذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (وسهل على خواص عباده) وهم الذين خصهم بموالاته ومحبته واصطفاهم لقربه (تهذيب الاخلاق) أى تصفيتها بان الهمهم طريق المجاهدة فيها عناية منه عليهم (بتوفيقه) اياهم (وتيسيره) لهم (وامتن عليهم بتسهيل عسيره) أى ماعسر منه بالاضافة الى غيرهم (والصلاة الكاملة (على) سيدنا (محمد عبد الله) وهو أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم (ونبيه) المرسل منه (وحبيبه) المختص به (وصفيه) أى مختاره من بين أنبيائه الكرام عليهم السلام (وبشيره ونذيره) بما أعد لامته من الثواب والعقاب (الذى يلوح) أى يظهر (نور النبوّة) المضىء (من) خلل (أساريره) أى خطوط جبهته فمن وقع عليه بصره ولاحت له أنوار وجهه أسرع الى الايمان بما جاء به وصدقه كما قال الشاعر لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تغنيك عن خبره (وتستشرف) أى تظهر (حقيقة الحق) أى تعين ذاته ونسبته (من مخايله) جمع مخيلة وهى المظنة (وتباشيره) أى مما يظهر من ظاهره يقال هذا يستشف ماوراءه أى يبصر أشار بذلك الى أن مايعرف به صحة النبوّة اما عقلية واما حسية فالاولى يعرفها أولو البصائر من الصديقين ومن يجرى مجراهم والثانية يدركها أولو الابصار من العامة وحق النبى أن يكون من أكرم تربة فى العالم حيث يكون عقل أربابها أوفر وان يكون من عنصر كريم وأن تكون عليه أنوار تروق من رآها وأخلاق تلذ من ابتلاها وأن يكون كلامه ذاجحة وبيان يشفى سامعه اذا كان متخصصا بنور العقل وهذه الاحوال اذا حصلت لايحتاج ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لايطلب الانبياء من الملائكة فيما يخبرونهم بحجة فنبينا صلى الله عليه وسلم أكرم الانبياء أصلا وأحسنهم فى هذه الاوصاف تحققا فما وقع بصر أحد عليه الا وأقر بتصديقه وعلم انه على الحق من غير تلعثم (وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره) جمع ديجور وهو شدة السواد يقال ليل ديجور أى مظلم (وحسموا) أى قطعوا (مادة الباطل) أى أصله الذى ينشأ منه والباطل هو مالاثبات له من المقال والفعال عند الفحص وهو ضد الحق (فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره) أى لم يتعلقوا به قليلا كان أو كثيرا بل صاروا سببا لمحقه وازالته واذا جاء الحق بطل الباطل (أما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين) اعلم أن الخلق بضمتين هيئة راسخة تصدر عنها الافعال بيسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد مال أو لمانع ولا يسمى خلقا مالم يثبت ذلك فى نفسه وكونه صفته صلى الله عليه وسلم يأتى بيانه فى بيان فضيلته (وأفضل أعمال الصديقين) بعد الايمان بالله كما سيأتى ذلك فى الاخبار (وهو على التحقيق شطر الدين) أى نصفه كما روى الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث أنس حسن الخلق نصف الدين وتقريره ان حسن الخلق يؤدى الى صفاء القلب وطهارته فاذا صفا وطهر عظم النور وانشرح الصدر به فكان هو الجزء الاعظم فى ادراك أسرار أحكام الدين فهو نصف بهذا الاعتبار (وهو ثمرة مجاهدة المتقين) أى نتيجتها (و) أيضا ثمرة (رياضة المتعبدين) لان فى المجاهدة ورياضة النفس تهذيب أخلاق فثمرتها آخرا بتبديل أوصافها من القبح الى الحسن والقلب اذا طهر من الرين وصفت الاخلاق من الدنس والكدر نال العبد المعرفة الموصلة الى ربه (والاخلاق السيئة) وهى الافعال الرديئة التى تصدر عن الهيئة بحيث ينكرها العقل والشرع (هى السموم القاتلة) لصاحبها أى بمنزلتها (والمهلكات الدامغة) أى

من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوّض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح أنوار النبوّة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره (أما بعد) فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة

والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين وهى الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما أن الاخلاق الجميلة هى الابواب المفتوحة الى القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس الا أنه مرض يفوت حياة الابد وأين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفى مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق فى معرفة عللها وأسبابها ثم الى تشمير فى علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير فى هذا الكتاب الى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التى بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم

الكاسرة لدماغه فلا حياة معها (والمخازى الفاضحة) جمع خزى بالكسر على غير قياس وهو الذل والهوان والانكسار والفضيحة العيب وفضحه كشف عيبه (والرذائل) جمع رذيلة وهى صفة مرذولة أى رديئة غير جيدة (الواضحة) أى الظاهرة (والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين) أى من قربه (المنخرطة بصاحبها فى سلك الشيطان اللعين) فانه أصل كل خبث وفساد وهو يحب الخبائث ومن جملتها سوء الاخلاق فمن كان متصفا بها صار فى سلك الشيطان والشيطان مطرود من رحمة الله فبالحرى أن يكون الذى فى سلكه مطرودا مثله (وهى الابواب المفتوحة الى نار الله) تفسير للحطمة التى من شأنها انها تحطم كل ما يطرح فيها (الموقدة) التى أوقدها الله تعالى وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره (التى تطلع على الافئدة) أى تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد ألطف ما فى البدن وأشده تألما أو لانه منشؤ الاعمال القبيحة والعقائد الزائغة (كما ان الاخلاق الجميلة هى الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن) فان من اتصف بها فقد شابه الملائكة وقرب اليهم والملائكة مقربون عند الله تعالى وقريب القريب قريب (فالاخلاق الخبيثة أمراض القلوب واسقام النفوس) لانها بمنزلة السمومات ومن زاول السمومات واستعملها لم يخل من مرض فى القلب وسقم فى النفس (الا أنه مرض يفوت حياة الابد) وهى البقاء بالله (وأين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد) شتان ما بينهما (ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان) فى بقاء صحتها على ما كانت عليه (وليس فى مرضها الا فوت حياة فانية) زائلة (فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب) فى ازالتها (وفيها اقرب حياة باقية) للابد (أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب) وهذا هو طب الانبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى لتعليم الامم كيف يعالجون القلب فى كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الاخلاق المذمومة وكيف يوردونه طريق الصفاء (اذ لا يخلو قلب من القلوب من أسقام لو أهملت) أى ترك علاجها (تراكمت) تلك الاسقام عليه (وترادفت العلل) بعضها وراء بعض (وتظاهرت) أى غلبت (فيحتاج العبد) الموفق (الى تأنق) وتدبر (فى معرفة عللها) من أين نشأت (وأسبابها) من أين حدثت (ثم الى تشمر) أى اجتهاد بالغ (فى معالجتها واصلاحها) بازالة وجود أسبابها ثم بتعديلها وردها الى الصحة الفطرية (فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها) أى أنماها بالعلم والعمل والمراد به الحث على تكميل النفس (واهمالها) أى تركها حيث ترتع فى الملاذ والشهوات (هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها) أى نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (ونحن فى هذا الكتاب نشير الى جمل أمراض القلوب) التى تعتريها من أسباب مختلفة (وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتى فى بقية الكتب من هذا الربع) وهو الثالث (وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه) أى ادراكه وفهمه (ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق) من الآيات والاخبار (ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة) والتمرين (ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذى به يتعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل) الدالة (على ان طريق المعالجة للقلوب) انما هو (بترك الشهوات

لاغير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو) حتى يكبروا (ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى)

(بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

(قال الله سبحانه) وتعالى فى كتابه العزيز مخاطبا (لنبيه وحبيبه) صلى الله عليه وسلم (مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه) أى عنده (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك مالا يحتمله أمثالك (وقالت عائشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن) أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة وعبد ابن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة رضى الله عنها فقلت يا أم المؤمنين اخبرينى بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن انك لعلى خلق عظيم وقد تقدم فى كتاب أخلاق النبوة (وقوله عز وجل) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم) فى تأويله (وهو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك) أى منعك (وتعفو عمن ظلمك) قال العراقى رواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس باسانيد حسان اه قلت أما حديث جابر عنده فلفظه قال لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ما تأويل هذه الآية قال حتى أسأل فصعد ثم نزل فقال يامحمد ان الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك فقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة قالوا وماذاك يارسول الله قال تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وقد رواه أيضا أبو بكر بن أبى الدنيا فى مكارم الاخلاق عن ابراهيم النخعى ورواه أيضا ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الشعبى وأما حديث قيس بن سعد ابن عبادة فلفظه عند ابن مردويه قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمزة بن عبد المطلب قال والله لامثلن بسبعين منهم فجاءه جبريل بهذه الآية فقال ياجبريل ماهذا قال لا أدرى ثم عاد فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وأما لفظ حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مكارم الاخلاق عند الله أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقد روى ذلك أيضا عن معاذ مرفوعا قال أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك (وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) رواه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى آداب الصحبة (وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء اه قلت وكذلك رواه ابن حبان فى الصحيح ومداره على شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن عطاء الكيخارانى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد حدثه عن شعبة جماعة محمد بن كثير وشعيب بن محرز وأبو عمر الحوضى وبشر بن عمر الزهرانى وعفان ويزيد بن هرون ورواه عيسى بن يونس عن شعبة عن الحكم بن عتيبة عن القاسم وهو خطأ فيما ذكره الخطيب البغدادى فى كتابه المزيد ورواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مالك عن أم الدرداء عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق عبد الوهاب بن الضحاك حدثنا اسمعيل بن عياش عن صفوان ابن عمرو عن يزيد بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبى الدرداء فذكره مرفوعا بنحوه وقد أخرج طرقه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه منهاج السلامة فى ميزان القيامة واستوفاها فليراجع من هناك (وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو أن لاتغضب) قال العراقى رواه محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر

بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لاتغضب

الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلا (وقيل يارسول الله ما الشؤم) بالضم وسكون الهمزة وقد تسهل فتصير واوا (قال سوء الخلق) أي يوجد فيه ما يناسب الشؤم ويشاكله أوانه يتولد منه قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولابي داود من حديث رافع بن مكيث سوء الخلق شؤم وكلاهما لايصح اهـ قلت وكذلك رواه الطبراني في الاوسط والعسكري في الامثال وأبو نعيم في الحلية كلهم من حديث عائشة وقد ضعفه المنذري وقال الهيثمي فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ورواه أيضا الدارقطني في الافراد والطبراني في الاوسط كذلك من حديث جابر قيل يارسول الله ما الشؤم فذكره فهو الموافق لسياق المصنف هنا وقال الهيثمي وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي ضعيف وأما سوء الخلق شؤم فقد رواه الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر ورواه الخطيب من حديث عائشة بزيادة وشراركم أسوأكم خلقا ورواه ابن منده من حديث أم سعد ابنة الربيع الانصارى عن أبيها بزيادة وطاعة النساء ندامة وحسن الملكة نماء وأما حديث رافع بن مكيث فلفظه عند أبي داود وحسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم ورواه في الادب من طريق بقية عن عثمان بن زفر عن محمد بن خالد بن رافع عن رافع بن مكيث وهو جهني شهد الحديبية وقيل هو تابعي وحديثه مرسل وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وبقية فيه كلام معروف ولهذا قال العراقي وكلاهما لايصح ورواه أحمد والطبراني في الكبير بزيادة والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء وفيه رجل لم يسم (وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله) بامتثال أمره وتجنب نهيه (حيث كنت) أي في كل زمان ومكان رآك الناس أولا فان الله مطلع عليك وفي بعض الروايات حيثما كنت وما زائدة (قال) الرجل (زدني قال اتبع السيئة) الصادرة منك صغيرة أو كبيرة (الحسنة) وهي بالنسبة للكبيرة التوبة منها (تمحها) من صحيفة الكاتبين وذلك لان المرض يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وعكسه ان الحسنات يذهبن السيئات وظاهر قوله تمحها انها تزال حقيقة من الصحيفة وقيل عبر به عن ترك المؤاخذة ثم ان هذا قد خص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمي كغيبته ان وصلت اليه فلا يمحوها الا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة ان أمكن ولم يترتب عليه مفسدة والا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء (قال زدني قال خالط الناس) أي عاشرهم وفي رواية الجماعة خالق الناس أي تكلف معاشرتهم (بخلق حسن) أي بالمجاملة من نحو طلاقة وجه وخفض جانب وتلطف في سياستهم مع تباين طباعهم وجمعه بعضهم بقوله هو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك فتجتمع القلوب وتتفق الكلمة وتنتظم الاحوال وذلك جماع الخير وملاك الامر قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح اهـ قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم هو والبيهقي وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي واعترض هو بأن فيه يوسف بن يعقوب القاضي قال الذهبي مجهول ورواه أيضا أحمد والترمذي والبيهقي من حديث معاذ وقال الذهبي في المهذب اسناده حسن ورواه الطبراني وابن عساكر في التاريخ من حديث أنس (وسئل صلى الله عليه وسلم) أي الاعمال أفضل (قال خلق حسن) والمراد به بعد الايمان بالله وقد روى الطبراني في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة أفضل الاعمال بعد الايمان بالله التودد الى الناس (وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد) وفي نسخة امرئ وفي أخرى رجل (وخلقه فتطعمه النار) أبدا رواه الطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة ورواه الخطيب من حديث أنس وقد تقدم في آداب الصحبة (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار) رواه أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله سيئة الخلق وقد تقدم في آداب الصحبة (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق

وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق

الله الكفر قال اللهم قوّنى فقوّاه بالبخل وسوء الخلق) قال العراقى لم أقف له على أصل هكذا ولابى داود والترمذى من حديث أبى الدرداء مامن شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح اه قلت وبهذا اللفظ مامن شئ الخ أخرجه كذلك أحمد ولفظ الترمذى مامن شئ يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق الحديث ورواه عنبسة الوراق فقال حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا أبو ابراهيم بن نافع الصائغ عن الحسن بن مسلم عن خاله عطاء بن نافع انهم دخلوا على أم الدرداء فأخبرتهم انها سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أثقل أو قال أفضل شئ فى الميزان يوم القيامة الخلق الحسن وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن عصام بن يزيد عن أبيه عن سفيان عن ابراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن خاله يعنى عطاء الكيخارانى عن أم الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه غريب من حديثه عن ابراهيم تفرد به عصام بن يزيد قاله أبو نعيم وأخرجه أيضا من طريق محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأحمد بن أسد قالا حدثنا شريك عن خلف بن حوشب عن ميمون بن مهران قال قلت لام الدرداء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قالت سمعته يقول أول مايوضع فى الميزان الخلق الحسن وهكذا أخرجه الطبرانى فى الكبير (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين) يعنى دين الاسلام (لنفسه) وناهيك به تفخيم مرتبة دين الاسلام فهو حقيق بالاتباع اعلاء رتبته عند الله تعالى فى الدارين (ولا يصلح لدينكم الا السخاء) بالمد وهو الكرم فانه لاقوام لشئ من الطاعات الابه (وحسن الخلق ألا) بالتخفيف حرف تنبيه (فزينوا دينكم بهما) زاد فى رواية ماصحبتموه فالسخاء السماح بالمال وحسن الخلق السماح بالنفس فمن سمح بهما أصغت اليهما القلوب ومالت اليه النفوس وقال الزمخشرى معناه ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق مارزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافقا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى ازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة اه وقال الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول الاسلام بنى اسمه على السماحة والجود لان الاسلام تسليم النفس والمال لحقوق الله واذا جاء البخل فقد ذهب بذل النفس والمال ومن بخل بالمال فهو بالنفس أبخل ومن جاد بالنفس فهو بالمال أجود فلذلك كان البخل يمحق الاسلام و يبطله و يدرس الايمان و يعكسه لان البخل سوء ظن بالله وفيه منع لحقوقه ولذلك جاء فى خبر مامحق الاسلام محق البخل شئ قط اه قال العراقى رواه الدارقطنى فى كتاب المستجاد والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين اه قلت ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث عمران بن الحصين قال الهيثمى فيه عمرو بن الحصين العقيلى وهو متروك (وقال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم) أى هو أعظم الاخلاق السبعة عشر التى خزنها الله تعالى لعباده فى خزائن جوده قال الحكيم فى النوادر وجميع محاسن الاخلاق تؤل الى الكرم والجود والسخاء ومن أراد الله به خيرا منحه حسن الخلق قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف اه قلت وكذلك رواه فى الكبير وقال المنذرى سنده ضعيف جدا وقال الهيثمى فيه عمرو بن الحصين العقيلى وهو متروك (وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وتقدم فى النكاح بلفظ أكمل المؤمنين والطبرانى من حديث أبى امامة أفضلكم ايمانا أحسنكم خلقا اه قلت وروى ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر أفضل المؤمنين أحسنهم خلقا (وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس) بفتح السين أى لن تطيقوا أن تعينوهم (بأموالكم) وفى رواية انكم لاتسعون الناس بأموالكم والمعنى لايمكنكم ذلك (فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أى

الله الكفر قال اللهم قوّنى فقوّاه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق

لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم وقال العسكري في الامثال نقلا عن الصولي لو وزن هذا الكلام بأحسن كلام الناس كلهم لرجح عليه قال وقد كان ابن عباد كريم الوعد كثير البذل سريعا الى فعل الخير فدامس ذلك سوء خلقه فما ترى له حامدا وقال الحرالي السعة المزيد على الكفاية من نحوها الى أن ينبسط الى ماوراء امتداد اورحمة وعلما ولا تقع السعة الامع احاطة العلم والقدرة وكمال الحلم والافاضة في وجود الكفايات ظاهرا او باطنا عموما وخصوصا وذلك ليس الا لله أما المخلوق فلم يكد يصل الى حظ من السعة اما ظاهرا فلا يقع منه ولا يكاد واما باطنا بخصوص حسن الخلق فعساه يكاد اه قال العراقي رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة و بعض طرق البزار رجاله ثقات اه قلت وكذلك رواه الطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وقال البيهقي تفرد به عبدالله بن سعيد المقبري عن أبيه وروى من وجه آخر ضعيف عن عائشة اه وعبدالله بن سعيد قال البخاري تركوه وقال العلائي اسناد حديث أبي يعلى حسن وعزاه الحافظ في الفتح الى البزار وحده وقال سنده حسن وقال المنذري رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) أي يعود عليه بالاحباط وقال القشيري أراد أن البذيء يفعل الخير اذا قرنه بسوء الخلق أفسد عمله وأحبط أجره كالمتصدق اذا أتبعه بالمن والاذى قال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما اه قلت ورواه أيضا الحرث بن أبي أسامة في مسنده والحاكم في الكنى والالقاب وأبو نعيم والديلمي من حديث ابن عمر *(تنبيه)* حاول بعضهم استيعاب مساوي الاخلاق فقال هي الانتقاد على أهل الله واعتقاد كمال النفس والاستنكاف من التعلم والاتعاظ والتماس عيوب الناس واظهار الفرح وافشاؤه واكثار الضحك واظهار العصبية والايذاء والاستهزاء والاعانة على الباطل والانتقام للنفس واثارة الفتن والاختيال والاستماع لحديث قوم وهم له كارهون والاستطالة والامن من مكر الله والاصرار على الذنب مع رجاء المغفرة واستعظام ما يعطيه واظهار الفقر مع الكفاية والبغي والبهتان والبخل والشح والبطالة والتجسس والتبذير والتعمق والتملق والتذلل للاغنياء لغناهم والتعيير والتحقير وتزكية النفس والتجبر والتجنز والتكلف والتعرض للتهم والتكلم بالنهي والتشدق وتضييع الوقت بما لا يعني والتكذيب والتسفيه والتنابز بالالقاب والتعبيس والتفريط والتسويف في الاجل والتمني المذموم والتخلق بزي الصالحين زورا وتناول الرخص بالتأويلات والتساهل في تدارك الغيرة والتهور والتدبير للنفس والجهل بجحد الحق والجدال والجفاء والجور والجبن والحرص والحقد والحسد والحمق وحب الدنيا وحب الرياسة والجاه والشهوة والحزن الدائم والخديعة والخبثة والخيانة وخلف الوعد والخيلاء والدخول فيما لا يعني والذم والذل والرياء والركون الى الاغيار ورؤية الفضل على الاقران وسوء الظن والسعاية والشماتة والشره والشرك الخفي وصحبة الاشرار والصلف وطول الامل والطمع والطيرة وطاعة النساء وطلب العوض على الطاعة والظلم والعجلة والعجب والعداوة في غير الدين والغضب والغرور والغفلة والغدر والفسق والفرح المذموم والقسوة وقطع الرحم والكفر وكفران النعمة والعشير والكسل وكثرة النوم والاثم والمداهنة والملاحاة ومجالسة الاغنياء لغناهم والمزح المفرط والنفاق والنية الفاسدة وهجر المسلم وهتك الستر والوقوع في العرض والوقوع في غلبة الدين واليأس من الرحمة فهذه كلها أخلاق خبيثة مذمومة عند الله تعالى (وعن جرير بن عبدالله) البجلي رضي الله عنه (قال قال صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك) وكان جرير من أحسن الناس خلقا قد أعطي شطر الحسن في جسمه قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف (وعن البراء بن عازب) رضي الله عنهما (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها

مجموع هذه الاخلاق ١١٦ هكذا رقم لها المؤلف اه

وأحسنهم خلقا) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق باسناد حسن اه قلت وقد تقدم في أخلاق النبوة من رواية البيهقي عنه بزيادة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وروى مسلم وأبوداود من حديث أنس كان أحسن الناس خلقا وفي الصحيحين من حديث أنس كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وعند البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كان أحسن الناس صفة وأجملها الحديث (وعن أبي مسعود) عقبة بن عامر الانصاري (البدري) لنزوله بدرا لا لشهوده وقعتها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي) بفتح فسكون (فحسن خلقي) بضمتين قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق هكذا من رواية عبدالله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدري وانما هو ابن مسعود أي عبدالله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة اه (وعن عبدالله بن عمرو) رضي الله عنهما (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق باسناد فيه لين اه قلت ورواه الطبراني في الكبير بلفظ اللهم اني أسألك الصحة والعفة والامانة وحسن الخلق والرضا بالقدر ورواه البزار في مسنده بلفظ العصمة بدل الصحة وفي الاسناد ابن أنعم الافريقي وهو ضعيف (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه) أي به يكرم ظاهرا وباطنا قولا وفعلا (وحسبه) محركة (حسن خلقه) وفي رواية وحسبه خلقه أي ليس شرفه بشرف آبائه بل بشرف أخلاقه وقال الازهري أراد أن الحسب يحصل للرجل بكرم أخلاقه وان لم يكن له نسب واذا كان حسيب الآباء فهو أكرم له (ومروأته عقله) لان به يتميز عن الحيوانات وبه يعقل نفسه من كل خلق دنيء ويكفها عن شهواتها الردية وطباعها الدنية ويؤدي الى كل ذي حق حقه من حق الحق فليس المراد بالمروأة ما في العرف من جمال الحال والاتساع في المال بذلا واظهارا فليس كل عاقل يكون له مال يتوسع فيه بذلا وعطاء قال العراقي رواه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم والبيهقي قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقي وروي من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمر وقال اسناده صحيح اه قلت وكذلك رواه أحمد ورد الذهبي على الحاكم حين صححه بان فيه مسلم بن خالد قال البخاري منكر الحديث وقال الرازي لا يحتج به ورواه العسكري في الامثال بلفظ كرم الرجل تقواه وقد أخذ أبو العتاهية معنى الحديث فقال

كرم الفتى التقوى وقوته * محض اليقين ودينه حسبه
والارض طينته وكل بني * حواء فيها واحد نسبه

(وعن أسامة بن شريك) الثعلبي صحابي تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح روى له الاربعة أئمة السنن (قال شهدت الاعاريب) جمع الاعراب وهم سكان البادية (يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطي العبد قال خلق حسن) رواه ابن ماجه وقد تقدم في آداب الصحبة (وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) رواه الطبراني في الصغير والاوسط من حديث أبي هريرة ان أحبكم الي أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة (وعن ابن عباس) رضي الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) أي ثلاث خصال (من لم تكن) أي لم توجد (فيه) خصلة (واحدة منهن فلا تعتدن) أي لا تعبأن وفي نسخة فلا تعتدون (بشيء من عمله تقوى تحجزه) أي تمنعه (عن معاصي الله) عز وجل (أو حلم يكف به السفيه) اذا سفه عليه (أو خلق) بضمتين (يعيش به بين الناس) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الاخلاق من حديث أم سلمة باسناد حسن اه قلت لكن شيخ الطبراني ابراهيم ابن محمد ضعفه الذهبي كذا قال الهيثمي ورواه البيهقي في الشعب عن الحسن البصري مرسلا بلفظ ثلاث

وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة ابن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس

خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل أو حلم يرد به جهل الجاهل أو حسن خلق يعيش به فى الناس (وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها الا يصرف عنى سيئها الا أنت) رواه مسلم من حديث على وقد تقدم فى كتاب الصلاة (وقال أنس) رضى الله عنه (بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة) أى يمحو أثرها ويقطع خبرها (كما تذيب الشمس الجليد) وهو الماء الجامد من شدة البردلان منافع المعروف لا تكون الا من حسن الخلق والصنائع حسنات والحسنات يذهبن السيئات قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبى هريرة وضعفه أيضا اه قلت ورواه ابن عدى أيضا من حديث ابن عباس ولفظه والبيهقى حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد (وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء حسن الخلق) أى فانه يبلغ به خير الدنيا والآخرة قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف اه قلت وكذا رواه القضاعى فى مسند الشهاب وفيه الحسن بن سفيان قال أبو حاتم صدوق تغير وقال البخارى لم يصح حديثه عن هشام بن عمار وعند البيهقى والقضاعى زيادة ومن شقاوته سوء الخلق وعندهما أيضا من سعادة ابن آدم ولفظ الخرائطى كالمصنف ورواه الخرائطى من حديث سعد بلفظ من سعادة ابن آدم حسن الخلق ومن شقاوة ابن آدم سوء الخلق وروى الخرائطى أيضا وابن عساكر من حديث جابر من شقوة ابن آدم سوء الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق) أى البركة والخير الالهى فيه قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عائشة بسند ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم لابى ذر) الغفارى رضى الله عنه (يا أباذر لا عقل كالتدبير) أى النظر فى عواقب الامور (ولا حسب كحسن الخلق) قال العراقى رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبى ذر اه قلت ولفظهما لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وقد رواه البيهقى كذلك فى الشعب وفيه ابراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى قال أبو حاتم غير ثقة ورواه أبو الحسين القدورى فى جزئه وابن عساكر وابن النجار من حديث أنس بلفظ لا عقل كالتدبير فى رضا الله ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسب الخلق وفيه صخر الحاجبى وهو صخر بن محمد المنقرى أورده فى الميزان فى ترجمته ونقل عن ابن طاهر انه قال انه كذاب وقال ابن عدى حدث بالبواطيل وساق له منها هذا الحديث (وعن أنس) رضى الله عنه (قال قالت أم حبيبة) رملة بنت أبى سفيان احدى أمهات المؤمنين رضى الله عنها (يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا) يتزوجها واحد بعد واحد (فتموت) هى (ويموتان ويدخلون الجنة لايهما تكون هى قال لاحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة) قال العراقى رواه البزار والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق باسناد ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد) أى الموفق (ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته) أى طبيعته (وفى رواية أخرى) ليدرك (درجة الظمآن فى الهواجر) قال العراقى رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الاولى ومن حديث أبى هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة اه قلت وروى الترمذى والطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة وهو قطعة من حديث ما من شئ أثقل فى الميزان من حسن الخلق وقد تقدم قريبا (وقال عبد الرحمن بن سمرة) بن حبيب بن عبد شمس العبشمى رضى الله عنه قال أبو سعيد من مسلمة الفتح افتتح سجستان ثم سكن البصرة ومات بها سنة خمسين أو بعدها روى له الاربعة (كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابى ذر يا أباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هى تكون قال تكون لاحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفى رواية درجة الظمآن فى الهواجر وقال عبد الرحمن ابن سمرة كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله

حجاب جاء حسن خلقه فادخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف فى العبادة وروى أن عمر رضى الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلما استأذن عمر رضى الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضى الله عنه مم تضحك بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا أبت أى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى تقى ولله ولى ومن الشيطان برى (وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس ابن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق

حجاب جاء حسن خلقه فأدخله على الله) عز وجل قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف (وقال أنس) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه ضعيف العبادة) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق وأبو الشيخ فى كتاب طبقات الاصبهانيين باسناد جيد (وروى أن عمر) رضى الله عنه (استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر مم تضحك بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب قال عمر) رضى الله عنه (فأنت كنت أحق أن يهبن) أى يخفن (يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر) رضى الله عنه (فقال) يخاطبهن (أى عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت أفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظ) وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه والمقصود منه نفى الفظاظة والغلظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك) رواه البخارى ومسلم وتقدم فى الكتاب الذى قبله مارواه الحكيم عن عمر مالقى الشيطان قط عمر فى فج فسمع صوته الا أخذ فى غيره (وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح) أى تنتج الشرور قال العراقى رواه الطبرانى فى الصغير من حديث عائشة ما من شئ الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه واسناده ضعيف اهـ قلت وبسياق المصنف أخرجه الخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم) قال العراقى رواه الطبرانى والخرائطى فى مكارم الاخلاق وأبو الشيخ فى طبقات الاصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد وهو بعض الحديث الذى قبله بحديثين * (الآثار قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا أبت أى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال) أى لانه نعم العون له على الدين (قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء) وهو بذل الموجود على من يستحق (قال فاذا كانت ستا قال يا بنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال) المذكورة (فهو نقى تقى لله ولى ومن الشيطان برى) فهذه الخمس خصال قد جمعت مكارم الاخلاق (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (من ساء خلقه عذب نفسه) أى أتعبها بسوء خلقه (وقال أنس بن مالك) رضى الله عنه (ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد) وصله أبو الشيخ الاصبهانى فى طبقات الاصبهانيين بنحوه وتقدم قريبا وهو كذلك موصولا عند الخرائطى فى مكارم الاخلاق (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق) والسعة فيها هو المشار اليه بالحديث الذى تقدم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وكنوز الارزاق هى افاضات الخير من خزائن الرحمة الالهية وعليه يدل مارواه أبو الشيخ من حديث أبى موسى الاشعرى الخلق الحسن زمام من رحمة الله والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة

وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال (٣٢٥) الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا) أخرجه البيهقي في الشعب (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (لان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيء الخلق) أخرجه البيهقي في الشعب وكان ابراهيم بن أدهم يقول ان الرجل ليدرك بحسن خلقه مالا يدركه بماله لان المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وخلقه ليس عليه فيه شيء (وصحب) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (رجل سيء الخلق في سفره فكان يحتمل منه) أي مما يصدر من سوء خلقه (ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال أترحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه) فهذا من باب التذمم للصاحب في السفر وهو من جملة مكارم الاخلاق (وقال) سيد الطائفة أبو القاسم (الجنيد) رحمه الله تعالى (أربع) خصال (ترفع العبد الى أعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان) أي بهن كماله وكلهن من مكارم الاخلاق (وقال) القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر (الكتاني) رحمه الله تعالى يقول (التصوف خلق) من الاخلاق الشريفة (فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف) وأورده صاحب العوارف عن أبي زرعة عن أبي بكر بن خلف السلمي (وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال) وهذا قد وصله العسكري في الامثال من حديث ثوبان خالطوا الناس بأخلاقكم وخالفوهم في أعمالكم (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيآت وسئل ابن عباس) رضي الله عنه (ما الكرم قال ما بين الله في كتابه ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أشار بذلك ان الكرم هو التقوى لا بذل المال (قيل له وما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا) أشار بذلك الى أن الحسب ليس من الآباء بل هو حسن الخلق ويدل لذلك الحديث المتقدم كرم المرء تقواه وحسبه حسن خلقه (وقيل لكل بنيان أساس) يقوم عليه (وأساس الايمان حسن الخلق) واليه يشير الحديث المتقدم حسن الخلق نصف الايمان (وقال) أبو العباس أحمد (بن عطاء ما ارتفع من ارتفع) الى الدرجات العالية (الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله) أي كمال الخلق (الا المصطفى صلى الله عليه وسلم) لقوله تعالى انك لعلى خلق عظيم (وأقرب الخلق الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق) ولكل مجتهد في سلوكه من نصيب على قدر مقامه واستعداده ومما يناسب ذكره هنا ما أورده البيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه قال التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والادب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب *(تنبيه)* المراد بالخلق الحسن في هذه الاخبار والآثار ما يشمل الامور المعنوية الصادرة عن الملكة النفسانية بسهولة من غير روية وتدخل في بعض تلك الاخبار والآثار تسمية بعض ما يصدر عنها من خلال الكمالات التي ليست ملكات أخلاقا ولا مانع من اطلاق الخلق عليها مجازا يصدر من تلك الملكة باعتبار كونه أثرها وسببا عنها سيما مع شيوع اطلاق السبب على المسبب وعكسه واسم الاثر على المؤثر وعكسه ولذلك تراهم يسمون كل خصلة جميلة صادرة عن الملكة خلقا اما على المجاز أو الحقيقة العرفية أو الشرعية والاسم الجامع لشعب الايمانية والكمالات القابية هو الخلق الحسن وتمام الكلام عليه في الذي يليه من تحقيق المصنف رحمه الله تعالى الذي ليس فوقه تحقيق قال رحمه الله تعالى

(بيان حقيقة حسن الخلق)

(اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ماهو وما تعرضوا الحقيقته وانما تعرضوا لثمرته) اعلم ما أورده المصنف في كتاب المعارف العقلية ان المطالب الاصلية أربعة الاول مطلب هل وهو السؤال عن وجود الشيء الثاني مطلب ما وهو السؤال عن ماهية الشيء والثالث مطلب أي وهو السؤال عن فصل الشيء الذي يفصله عن المشاركة له في الجنس والرابع مطلب لم وهو طلب العلة اما مطلب هل فعلى وجهين

أحب الي من أن يصحبني عابد سيء الخلق * وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيآت وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز ان أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق) اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته

وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو أن لايخاصم ولايخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لايتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لايكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا

أحدهما سؤال عن أصل الوجود الثاني سؤال عن وجود حال الشيء وامامطلب ما فايضا على وجهين أحدهما سؤال المتكلم عن تفسير لفظه والثاني مطلب حقيقة الشيء في نفسه فهو بالمعنى الاول متقدم على مطلب هل فان من لايفهم الشيء لايسأل عن وجوده وبالمعنى الثاني متأخر عن مطلب هل لان مالايعلم وجوده لايطلب ماهيته فاذاعرفت ذلك ظهر لك ان ماذكروه في تحديد الخلق الحسن انما هو تعرض لثمرته الحاصلة منه لا لبيان أصله وحقيقته في نفسه (ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ماخطر له) في باله (وكان حاضرا في ذهنه) عند القائه (ولم يصرفوا العناية) والاهتمام (الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب) والاحاطة (وذلك كقول الحسن) البصري رحمه الله تعالى حين سئل عن (حسن الخلق) فقال هو (بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال) أبو بكر محمد بن موسى (الواسطي) رحمه الله تعالى أصله من فرغانة صحب الجنيد والنوري اقام بالري وبها مات سنة ٣٢١ (هو ان لايخاصم) أحدا (ولايخاصم) أي لايخاصمه أحد هكذا أورده في معنى قوله تعالى انك لعلى خلق عظيم وذلك (من شدة معرفته) صلى الله عليه وسلم (بالله تعالى وقال) أبو الفوارس (شاه) بن شجاع (الكرماني) رحمه الله تعالى (هو كف الاذى واحتمال المؤن) أي المشقات (وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا) أي يحسن خلطتهم ويتقرب اليهم ويداريهم (وفيما بينهم غريبا) أي يكون غريب الشأن بينهم أي يكون بجهة مع الله تعالى وهذا يقرب من قولهم أن يكون كائنا بائنا (وقال الواسطي مرة) وقد سئل عنه فقال (هو ارضاء الخلق في السراء والضراء) أي يكون على حالة واحدة في مخالطة الخلق ويعطي لكل وقت حكمه (وقال أبو عثمان) المغربي رحمه الله تعالى (هو الرضا عن الله عز وجل) في كل ما أقامه فيه وعليه وبه فلا يعترض عليه في شيء من أحواله (وسئل أبو محمد سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن الخلق) ماهو (فقال أدناه الاحتمال) لمخالطه (وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة) على العامة (وقال مرة هو أن لاتتهم مولاك في الرزق) فانه قد ضمنه لك (وتثق به) وتعتمد عليه (وتسكن) بباطنك (الى الوفاء بما ضمن) لك (وتطيع مولاك ولاتعصيه في جميع الامور فيما بينك وبينه وفيما بينك وبين الخلق) أي فان تم لك هذا المقام تم لك الخلق الحسن المشار اليه بالمدح (وقال علي كرم الله وجهه حسن الخلق في ثلاث) خصال (اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال) أي بأن لايقتر عليهم بل يوسع عليهم بماله ان كان والا فببسط الوجه (وقال الحسين بن منصور) الحلاج أبو المغيث رحمه الله تعالى (هو أن لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق) ولفظ العوارف قال الحسين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم لانه لم يؤثر فيه جفاء الخلق مع مطالعة الحق (وقال) أبو سعيد (الخراز) رحمه الله تعالى هو (أن لاتكون لك همة غير الله) وبه أجاب الجنيد حين سئل عن قوله تعالى انك لعلى خلق عظيم قال لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لانه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه (فهذا وأمثاله كثير) مشحونة به كتب القوم كقول الجنيد حسن الخلق أربعة أشياء السخاء والالفة والنصيحة والشفقة وقال أبو سعيد القرشي الخلق العظيم الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان وقيل هو لباس التقوى والتخلق بأخلاق الله تعالى اذلم يبق عنده للاعراض خطر وقال ابن المبارك حسن الخلق هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وكل قد تكلم اما بما أفاض الله عليه في وقته والقي في روعه أو أخبر بما هو متحقق به في ذلك أو نظر الى سائله فأجاب بما يطابق حاله حين سؤاله (وهو) اذا تأملت (تعرض لثمرات حسن الخلق لالنفسه) وحقيقته (ثم ليس محيطا بجميع الثمرات أيضا) والعذر لهم في ذلك ان الاخلاق لها ثمرات كثيرة ومكارمها غير محصورة واحاطتها في جملة واحدة متعسرة ولها مراتب عليا وسفلى وبينهما أوساط وكل قد أشار الى مرتبة من مراتبها بحسب الاقتضاء كما في خبر عائشة عند البيهقي

وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة و يراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين و يتيسر عليها أحد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال أو لمانع و ربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق

مكارم الاخلاق عشرة ثم ذكرها فكأنه أشار الى أعاليها ولم يرد بذلك الاحاطة لها (وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق) بفتح فسكون (والخلق) بضمتين (عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق) بالفتح (الصورة الظاهرة) اذ هو فى اللغة بمعنى التقدير المستقيم (و بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر) الظاهر (ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة) الباطنة (ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة) وقد يكون القبح فى الصورة الظاهرة والجمال فى الصورة الباطنة و بالعكس فما أقبح بالمرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فردىء ودخل حكيم على رجل فرأى دارا مشيدة وفرشا مبسوطة و رأى صاحبها خلوا من الفضيلة فبصق فى وجهه فقال له ما هذا السفه أيها الحكيم فقال بل هذه حكمة ان البصاق ليرمى الى أخس مكان فى الدار ولم أرفى دارك أخس منك فنبه بذلك على دناءة الجهل وان قبحه لا يزول بادخار القينات (والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بالاضافة الى نفسه فقال انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) فقعوا له ساجدين (فنبه به على أن الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى) لانه أضافه الى نفسه (والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد) اذ المراد بكل منهما اللطيفة الربانية (فالخلق) بضمتين (عبارة عن هيئة) وهى الحالة التى (للنفس راسخة) أى ثابتة فيها (تصدر عنها الافعال بسهولة و يسر من غير حاجة الى) استعمال (فكر وروية) فعيلة من الرؤية بالفكر و بالعقل (فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا) بسهولة (سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها أفعالا قبيحة) مذمومة عقلا وشرعا (سميت الهيئة التى هى المصدر) لتلك الافعال (خلقا سيأ وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور) والقلة (لحالة عارضة) من خارج (لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ) واستقرار (وانما شرطنا أن تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية) وفكر (لان من تكلف بذل المال أو) تكلف (السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم) لعدم صدورهما منه بسهولة (فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل أو القبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين و يتيسر عليها أحد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن) ذلك (الفعل) الصادر عن الهيئة (فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال) أى كونه غير موجود عنده (أو لمانع) آخر مع وجوده عنده (وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل) المال (لباعث) قائم فى النفس نحو حياء من الناس (أو لرياء وسمعة وليس هو) أى الخلق (عبارة عن القوة) أى القدرة على ذلك الفعل الصادر عن الهيئة (لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل) نسبتها (الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة) الاصلية (قادرا على الاعطاء أو الامساك وذلك لا يوجب خلق البخل) بالنسبة الى قوة الامساك (ولا خلق السخاء) بالنسبة الى قوة الاعطاء (وليس هو) أى الخلق (عبارة عن المعرفة بذلك الفعل) الصادر عن الهيئة (فان المعرفة تتعلق

بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل (٣٢٨) هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لايتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ماتقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها أن تكون تحت اشارة الحكمة أعني اشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة (ومثال

بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس) وتتهيأ (لان يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة) هذا هو الاصل واختلف في اشتقاقه وأخذه فقيل هو من قولهم فلان خليق بكذا وصاحب هذا القول يجعله اسما للحالة المكتسبة التي يصير الانسان بها خليقا أن يفعل شيأ دون شئ كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه ولهذا اختص كل حيوان بخلق في أصل خلقته كالشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب أو من الخلاقة أي الملاسة فكأنه اسم لما مرن عليه الانسان من قولهم العادة طبيعة ثانية ويجعل مرة اسما للفعل الصادر عنه باسم وعلى ذلك أسماء أنواعها نحو العفة والعدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة والفعل جميعا وربما تسمى الهيئة باسم والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود فان السخاء اسم للهيئة التي عليها الانسان والجود اسم للفعل الصادر عنها وان كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر وانظر ماقد منافيه قريبا في التنبيه هذا ما يتعلق بالخلق والفرق بينه وبين الطبع والسجية والعادة فالطبع أصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد وكذلك الطبيعة اعتبارا بطبع السيف والضريبة اعتبار بضرب الدراهم وقد تقدم ذكرها في الحديث كرم الضريبة والنحيتة اعتبارا بالنحت والنحيزة اعتبارا بنحز الخشبة والغريزة لما غرز عليه وكل ذلك اسم للقوة التي لاسبيل الى تغيرها والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتبارا بالشامة التي هي أصل الخلقة والسجية اسم لما سجي عليه الانسان من قولهم عين ساجية أي فاترة خلقة وأكثر مايستعمل ذلك فيما لايمكن تغيره وأما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخلق وليس للعادة فعل الا تسهيل خروج ماهو بالقوة في الانسان الى الفعل فاما أن يجذب السجية الى خلاف ماخلقت عليه فمحال فالسجية اسم لفعل الخالق والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى تعد سجية وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية (وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لايتم بحسن العينين) فقط (دون) حسن (الانف والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي) القوى الاربعة (قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة) هذه الثلاثة أصول الاركان (و) الرابعة هي (قوة العدل بين هذه القوى الثلاث) ولايحصل للانسان طهارة النفس الا باصلاح تلك القوى الثلاث (اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق وهو التمييز بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال) واصلاح هذه القوة بالتعلم بشروطه وآدابه المذكورة في كتاب العلم (واذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة) التي هي اصابة الحق بالعلم والعمل (والحكمة رأس الاخلاق الحسنة) أي أعلاها (وهي التي قال) الله (تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) أشار بذلك الى أن الحكمة جماع الخير كله وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال يعني العقل والفهم والفطنة من غير نبوة أخرجه ابن مردويه وأما قوة الغضب فحسنها في أن يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ماتقتضيه الحكمة واصلاحها باسلاسها حتى يحصل الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب وتحصل الشجاعة وهو كف النفس عن الخوف والحرص المذمومين (وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت اشارة الحكمة أعني اشارة الدين والعقل) واصلاحها بالعفة حتى تسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة (وأما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلها منزلة المنفذ) للامر (الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة) المذكورة

(ومثال الغضب) فى الظاهر (مثال كلب الصيد) أى المتخذ له (فانه يحتاج الى أن يؤدب) ويعلم (حتى يكون استرساله) للصيد (وتوقفه) عنه (بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس ومثال الشهوة) فى الظاهر (مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا) يكون اقدامه واحجامه تحت الاشارة (وتارة يكون جموحا) رافعا رأسه حيث يريد غير مطيع لصاحبه (فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا وفيه جماع المكارم وهو الممدوح بما تقدم من الآيات والاخبار ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة) فهو حسن مقصور (كالذى يحسن بعض أعضاء وجهه دون بعض) فانه لا يقال فيه انه حسن الوجه مطلقا (وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة) وهى ان اعتبرت فى النفس فصرامة القلب على الاهوال وربط الجاش وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على موضع الفرصة (وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة) بالكسر وهى حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة وأصلها تناول الشئ القليل الجارى مجرى العفافة والعفة بالضم البقية من الشئ (فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمى ذلك تهوّرا) وهو الثبات المذموم فى الامور العملية (وان مالت الى الضعف والنقصان سمى ذلك جبنا) وهو الاحجام عن مباشرة ماينبغى (وخورا) محركة وهو الضعف عن مباشرة ماينبغى اعلم أن الشجاعة تتولد من الفزع والغضب اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون لمن يحتدم سريعا من أشياء صغيرة وقد يكون مفرطا لا يغضب من الاجتراء على حرمه وشتم أبيه وقد يكون متوسطا على مايجب من وقت مايجب بقدر مايجب وكذلك الفزع يكون منه فيتولد منه الجبن الهالع ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه وقد يكون متوسطا كما يجب وقدر مايجب (وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمى شرها) بالتحريك وهو شدة الحرص الى الشئ (وان مالت الى النقصان سمى جمودا) اعلم أن العفة لا تتعلق الا بالقوى الشهوية ولا تتعلق القوة الشهوية الا بالملاذ الحيوانية وهى المعلقة بالغارين وهما البطن والفرج دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فهى اذا ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهى حالة متوسطة بين افراط وتفريط (والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة) بل اس الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء وعدمها يعفى على جميع المحاسن و يعرى عن لبوس المحامد ومن يتسم بسمة العفة قامت العفة له بحجة ماسواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول الى المحاسن (والطرفان) الافراط والتفريط (رذيلتان مذمومتان) قد تنشأ عنهما رذائل كثيرة كما سيأتى بيانها (والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور) نعم قد يتصوّر أن يكون للعدل طرفان متغايران باعتبار كماله ونقصانه وباعتبار ظهوره فى وصفه الحقيقى وفى غير وصفه بان يسمى عدلا بالاضافة وهو جور فى الحقيقة وذلك كقولهم المساواة فى الظلم عدل وهذا يتصوّر فيما اذا انتشر الجور وصار كل من يأتى من الولاة يزيد جورا على الجور السابق فيأتى رجل فيبطل تلك الزيادة ويقيم الناس على القانون السابق فذلك القانون السابق ولو كان فى حد نفسه جورا الا أنه بالاضافة لما يصدر من الناس من الزيادة هو عدل فى الجملة ولكن ليس لطرفيه اسم خاص يتميز به عن ضده ومما يدلك على اختلاف مراتب العدل انه ليس عدل عمر بن عبد العزيز رحمه الله كعدل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما انه ليس عدل السلطان نور الدين الشهيد رحمه الله كعدل عمر بن عبد العزيز وكل منهم عادلون فى أزمنتهم (وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال فى الاغراض الفاسدة) التى لا يبيحها الشرع (خبا) بالكسر (وجربزة) بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وهى الشطارة (ويسمى تفريطها بلها) محركة وهو ضعف العقل (والوسط هو الذى يخص باسم الحكمة فاذا أمهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من

والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهوّرا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال فى الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة فاذا أمهات الاخلاق وأصولها اربعة

الخطأ في جميع الافعال الاختيار يه) وهي المسماة بهيئة القوة العقلية العلمية (ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها مع مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها) أي الحكمة لا على حسب مقتضى النفس (ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها) سواء اعتبرت في النفس أو في العقل (ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع) وهذه الاربعة التي هي أمهات الاخلاق تسمى فضائل نفسية وبعضها يلازم بعضا فان العقل المعبر عنه بالحكمة اذا أشرف عقل صاحبه عن الاقدام على ما يورثه مذمة ويحمله على الاقدام على المخاوف التي تورثه محمدة وعلى أن يسمح بفضلات ما في يده لمن يحتاج اليه وأن يبذل لكل ذي حق حقه وذلك هو العفة والشجاعة والجود والعدالة وكذلك اذا كان عدلا يحمله عدله على ترك ما لا يجوز له تناوله وان لا يحجم عما يلزمه الاقدام عليه وأن لا يبخل بفضلات في يده واذا كان شجاعا لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر فيبخل وبهذا النظر جعل بعض الشعراء الشجاعة سماحة والسماحة شجاعة فقال أيقنت ان من السماح شجاعة * تدمي وان من الشجاعة جودا

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم دفع الشهوة جهادا فقال جاهد هواك وجعلت العفة جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك وجود بما في يد غيرك وهو أعظمهما وهذه الفضائل اذا حصلت حصل بها الانسانية والحرية والكرم وعنها يتأصل الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص وقد أشار المصنف الى ما تصدر عنه الاخلاق الجميلة من اعتدال هذه الاصول الاربعة فقال (اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير) وهو النظر لعواقب الامور واشتقاقه يقتضي ذلك لانه تأمل دبر الامر وعليه حث حيث قال الشاعر

ومن ترك العواقب مهملات * فأكثر سعيه أبدا تبار

(وثقابة الرأي) أي نفوذه في اصابة الصواب (واصابة الظن) في الامور بضرب من الامارة (والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس) ويصدر عنه أيضا جودة الفهم وجودة الخاطر وجودة الخيال والذكاء والفراسة وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة وكلها من توابع قلة العقل والضابط في ذلك ان العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر وجودة الذكر ومن حسن فعله الفطنة وجزالة الرأي وتولد من اجتماع أربعتها جودة الفهم وجودة الحفظ (ومن افراطها تصدر الجربزة) والخب (والمكر والخداع والدهاء) والنكر وغير ذلك (ومن تفريطها يصدر البله والغفلة والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل) والمتصف به يقال له الغمر بالضم وهو الذي لم يدرك شيأ ولم يجرب قال قطرب في مثلثه ان دموعي غمر * وليس عندي غمر أي هذا الغمر * اقصر عن التعتب * قال شارحه

بالفتح ماء كثرا * بالكسر حقد سترا * بالضم شخص ما درى * شيأ ولم يجرب

(وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق) وهو الذي فقد جوهر عقله (مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد) لمساعدة له (فلا تكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض وأما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل ايثاره واختياره فاسدا) لاستتار عقله (وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه الكرم) والسماحة (والنجدة) وهو عدم الجزع من المخاوف (والشهامة) وهو الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظائم (وكبر النفس) أي كبر همتها والكبير الهمة هو الذي لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه (والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودة وأمثالها وهي محمودة) والضابط فيه ان الشجاعة متى تقوت تولد منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية كما قال الشاعر

خلقنا رجالا للتصبر والاسى * وتلك الغواني للبكا والمآتم

(واما

الحكمة ويضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون أن الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض وأما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي اخلاق محمودة

والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن الى هذه

(وأما افراطها وهو التهوّر فيصدر منه الصلف) محركة (والبذخ) بالتحريك أيضا كلاهما بمعنى التكبر (والاستشاطة) وهي السرعة الى الغضب (والتكبر والعجب) بالضم رؤية النفس بالفضيلة وكلها أخلاق مذمومة (وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع) محركة هو حزن يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (والخساسة وصغر النفس) أي ذلها أي صغر همتها (والانقباض عن تناول الحق الواجب) وهو الحياء المذموم وهذه كذلك اخلاق مذمومة (واما خلق العفة) المتعلقة بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية (فيصدر عنه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع) وغنى النفس وهذه محاسن الفضائل وكلها محمودة والعفة هي المسهلة اليها والضابط فيه ان العفة اذا تقوّت تولد منها القناعة والقناعة تمنع من الطمع في مال الغير فتولد الامانة (وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة) وهي قلة الحياء وصلابة الوجه (والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء) لاجل غناهم (واستحقار الفقراء) لاجل فقرهم (وغير ذلك) والضابط الكلي في ذلك ان تمام العفة يتعلق بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني والظن اللذان هما رأس كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده وأدى حسده الى المعاداة واذا عاداه نازعه بما قبله ومن أساء الظن عادى وبغى ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعا فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فأمر فيهما بقطع شجرتين يتفرع عنهما جل الرذائل والمآثم ولا يكون الانسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر فمن عدمها في اللسان يصدر السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالالقاب ومن عدمها في السمع يصدر الاصغاء الى المسموعات القبيحة وهلم وعفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص كل واحد منها الا فيما سوّغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى ولم يذكر العدالة وهي من الامهات وقد تقدم انه ليست ثمرة زيادة ونقصان ولكنها اذا تقوّت تولد الرحمة والرحمة من الاشفاق ومن أن يفوت ذا حق حقه فهي تولد الحلم والحلم يقتضي العفو (فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة) النفسية (وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي) مما يذكر منها (فروعها) التي تتفرع عنها وتتفرع أيضا من الفروع فروع أخرى وكلها داخلة تحت المحمدة (ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا) سيدنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقد كان صلى الله عليه وسلم أحكم الناس وأعقلهم وأشجعهم وأعفهم وأعدلهم كما ثبت ذلك كله في الاخبار الصحيحة الماضية في كتاب أخلاق النبوّة (والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان القريب من القريب قريب (وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال) والاقوال والاحوال (ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد) عن الحضرة الالهية (فينبغي أن يبعد) من وصفه هذا (كما ان الاول قريب من الملك المقرب) والقرب من الملك هو الاتصاف بأوصافه الخاصة به (فينبغي أن يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم) فيما رواه مالك في الموطا بلاغا انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقد روي موصولا من حديث أبي هريرة بلفظ صالح الاخلاق رواه البخاري في الادب والحاكم والبيهقي وعند الطبراني في الاوسط من حديث جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة (وقد أشار القرآن الى هذه

الاخلاق فى أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هى قوة اليقين وهى ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه

(بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الاخلاق لا يتصوّر تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى والثانى انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمى فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا أخلاقكم

(وكيف

الاخلاق فى) جملة (أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب) ولا تلعثم (هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هى الشجاعة التى ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال) فقد جمعت هذه الآية أمهات الاخلاق الاربعة (وقد وصف الله) عز وجل (الصحابة) رضوان الله عليهم (فقال) والذين معه (أشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال) بل فى استعمال كل وصف بما يليق به من الحال (فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه) المتشعبة منه والله الموفق

(بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

(اعلم أن من غلبت البطالة عليه) ربما (استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس) وتطهيرها (وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته) بكسر الدال أى باطن أمره (فزعم) فيما قرره (ان الاخلاق لا يتصوّر تغييرها) عما جبل عليها ان خيرا وان شرا (وان الطباع) غرائز (لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما ان الخلق) بالضم (هو صورة الباطن كما ان الخلق) بالفتح هو (صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها) عما هى عليه (فالطويل لا يمكنه أن يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على أن يجعل نفسه طويلا ولا القبيح) الصورة (يقدر على تحسين صورته وكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى) وربما تعلقوا بقوله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله تعالى نقله الراغب فى الذريعة والذى عند البيهقى وابن عساكر من حديث ابن عباس من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وبما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود فرغ الى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والاجل ورواه أيضا ابن عساكر من حديث أنس بلفظ فرغ الله من أربع قالوا ومحال أن يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وربما تعلقوا بقول الشاعر

وما هذه الاخلاق الا غرائز * فمنهن محمود ومنها مذمم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه * بنصح ولا يستطيعه متكرم

(والثانى انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع من الآدمى) بحال (فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة) واللذات الحاضرة (وذلك محال وجوده فنقول) لهذا الزاعم (لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير) كما تقول (لبطل) فائدة (الوصايا والمواعظ والتأديبات) والوعد والوعيد والامر والنهى ولما جوّز العقل أن يقال للعبد لم فعلت ولم تركت (و) لو لم يكن كذلك (لما قال صلى الله عليه وسلم حسنوا أخلاقكم) فلو لم يمكن لما أمر بتحسين الاخلاق قال العراقى رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث معاذ يا معاذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات اهـ قلت وروى أحمد من حديثه يا معاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقد تقدم قريبا

وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى مالا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ماهو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبى فى مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثانى أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب * الاولى وهو الانسان الغفل الذى لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقى كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد

(وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى) أم كيف يمتنع (وتغيير خلق البهيمة ممكن) مشاهد (اذ ينقل الصيد) كالاسد والفهد والنمر والذئب (من التوحش الى الانس) بالعادة (والكلب من الاكل الى التأدب والامساك) بالتعليم (والفرس من الجماح الى السلاسة) بالترويض (وكل ذلك تغيير للاخلاق) بلا شك (والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى مالا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله كالسماء والارض والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ماهو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعده ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد) وحاصل هذه العبارة ان الله تعالى خلق الاشياء على ضربين أحدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض والثانى خلقه خلقة ما وجعل فيه قوة ورشح الانسان لاكماله وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنواة التى فيها قوة النخل (فان النواة ليس بتفاح ولا نخل الا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير) بعون الله تعالى (نخلا ان انضاف اليها التربية) ويمكن أن يفسدها افسادا (ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية) لانه ليس فيها قوة التفاح (فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك) خلق الانسان يجرى هذا المجرى فى أنه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة التى هى السجية وجعل له سبيلا الى اسلاسها ألا ترى (الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك) ووعدنا بالاجر عليه (وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى) ولهذا قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول) وبعضها فى الوسط وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل قال الراغب وأرى ان من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال أن ينبت منه الانسان تفاحا ومن أجاز تغييره فانه اعتبر اخراج مافى القوة الى الوجود وافساده باهماله نحو النوى فانه يمكن أن يتفقد فيجعل نخلا وأن يترك مهملا حتى يعفن وهذا صحيح أيضا فاختلافهما بسبب اختلاف نظرهما والله أعلم * ثم ذكر المصنف أسباب اختلاف الجبلات فقال (ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتفكر موجودة فى الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم القوى) الشهوية (وجودا) فى الانسان وأشدها به تشبثا وأكثرها منه تمكنا (اذ الصبى فى مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة) وتولد معه بل وفى الحيوان الذى هو جنسه بل فى النبات الذى هو جنس جنسه (ثم بعد سبع سنين ربما تخلق له الغضب) أى قوته (وبعد ذلك) آخرا (تخلق له قوة) الفكر والنطق و(التمييز والسبب الثانى ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له) والانقياد اليه (وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب) المرتبة (الاولى هو الانسان الغفل) بضم الغين وسكون الفاء (الذى لا يميز بين الحق والباطل) من الاعتقاد (والجميل والقبيح) من الافعال (بل بقى كما فطر عليه) أى جبل عليه (خاليا عن جميع الاعتقادات) الصحيحة والفاسدة كالاعراب وأهل السواد (ولم تتشمر أيضا شهوته باتباع اللذات فهذا) الذى وصفه ذكر (سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج) فى مزاولته (الا الى تعليم مرشد) كامل يهديه الى طريق الخير

والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعوّد العمل الصالح
بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره فى عمله

فيهتدى سريعا ومن هنا قال القطب الشعراوى لقد أرشدت كذا وكذا من أهل السواد الى الله تعالى فوصلوا واجتهدت فى ارشاد من يتهم بطلب العلم فلم ينجح الا فى اثنين أو ثلاثة وماذاك الا أن لوح قلوب أولئك لم ينتقش فيه شئ من الاعتقادات فقبلوه سريعا وهؤلاء قد نقش فى لوح قلوبهم بعض الاعتقادات فلم يسرعوا القبول (والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى أقرب زمان) المرتبة (الثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعوّد العمل الصالح فزين له سوء عمله فتعاطاه) وتناوله (انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه) فاعمت بصيرته (لكن علم تقصيره فى عمله فأمره أصعب من الاوّل اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه) أوّلا (قلع مارسخ فى نفسه من التعوّد للفساد) وذلك يستدعى مجاهدة لصعوبة القلع (والآخر أن يغرس فى نفسه صفة التعوّد للصلاح) وهذا بادنى مزاولة (ولكنه فى الجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وحزم وتشمر) وساعدته مع ذلك العناية الالهية المرتبة (الثالثة أن يعتقد فى الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى على ذلك) ولم يدخل عليه ما يخالفه الى أن كبر عليه ورسخ اعتقاده ذلك فى نفسه رسوخا تاما (فهذا تكاد تمتنع معالجته) ويعسر برؤه (ولا يرجى صلاحه الا على الندور) والقلة (وذلك لتضاعف أسباب الضلال) وهؤلاء كأهل البدع والضلالات من المعتزلة والروافض فانهم استحسنوا ما تلقفوه من آبائهم وشيوخهم تقريرا لاعتقادات الفاسدة فرسخت فى قلوبهم من حين نشئهم الى أن كبروا عليها فلو تليت عليهم أساطير الاوّلين ببراهين واضحة لم تكد طباعهم تميل الى سماعها وقد استحوذ الشيطان عليهم وحسن لهم ما اعتقدوه فلم ينجع فيهم طريق الارشاد وأبطأت غرائزهم عن القبول المرتبة (الرابعة أن يكون مع وقوع نشئه على الرأى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويتباهى به) بين أقرانه (ويظن ان ذلك يرفع من قدره) ويعلى من شانه (وهذا هو أصعب المراتب) الاربعة (وفى مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب) اذ هو مجبول على الشر والفساد فتهذيب أخلاقه بالاصلاح تعذيب نفس وتضييع وقت بلا فائدة وقالوا فى ذلك

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع فيه الاديب

*(والاوّل من هؤلاء جاهل فقط والثانى جاهل وضال فقط) وهما يرشدان سواء كان المرشد شيخا أو باعثا من نفسه (والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير) وهما لا يقبلان الارشاد واعلم أن كمال الانسان فى الفضيلة بأربع درجات اثنتين فى الاعتقاد وهما أن يعتقد الجميل ويحصل اعتقاده من براهين واضحة وأدلة قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات متداعية واثنتين فى الفعل وهما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيجتنب الرذيلة فيتوصل الى الفضيلة وأن يتعوّد العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم بها وكما انه يكمل بأربع درجات فانه ينتكس بأربع درجات درجتين فى الاعتقاد وهما أن لا يعتقد من العلوم الحقية فيبقى منها غفلا وأن يعتقد عن تقليد اعتقادا فاسدا فيتلطخ به ودرجتين فى العمل وهما أن لا يتعوّد العادة الجميلة رأسا وأن يتعوّد العادة القبيحة (وأما الخيال الآخر وهو ان الآدمى مادام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط) منشؤه التخيل الفاسد وقد (وقع) ذلك (لطائفة) من المتسمين بالعلم (ظنوا ان المقصود من المجاهدة) النفسية (قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها) وان الانسان لا يصير خارجا عن جملة البهائم وأسر الهوى الا باماتتها والا ضرته وغرته وصرفته من طريق الخير وهذا لا بأس به (و) لكن (هيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة) والحكمة اقتضت أن يبلى بها الانسان (ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان) بيان ذلك الشهوة لو تصوّرت مرتفعة لم يمكن الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة

فأمره اصعب من الاوّل اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قدر مارسخ فى نفسه أوّلا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس فى نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد فى الاخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا تكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع النشو على الرأى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفى مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذى استدلوا به وهو قولهم ان الآدمى مادام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان

بالعبادة

ولوانقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولوانهدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه مايهلكه ولهلك ومهمابقي أصل الشهوة فيبقى لامحالة حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذى يدل على أن المطلوب هو الوسط فى الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

بالعبادة ولا سبيل الى العبادة الا بالحياة الدنيوية ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظه الا باعادة ما يتحلل منه ولا يمكن اعادة ذلك الا بتناول الاغذية ولا يمكن تناول الاغذية الا بالشهوة فاذا الشهوة محتاج اليها مرغوب فيها وتقتضى الحكمة الالهية بايجادها وتزيينها كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ثم من تناول الاغذية بالشهوة تصدر شهوة الوقاع (ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل) ولا يمكن الوقاع بلا شهوة فاذا الشهوة مرغوب فيها لاجل ذلك أيضا (ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه) ويستبيح حريمه لكن مثلها كمثل عدو تخشى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل أن يأخذ نفعه ولا يسكن اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما أصدق فى ذلك قول المتنبي اذا تصور فى وصف الشهوة وان قصدها فما أجود ما أرادها

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وأيضا فهذه الشهوة هى المشوقة لجميع الناس من لذات الجنة اذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة ولو توهمناها من قطعة لما تشوقوا الى ما وعدوا به من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى) مرتبة (الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط) وهو خير الامور وأعدلها (فالمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا) وهما الطرفان الرذيلان (وبالجملة أن يكون فى نفسه قويا ومع قوته يكون منقادا للعقل) فلا يقدم على شئ يخالفه العقل (ولذلك قال) الله (تعالى) فى صفة الصحابة (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فانه وصفهم (بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب) عدمت الشدة الثابتة بنص القرآن وفى انعدامها انعدام الغضب ولو بطل الغضب (لامتنع جهاد الكفار) المأمور به (وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء) عليهم السلام مع عصمتهم (لم ينفكوا عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر) قال العراقى رواه مسلم من حديث أنس وله من حديث أبى هريرة انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق) قال العراقى رواه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير فى قصة شراج الحرة فقال ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبى سعيد الخدرى وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه ولهما من حديث عائشة ما انتقم رسول الله لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله ولمسلم وما نيل منه شئ فينتقم من صاحبه الحديث (وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ) والكظم ستر الغيظ (فرد الشهوة والغضب الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن) متيسر (وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة بينة لا شك معها والذى يدل على أن المطلوب الوسط فى الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) أى ولم يضيقوا تضييق

وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وهذا له سر

وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في أدنى شيء لاتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قطع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وان امساكه بحق

الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب (وكان بين ذلك قواما) أي وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما (وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلا لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما أمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما محسورا أي فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ومحسورا أي نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك (وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوسطها) قال العراقي رواه البيهقي في شعب الايمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا ورواه الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني في الاربعين العلوية من طريق أهل البيت من حديث علي ولا يصح اهـ قلت ورواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعا وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعا خير الاعمال أوسطها في حديث أوله دوموا على أداء الفرائض وللعسكري من طريق معاوية بن صالح عن الاوزاعي قال ما من أمر أمر الله به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب الغلو أو التقصير ولابي يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال ان لكل شيء طرفين ووسطا فاذا أمسك باحد الطرفين مال الآخر واذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشياء وأنشد بعضهم

عليك بأوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وأنشدنا شيخنا المرحوم أبو الحسن علي بن موسى الحسيني لبعضهم

حب التناهي غلط * خير الامور الوسط

(وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم) أي من الغش والكدر والنفاق أو من العوارض (والبخل من عوارض الدنيا والجود أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما بينهما أي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا) فان كلا الوصفين مرضاة للشيطان تنشأ عنهما الغفلة واذا صفا القلب كذلك صار محلا للمعرفة وتنزل أنوار التوحيد (واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر) ذكر وافي حده انه (لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد) السالك على يديه (أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا ولا يرخص في شيء من ذلك) ولا يريه طريق الاعتدال في ذلك (لانه لو رخص) له (في شيء منه لاتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن أنه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه فلم يتيسر له الا كسر سورته) وقمع قوته (بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له أن) لا يرخص له في شيء من ذلك وأسا بل (يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق) فيغتر بذلك فيقع

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة) قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين * أحدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريئا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم * والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها

في النقصان والله الموفق

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق)

(على الجملة قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال) في هذه القوى (يحصل على وجهين) أراد المصنف بهذه الجملة بيان سبب اختلاف الناس في أخلاقهم وان الفضائل النفسية اما نظري أو عملي وكل منهما يحصل على وجهين (أحدهما بجود الهي) وفيض رباني (وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم) من البشر (عالما وبغير مؤدب أديبا) كاملا وذلك (كعيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا) عليهما السلام (وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين) الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء ونقل الراغب عن بعض الحكماء قال ان ذلك قد يحصل لغير الانبياء أيضا في الفينة بعد الفينة (ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة وسخيا جريئا) أي شجاعا (وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود) والتدرب (ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم) وبالعادة فمن صار فاضلا طبعا وعادة وتعلما فهو كامل الفضيلة ومن كان رذلا شكلا بثلاثتها فهو كامل الرذيلة وما كان بالتعلم فيحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة ويتقوى الانسان فيه درجة فدرجة وذلك بحسب اختلاف الطباع في الذكاء والبلادة (والوجه الثاني لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة وأعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الفعل المطلوب) أي حق الانسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقا ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه أن يبرز ذلك فعلا أم لم يمكنه (فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال) وان لم يكن ذا مال (فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا) وقد قيل لبعض الحكماء هل من جود يعم به الورى قال نعم ان تحسن خلقك وتنوي الخير لكل واحد وسبق حديث انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة والحكمة والعدل فليكن على هيئة الشجعان والحكماء والعدول وان لم يعرض له مقام تظهر فيه نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيه عدالته (وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه) وهواه (ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا) وطبعا (فيتيسر عليه) ويسهل (وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها) وكمالها (أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا) ويستطيبه وان كان ثقيلا (فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال) على وجوهه (دون الذي يبذله عن كراهة نفس والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس) ترسخا كاملا (ما لم يتعود جميع العادات الحسنة وما لم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها) فقد تقدم ان الانسان يكمل في الفضيلة بأربع درجات اثنتين في الاعتقاد واثنتين في الفعل فاللتان في الفعل هما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيجتنب الرذيلة ويتوصل الى الفضيلة وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث

يؤثرها ويتنعم بها (كما قال صلى الله عليه وسلم) حبب الي النساء والطيب (وجعلت قرة عيني في الصلاة) هكذا رواه الطبراني في الاوسط وفي الصغير من حديث أنس ورواه الخطيب في التاريخ مقتصرا على الجملة الاخيرة وهو عند النسائي بهذا اللفظ وبلفظ وجعل وقد رواه كذلك أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة والبيهقي كما تقدم ذلك مفصلا (ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به) وبيان ذلك ان كل فعل فيحتاج الى ايجاده وتجويده وترتيبه دنيويا كان أو أخرويا لكن متى كان أخرويا يحتاج فيه مع ذلك الى أمور لا يتم ولا يكمل الا بها وهو انه يجب أن يتعاطاها قصدا الى المكرمة وان يتحراه بخلوص الطوية وأن لا يقصد به جلب منفعة دنيوية أو دفع مضرة فانه يكون بفعله ذلك تاجرا ويجب عند بعض المحققين أن لا يطلب منفعة أخروية أيضا فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل ذلك بانشراح صدر فهو أولى ممن يفعله بمجاهدة نفس واستكراه (نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع) وانشراح صدر (ولذا قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة أي بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس وبالصلاة فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية (وانها) أي الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لتعظيم شأنها (لكبيرة) أي لثقيلة شاقة (الا على الخاشعين) أي المخبتين وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة مرتضاة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها (وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا) وفي لفظ ان استطعت ان تعمل لله في الرضا باليقين فاعمل (فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير) عزاه العراقي الى المعجم الكبير للطبراني ولم يذكر صحابيا وقولهم الحق مر فهو باعتبار من لم يهذب نفسه ولم يزل مرضه كما قال المتنبي

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

(ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهة المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل) ولولا طول العمر لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية (ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة) ماهي (فقال طول العمر في طاعة الله) قال العراقي رواه القضاعي في مسند الشهاب وأبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف وللترمذي من حديث أبي بكرة وصححه أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله اهـ قلت حديث أبي بكرة رواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله وقد روى ذلك عن عبد الله بن بسر بلفظ خير الناس من طال عمره وحسن عمله رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب والطبراني والبيهقي والضياء وفي لفظ له طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ورواه كذلك الطبراني وفيه بقية وقد عنعنه وعن جابر بلفظ ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة ورواه الحاكم ورواه أيضا بلفظ خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا وعن أبي هريرة بلفظ خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أخلاقا رواه أحمد والبزار وفي معناه ما رواه الديلمي بسند فيه متروك من حديث أبي هريرة اذا أراد الله بقوم خيرا مد لهم في العمر وألهمهم الشكر (ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة) أي محل حرث الآخرة وهو لا يتم الا بطول البقاء لحصول كثرة الاعمال فهذا من كراهتهم للموت لا ما يسبق الى الاذهان (وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل) أي أوفر (و) كانت (النفس أزكى وأطهر و) كانت (الاخلاق أقوى وأرسخ) لكثرة المواظبة بتمرينها (وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات) وكثرة المواظبة عليها تستدعي صحة البدن التي هي

كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات

وغاية هـذه الاخـلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ أحب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الاعلى الوجه الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الاعلى الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هى قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين فى أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم اربا اربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ

المقصود الاعظم من الحياة وصحة البدن عبارة عن اعتدال القوى الاربع التى هى الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة فى أجزاء البدن الاربعة وهى العظام والعصب واللحم والجلد فقد ظهر بذلك ان الفضائل الاخروية محتاجة الى الفضائل النفسية كما ان الفضائل النفسية محتاجة الى الفضائل البدنية (وغاية هذه الاخلاق) وكمالها (أن ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله) عز وجل (فلا يكون شئ أحب اليه من الله ومن لقائه فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذى يوصله اليه و) يكون (غضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به) ومبتهجا (وملتذا) ومستطيبا (ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة قرة عين) الانسان (ومصير العبادات لذيذة) له (فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين) من أهل الرفاهية (فى أحزان دائمة) متوالية (ونرى المقامر) الذى يلعب بالقمار (المفلس) الذى ليس عنده مال (قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار) ويستعجب (مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا) لاشئ له (ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وورده نفسه اليه مدة) حتى صار ممتزجا بلحمه ودمه ولحبه له سبب آخر غير الفته له هو كونه يسوّل له الشيطان طول أمانيه بان يكون غالبا على رفيقه فيسلب ماله ويخرب داره فهو لم يزل كذلك ولم ينل من آماله شيأ ولولا هذه الامنية لما رد نفسه اليه بعد افلاسه فطول الالفة فى خصوص القمار سبب ناقص واما كون أرباب النعم دائما فى حزن فله أسباب كثيرة اما لكبر هممهم واما لكثرة وظائفهم المتعلقة بهم واما خوف زوال تلك النعم عنهم أو خوف نقص بايديهم فتتشوش لذلك أذهانهم وتتشتت افكارهم فتراهم لا يقر لهم قرار وكلما زادت عليهم النعم زادوا شغلا وطالت أمانيه وكثرت مساعيه ودواعيه (وكذلك اللاعب بالحمام) الذى يربى فى البيوت (قد يقف طول نهاره فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء) وغاية حظه أن يجلب به حمام غيره بان يؤلفه الى مأواه ويستجلب ما ليس له (بل ترى الفاجر العيار) الشاطر الذى يختلس أموال الناس بلطف حيلة ومكر (يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على) ضرب (السياط وعلى تقديمه الى الصلب والشنق وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك) فانه (يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم آرابا) اى أعضاء (على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره بعلم منه فيصبر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات) النازلة عليه (فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال) والعذاب (قرة عينه وسبب افتخاره) بين أقرانه حتى يشار اليه بالبنان (بل لا حالة أخس وأقبح من حالة المخنث) بكسر النون المشددة وقيل بفتحها (فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر) عن وجهه (ووشم الوجه) أى تزيينه بالوشم (ومخالطة النساء) والتشبه بكلامهن (وترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين) والزبالين (التفاخر والمباهاة كما تجرى بين الملوك والعلماء) وغيرهم (وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ

الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فأما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان أحب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجرى على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكى الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة فى نفسه فيصدر منه فى الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا أنه ارتفع منه أثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وأخلاقهم

الباطل) وتستطيبه وتميل الى القبائح (فكيف لا تستلذ الحق) وتستطيبه (لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة) الفاضحة (خارج عن الطبع يضاهى الميل الى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة) مع كمال ضرره للبدن (فاما ميلها الى الحكمة) وعلومها (وحب الله ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه) بمقتضى العادة (وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به) منعه عن ذلك الغذاء (كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب) بسقوط شهوتهما عنها (وهما سبب حياتها) وقوام بقائها وفى نسخة وهما سببان لحياته (فكل قلب مال الى حب شئ) من أمور الدنيا (سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض) باطنى (بقدر ميله الا اذا أحب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض) فانه حينئذ يكون من جملة أسباب الحب فى الله (فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة) والمجاهدة (وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء) أى فى آخر الامر (وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها) أى على موافقة تلك الصفة (وكل فعل يجرى على الجوارح فانه يرتفع منه أثر الى القلب) يتأثر به ويعرف منه ذلك (والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه) بالادمان والتدرب (حتى يصير ذلك صفة راسخة فى نفسه) متمكنة (فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر فى الابتداء تكلفا) بمشقة (فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه أثر الى النفس ثم انخفض من النفس أثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا) فهذا مثال الدور الذى بين عمل القلب والجوارح (وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس) بمعرفة مالها وعليها (فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه) بالدراسة والمطالعة (حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير) بذلك (فقيه النفس فكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا) أولا (حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك) وقد ظهر بالسياق المتقدم انه فرق بين الطبع والتطبع والصنع والتصنع والخلق والتخلق فالتفعل معه اشتغال ويحتاج الى تنشيط من خارج والفعل معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج الى تعب من خارج فمن لم يكن معه نفس الفعل حاصلا احتاج الى تحصيله بمزاولة التعب من خارج حتى يحصله لنفسه ويحوزها ليلحق بدرجة أهل الكمال فتعاطى أفعال من يريد أن يكون مثلهم هو التشبه بافعالهم

وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها
بالاعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن
العطلة فى يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل حتى تهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره فى فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيأ فشيأ على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ولكن لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تاثير فما من طاعة الا ولها أثر وان خفى فله ثواب لامحالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يسوف نفسه يوما فيوما الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصى و يسوف نفسه بالتوبة على التوالى الى أن يختطفه الموت بغتة أو تترا كم ظلمة
الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من
مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية

و أخلاقهم وهذا قد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود منه ما كان على سبيل الارتياض والتدرب يتحراه صاحبه سرا وجهرا على الوجه الذى ينبغى و بالمقدار الذى ينبغى واياه قصد الشاعر

* ولن تستطيع الخلق حتى تخلقا * بل ورد فى الخبر انما العلم بالتعلم والمذموم منه ما كان على سبيل المرآة

ولا يتحراه صاحبه الاحيث يقصد أن يذكر به ويسمى ذلك رياء وتصنعا وتشبعا كما هو ظاهر فى حال من يريد أن يكون خطه حسنا ليقال انه كاتب حاذق وان يكون فقيها يرجع اليه الناس فى الفتيا فيحوز به الجاه والمال ولن ينفك من كان حاله كذلك من اضطراب يدل على تشبعه كما فى كتاب كليلة الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفا زادك تعنيفا وعلى ذلك قال الشاعر

فاسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

واياه قصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما فيه فضحه الله تعالى وحال المتشبع كالجرح يندمل على فساد فلابد وان ينبعث وان كان بعد حين قال الشاعر

فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد

(وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من هذه المرتبة بتعطيل ليلة) من الدراسة والمطالعة (ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة) بالضم اسم من التعطيل (فى يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فتفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصى) فانها (يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة) الذى هو الفوز بالمطلوب (بهدم أصل الايمان عند الخاتمة) أعاذنا الله من ذلك (وكما أن تكرار ليلة واحدة (لا يحس بأثرها فى تفقيه النفس) أى جعلها فقيهة (بل يظهر فقه النفس شيأ فشيأ على التدريج والترتيب (مثل نمو البدن وارتفاع القامة) فانه لا يحس بهما الا تدريجا (فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس بأثرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال) وانما يحس به فيما بعد (ولكن لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير) وهكذا كل متعاط لفعل من الافعال النفسية فانه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه ان خيرا فخير وان شرا فشر فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبارها و باحتمال كبارها يستحق الحمد (فما من طاعة الا ولها أثر وان خفى فلها لامحالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى فيسوف نفسه يوما فيوما) يقول سوف اقرأ بعد يوم ثم يأتى عليه ذلك اليوم فيؤخره الى يوم آخر فهذا هو التسويف (الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصى و يسوف نفسه بالتوبة على التوالى يوما فيوما الى أن يختطفه الموت بغتة) أى فجأة (أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه) تراكم السحب على عين الشمس (وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير) ويجره اليه (و يصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى) أى المقصود المشار اليه (بانسداد باب التوبة) لصعوبة انفتاحه جعل كأنه مسدود وقيل لحكيم ألا تعظ فلانا فقال ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل الى معالجة فتحه (وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية) قرئ بفتح السين فيهما و بالضم وقيل بالفتح ما كان من فعل الناس و بالضم ما كان بخلق الله وقيل بالفتح ما يسد البصر و بالضم ما يسد البصيرة و يؤيده قوله بعد فأغشيناهم فهم لا يبصرون نبه عليه

بل

ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض
القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود
القلب كله فاذا عرفت أن الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق)

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل وتقدم والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

الخفاجي في تذكرته (ولذلك قال علي كرم الله وجهه ان الايمان يبدو في القلب لمعة) وفي نسخة نكتة (بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله) وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم قال يعمل الذنب فيحيط بالقلب فكلما عمل ارتفعت حتى يغشى القلب وأخرج ابن جرير عنه قال كانوا يرون ان القلب مثل الكف فيذنب الذنب فينقبض منه ثم يذنب الذنب فينقبض حتى يختم عليه ويسمع الخير فلا يجد له مساغا وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال الذنب على الذنب ثم الذنب على الذنب حتى يغمر القلب فيموت (فاذا قد عرفت أن الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة) الاصلية (وتارة) تكون (باعتياد الافعال الجميلة وتارة) تكون (بمشاهدة أرباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم) في أكثر الاوقات (وهم قرناء الخير واخوان الصلاح) من أهل العلم بالله والعمل (اذ الطبع) السليم الساذج (يسترق من الطبع) المقارن به (الشر والخير جميعا) ومن هنا قول العامة الطبع السليم سراق وقولهم أيضا من عاشر القوم أربعين يوما صار منهم (فمن تظاهرت في حقه الجهات حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما) في الدرجات الاربعة اعتقادا وعملا (فهو في غاية الفضيلة) وممن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (ومن كان رذلا بالطبع واتفق له) معاشرة (الاقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى تعوده فهو في غاية) الانتكاس في الدرجات الاربعة اعتقادا وعملا وأورثت رذيلته هذه نهاية (البعد من الله تعالى) فهو من الذين وصفهم الله تعالى بقوله أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ثم قال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات) ولم تتظاهر عليه (ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحاله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أي يرى جزاءه ان خيرا فخير وان شرا فشر (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ظلموا أنفسهم بالاعتياد على العادات القبيحة فرسخت فيها وبمعاشرة قرناء السوء فأظلمت قلوبهم وعميت بصائرهم فصاروا أحقاء بالبعد عن حضرة الحق ثم للانسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة أحوال اما أن يكون في ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها ولذا قال بعضهم من لم يخدم العلم لم يرعه والثاني أن يتوسطها فيقال أخوها وصاحبها والثالث أن ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف فيها كما أراد فيقال هو سيدها وربها وغاية الفاضل في الفضيلة أن تقع منه الفضائل أبدا من غير فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعد ما ينافيها منه وغاية الرذل في الرذيلة أن تقع منه الرذائل بغلبة قواها عليه ولهذا حد الخلق بانه حال للانسان داعية الى الفعل من غير فكر ولا روية والله الموفق

(بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق)

(قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال بين مزاج البدن هو صحة له) بان تعتدل القوى الاربعة في أجزاء البدن (والميل عن الاعتدال مرض فيه) بان تخالف احدى القوى (فلنتخذ البدن مثالا) لذلك (فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها) بالرياضة والمجاهدة (وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه) باستعمال ما يناسبه (فكما ان الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة له بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال) المختلفة (فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة) الاسلامية (وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) كما ورد في الخبر

أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل و يقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك اليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فاذا عرف ذلك التفت الى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين و يعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة

وتقدم ذكره قريبا (أي) يغيرانه الى الاديان المختلفة و (بالتعود والتعلم تكتسب الرذائل فكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل و يقوى بالنشو والتربية بالغذاء) على التدريج (فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال) مستعدة له (وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق) بالرياضة (والتغذية بالعلم النافع (وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب) الحاذق (تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي أن تسعى لحفظها وحفظ صفتها و جلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفاء لها) بالقانون الالهي (وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك اليها) بالعلاج الموافق وان كانت مشحونة بالاخلاق السيئة فينبغي أن تسعى لما يزيلها منها (وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها) في الغالب (ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم) فان العلم والجهل متضادان متى دخل أحدهما ارتحل الآخر (ومرض البخل بالتسخي) أي بذل المال في حقوقه (ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى) ولو (تكلفا فكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات) النفسية (لعلاج الابدان المريضة) حتى يصح الدواء (فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب) حتى ينجع (بل) هذا (أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت) فانه لا يحس به بعده (ومرض القلب والعياذ بالله عذاب أليم يدوم بعد الموت أبد الآباد) فهو لا ينفك عنه بحال (وكما أن كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه) من الضار (فان لم تحفظ معياره زاد الفساد) ورجع العلاج الى عكسه (فكذلك النقيض الذي تعالج به الاخلاق لا بد له من عيار يعرف) به الحد المخصوص (وكما أن عيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة) وذلك بتشخيص النبض أو القارورة (وان كانت من حرارة) مثلا (فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية) ثم يعرف سببها أمن داخل أم من خارج (فاذا عرف ذلك التفت معه الى أحوال البدن) من جهة ضعفه وقوته واعتداله (وأحوال الزمان) شديد البرد أو الحر أو معتدل (وصناعة المريض) أهي خسيسة أم شريفة (وسنه) هل هو في الشبوبية أو في الكهولة أو الشيوخة (وسائر أحواله) كسؤاله هل هو غريب أو من أهل البلد (ثم يعالج بحسبها) كل ذلك بالتحري والاجتهاد حتى لا يخالف عليه المرض من طريق آخر (فكذلك الشيخ المتبوع) المعتقد (الذي يطب نفوس المريدين و يعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليه بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم) وسائر أحوالهم (وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة

أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وأمراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيأ سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة

وفاحر

أهلكهم وأمات قلوبهم) ولم ينجح فيهم الارشاد (بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي سنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته) فرب قوي البدن في عنفوان الشبوبية يحتمل من الرياضة ما لا يحتمله ضعيف البدن نحيفه وكذا الشيخ الفاني (فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا) أمور دينه مثل (الطهارة والصلاة وظواهر العبادات) بوجه يوصل الى ذهنه فاذا ترشح بمعرفة ذلك ينقله الى ما يناسبه (وان كان) مع معرفته لظواهر العبادات (مشغولا بمال حرام) وصل اليه من تجارة فاسدة أو من ميراث بشبهة (أو مقارفا لمعصية) ظاهرة أو باطنة (فيأمره أولا بترك ذلك) رأسا (فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وأمراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته) ان كان منفردا أو الا فعن قدر ضرورة عياله ان كان ذا عيال (أخذه منه وصرفه في الخيرات) أو أمره بأن يصرفه الى جهات الخيرات (وفرغ قلبه منه) فانه أكبر شاغل لنفسه (حتى لا يلتفت اليه) ولا يتعلق به قلبه (وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج الى السوق للكدية) أي الاستجداء (والسؤال) من الناس وذلك في وقت مخصوص (فان عز الرياسة لا يكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من السؤال) ولا أثقل منه وهو أحد الثلاثة التي تورث الذل والاثنان الدين والبنت قالوا ثلاثة تورث الذل الدين ولو درهما والبنت ولو مريم والسؤال ولو أين الطريق (فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه) وأنفته (فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة) في النفس ولا ينفع السلوك للمريد مع ملابستها (وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة) ولما كان الامر كذلك وغلبت هذه النفوس على المريدين رتب بعض مشايخ الطريق كل مريد في خدمة معينة في زاوية الشيخ فمنهم من يتعاهد خدمة بيت الماء ومنهم من يتعاهد اخراج الماء من البئر لملء الميضأة ومنهم من يتعاهد صب الماء على أيدي الفقراء ومنهم من يتعاهد لكنس المحل ورشه ومنهم من يتعاهد لخدمة المريدين في الزاوية ومنهم من يتعاهد خدمة المطبخ واصلاح ما تيسر من طعام ومنهم من يتعاهد الكدية فما فتح له منها يفرق على أهل الزاوية فهذه الوظائف ما رتبوها الا لتمرين النفوس الصعبة وتهذيب الاخلاق (فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار) لاجل زوجها ليس لها همة الا في ذلك (ولا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما) فمن تعلق بشيء والتفت اليه بقلبه فقد صار عابدا له (فهما عبد غير الله فقد صار محجوبا عن الله ومن راعى في ثوبه شيأ غير كونه حلالا أو طاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه) محجوب عن ربه (ومن لطائف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو) أي لا تسمح (بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي أن تنتقل من الخلق المذموم الى مذموم آخر أخف منه) في الذم وهذا (كالذي يغسل الدم بالبول) أولا (ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم) وقد حصل التطهير ولكن بهذا النقل (وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه) من الملاعب (ثم ينقل من اللعب الى الزينة

وفاخر الثياب ثم ينقـل من ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعـة فلينقل الى جاه أخف منـه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعوّد الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوّقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج فى مبدأ الارادة انفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم انه كان يعوّد نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام

 على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه ان عوّد

وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك الى الترغيب فى الرياسة وطلب الجاه) وكل ذلك من المذام الشرعية (ثم ينقل عن ذلك بالترغيب فى الآخرة) تدريجا ولو كلف من أوّل وهلة بالترغيب فى أمور الآخرة لم يتيسر عليه (فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه) والرياسة (دفعة فلينقل الى جاه أخف منه) ثم ينتقل الى تركه رأسا (وكذلك سائر الصفات وكذلك ان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام) أوّلا ثم كلفه أن يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره ولا يأكل هو منها حتى تقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح) شبقا كثير الشهوة (وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم) لما ورد فى الخبر من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ومن لم يجد فعليه بالصوم فانه له وجاء (وربما لا يسكن ذلك شهوته فيأمره بأن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج فى مبادئ الارادة أنفع من الجوع) لانه قاطع كل شهوة (وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق) وشراسة (ويأمره بخدمة من ساء خلقه وبمراعاته حتى تمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس) وبين يدى من يعظمه (ويكلف نفسه الحلم والصبر) على ذلك (ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل) فى الحلم وقد ورد فى الاخبار انما الحلم بالتحلم (وكان بعضهم يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب وأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الامواج) ليسكن روعه عن الاضطراب ويتعوّد عليه (وعباد الهند) من البراهمة والجوكية (يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول ليله على نصبة واحدة) ومنهم من اختار أن يقف على رجل واحدة طول ليله ومنهم من يعوّد نفسه على حبس أنفاسه ساعات متعددة (وبعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان تكسل نفسه عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع) ولهم فى ذلك مجاهدات غريبة تستغرب وقصدهم بذلك اماتة النفوس وتعويدها على الطاعات بانشراح وسماح (وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل) وقد اعترض على المصنف فى تقرير هذه الحكايات عنهم وتسليمها لهم بان ذلك تضييع للمال ومخالف للشرع وقد أشرنا بجواب ذلك فى مقدمة كتاب العلم فراجعه (فهذه الامثلة تعلمك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا) هنا (ذكر دواء كل مرض) بالخصوص (فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب) ان شاء الله تعالى (وانما الغرض الآن التنبيه على أن الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك فى كلمة واحدة فقال) وأما من خاف مقام ربه (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم) أى بان يفى بما عزم عليه ولا ينقضه (فاذا عزم على ترك شهوة فقد تتيسر أسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا) أى امتحانا له ليعلم هل يفى أم لا (فينبغى أن يصبر) على ما عزم عليه (ويستمر فانه ان عوّد

نفسه ترك العزم ألفت ذلك فلفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية * (بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة) * اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار أو غيرها بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه وأصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها أشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم الى قوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فمن عنده شئ أحب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ماشاء الله الا أن من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه

وقالوا

نفسه نقض العزم ألفت ذلك) وأنست به (وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه) مما يناسب حاله و يطيق عليه (كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة) كما سيأتى ان شاء الله تعالى (واذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت بها الرياضة بالكلية) ولم يحصل له من رياضته ثمرة غير اتعاب البدن وتضييع الوقت

*(بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة) *

(اعلم أنه كما ان كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر مع نوع من الاضطراب) والاختلال (فمرض اليد أن يتعذر عليه البطش) ومرض الرجل أن يتعذر عليه المشى ومرض الاذن أن يتعذر عليه السماع (ومرض العين أن يتعذر عليه الابصار) وقس على ذلك باقى الاعضاء (فكذلك مرض القلب هو أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه) لانه بيت الايمان بالله ويرشح له ما ورد فى خبر القلب بيت الرب وان لم يكن له أصل فى المرفوع كما قاله الحافظ السخاوى لكن معناه صحيح (قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) قيل معناه ليعرفوا أن معرفة الله تعالى روح كل عبادة (وفائدة القلب الحكمة والمعرفة) فاذا خلا عنهما فهو المنكوس الذى قيل فيه أم على قلوب أقفالها (وخاصية النفس التى للآدمى ما تميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغير ذلك) فقد تشاركه البهائم فيها (بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه وأصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذى جعلها أشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيأ) ويحكم على فساد عقله وانتكاس قلبه عن درجة الكمال ولكل شئ عند التحقيق علامة بها يعرف ذلك الشئ (وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه) وأحب لقاءه (وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات) فمن آثر على محبته شيأ من ذلك فهو مدع فى الحب كذاب (كما قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم الى قوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فمن عنده شئ أحب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ماشاء الله) والحكم للغالب (الا أن من الامراض ما لا يعرفه صاحبه) ولا يهتدى اليه (ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه) لانه غير محسوس بالابصار فمعرفة مرضه عسر (فلذلك يغفل عنه وان علمه صاحبه) بضرب من التوفيق (صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو) بمنزلة نزع (الروح) من الجسد (وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه) اذ يقال له

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

فلهـذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هـذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات و باطنها عادات ومرا آة فهذه علامات أصول الامراض وأما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز و جل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفى غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى أسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعنى الوسط حتى

وقالوا ومن عجب الدنيا طبيب مصفر * وأعمش كحال وأعمى منجم

وفيهم قيل * عليل يداوى الناس وهو عليل * (فلهذا صار الداء عضالا) صعبا (والمرض مزمنا) راسخا (واندرس هذا العلم) مرة واحدة (وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها) واشتغلوا باصلاح الظاهر (وأقبل الخلق على حب الدنيا) واقتنائها (وعلى أعمال ظاهرها عبادات و باطنها عادات ومرا آة فهذه) علامة أصل المرض (وأما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى) كما ورد فى الخبر وأى داء أدوأ من البخل (فانما علاجه ببذل المال وانفاقه) فى وجوهه (ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير) به (مبذرا فيكون التبذير أيضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة) على انهما ضدان وانما يعالج المرض بما يضاده (حتى تغلب الحرارة وهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة) بحيث لا يغلب أحدهما على الثانى (فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفى غاية البعد من الطرفين) قال ابن الوردى

بين تبذير وبخل رتبة * وكلا هذين ان زاد قتل

(فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل) وقد عرفته منك (فزد فى المواظبة على البذل) والانفاق (فان صار البذل للمستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بحق فقد غلب عليك التبذير) وهو أيضا خلق مذموم قال الله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين (فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء) المعد للشرب وغيره (فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله سليما عن هذا المقام خاصة) يشير الى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم (ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا تكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى أسبابها)

فمن سره أن لا يجد ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية) عن الله (مرضية) عند الله (داخلة فى زمرة عباد الله) من النبيين والصديقين والشهداء (والصالحين وحسن أولئك رفيقا) كما قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض) والدقة (بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة) الذى من وصفه أدق من الشعر وأحد من السيف (وقلما ينفك العبد عن ميل) ما (عن الصراط المستقيم أعنى الوسط حتى

لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا أى الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال قد قلت يارسول الله شيبتنى هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض ولكن ينبغى أن يجتهد الانسان فى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

(بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الاول) أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع إشارته فى مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه

لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان) ذلك (مثل البرق) الخاطف كما ورد ذلك فى الخبر (وقال تعالى وان منكم الا واردها) أى مجتاز عليها كما فسر به الورود فى قول (كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا أى الذين كان قربهم الى الصراط) المستقيم (أكثر من بعدهم عنه) ونذر الظالمين فيها جثيا وهم الذين ظلموا أنفسهم ومالوا عن الصراط الى احد حديه نتركهم حول النار جثيا على ركبهم (ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فى كل يوم وليلة) فى صلاته (سبعة عشر مرة فى قوله) فى سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت الفاتحة فى كل ركعة) وهى اثنتان الصبح وأربع الظهر وأربع العصر وثلاث المغرب وأربع العشاء مجموع ذلك سبع عشرة ركعة (وروى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له قد قلت يارسول الله شيبتنى سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله تعالى) فيها (فاستقم كما أمرت) وهذا اللفظ قد رواه ابن مردويه من حديث أنس بزيادة واخواتها الواقعة والقارعة والحاقة والشمس اذا كورت وسأل سائل وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض) والدقة (ولكن ينبغى أن يجتهد الانسان فى) تحصيل مرتبة (القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة التى) هى الوفاء بكل العهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية خط الوسط فى كل أمر دينى أودنيوى (فكل من أراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة) اذ ترشح منها آثار حسنة على الجوارح فتصدر منها الاعمال على وفقها (فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه) الباطنة (وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب) مقدما منها الاحق فالاحق والله الموفق

(بيان الطريق الذى به يتعرف الانسان عيوب نفسه)

(اعلم أن الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا بصره) أى جعله بصيرا (بعيوب نفسه) وشغله عن عيوب غيره فقد أخرج الرافعى فى تاريخ قزوين من حديث ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب أمكنه العلاج) كما ان المرض اذا علم أصله يتيسر عليه علاجه بأهون سبب (ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى) جمع قذاة وهى ما يقع فى العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ (فى عين أخيه) المؤمن (ولا يرى الجذع فى عين نفسه) أخرج ابن المبارك فى الزهد والعسكرى فى الامثال من حديث أبى هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه وينسى الجذع أو قال الجذل فى عينيه والجذع بالكسر واحد جذوع النخل والجذل بالكسر وبالفتح أصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلا وقد رواه أيضا القضاعى فى مسند الشهاب وأبو نعيم فى الحلية دون قوله أو قال الجذل وهذا مثل ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به وفيه من العيوب بالنسبة اليه كنسبة الجذع الى القذاة وذلك من أقبح القبائح ولله در القائل

ارى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذى هو فيه
فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه * ويعمى عن العيب الذى باخيه

(فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فله أربع طرق الاولى أن يجلس بين يدى شيخ) كامل فى ذاته مهذب بآداب الشريعة (بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات) كأنه ينظر اليها من وراء ستر شفيف (ويحكمه على نفسه) أى يجعله حاكما على نفسه ونفسه محكوما عليها فيما يأمره وينهاه (ويتبع اشارته فى مجاهدته) فلا يخالفه فيما يشير له اليه (وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه) وهو علامة

فلاحه

فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده *(الثاني)* أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متديناً فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى ان أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب

فلاحه (فيعرفه شيخه وأستاذه عيب نفسه) اما بالتصريح بان يقول له عيبك كذا أو خلقك كذا واما بالكناية باختلاف أحوال المريد (ويعرفه طريق علاجه فهذا قد عز في هذا الزمان وجوده) وان وجد شيخ على هذه الصفة لم يوجد من يرشده من المريدين الصادقين وان وجد مريد صادق لم يوجد شيخ كامل بالاوصاف المذكورة فهذا سبب عزة الامر (الثانية أن يطلب صديقا) موافقا (صدوقا) في قوله (بصيرا) بعيوبه مطلعا على خطايا أحواله (متدينا) في نفسه (وينصبه رقيبا على نفسه) ناظرا على حركاته وسكناته (ليلاحظ) بعين بصيرته (أحواله وأفعاله) الصادرة عنه (فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه) ويرشده الى ما يناسب حاله (فهكذا كان يفعل الاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الي عيوبي) رواه الاسماعيلي والذهبي في مناقب عمر (وكان يسأل سلمان) رضي الله عنهما (عن عيوبه لما قدم عليه) أي من المدائن (وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى) أي طلب أن يسكت عن ذلك (فألح عليه) في أن يقوله (فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين) حلة بالنهار وحلة بالليل (فقال هل بلغك غير هذا فقال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما) رواه الاسماعيلي والذهبي في مناقب عمر (وكان يسأل حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (ويقول أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق) فيقول لا يا أمير المؤمنين (فهو) رضي الله عنه (على جلالة قدره وعلو منصبه) في الدين (هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز) وقل (فيقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب) فيه (فلا تخلو في أصدقائك عن حسود) عليك في نعمتك (أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي) نقله صاحب القوت (فقد كان شهوة ذوي الدين أن ينبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا) ويعددها علينا (وكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة) في الانسان (حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوب أحدنا عقربا) أو حية (لتقلد منه منة) وجميلا (وفرح بذلك واشتغل بابعاد العقرب) أو الحية (وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم ألمها الا يوما فما دونه) وان زاد فلا يزيد على يوم وليلة (ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب) أي باطنه (ويخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين) الى ما شاء الله (ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي غرتها كثرة الذنوب) وفي حديث أبي الخير اليزني أربع خصال تفسد القلوب فساقه وفيه وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب أخرجه عبد بن حميد في

وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

*(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وان مادة أمراضها هي اتباع الشهوات) *اعلم أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد

وتنوير

تفسيره (وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله تعالى أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله) اللهم آمين (الطريقة الثالثة أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساويا) أي تظهرها كما أن عين الرضا تكل عن كل عيب (ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله) له وفيه (على الحسد) المحض (ولكن البصير) الناقد لاحواله (لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم) ويبلغ ذلك عنهم فيتنبه لما يقولون فيه ويتدارك لما فرط منه بمعالجة تلك العيوب وازالتها عن نفسه مهما أمكن ولكل مجتهد نصيب (الطريقة الرابعة أن يخالط الناس فكل ما راه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن) كما رواه الطبراني في الاوسط والضياء من حديث أنس (فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر) وهو بكسر القاف من يقارن في علم أو غيره واحد الاقران كحمل وأحمال (عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا) أي انه المنتهى فيه كأنه ينهاك عن غيره (فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب) رأسا (قيل لعيسى بن مريم) عليه السلام (من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته) فهذا أدب يحصل من النفس عند المخالطة وذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة شريك النخعي بسنده الى يحيى بن يزيد قال مر شريك بالمستنير بن عمرو النخعي فجلس اليه فقال يا أبا عبد الله من أدبك قال أدبتني نفسي ثم ساق قصة خروجه من بخارى وطلبه العلم بالكوفة وما انتهى اليه أمره فقال المستنير لولده سمعتم قول ابن عمكم وقد أكثرت عليكم في الادب فلا أراكم تفلحون فليؤدب كل رجل منكم نفسه فمن أحسن فلها ومن أساء فعليها وقيل لبعضهم من أين تعلمت الحلم قال من جيراني وقيل لآخر من أين تعلمت الادب قال من أهل السوق رأيت جهلهم فتجنبته (وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب الناس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه) مقبلا (مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم) وابتغاء لمرضاة الله تعالى (فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب) لامراضه (فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده) وان لم يوجد فليتنبه للطرق الثلاثة اما بتأدب من صديقه أو من عدوه أو من خليطه ولا أقل من ذلك فقد روى الديلمي باسناد جيد من حديث أم سلمة اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه والله الموفق

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب بترك الشهوات) وقطع علائقها (وان مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

(اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك) ولم يمكنك الاعتبار (فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد) أي هو أهل لان يقلد لكمال ايمانه وورعه وعلمه

فان للإيمان درجة كما أن العلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هى الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ماذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدوّ منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى و يستر* وقال سفيان الثورى ما عالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك

وتنوير باطنه (فان للإيمان درجة كما أن العلم درجة والعلم) بالله النافع انما (يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ففيه بيان تفاوت الدرجات وان العلم بعد الايمان (فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله) تعالى (ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا) وهو على درجة (فاذا اطلع على ماذكرناه من أغوار الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم) وهو على درجة (وكلا وعد الله الحسنى) أى الجنة (والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى قال الله تعالى) فأما من خاف مقام ربه (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى) ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) لهم مغفرة وأجر عظيم (قيل نزع) الله (عنها محبة الشهوات) وكتب مجاهد الى عمر رضى الله عنه ياأمير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم أخرجه أحمد فى الزهد وعن قتادة فى قوله امتحن الله قلوبهم للتقوى قال أخلص الله قلوبهم فيما أحب أخرجه الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقى فى الشعب وروى الحكيم عن مكحول رفعه نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر الا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ماهم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقتله وشيطان يضله ونفس تنازعه) قال العراقى رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث أنس بسند ضعيف (فبين ان النفس عدوّ منازع تجب مجاهدته) لانه أكبر الاعداء (و يروى) فى الاسرائيليات (ان الله عز وجل أوحى الى داود) عليه السلام فقال (ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات) أى الاكل بالشهوات (فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة) أى بصائرها نقله القشيرى فى الرسالة (وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره) يعنى به ما أعد الله لتاركها من نعيم الجنان (وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس) قال العراقى رواه البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب (وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى الله عز وجل) قال العراقى رواه الترمذى فى أثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد اهـ قلت وكذلك أخرجه ابن حبان فى الصحيح وفى لفظ ابن ماجه والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب (وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى لك و يستر) وقال العراقى لم أجده بهذا السياق (وقال سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (ما عالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وكان أبو العباس الموصلى) رحمه الله تعالى (يقول) مخاطبا لنفسه (يانفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ما الدابة الجموح) وهى التى تستعصى راكبها حتى تغلبه (بأحوج الى اللجام الشديد) القوى (من نفسك) واليه أشار صاحب البردة

من لى برد جماح من غوايتها * كما يرد جماح الخيل باللجم

وقال يحيي بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة ومن قلة المنام صفو الارادة ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير

عند ذلك لطيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيي الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى أن امرأة العزيز

قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى (وقال
زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى

(وقال يحيي بن معاذ الرازى) رحمه الله تعالى (جاهد النفس بأسياف الرياضة) وقال القشيرى فى الرسالة اعلم ان مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الاسلام فقالوا ذبح النفس بسيوف المخالفة ثم قال يحيي بن معاذ (والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام) أى القدر القليل منه (والغمض من المنام) أى الخفيف منه (والحاجة من الكلام) أى القدر المحتاج منه (وحمل الاذى من جميع الانام) وهذه الثلاثة الاول من أوصاف الابدال فانهم لا يأكلون الا عن فاقة ولا ينامون الا عن غلبة ولا يتكلمون الا عن حاجة (فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات) قال (وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الذل والانتقام فيأمن بوائقها فى سائر الايام) أى دواهيها ومصائبها (ويصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة) لان ثقلها انما كان مما يعتريها من مؤن الشهوات فاذا طهرت خفت وتروضت (فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره) النشيط (فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان) هذا كله كلام يحيي بن معاذ الرازى (وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته) فيما يأمر وينهى (ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس) أى غلبت عليه وقهرته (صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا) أى محبوسا (فى سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد) الحاصلة له من منازلات الملائكة بالرحمة (وقال جعفر بن محمد) وهو الصادق وفى بعض النسخ جعفر بن حميد (أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم) الاخروى (لا يدرك الا بترك النعيم) الدنيوى وقال أبو يحيي الوراق (من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهب) بن منبه (ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد) المكى (من أراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويروى أن امرأة العزيز) واسمها زليخا (قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف) عليه السلام (قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال) القشيرى فى الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطاء يقول قال (الجنيد) رحمه الله تعالى (أرقت) بكسر الراء أى سهرت (ليلة فقمت الى وردى) من الصلاة (فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها) من قبل أى التلذذ بالمناجاة فتحيرت فى سببه (فأردت أن أنام فلم أقدر) عليه وأنا على هذه الحال (فقعدت) لاذكر الله فى غير صلاة (فلم أطق القعود) ففتحت الباب (فخرجت) أنتظر الفرج (فاذا رجل ملتف فى عباءة) بالمد كساء من صوف (مطروح على الطريق فلما أحس بى) رفع رأسه

قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى
يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه ثم قال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات

و (قال يا أبا القاسم الى الساعة) أى لم تخرج من حين تحيرت وهذا منه مكاشفة بحالة الجنيد (فقلت) له (يا سيدى) جئتنى (عن غير موعد) بوقت (فقال بلى) جئتك بوعد فانى (قد سألت محرك القلوب أن يحرك لى قلبك) أى فالوقت الذى طلبتك فيه منه هو أول ما حركك فهو الموعد (فقلت قد فعل ذلك) أى حركنى لك (فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى قد أجبتك بهذا) الجواب (سبع مرات فأبيت أن تسمعيه) أى تقبليه (الا من الجنيد) فقد سمعت ذلك منه (فانصرف وما عرفته) فعلم من هذه القصة ان الدواء النافع للنفس مخالفة هواها بما يرضى مولاها (وقال يزيد) بن أبان (الرقاشى) بتخفيف القاف أبو عمرو البصرى القاص زاهد ضعيف مات قبل العشرين بعد المائة (اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة) لما علم ان نفسه تشتهى الماء البارد منعها منه حسما لشهوتها (وقال رجل لعمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام) أى خالف نفسك فى هواها فاذا اطمأنت الى الكلام تخالفها بما يضاده وهو السكون وبالعكس (وقال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا) لان الجنة حفت بالمكاره كما ان النار حفت بالشهوات (وكان مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما أمنعك) عنه (الا من كرامتك على) وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق ابراهيم بن بشار قال سمعت ابراهيم بن أدهم يقول أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلاها وكان محفوظا ومعافى من أذاها وقد اورد القشيرى فى الرسالة فى باب مخالفة النفس وذكر عيوبها ما يحسن ايراده هنا قال قال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكر وعلامة الاصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها فى فسادها وقال أبو حفص الحداد من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها فى جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وقال أبو بكر الطمستانى النعمة العظمى الخروج عن النفس لان النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى وقال سهل ما عبد الله بشئ أفضل من مخالفة النفس والهوى وسئل ابن عطاء عن أقرب شئ الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك مطالعة الاعواض على أفعالها وقال محمد بن عبد الله آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه (فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة) التى هى بقاء بلا فناء (الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشئ مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة) والاحتياج (فيكون مقتصرا من الاكل) والشرب (والنكاح والمسكن) والمركب (وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة) الداعية فقط (فانه لو تمتع بشئ منه أنس به) طبعا وعادة (وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الآخرة) الا ما استثنى فى الاحاديث الواردة كالشهيد واضرابه فانهم يتمنون الرجوع الى الدنيا لا لاجل حظ الدنيا بل لما يرون من حظ الآخرة المترتب على ذلك العمل الذى فارقوا عليه (ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكرة والذكر فقط) ويراعى

فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما أمنعك الا من كرامتك على فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشئ مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه أنس به

وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط

فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذ كر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذ كر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذ كره باللسان لا بالقلب فهـذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذ كر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا تطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذ كر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذ كر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري يقول

فيه حال كل انسان بحسب ما يقتضيه وقته (فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه أربعة رجل استغرق ذ كر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة) التي لابد منها (فهو من الصديقين) وهذا الاستغراق يكون بالذ كر القلبي والمراقبة الدائمة حتى يمتزج بباطن القلب بالذ كر فلا يجد مساغا فيه لغيره (ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة) والمجاهدة الشاقة (والصبر عن الشهوات مدة مديدة) حتى تتمرن النفس على ذلك (والثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه) واستولت عليه من سائر نواحيه (فلم تبق لله ذ كرا في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذ كره باللسان) ولا يجاوز قلبه لجميع عباداته عادات ومرا آة (وهذا من الهالكين) في أودية الغفلة والضلال (والثالث رجل اشتغل بالدين والدنيا جميعا لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذ كر الله على قلبه والرابع رجل يشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار ولكن يخرج منها لا محالة لقوة ذ كر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذ كر الدنيا أغلب عليه) ويؤيده ما تقدم في الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلة من الايمان (وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله) تعالى (فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة) كما رواه البيهقي في الشعب باسناد حسن الى الحسن البصري مرسلا مرفوعا وأورده الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا اسناد عن علي مرفوعا وهو عند البيهقي أيضا في الزهد وأبي نعيم في الحلية في ترجمة الثوري من قول عيسى بن مريم عليه السلام وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان من قول مالك بن دينار وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي من تاريخ مصر له من كلام سعد هـذا (والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا أيضا وهو سبب البعد وسيأتي ذ كره في كتاب ذم الدنيا) ان شاء الله تعالى (وقد قال) القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت (ابراهيم الخواص) يقول (كنت في جبل اللكام) كغراب جبل بالشام أعلى الجبال وأشمخها وهو مأوى العباد والصالحين (فرأيت رمانا) أي شجرا عليه رمان وكنت عزمت على تركه لله تعالى (فاشتهيته) لما مررت به فدنوت (فأخذت منه رمانة واحدة فشققتها فوجدتها حامضة) فلم آكل منها شيأ أدبا بذلك لمخالفة عزمه (فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا على الارض (قد اجتمع عليه الزنابير) أي الدبر تقع على جراحاته (فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت) له (كيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ) بان ييسر الله له كل ما يريده تارة بالسؤال وتارة بغيره (فقلت) له (أرى لك حالا مع الله) تعالى (فلو سألته أن يحميك من هـذه الزنابير) ويقيك من أذاها كان خيرا لك (فقال) وأنا أيضا (أرى لك حالا مع الله) تعالى (فلو سألته أن يحميك شهوة الرمان) كان خيرا لك (فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا) وألم الدنيا أهون من ألم الآخرة (فتركته ومضيت) لشأني خشية أن أشتغل به فيفسد به علي توكلي دل كلام المطروح الاول على انه من العارفين وكلامه الثاني انه من المكاشفين ودل سياق القصة على ان شهوة الرمان وان كان مباحا أكله فهي من جملة الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة وأي خطيئة أعظم من بقاء الالام الى آخر الابد (وقال) القشيري أيضا سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت (السري) السقطي

أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسالك طريق الآخرة مالم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة

ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو بعينه الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري بالعروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب

يقول (منذ) ثلاثين أو (أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزا في دبس فما أطعمتها) ذلك وانما ذكر هذا لمن يقتدي به من أصحابه بكمال مجاهدته لنفسه وتعظيمه لربه ومخالفته لما تركه لوجهه وروى أبو نعيم في ترجمة مالك بن دينار من الحلية قال قال مالك بن دينار لرجل من أصحابه اني لاشتهي رغيفا بلبن رائب قال فانطلق فجاء به قال فجعله على الرغيف فجعل مالك يقلبه وينظر اليه ثم قال اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني اليك عني وأبى أن يأكله ومن طريق المنذر أبي يحيى قال رأيت مالك بن دينار ومعه كراع من هذه الاكارع التي قد طبخت قال فهو يشمه ساعة فساعة قال ثم مر على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق فقال هاه ياشيخ فناوله اياه ثم مسح يده بالجدار ثم وضع كساءه على رأسه وذهب فلقيت صديقا له فقلت رأيت من مالك كذا وكذا قال أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به (فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسالك طريق الله مالم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات) ولم تزل به حتى توقعه فيها (فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت) أبدا (الا عن المهمات) الضرورية (حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق) في حق عن حق (فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة) اذا كانا بحق (ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ من النظر الى ما لا يحل) من المحظورات (وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو بعينه الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم تتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة) فاستولت عليه (فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذا آفة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها) وينشرح صدره لزخارفها (أشرا) أي فرحا (وبطرا حتى تصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا) بهذا الحد (سم قاتل يسري في العروق) ويختلط به البدن (فيخرج من القلب الخوف) من الله تعالى (والحزن الذي قال مالك بن دينار القلب العاري منه خراب كالدار) التي لا ساكن بها (وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب) أعاذنا الله من ذلك (قال الله) تعالى (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الى قوله الا متاع الغرور) وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب (فاولو الحزم) والبصيرة المنورة (من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمؤاتاة الدنيا) وموافقتها (فوجدوها قاسية بطرة بعيدة) بطيئة (من التأثر بذكر الله) تعالى (واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها اللينة) هينة (رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن أسباب البطر والفرح) وأن الهلاك الدائم في أسباب الفرح (ففطموها عن ملاذها) ومتنعماتها (وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها) ولله در القائل

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب) وقد روى الشيخان من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير من

نخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات و رقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه و يألفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدى وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام و يشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدى لم يرجع اليه فيهجر الثدى و يعاف اللبن و يألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السراح الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بان تمنع من النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم ان من أحب شيأ يلزمه فراقه و يشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة فى سفره وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أو دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم غيابات الكرى كما قاله على رضى الله عنه

نوقش المحاسبة هلك (نخلعوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية) الحقيقية (والملك فى الدنيا والآخرة بالخلاص عن أسر الشهوات و رقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته) على الدوام (وفعلوا بها ما يفعل بالبازى) الذى يتخذ للصيد (اذا قصد تأديبه) وتهذيبه (ونقله عن توثبه وتوحشه) كما هو من طبعه (الى الانقياد) والامتثال للصائد (والتأدب) عند الارسال والدعاء (فانه يحبس أولا فى بيت وتخاط عيناه) بان يجعل عليهما حجاب كالاقناع (حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء و ينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم) قليلا قليلا على التدريج (حتى يأنس بصاحبه و يألفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه) ولو كان بعيدا (وكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها) المألوفة (بالخلوة والعزلة أولا لتحفظ السمع والبصر عن المألوفات) العادية (ثم عودت الثناء) والتحميد والتقديس (والذكر) باللسان والقلب معا (والدعاء) والتضرع والابتهال (ثانيا فى الخلوة) وعلى حين الغفلة عن الناس حتى يغلب عليها الانس والاطمئنان (بذكر الله) تعالى (عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية) أى فى أول دخوله فى السلوك (ثم يتنعم به) و يستلذه (فى النهاية) أى عند انتهاء امره فى السلوك (كالصبى) الرضيع الذى (يفطم عن الثدى وهو) أى الفطام (شديد عليه) جدا (اذا كان) قد ألفه (لا يصبر عنه ساعة) فلذلك تراه (يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام) ويهزل جسده و يصفر لونه (و يشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما بعد يوم وعظم تعبه فى الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا) وهلم جرا (ثم يصير طبعا فيما بعد فلو رد الى الثدى) ثانيا (لم يرجع اليه فيهجر الثدى و يعاف اللبن) أى يكرهه (و يألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا) عليها (وتمنع عن الانسراح) والاسترسال (الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد) ولا سلسلة (فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بان تمنع عن الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما تزايله) أى تفارقه (بالموت فيقال لها أحبب ما أحببت فانك مفارقه) روى الترمذى والبيهقى من حديث أبى هريرة أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث (فاذا علم انه من أحب شيأ يلزمه فراقه) بالموت (و يشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه) أبدا (وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة) فانها أبدية (وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة) والتعب (فى سفره وتعلم صناعته وغير ذلك شهرا يتنعم به سنة فكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى) وهو سير الليل فمن أسهر ليله ساريا الى مقصوده فاذا أصبح ورأى نفسه قد قطع مفاوز لم يكن يمكن قطعها فى النهار يحمد نفسه على حسن اجتهاده لنيله مقصوده بخلاف من آثر الكسل واختار الراحة والنوم يندم اذا أصبح عليه

النهار

وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك كل واحد مابه فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ أو بالعز فى القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع فى التدريس والافادة فينبغى أن يترك أولا مابه فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك فقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك فى حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت *(بيان علامات حسن الخلق)* اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلابد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق * قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقد وحفظ ما وجد وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال

النهار وهذا مثل مشهور (وطريق الرياضة والمجاهدة بكل انسان يختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه ان يترك كل واحد مابه فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ) على العامة (أو بالعز فى القضاء والولاية) للاعمال (أو بكثرة الاتباع) من الطلبة (فى التدريس والافادة) أو بكثرة المريدين فى مشيخة الزاوية (فينبغى أن يترك أولا مابه فرحه وابتهاجه فانه ان منع عن شئ من ذلك وقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن اليها وذلك مهلك فى حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه) ويحفظ هذه الكيفية حتى يرسخ فيه الذكر (وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس) وخطرة (حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة) ظهرت فى القلب (سببا) اما ظاهرا واما خفيا (ولا تزول) عنه (الا بقطع) ذلك (السبب والعلاقة) كما تقدم ذلك فى الكتاب الذى قبله (وليلازم ذلك بقية العمر) على هذا المنوال (فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام) الا انه قد يقع لهذا المجاهد الذاكر فى أثناء اشتغاله أنوار ووقائع وأحوال فينبغى له الاعراض عنها والاشتغال بالمقصود الحقيقى ولله در القائل

قال لى حسن كل شئ تجلى * بى تملى فقلت قصدى وراكا

والله الموفق

(بيان علامات حسن الخلق)

(اعلم أن كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى) وهى الظاهرة (ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة) وتم له الامر فى السلوك (فلابد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين) جميعا فى كتابه العزيز (وهى) أى تلك الصفات (بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال) تعالى (التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال) تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال) تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر السورة) فهذه الاوصاف المذكورة للمؤمنين وعباده الصالحين (فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات) هل يجد فيها من هذه الاوصاف شيأ اما كلها أو بعضها (فوجود هذه الصفات علامة حسن الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده) بالرياضة والتكلف (وحفظ ما وجده) عن التغير والتبدل (ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال) المؤمن من أمنه الناس على اموالهم وأنفسهم وقال المؤمن يألف ويؤلف وقال المؤمن أخو المؤمن يكن عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ولا يدع نصيحته على كل حال وقال المؤمن يغار وقال المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقال المؤمن يسير المؤنة وقال المؤمن كيس فطن وقال المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق وقال المؤمن واه راقع وقال المؤمن ان ماشيته نفعك وان شاورته نفعك وان شاركته نفعك وكل شئ من أمره منفعة وقال المؤمن كالجمل الانف ان قيد انقاد وان

أنيخ على صخرة استناخ وقال يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد فى الرأس وقال (المؤمن يحب لاخيه مايحب لنفسه) هو فى الصحيحين من حديث أنس بلفظ لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ورواه كذلك ابن المبارك والطيالسى وعبد بن حميد والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى وزاد الخرائطى فى مكارم الاخلاق من الخير وقد رواه ابن عساكر من حديث يزيد القشيرى بزيادة والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره شره (وقال) صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى ومن حديث أبى هريرة ورواه أيضا الطبرانى من حديث ابن عمر ورواه أحمد من حديث أبى سعيد بزيادة قالوا وما كرامة الضيف قال ثلاثة أيام فما جلس بعد ذلك فهو صدقة (وقال) صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) متفق عليه من حديثهما أيضا وهو بعض الحديث الذى قبله ورواه أبونعيم فى الحلية والضياء من حديث أبى سعيد بلفظ فلا يؤذ جاره وكذلك رواه الخطيب من حديث أبى شريح مقتصرا على هذه القطعة وعند ابن النجار من حديث على لايؤمن بالله من لم يكرم جاره (وقال) صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) متفق عليه من حديثهما أيضا وهو بعض الحديث الذى قبله وقد رواه الطبرانى مع الذى قبله فقط من حديث ابن عباس ومع الجملة الاولى فقط من حديث ابن عمر بزيادة فليتق الله قبل كل منهما (وذكر) صلى الله عليه وسلم (ان صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا) وفى لفظ خلقا رواه أحمد وأبوداود والبيهقى والحاكم من حديث أبى هريرة وقد تقدم غير مرة (وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى خلاد بلفظ اذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد تقدم قلت وقد رواه كذلك أبونعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب ورواه أيضا من حديث أبى هريرة وسنده ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) أى كامل لان من لا يرى للحسنة فائدة ولا للمعصية آفة فذلك يكون من استحكام الغفلة على قلبه فايمانه ناقص بل يدل ذلك على استهانته بالدين قال العراقى رواه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى موسى ورواه الطبرانى والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبى امامة اه قلت رواه كذلك النسائى فى الكبرى والخطيب من حديث جابر بن سمرة أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته الى آخره وفى اسناد الطبرانى الى أبى موسى ابن عتيك وهو ضعيف جدا (وقال صلى الله عليه وسلم لايحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة يؤذيه) قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وفى البر والصلة مرسلا وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم لايحل لمسلم أن يروع مسلما) أى يفزعه وان كان هازلا كاشارته بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده لما فيه من ادخال الاذى والضرر عليه قال العراقى رواه أبوداود من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى قال حدثنا رجال من الصحابة فذكره مرفوعا وفى أوله قصة ورواه الطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث النعمان ابن بشير والبزار من حديث ابن عمر واسناده ضعيف اه قلت ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضا أحمد والبغوى والبيهقى وعندهم عن أصحاب محمد انهم كانوا يسيرون مع النبى صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق بعضهم الى حبل معه فاخذه ففزعه فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث ابن عمر رواه أيضا الدارقطنى فى الافراد ورواه ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى هريرة وبخط الحافظ بن حجر على هامش المغنى ورواه اسحق بن راهويه من حديث أبى هريرة وأبونعيم فى تاريخه من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله) تعالى (فلا يحل لاحدهما أن يفشى على أخيه مايكره) من افشائه فيه حفظ المسلم سر أخيه وتأكد الاحتياط لحفظ الاسرار لاسيما عن الاشرار رواه

المؤمن يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لايحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لايحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشى على أخيه مايكرهه

ابن

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا

ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يمشي ومعه أنس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا

ابن لال وأبو الشيخ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ورواه البيهقي في الشعب مرسلا وقال هذا مرسل جيد وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة (وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال أن يكون كثير الحياء) من الله ومن الناس (قليل الاذى) لجاره ولصاحبه (كثير الصلاح) في عمله وشأنه (صدوق اللسان) في جميع أقواله (قليل الكلام) في محاوراته (كثير العمل) بجوارحه (قليل الزلل) في حركاته وسكناته (قليل الفضول) في منطقه ومأكله وملبسه ومشربه (برا) بوالديه وأشياخه وأصحابه (وصولا) لذي رحمه وجيرانه (وقورا) في مجلسه (صبورا) على الطاعة وقصد المعيشة (شكورا) لنعمة الله تعالى ولمن وصلته على يديه (حليما) عند غضبه (رفيقا) بعياله وبمن يخالطه (شفيقا) عن المساكين (لا) هو (لعان) كثير اللعن (ولا سباب) كثير الشتم (ولا نمام) بين اثنين (ولا مغتاب) لاخوانه (ولا عجول) في أموره (ولا حقود) على أحد (ولا بخيل) بماله (ولا حسود) ان رأى نعمة على غيره (هشاش بشاش) أي منطلق الوجه واللسان (يحب في الله) ورسوله (ويبغض في الله) ورسوله (ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة وان المنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة) قال العراقي لم أجد له أصلا قلت ويشهد له قوله تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (وقال حاتم) بن عنوان (الاصم) رحمه الله تعالى تلميذ شقيق البلخي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (المؤمن مشغول بالفكر) أي بالتفكر في نفسه (والعبر) أي بما يعتبر به (والمنافق مشغول بالحرص) على حوز شهواته (والامل) أي طوله (والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله) أي آيس مما في أيدي الناس (والمنافق راج كل أحد الا من الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه) اذ الدين عظيم عنده مهاب لديه فيهون بماله ولا يهون بدينه (والمنافق يقدم دينه دون ماله) لانه لا مهابة للدين عنده (والمؤمن يحسن عمله ويبكي) خوفا ان لا يقبل (والمنافق يسيء عمله ويضحك) لغفلته عن الخاتمة (والمؤمن يحب الوحدة والخلوة) عن الناس لسلامة دينه وحاله (والمنافق يحب الخلطة والملا) من الناس فيأنس بهم (والمؤمن يزرع ويخشى الفساد) أي يثبت العمل كما ينبغي ويخشى عاقبة أمره (والمنافق يقلع) ما زرعه قبل بلوغه (ويرجو الحصاد) وأنى له ذلك (والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح) أمور العامة (والمنافق يأمر وينهى للرياسة) أي لاجل تحصيلها (فيفسد) حالهم وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا علي سعيد بن أحمد البلخي يقول سمعت أبي يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت محمد بن الليث يقول سمعت حامدا اللفاف يقول سمعت حاتما يقول المنافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالشدة وينفق لله خالصا في الطاعة وقال في ترجمة شقيق من طريق حاتم الاصم قال سمعت شقيقا يقول مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكا ومثل المنافق مثل رجل زرع شوكا وهو يطمع أن يحصد تمرا هيهات هيهات كل من عمل حسنا فان الله لا يجزيه الا حسنا وقال أيضا المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين المؤمن بالصبر والتفكر والمنافق بالحرص والامل (وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا) كما كان عليه صلى الله عليه وسلم من صبره على أذى قريش واحتماله لجفاهم (ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه) لان شكايته دلت على عدم احتماله (لان حسن الخلق) هو (احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه أنس) بن مالك رضي الله عنه (فادركه اعرابي) من جفاة العرب (فجذبه) بردائه (جذبا شديدا

وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه به فقال يا محمد هب لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر باعطائه ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوما الى بعض البرارى فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فاشار الى المقبرة فقال الجندى انما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فاخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت أنا عبد فقال انه لم يسألنى عبد من أنت بل قال أنت عبد فقلت نعم لانى عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت اننى أوجر على ما نالنى منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر ودعى أبو عثمان الحيرى الى دعوة وكان الداعى قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لى وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فاكب على رجليه وقال يا أستاذ انما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذى رأيت منى هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعى أجاب واذا زجر انزجر وروى عنه أيضا انه اجتاز يوما فى سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل ألا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى وروى أن على ابن موسى الرضا رحمة الله عليه

(وكان عليه) صلى الله عليه وسلم (برد نجرانى) منسوب الى نجران بلد من بلاد همدان باليمن قال البكرى سمى باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان (غليظ الحاشية قال أنس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال) الاعرابى يا محمد هب لى من مال الله الذى عندك) فانك لا تعطينى من مالك ولا مال أبيك (فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر) له (بعطائه) رواه البخارى ومسلم من حديث أنس (ولما أكثرت قريش ضربه وايذاءه قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى) مخاطباله (وانك لعلى خلق عظيم) رواه ابن حبان والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود انه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبى من الانبياء ضربه قومه (وحكى عن ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (انه خرج الى بعض البرارى فاستقبله رجل جندى) منسوب الى الجند أى العسكر (فقال له أنت عبد فقال نعم قال أين العمران فأشار الى المقبرة) أى محلة الموتى (فقال الرجل انما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك) أى أغضبه (فضرب رأسه بالسوط فشجه) وسال منه دم (ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندى فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الجندى عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت أنا عبد قال انه لم يسألنى أنت عبد من بل قال لى أنت عبد فقلت نعم لانى عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سألت الله له الجنة فقال علمت انى أوجر على هذا فلم أحب أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر ودعى أبو عثمان) سعد بن اسمعيل (الحيرى) المقيم بنيسابور وصحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به وزوجه أبو حفص ابنته مات سنة ٢٩٨ (الى دعوة) بنيسابور (وكان الداعى) له (يريد تجربته) أى امتحانه (فلما بلغ منزله قال له ليس لى وجه هذا فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ترجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير) هكذا فى نسخ الكتاب وفى بعضها وحكى ان بعض تلامذة أبى عثمان الحيرى دعاه الى دعوة وكان قد أراد تجربته فلما بلغ المنزل قال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثانية فقال ارجع بما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال ارجع فرجع حتى عامله بذلك مرات وهو لا يتغير فاكب على رجليه (فقال) يا أستاذ (انما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال أبو عثمان الذى رأيت منى هو خلق كلب) وذلك (لان الكلب اذا دعى أجاب واذا زجر انزجر) وهذا فيه هضم جانب النفس وعدم الاعجاب بما عمله والارشاد للداعى بما فيه الصلاح له (وروى أن أبا عثمان) هذا (اجتاز) أى مر يوما (بسكة) من سكك نيسابور (فطرحت عليه اجانة رماد) من فوق بيت من البيوت المطلة على السكة (فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل) له (الا زبرتهم) أى زجرتهم (فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب) وهذا غاية من سعة الخلق (وروى ان) أبا الحسن (على بن موسى) بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب يلقب (الرضا) بكسر الراء وفتح المعجمة صدوق روى له ابن ماجه مات سنة ثلاث

كان لونه يميل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الى الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروى أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان اذا خاط له شيأ حمل اليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيآت والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه * وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان أويسا القرني كان اذا رآه الصبيان يرمونه

ثلاث ومائتين ولم يكمل الخمسين ووالده يلقب الكاظم وجده الصادق (كان يميل لونه الى السواد اذ كانت أمه سوداء) أم ولد يقال لها أم البنين نوبية اسمها خيزران أو سكن أو شهدة والاول أصح (وكان له بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام) أي أخلى له (فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي الى قضاء بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي) أي من سواد البلد (الى باب الحمام) ففتحه (ودخل ونزع ثيابه فدخل الحمام فرأى علي بن موسى الرضا فظن انه بعض خدام الحمام فقال له قم فاحمل الى الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي ابن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسأل عن الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي أن يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء) فهذا من كمال حسن خلقه حيث لم يعاقب الحمامي ولم يغضب عليه وامتثل الرستاقي في أوامره (وروى ان أبا عبد الله الخياط) أحد رجال الله الصالحين (كان يقعد على دكانه وله حريف مجوسي) أي صاحب (يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط لذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا) أي رديئة (وكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما) وفي نسخة فقضى من القضاء (ان أبا عبد الله قام يوما من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا) وفي بعض النسخ فأتى المجوسي فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا (فلما نظر فيه التلميذ) وعرف انه زائف (رده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال) له (بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة) وفي نسخة منذ سنة (وأنا أصبر عليه فآخذ الدراهم) منه (وألقيها في البئر كيلا يغر بها مسلما) وفي نسخة فآخذ منه الدرهم وألقيه في البئر لئلا يغر به مسلما (وقال يوسف بن اسباط) رحمه الله تعالى تقدم ذكره مرارا (علامة حسن الخلق عشرة أشياء قلة الخلاف) أي مع الاصحاب (وحسن الانصاف) أي من نفسه (وترك طلب العثرات) من اخوانه (وتحسين ما يبدو من السيآت) أي حملها على أحسن مواضعها (والتماس المعذرة) لهم (واحتمال الاذى) منهم (والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون معرفة عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه) أي فاذا وجدت هذه الاوصاف دلت على حسن الخلق (وسئل) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن حسن الخلق) ما هو (فقال) هو على مراتب (أدناه احتمال الاذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس) بن معاوية التميمي البصري وهو لقب له واسمه الضحاك وقيل صخر وكان مشهورا بالحلم مات سنة سبع وستين بالكوفة روى له الجماعة (ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم) بن سنان بن خالد المنقري التميمي الصحابي رضي الله عنه مشهور بالحلم نزل البصرة (قيل وما بلغ من خلقه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل كان أويس) ابن عامر (القرني) بالتحريك نسبة الى قبيلة من مراد وهو سيد التابعين في قول (اذا رآه الصبيان يرمونه

بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولابد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك شئ فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

*(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية (فيضيع

بالحجارة فيقول يا اخوتاه ان كان ولابد فارموني بالصغار) منها (كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة) وهذا كمال ملاطفته بهم وهو دليل حسن الخلق (وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في قلبك شئ فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبك) وقال أبو بكر بن الانباري أخبرني أبي عن أحمد بن عبيد قال بينا الاحنف في الجامع بالبصرة اذا رجل قد لطمه فامسك الاحنف يده على عينه وقال ما شأنك فقال اجتعلت جعلا على أن ألطم سيد بني تميم فقال لست سيدهم انما سيدهم جارية بن قدامة وكان جارية في المسجد فذهب الرجل فلطمه قال فاخرج جارية من خفه سكينا فقطع يده وناوله فقال له الرجل ما أنت قطعت يدي انما قطعها الاحنف بن قيس أورده المزي في ترجمة جارية بن قدامة (وروى ان عليا كرم الله وجهه دعا) يوما (غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام فقال بلى) سمعت (قال فما حملك على ترك جوابي قال آمنت عقوبتك فتكاسلت) عن القيام لندائك (فقال امض فانت حر لوجه الله) تعالى (ففيه كظم الغيظ) والاحسان التام اليه بالعتق وهما من جملة حسن الخلق (وقالت امرأة لمالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة) فهذا فيه احتمال لاذاها وصبر على جفاها واتهام نفسه بما رآها وهو دليل حسن الخلق (وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام قال لأتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة) والمجاهدة (فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل بواطنها) وطهرت من علاماتها الردية سرائرها (فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله) عز وجل (وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات) ولم يظهر منها شئ على ظاهره (فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة) على الدوام (الى أن يبلغ درجة حسن الخلق) وكل يعطى على قدر اجتهاده ولنصيبه الذي كتب له (فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون) ومن سلك سلوكهم والله الموفق

*(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشو ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

(اعلم أن الصبي أمانة) من الله تعالى (عند والديه) لانه نعمة أنعم بها والداه (وقلبه الطاهر) عن كل كدر (جوهرة نفيسة) ثمينة (ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش) كما ان كل جوهر ساذج مستعد لقبول كل نقش وصورة (ومائل الى كل ما يمال به) خيرا أو شرا (فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه) بان يثبت مثل ذلك في صحائف أعمالهما (وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه) كيف لا (وقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا (قوا أنفسكم) أي احفظوها (وأهليكم نارا) والاصل في الاهل القرابة وقد يطلق على الاتباع والجمع الاهلون (ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا) بان تصيبه (فبأن يصونه من نار الآخرة أولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق) ومكارمها وصالحها (ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية) اى سعة العيش

(فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر) على تلك العادة (و يهلك هلاك الابد بل ينبغى أن يراقبه من أوّل أمره)
وحيث قال من أوّل أمره فهو منسحب على الاولية من حين ولادته الى أن يفطم فلزم بيان ما يحتاج اليه فى
أثناء ذلك فنقول اذا ولد المولود يجب أن يبدأ أوّل كل شئ بقطع السرة وهو جسم كالمصران متصل بسرته منه
و يكون القطع فوق أربع أصابع وانما وجب قطع هذا الجسم لانه لو بقى على طوله لتعفن وتضرر الصبى
برائحته ووصلت عفونته الى السرة وانما جعل القطع فوق أربع أصابع لانه لو كان أقل من ذلك
لتألم المولود به تألما شديدا ثم بعد شدها يتبادر الى تمليح البدن لتصلب بشرته و يقوى جلده فان كان ذكرا
ينبغى أن يكثر الملح لانه أحوج الى صلابة البدن ليكون صبورا على ما يلقاه من المشقات بخلاف الانثى ولا يملح
أنفه ولا فمه ثم تغسله القابلة بماء فاتر وتنقى منخريه دائما باصابع مقلمة الاظفار و يدغدغ دبره لينفتح ثم فى
وقت القماط يشكل كل عضو على أحسن شكله بغمز لطيف ثم يعمم أو يقلنس بقلنسوة لطيفة منهدمة
على رأسه و ينوم فى محل معتدل مائل الى الظلمة حفظا لروحه الباصرة و يغطى المهد بخرقة اسمانجونية
والطفل يبكى اما لوجع يناله أو حر أو برد أو جوع أو من قمل و براغيث و بق يؤذيه فان كان شئ من ذلك
فالواجب أن يبادر الى دفعه وأما كيفية ارضاعه فانه يجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فانه أشبه الاغذية
بجوهر ما سلف من غذائه وهو فى الرحم أعنى طمث أمه فانه بعينه هو المستحيل لبنا لاشتراك الرحم والثدى
فى الوريد الغاذى لهما ووقت الحمل يتوجه دم الطمث بالكلية الى الرحم لغذاء الجنين و بعد انفصاله الى
الثديين لغذائه أيضا وهو أقبل لذلك وآلف حتى انه صح بالتجربة ان القامه حلمة أمه عظيم النفع جدا فى دفع
ما يؤذيه لانه يلهيه و يشغله عما يؤذيه ومن الواجب مع ذلك أن يلزم الطفل على شيئين نافعين لتقوية
مزاجه أحدهما بالتحريك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحين الذى جرت به العادة لتنويم الاطفال
فالتحريك بسبب انتعاش الحرارة الغريزية والتلحين يوقف على استعداده للرياضة وان منع من ارضاعه لبن
والدته مانع من ضعفها أو فساد لبنها أو ميلها الى التردى فينبغى أن يختار له مرضعة واليه أشار المصنف بقوله
(فلا يستعمل فى حضانته وارضاعه الا امرأة) يكون سنها ما بين خمس وعشرين سنة الى خمس وثلاثين سنة
فان هذا هو سن الشباب والصحة وتكون حسنة اللون لان ذلك تابع لاعتدال مزاجها وتكون ناعمة البشرة
قوية العنق واسعة الصدر متوسطة فى السمن والهزال لحمانية لا شحمانية (صالحة) حسنة الاخلاق
محمودتها بطيئة الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فان جميع ذلك يفسد المزاج
وتكون (متدينة) ملازمة على أمور دينها من كل ما يجب عليها (تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من
الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث)
والطفل يعدى بالرضاع ولذلك ورد النهى عن استرضاع المجنونة ثم اذا جعلت ثناياه تظهر نقل الى الغذاء
الذى هو أقوى من غير أن يعطى شيأ صلب المضغ و بالجملة فتدبير الاطفال هو التركيب بحسب كلية مزاجهم
لذلك النمو الحاجة اليه فى تغذيته ونموه والرياضة المعتدلة فى الكيف الكثيرة فى الكم كالطبيعى لهم وكان
الطبيعة تتقاضاهم بها وذلك لاحتياجهم اليه لدفع الفضول المجتمعة ولاسيما اذا جاوزوا الطفولة الى الصبى
ثم اذا فطم نقل الى ما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة و يجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة
واحدة والمدة الطبيعية للرضاع سنتان لانتهاء مدة نبات أكثر أسنانه وتصلب أعضائه حتى يقبل غير اللبن من
الاغذية واذا أخذ ينهض و يتحرك فلا ينبغى أن يمكن من الحركات العنيفة واذا جعلت الانياب تتفطر منعوا
أكل صلب المضغ والغرض المقدم فى معالجة أمراض الصبيان هو تدبير المرضعة لان من خواص الاطفال
أن يكون علاجهم بوجهين أحدهما بتدبير أنفسهم وثانيهما بتدبير مرضعتهم وهو مقدم بالفضيلة على
تدبيرهم فاذا انتقلوا الى سن الصبا يجب أن تكون العناية مصروفة الى مراعاة أخلاق الصبى وذلك بأن
يحفظ كيلا يحدث له غضب أو خوف شديد أو غم شديد وذلك بان يتأمل كل وقت ما الذى يشتهيه و يحن اليه

فيضيع عمره فى طلبها اذا
كبر فيهلك هلاك الابد بل
ينبغى أن يراقبه من أوّل
أمره فلا يستعمل فى
حضانته وارضاعه الا امرأة
صالحة متدينة تأكل
الحلال فان اللبن الحاصل
من الحرام لا بركة فيه فاذا
وقع عليه نشو الصبى انعجنت
طينته من الخبث فيميل
طبعه الى ما يناسب الخبائث

ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم و يستحي و يترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شئ دون شئ وهذه هدية من الله تعالى اليه و بشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر الى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وأن لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم و بان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وأن يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه و يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة عليه
وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب ردئ الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين

فيقرب اليه وما الذي يكرهه فيتنحى عن وجهه وفي ذلك منفعتان احداهما في نفسه بان ينشأ من الطفولية حسن الاخلاق و يصير ذلك ملكة له لازمة والثانية لبدنه فانه كما ان الاخلاق الرديئة تابعة لانواع سوء المزاج فكذلك اذا احدثت من العادة استتبعت المزاج المناسب فان الغضب يسخن جدا والغم يجفف جدا والتبليد يرخي القوى النفسانية و يميل المزاج الى البلغمية (ومهما بدا فيه مخايل التمييز) وهو اذا دخل في ست أو سبع (فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور اوائل الحياء) فيه (فاذا كان يحتشم و يستحي و يترك بعض الافعال) وذلك عند رؤية من يحتشم منه (فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى رأى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شئ دون شئ وهذه) الحالة اذا تيسرت فيه (هدية من الله تعالى اليه و بشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ) وهذه الحالة كالدلالة عليه (فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه فأول ما يغلب عليه من الصفات) الخبيثة (شره الطعام) أي الحرص عليه (فينبغي أن يؤدب فيه) على أدب الشرع (مثل أن لا يأخذ الطعام الا بيمينه و يقول بسم الله عند أخذه و يأكل مما يليه) منفردا أو مع جماعة (ولا يبادر الى الطعام قبل غيره) بل يصبر عن مد اليد حتى يمد غيره (ولا يحدق الى الطعام) أي لا يطيل تحديقته اليه (ولا الى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا) بأسنانه (ولا يوالي) أي لا يتابع (بين اللقم) فان كل ذلك من أمارات الشره ودناءة النفس والهمة فينبغي أن يجنب من ذلك (ولا يلطخ يده) بالطعام غير أصابعه الثلاثة (ولا ثوبه) بان يتساقط عليه شئ منه فان كلا منهما دالان على الدناءة (و يعود الخبز القفار) أي اليابس وحده (في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم) معه (حتما) لازما (و يقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم) فانه بتمييزه يدرك أن التشبه بالبهائم مسترذل (ثم بان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل) فتراه أبدا يميل الى الممدوح و يهرب من المذموم (و يحبب اليه الايثار بالطعام) للغير (وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان) وعدم الميل الى الين منه (و يحبب اليه من الثياب) في اللبس (البيض دون الملون) بالالوان المختلفة (و) دون ثياب (الابريسم) والخز (و يقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين) المتشبهين بالنساء (وان الرجال يستنكفون منه) و يعرضون عنه (و يكرر عليه ذلك) حتى يرسخ في ذهنه (ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي أن يستنكر) منه (و يذم) ذلك و يأمره بخلعه (و يحفظ الصبي عن) معاشرة (الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة) فان ذلك يحمله على أن يكلف أبويه بمثل لبسهم (و) يحفظ أيضا (عن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا أهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردئ الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول) في الكلام (وضحك وكياد) أي مكايدة (ومجانة) أي صاحب مجون وهو الهزل من الكلام (وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب) والتعليم (ثم ينبغي أن يشتغل في المكتب) عند المؤدب (بتعلم القرآن) أولا بترتيبه المعهود في بلده من تقديم حروف الهجاء افرادا ثم تركيبا (و بأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم) ثانيا (لينغرس حب الصالحين في قلبه) فينشأ

و يحفظ من الاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله و يحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف و رقة الطبع فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه و يجازى عليه بما يفرح به و يمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد فى اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا و يعظم الامر فيه و يقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع (٣٦٥) عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة و ركوب القبائح و يسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح و ينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعوّد الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم و ينبغي أن يمنع من كل ما يفعله فى خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا تعوّد ترك فعل القبيح ويعوّد فى بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل و يعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره و يمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم و يمنع من أن يأخذ من الصبيان شيأ بدا له حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة فى الاعطاء لا فى الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها و بالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما و يحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا و ينبغي أن يعوّد أن لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره

عليه (و يحفظ من قراءة الاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله) وحكاياتهم وما جرى لهم فان ذلك يحمله على التشبه بهم تكلفا (و يحفظ أيضا عن مخالطة الادباء الذين يزعمون) انهم شعراء و (ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد) و يعسر ازالته بعد (ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود) يرتضى (فينبغي أن يكرم عليه و يجازى عليه بما يفرح به و يمدح بين أظهر الناس) فان ذلك يحببه الى الفعل الجميل و يثبته فى مركوزة عقله (فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد فى اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة) عليه (حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك) بين الناس (فان عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا و يعظم الامر فيه و يقال له اياك أن يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة و ركوب القبائح و يسقط وقع الكلام من قلبه) لكونه يتعوّد على ذلك (وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا أحيانا) لتكون هيبته فى قلبه دائما (و ينبغي للام أن تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح) اذ الصبي يهاب الاب أكثر من الام لكثرة شفقتها عليه طبعا (و ينبغي أن يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل و) الفتور فى الاعضاء (ولا يمنع منه ليلا) اذ السهر فى حقه مضر (ولكن يمنع الفرش الوطيئة) اللينة (حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه) أى لا يرق (فلا يصبر عن التنعم) فيما بعد (بل يعوّد الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم) حتى لا يبالي بما تيسر منها (و ينبغي أن يمنع من كل ما يفعله فى خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك) على ذلك (تعوّد فعل القبيح) وهان عليه ارتكابه (و يعوّد فى بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل) ولا تجتمع الفضلات فى المعدة ولا تحتبس الابخرة فى الاعضاء والعروق (و يعوّد أن لا يكشف أطرافه) بين يدى أحد (ولا يسرع المشي) بل يكون على وقار (ولا يرخي يديه) ولا يلعب بهما (بل يضمهما الى صدره) فانه أقرب الى الادب (و يمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه من مال أو متاع أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته) فان هذا انما يورث العجب فيه (و يعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره) وصاحبه (والتلطف فى الكلام معهم) مع غض البصر (و يمنع أن يأخذ من الصبيان شيأ بدا له حشمة) و رياسة (ان كان من أولاد المحتشمين) أى الرؤساء ذوى الثروة والامر (بل يعلم أن الرفعة فى العطاء) للغير (لا فى الاخذ) من الغير (وان الاخذ لؤم وخسة) ودناءة (وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من دأب الكلب) الذى هو أخس الحيوانات (فانه يتبصبص فى انتظار لقمة و بالجملة يقبح الى الصبيان حب النقدين) الذهب والفضة والطمع فيهما و يحذر منهما أكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا و ينبغي أن يعوّد أن لا يبزق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره) فان غلب عليه فليكظمه (ولا يستدبر غيره)

ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعوّد أن لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك فان ذلك يسرى لامحالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغى اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر فى كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه فى الجنان فاذا كان النشو

فى المجلس (ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل) وهو مذموم (ويعلم كيفية الجلوس) كيف يجلس وهو أن يكون جلوسه أبدا على ركبتيه كما يجلس فى الصلاة ولا يرفع احدى ركبتيه ولا متربعا ولا متوركا (وينبغى أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة) وقلة الحياء (وانه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين) أى الحلف (رأسا) أى مطلقا (صدقا وكذبا حتى لا يتعوّده فى الصغر ويمنع من أن يبتدئ بالكلام) وانما يكون الابتداء من الغير (ويعوّد أن لا يتكلم الا جوابا) الكلام (و) أن يكون مختصرا (بقدر السؤال وأن يحسن الاستماع) للكلام (مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه) ولو بقليل (وأن يقوم لمن هو فوقه) فى السن والفضل (ويوسع له المكان ويجلس بين يديه) متواضعا (ويمنع من لغو الكلام وفحشه) وسقطه (ومن اللعن والسب) والهزل (ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك فان ذلك يسرى لامحالة من القرناء السوء) فيتأثر فيه (وأصل تأديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء) فان ضررهم أكثر (وينبغى اذا ضربه المعلم) أحيانا على قصد التأديب (أن لا يكثر الصراخ والشغب) أى رفع الصوت (ولا يستشفع بأحد) ولا يحلفه ولا يكثر عليه الالحاح (بل يصبر ويذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغى أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى) من اللعب (وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه) ويبلد فهمه (وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا) اما بالهروب أو باظهار المرض أو غير ذلك (وينبغى أن يعلم طاعة والديه) والبر بهما (و) طاعة (معلمه ومؤدبه) والبر به (وكل من هو أكبر سنا منه من قريب وأجنبى وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم) والمهابة (وأن يترك اللعب بين أيديهم) توقيرا لهم (ومهما بلغ سن التمييز ينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة) من الاحداث (والصلاة) فقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع وروى أبو داود والطبرانى من حديث سبرة الجهنى بنحوه وروى الدارقطنى من حديث أنس مروهم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة (ويؤمر بالصوم فى بعض الايام من شهر رمضان) ليتعوّد عليه (ويجنب لبس الحرير والذهب) ويعلم انه من حلية النساء (ويعلم كل ما يحتاج اليه) مثله (من حدود الشرع ويخوف من السرقة) خاصة فان طبع الصبيان يميل اليها كثيرا (و) من (أكل الحرام ومن الكذب) فى القول (و) من (الخيانة والغش وكل ما يغلب على الصبيان) من الاخلاق الرديئة (فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الامور) تفصيلا (فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على عبادة الله) تعالى (وان الدنيا كلها) خيال (لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها) ويكدر صفوها (وانها) أى الدنيا (دار ممر) ومقلعة (لا دار مقر وان الموت ينتظر فى كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة) فيجعلها كالقنطرة يعبر عليها ولا يعمرها ويأخذ الاعمال الصالحة الواقعة بمنزلة الزاد الذى يبلغه فى سفره منها للآخرة (حتى تعظم عند الله درجته وتتسع فى الجنان نعمته فاذا كان النشو

صالحا

صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التسترى كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهدى فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع فى قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما يا سهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت انى لاخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم انى أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى الى أهل البصرة لاسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى

صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا) فى قلبه (مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر) فلا يكاد يمحى منه (وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة) وقلة الحياء (وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس) فانه لا يؤثر فيه شيأ (فاوائل الامور هى التى ينبغى ان تراعى) وتحافظ (فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) رواه الشيخان من حديث أبى هريرة وقد تقدم (قال) أبو محمد (سهل بن عبد الله التسترى) رحمه الله تعالى (كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر الى صلاة خالى محمد بن سوار) البصرى قال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب هو مقبول من العاشرة أورده للتمييز بينه وبين محمد ابن سوار الازدى الكوفى من رجال أبى داود نقله القشيرى فى الرسالة قال وكان يقوم الليل فربما كان يقول يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي (فقال لى خالى يوما) ولفظ القشيرى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول سمعت عمر بن واصل البصرى يحكى عن سهل بن عبد الله قال قال لى خالى يوما (ألا تذكر الله الذى خلقك قلت كيف أذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهدى فقلت ذلك ليالى) وانما خصه به عند تقلبه فى ثيابه فانه وقت الخلو عن الاشغال وخصه أن يقوله بقلبه لانه هو المفيد (ثم أعلمته) بما قلت (فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك) وفيه الترقى بالتدريج (ثم أعلمته) حالى (فقال قل فى كل ليلة احدى عشرة مرة) وفيه ان أوتار الاعداد لها سر خاص والى هذا التدريج أشار مشايخ هذه الطريق لاسيما النقشبندية فانهم يأمرون المريد بالذكر القلبي أولا ثلاث مرات ثم سبعا ثم منهم من ينقله الى تسع ومنهم من يرقيه الى احدى عشرة فان لم يجد فتحا فليعد الى الحالة الاولى (فقلت ذلك فوقع فى قلبي حلاوته) فصرت ألازمه فى كل ليلة هكذا (فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة) يشير الى أنه يحصل له به حياة القلب والمعرفة وقلب العارف لا يموت بل لم يزل حيا فى قبره لا ينقطع عنه المدد (فلم أزل على ذلك سنتين فوجدت له حلاوة فى سرى) أى فى باطنى (ثم قال لى خالى يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه ويشاهده كيف يعصيه) أى كيف يعصيه وهو معه ورقيب عليه (اياك والمعصية فكنت أخلو) أى حبب الى الخلوة عن الناس (فبعثونى الى المكتب) لاقرأ القرآن (فقلت انى لاخشى أن يتفرق على همى) خشى من حصول التفرقة فى الذكر (ولكن شارطوا المعلم انى أذهب اليه ساعة) معلومة من النهار (فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير) الى أن بلغت (اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة) فى الدين دقيقة الظاهر انها من أحوال القلوب والمعاملات مع الله تعالى (وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثوا بى الى البصرة) أى بلد خاله (أسأل عنها) فاجابونى الى ذلك (فجئت الى البصرة وسألت علماءها) عن تلك المسئلة (فلم يشف أحد عنى شيأ) أى لم يأتوا بجواب على النهج الذى يشفى به غليلى (فخرجت) منها (الى عبادان) وهى جزيرة قرب البصرة (الى رجل) بها من الصالحين (يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى

فسألته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت منها الى تستر) من أعمال الاهواز من كور فارس (فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق) بحركة وهو مكيال يقال انه يسع ستة عشر رطلا هكذا ذكروه (فيطحن ويخبز لى فافطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا) أى خالصا (بغير ملح ولا ادام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة) اعلم انه بحساب كل أوقية فى يوم يتحصل ثلاثون رطلا وكسر فى السنة فاذا كان كل رطل باثنى عشر أوقية لا يطابق ما تقدم من قول أهل اللغة ان الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وقيل الفرق ستة وثلاثون رطلا وقيل ثمانون رطلا وعلى كل حال لا ينطبق فتأمل ذلك ووجدت فى بعض نسخ الرسالة من الشعير الغرق بالغين صفة للشعير وهو الذى قد أصابه البلل من الارض وهو رخيص الثمن فان صحت هذه النسخة فالمعنى واضح (ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم أطوى خمسا) ثم أفطر ليلة (ثم) أطوى (سبعا) وأفطر ليلة (ثم خمسا وعشرين ليلة) وقد تيسر له ذلك بالتدريج (وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله) وقد أورد هذه الحكاية القشيرى فى الرسالة والمقصود من سردها هنا ان أوائل الامور اذا روعيت تتبعها المناهى ألا ترى الى سهل كيف صان نفسه وأدبها فى أول نشوها بالزهد والتقليل والجوع والعزلة حتى نال ما نال والله الموفق

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة)

ولنقدم قبل الخوض فى شرح كلام المصنف تحقيق معنى الارادة والمريد قال القشيرى فى الرسالة الارادة بدء طريق السالكين وهى اسم لاول منزلة القاصدين الى الله تعالى وانما سميت هذه الصفة ارادة لان الارادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيأ لم يفعله فلما كان هذا أول الامر لمن سلك طريق الله تعالى سمى ارادة تشبيها بالقصد فى الامور الذى هو مقدمتها والمريد على موجب الاشتقاق من له ارادة كما ان العالم من له علم لانه من الاسماء المشتقة ولكن المريد فى عرف هذه الطائفة من لا ارادة له فمن لم يتجرد عن ارادته لا يكون مريدا كما ان من لا ارادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريدا وتكلم الناس فى معنى الارادة فكل عبر على ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا الارادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس فى الغالب التعريج على أوطان الغفلة والركون الى اتباع الشهوة والاخلاد الى ما دعت اليه المنية والمريد منسلخ عن هذه الجملة فصار خروجه أمارة على صحة الارادة فسميت تلك الحالة ارادة وهى خروج عن العادة فاذا ترك العادة أمارة الارادة فاما حقيقتها فهى نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال انها لوعة تهون كل روعة وسمعت الاستاذ أبا على يقول الارادة لوعة فى الفؤاد لدغة فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن نيران تتأجج فى القلوب وفرقوا بين المريد والمراد فقالوا المريد هو المبتدى والمراد هو المنتهى وقيل المريد هو الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد هو الذى لقى بالامر من غير مشقة فالمريد متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى فى القاصدين مختلفة فأكثرهم يوفقون للمجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة المنيا والتى الى سنى المعالى وكثير منهم يكاشفون فى الابتداء بجليل المعانى ويصلون الى ما لم يصل اليه كثير من أصحاب الرياضات الا أن أكثرهم يردون الى المجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفى منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة هذا حاصل ما أورده القشيرى ثم نعود الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة) يشير الى قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه واستدل بهذه الآية على أصل الارادة (مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة) ثمينة (لم تبق له رغبة فى الخرزة) اذ لا قيمة لها (وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله) تعالى (فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان

ذلك

فسألته عنها فاجابنى فاقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فافطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى *(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة)* واعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان

ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا أنه لايدرى من الجوهرة الا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة قد لايتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لامحالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له ارادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى أن يعلم ان له شروطا لابد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لابد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق * أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الارادة فهى رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لايبقى له الاقدر الضرورة فمادام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه

ذلك يضاهى قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا أنه لايدرى من الجوهر الا لفظه) فقط (فاما حقيقته فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة) وأنس بها (قد لايتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول الى الله عدم السلوك) فى طريق الله (والمانع من السلوك عدم الارادة) التى هى التجرد لله فى السلوك الى كمال التوحيد (والمانع من الارادة عدم الايمان) بالله واليوم الآخر (وسبب عدم الايمان) بالله واليوم الآخر (عدم الهداية) لسبيله (و) عدم (المذكرين والعلماء بالله الهادين) للناس (الى طريقه) وعدم (المنبهين على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة ودوامها) وفناء الدنيا (فالخلق) كلهم (غافلون) سكارى (قد انهمكوا فى شهواتهم) ولذاتهم النفسانية (وغاصوا فى) بحار (رقدتهم) وغفلاتهم (وليس يوجد فى علماء الدين من ينبههم من هذه) الرقدة (فان تنبه منهم متنبه) بمساعدة التوفيق الالهى (عجز عن سلوك الطرائق لجهله) عن السلوك (فان طلب الطريق من العلماء) الموجودين فى عصره (وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة) من السالك (والجهل بالطريق) لعدم المسلك (ونطق العلماء بالهوى سببا) قويا (لخلو طريق الله تعالى عن السالكين) فعظمت المصيبة وكبرت الطامة وأظلمت القلوب (ومهما كان المطلوب) الذى هو الوصول (محجوبا والدليل) الذى يرشد اليه (مفقودا والهوى) فى الادلة الموجودين (غالبا والطالب) غرا (غافلا امتنع الوصول) الى الله تعالى (وتعطلت الطرق لامحالة فان تنبه متنبه من نفسه) بسابق التوفيق (أو من تنبيه غيره وانبعث له) من ذلك التنبيه (ارادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى أن يعلم ان له شروطا لابد من تقديمها) فى بداية (الارادة) فان لم يراعها لم تصح الارادة (وله معتصم لابد من التمسك به) والاعتصام بحبله (وله حصن لابد من التحصن به) والالتجاء اليه (ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وله) فى ارادته (وظائف) معلومة (لابد له من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق اما الشروط التى لابد من تقديمها فى الارادة فهو رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن) الوصول الى (الحق سببه تراكم الحجب) وتكاثفها (ووقوع السد على الطريق) الموصل له (قال) الله (تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة أمور أحدها المال و) الثانى (الجاه و) الثالث (التقليد) والرابع (المعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه) حيث يفرقه (ويخرجه عن) حوزة (ملكه حتى لايبقى الا قدر ضرورته) المحوجة له (فمادام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول) وهو الخفاء عن الناس (والهرب من أسباب الذكر) والشهرة (وتعاطى أعمال) خسيسة (تنفر قلوب الخلق) عن الميل اليه ونص القشيرى فى الرسالة واذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فان ذلك الذى يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل فى هذا الامر ومعه علاقة من الدنيا الا جرته تلك العلاقة عن قريب الى ما منه خرج فاذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فان ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لايجىء منه شئ بل أضر الاشياء له ملاحظة الناس اياه بعين الايثار والتبرك به لافلاس الناس من هذا الحديث وهو

وانما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على مامضى ورد المظالم وارضاء الخصوم

بعد لم يصح الارادة فكيف أن يتبرك به نفر وجهم من المال واجب عليهم نكروجهم من الجاه فاذا خرج عن ماله وجاهه تمت الارادة وقد اقتصر القشيرى على هذين ويجب على المريد بعد تخلصه من حب المال والجاه ان يتخلص من حب الرياسة فى كونه زهد فى الدنيا فيكون قد زهد فى أمر دنيوى واستعوض عنه ماهو أفضل منه فى دينه فان الزهاد جاههم أكمل من جاه أبناء الدنيا فانهم يذلون للزهاد ويتبركون بهم فتى شربت نفس المريد من هذا جرعة خشى عليه التلف منها فان فيهما من اللذة مايدعو لطلبهما ثم قال القشيرى واذا خطر ببال المريد ان له فى الدنيا والآخرة قدرا أو قيمة أو على بسيط الارض أحد دونه لم يصح له فى الارادة قدم لانه يجب أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدرا وفرق بين من يريد الله وبين من يريد جاه نفسه اما فى عاجله أو آجله ثم قال المصنف (وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب) المتبوعة (وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان) لا تصديق حديث نفس (و يحرص فى تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله) هذا حال المريد فى ابتداء أمره فانه هكذا يلاحظ هذا المعنى واما المتوسط فانه يلاحظ رفع كل مقصود له سوى الله تعالى كما ان المنتهى يلاحظ رفع كل موجود سوى الله ولذا قال بعضهم مالم ينته السير الى الله تكون ملاحظة لاموجود الا الله كفرا ونقل عن الشيخ بهاء الدين نقشبند قدس سره فى معنى الكلمة الطيبة نفى الالهية الطبيعية واثبات المعبود بحق ومعنى الجملة الثانية انك أدخلت نفسك فى مقام فاتبعونى (فاعظم معبود له الهوى) و يدل له قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم (حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه) من الافواه (تقليدا فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة) العملية (لا من المجادلة) اللسانية (فان غلب عليه التعصب لعقيدة من العقائد ولم يبق فى قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا) مانعا (اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا) وقال القشيرى فى الرسالة أول قدم للمريد أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه و بين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح للمريد أن ينتسب الى مذهب من مذاهب أهل هذه الطريقة المختلفين سوى طريقة الصوفية والناس اما أصحاب النقل والاثر واما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور والذى للخلق من المعارف مقصود فهو لهم من الحق موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل

ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سار
والناس فى سدف الظلا * م ونحن فى ضوء النهار

(وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة) النصوح (والخروج من المظالم) التى عليه (وتصميم العزم على ترك العود) الى تلك المظالم (وتحقيق الندم على مامضى ورد المظالم) لاهلها (وارضاء الخصوم) بأى وجه كان وهذه هى أركان التوبة كما سيأتى بيانها قال القشيرى فى الرسالة اذا أنكر المريد بقلبه من سوء ما يصنعه وأبصر ماهو عليه من قبيح الافعال سنح فى قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ فى جملة الرجعى والتأهب لاسباب التوبة فأول ذلك هجران اخوان السوء فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد و يشوشون عليه صحة هذا العزم ولا يتم ذلك الا بالمواظبة على المشاهد التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ماعزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقدة الاصرار على ماهو عليه من قبيح الافعال فيقف عن تعاطى المحظورات و يكبح بلجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال و يبرم العزيمة على أن لا يعود الى مثلها فى الاستقبال فان مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقا وان نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله ارادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيرا فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فان لكل

اجل

فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة واراد أن يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقى منها الى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقى الى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدى به لامحالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لامحالة فمن سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيأ ولا يذر وليعلم ان نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور * الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه وأما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره

أجل كتابا ولايتم له شئ من هذا الابعد فراغه من ارضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فان أول منزلة فى التوبة ارضاء الخصوم بما أمكنه فان اتسع ذات يده لايصال حقوقهم اليهم أو سمحت نفوسهم باحلاله والبراءة عنه والافالعزم بقلبه على انه يخرج من حقوقهم عند الامكان والرجوع الى الله تعالى بصدق الابتهال والدعاء لهم (فان من لم يصحح التوبة) من قلبه (ولم يهجر المعاصى الظاهرة) والزلات المكشوفة للناس (وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة) الغيبية (كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره) لما فيه من الغرائب (وهو لم يتعلم لغة العرب بعد) ولم يتقنها فانى له ذلك (فان ترجمة غريب القرآن لابد من تقديمها أولا) وقد صنف فيه من المتقدمين أبو اسحق الحربى وأبو اسحق الزجاج وأبو عبيد القاسم بن سلام ثم تلاهم أبو منصور الازهرى وأبو عبيد الهروى وغيرهم (ثم الترقى منها الى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم) يكون (الترقى منها الى أسرارها) وبواطنها (وأغوارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد) فى سلوك طريق الحق (يحتاج الى شيخ) بصير (وأستاذ) كامل (يقتدى به لامحالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض) أى دقيق خفى (وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهذبه) ويؤدبه ويريه طريق الحق (قاده الشيطان لامحالة الى طرقه فمن سلك البوادى المهلكة) والمفاوز المضلة (بنفسه من غير خفير) أى دليل يرشد (فقد خاطر بنفسه) أى رماها فى خطر (وأهلكها) أى تسبب لهلاكها ونص القشيرى فى الرسالة ثم يجب على المريد أن يتادب بشيخ فان من لم يكن له استاذ لايفلح أبدا وهذا أبو يزيد يقول من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان سمعت أباعلى الدقاق يقول العبادة بلا علم كالبنيان على السرقين اهـ ووقع فى بعض كتب الصوفية من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان (ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر) وقال القشيرى فى الرسالة فى آخر الكتاب فى باب وصايا المريدين سمعت الاستاذ أباعلى الدقاق يقول الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولكن لاتثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يأخذ عنه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لايجد نفاذا وقال فى باب الارادة سمعت أباعلى يقول الشجر اذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكن لايثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يتخرج به لايجيء منه شئ (فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط البحر بالقائد بحيث يفوض اليه أمره بالكلية ولا يخالفه) أصلا (فى ورد ولا صدر ولا يبقى فى متابعته شيأ ولا يذر) أى ولا يترك (ويعلم ان نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب) وعبارة القشيرى فى الرسالة وان لايخالف شيخه فى كل مايشير عليه فان الخلاف شر للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لان ابتداء حاله دليل على جميع عمره ومن شرطه أن لايكون له بقلبه اعتراض على شيخه (فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهى أربعة أمور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه) وعبارة الرسالة لانه يجب على المريد أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدرا وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه (اما الجوع فانه ينقص دم القلب) لانه لايكون الا من غذاء فاذا بطل الغذاء نقص الدم (فيبيضه) بان يقل اجزاؤه (وفى بياضه نوره) وجلاؤه ومن هنا قال يحيى بن معاذ الرازى الجوع نور والشبع نار والشهوة

و يذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ماصار الابدال ابدالا الا بأربع خصال

باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء * وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه. تطريخ

فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى * وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة

مثل الحطب يتولد منه الاحراق ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبها (و) الجوع أيضا (يذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قسوته سبب الحجاب) عن المكاشفات (ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك مسلك العدو) اللعين (فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات) كما في الخبر ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث وقد تقدم في كتاب الصوم (قال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا ابطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم) وفيه اشارة الى أن الجوع يصفي الفؤاد فيكون محلا لاشراق الانوار الالهية (قال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (ماصار الابدال ابدالا الا بأربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس) نقله القشيري في الرسالة (ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر تشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين) وهو الكتاب الذي يليه (وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه) عن الكدورات (وينوره فينضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب) بمضاعفة الصفاء فيه (كالكوكب الدري) المضيء المتلألئ (والمرآة المجلوة) يبيض بعضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب انعكس نوره على النفس (فيلوح فيه جمال الحق) أي أشعة أنواره بأن تنجلي فيه (ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا) واعراضه عنها (واقباله على الآخرة) وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة والقلب اذا لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون ذا وجهين وجه الى الروح ووجه الى النفس فاذا ابيض توجه الى الروح بكله فيتدارك مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى القلب وكلما انجذبت توجهت بوجهها الذي يليه وتنور النفس لتوجهها الى القلب بوجهها الذي يلي القلب (والسهر أيضا نتيجة الجوع) وثمرته (فان السهر مع الشبع غير ممكن) لان الشبع يرخي العروق والاعصاب ويجر الى النوم (والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة) فانه لا بد منه وهو سبعون درجة بين الليل والنهار (فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة) نقله صاحب القوت وصاحب الرسالة وصاحب العوارف (وقال أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد الخواص) من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ رحمه الله تعالى (اجتمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء) نقله القشيري وصاحب القوت وذلك ان الاكثار من الماء يرخي العروق لامتلائها به فيكون سببا للفتور في الاعضاء والكسل فيغلب النوم (واما الصمت) وهو قلة الكلام (فانه يسهل العزلة) عن الناس فانه اذا لم يجد عنده أحدا لا يتكلم (ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب أو تدبير أمر) من أموره (فينبغي أن لا يتكلم الا بقدر الضرورة) وهذا معنى قولهم كلام الابدال من ضرورة (فان الكلام يشغل القلب) عن مراقبة المذكور (وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه) ويستحليه (ويستثقل التجرد للذكر والفكر) لما فيه من المشقة (ويستريح اليه) أي الى الكلام (فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى) كما سيأتي بيان ذلك (وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر) عن تطرق شئ اليهما (فانهما دهليز القلب في حكم حوض انصبت اليه مياه كدرة) متغيرة (قذرة من أنهار الحواس) الظاهرة (ومقصود الرياضة

تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الاعن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أوازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلابد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد

تفريغ الحوض من تلك المياه) والاخلاء منها (ومن الطين الحاصل منها لينفجر أسفل الحوض فينفجر منه الماء النظيف الطاهر) لا كدر ولا قذر ولا يحصل الانفجار الا بنزح تلك المياه عنه (فكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس) من تطرق شئ منها الى القلب (الاعن قدر الضرورة وليس) يتم (ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم) لانه يحفظ حاسة البصر من تبددها (فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أوازار) بان يلقيه على رأسه فيتقنع به وهذه هي الخلوة الصغرى وهي مانعة عن تبدد حاسة البصر الى المرئيات ولو لم يكن في خلوة (ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية) لجمع حواسه (أما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر) قال العراقي متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزلت يا أيها المدثر وفي رواية فقال زملوني زملوني ولهما من حديث عائشة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع اهـ قلت لفظ حديث جابر أخرجاه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت جابر بن عبد الله عن أول ما نزل من القرآن فقال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجثثت منه رعبا فرجعت فقلت دثروني فدثروني فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز فاهجر وكذلك رواه عبد الرزاق والطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن الانباري في المصاحف وروى عن ابراهيم النخعي قال كان صلى الله عليه وسلم متدثرا في قرطق يعني شملة صغيرة الخمل أخرجه سعيد بن منصور وأخرج البزار والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا اسموا هذا الرجل اسما تصدوا الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر قالوا يفرق بين الحبيب وحبيبه فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر (فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع) عنه القواطع وتمنع (عنه العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات) محركة هي الثنايا في الجبال (ولا عقبة في طريق الله الاصفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب) السلكي (في قطعها أن يشتغل بالاسهل فالاسهل) يكون أعون له في القطع وهي تلك الصفات أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول) دخوله في (الارادة وآثارها) أي الصفات (أعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلابد وان يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة) وتتضاعف المشقات (ويختلف ذلك باختلاف الاحوال) والاشخاص (فرب شخص قد كفي أكثر الصفات) فيقل التفاته الى الدنيا (فلا تطول عليه المجاهدة) وقد يسلب تلك الصفات بأجمعها فلا تكون له همة سوى الله تعالى فلا يحتاج الى مجاهدة وأصحاب هذا المقام بعد وصولهم الى الله تعالى قد يشتاقون الى المجاهدة والرياضة تكميلا للمقامات (وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة) والرياضة (ولم يبق في قلبه علقة) أي علاقة حسية ولا معنوية لان بناء هذا الطريق على فراغ القلب (شغله بعد

ذلك يلزم قلبه على الدوام و يمنعه من تكثير الاورادالظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلى للحصرى ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تاتينى فيها الى الجمعة الاخرى شئ غير الله تعالى فحرام عليك أن تاتينى وهذا التجرد لا يحصل الامع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الاهم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس و يقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ماسواه لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره أى شئ كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان أيضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ماهى   اى

ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة) من نوافل الصلاة وغيرها (بل يقتصر على الفرائض والرواتب) قال القشيرى فى الرسالة وليس من آداب المريد كثرة الاوراد فى الظاهر فان القوم فى مكابدة خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفى الغفلة عن قلوبهم لا فى تكثير أعمال البر والذى لا بد لهم منه اقامة الفرائض والسنن الراتبة فاما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم (ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد) وخلاصتها (وثمرتها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا الى علائقه) وشواغله قال القشيرى فى الرسالة ومالم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيأ من الاذكار بل يجب أن يقدم على ذلك التجربة (قال) أبو بكر (الشبلى للحصرى) هو أبو الحسن على بن ابراهيم البصرى سكن بغداد مات بها سنة ٣٧١ ان (كان يخطر على قلبك) ولفظ الرسالة وكان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره ان خطر ببالك (من الجمعة الى الجمعة) الثانية (التى تأتينى) وفى نسخة تأتينا وفى أخرى تأتى (غير الله) تعالى أى اذا سكن قلبك الى غير الله (فحرام عليك أن تأتينى) ولفظ الرسالة ان تحضرنى أى فلا تصحبنى وفائدة قوله من الجمعة الى الجمعة تعليمه دوام ودّه لما خطر له من ذلك فانه اذا دام الود قوى القلب بما دام عليه (وهذا التجرد لا يمكن الامع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم واحد) وتقدم عن الاستاذ أبى على انه قال الارادة لوعة فى الفؤاد لذعة فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن فهذه كلها صفات العاشق وبتمامها يتم صدق الارادة (فاذا صار كذلك ألزمه الشيخ زاوية) من زوايا البيت (ينفرد بها) بنفسه (ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال) وكل مريد لم يراع ذلك لا يجيء منه شئ فى الطريق (وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه) معا (فيجلس ويقول مثلا الله الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات) المناسبة لحاله فى سلوكه فمن غلب عليه الجذب فهذا ذكره ومن غلب عليه السلوك فالمناسب له النفى والاثبات كما تقدمت الاشارة اليه (ولا يزال) المريد (يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى تنمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه) ولفظ الرسالة فاذا حربه شيخه فيجب أن يلقنه ذكرا من الاذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوّى قلبه مع لسانه فيقول اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبدا بقلبك ولا يجرى على لسانك غير هذا الامر ما أمكنك (قد فرغ القلب) أى أخلاه (عن كل ماسواه لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره أى شئ كان) لانه ليس له الا وجهة واحدة (فاذا شغل بذكر الله) تعالى (وهو المقصود) الاعظم (خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك) أى بعد تفريغ القلب عن السوى واثبات ذكر الله فيه (يلزمه) أى المريد (أن يراقب) أى يحافظ (وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه) أى فى القلب (مما مضى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر) والفكر (فى تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا) لحاله وعبارة الرسالة ثم يأمره بايثار الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده فى هذه الحالة لا محالة نفى الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة عن القلب (فليجتهد فى دفع ذلك) عن قلبه (ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة) التى لقنها له شيخه (جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ماهى)

أى ماحقيقتها وانه يقبح بالمريد الذاكر أن لايتحقق حقيقة مايذكره (ومامعنى قولنا الله) هل هو مبتدا خبره محذوف أو بالعكس وما المحذوف الذى يقدر هنا (ولاى معنى كان الها معبودا و يعتريه عند ذلك خواطر) مختلفة (تفتح عليه باب الفكر و ربما يرد عليه من وساوس الشيطان ماهو كفر) صراح (أو بدعة) مذمومة (ومهما كان كارها لذلك ومشمرا لاماطته) أى ازالته (عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى مايعلم قطعا ان الله) تعالى (منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه و يجريه على خاطره فشرطه أن لايبالى به) ولايهتم له (و يفزع الى ذكر الله) تعالى (و يبتهل اليه) و يتضرع بباطنه (ليدفعه عنه كما قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) وعبارة الرسالة واعلم انه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب وذلك انهم اذا دخلوا فى مواضع ذكرهم أو كانوا فى مجالس سماع أو غير ذلك فيهجس فى نفوسهم و يخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون ان الله منزه عن ذلك وليس تعتريهم شبهة فى ان ذلك باطل ولكن يدوم ذلك فيشتد تأذيهم به حتى يبلغ ذلك حدا يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر لايمكن للمريد اجراء ذلك على اللسان ولا ابداؤه لاحد وهذا أشد شئ يقع لهم فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتهال الى الله تعالى واستدفاع ذلك وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان وانما هى من هواجس النفس فاذا قابلها العبد بترك المبالاة لها ينقطع ذلك عنه اهـ كلام القشيرى وأنت ترى انه جعل مايجرى على قلب المريد بما ذكر من هواجس النفس لامن وساوس الشيطان والمصنف جعله من الوساوس والامر فى ذلك سهل قريب وقد تقدم للمصنف ذكر حديث ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا كان ذلك فليستعذ بالله ولينته وجاء بعض الصحابة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا تقع فى نفوسنا أمور يود أحدنا أن يخر من السماء فتختطفه الطير ولا يقع له ذلك فقال أو جدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان يعنى ردهم لذلك أو تألمهم وتمنيهم الموت مما وقع لهم لانفس الوسوسة وحاصله انه اذا ضاق على المريد شئ من ذلك التجأ الى الله فيه واستعاذ به وأعرض عن النكرة فيه فان الله يزيله عن قلبه و يقوى يقينه والله الموفق (والى مايشك فيه فينبغى أن يعرض ذلك عن شيخه بل كل مايجد فى قلبه من الاحوال من فترة) فى الارادة أو فى السلوك (أو نشاط) فيهما (أو التفات الى علقة) دنيوية أو أخروية (أو صدق فى ارادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه و يستره) اى يكتمه (من غيره فلا يطلع عليه أحدا) وعبارة الرسالة ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره الا عن شيخه ولو كتم نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته اهـ وذلك لان الشيخ قد ترك شغله مع مولاه فى خاصته وعاهد الله على أن يفرغ قلبه فى اصلاح هذا المريد فحقه أن لايكتم عنه شيأ ليفعل به مايراه اصلاحا له (ثم ان شيخه ينظر فى حاله و يتأمل فى ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه أو أمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغى أن يحيله على الفكر و يأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما) ينشرح به صدره و (ينكشف له به حقيقته وان علم ان ذلك مما لايقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ) ونصيحة (وذكر دليل قريب من فهمه) ونص القشيرى واعلم أن المريد قلما يخلو فى أوان خلوته فى ابتداء ارادته من الوساوس فى الاعتقاد لاسيما ان كان فى المريد كياسة قلب وقلما مريد لاتستقبله هذه الحالة فى ابتداء ارادته وهذه من الامتحانات التى تستقبل المريد فالواجب على شيخه ان رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية فان بالعلم يتخلص لامحالة المعترف فيما يعتريه من الوسواس وان تفرس شيخه فيه القوة والثبات فى الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع فى قلبه أنوار القبول وتطلع فى سره شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك ولكن لايكون هذا الا لافراد المريدين فان الغالب أن تكون معالجتهم بالرد الى النظر وتأمل الآيات

ومامعنى قولنا الله ولاى معنى كان الها وكان معبودا و يعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر و ربما يرد عليه من وساوس الشيطان ماهو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة الى مايعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه و يجريه على خاطره فشرطه أن لايبالى به و يفزع الى ذكر الله تعالى و يبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى مايشك فيه فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه بل كل مايجد فى قلبه من الاحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى علقة أو صدق فى ارادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم ان شيخه ينظر فى حاله و يتأمل فى ذكائه وكياسته فلو علم انه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغى أن يحيله على الفكر و يأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور مايكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لايقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه

بشرط تحصيل علم الاصول على قدر الحاجة الداعية للمريدين (و ينبغي أن يتأنق و يتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة) وسلك سبيل المجاهدة (فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه) وازالته عن قلبه (فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم) قال القشيري في الرسالة وقفة المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالة الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لايجيء منه شئ (ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فكأنه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز) قال العراقي قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع اليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان في آخر الزمان واختلفت الاهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء وابن البيلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها اه وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة ابن البيلماني والله أعلم اه قلت ورواه من هذا الوجه أيضا الديلمي في مسند الفردوس وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن الحرث عن ابن البيلماني ثم قال ومن عجائبه هذا الحديث وعبارة ابن حبان في الضعفاء في ترجمته حدث عن أبيه نسخة شبيهة بمائتي حديث كلها موضوعة لايجوز الاحتجاج به ولا ذكره الا على وجه التعجب اه ونظر الى ظاهر سياقه مشى غالب الحفاظ على انه موضوع وفيه نظر قال السخاوي وعند رزين في جامعه مما أضافه لعمر بن عبد العزيز يتبعه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال تركتم على الواضحة ليلها كنهارها كونوا على دين الاعراب والغلمان والكتاب اه وقد أشار المصنف الى معناه فقال (وهو تلقي أصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير) قال ابن الاثير في جامع الاصول بعد ايراده ماسبق عن رزين أراد بقوله دين الاعراب والغلمان الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن أقوال أهل الزيغ والاهواء ومثله قوله عليكم بدين العجائز اه وهذا السياق يدل على أن الحديث له أصل اه قلت ومنهم من يزيد بعد قوله العجائز المساء والمحراب ولم أجد له أصلا وكأنه تفسير لمعناه (فان الخطر في العدول عن ذلك كثير) فمن لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أهلها بعضهم بعضا كان أمره أهون فمن سمع منها وهو جاثم لايشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ولهذا كان الفخر الرازي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر مع تبحره في الاصول يقول من التزم دين العجائز فهو الفائز وقال ابن السمعاني في الذيل عن الهمداني سمعت أبا المعالي يعني امام الحرمين يقول قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا ثم خليت أهل الاسلام باسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة وركبت البحر الخضم وغصت في الذي نهي أهل الاسلام عنه وكل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت من الكل الى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على أهل الحق وكلمة الاخلاص لا اله الا الله فالويل لابن الجويني (ولهذا يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد) أي ينظر اليه بنور الايمان وفراسته (فان لم يكن ذكيا فطنا متمسكا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر) لان مثله ترد عليه في أثناء ذكره وفكره شبه ووساوس ربما تمكن من قلبه وليس عنده التمكن في أصل الاعتقاد فيضره ذلك ولايجيء منه في الطريق شئ (بل يرده الى الاعمال الظاهرة) كصلاة الليل وصلاة الضحى والاشراق والاوابين ومتابعة الصيام والاوراد المتواترة وأفضلها القرآن (ويشغله بخدمة المتجردين للفكر) والذكر من كنس خلاويهم وملء أباريقهم (لتشمله بركتهم) و يعمه امدادهم (فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم) ويعينهم في أمورهم (و يتعهد دوابهم) بالربط والسقي

وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم

ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من أوائل الكرامات ومهما التفت الى شئ من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة * قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بدلي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بدلي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بدلي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذا العلة قال يا هذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة أن تجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا واذا انكشف للمريد شئ من ذلك فأعظم القواطع عليه أن

والتعليق ويداوى جرحاهم (ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم) والاعمال بالنيات (ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة) وتصيبه بلايا (من العجب والرياء والفرح بما ينكشف) له (من الاحوال) السنية (وما يبدو من أوائل الكرامات) وهي ما يكرمه الله تعالى به (ومهما التفت الى شئ من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه) وهو الاعراض عن الارادة والسلوك والترك لما هو فيه (أو وقوفا) وهو السكون عن السير باستلذاذ حالة التكسل والثاني أشد من الاول لان من استلذ حالة لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف صاحب الوقوف فانه يرجى له الرجوع الى ما كان عليه فاذا حصل للمريد الوقوف في أوائله لا يجيء منه شئ لانه يعتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال الى ما هو أعلى (بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويداوم عليه) مداومة العاشق المستهتر الذي لا يسمع دون محبوبه عذل المفند فيه (ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة) عنهم حتى تجتمع له حواسه (قال بعض) هذه الطائفة من (السائحين) في الارض (قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق) والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق (وقال مرة قلت له دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام) أي من غير أن يرد عليه ما يمنعه عنه (فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة) أي يورث ظلمة في القلب فيكون سبب الحجاب بينك وبين الله تعالى (قلت لا بدلي من ذلك) أي من النظر اليهم (قال) فاذا نظرت اليهم (فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة) أي يورث القسوة والغلظة في القلب فهو أيضا حجاب (قلت لا بدلي من ذلك) أي من سماع كلامهم ولا استغنى عن ذلك (قال) فاذا سمعت كلامهم (فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة) أي يورث الوحشة والتنافر في القلوب وهو أيضا حجاب (قلت أنا بين أظهرهم لا بدلي من معاملتهم) فكيف أفعل (قال فلا تسكن اليهم) بقلبك (فان السكون اليهم) بالقلب (هلكة) أي هلاك أبدي (قال قلت هذه هي العلة) كذا في النسخ والذي في القوت قلت هذه العلة (قال يا هذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون أبدا) أورده صاحب القوت (فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله أبدا) بحيث لا يتخلل في هذا الوجدان شئ يخالفه (ولا يمكن ذلك الا بأن يخلو من غيره) فلا يكون لخطوره فيه مساغ (ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة) ولا تتم المجاهدة الا بمخالفة النفس فحينئذ تحصل له مبادى الهداية المفهومة من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا تمت له الهداية ارتقى الى مقام الاحسان الذي فسر في الحديث ان تعبد ربك كأنك تراه واليه الاشارة بقوله وان الله لمع المحسنين أي بمعية الشهود والانكشاف (فاذا حصل قلبه مع الله) عند دخوله في حظيرة الاحسان (انكشف له جلال الحضرة الربوبية) الجامعة للحضرات الاربعة (وتجلى له الحق) من وراء حجاب من الحجب الاسمائية (وظهر من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا) وأراد بذلك التجلي الصفاتي الذي مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات ودل على ذلك قوله وظهر الخ وذلك لان التجلي الذي مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها لا يحصل الا بواسطة الاسماء والصفات اذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من الحجب الاسمائية وأصل التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وانما جمع الغيوب باعتبار تعدد أمور التجلي فان لكل اسم الهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة (واذا انكشف للمريد شئ من ذلك فأعظم القواطع عليه أن

يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى أن يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه كيد القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنهوون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى للنفوس

يتكلم به وعظا ونصحا) أي بطريقهما (ويتصدى للتذكير) على ملأ من الناس (فيجد النفس فيه لذة) غريبة (ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى أن يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها) بانواع البلاغة والجزالة (وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات) المناسبة لها (وشواهد القرآن والاخبار) لكل معنى من تلك المعاني (وتحسين صورة الكلام) بالالحان (لتميل اليه القلوب والاسماع) وترغب اليه وهذا حسن في الجملة اذا كان من غير قصد مع حسن النية (و) لكن (الشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله عز وجل وانما أنت واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة عباده اليه) وهذا مقام شريف (ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة) فاذا خيل له ذلك واستقر في قلبه حصل له الركون والسكون وهو عين الهلاك ان لم يأخذ الله بيده (ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في أقرانه) وذوي عصره (من يكون أحسن كلاما) منه (وأجزل لفظا وأقوى على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه لا محالة عقرب الحسد) ويدب فيه (ان كان محركه لذة القبول) بين العامة (وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم فرحه بذلك) وينشرح صدره (فيقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني) أي قواني (بمن وازرني) وبعينني (على اصلاح عباده) فهذا هو التمييز بين المحركين (كالذي وجب عليه) وجوب كفاية (مثلا أن يحمل ميتا) أي يجهزه بالغسل والتكفين (ليدفنه اذا وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسده معينه) ولا يخطر ذلك بباله (والغافلون) عن طريق الحق (موتى) أي بمنزلة الاموات وان كانوا أحياء في الظاهر (والوعاظ هم المنهون) لهم عن رقدة الغفلة (والمحيون لهم) من موتة القلوب (ففي كثرتهم استرواح وتناصر) وتعاون (فينبغي أن يعظم الفرح بذلك) ويكثر السرور به (وهذا عزيز الوجود جدا) لاستحواذ الشيطان على قلوب أكثر الخلق (فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان) وأكبر مصايده ومخوفه (في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق) قال القشيري أضر الاشياء بالمريد استئناسه بما يلقى اليه في سره من تقريبات الحق سبحانه ومنته عليه بان خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فانه لو قال بترك هذا فعن قريب يستخطف عن ذلك بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة اهـ (فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان) قد جبل عليه (ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير) أي يختارونها على الآخرة فلا يفعلون ما يسعدهم في الآخرة ولو علموا علما يقينا فناءها وبقاء الآخرة لما آثروها (ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة) أي الماضية (فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى قال السدي ان هذه السورة نزلت في صحف ابراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبي حاتم وقال أبو العالية قصة هذه السورة في الصحف الاولى أخرجه ابن جرير وقال الحسن أي في كتب الله كلها أخرجه ابن أبي حاتم وفي حديث أبي ذر من تخريج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك بشيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وفي هذا الحديث ان الله تعالى أنزل على ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وقد آثر المصنف ختم هذا الكتاب بما ختم الله به هذه السورة لما فيهما من تزكية النفس من الادناس وذكر الله تعالى والصلاة والتنبيه على ايثار الآخرة وترك شهوات الدنيا ولذا اتهاوان الآخرة هي دار البقاء وفي كل ذلك تهذيب

فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج الى لقاء الله تعالى فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية

الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

للنفوس وهو معظم مقصود الكتاب ولذا قال (فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج الى لقاء الله تعالى أما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي بيانه فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعني به الشهوات المتعلقة بها) اعلم أن النفس كما تقدم مجبولة على محبة العاجل وايثاره على الآجل ولها قوتان جالبة ودافعة فالجالبة الشهوة وأعظمها ما تعلق بالبطن والفرج واللسان وأما الدافعة فأشار لها بقوله (ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات) وله ثمرات مذمومة يأتي بيانها (ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما) بحيث استولت على قلبه (أحب الدنيا) وآثرها لنفسه وهكذا شأن المحب للشئ يؤثره على غيره (لا يتمكن منها الا بالمال والجاه) وهما ركنان عظيمان (واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة) والعلو وأصناف الشهوة العقلية وظهر من سياق المصنف ان ظهور هذه الاوصاف في المريدين نتائج القوة الجالبة وهو ظاهر ولكن هذه القوة بنفسها لا تحدث هذه الاصناف الا بمجاورتها العقل فانه الذي يكسبها محبة تلك الاصناف لما تقدم ان العقل له وجهان وجه الى النفس ووجه الى الروح كما ان بمجاورة النفس الشيطان تحدث صفات أخر كالمكر والحيلة والخداع وأصناف ذلك وهذه هي الاصول الاربعة وما عدا ذلك فروع تتشعب منها فتأمل (واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدين رأسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين) أعني شرح عجائب القلب ورياضة النفس (ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب) فيكون المجموع عشرة كتب ثم سردها فقال (كتاب في كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في كسر شره الكلام) أي حدته وسورته (وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها) وتلبيسات الشيطان فيها (وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع) الذي هو الثالث (ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول) من هذه الكتب العشرة (هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني) الذي بعده (هو اشارة كلية الى تهذيب طريق الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى) وهذا آخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وقد عن لي ان أختمه بفوائد نافعة تتعلق بآداب المريدين مما اقتطفتها من كتب القوم وجعلتها في فصول هي مهمة ولهذا الكتاب تتمة

(فصل) اذا أحكم بينه وبين الله عقده فيجب ان يحصل من علم الشريعة اما بالتحقيق واما بالسؤال من الائمة ما يؤدي به فرضه وان اختلفت عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالاحوط ويقصد أبدا الخروج عن الخلاف وهل يجوز له تقليد المفضول فقيل نعم ورجحه ابن الحاجب وقيل لا والمختار عند التاج السبكي جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساويا له بخلاف من اعتقده مفضولا ولا يتبع الرخص في المذاهب بان يأخذ من كل منها ما هو الاسهل فيما يقع من المسائل فان الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والاشغال وهذه الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ولهذا قيل اذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة الى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله ونقض عهده فيما بينه وبين الله فالمحمود ملازمته من الافضل ما يجد من نفسه القدرة على الدوام عليه وان كان فيه بعض مشقة

(فصل) اذا وقعت للمريد مخالفة فيما أشار اليه شيخه فيجب عليه أن يقر له بما وقع له بين يديه ثم يستسلم لما يحكم عليه به شيخه عقوبة له على مخالفته وجنايته اما بسفر بكلفة أو أمر ما يراه صلاحا في حقه ووظيفته معه

كالعليل مع الطبيب لا يخرج عما يأمره به من الادوية والاغذية والحمية ولا ينبغى للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لان ذلك تضييع لحقوق الله المطلوبة من الطرفين

(فصل) اذا شهد قلب الشيخ للمريد بصحة العزم فيشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بان لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والاسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه الى السهولة وأن لا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات وان لا يؤثر الدعة وأن لا يستشعر الكسل

(فصل) يأمر الشيخ المريد أن يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه الا غلبة وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيأ بعد شئ حتى يقوى على ذلك ولا يأمره أن يترك عادته بمرة فان ذلك يغير مزاجه وأحواله ففى الخبر ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

(فصل) لا يذكر المريد لشيخه كل ما يهجس فى خاطره بل يزيله باستدامة الذكر على بساط الصدق او المراقبة فان لم يندفع به المرة بعد المرة عرض ذلك على شيخه فى محل خلوته وما يقع لكثير من المنتسبين لهذه العصابة من شكاية الخواطر بمعنى ذكر الانسان شيخه جميع ما يرد عليه وما يخطر فى نفسه من أى شئ كان فهذا أمر ما عهد عند أئمة هذا الشأن بل ربما يكون هذا باعثا لابليس على الولع بالقلب ووازعا بغير الباطن وبهيئته للخواطر فيعود ذلك بنقيض المقصود

(فصل) ومن آداب المريد بل من حاله ان يلازم موضع ارادته وهو الخلوة وأن لا يسافر قبل أن يقبل الطريق وقبل الوصول بالقلب الى الرب سبحانه فان السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم الى ما كان يرجى له اذا سافر فى غير وقته لانه اذا سافر بغير اذنه فظاهر وان سافر باذنه دل على انه عنده لم يصلح لهذا الشأن وقد امتحنه فلم يره أهلا لما رغب فيه فاعرض عنه وتركه نعم ان تمكن فى حاله وصار يأنس بربه فى خلوته كان سفره زيادة فى تحقيق أحواله بكل حال اما فى بعده عن الاوطان حينئذ من التوكل والرضا بما يجريه الله تعالى

(فصل) اذا أراد الله بمريد خيرا ثبته وقواه فى أول ارادته واذا أراد به شرا رده الى ما خرج منه من حرفته او حالته واذا أراد الله بمريد محنة وابتلاء شرده فى مطارح غربته هذا اذا كان المريد يصلح للوصول فأما اذا كان شابا طريقته الخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء وزيارة الصالحين والاقتداء باعمالهم وهو أدونهم فى هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر فينقطعون فى الاسفار وغاية نصيبهم فى هذه الطريقة حجب يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحلون اليها ولقاء الشيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما فى هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب عليهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة الى ارتكاب محظور فان الشاب اذا وجد الراحة والدعة تعرض للفتنة بميل نفسه الى الشهوات

(فصل) اذا توسط المريد جمع الفقراء والاصحاب فى بدايته فهو مضر له جدا فان امتحن بذلك بان دعته الضرورة للخلطة فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للاصحاب والقيام بما فيه راحة فقير والجهد فى أن لا يستوحش منه قلب شيخ ويجب أن يكون فى صحبته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم فيقبل عذرهم ولا يقبل عذر نفسه لما يعرف من سوء أدبه وان يرى لكل واحد عليه حقا واجبا ولا يرى لنفسه واجبا ولا مندوبا على أحد لئلا يطلب المكافأة عليه وأن لا يخالف أحدا وان علم أن الحق معه يسكت لئلا يخجل من بحث معه ويظهر الوفاق لكل أحد فيما يجوز فيه الوفاق وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فانه لا يجئ منه شئ واذا كان فى جمع من الفقراء اما فى سفر أو حضر فينبغى أن لا يخالفهم فى الظاهر لا فى أكل ولا شرب ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله تعالى واذا أشير اليه بالاكل مثلا يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطى النفس شهوتها

(فصــل) رأس مال المريد الاحتمال عن كل أحد بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة في القليل والكثير فيما هو حظه ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فان من اشتهى ما يشتهيه الناس فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين وعرق الجبين

(فصــل) اذا التزم مريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فان وجد في خلوته مالم يجده قلبه اما في النوم أو في اليقظة أو بينهما من خطاب يسمعه أو معنى يشاهده مما يكون نقضا للعادة فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن اليه ولا ينبغي له أن ينتظر حصول أمثال ذلك فان هذه كلها شواغل عن الحق سبحانه ولا بد له في هذه الاحوال من وصف ذلك لشيخه ان لم يندفع بالذكر حتى يصير قلبه فارغا من ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره ويكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه ويأمره بالاعراض عنه فان ذلك كله اختبارات له والمساكنة اليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك

(فصــل) ومن أحكام المريد اذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر الى من هو منصوب في وقته لارشاد المريد ثم يقيم عليه ولا يبرح سدته الى وقت الاذن

(فصــل) تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت وأما الشباب الذين يخرجون الى الحج من هؤلاء من غير اشارة الشيوخ فانما هي بدلالات نشاط النفس فهم مترسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم مبنيا على أصل والذي يدل على ذلك انه لا يزداد سفرهم بهذا الوجه الا وتزداد تفرقة قلوبهم ولو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى من ألف سفرة

(فصــل) من شرط المريد اذا زار شيخا أن يدخل اليه بالحرمة والادب وينظر اليه بالحشمة فان أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة فليغتنمه فانه أتاه على وجه الفتح من الله تعالى

(فصــل) ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة وان كانوا محفوظين لان ذلك يخالف الواقع ولانه يؤدي الى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم اذا صدر منهم الذنب والفرق بين العصمة والحفظ ان العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا تمنع منه لكن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لان الاولياء لا يقدح زللهم في قواعد الدين بخلاف الانبياء فان المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلونه بيانا للتكاليف بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم ليحسن بهم الظن فيما يراه حقا ويمسك عما يراه خطأ فان أراد أن يزيله من صدره فليسألهم عنه وليورده على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض وكذا اذا أجابوه بجواب لا يسعه فاما سلم له وهو الاسلم واما سأل قائلا أحب التصدق على بيانه وهو مطمئن القلب سالم من أدنى ترددما لم يكن ذلك في مبادي ارادته فلا يسوغ له أدبا أن يسأل الا باشارة ولا غيرها بل يكون على أعدل الاستسلام ويراعي مع الله حده فيما يتوجه عليه من الامر والنهي والعلم بأحكام الله كافية في التفرقة بين ما هو محمود وبين ما هو معلول

(فصــل) وكل مريد بقي في قلبه شيء من عروض الدنيا له مقدار وخطر فاسم الارادة له مجاز واذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه الدنيوي فيريد أن يخص به نوعا من أنواع البر أو شخصا دون شخص فهو متكلف في حاله وبالخطر أن يعود الى الدنيا لان قصد المريد في خروج الخروج منها الا السعي في أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة وينبغي أن يستوي عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لاجله فقيرا ولا يضايق به أحدا ويكون الاولى به تعوّد الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله فيكون كما قيل

اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة * وان أيسروا عادوا سراعا الى الفقر

(فصــل) قبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ فلا محالة انه يرى غب

ذلك ولو بعد حين ومن خزل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ

*(فصل) ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف ألف كرامة أهله فليحذر المريد من مجالستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدو حال الهجران

(فصل) ومن آفات المريد ما يتداخل النفس من خفي الحسد للاخوان والتأثر مما يعود الله به أشكاله من هذه الطريقة وحرمانه اياه ذلك وليعلم ان الامور قسم وانما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق وقد نبه عن مقتضى جوده ونعمه فكل من رأيت أيها المريد قدم الحق سبحانه رتبته فاجعل أنت غاشيته فان الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم

(فصل) من حق المريد اذا اتفق وقوعه في جمع ايثار الكل بالكل فيقدم الشبعان الجائع على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ وان كان هو أعلم منه ولا يصل الى ذلك الا بتبريه عن حوله وقوته وتوصله الى ذلك بطول الحق ومنته

(فصل) من تبرك بمريد فقد جار عليه لانه يضره لقلة قوته فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه واثباته

(فصل) ان ابتلى المريد بجاه أو بعلوم أو صحبة حدث أو ميل الى امرأة أو سكون الى معلوم وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص بها من ذلك فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع لئلا يشوش على نفسه تلك الحالة ولا شئ اضر على قلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم

(فصل) ومن آداب المريد أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته بان لا يتكلم في المقامات العالية ببعض العلم حتى يبلغها فانه اذا تعلم سير هذه الطريقة وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله الى هذه المعاني ولهذا قالوا اذا حدث العارف في معارف فجهلوه فان الاخبار عن المنازل دون المعارف ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك

(فصل) ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر للتعليم والتدريس وأن يكون لهم مريد أو تلميذ فان المريد اذا صار مرادا قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهو محجوب عن الحقيقة لا تنفع أحدا اشارته ولا تعليمه

(فصل) اذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم اليه فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة وبذل الوسع والطاقة

(فصل) من شأن المريد اذا كانت طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه وأن يعتقد انه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يحمدون له أثرا فيعتذر اليهم من تقصيره ويقر بالجناية على نفسه تطييبا لقلوبهم وان علم انه برئ الساحة

(فصل) من شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات فان من وافق شهوته عدم صفوته وأقبح الخصال بالمريد رجوعه الى شهوة تركها لله تعالى

(فصل) من شان المريد حفظ عهوده مع الله تعالى فان نقض العهد في طريق الارادة كالردة عن الدين لاهل الظاهر ولا يعاهد الله تعالى على شئ باختياره ما أمكنه فان في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع

(فصل) من شان المريد قصر الامل فان الفقير ابن وقته فاذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شئ

(فصل) ومن شان المريد أن لا يكون له معلوم وان قل لاسيما اذا كان بين الفقراء فان ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت

(فصل) ومن شان المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينقص بهم

قال

قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية وان الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل

(فصل) ومن آداب المريد مع شيخه اعتقاده انه لا أكمل منه من حيث علمه في البشر بزمانه وحفظ حرمته حسب الامكان فلا يجهر له بالقول كجهر الانسان لصاحبه ولا يرفع صوته على صوته وعدم محادثة من بجانبه في حضرته الا في أمر يلزمه به الشرع بل يكون موجه الفكر والظاهر لما يرد في حضرته وأن لا يضحك في حضرته الا تبسما من مقتض وأن لا يكون في مجالسته له الاعلى طهارة وعدم مسابقته قوله الا أن ينتهي في كلامه وأن يكون جلوسه بين يديه كهيئة المتشهد في الصلاة كان على رأسه الطير غاض الطرف يسارق وجهه النظار وأن لا يخادم أحدا من اتباعه احتراما لحق شيخه وان راعى منصبه في حرمه وآل بيته وأن يراعيه في غيبته كمراعاته في الحضور في جميع الاحوال والاقوال والافعال وأن يحفظ متعلقاته عن الجراءة عليها فلا يلبس ثوبه ولا نعله ولا يركب دابته ولا يجلس على سجادته ولا يشرب من الاناء الذي أعده ونحو ذلك وانما يحاسب نفسه على ما فتح له من صحبته فان وجد تأخرا نسب التقصير الى نفسه وان يكون أحب اليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين

(فصل) قال الشيخ الاكبر قدس سره في التدبيرات الالهية في المملكة الانسانية ينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فانها تفرقة ولهذا منعناه من السفر الا في طلب شيخ يرشده فاذا خرج الى المساجد أو الى ضرورة فلا يلتفت يمينا ولا شمالا ولا يجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الاولى ويكون مشتغلا بالذكر في مشيه ويرد السلام على من يسلم عليه ولا يقف مع أحد ولا يقل لاحد كيف حالك وليحذر من هذا فانه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة ولا يجد رقعة في الارض الا رفعها في كوة ولا يتركها تدنس بالارجل ويرشد الضال ويعين الضعيف ويحمل عنه الثقل هذا كله واجب عليه واياك والسعي في مشيك ولكن بالتأني من غير عجب فانه أوفر لهمتك فاذا كنت حاملا شيأ فاردت الراحة فتعدل عن طريق الناس ولا تضيق عليهم واياك وحضور مجالس السماع فان أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر معهم ولا تسمع واشتغل بالذكر فان سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سيما والقوال قلما ينشد الا في باب المحبة والشوق والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك فان انشد القوال في الموت وما يردك الى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر أو الموت وكرباته والحساب والقصاص ومواقف القيامة فاصغ الى ذلك فيما جاء فان عليك حالا يغنيك عن احساسك واذا قمت فليس قيامك لك وانما أقامك وارد لتفنى ما رجعت عنه الى احساسك فاقعد من حينك وارجع الى هيئة اعتدالك فان الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتنوع بحسب القصد وان اضطررت الى الصحبة ولابد فصاحب العباد والمجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ فان لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فانهم يطرقونها وقنن الجبال وبطون الاودية واذا عزمت على أن تكون منهم فاياك أن يدخل عليك وقت الصلاة الا وأنت في المسجد والمفرط من المريدين من يصلي والصلاة تقام فان جئت المسجد والصلاة تقام فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم وأما ان تفوتك تكبيرة الاحرام أو ركعة مع الامام فلا يتكلم على هذا فان هذا من حكم العامة فتب الى الله تعالى واستأنف واياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد ولا موضع واحد في المسجد وبهذا ختمت شرح هذا الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وأسأله الاعانة على اتمام ما بقي منه كان ذلك على يد مسوده أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به بعد العشاء من ليلة الاحد ثالث محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠٠ أرانا الله خيرها وكفانا ضرها حامدا الله مصليا مسلما

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر)

الحمد لله المثيب لمن واظب على طاعاته * وزجر نفسه عن معاصيه وكسر عن شهواته * المقبل على من أقبل

اليه بأنواع قرباته * الهادى لمن اعتصم به سبيل الرشد والتوفيق بعناياته * أحمده سبحانه وتعالى حمدا أستفتح به أبواب هباته * وأشكره شكرا أستجلب به المزيد من صوب سحائب رحماته * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تعرب عن صميم المخلص فى طوياته * وتقرب مقلدها من حظائر قدسه وحضراته وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله صفوة كائناته وخلاصة خلاصاته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ووارثيه وهداته * وسلم تسليما * وعظم تعظيما وبعد فهذا شرح (كتاب كسر الشهوتين) شهوة البطن وشهوة الفرج وهو الكتاب الثالث من الربع الثالث من كتاب الاحياء * للامام حجة الاسلام * قطب الائمة الاعلام * أبى حامد الغزالى سقى الله بعهاد الرحمة ثراه * وأجزل فى جنة الفردوس قراه * تتبعت فيه تفصيل ما أجمله * وبيان ما أهمله * وضم ما أبداه ونشره * ونظم مابدده ونثره بوجه يفيد للمطالع مضامنه * ويبرز للمراجع مكامنه * ويبين للطالب مقاصده * ويقيد للراغب أوابده * ويعلى للراقى مصاعده * ويقرب للشائق معاهده * ويبهج للناظر مشاهده * سلكت فيه طريق الايجاز فى البيان * ونبهت فيه على فوائد ثمر يطة هى جواهر حسان والله أسأل الاعانة والتوفيق * والابانة عن وجه التحقيق * لا اله غيره ولا خير الا خيره وهو حسبى ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى فى مفتتح كتابه (بسم الله الرحمن الرحيم) استفتاحا لهذا الباب بما هو مفتتح كل كتاب وعنوان كل خطاب ثم أردفه بحمد له الجد ليجمع بين الذكرين ويعمل بمقتضى الخبرين فقال (الحمد لله) وهو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال وهذا له تعالى خاصة (المنفرد بالجلال) أى المتناهى فى عظم القدر (فى كبريائه) أى عظمته (وتعاليه) أى رفعته وهو تفاعل من العلو بمعنى الفوقية المطلقة فى الرتبة ومعنى تفرده به فهما أن لا يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين (المستحق) أى المستوجب (للتحميد) أى لأن يحمد وحده لنفسه أزلا ويحمده عباده له أبدا فهو المحمود المثنى عليه (والتقديس) هو التنزيه من كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق اليه وهم أو يختلج به ضمير أو يفضى اليه فكر (والتسبيح) هو التقديس والتنزيه يقال سبحت الله أى نزهته عما يقول الظالمون الجاحدون (والتنزيه) يقال نزهت الله عن السوء أى برأته منه وفى ذكر التقديس والتنزيه بعد ذكره التعالى الذى هو تفاعل من العلو وفيه نوع مبالغة اشارة الى أنه العلى المطلق الذى له الفوقية لا بالاضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذى يقارنه امكان نقيضه وهو منزه عن العلو بالاضافة الى بعض الموجودات والاضافة الى الوجود (القائم بالعدل) أى السواء (فيما يبرمه) أى يحكمه (ويقضيه) أى يقدره من أفعاله قد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها ناقصها وكاملها وأعطى كل شئ خلقه وهو بذلك جواد ورتبه فى موضعها اللائق به ولا يفهم صفة قيامه بالعدل الا من أحاط علما بأفعال الله تعالى من ملكوت السموات الى منتهى الثرى حتى اذا لم ير فى خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فما رأى من فطور ثم رجع كرة أخرى فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير قد بهره جلال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها فحينئذ يعلق بفهمه شئ من هذه الصفة (المتطول بالفضل) هو ابتداء احسان بلا علة وتطول به من (فيما ينعم به ويسديه) أى يوصله يقال أسدى اليه معروفا اذا اتخذه عنده (المتكفل) تفعل من الكفل وهو حياطة الشئ بجميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الدائر (بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه) أى جهاته اذ ركبه من متعاديات متضادات اذ لابد له من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته ولابد له من رطوبة تكون غذاء لبدنه كالدم ومايجرى مجراه ولابد من يبوسة بها يتماسك أعضاؤه وخصوصا ماصلب منها كالعظام ولابد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا تحلل الرطوبات الباطنة بسرعة فهذه متعاديات متنازعات وقد جمع الله هذه فى اهابه ولولا حفظه اياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذى صارت به مستعدة بقوة التركيب

والمزاج

(كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه

والمزاج وحفظ الله تعالى بتعديل قواه اهرة و بامداد القلوب ثانيا (المنعم عليه بما يزيد على مقاصده بل بما يفي بأمانيه) جمع امنية وهي تقدير الوقوع فيما يترامى اليه الامل (فهو الاصل الذي يرشده) بتوفيقه (و يهديه) الى سبيل الخير والرشد عناية الهية تعين الانسان عند توجهه في أموره فتقربه لما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده وأكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل الآية وللهداية ثلاث منازل في الدنيا الاول تعريف الخير والشر والثاني ما يمده به حالا فحالا بحسب استزادته من العلم والعمل الصالح والثالث نور الولاية التي هي في أفق نور النبوة و بتحري هذه المنازل الثلاث يتوصل الى الهداية للجنة (وهو الذي يميته) بعد خلقه (و يحييه) ثانيا بعد موته (واذا مرض) بطريان العلة في تركيب صورته (فهو) الذي (يشفيه) أي يزيل عنه تلك العلة (واذا ضعف) عن حمل ما حمل (فهو الذي يقويه) ويدفع عنه ذلك الضعف (وهو الذي يوفقه الطاعة) أي يلهمه اياها الهاما ويسهل له سبلها (و يرتضيه) أي يجعله مرضيا (وهو الذي يطعمه و يسقيه) أشار بهذه الفقر الى قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم عليه السلام والذي يميتني ثم يحيين والذي يطعمني و يسقين واذا مرضت فهو يشفين الآية (و يحفظه من الهلاك و يحميه) بصيانة بعض المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض (و يحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه و يرديه) أي يوقعه في الردى وذلك لان امداد القلوب انما تتم بخلق الاطعمة والادوية وخلق الآلات المصلحة لها وخلق المعرفة الهادية الى استعمالها حفظا للبدن من المتضادات وهذه هي الاسباب التي تحفظ الانسان من الهلاك الداخل (و يمكنه من القناعة) أي الاكتفاء (بقليل القوت ويقويه) أي يحفظ عليه قوته (حتى تضيق به) أي بالقناعة بالقوت اليسير (مجاري الشيطان) أي مداخله (الذي يناويه) أي يعاديه وذلك لانه يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الخبر فاذا أقل القوت ضاقت العروق ولم يتولد دم كثير اذ انما يحصل بسبب الغذاء الكثير فلا يرد على القلب من تلك المجاري دم فيفيض و يصفو و يشرق نوره (و يكسر به سطوة النفس التي تعاديه) فان الشهوات انما تنبعث من امتلاء العروق بالدم الحاصل من كثرة الاغذية فاذا قل الغذاء قل الدم فقلت سطوة النفس الامارة بالسوء (فيدفع شرها) بتلك الرياضة (ثم يعبده به) بجمع همته (و يتقيه) وتمام التقوى لا يكون الا بعد مخالفة الهوى ومعاداة النفس وكسر سورتها (هذا بعد ان يوسع عليه بأنواع النعم وأصناف) الافضال (ما يلتذ به و يشتهيه و يكثر عليه ما يهيج بواعثه) أي يحركها (و يحل دواعيه كل ذلك ليمتحنه به و يبتليه) فاذا قهر تلك الشهوات ودفعها صار بذلك حرا تقيا بل يصير الهيار بانيا فتقل حاجاته و يصير محسنا في معاملاته فان لم يمكنه ما تتهاصار ملحقا بالبهائم قال تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (فينظر كيف يؤثره) أي يختاره (على ما يهواه) و يستلذه (و ينتحيه) أي يقصده و يميل النفس اليه (وكيف يحفظ أوامره) فيأتمر بها (و) كيف (ينتهي عن نواهيه ومناهيه) أي منهياته مما نهى الله عن ارتكابها (و) كيف (يواظب) أي يداوم (على طاعته و) كيف (ينزجر عن معاصيه والصلاة) مع السلام (على سيدنا محمد عبده) ونبيه (النبيه) من نبه نباهة اذا شرف (ورسوله الوجيه) من وجه وجاهة اذا كان له حظ ورؤية (صلاة تزلفه) أي تقربه اليه (وتحظيه) أي ترفع منزلته عنده (و ترفع محله) في أعلى عليين (وتعليه) على مقامات اخوانه (وعلى الابرار من عترته) أي نسله (وأقربيه) هم الادنون في النسب (والاخيار من صحابته و تابعيه) أي تابعي طريقته وسنته (أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء عليهما السلام من دار القرار) التي هي الجنة (الى دار الذل والافتقار) التي هي الارض (اذ نهيا عن) أكل (الشجرة) هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث والاولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه قاله البيضاوي (فغلبتهما شهوتهما) بوسوسة ابليس ألقى في خاطرهما (حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما) أي انكشفت عوراتهما وأخرجاهما كانا فيه من الكرامة والنعيم والقصة

المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده و يهديه وهو الذي يميته و يحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة و يرتضيه وهو الذي يطعمه و يسقيه و يحفظه من الهلاك و يحميه و يحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه و يرديه و يمكنه من القناعة بقليل القوت و يقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه و يكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبده به و يتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به و يشتهيه و يكثر عليه ما يهيج بواعثه و يؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به و يبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه و ينتحيه وكيف يحفظ أوامره و ينتهي عن نواهيه و يواظب على طاعته و ينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته وأقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه (أما بعد) فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما

والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك فى الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ثم القول فى شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين *(بيان فضيلة الناس الجوع وذم الشبع)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أى

مشهورة فى القرآن (والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبع الآفات اذ تتبعه شهوة الفرج وشدة الشبق) محركة أى الهيجان (الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة) والميل (فى الجاه والمال اللذين هما الوسيلة الى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات) وأصل الرعونة افراط الجهالة او الوقوف مع حظ النفس ومقتضى طباعها (وضروبات المنافسات والمحاسدات ثم تتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى) ارتكاب (الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى بصاحبه الى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء) وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وترك سياستها واهمال (ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء) أى البطر الحاصل منهما (ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان التى يدخل منها لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان) على الله عز وجل (ولم ينجر به ذلك الى الانهماك فى الدنيا وايثار العاجلة على الآجلة) وقد ذم الله تعالى هذا الايثار فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى (ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا) والتكالب هو التواثب (واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا) عنها (ووجب ايضاح طريق هذه المجاهدة والتنبيه على فضلها ترغيبا وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها) أى لشهوة البطن (ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول تجمعها وهو بيان فضيلة الجوع) وما فيهما من الاخبار والآثار (ثم فوائده ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياء فى ترك الشهوة ثم القول فى شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد فى ترك التزوج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين) فهى ثمانية فصول

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

ولنذكر اولا مناسبة ايراد المصنف هذا الكتاب عقيب كتاب رياضة النفس فنقول لما كان ختام هذا الكتاب المتقدم فى الكلام على الارادة والمريد ولا بد للمريد من خصال سبع الصدق فى الارادة وعلامته اعداد العدة ولا بد له من التسبب الى الطاعة وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولا بد له من المعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك انكشاف آفات النفس ولا بد له من مجالسة عالم بالله وعلامة ذلك ايثاره على ما سواه ولا بد له من توبة نصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولا بد من طعمة حلال وعلامة ذلك المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولا بد له من قرين صالح يوازره على حاله وعلامته معاونته على البر والتقوى ونهيه اياه عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوة الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه أولها الجوع ثم السهر ثم الصمت ثم الخلوة فهذه الاربعة سجن النفس وضيقها وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها فلهذا أعقبه بهذا الكتاب ليكون كالتتمة لتلك الخصال التى ذكرها وابتدأ بما ورد فى فضل الجوع فقال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش) قال العراقى لم أجده أصلا (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه) قال العراقى لم أجده أصلا (وقيل يا رسول الله أى

الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤم أكول شروب وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى أنظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا ياملائكتي مامن أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة ابن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هاهم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وماذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول

الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي) من اللباس (بما يستر عورته) قال العراقي لم أجده أصلا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف) قال العراقي لم أجده أصلا (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة) قال العراقي لم أجده أصلا قلت وسيأتي المصنف نحوه قريبا من حديث الحسين عن أبي هريرة (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلا (قال النبي صلى الله عليه وسلم التفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة) قال العراقي لم أجده أصلا قلت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق سالم بن أبي الجعد قال قيل لام الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء فقالت التفكر (وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤم أكول شروب) أي كثير النوم كثير الاكل كثير الشرب قال العراقي لم أجده أصلا (وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارا له) ولفظ القوت وفي حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير عوز أي مختارين لذلك قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة قالت لو شئنا ان نشبع لشبعنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه واسناده معضل (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا ياملائكتي مامن أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة) رواه ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء) قال العراقي لم أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم ماملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) رواه الترمذي من طريق المقدام وقد تقدم في الصيام (وفي حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة) رضي الله عنهما الطويل (ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء) بالحاء المهملة وبالمعجمة (الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا) أي لخفائهم بين الناس (وان غابوا لم يفتقدوا) أي لم يطلبوا (تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم الملائكة) ولفظ القوت ملائكة السماء (نعم الناس بالدنيا) أي بلذاتها (ونعموا بطاعة الله عز وجل فرش الناس الفرش) اللينة (وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم و) هم (حفظوها تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار) جل وعز (على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا) أي لم يتواثبوا (على الدنيا تكالب الكلاب) أي تواثبها على الجيف وهي أمتعة الدنيا (أكلوا العلق) جمع علقة بالضم هو اليسير من الطعام (ولبسوا الخرق) أي البالي من الثياب (شعثا رؤسهم غبرا) وجوههم (يراهم الناس فيظنون ان بهم داء) أي علة (وما بهم داء ويقال انهم قد خولطوا وذهبت عقولهم وماذهبت عقولهم) ولا خولطوا (ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر) جل (أذهب عنهم) حب الدنيا (فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول) أي على هيئة

من لاعقل له (عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف) أى الرتبة العالية (فى الآخرة اذا رأيتهم فى بلدة فاعلم انهم أمان لتلك البلدة ولا يعذب الله أبدا قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع وكبدك ظمآن فانك بذلك تدرك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار) هكذا رواه صاحب القوت قال العراقى الحديث بطوله رواه أحمد فى الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وفيه حبان بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده من هذا الوجه اه قلت وقد روى بعضه من حديث معاذ أخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى قلابة عن عبد الله بن عمر قال مر عمر بن الخطاب بمعاذ وهو يبكى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أحب العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم (وروى الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء) قال العراقى رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين أجيعوا أكبادكم) ولفظ القوت وفى خبر عن عيسى عليه السلام قال يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم (واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل) يعنى بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد و باب الآخرة وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفى ذلك حياة القلب وصلاحه وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق موسى بن سعيد عن مالك بن دينار قال بلغنى أن عيسى عليه السلام قال لاصحابه أجيعوا أنفسكم وأظمؤها واعروها وانصبوها لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل (وروى ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم أيضا رواه طاوس) مرسلا قال العراقى لم أجده قلت ورواه عبد الرحيم بن يحيى الاسود فى كتاب الاخلاص هكذا عن طاوس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كذا فى القوت (وقيل مكتوب فى التوراة ان الله عز وجل يبغض الحبر السمين) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق سيار حدثنا جعفر سمعت مالك بن دينار يقول قرأت فى الحكمة ان الله يبغض كل حبر سمين ورواه البيهقى فى الشعب من طريق محمد بن ذكوان عن رجل عن كعب من قوله ان الله يبغض أهل البيت اللحمين والحبر السمين قال البيهقى فى تأويل الجملة الزائدة انهم هم الذين يكثرون أكل اللحم قال وقرانه بالجملة الاخرى كالدلالة على ذلك وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وهكذا أخرجه الواحدى فى أسباب النزول وأخرجه الطبرى فى تفسيره من طريق جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير وعزاه أيضا للحسن البصرى وعند أبى نعيم فى الطب النبوى من طريق بشر الاعور قال قال عمر اياكم والبطنة الحديث وفى آخره وان الله ليبغض الحبر السمين (لان السمين يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح) مطلقا (خصوصا بالحبر) وهو العالم ونقل البيهقى عن الشافعى انه قال لا يعدو العاقل من احدى حالتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا عن المعنيين صار فى حد البهائم يعقد الشحم (ولاجله قال ابن مسعود) رضى الله عنه (ان الله يبغض القارئ السمين) ورواه صاحب القوت كذلك وفى موضع آخر من كتابه (ليمقت الحبر السمين) وعزاه أبو الليث السمرقندى فى بستانه لابى أمامة الباهلى مرفوعا قال السخاوى وما أعلمه مرفوعا (وفى خبر مرسل ان

عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم فى بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار * روى الحسن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب فى التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمين يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين من الشبع وفى خبر مرسل ان

الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش) قال العراقى تقدم فى الصيام دون الزيادة التى فى آخره وذكر المصنف هنا انه مرسل والمرسل رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة أيضا (وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص) نقله صاحب القوت وقال قد يروى فى خبر ثم ساقه قال العراقى لم أجد له أصلا (وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل فى معى واحد) بكسر الميم و بالعين المهملة مقصور وفيه لغة أخرى معى بالكسر والسكون بعدها ياء حكاها صاحب المحكم والجمع الامعاء وهى المصارين (والكافر) وفى نسخة المنافق بدل الكافر (يأكل فى سبعة أمعاء) قال العراقى متفق عليه من حديث عمر وحديث أبى هريرة اه قلت رواه البخارى من طريق مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة بلفظ يأكل المسلم فى معى واحد والكافر فى سبعة أمعاء وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر فذكر قصته وفى آخرها المؤمن يشرب فى معى واحد والكافر يشرب فى سبعة امعاء وأخرجه مسلم أيضا من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة مقتصرا على الحديث دون القصة وأخرجه البخارى والنسائى وابن ماجه من رواية عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة أن رجلا كان يأكل أكلا كثيرا فاسلم فكان يأكل أكلا قليلا فذكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء واختلف فى المراد بهذا الحديث على أقوال* أحدها قال ابن عبد البر الاشارة فيه الى كافر بعينه لا الى جنس الكفار ولا سبيل الى حمله على العموم لان المشاهدة تدفعه ألا ترى انه قد يوجد كافر أقل من مؤمن ويسلم الكافر فلا ينقص أكله ولا يزيد وفى حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه على أبى هريرة مايدل على أنه فى رجل بعينه ولذلك جعله مالك فى موطئه بعده مفسرا له وهذا عموم والمراد به الخصوص فكأنه قال هذا اذا كان كافرا كان يأكل فى سبعة أمعاء فلما آمن عوفى و بورك له فى نفسه فكفاه جزء من سبعة أجزاء ما كان يكفيه اذ كان كافرا خصوصا له فكأنه قال هذا الكافر وهذا المؤمن اه وسبقه الى ذلك الطحاوى فقال هذا الكافر مخصوص حكاه عنه ابن طاهر فى مهماته ثم اختلف فى تعيين الكافر الذى أسلم وكان وورد الحديث على أقوال أحدها انه جهجاه الغفارى رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى قال ابن بشكوال وهو الاكثر قال العراقى فى شرح الترمذى انه لا يصح لان مدار حديثه على موسى بن عبيدة الترمذى وهو ضعيف الثانى انه أبو بصرة الغفارى رواه أحمد فى مسنده باسناد صحيح وجزم به الخطيب فى مبهماته الثالث انه أبو غزوان رواه الطبرانى باسناد صحيح الرابع انه فضلة بن عمرو رواه أحمد والبزار باسناد رجاله ثقات قال العراقى وهذه قصة أخرى وليس هو المبهم فى حديث أبى هريرة الخامس انه ثمامة بن أثال السادس انه بصرة بن أبى بصرة الغفارى حكاهما القاضى عياض والنووى وحكى ابن بشكوال كونه ثمامة بن أثال عن أبى اسحق وصدر به المازرى كلامه وقال العراقى لم أجد فى طرق الحديث مايدل على هذين القولين الثانى من الاقوال ان هذا مثل ضرب للمؤمن وزهده فى الدنيا والكافر وحرصه عليها واليه أشار المصنف بقوله (أى يأكل سبعة أضعاف مايأكل المؤمن) وكان المؤمن لزهده فى الدنيا وتقلله منها يأكل فى معى واحد فليس المراد حقيقة الامعاء ولا حقيقة الاكل وانما المراد الاتساع فى الدنيا والتقلل منها فكأنه عبر بالاكل عن أخذ الدنيا و بالامعاء عن أسباب ذلك والعرب ترفع فى ذكر ضعف الشئ واضعافه الى سبعة وهذا هو القول الثالث (أو تكون شهوته) أى الكافر (سبعة أضعاف شهوته) أى المؤمن لانه غير واقف مع المقصد الشرعى وانما هو تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعة الحرام وورطته بخلاف المؤمن فان الغالب من حاله قلة الاكل لعلمه ان مقصود الشرع من الاكل مايسد الجوع ويمسك الرمق ويقوى على عبادة الله تعالى وخوفه من حساب الزيادة على ذلك فصار أكله اذا نسب لاكل الكافر كأنه سبعه

الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء أى يأكل سبعة أضعاف مايأكل المؤمن أوتكون شهوته سبعة اضعاف شهوته

وهذا هو القول الرابع (ويكون المعنى) على هذا القول (كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد امعاء المنافق على امعاء المؤمن) وهذا القول اختيار سهل التسترى رحمه الله تعالى كأنه قال المنافق يأكل في سبعة أمعاء شره وطمع وشهوة وحرص ورغبة وغفلة وعادة فهو يأكل بهذه المعاني والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد ولكن ليس ذلك أمرا مطردا في حق كل مسلم وكافر فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيرا بحسب العادة أو لعارض ويكون في الكفار من يعتاد قلة الاكل اما لمراعاة الصحة كالاطباء أو للتقلل كالرهبان أو لضعف المعدة وحينئذ فهذا خرج مخرج الغالب والسبع على سبيل التقريب دون التحديد * القول الخامس ان هذا تحضيض للمؤمنين على قلة الاكل اذا علموا ان هذه صفة المؤمن الكامل الايمان وتنفير من كثرة الاكل اذا علموا ان هذه من صفة الكفار فان نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر وهذا كما قال تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم * القول السادس ان المراد به ان المؤمن يسمى الله تعالى عند طعامه فلا يشركه الشيطان فيه فيقل أكله لذلك والكافر لا يسمى الله فيشاركه الشيطان فيه وفي صحيح مسلم ان الشيطان ليستحل الطعام ان لم يذكر اسم الله عليه * القول السابع ان المراد بالمؤمن هنا تام الايمان المعرض عن الشهوات المقتصر على سد خلته والمراد بالكافر المتعدي في طغيانه المنهمك على الدنيا الشديد الاعراض عن الآخرة فاريد مؤمن بوصف مخصوص وكافر بوصف مخصوص * القول الثامن قال النووي المختار ان معناه بعض المؤمنين يأكل في معى واحد وان أكثر الكفار يأكلون في سبعة أمعاء ولا يلزم ان كل واحد من السبعة مثل معى المؤمن * (تنبيه) * اختلف في المراد بالامعاء السبعة فحكى القاضي عياض عن أهل الطب والتشريح ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها متصلة بها البواب والصائم والرقيق وهي كلها رقاق ثم ثلاثة غلاظ الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر قال فيكون على هذا موافقا لما قاله صلى الله عليه وسلم ان الكافر المذكور وان كان بعينه أو بعض الكفار أو من يأكل منهم بشرهه وجشعه ولا يذكر اسم الله تعالى على أكله لا يشبعه الا ملء امعائه السبعة كالانعام وآكلة الخضر والمؤمن المقتصد في أكله يشبعه ملء معى واحد قال وقيل المراد بالسبعة صفات سبعة الحرص والشره وبعد الامل والطمع وسوء الطبع والحسد وحب السمن قال وقيل شهوات الطعام على سبعة شهوة الطبع وشهوة النفس وشهوة العين وشهوة الفم وشهوة الاذن وشهوة الانف وشهوة الجوع وهي الضرورية التي بها يأكل المؤمن وأما الكافر فانه يأكل بجميع شهواته وحكى القاضي أبو بكر بن العربي تمر يامن هذا القول عن بعض مشايخ الزهد فذكر الحواس الخمس والحاجة والشهوة (وروى) الحسن البصري (عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادمنوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف ندمن قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ) كذا في القوت قال العراقي لم أقف له على أصل (وروى أن أبا جحيفة) وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مراهق (تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا) ولفظ القوت وفي حديث أبي جحيفة لما تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثريد ولحم قال كنت أكلته فقال له اكفف عنا جشاءك فان أطولكم شبعا في الدنيا أكثركم جوعا في الآخرة فقال والله ما ملأت طعاما منذ يومئذ الى يومي هذا وأرجو أن يعصمني الله عز وجل فيما بقي اه قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة اه قلت وأخرجه البزار أيضا من حديث أبي جحيفة بلفظ ان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة قال الحافظ ابن حجر وسنده ضعيف وحديث ابن عمر عند ابن ماجه في سنده مقال (وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أدمنوا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف ندمن قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروى ان أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب الى من أن ينقص حظي غدا في الآخرة ومامن شئ أحب الى من اللحوق بأصحابي واخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن أنس قال جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ماأشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة وقال لقمان لابنه يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شئ تخافين أتخافين أن تجوعي لاتخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس

لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحيي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب الى من أن ينقص حظي غدا في الآخرة ومامن شئ أحب الى من اللحوق بأصحابي واخواني قالت فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه) قال العراقي لم أجده قلت وهو أشبه بمخاطبة عمر رضي الله عنه مع ابنته حفصة حين لامت عليه في خشونة العيش أورده الذهبي في نعم السمر في سيرة عمر (وعن أنس) رضي الله عنه (قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة قالت قرص خبزته لم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فقال اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام) قال العراقي رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف اهـ قلت أخرجه القشيري في الرسالة فقال أخبرنا علي بن أحمد الاهوازي أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا عبد الله بن أيوب حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك انه حدثه قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز فساقه قال وفي بعض الروايات جاءت فاطمة بقرص شعير (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا) رواه مسلم وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملآى) أي الذين يملؤن بطونهم من الطعام حتى يتخمون والتخمة فساد الطعام في المعدة (وماترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة) [illegible] مراقي رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ ولفظ الطبراني ان أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة قال المنذري اسناده حسن وقال الهيثمي فيه يحيى بن سليمان القرشي فيه مقال وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان بلفظ ان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم يوم القيامة جوعا قال الحافظ بن حجر في سنده لين وقد أخرجه ابن ماجه أيضا من حديث ابن عمر بنحوه وقد تقدم عند ذكر حديث أبي جحيفة وتقدم عن كعب ان الله يبغض أهل البيت اللحمين أخرجه البيهقي في الشعب وهم المكثرون في أكل اللحم حتى يتخموا (وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات) أخرجه أبو نعيم في كتاب الطب النبوي من طريق بشر الاعور قال قال عمر بن الخطاب اياكم والبطنة في الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد مورثة للفشل مكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد فيهما فانه أصلح للجسد وأبعد من السرف وقد روي عن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة البطنة تذهب بالفطنة (وقال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة) يشير بذلك الى أن الخلوة والجوع ركنان عظيمان لاساس العبادة ولاتتم الا بهما وفيهما سجن النفس وضيقها ويتبع الخلوة الصمت ويتبع الجوع السهر فهي أركان أربعة (وقال لقمان لابنه) وهو يعظه (يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة) أي تكاسلت (وكان الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (يقول) مخاطبا لنفسه (أي شئ تخافين أتخافين أن تجوعي لاتخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وكان كهمس) بن الحسن العابد معاصر للحسن البصري روى عن جماهير التابعين

يقول الهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول
الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك

(يقول الهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني) نقله صاحب القوت (وكان فتح) بن شخرف (الموصلي) رحمه الله تعالى (اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي) نقله صاحب القوت (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (قلت لمحمد بن واسع) البصري (يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلية تقوته وتغنيه عن الناس فقال يا أبا يحيى طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا وهو عن ربه راض) نقله صاحب القوت (وكان الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يقول الهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك) نقله صاحب القوت (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (جوع الراغبين منبهة) أي مما يحمل على النباهة أي الشرف والرفعة (وجوع التائبين تجربة) بتعود أنفسهم اياه واستئناسهم به (وجوع المجتهدين) في العبادة (كرامة) يكرمهم الله تعالى بها ليشغلهم بمناجاته (وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة) أخرجه القشيري في الرسالة بلفظ الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللعارفين مكرمة وقد علم من هذا ان الجوع لا يستغني عنه مريد متفرغ للطاعة ولا تائب عن الذنب ولا زاهد قد أعرض عن الدنيا ولا عارف كل شغله بالمولى (وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية (الداراني) رحمه الله تعالى (لأن أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصبح) أخرجه القشيري في الرسالة فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد ابن سعيد الرازي يقول سمعت العباس يقول قال أحمد بن الحواري قال أبو سليمان الداراني لأن أترك من عشائي لقمة أحب الي من أن أقوم الليل الى آخره أي ان حال العبد مع الجوع في عبادته بعض الليل أقرب الى الخشوع من قيامه وهو شبعان كل الليل (وقال) الداراني أيضا (الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن أحبه) نقله صاحب القوت (وكان) أبو محمد (سهل) بن عبد الله (التستري) رحمه الله تعالى (يطوي نيفا وعشرين ليلة لا يأكل) وعبارة القوت وقيل كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام الا في خمسة عشر يوما فاذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح (وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم) واحد يشتري له به الشعير فيطحن ويقرص وكان يأكل كل يوم منه أوقية كما تقدم ذلك قريبا (وكان يعظم) شأن (الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله) والمراد بفضول الطعام ما زاد عن اقامة الصلب لعبادة الله تعالى (وقال) أيضا (لم ير الأكياس) أي العقلاء (شيئا أنفع من الجوع في الدنيا والدين وقال) أيضا (لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل) أي لما زاد عن الحاجة (وقال) أيضا (وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع) لأن العبد اذا شبع تحركت شهواته واذا جاع ذل وفترت همته عن كثير من الأمور الدنيوية وتفرغ القلب للاجتهاد في الطاعات وناله العلم والحكمة قال القشيري في الرسالة أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله حدثنا علي بن الحسن الارجاني حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الاصطخري بمكة قال قال سهل بن عبد الله لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) أيضا (ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد قال في الحديث) الذي تقدم ذكره قريبا (ثلث للطعام) وثلث للشراب وثلث للنفس (فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل) سهل (عن الزيادة) ما علامتها (فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الأكل ويكون

ابن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلية تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوما ولا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير
الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة
والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الأكل ويكون

اذا

اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ماصار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا أن هذا زمان لا ينال

أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ماص على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأى قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله تعالى ماصافى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المكى مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال أبو بكر ابن عبد الله المزنى ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة واذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك ياولى الله أدع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان اذا خطر لى شئ أكلته من غير فكر وخاطر وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين يوما

اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال) سهل أيضا (ماصار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة) وهى الاركان الاربعة التى أسست عليها الارادة ولفظ القوت وقال سهل رحمه الله تعالى اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس (وقال) أيضا (رأس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال) أيضا (من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس) أى لان الشيطان تضيق مجاريه الى القلب فلا يقدر على أن يوسوس (وقال) أيضا (اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء نعمة من الله تعالى) عليه اذ لولا انه اختاره لما بلاه (وقال) أيضا (اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه) الامارة بالسوء (وقتلها بالجوع والسهر والجهد) فى طاعات الله عز وجل (وقال) أيضا (ما على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام) هذه الاقوال كلها لسهل رحمه الله تعالى وزاد صاحب القوت فقال وقال سهل من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق هذا الامر (وسئل حكيم) من الحكماء (بأى قيد تقيد النفس) وفى بعض النسخ أقيد النفس (قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخماد العز وترك الذكر وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى الاغنياء) أى هيئتهم (وانج من آفاتها بدوام ظن السوء بها واصحبها بخلاف هواها) أى بمخالفة ما تهواه (وكان عبد الواحد بن زيد) البصرى رحمه الله تعالى (يقسم بالله تعالى ماصافى الله تعالى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الهواء والماء ولا طويت لهم الارض ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع) وكان بعد الاخلاق الشريفة السنية المحمودة ويحلف انهم ما نالوها الا بالجوع رواه صاحب القوت فقال حدثنى محمد الجهضمى عن أحمد بن شاكر قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول سمعت الثقات من العلماء يقولون عن عبد الواحد بن زيد فذكره وقال فى موضع آخر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول الصديقون الا بالجوع والسهر (وقال أبو طالب المكى) رحمه الله تعالى فى كتابه القوت (مثل البطن مثل المزهر) بكسر الميم (وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ) ولو كان ثقيلا جاسيا ممتلئا لم يكن له صوت (وكذلك الجوف اذا خلا عن الطعام والشراب كان) أرق للقلب و(أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال بكر بن عبد الله المزنى) البصرى رحمه الله تعالى (ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة) أى فى عبادة الله تعالى (لانها) لاتحصل الا بجهد ومشقة (وروى ان عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل) شيأ (فخطر بباله) فى أثناء مناجاته (الخبز فانقطع عن) أنس (المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى لفقد) أنس (المناجاة واذا بشيخ قد أظله) أى أشرف عليه (فقال له عيسى ياولى الله أدع الله لى فانى كنت فى حالة) المناجاة (فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى) تلك الحالة (فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم ان الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفرلى و) روى (ان موسى عليه السلام لما قربه) الله (نجيا) أى فى مقام المناجاة (كان قد ترك الاكل أربعين يوما) وفى القوت روينا عن أبى سعيد الخراز قال قال جماعة من الحكماء ان الله تعالى لا يكلم أحدا وفى بطنه شئ من الدنيا فهذا يدل على أمره لموسى عليه السلام بترك الاكل ليلقاه خاليا من الدنيا وبنفس ساكنة عن المنازعة الى شئ من الملك وروح روحانية قد أحياها الحق بحياته فعند ذلك صلح هذا الشخص

ثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لانه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك *(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي أن يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه

لخاطبته قبلا بلا ترجمان وروي عن مكحول قال ثلاث خصال يحبها الله عز وجل قلة الاكل وقلة النوم وقلة الكلام وكان بعض السلف يقول أدنى أحوال المؤمن قلة الاكل والنوم وأفضل أحوال المنافق كثرة الاكل والنوم وقال القشيري في الرسالة قال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة اذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره وقال أيضا الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحراق ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبها وكان سهل التستري اذا جاع قوي واذا أكل ضعف وقال ابو عثمان المغربي الرباني لا يأكل أربعين يوما والصمداني لا يأكل ثمانين يوما

(بيان آفات الشبع وفوائد الجوع)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك) كأجر المجاهد في سبيل الله تقدم هذا الحديث قريبا قال العراقي لم أجد له أصلا (ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة) بتخليتها عن الطعام والشراب (ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي أن يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه لحمه وتناوله للاشياء المكروهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لمرارة الدواء أو كراهته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط) نشأ من غفلة (بل نفعه في خاصية من الدواء) قائمة به (وليس لكونه مرا) أو كريها (وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء) الحذاق (وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء) ونقادهم (ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع) وذم الشبع (انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم) المضاعفة بسبعين درجة كما في الخبر وتقدم في كتاب العلم قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد الفائدة الاولى صفاء القلب) وهو بياضه الذي يحصل من قلة امداد الدم الواصل من العروق (وايقاد القريحة) أي تنورها والقريحة هي الطبيعة من حيث صدور العلم عنها (وانفاذ البصيرة) أي امضاؤها (فان الشبع يورث البلادة) والجمود (ويعمي القلب) بتراكم الحجب عليه (ويكثر البخار في الدماغ) بصعوده من المعدة اليه (فيثقل القلب بسببه عن الجريان في) ميدان (الافكار وعن سرعة الادراك) لما يلقى اليه (بل الصبي اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك) لما يلقى اليه كما هو مشاهد (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي) أراد به العلم الذي يأتي من فوق من غير اكتساب (وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق) قال العراقي لم أجد له أصلا قلت لكن مقابل الجملة الاولى قد رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة كثرة الضحك تميت القلب وعند ابن ماجه لا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلوب وسيأتي في الكتاب الذي يليه (وقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر) الاشبه ان هذا من كلام أبي سليمان الداراني وليس بحديث (وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه)

قال

وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا للباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه و بينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال أبو سليمان الداراني أحلى ما تكون الى العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه و بين صدره مخلاة من الطعام و يريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل و زوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع فعنده

قال العراقي لم أجد له أصلا (وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه) أي غلظ واشتد ثم (قال) صلى الله عليه وسلم (لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم واسناده ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك البيهقي ورواه أيضا الطبراني وابن عدي والبيهقي أيضا من حديث سهل بن سعد وأما الجملة الاولى من الحديث فلم أقف لها على أصل (وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة) أي العلم الالهي (والعبرة) أي الاعتبار (ما رأيته قط) قبل ذلك (وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى) مقام (المعرفة) في الله (والاستبصار بحقائق الحق) كما هي (والشبع يمنع) ذلك لما فيه من تبليد الفكر (والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة) المشار اليه في الخبر السابق أديموا قرع باب الجنة (ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة) وقد تقدم قريبا (وقال أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة) أي كما يمطر السحاب الماء (وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله تعالى الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم ولا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح) قال العراقي ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه انه مسند وهي علامة ما رواه باسناده اهـ قلت ورواه أيضا ابن عساكر في التاريخ بلفظ نور الحكمة الجوع ورأس الدين ترك الدنيا والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم والبعد من الله الذي يقوى به على المعاصي الشبع فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة من صدوركم فان الحكمة تسطع في القلب مثل السراج (الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي يتهيأ به لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر) أي انتقاشه فيه (فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب) لما يذكر وفهم معانيه (لكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر) منه لفوات موجب الاستعداد الذي هو الرقة والصفاء الحاصلان من الجوع (حتى كأن بينه) أي بين القلب (وبينه) أي بين أثر الذكر (حجابا من قساوة القلب) وهو حجاب معنوي (وقد يرق في بعض الاحوال) والاحيان (فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة) فيكون لها فيه وقع عظيم (وخلو المعدة) عن الطعام والشراب (هو السبب الاظهر فيه) أي في رقته (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (أحلى ما تكون لي العبادة اذا التصق ظهري ببطني) هو اشارة الى ما ذكر من وجدان التلذذ في تلك الحالة والتصاق الظهر بالبطن كناية عن قلة الاكل (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (يجعل أحدهم بينه و بين صدره مخلاة من الطعام و يريد أن يجد حلاوة المناجاة) نقله صاحب القوت بلفظ يقوم أحدهم في صلاته فيجعل بينه و بين الله زنبيل طعام و يريد أن يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ) فغلظ القلب وعماه انما يكون من الشبع (فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة) فهي فائدة ثانية (الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان) والتعدي عن الحدود (والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع) فان فيه اماتتها واستكانتها وضعفها وفي ذلك حياة القلب (فعنده) تطمئن

تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تأخرت عنها
ومالم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين
العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج

باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر (الفائدة الرابعة) أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهيج الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة

بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذي كسر
اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الارض فقال أخاف أن
أشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل
والشبعان في غفلة عن ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهي من أكبر الفوائد

(وتسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها) وافتقارها (اذا ضعفت منتها) بضم الميم أي قوتها (وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تأخرت عنها ومالم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره) وبه فسر الخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه أي من عرف نفسه بالذل والافتقار عرف ربه بالعز والاقتهار (وانما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز) والانكسار (و) مراقبا (ربه بعين العز والقدرة والقهر) ومن أراد الرقي الى هذا المقام (فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق) بنور عرفاني يقذفه الحق في قلبه (ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت صبرت واذا شبعت شكرت أو كما قال) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة بلفظ عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكني أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق) على نفسه (بابا من أبواب النار فقد فتح) لها (بابا من أبواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر) كما هو شأن المتقابلين (الفائدة الرابعة أن لا ينسى بلاء الله وعذابه) وامتحانه (ولا ينسى أهل البلاء) والامتحان (فان الشبعان ينسى الجائع والجوع) وفي المشهور على ألسنة العامة الشبعان يفت للجيعان فتا بطيئا (والعبد الفطن) المتبصر بنور الايمان (لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة) حين تدنو الشمس من الرؤس ويلجمهم العرق (ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون) فيها (فيطعمون الضريع) الذي لا يسمن ولا يغني من الجوع وهو يبيس الشبرق (والزقوم) الغسلين (ويسقون) فيها من عين آنية (الغساق والمهل) وكل ذلك مذكور في القرآن (فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها وشدائدها فانه الذي يهيج الخوف) ويثيره في قلبه (فمن لم يكن في ذلة) بين أبناء جنسه (ولا علة) في بدنه (ولا قلة) في ماله وجاهه (نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه) خياله (ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء) في نفسه (أو مشاهدة بلاء) من غيره (وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة) أي كثيرة (سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل) كما ورد في الخبر نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعني أقرب شبها بنا فالاقرب فرفع أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان به صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل (ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك) أي في قبضتك وملكك (خزائن الارض) من الذخائر وغيرها (فقال أخاف أن أشبع فانسى الجائع) نقله صاحب القوت (فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة) والبر (والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل) تعظيما لامره تعالى (والشبعان في غفلة من ألم الجائع) لا يدري عنه ولا يذكره على لسانه ولا يخطر بباله في قلبه (الفائدة الخامسة وهي من أكبر الفوائد) وأجمعها

كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لامحالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه والشقاوة فى أن تملكه نفسه وكما انك لاتملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم مابالك مع كبرك لاتتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف أن يجمح بى فيورطنى فلأن أحمله على الشدائد أحب الى من أن يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ماشبعت قط الا عصيت أوهممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لايتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لامحالة باعراض الناس ولايكب الناس فى النار على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم * وأما شهوة الفرج فلاتخفى غائلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزنى كما أن الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ماتتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لايخلط به شيأ من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

(كسر شهوات) باعثة على (المعاصى كلها) جليلها وحقيرها (والاستيلاء) أى الغلبة (على النفس الامارة بالسوء) بقمع حدتها (فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لامحالة الاطعمة) الواصلة آثارها اليها (فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة) ويبطل عملها (وانما السعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه) فيصرفها فى الخير كيف يشاء كما أن الشقاوة كلها فى ان تملكه نفسه فتحمله فى المعاصى حيث شاءت (وكما انك لاتملك الدابة الجموح) الصعبة المراس (الا بضعف الجوع) أى اذا أضعفتها بقلة العلف (فاذا شبعت قويت وشردت) عنك (وجمحت) عليك (فكذلك النفس) هى بمنزلة مطيتك ان أشبعتها قويت عليك وان أضعفتها بالجوع لانت وانقادت ولله در البوصيرى حيث قال

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقال غيره

فانك مهما تعط فرجك سؤله * وبطنك نالا منتهى الذم أجمعا

(كما قيل لبعضهم مابالك مع كبرك) أى طعنك فى السن (لاتتعاهد بدنك) بان تراعيه من جهة المأكل والمشرب والاستحمام (فقال) لاأتعاهده (لانه سريع المرح) أى النشاط (فاحش الاشر فاخاف أن يجمح بى فيورطنى) أى يوقعنى فى ورطة المعاصى (فلان أحمله على الشدائد أحب الى من أن يحملنى على الفواحش) فيهلكنى (وقال ذو النون) المصرى رحمه الله تعالى (ماشبعت قط الا عصيت) بالفعل (أو هممت بمعصية) نقله صاحب القوت (وقالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا) ولفظ القوت وقال بعض الصحابة أول بدعة الخ وفيه جمحت بهم شهواتهم (وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزانة الفوائد) باعتبار جمعها وضمها ماانتشر من الفوائد كما ان الخزانة تجمع أصناف الاموال النفيسة (ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى) قد جمع الله فيها كل خير (وأول مايندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لاتتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص من آفات اللسان) كلها (كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها) مما سيأتى ذكرها فى الكتاب الذى يليه (فيمنعه الجوع من كل ذلك) ويقطع مادته (واذا شبع افتقر الى فاكهة) أى تاقت نفسه اليها (فيتفكه لامحالة باعراض الناس ولايكب الناس فى النار على مناخرهم) ووجوهم (الاحصائد ألسنتهم) كما فى حديث معاذ وسيأتى (وأما شهوة الفرج فلاتخفى غائلتها والجوع يكفى شرها) فلاتنبعث (واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى) عن ذلك (فلا يملك عينه فالعين تزنى كما ان الفرج يزنى) ففى الخبر زنا العينين النظر (فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب الشهوة ماتتشوش به مناجاته) وتختل (وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة) التى هى معراج المؤمن ومحل مناجاته (وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم) من الحكماء (كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت) أى الخالص وحده (سنة) كاملة لايتخللها مايضاد (لايخلط به شيأ من الشهوات) من أنواع الادامات (ويأكل فى نصف بطنه) أى من غير شبع وانما هو بقدر سد الرمق (رفع الله عنه مؤنة النساء) أى فحينئذ تموت شهوته ولا يريدهن حراما أو حلالا

(الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد و بلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لاتخفى وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم و يمنعه ذلك أيضا من التهجد و يحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام و ربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردداه الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السرى رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا قال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على

وقته

(الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع) من الطعام (شرب كثيرا) فان حرارة الطعام فى المعدة تستدعى ذلك (ومن كثر شربه) ارتخت عروقه (وكثر نومه) وخدت أعضاؤه (ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) ولفظ القوت وقيل كان شباب فى بنى اسرائيل يتعبدون وكانوا اذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يامعشر المريدين الخ (وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب) نقله صاحب القوت (وفى كثرة النوم ضياع العمر) قال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء صف لى شيأ أستعمله حتى أكون أنام النهار فقال ياهذا ما أضعف عقلك ان نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة أرباعه نوما وربعه حياة قال وكيف قال أنت اذا عشت أربعين سنة فانما هى عشرون سنة أفتريد أن تجعلها عشر سنين (و) فى كثرة النوم (فوت التهجد) وهو صلاة آخر الليل (و بلادة الطبع وقساوة القلب) وطول الغفلة ونقصان الفطنة وفى هذه الاشياء الفوت وفى الفوت الحسرة بعد الموت (والعمر أنفس الجواهر) وأغلاها (وهو رأس مال العبد فيه يتجر) وبه يربح (والنوم موت) مجازى (فتكثيره ينقص من العمر) كما تقدم ذلك من قول الحكيم (ثم فضيلة التهجد لاتخفى) قد أثنى الله على المتهجدين فى كتابه و وردت به الاخبار والآثار على ماتقدم فى كتاب ترتيب الاوراد (وفى النوم فواتها) أى تلك الفضيلة (ومهما غلب النوم فان) وفقه الله للقيام (وتهجد لم يجد حلاوة العبادة) لما عنده من شواغل الغلبة (ثم المتعزب) من المريدين (اذا نام على الشبع احتلم و يمنعه ذلك أيضا من التهجد و يحوجه الى الغسل بالماء البارد فيتأذى به فلا يجد حلاوة العبادة أيضا أو يحتاج الى الحمام و ربما لا يقدر عليه بالليل) فانهم مايفتحونه الا قرب الفجر (فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام) أى كلفته و ربما لا يوجد عنده من أجرته (و ربما تقع عينه على عورة من دخل الحمام فان فيه اخطارا كثيرة ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (الاحتلام عقوبة) نقله صاحب القوت (وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة) و يعيق عنها (لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم) اذا (منبع الآفات والشبع مجلبة له) أى يحمله على الجلب له (والجوع مقطعة له) أى يحمله على قطعه (الفائدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة) أى تسهيل المداومة عليها (فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان فى شراء الطعام وطبخه) واحتياج الى آلات ذلك (ثم يحتاج الى غسل اليد و) استعمال (الخلال) فى أسنانه ليخرج فضول الطعام منها (ثم يكثر تردداه الى بيت الماء لكثرة شربه) وامتلاء معدته (والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه) وعظم أجره (قال السرى) السقطى رحمه الله تعالى (رأيت لعلى ابن ابراهيم (الجرجانى سويقا يستف منه فقلت) له (وما دعاك الى هذا فقال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز أربعين سنة) أى كيلا يضيع وقته بالمضغ وقد وقع مثل ذلك لداود الطائى فقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق اسمعيل بن الريان قال قيل لداود الطائى ماتشتهى الخبز قال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ومن طريق عامر بن اسمعيل الاخمسى قال قلت لداود الطائى بلغنى انك تأكل الخبز اليابس تطلب به الخشونة فقال سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس و بين اللين فاذا هو قراءة مائتى آية ولكن ليس ٧ من محرفة بمايبس على (فانظر كيف أشفق على

وقته ولم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة مايتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار أبو سليمان الدارانى الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لايخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصى واقتحام الشهوات وفى الجوع مايمنع ذلك كله حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه فقال الهندى الدواء الذى لاداء فيه عندى هو الهليلج الاسود وقال العراقى هو حب الرشاد الابيض وقال الرومى هو عندى الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء قال فما عندك فقال الدواء الذى لاداء معه عندى أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقال صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس

وقته ولم يضيعه فى المضغ) ومحافظة الوقت عندهم أمر أكيد (وكل نفس من) أنفاس (العمر جوهرة نفيسة لاقيمة له) ولذلك قالوا تضييع الوقت يورث المقت (فينبغى أن يستوفى منها خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته) ولايدعه يذهب مجانا (ومن جملة مايتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج) منه كل ساعة (لكثرة شرب الماء واراقته) ضرورة (ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع) ويسهل عليه (فالصوم ودوام الاعتكاف) فى المسجد (ودوام الطهارة وصرف أوقات شغل الاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة) لايحصى مقدارها الا الذى وفقه الله لها (وانما يستحقرها الغافلون الذين لايعرفون قدر الدين لكن) هم كما قال الله تعالى فيهم (رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (الى ست آفات فى الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات) الاولى (فقد حلاوة المناجاة و) الثانية (تعذر حفظ الحكمة الالهية و) الثالثة (حرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع و) الرابعة (ثقل العبادة) على البدن (و) الخامسة (زيادة الشهوات و) السادسة (ان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد) للاعتكاف والعبادة (والشباع يدورون حول المزابل) و بيوت الماء لاخلاء المعدة (الفائدة الثامنة يستفيد) المريد (من قلة الاكل صحة البدن) واستقامته (ودفع الامراض) عنه (فان سببها) أى الامراض (كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق) كما قال الشاعر

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

(ثم المرض يمنع من العبادات) أى من أدائها على الوجه المشروع (ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة) عند تبوغ الدم (والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات) فمنها مايصرف الى الادوية ومنها مايصرف الى الطبيب الذى يصفها (لايخلو الانسان منها بعد) تحمل (التعب من أنواع المعاصى واقتحام الشهوات وارتكاب الاخطار وفى الجوع مايمنع ذلك كله) بلامشقة (وحكى) فى أخبار الخلفاء (ان) هرون (الرشيد) أيام خلافته (جمع أربعة أطباء هندى و رومى وعراقى وسوادى) أى من سواد العراق وكل منهم ماهر فى فنه (وقال) لهم (ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه فقال) الطبيب (الهندى الدواء الذى لاداء فيه عندى هو الهليلج الاسود) المعروف بالكابلى (وقال) الطبيب (الرومى هو عندى حب الرشاد الابيض وقال) الطبيب (العراقى هو عندى الماء الحار فقال) الطبيب (السوادى وكان أعلمهم الاهليلج) فيه انه (يعفص المعدة) لما فيه من العفوصة والقبض (وهذا داء وحب الرشاد) الابيض فيه انه (يزلق المعدة) ولفظ القوت يرقق المعدة (وهذا داء والماء الحار) فيه انه (يرخى المعدة وهذا داء فقال) الرشيد (ماعندك فقال الدواء الذى لاداء معه عندى أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك) عنه (وأنت تشتهيه فقال صدقت) نقله صاحب القوت وهو فى كتاب أخبار الخلفاء لابن أبى الدنيا (وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس) وقد تقدم بلفظ حسب ابن آدم لقيمات

يقمن صلبه وان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (فتعجب منه) الحكيم واستحسنه (وقال ما سمعت كلاما فى قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم) ثم قال جهدت الاطباء من الفلاسفة أن يقولوا مثل هذا فى التقلل من الاكل فلم يهتدوا اليه فاكثر ماقالوا لاتقعد على طعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه ومنهم من قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وبعضهم يقول لاتأكل الابعد جوع مفرط ولاتشبع شديدا وان كان مرادهم هذا المعنى الذى ذكره نبيكم صلى الله عليه وسلم هكذا أورده صاحب القوت وقد نبه صلى الله عليه وسلم فى الخبر السابق المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء انه لايستحب للانسان الا الاكل فى سبع بطنه وهو ماذكره فى هذا الخبر من اللقيمات وذلك دون عشر لقم لان الجمع بالالف والتاء لما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم أن يبلغ الى ثلث بطنه فحصل من ذلك ان أكل المؤمن فى اليوم ينبغى أن يكون فى سبع بطنه أو ثلث بطنه (وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسد ما اعتاد) قال العراقى لم أجد له أصلا اه قلت رواه الخلال من حديث عائشة بلفظ الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد وقيل الحمية رأس الدواء من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من طريق وهب بن منبه قال أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية وأجمعت الحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وبخط الحافظ ابن حجر الجملة الاولى من الحديث لها أصل من حديث أوله أصل كل داء البردة والبردة محركة هى التخمة قاله الجوهرى وهو حديث ضعيف رواه ابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الطب النبوى اه ماوجد بخطه قلت هذا الحديث أعنى أصل كل داء البردة رواه أيضا المستغفرى فى الطب النبوى والدارقطنى فى العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصرى عن أنس رفعه بهذا وتمام ضعفه الدارقطنى وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابى نعيم أيضا من حديث ابن المبارك عن السائب ابن عبد الله عن على بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله ومن طريق عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رفعه أصل كل داء من البردة ومفرداتها ضعيفة وقد ذكر الدارقطنى عقب حديث أنس ما لفظه وقد رواه عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو أشبه بالصواب وجعله الزمخشرى فى الفائق من كلام ابن مسعود (وأظن تعجب الطبيب) المذكور وانما (جرى من) سماع (هذا الخبر لامن ذلك) فقد قال ابن زكريا المتطبب ماترك صلى الله عليه وسلم فى الطب شيأ الا أتى به فى هذه الكلمات الثلاثة نقله الراغب فى الذريعة (وقال) أبو الحسن على (بن سالم) البصرى شيخ صاحب القوت (من أكل خبز الحنطة بحتا) أى وحده بلاادام (بادب لم يعتل الاعلة الموت قيل وما الادب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع) نقله صاحب القوت قال والاصل فى هذا ان العلل داخلة على الاجسام من اختلاف نبات الارض وان المعدة مركبة على طبائع أربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكذلك منابت الارض على هذه الطبائع فاذا أكثر من اختلاف منابتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الرطوبة واليبوسة فزاد بعض على بعض وقوى وضعف عن مثله فكانت الامراض من ذلك لان كل مأكول من نبات الارض يعمل فى وصف من معانى الجسم وان الحنطة مخالفة لسائر نبات الارض لانها معتدلة فى الطبائع الاربع كاعتدال الماء فى سائر الاشربة وقال بعض الاطباء كل من الخبز بحتا فانه لايضرك وقال غيره أكل الخبز يابسا وحده خير من أكله مع الادم الضار (وقال بعض أفاضل الاطباء فى ذم الاستكثار) من الاكل (أنفع ماأدخل الرجل بطنه الرمان) فانه باسره جيد الكيموس قليل الغذاء وفى جميع أصنافه حتى الحامض جلاء مع القبض (وأضر ماأدخل معدته الملح) لانه يحرق الدم ويضعف البصر ويضر الدماغ والرئة ويقلل المنى ويورث الجرب والحكة (ولان يقلل من الملح خيرله من أن يستكثر من الرمان) فان القليل من المضر ربما لايضر والكثير من النافع ربما يضر ولفظ القوت

فتعجب منه وقال ماسمعت كلاما فى قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الاعلة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الاطباء فى ذم الاستكثار ان أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الملح ولان يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان

وفى الحديث صوموا تصحوا ففى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما (الفائدة التاسعة) خفة المؤنة فان من تعوّد قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعوّد الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمد أعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء انى لاقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك أروح لقلبى وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيرى لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى خير غريم لى وكان ابراهيم ابن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم فى ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شئ فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أدعوا اقرعوا باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عزوجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لامحالة (الفائدة العاشرة) أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كان

المسالح فى الموضعين (وفى الحديث صوموا تصحوا) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف اهـ قلت هكذا رواه أبو نعيم مقتصرا فى كتابه المذكور ورواه فى موضع آخر منه بلفظ اغزوا تغنموا وسافروا تصحوا ورواه أحمد بلفظ سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا وهو عند الطبرانى بلفظ اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا ورواه ابن بخيت فى جزئه بلفظ سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا (وفى الصوم الجوع) ومن هنا اشتهر على ألسنة العامة جوعوا تصحوا ومعناه صحيح لكنه ليس بحديث (وفى تقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام) والامراض (وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما الفائدة التاسعة خفة المؤنة) للمريد (فان من تعوّد قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير) أى قليل (والذى تعوّد بالشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم) وهو كناية عن تملكه منه بالكلية كما يتمكن الآخذ بمخنق الانسان وهو موضع خنقه (فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج أن يدخل المداخل) من حيث اتفق (فيكتسب من الحرام فيعصى) الله تعالى (أو من الحلال فيذل ويتعب) وقد نهى عن اذلال المؤمن نفسه (وربما احتاج الى أن يمد أعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة) أى الحقارة (والمؤمن) من شأنه أن يكون (خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء انى لاقضى عامة حوائجى بالترك) فاذا تركتها فكأنى قضيتها (فيكون ذلك أروح لقلبى) وفى نسخة لنفسى فان الاضطراب انما يحصل بالتطلع (وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيرى لشهوة) اقضيها (أو زيادة) أدخرها (استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهو خير غريم لى) فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس هكذا عادة كما كان الاكل والاخذ عادة كذا فى القوت (وكان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك) وكان ينشد

فاذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (الاكول مذموم فى ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادة فيكسل) ويضعف (وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شئ) من الفيض من غير كسب (فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا) وتواثبهم عليها (وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج البطن) لانه هو الذى يجرها (وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها) ويسدها (وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أدعوا قرع باب الجنة بالجوع) تقدم هذا الحديث وان العراقى قال لم أقف له على أصل (فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات ايضا وصار حرا) غير مستعبد ولا مستذل (واستغنى عن الناس واستراح من التعب) والمشقة (وتخلى لعبادة الله) عزوجل فى آناء الليل وأطراف النهار (وتجارة الآخرة) من العبادة والزهد والقناعة (فيكون من الذين قال) الله فى حقهم رجال (لا تلهيهم) أى لا تشغلهم (تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم تلك لاستغنائهم عنها بالقناعة) ولو اتجروا (وأما المحتاج فتلهيه لامحالة الفائدة العاشرة أن يتمكن المريد من الايثار) على اخوانه بما فضل من المال (والصدقة بما فضل) من الاطعمة (على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته كما ورد الخبر به) وهو ما رواه الحاكم من حديث عقبة بن عمر كل امرئ فى ظل صدقته وقد تقدم فى كتاب الزكاة (وما يأكله

بخزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات
الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن
يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التى

زينها بالنجوم وحملة
العرش العظيم فقال لها
سبحانه وتعالى هل تحملين
الامانة بما فيها قالت وما فيها
قال ان أحسنت جوزيت
وان أسأت عوقبت فقالت
لا ثم عرضها كذلك على
الارض فأبت ثم عرضها
على الجبال الشم الشوامخ
الصلاب الصعاب فقال لها
هل تحملين الامانة بما فيها
قالت وما فيها فذكر الجزاء
والعقوبة فقالت لا ثم
عرضها على الانسان فحملها
انه كان ظلوما لنفسه جهولا
بأمر ربه فقد رأيناهم والله
اشتروا الامانة بأموالهم
فأصابوا آلافا فما اذا صنعوا
فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا
بها قبورهم وأسمنوا براذينهم
وأهزلوا دينهم وأتعبوا
أنفسهم بالغدو والرواح
الى باب السلطان يتعرضون
للبلاء وهم من الله فى عافية
يقول أحدهم تبيعنى أرض
كذا وكذا وأزيدك كذا
وكذا يتكئ على شماله
ويأكل من غير ماله حديثه
سخرة وماله حرام حتى اذا
أخذته الكظة ونزلت به
البطنة قال يا غلام ائتنى بشئ
أهضم به طعامى يالكع
أطعامك تهضم انما دينك

بخزانته الكنيف) أى بيت الماء (وما يتصدق به بخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا
ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى) وروى أحمد وعبد بن حميد ومسلم من حديث أبى هريرة
يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى وما سوى ذلك فهو
ذاهب وتاركه للناس وروى ابن المبارك والطيالسى وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ومسلم
والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث ابن الشخير يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من
مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة
والشبع وكان الحسن) البصرى (رحمه الله تعالى اذا تلا قوله تعالى) وهما الآيتان من آخر سورة
الاحزاب (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا) الى آخر السورة (قال عرضها الله على السموات السبع الطباق و) السبع (الطرائق
التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين هذه الامانة بما فيها قالت وما
فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فأبت ثم عرضها على
الجبال الشم الشوامخ) أى المرتفعة الى السماء (الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت
وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة على الاحسان والاساءة فقالت لا ثم عرضها على الانسان) المراد به آدم عليه
السلام (فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة بأموالهم فأصابوا
آلافا فما اذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وسمنوا براذينهم) وهى خيل الروم (وأهزلوا
دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان) يتعرضون بالبلاء لان أبواب السلطان فيها فتن
كمبارك الابل كما ورد فى الخبر (وهم من الله فى عافية يقول أحدهم ابغونى كذا وكذا وائتونى بكذا وكذا
يتكئ على شماله ويأكل من غير ماله) من غصب وظلم (خدمته) الذين يحفون به (سخرة) أى أذلاء
(وماله) الذى جمعه (حرام حتى اذا أخذته الكظة) وهو بالكسر ثقل المعدة بالطعام (ونزلت به البطنة)
وهى التخمة (قال يا غلام ائتنى بشئ يهضم طعامى) ثم خاطبه وقال (يالكع) أى يا أحمق (أطعامك
تهضم) أى الذى تريد هضمه هو طعامك (انما دينك تهضم) أى بل تهضم دينك (أين الفقير أين الارملة)
هى المنقطعة التى مات أهلها (أين المسكين أين اليتيم الذى أمرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفائدة
وهى ان ما يصرف من فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر
عليه) فان الحسن رحمه الله تعالى فى آخر كلامه حذر وأنذر عن ترك اطعام الفقراء والمساكين وأما
ما سبق من تفسيره للآية فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الانبارى فى كتاب الاضداد
عن ابن عباس نحوه وأخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الانبارى عن ابن جريج نحوه وأخرجه ابن أبى
حاتم عن مجاهد نحوه وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه (ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سمين
البطن فأومأ) أى أشار (الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أى لو قدمته
لآخرتك وآثرت به غيرك) قال العراقى رواه أحمد والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث
جعدة الجشمى واسناده جيد اه قلت هو جعدة بن خالد بن الصمة الجشمى وسماه ابن قانع جعدة بن معاوية
حديثه فى الجعديات ورواه أيضا الطيالسى وأبو يعلى والباوردى والضياء بلفظ فطعن بطنه بأصبعه
وقال لو كان بعض هذا فى غير هذا لكان خيرا لك (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (قال والله لقد

تهضم أين الفقير أين الارملة أين المسكين أين اليتيم الذين أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو
صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من ان يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل
سمين البطن فأومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد

أدركت

أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لا كله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الاخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الايمان والله أعلم بالصواب

(بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف * الاولى أن لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى) فى تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغى أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف فى شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالامس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنتين منها وهى الحياة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغى أن لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل

أدركت أقواما ان كان الرجل منهم ليمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لا كله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله) فيتصدق منه (فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها) لكثرتها (فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة) تجمعها (ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة) قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على العلوى يقول سمعت على بن ابراهيم القاضى بدمشق يقول سمعت محمد بن على بن خلف يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا عثمان الدارانى يقول مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع اهـ وأما قوله الجوع باب الزهد والشبع باب الرغبة فقد ذكره صاحب القوت فى أثناء كلام (بل ذلك صريح فى الاخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة وترتقى من رتبة ادراك الايمان فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك مرتبة المقلدين فى الايمان والله أعلم)

(بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن)

(اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف) الوظيفة (الاولى أن لا يأكل الا حلالا فالعبادة مع أكل الحرام) لا تثبت فهى (كالبناء على أمواج البحار) أو على شفا جرف هار (وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام) فاستغنينا عن ذكره هنا (وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها أما الوظيفة الاولى) من هذه الوظائف الثلاثة (فى تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف) حاله (وعظمت مشقته واشتدت بليته فينبغى أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد) عليه (فان كان يأكل) كل يوم (رغيفين مثلا وأراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص فى كل يوم) ربع (سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف فى شهر) برياضة وتمهل (ولا يستضر به ولا يظهر أثره) أى أثر النقصان (عليه فان شاء فعل ذلك بالوزن) بان يعيره بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود (وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالامس وهذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذى لا يبقى دونه) والمراد بالقوام الضرورى من القوت وهو ما سد الجوعة وأعان على أداء الفرائض (وهو اختيار أبى محمد سهل) بن عبد الله (التسترى) رحمه الله تعالى (اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنتين منها وهى الحياة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغى أن لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل) فعلم من هذا ان المحافظة على العقل مقدمة على محافظة القوة فان لم يصلح عقل المريد بالخبز البحت فلا بأس ان يأتدم ببعض الادهان وقد كان سهل

رحمه الله تعالى يقول المتقللين من أهل عبادان احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالادهان والدسم فانه ما كان ولي لله ناقص العقل (وسئل سهل) رحمه الله تعالى (عن بدايته وما كان يقتات به) ولفظ القوت وقد حدثني الحسن بن يحيى البستي عن أحمد بن مسروق قال لقيت سهل بن عبد الله فلما دخلت عليه بش بي وقبلني وكان له في ارادة ولذلك قلت له أحب ان تصف لي بدايتك وما كنت تتقوت به (فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا و بدرهم دقيق الارز و بدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوي منه بنادق ثلاثمائة وستين اكرة آخذ كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة) ولفظ القوت فقلت له الساعة (كيف) تعمل (قال آكل بغير حد ولا توقيت) وفيه اشارة الى أن العارف اذا بلغ درجة الصديقين سقط عنه الحد والتوقيت في الاقوات ثم انه تقدم للمصنف قريبا ان سهلا كان في بدايته وهو في تستر يشتري له الفرق من الشعير بدرهم و يعمل منه ثلاثمائة وستين رغيفا فيفطر كل ليلة على رغيف وذكر صاحب القوت أيضا في موضع آخر من كتابه ما لفظه وحدثونا عن سهل انه سئل كيف كان في بدايته فاخبر بضروب من الرياضات منها كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات ثلاثة دراهم في ثلاث سنين قيل وما هو قال كنت أشتري في كل سنة بدانقين تمرا وأربعة دوانق كسبا ثم أعجنها عجنة واحدة ثم أخبزها ثلاثمائة وستين كبة أفطر كل ليلة على كبة قال فقلت له فكيف أنت في وقتك هذا قال آكل بلا حد ولا توقيت اه ولعل هذا باعتبار الاوقات والاحوال (وحكي عن بعض الرهابين) جمع رهبان جمع راهب وهو عابد الدير (انهم قد يردون أنفسهم الى قدر درهم من الطعام) وهذا كما فعل سهل رحمه الله تعالى في الرواية الثانية (الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد) والمد هو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لان الصاع خمسة أرطال وثلث وعند أهل العراق المد رطلان كما في المصباح (وهو رغيف وشئ) اذا كان كل رغيف نصف رطل وشيأ (مما يكون الاربعة منه منا) بالتشديد وهو لغة تميم وهو ما يوزن به رطلان لكن نزيد ثلثين ونصف ثلث اذ نصف المد هو نصف رطل ونصف الثلث فتأمل (و يشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم) ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (وهو فوق اللقيمات) لانه صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن فدل على ان ما نقص من ملء البطن فهو خير ثم قال حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ثم ترقى فقال وان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فعلم من ذلك انه رتبة فوق رتبة اللقيمات (لان هذه الصيغة في الجمع) بالالف والتاء (للقلة وهو لما دون العشرة) من العدد وفيه أيضا مع التقليل التصغير لان لقيمة تصغير لقمة وفي القوت معنى الحديث فثلث الطعام أن يأكل شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسم باعتياد ثان كما كان ملء البطن من الشبع هو العادة الاولى وثلث الشبع هو ثمان أواق فهذا على معنى الخبر الآخر طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وفي هذا خمسة أوجه قال بعض علمائنا البصريين طعام الواحد شبعا يكفي الاثنين قوتا وطعام الاثنين شبعا يكفي الاربعة قوتا ومنهم من قال طعام المسلم يكفي مؤمنين وطعام مسلمين يكفي أربعة من خصوص المؤمنين و يجوز أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفي المسلمين على معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق في سبعة أمعاء و يصلح أن يكون معناه طعام الواحد من الصناع المتصرفين في المعايش يكفي اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف و يصلح أيضا طعام واحد من المفطرين يكفي طعام صائمين وفي الخبر ان عمر حين قال لابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهم في قصة المرتد الذي قتلاه قبل أن يستتيباه و يحكم ألا طينتم عليه بيتا وألقيتم اليه كل يوم رغيفا ثلاثة أيام فلعله أن يتوب أو يرجع الى الاسلام اللهم اني أبرأ ولم أعلم ولم أرض اذ بلغني فدل بهذا ان في رغيف كفاية كل يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لان الرطل المكي عدده ستة أقراص منذ ذلك الى يومنا هذا فيكون رغيفان ثماني أواق

وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا و بدرهم دقيق الارز و بدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت و يحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الاربعة منه منا و يشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة

وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم * الدرجة الثالثة أن يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة أن يزيد على المد الى المن ويشبه أن يكون ماوراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه

فهذه كما قلناه ان ثمان أواق ثلث الشبع لقوله ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة (وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه) فما ذكرنا مواطئ لفعله (اذ) روي انه (كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم (الدرجة الثالثة) أن يردها بالرياضة والتدريج (الى مقدار المد) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز كما تقدم (وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث) ثالث (للشراب ولا يبقى شيء للذكر) جاء (في بعض الالفاظ) من الحديث المذكور (ثلث للذكر بدل قوله للنفس) هكذا أورده صاحب القوت قال فدل أيضا على ان ملء البطن يمنع من الذكر ومامنع من الذكر فهو شر قال الله تعالى والله خير وأبقى ورواية هذا اللفظ أغفلها العراقي (الدرجة الرابعة ان يزيد على المد حتى يبلغ الى المن وهو ما يكال به رطلان ويشبه أن يكون ماوراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى) كلوا واشربوا (ولا تسرفوا) انه لا يحب المسرفين (أعني في حق الاكثرين) وفي القوت أكل أربعة أرغفة كل يوم سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن وهذا أعدل الاقوات (فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به) فان الشاب الجلد تدعوه نفسه الى الطعام أكثر من الشيخ الفاني وكذلك الرجل السمين اللحيم ليس له صبر على الجوع بخلاف النحيف الهزيل وكذلك الاعمال والصنائع تختلف فمنها ماهو داع الى كثرة الحاجة الى الطعام (وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط) واشتباه على أكثر الناس (وهو أن يأكل اذا صدق جوعه) واشتهت الى الطعام نفسه وترامت عليه (ويقبض يده) عن الطعام (وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة) والفرق بين الصادقة منها والكاذبة ان الصادقة مايختل البدن بدونه والكاذبة مالا يختل بدونه (وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم مع الخبز بل يأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو ادما فليس ذلك بالجوع الصادق) اعلم أن للجوع حدا من الاوقات وحدا في الاقوات فحد الجوع الاول من الوقت الى مثله كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة وأما في الاقوات فحده الاول أن لا تطلب النفس الادام فاذا طلبت فليس جائعا فهذا حده الاول وحده الثاني أن لا تطلب الخبز ولا تميز بينه وبين غيره فمتى تاقت النفس الى الخبز بعينه فليس جائعا لان لها شهوة في التخير ومتى لم تميز بين خبز وغيره فهذا هو الجوع الصادق وهو الفاقة والحاجة الى الطعام الذي جعله الله غذاء للاجسام وهذا يكون في آخر الحدين من الاوقات بعد الثلاث الى سبع وخمس ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو ماسد الجوعة وأعان على أداء الفرائض وهذا حال الصديقين (وقد قيل من علامته) ولفظ القوت وقد سمعت بعض هذه الطائفة يقول حد الجوع (أن يبصق) العبد (فلا يقع الذباب عليه) أي على بزاقه (أي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة) ولفظ القوت فان لم يقع على بزاقه ذباب فقد خلت معدته عن الطعام يريد أن بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب مع لطف حاسته التي ركبت فيه وخفي ادراكه لما يقع عليه وقد ذكره صاحب العوارف أيضا هكذا (ومعرفة ذلك غامض) أي خفي (فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص) كما ذكرنا (نعم قد كان قوت جماعة) من الصحابة رضوان الله عليهم (صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا

صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ماذكرنا أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبوذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقاه فاني سمعته يقول أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

صاعا ونصفا) نقله صاحب القوت (وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ماذكرنا انه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبوذر) الغفاري (رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقاه فاني سمعته يقول أقربكم مني منزلا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم) هكذا أورده صاحب القوت قال العراقي رواه أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبونعيم في الحلية دون قوله وأحبكم الي اه قلت اما قوله كان قوتي الخ فقد أخرجه أيضا أبونعيم في الحلية دون قوله من شعير وهذا لفظه حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا يوسف بن موسى بن عبد الله المروروذي حدثنا عبد الله بن حنيف حدثنا يوسف ابن أسباط حدثنا سفيان الثوري أراه عن حبيب بن حسان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال كان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا فلا أزيد عليه حتى ألقاه وقال أيضا حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قيل له ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان قال وما أصنع بان أكون أميرا وانما يكفيني كل يوم شربة من ماء أولبن وفي الجمعة قفيز من قمح قلت والقفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيك والمكوك صاعان ونصف وهو أيضا ثلاث كيلجات والكيلجة من وسبعة أثمان من وأما الحديث المرفوع فقد قال أبونعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو قال سمعت عراك بن مالك يقول قال أبوذر اني لاقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته ما تركته فيها والله ما منكم من أحد الا وقد تشبث بشئ منها غيري (وكان) رضي الله عنه (يقول في) بعض (انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم) أي السنة (تنخل لكم الشعير) أي دقيقه (ولم يكن ينخل) بل ينفخ فما طار منه بالنفخ وما لم يطر أبقى (وخبزتم المرقق) أي الخبز الرقاق (وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) نقله صاحب القوت وانكار أبي ذر رضي الله عنه على أهل عصره وأمره اياهم بالمعروف والصدع بالحق مشهور فانه كان يقول ولا يبالي في الله لومة لائم فلما لم تمكنه وضج منه الناس أمره عثمان رضي الله عنه بالخروج الى الربذة فخرج اليها حتى مات بها رضي الله عنه (وقد كان قوت أهل الصفة) وهم جماعة من فقراء الصحابة لم يكن لهم موضع يأوون اليه فكانوا يأوون الى صفة المسجد (مدا من تمر بين اثنين في كل يوم) نقله صاحب القوت قال العراقي رواه الحاكم وصحح اسناده من حديث طلحة النصري اه قلت هو طلحة بن عمرو النصري بالنون له صحبة روى عنه حرب بن أبي الاسود (والمد رطل وثلث) بالبغدادي عند أهل الحجاز كذا في القوت (ويسقط منه النوى وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يقول المؤمن مثل الغنيمة) تصغير غنم ولفظ القوت مثل العنيزة (يكفيه الكف من الحشف) وهو محركة التمر الردىء (والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري) أي اللهج باكل اللحم (بلعا بلعا) أي يبلع في حلقومه بلعا كثيرا (وسرطا سرطا) أي يزدرد في حلقه ازدرادا كثيرا (لا يطوي بطنه على الجوع لجاره) أي لاجل جاره بان يأخذ من طعامه فيعطيه (ولا يؤثر أخاه) المؤمن (بفضله) أي ما فضل منه من الطعام (وجهوا هذه الفضول امامكم) كذا نقله صاحب القوت (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لو كانت الدنيا دما عبيطا) بالعين المهملة أي طريا خالصا لا اختلاط فيه (لكان قوت المؤمن منها حلالا) نقله صاحب القوت قال وظن بعضهم ان هذا من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو خطأ انما هو من كلام امامنا سهل التستري (لان أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط) وقال الحافظ السخاوي في المقاصد هذا

الكلام لا يعرف له اسناد ولكن معناه صحيح فان الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر اليه من غير معصية وفى القوت وقد سئل سهل رحمه الله تعالى عن قوت المؤمن قال قوته الله قال سألت عن قوامه فقال الذكر قال انما سألت عن غذائه قال غذاؤه العلم قال سألت عن طعمة الجسم قال مالك والجسم دع الجسم الى من تولاه قديما يتولاه الآن وكان رحمه الله تعالى يقول القوت للمؤمنين والقوام للصالحين والضرورة للصديقين (الوظيفة الثانية فى وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه أربع درجات الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها سبعة وعشرة وخمسة عشر) يوما وصاحب هذه الدرجة لا يعرض للاقوات ولكن يعمل فى زيادة الاوقات فيؤخر أكله وقتا بعد وقت حتى ينتهى الى أكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض أو خشية اضطراب العقل فمن أراد هذه الطريق أخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل وقد يكون قد طوى ليلة فى نصف شهر وهذا طريق من أراد الطى المذكور لانه يعمل فى تجوعه على مزيد الايام ولا يعمل فى نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصانا فى عقله ولا ضعفا عن اداء فرضه اذا كان على صحة قصد وحسن نية وصدق عقد فانه يعان على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه اذا أكل عند كل وقت يزيد فيه وينقص ضرورة عن غير تعمل لنقصانه لان معناه يضيق لا محالة فكلما زاد جوعه نقص أكله على هذا الى أن ينتهى فى الجوع وينتهى فى قلة الطعم ولا تنال فضيلة الجوع التى وردت فى الاخبار السابقة الا بالطى واليه الاشارة بقول المصنف (وفى المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى الى ثلاثين يوما وأربعين) يوما (أيضا وانتهى اليه) أى الى ثلاثين وأربعين (جماعة من العلماء يكثر عددهم) ولفظ القوت وممن اشتهر بالطى وكثرة التقلل عنه بذلك الخمسة عشر يوما الى العشرين الى شهر جماعة من العلماء يكثر عددهم (منهم محمد بن عمرو العرنى) هكذا فى النسخ بضم العين المهملة وفتح الراء وكسر النون وفى بعض نسخ القوت العوفى وفى تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر محمد بن عمرو بن حجاج الغزى صدوق مات سنة ثمانين ومائتين ورسم عليه بعلامة الدال على انه من رجال أبى داود ولم يذكره الذهبى فى الكاشف (وعبد الرحمن بن ابراهيم) بن عمرو بن ميمون القرشى أبو سعيد الدمشقى لقبه (دحيم) مصغرا ويعرف أيضا بابن اليتيم مولى آل عثمان بن عفان قاضى الاردن وفلسطين قدم بغداد سنة اثنتى عشرة ومائتين فحدث بها وكان ينتحل فى الفقه مذهب الاوزاعى وقدم مصر فكتبوا عنه وهو ثقة حافظ ثبت ولد فى شوال سنة ١٧٠ وتوفى بالرملة سنة ٢٤٥ روى عنه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه (وابراهيم) بن يزيد ابن شريك (التيمى) تيم الرباب أبو أسماء الكوفى كان من العباد ثقة صالح الحديث قال الاعمش سمعت ابراهيم التيمى يقول انى لامكث ثلاثين يوما لا آكل قتله الحجاج ولم يبلغ أربعين سنة روى له الجماعة (وحجاج بن فرافصة) بضم الفاء الاولى وكسر الثانية بعدها صاد مهملة الباهلى المصرى صدوق عابد روى له أبو داود والنسائى وقال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول حدثنا محمد بن بشير حدثنا الحسين بن منصور حدثنا داود بن معاذ سمعت مجاهدا يقول كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شئ يأكله (وحفص العابد المصيصى والمسلم بن سعد) وفى بعض النسخ بن سعيد (وزهير) بن نعيم البابى السلولى أبو عبد الرحمن السجستانى نزيل البصرة عابد مات بعد المائتين روى له أبو داود فى كتاب المسائل له (وسليمان الخواص و) أبو محمد (سهل بن عبد الله التسترى) وقد تقدم عنه ما يدل على ذلك (و) أبو اسحق (ابراهيم بن أحمد الخواص) من أقران الجنيد مات بالرى سنة ٢٩١ هكذا سرد هؤلاء الاربعة صاحب القوت ثم قال (وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير) رضى الله تعالى عنه (يطوى سبعة أيام وكان أبو الجوزاء) أوس بن عبد الله الربعى بحركة ثقة من قراء أهل البصرة روى له الجماعة (يطوى سبعا وكان صاحب ابن عباس) وقد تكلم فى سماعه عن عائشة (وروى ان) سفيان (الثورى وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا) زاد صاحب القوت وقد

(الوظيفة الثانية) فى وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرنى وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصى والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التسترى وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وروى أن الثورى وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا

رأينا من كان يطوى تسعا وخمسا وكثيرا ممن كان يطوى ثلاثا (كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة) قال السهروردى فى العوارف واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعمرويه وكان صاحب أحمد الاسود الدينورى انه كان يطوى أربعين يوما وأقصى مابلغ فى هذا المعنى من الطى رجل أدركنا زمانه وما رأيته كان بابهر يقال له زاهد خليفة كان يأكل فى كل شهر لوزة ولم يسمع ان أحدا بلغ فى هذه الامة بالطى والتدريج الى هذا الحد فكان فى أول مرة على ماحكى ينقص القوت بنشاف العود ثم يطوى حتى انتهى الى اللوزة فى الاربعين فقد يسلك فى هذه الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا الوجود هوى مستكن فى باطنه يهون عليه ترك الاكل اذا كان له استحلاء نظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطى اذا لم يعلم بحاله أحد وربما يضعف اذا علم بانه يطوى فان صدق فى الطى ونظره الى من يطوى لاجله يهون عليه الطى فاذا علم به أحد تضعف عزيمته فى ذلك وهذه علامة الصادق فمهما أحس فى نفسه انه يحب أن يرى بعين التقلل فليتهم نفسه فان فيه شائبة نفاق ومن يطوى لله خالصا يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام وقد لاينسى الطعام لامتلاء قلبه بالانوار يقوى جاذب الروح الروحانى فيجذبه الى مركزه ومستقره من العالم الروحانى ويقفو بذلك عن أرض الشهوة النفسانية ومن آثر جاذب الروح اذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير بأقل من جاذب المغناطيس للحديد اذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبته الجنسية الخاصة فاذا تجنس النفس بعكس نور الروح الواصل اليها بواسطة القلب يصير فى النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها الى النفس فيجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه فيزدرى الاطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ويتحقق بمعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولا يقدر على ماذكرناه الاعبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة فيتناول من الطعام أيضا ضرورة ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار لان النفس الراقدة تستيقظ بكل مايوقظها واذا استيقظت نزعت الى هواها فالعبد المراد بهذا اذا فطن بسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطى وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما ان كوشف بشئ من المنح الالهية وقد حكى لى فقير انه اشتد به الجوع وكان لايطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعى الى الغاية بعد أيام فتح على بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بحوراء تفارت اليها عقب كسر التفاحة فحدث عندى من الفرح بذلك مااستغنيت به عن الطعام أياما (وقال بعض العلماء) ولفظ القوت وقد كان بعض العلماء يقول والمراد به سهل التسترى كما صرح به صاحب العوارف (من طوى لله أربعين يوما) أى من الطعام (ظهرت له قدرة من الملكوت أى كوشف ببعض الاسرار الالهية) وكان يقول أيضا لايبلغ العبد حقيقة الزهد الذى لاشوب فيه الا بمشاهدة قدرة من غيب الملكوت نقله صاحب القوت والعوارف (وقد حكى ان بعض أهل هذه الطائفة) من الصوفية (مر براهب) فى ديره (فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ماهو عليه من الغرور فكلمه فى ذلك كلاما كثيرا الى أن قال له الراهب ان المسيح كان يطوى أربعين يوما وان ذلك معجزة لاتكون الا لنبى أو صديق) ولفظ القوت وانما نعتقد اعجاز هذا وانه لايكون الا لنبى (فقال له الصوفى ان طويت خمسين يوما تركت ما أنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه حق) ولفظ القوت ان مانحن عليه حق (وانك على باطل قال نعم فجلس لايبرح الا بحيث يراه حتى طوى خمسين يوما) ولفظ القوت فقعد عنده لايبرح ولا يذهب الا حيث يراه الراهب الى أن طوى خمسين يوما (ثم قال وأزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين) يوما (فتعجب الراهب) منه واعتقد فضله وفضل دينه (وقال ما كنت أظن ان أحدا يجاوز المسيح) عليه السلام أى فعله فى الطى ولكن هذه أمة تشبه بالانبياء فى العلم والفضل (فكان ذلك سبب

كل ذلك كانوا يستعينون
بالجوع على طريق الآخرة
قال بعض العلماء من طوى
لله أربعين يوما ظهرت له
قدرة من الملكوت أى
كوشف ببعض الاسرار
الالهية وقد حكى أن بعض
أهل هذه الطائفة مر براهب
فذاكره بحاله وطمع فى
اسلامه وترك ماهو عليه
من الغرور فكلمه فى ذلك
كلاما كثيرا الى ان قال له
الراهب ان المسيح كان
يطوى أربعين يوما وان
ذلك معجزة لاتكون الا
لنبى أو صديق فقال له
الصوفى فان طويت خمسين
يوما تترك ما أنت عليه
وتدخل فى دين الاسلام
وتعلم انه حق وأنك على باطل
قال نعم فجلس لايبرح الا
حيث يراه حتى طوى خمسين
يوما ثم قال وأزيدك أيضا
فطوى الى تمام الستين
فتعجب الراهب منه وقال
ما كنت أظن أن أحدا
يجاوز المسيح فكان ذلك
سبب

اسلامه) نقله صاحب القوت قال و بعضهم يقول لا يوقن العبد يقينا ثابتا يحكم عليه بالاستقامة فيه ولبسة
حال لازمة وعلم نافذ فى الملكوت الا بمشاهدة قدرة من قدرة الغيب برأى عين تظهر له بشهادة دائمة يقوم
بها وتضطره فعند هذا يعرف من الله تعالى وصفه المخصوص القيوم به و يصح لعبد مراد بهذا الطريق
المنهج له طى أربعين فى سنة وأربعة أشهر على ماتزلنا من تأخير الاوقات وتتابع بعد وقت حتى تندرج الليالى
فى الايام وتدخل الايام فى الليالى فتكون الاربعون بمنزلة يوم واحد وليلة واحدة وهذا طريق المقربين وقد
أشار المصنف لهذا فقال (وهذه درجة عظيمة قلما يبلغها الا) مراد به (مكاشف له) بشهادة (محمول) فيه
قد (شغل بمشاهدة ما) شغله عن نفسه و (قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وأنساه جوعته
وحاجته) وكشف له حقيقته ومرجوعه قال صاحب القوت وقد عرفنا من كان فعل ذلك وظهرت له آيات
من الملكوت وكشف له عن معانى قدرة الجبروت تجلى الله عز وجل بها وفيها كيف شاء وقال صاحب
العوارف قيل لسهل التسترى رحمه الله تعالى هذا الذى يأكل فى كل أربعين أو أكثر أكلة واحدة أين
يذهب لهب الجوع قال يطفئه النور وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على
انه يجد فرحا به ينطفئ معه لهب الجوع وهذا فى الخلق واقع ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا
فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك ثم قال صاحب العوارف واعلم ان هذا المعنى من
الطى والتقلل لو انه عين الفضيلة مافات أحدا من الانبياء ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من
ذلك الى أقصى غاية ولا شك ان لذلك فضيلة لا تنكر ولكنه لا تنحصر مواهب الحق تعالى فى ذلك فقد يكون
من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدرة أفضل ممن
يكاشف بها اذا كاشف الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب
ولا يستنكر شيأ من القدرة و يرى القدرة تتجلى له من سجف أجزاء عالم الحكمة (الدرجة الثانية أن يطوى
يومين الى ثلاثة) أيام (وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب لكن لا وصول اليه الا بالجد والمجاهدة)
ومراعاة التدريج بالوجه الذى ذكر آنفا (الدرجة الثالثة وهى أدناها أن يقتصر فى اليوم والليلة على
أكلة واحدة وهذا هو الاكل وماجاوز ذلك) فهو (اسراف ومداومة الشبع حتى لا تكون له حالة الجوع)
فاذا جعل العبد شبعه بين جوعتين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من خبر أبى جحيفة ومن كانت له جوعة
بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه ومن أكل فى كل يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحقق بخبر أبى جحيفة
وشبعه حينئذ أكثر من جوعه (وذلك فعل المترفين وهو بعيد عن السنة) وقد كانوا يعدونه سرفا هكذا
نقله صاحب القوت ولكن قال القشيرى فى الرسالة سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت على بن
الحسن الارجانى يقول سمعت أبا محمد الاصطخرى يقول سمعت سهل بن عبد الله وقد قيل له الرجل يأكل فى
اليوم أكلة فقال أكل الصديقين قال فأكلتين قال أكل المؤمنين قال فثلاثة قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا
فهذا بظاهره يدل على ان الاكلتين فى يوم من عمل المؤمنين وهم تحت الصديقين فليتأمل فى الجمع بين
الكلامين (فقد روى أبو سعيد) مالك بن سنان (الخدرى) الانصارى رضى الله عنه (ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له
أصلا فى المرفوع ورواه البيهقى فى الشعب من فعل ابى جحيفة اﻫ قلت بل أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى
ترجمة عطاء بن أبى رباح حدثنا محمد بن عمر بن مسلم وأحمد بن السندى قالا حدثنا جعفر بن محمد الفريابى
حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا أيوب بن حسان حدثنا الوضين بن عطاء عن عطاء بن أبى رباح
قال دعى أبو سعيد الخدرى الى وليمة وأنا معه فرأى صفرة وخضرة فقال اما تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد (وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة) نقله صاحب
القوت (وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها اياك والسرف فان أكلتين فى كل يوم من

اسلامه وهذه درجة عظيمة
قل من يبلغها الا مكاشف
محمول شغل بمشاهدة
ماقطعه عن طبعه وعادته
واستوفى نفسه فى لذته
وأنساه جوعته وحاجته
*الدرجة الثانية أن
يطوى يومين الى ثلاثة وليس
ذلك خارجا عن العادة بل
هو قريب يمكن الوصول
اليه بالجد والمجاهدة
*الدرجة الثالثة وهى
أدناها أن يقتصر فى اليوم
والليلة على أكلة واحدة
وهذا هو الاقل وماجاوز
ذلك اسراف ومداومة
الشبع حتى لا يكون له حالة
جوع وذلك فعل المترفين
وهو بعيد من السنة فقد
روى أبو سعيد الخدرى
رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان اذا تغدى
لم يتعش واذا تعشى لم يتغد
وكان السلف يأكلون فى
كل يوم أكلة وقال النبى
صلى الله عليه وسلم لعائشة
اياك والسرف فان أكلتين
فى يوم من

السرف) كذا فى القوت قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وقال فى اسناده ضعف (وأكلة واحدة فى كل يومين اقتار وأكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل) يشير الى قوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولفظ القوت بعدا براده هذه الآية فكان الاكلتين فى يوم من الاسراف وأكلة فى يومين من الاقتار وأكلة فى يوم قوام بين ذلك وأقول على هذا ان أكل أربعة أرغفة سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن وهذا أعدل الاقوات ولا يعجبنى أكل أربعة أرغفة فى مقام واحد لانى لا آمن الازدياد فيصير ذلك معتادا فان كان عن جوع شديد أو عدة لسفر أو عدم فلا بأس وقد كان للصحابة أكلتان وشربتان فالاكلتان الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت الى الوقت والغبوق أن يشرب مذقة لبن أو يأكل كف تمر عند النوم أو بعد عتمة أو يكون عند الظهيرة وقد يكون سحرا والشربتان العلل والنهل فالنهل الشربة الاولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمثابة الغبوق من نقيع تمر أو زبيب أو لبن يقوم مقام الاكلتين فهى تمام الرى والاولى علالة للنفس من العطاش فسمى عللا وكان من أخلاق السلف ترك الشبع اختيارا لانفسهم لخفة الجسم أو مواساة الفقراء أو مساواة لهم فى الحال لئلا يتفضلوا عليهم فى حالهم (ومن اقتصر فى كل يوم على أكلة واحدة) وكان صائما (فيستحب له أن) يعمل فى تأخير الافطار على رياضة و (يأكلها) أى تلك الاكلة (سحرا) أى فى وقت السحر ولا يجاوزه وهو (قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له) بذلك خمسة أشياء (جوع النهار للصيام) أى لاجله والاولى بالصيام (وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر) أى صفائه (واجتماع الهم) بخلو القلب (وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته) فان النفس اذا علمت انها تأكل رغيفا فى السحر اطمأنت بالليل ولم تنازع وهذا أوسط الطرقات وأحبها الى وهو طريق السائرين كذا فى القوت قال ومن لم يكن له معلوم فلا بأس أن يأكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهى جوعه وترك المعلوم فى الطعام طريق صوفية البغداديين والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين ولما قدم صوفية أهل البصرة على أبى القاسم الجنيد بعد وفاة أبى محمد سهل قال لهم كيف تعاون فى الصوم فقالوا نصوم بالنهار فاذا أمسينا اقتنا الى قوتنا فقال آه آه لو كنتم تصومون بلا اقتفاف كان أتم لحالكم أى لا تسكنون الى معلوم فقالوا الاتقوى على هذا قال صاحب القوت ولعمرى ان طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى وهو طريق المتوكلين الاقوياء وطريق البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس وأقطع للتشرف والتطلع وهو طريق المريدين والعاملين (وفى حديث عاصم بن كليب) بن شهاب بن المجنون الجرمى الكوفى صدوق مات سنة بضع وثلاثين ومائة روى له البخارى تعليقا ومسلم والاربعة (عن أبيه) تابعى صدوق روى له البخارى فى كتاب رفع اليدين والاربعة أصحاب السنن (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه) أى تتورم وتتشقق (وماواصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر) كذا هو فى القوت قال العراقى رواه النسائى مختصرا كان يصلى حتى تزلع قدماه واسناده جيد اهـ قلت وروى الجماعة سوى أبى داود من حديث المغيرة كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه (وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر) كذا فى القوت قال العراقى لم أجده من حديث عائشة لكن رواه أحمد من حديث على ولا يصح ورواه الطبرانى من حديث جابر لكنه لم يصح من فعله وانما هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر ورواه البخارى من حديث أبى سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه (فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الافطار وكان ذلك يشغله عن حضور القلب) فى التهجد (فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن النفس) عن الالتفات والاضطراب (و يخفف

بدنه

السرف وأكلة واحدة فى كل يومين اقتار وأكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل ومن اقتصر فى اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وماواصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالاولى أن يقسم طعامه نصفين فان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد

بدنه عند التهجد واحياء الليل بالذكر (ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم) وقد استحسنه صاحب القوت وأشار اليه صاحب العوارف (ومن كان) من عادته انه (يصوم يوما ويفطر يوما) وهو أعدل طرقات الصيام (فلا بأس أن يأكل يوم الفطر وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر) فان لم يفعل فليأكل كل يوم فطره نصف أكله بالامس فكأنه صائم فان لم يفعل اضطرب جسمه ودخله الفتور فى حاله كذا فى القوت (فهذه هى الطريق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه) وبقيت عليه طريق أخرى فى المريد الذى لا يصوم ولا يقتصر على أكلة واحدة فى اليوم والليلة ويريد قوام جسده للطاعة فالمستحب له ان كان ذا معلوم أن لا يزيد على رغيفين فى اليوم والليلة وليجعل بينهما وقتا طويلا مرة وقصيرا أخرى على حسب الحاجة وتوقان النفس الى الغذاء لا على طريق العادة والشهوة والرغيف ست وثلاثون لقمة يكون قوام النفس فى كل ساعة ثلاث لقمات فاذا أراد أن يأكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنتا عشرة جرعة فى تضاعيف ست وثلاثين لقمة ففى ذلك قوام الجسد وصلاحه فى يوم وليلة على هذا الترتيب وفيه بلاغ للعابدين * (تنبيه) * أما أكل العادات والتنقل فى الشهوات والاكل حتى يشبع فهذا عند العلماء مكروه وآكله عندهم بمنزلة البهائم وأما الاكل على شبع والامتلاء حتى يتخم فهذا فسق عند بعض العلماء وقد قاله بعض العارفين ويروى انه قيل لابى بكرة ان ابنك أكل البارحة حتى بشم فقال لو مات ما صليت عليه * (تنبيه) * ذكر بعض العلماء ان مراتب الشبع تنحصر فى سبعة الاول ما تقوم به الحياة والثانى أن يزيد حتى يصوم ويصلى من قيام وهذان واجبان الثالث أن يزيد حتى يقدر على أداء النوافل الرابع أن يزيد حتى يقدر على الكسب وهذان مندوبان الخامس أن يملأ الثلث وهذا جائز السادس أن يزيد عليه وبه يثقل البدن ويكثر النوم وهذا مكروه السابع أن يزيد حتى يتضرر وهى البطنة المنهى عنها وهذا حرام قال الحافظ بن حجر بعد ان نقله ويمكن دخول الثالث فى الرابع والاول فى الثانى (الوظيفة الثالثة فى نوع الطعام وترك الادام) وهو أى الطعام على ثلاث مراتب (وأعلى الطعام مخ البر) أى لبابه الذى يحصل بعد نخل دقيقه بالمنخل الحرير بعد المنقلة (فان نخل) كذلك (فهو غاية الترفه) وخبزه يعرف بالسميذ أو لا ينخل مطلقا وخبزه هو المعروف بالخشكار وفيه مرتبة ثالثة وذلك أن ينخل بالمنخل الغير المانع وهى ملحقة بالاولى لما فيه من الترفه أيضا (وأوسطه شعير منخول) كما ذكرنا (وأدناه شعير لم ينخل) وانما يعجن بما فيه من النخالة سواء نفخ فطار منه ما طار أو لم ينفخ (وأعلى الادم اللحم) وقد وردت فيه أخبار تؤذن بعلوه ففى حديث بريدة عند البيهقى فى الشعب سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم (والحلاوة) وهى المركبة من سمن وعسل ولها أنواع تقدم ذكرها فى كتاب الاطعمة (وأدناه الملح والخل) أى كل منهما بانفراده عن الآخر (وأوسطه المزورات) وهى الاطعمة التى لا يكون فيها شئ من اللحوم بخلاف المزفرات وانما تتخذ (بالادهان) والادهان كسائر السموت وما يعصر من قلوب الاشجار كاللوز والفستق والجوز وكالزيت ودهن السمسم (من غير لحم) أى من غير أن يكون فيها شئ من لحم كما ذكرناه وفى القوت فان كان لا بد من فاكهة مع الخبز الذى هو قوت النفس فكما أطعم الله الفقراء فى الكفارة وهو التوسط فى الادام الذى أمر به وأحبه الفقراء من الخبز واللبن لان أعلى الادام اللحم والحلواء وأدناه الملح والخل فلم يأمر تعالى باعلاه لانه يشق على الاغنياء ولم يأمر بادناه لانه يشق على الفقراء وتوسط الامر بينهما فقال من أوسط ما تطعمون أهليكم فهو ما ذكرناه على ذلك (وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع من الشهوات مطلقا فان كل لذيذ يشتهيه الانسان) وتدعو اليه نفسه وتطالبه به (وأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه) من جهة متابعته للشهوة (وقسوة فى قلبه وأنساله بلذات الدنيا حتى يألفها) ويأنس بها (ويكره الموت ولقاء الله تعالى) لا محالة لان الفطم عن المألوف صعب (وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجناله) ومضيقا

ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الادم اللحم والحلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنساله بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجناله

واذامنع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الانفلات منها فيكون الموت اطلاقها
واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوات الطعام على

قدر تجويع النفس فكل ماذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام أمور تلك الامور معاص وقال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وانما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة
الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي أن وهب بن منبه
قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال

(واذامنع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها) أي منعها (فاشتهت نفسه الانفلات منها سريعا فيكون الموت اطلاقها) من ذلك المضيق والحبس وقد روى مسلم من حديث أبي هريرة الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ورواه البزار والعسكري والقضاعي من حديث ابن عمر مثله وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر مرفوعا ياأبا ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره ياأبا ذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره والمؤمن من لم يجزع من دنياه الحديث وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة (واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ) الرازي الواعظ رحمه الله تعالى (حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس) نقله صاحب القوت ففيه اشارة الى أن من يؤثر الآخرة ولذتها وطعامها ينهى نفسه عن لذة الدنيا ويكفها عن شهواتها وكلما زادت رياضة النفس بالتجويع زادت شهوتها الى الطعام (فكل ماذكرناه من آفات الشبع) فيما تقدم (فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة) قال العراقي لم أجد له أصلا (وهذا) ان صح وروده (ليس بتحريم) لمخ الحنطة (بل هو مباح على معنى ان من أكله مرة أو مرتين لم يعص) الله تعالى (ومن داوم عليها أيضا فلا يعصي) الله تعالى (بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها) على قدر الجهد (فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة) بهذا المعنى (لان مخ القمح) مع المداومة عليه (يقودهم الى اقتحام) أي ارتكاب (أمور تلك الامور معاص) لله تعالى (وقال صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وانما همتهم أنواع الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام) أي يتوسعون فيه من غير تحرز ولا احتياط قال العراقي رواه ابن عدي في الكامل من طريق البيهقي في الشعب من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني في العلل انه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به اه قلت وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن عساكر كلهم من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ حديثهم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون أنواع الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال البيهقي بعد ان أورده تفرد به علي بن ثابت عن عبد الحميد الانصاري اه وعلي بن ثابت ساقه الذهبي في الضعفاء وقال ضعفه الازدي قال وعبد الحميد ضعفه القطان وهو ثقة اه وجزم المنذري بضعفه وقد روي هذا الحديث أيضا عن عبد الله ابن جعفر وعن ابن عباس فحديث عبد الله بن جعفر لفظه شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشدقون في الكلام رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب وقال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبي بان فيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف وأما لفظ حديث ابن عباس شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وغذوا فيه الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتي حقا حقا رواه الديلمي في مسند الفردوس (وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام) ياموسى (اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة) ومن هنا قول العامة ومن العصمة أن لا تجد (حتى روي أن وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى قال (التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين) يجيئك هذا (قال

أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على ان تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أشار الى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه

أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله) تعالى (وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد) فقد ادخر الله له في الآخرة كل ذلك ذكره صاحب القوت (وهذا) فيه (تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير) فلا يفرح بمثله وقد انقطع بمثله خلق كثيرون يرون الشهوات تساق اليهم فيعدونها منة عظيمة فيكون سبب اخلادهم في النقص (ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها) رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن قال أتى عمر بشربة عسل فذاقها فاذا ماء وعسل فقال اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت قال اشتهى عمر الشراب فأتى بشربة من عسل فجعل يدير الاناء في يده ويقول لأشربها وتذهب حلاوتها وتبقى مرارتها ثم وضعها الى رجل من القوم فشربها وانما قال ذلك لانه علم انه حلال وفي الحلال حساب وفي الحساب نوع عذاب فمن حوسب نوقش وقد أشار الى ذلك أبو سعيد الخراز حين نوع الجوع فقال ومنهم من وجد الشئ الصافي فتركه زهدا فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال (فلا عبادة لله أعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات) وان كانت مباحة (كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع عن ابن عمر) رضي الله عنه (انه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد) أي لبعدها عن البحر (فوجدت بعد كذا وكذا) يوما (فاشتريت) له (بدرهم ونصف فشويت) على النار (وحملت اليه على رغيف) ليأكل (فقام سائل على الباب فقال) ابن عمر (للغلام) وهو نافع (لفها برغيفها وادفعها اليه) أي الى السائل (فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدناها اشتريناها بدرهم ونصف نحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه ثم قال) اي الغلام (له) للسائل (هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال) السائل (نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها ثانيا فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له) قال العراقي رواه أبو الشيخ بن حبان في الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (وقال صلى الله عليه وسلم اذا استد) بالسين المهملة وفي نسخة العراقي اذا سددت (كلب الجوع) بتحريك اللام وهو الحرص على الاكل الكثير (برغيف وكوز من الماء القراح) الذي لا يشوبه شئ وفي غالب النسخ بدون ذكر القراح (فعلى الدنيا وأهلها الدمار) أي الهلاك (أشار) صلى الله عليه وسلم (الى أن المقصود) من الاكل (رد كلب الجوع) أي شدته (ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا) قال العراقي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف اه قلت ورواه ابن عدي والبيهقي ولكن لفظ الحديث عندهم يا أبا هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار وفي اسناده الحسين بن عبد الغفار الازدي قال الذهبي متهم وقال الدارقطني متروك وفيه أيضا أبو يحيى الوقار قال الذهبي كذوب وفيه أيضا الماضي بن محمد قال الذهبي مصري مجهول وقال أبو حاتم الحديث الذي رواه باطل وليس المراد من قوله فعلى الدنيا وأهلها الدمار الدعاء عليهم بالهلاك بل انزالهم منزلة الهالكين فان من هلك لا يقدر على شئ وكذلك الدنيا وأهلها والقصد الحث على التقنع باليسير والزهد في الدنيا والاعراض عن شهواتها (وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان) بن حرب الاموي أخو معاوية أسلم يوم الفتح وكان أفضل بني أمية أمره عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة (يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له) يقال له يرفا (اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فأتوه بثريد ولحم فأكل معه

عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وأنا له عاص وروى أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع قال شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت فقال

لي اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدي حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس اذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال له قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي كل رحمك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيته فقيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها أنا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت أرني كفك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى أدركنا البيت وروى عن مالك بن دينار انه بقي أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله وأهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد فما رأيته

عمر ثم قرب الشواء) أي اللحم المشوي (فبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام والذي نفسي بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم) رواه اسمعيل بن عياش حدثني يحيى الطويل عن نافع عن ابن عمر قال بلغ عمر أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام فقال ليرفا اذا حضر طعامه فأعلمني فساقه وفيه والذي نفس محمد بيده ان خالفتم عن سنته ليخالفن بكم عن طريقه فأشار عمر الى انهم كانوا يكتفون بطعام واحد ولون واحد ولا يزيدون فمن خالف نهجهم الذي سلكوه خولف به عن طريقهم والخير كل الخير في اتباع السلف (وعن يسار بن عمير) مولى عمر ثقة نزل الكوفة ليس له في الكتب الستة شئ وانما ذكره الحافظ في التهذيب للتمييز بينه وبين يسار مولى ابن عمر (قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وأنا له عاص) رواه الاعمش عن شقيق عنه أي لم يكن يأمرني بنخله فاذا نخلته خالفت أمره وكنت عاصيا له (وروى ان عتبة) بن أبان (الغلام) رحمه الله تعالى (كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ لي في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب) بضم الحاء وهو دن الماء (كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد سددت عنى كلب الجوع) أي شدته أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا أحمد الدورقي حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي حدثني أبي عن بكر قال كان عتبة يأخذ دقيقه فيبله بالماء ويعجنه ويضعه في الشمس حتى يجف فاذا كان الليل جاء فأخذه وأكل منه لقما قال ثم يأخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد سددت عنى كلب الجوع وحدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال كان عتبة يعجن دقيقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الاخرى الشواء والطعام الطيب (وروى عن) أبي يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (انه بقي أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عثمان ابن ابراهيم الحيري جليس مالك بن دينار عن مالك انه قال لرجل من أصحابه اني لاشتهي رغيفا لينا بلبن رائب قال فانطلق فجاء به قال فجعل له على الرغيف فجعل مالك يقلبه وينظر اليه ثم قال اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني اليك عنى وأبى أن يأكله (وأهدي اليه رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة) نقله صاحب القوت (وقال أحمد بن أبي الحواري) رحمه الله تعالى (اشتهى أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد فما

رأيته أ كل الملح حتى لقى الله تعالى) رواه العباس بن حمزة عن أحمد بن أبي الحوارى وقد وقع مثل ذلك لداود الطائى من طريق محمد بن بشير قال دخلت على داود الطائى المسجد فصليت معه المغرب ثم أخذ بيدى فدخلت معه البيت فقام الى دن له كبير فاخذ منه رغيفا يابسا فغمسه فى الماء ثم قال ادن فكل قلت بارك الله لك فافطر فقلت له يا أبا سليمان لو أخذت شيأ من ملح قال فسكت ساعة ثم قال ان نفسى تنازعنى ملحا ولا ذاق داود ملحا فى الدنيا حتى مات رحمه الله تعالى (وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت لى نفسى لو أطعمتنى الليلة من هذا) البقل (فاقسمت بالله أن لا أطعمها اياه أربعين سنة) أراد بذلك مخالفتها وكسر شهوتها لتتأدب وتكف عن النزوع (ومكث مالك بن دينار رحمه الله تعالى (بالبصرة خمسين سنة ما أ كل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أ كلت لكم رطبة ولا بسرة ما نقص منى ولا زاد فيكم وقال) أيضا (طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى منذ أربعين سنة طعاما فوالله لا أطعمتها حتى الحق بالله عز وجل) ذكره ابن حبان فى كتاب المصاحف وقال كان يكتب المصاحف بالاجرة ويتقوت باجرته وكان يجانب الاباحات جهده ولا يأ كل شيأ من الطيبات وكان من المتعبدة الصبر والمتقشفة الخشن فقد روى أبو نعيم فى الحلية عن أحمد بن جعفر عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو معمر حدثنا أبى عن جدى قال كنت عند مالك بن دينار فاخذ جاد ساعده فقال ما أ كلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة فعل بعد كذا وكذا ألست مالك بن دينار وأخرج أيضا من طريق الهيثم بن معاوية حدثنى شيخ لى قال كان رجل من الاغنياء بالبصرة وكانت له آنية نفيسة الجمال فساق القصة فى عرضها اياها على مالك وفيه فقال مالك عجبا لك يا فلان أو ما تعلم انى قد طلقت الدنيا ثلاثا ومن طريق الحجاج بن نصير حدثنى المنذر أبو يحيى قال رأيت مالكا ومعه كراع من هذه الاكارع التى قد طبخت قال فهو يشمه ساعة فساعة قال ثم مر على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق فقال هاه يا شيخ فناوله اياه ثم مسح يده بالجدار ثم وضع كساءه على رأسه وذهب فلقيت صديقا له فقلت له رأيت من مالك كذا وكذا فقال أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه فلم تطب نفسه أن يأ كله فتصدق به (وقال حماد بن أبي حنيفة) النعمان بن ثابت الفقيه روى عن أبيه ضعفه ابن عدى (أتيت داود) بن نصير الطائى رحمه الله تعالى أزوره (والباب مغلق عليه فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأ كليه فسلمت ودخلت فاذا هو وحده) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق ح وحدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد بن على بن الجارود قال حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنى عبيد الله بن عبد الكريم عن حماد بن أبي حنيفة فساقه وفيه آليت أن لا تأ كليه أبدا فاستأذنت وسلمت ودخلت فاذا هو يعاتب نفسه وأخرج من طريق الوليد بن عقبة قال حدثنى جار لداود الطائى قال سمعت داود يعاتب نفسه اشتهيت البارد وتمرا فاطعمتك وأسقيتك لاذاق داود تمرة مادام فى دار الدنيا قال فما ذاقها حتى مات وأخرج من طريق اسمعيل بن حسان قال جئت الى باب داود الطائى أريد أن أدخل عليه فسمعته يخاطب نفسه فظننت ان عنده انسانا يكلمه فأطلت الوقوف بالباب ثم استأذنت فقال ادخل فدخلت فقال ما بدا لك من الاستئذان قال قلت سمعتك تتكلم فظننت ان عندك انسانا تخاصمه قال لا ولكن أخاصم نفسى وأعطيت الله عهدا ان لا آ كل الجزر والتمر حتى ألقاه (ومر أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج التابعى الثقة العابد (يوما فى السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا) هى (مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وأتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء) بالمدينة (وعن موسى بن الأشج) رحمه الله تعالى (انه قال نفسى

رأيته أ كل الملح حتى لقى الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة فى السوق فنظرت الى البقل فقالت لى نفسى لو أطعمتنى الليلة من هذا فاقسمت أن لا أطعمها اياه أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أ كل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أ كلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبا منذ أربعين سنة طعاما فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبى حنيفة أتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسى اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأ كليه أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر أبو حازم يوما فى السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وأتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسى

تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة) فما أطعمتها اياه (وعن أحمد بن خليفة) رحمه الله تعالى (قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما أرويتها) فمثل هذه التشديدات في ترك المباحات أرادوا بذلك كبحالها ومخالفة لشهواتها رجاء ان يسلم لهم حالهم مع الله تعالى (وروي ان عتبة) بن أبان (الغلام) رحمه الله تعالى (اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أدافعها سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت) له (ألست ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته اياها قالوا وأقبل يبكي ويقرأ) قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس حدثنا ابراهيم بن الجنيد حدثنا أحمد بن عمر الانباري حدثنا أحمد بن حاتم أبو عبد الله البصري حدثنا أحمد بن عطاء بن عبد الله البزوعي قال نازعت عتبة الغلام نفسه لحما فقال لها اندفعي عني الى قابل فما زال يدافعها سبع سنين حتى اذا كان في السابعة أخذ دانقا ونصف افلاس فأتى بها صديقا له من أصحاب عبد الواحد بن زيد فقال يا أخي ان نفسي تنازعني لحما منذ سبع سنين وقد استحييت منها كم أعدها وأخلفها فخذ لي رغيفين وقطعة من لحم بهذا الدانق ونصف فلما أتاه به اذ هو بصبي قال يا فلان ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى قال فجعل يبكي ويمسح رأسه وقال قرة عيني من الدنيا ان تصير شهوتي في بطن هذا اليتيم فناوله ما كان معه ثم قرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (ومكث) عتبة الغلام (يشتهي تمرا سنين ثم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذه) الريح التي هبت (من جرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس الا بذنبك على أن لا تذوقيه) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم ابن الجنيد حدثني خالد بن خداش حدثنا عبد القادر بن عبد الرحيم قال هاجت ريح بالبصرة حمراء ففزع الناس لها قال فجعل عتبة يبكي ويقول واجرأتي عليك وشرائي التمر بالقراريط حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا أحمد الدورقي حدثنا ابراهيم بن عبد الرحيم بن مهدي حدثنا عبد السلام الزهراني حدثنا أبو نعامة الزهراني قال كان عتبة يفتل الشريط في بيت مع أصحاب له فهاجت ريح فأتيته وهو لا يدري فقلت يا عتبة أما ترى ما في السماء قال فطرح الشريط فقام فقال يا عتبة تجترئ على ربك وتشتري التمر بالقراريط وكان اشترى يومئذ بقيراط حدثنا أحمد بن سواد حدثنا جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله الختلي حدثنا اسحق بن ابراهيم الثقفي البصري حدثنا رياح القيسي قال صحبت عتبة الغلام وقد اشترى تمرا بقيراط فلما كان عند المغرب هاجت ريح فقال عتبة انما أشتهي التمر منذ سنة لم آكله حتى اذا أخذت شهوتي أردت أن تأخذني عندها لا آكلها فتصدق بها (واشترى داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا) أي خبزا يابسا وحده (وقال عتبة) بن أبان (الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد) رحمهما الله تعالى (ان فلانا يصف من نفسه) ولفظ القوت من قلبه (منزلة ما أعرفها من نفسي) ولفظ القوت لا أعرفها ولم يذكر من نفسي (قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ) ولفظ القوت ان فلانا لا يأكل التمر وأنت تأكله (قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي قال له بعض أصحابه أبكى الله أعينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك واذا ترك شيأ لم يعاوده) ولفظ القوت وهو اذا ترك شيأ لم يعاود فيه أبدا (وقال) أبو محمد (جعفر) بن محمد بن نصير الخلدي البغدادي صحب الجنيد وانتمى اليه وصحب النوري

حتى تروى فما أرويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته اياها قالوا وأقبل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس الا بذنبك على أن لا تذوقيه واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد ابن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك واذا ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصير

أمرني الجنيد ان اشترى له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في
ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك
شيأ فلا ترد على كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر وقال السري السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني ان أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد ان تطوي عشرة أيام ولكن اترك هذه الشهوة وروي أن عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الارغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أي شئ تصنع أما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه

كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار
من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به

ورويا وسمنونا مات ببغداد سنة ٣٤٨ (أمرني الجنيد أن أشتري له التين فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود اليه) أورده القشيري في الرسالة بلفظ وقال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه وألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف في قلبي أما تستحي شهوة تركتها من أجلي منذ ثلاثين سنة ثم تعود اليها (وقال صالح) بن بشير (المري) تقدم ذكره في كتاب العلم (قلت لعطاء السلمي) من رجال الحلية وقد تقدم ذكره أيضا (اني متكلف لك شيأ فلا ترد علي كرامتي فقال افعل ما تريد فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني شربتها أول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر كلما أردت ذلك تذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا عمرو بن محمد بن رزين وعبد الله بن سليمان يزيد أحدهما على صاحبه عن صالح المري قال كان عطاء السلمي قد أضر بنفسه حتى ضعف قال فقلت له انك قد أضررت بنفسك وأنا متكلف لك شيأ فلا ترد علي كرامتي قال افعل قال فاشتريت سويقا من أجود ما وجدت وسمنا قال فجعلت له شربة فلتتها وحليتها فارسلتها مع ابني وكوزا من ماء فقلت له لا تبرح حتى يشربها قال فرجع فقال قد شربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها قال فاتيته فلمته وقلت له سبحان الله رددت علي كرامتي ان هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله تعالى قال فلما رآني قد وجدت من ذلك قال يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربت أول ما بعثت بها فلما كان الغد راولت نفسي على أن أسيغها فما قدرت على ذلك اذا أردت ان أشربه ذكرت هذه الآية يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان الآية فبكى صالح عند هذا وقلت في نفسي الا أراني في واد وأنت في آخر (وقال السري السقطي) رحمه الله تعالى (نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها) أخرجه القشيري في الرسالة سماعا عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي العباس البغدادي عن جعفر بن نصير عن الجنيد قال سمعت السري يقول فساقه الا أنه قال منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة وقد تقدم (وقال أبو بكر بن الجلاء) رحمه الله تعالى وهو من مشايخ صاحب القوت ومن معاصريه (أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة) التي اشتهيتها أورده صاحب القوت وقال سمعت أبا بكر بن الجلاء يقول أنا أعرف انسانا فساقه (وروي) عن وهب بن منبه وغيره (ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا) جمع رغيف ككثيب وكثبان (فجعل أخوه) أي العابد (يقلب) بعض (الارغفة) جمع آخر لرغيف كحمير وأحمرة (ليختار أجودها) أي أحسنها (فقال له العابد مه) أي كف عن هذا التقليب (أي شئ تصنع أما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه) ولم تقنع به (كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع) وظهرت كذا وكذا صنعة (حتى استدار) أي صار مستديرا (من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض) التي أنبتت (والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به) هكذا أورده صاحب القوت من رواية وهب بن

تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسما الجوعي فسألته عن الزهد أي شئ هو فقال أي شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأي شئ تقول أنت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد و بقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر هل تعلم شيأ أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندبا بالخل ثم قال أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة

منبه قال (وقال) الآخر زيادة (في الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا) ولفظ القوت ثلاثمائة وستون بين صانع وصنعة (أولهم ميكائيل) عليه السلام يقال ان اسمه عبد الرزاق وكنيته أبو الفتوح (الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة) أي من تحت العرش (ثم الملائكة التي تزجر السحاب) أي تسوقه (والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) قال العراقي هذا الحديث لم أجد له أصلا قلت رواه صاحب القوت عن وهب بن منبه باللفظ الاول وعن غيره باللفظ الثاني والقصة واحدة وهي قصة دعاء العابد لبعض اخوانه وقد صرح صاحب القوت بذلك وميز بين السياقين حيث قال وقال الآخر زيادة في الخبر أي في هذا الخبر الذي ساقه وأراد به هذه القصة ولم يرد صاحب القوت بقوله في الخبر انه مرفوع الى نبينا صلى الله عليه وسلم فمن هنا جاء الاشتباه والحق ان سياق المصنف مشعر بانه في الخبر النبوي ولكن حيث وجدنا أصل الكلام الذي هو مأخذ المصنف في كتابه هذا استرحنا فهو خبر اسرائيلي من قول ذلك العابد الذي دعا مخاطبا به أخاه وهذا موضع شديد الالتباس وناهيك بالمصنف مع جلالة قدره كيف يغفل عن ذلك ويزيد في كلامه لبسا حتى يظن من جاء بعده انه كلام نبوي ولكن مراجعة الاصول الصحيحة تمنع من الوقوع في الغلط والله أعلم (وقال بعضهم) ولفظ القوت وحدثونا عن بعض هذه الطائفة قال (أتيت قاسما الجوعي) هو القاسم ابن عثمان الدمشقي قال ابن السمعاني في الانساب ولعله كان يبقى جائعا كثيرا فلقب بالجوعي له كرامات روى عن أبي اليمان الحكم بن نافع وعنه محمد بن المعافى العابد (فسألته عن الزهد أي شئ هو فقال) لي (أي شئ سمعت فيه فعددت أقوالا) قيلت فيه (فسكت) ولفظ القوت فقلت قالوا الزهد قصر الامل فقال حسن وايش سمعت أيضا فقلت قالوا الزهد ترك الادخار فقال حسن حتى عددت عليه أقوالا قال فسكت (فقلت أي شئ تقول فيه أنت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد و بقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا) زاد صاحب القوت وعلى هذا المعنى كان شيخنا ابن سالم يقول اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمحت بذلك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك واعتدل (وكان) أبو نصر (بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى (قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن المتطبب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال) له عبد الرحمن (تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال) له بشر (صف لي حتى أسمع) فقال تحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك (قال تشرب سكنجبينا) وهو المعمول بالخل والعسل (وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا) وهو الشوربا ويعرف بالمسلوقة فانه يقوي الجسد ويرطبه (فقال له بشر (هل تعلم شيأ أقل) ثمنا (من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندبا بالخل) ثم قال (أتعرف شيأ أقل) ثمنا (من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامي) ثم قال (أتعرف شيأ أقل) ثمنا (من الاسفيذباجة يقوم مقامها قال) أما هذا (لا قال أنا أعرف قال ماهو قال ماء الحمص بسمن البقر في معناها فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني) هكذا أورده صاحب القوت (فقد عرفت بهذا ان هؤلاء) الطائفة انما (امتنعوا من أكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها آنفا وانه كان ذلك في بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلا يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة) ورعا (و) معلوم ان (الشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة) ولفظ القوت

وكانوا يقولون ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح (وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك) بل زاد على الخبز (فينبغي أن لا يغفل عن نفسه) ولا يهملها في عاداتها (ولا ينهمك في الشهوات) بل يقتصر مع الخبز على شهوة واحدة ملحا أو اداما آخر ومن جمع بين ادم كثيرة فقد انهمك في الشهوات (فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل من كل ما يشتهيه و يفعل كل ما يهواه) فقد روى ابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والبيهقي في الشعب من حديث أنس ان من السرف ان تأكل كل ما اشتهيت وفي لفظ ان من الاسراف وسنده ضعيف فيه بقية وحاله معروف عن يوسف بن أبي كثير ضعيف عن نوح بن ذكوان منكر الحديث عن الحسن عن أنس ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب بان له شواهد بعضها امثل من بعض و بعضها حسن و بعضها من تصحيح الحاكم فالسرف على كل حال في الاكل والفعل مذموم ومن أسرف في ماله أسرف في دينه ومن فعل ذلك خالف طريق السلف (فينبغي) للمتقشف من المريدين (أن لا يواظب على اكل اللحم) أو الدسم بل يقتصر عليهما في الشهر مرتين فان أكله أربعا فلا بأس به قد كان السلف يفعلون كذلك كذا في القوت (قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه) كذا في القوت (وان المداومة على اللحم لها ضراوة) أي لهج بالانسان (كضراوة الخمر) فان من ضرى بها لا يقدر على تركها الا بمشقة فكذلك اللحم فينبغي لاجل ذلك عدم الملازمة عليه لئلا تعتاده النفس فيكون فطمها صعبا ونظرا الى أن ترك اللحم مما يسيء الخلق ويخل بجوهر العقل كان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول للمتقللين من أهل عبادان احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالادهان والدسم فانه ما كان ولي لله ناقص العقل (ومهما كان) المريد (جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين) ويجمع لها بين حظين بل يقتصر على الجماع دون الاكل واذا جمع بينهما فهي تطلبهما فربما طلبت النفس الجماع للتعفف وهي تريد الاكل (وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع) وفي الجمع بين شهوتين تقوية للنفس واجراء عادة لها (ويستحب) للمريد اذا أكل (أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور) والكسل (ويقسو قلبه لذلك) و (لكن ليصل أو يجلس يذكر الله تعالى) باي ذكر ألهمه الله تعالى في وقته (فانه أقرب الى الشكر) لنعمة الله عز وجل (وفي الحديث أذيبوا طعامكم) أي اهضموه (بالصلاة والذكر) وفي لفظ بذكر الله والصلاة (ولا تناموا عليه) قبل انهضامه عن أعالي المعدة (فتقسو) منصوب بفتحة على الواو لانه جواب النهي (قلوبكم) أي تغلظ وتشتد وتكتسب ظلمة وحجابا قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف اه قلت رواه عبد الرحمن بن مبارك عن بزيع عن هشام عن عروة عن عائشة ومن هذا الطريق أخرجه الطبراني في الاوسط وابن السني وكذا أبو نعيم في الطب والبيهقي وقد روي أيضا من طريق أبي الاشعث عن أصرم بن حوشب عن عبد الله الشيباني عن هشام ومن هذه الطريق أخرجه ابن السني وقد تكلم في الحديث من جهة بزيع وأصرم بن حوشب وكثر فيهما الكلام وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال بزيع متروك وأصرم كذاب وقد تعقبه الحافظ السيوطي في اللآلي المصنوعة وغاية ما يقال فيه انه ضعيف ولذا اقتصر عليه العراقي (وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات) بتسليمتين (أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقب كل أكلة) كذا في القوت فان وجد نشاطا أطال في صلاته اما باطالة القراءة في الركعات أو زاد على عدد الركعات فان لحركة الاعضاء قياما وقعودا سرا بليغا في اذابة الطعام وكذا ان زاد على التسبيح بالتهليل والتكبير فحسن ليجمع الباقيات الصالحات وكان بعض مشايخنا يأمر المريد بعد أكله أن يراقب بالجلالة ويستمر عليه لحظات قال فانه يمري الطعام في الحال (فقد كان سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (اذا شبع في ليلة أحياها) بالقيام (واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان) يتمثل و (يقول اشبع الزنجي) أي العبد الاسود (وكده) أي اتعبه في الخدمة (ومرة يقول أشبع الحمار وكده) وكان اذا جاع كأنه

وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفي الحديث أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك ان يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقيب أكله فقد كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة أحياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده

يتراخى فى ذلك كذا فى القوت وأصله عند أبى نعيم فى الحلية (ومهما اشتهى) المريد (شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه) أى يجعل ما اشتهاه بدلا من الخبز ويقطع به جوعه (ليكون) ذلك له (قوتا) عند الحاجة الى طعم (ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة) فانه أسرع للمسكه لانه اذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة أو شبعتين كان أقرب الى تركه وانقطاع شهوته (نظر) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (الى) أبى الحسن على بن (سالم) البصرى شيخ صاحب القوت رحمهما الله تعالى (وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بعده حاجتك) وقال ان التمر مبارك والخبز مشؤم يعنى انه كان سبب اخراج آدم عليه السلام من الجنة وأما بركة التمر فان الله تعالى ضرب النخلة مثلا لكلمة التوحيد فى قوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وهى النخلة وليس فى الثمار أحلى من الرطب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن فى حلاوته ولينه وقوّته وثبات أصله بالنخلة فقال لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن يقول سهل رحمه الله تعالى اذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيرا لك يريد أن لا تقف نفسك مع عادة فتنازعك اليها نقله صاحب القوت قال وقد ذكرت هذه الحكاية لابى بكر الجلاء فاعجبته وقال هذا كلام الحكماء وكان ذلك يلائم حاله (ومهما وجد) المريد (طعاما) ذا لونين (لطيفا وغليظا) بالاضافة الى أحدهما (فليقدم اللطيف فلعل كفايته تتم به) فانه لا يشتهى الغليظ بعده فيستريح منه (ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف أيضا للطافته) فانما قدم أهل الدنيا غليظ الالوان على الرقيق ليتسعوا فى الاكل وتتفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان آخر وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنه جوزا حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فأخذ لنفسه موضعا فى خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز فكذلك المعدة اذا ألقيت فيها طعاما رقيقا لطيفا بعد طعام خشن غليظ أخذته الشهوات فى أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله والعرب تعيب ذلك ولا تفعله اذ من سنتها أن تبتدئ باللحم قبل الثريد قال رجل من العرب لبعض الانباط أنت من الذين يبتدؤن بالثريد قبل الشواء فذم أهل العراق بذلك هذا اذا استوى اللونان فى الحكم ولم يكن للمريد فى ترك الافضل منهما نية فاما ان كان قد ترك الشهوات ثم قدمت اليه وكان على عقد نية وقوة عزمه فلا باس بأكل الادون (وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها) نقله صاحب القوت (وطلب بعض أنواع الخبز شهوة) حتى قال بعضهم الخبز من أكبر الشهوات (قال عبد الله بن عمر) رضى الله عنهما (ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز) رواه صاحب القوت (فرأى ذلك الخبز) المخصوص (فاكهة) بالاضافة الى غيره (وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس فى الشهوات فى المباحات واتباعها بكل حال) فانه يخشى منه على المريد أن يتخذه عادة ولا يأمن من تألم قلبه وتوقان نفسه اليه ومنازعتها اياه لا سيما اذا كان مبتدئا فى السلوك غرا لا يعرف خبء النفس ودواهيها ولا يفطن لمكرها وآفتها فان ترك ذلك أفضل فليتركه حينئذ لاجل الله تعالى خوفا أن يشتهيه فيحرص على مثله ويدخل مداخل السوء من أجله ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة منه فتتعذر عليه التوبة لدخوله فى الشبهات عند اعتياد الشهوات لان العادة جند من جنود الله تعالى يقهر العلم لاجله تعذرت الاستقامة ولولا العادة لكنا تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين فليترك حينئذ أكل الطيبات اذا صارت شهوات وخشى منها مطالبة العادات ودواعى النفس بالآفات ناويا بذلك صلاح قلبه وتسكين نفسه ليملك بذلك نفسه قبل أن تملكه وتفطم عادتها قبل أن تهلكه ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل أن يكونا بالشهوة يغلباه (فبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته) وقد كان هذا طريق طائفة من السلف الى الله تعالى ثم انقرضوا فانمحى

ومهما اشتهى شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * نظر سهل الى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس فى الشهوات فى المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشه

طريقهم

قال بعض أهل البصرة نازعتني نفسي خبزا رزو سمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيأ بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)* اعلم أن المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات لكن من أسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على اساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة

طريقهم وخلف من بعدهم خلف من العلماء اتبعوا الشهوات ولم يتغالوا في هذه المقامات ولا سلك بهم هذه الطرقات فلم يتكلموا في طرق الشهوات فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه فمن عمل به وسلكه فقد أظهره ومن أظهره فقد أحيا أهله (قال) صاحب القوت حدثني (بعض) علمائنا عن بعض المريدين من أهل (البصرة) قال (نازعتني نفسي خبزا) ولفظ القوت خبزا أرز (وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي) لها (عشرين سنة قال فلما مات رآه بعضهم في المنام قال) ولفظ القوت قال فمات فرأيته في النوم فقلت (ماذا فعل الله بك فقال لا أحسن ان أصف لك ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات) ولفظ القوت من النعيم والكرامة (وكان أول شيء استقبلني به خبز) أرز (وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيأ بغير حساب) الى هنا آخر القصة (وقد قال) الله (تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام الخالية) أي الماضية (و) كأنهم كانوا (قد أسلفوا ترك الشهوات) لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلو أيامهم فاستقبلهم بالاكل والشرب ويقال لكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه وبمعناه (ولذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (ترك شهوة من الشهوات انفع للعبد من صيام سنة وقيامها) لفظ القوت ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وهو الذي قال لان أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة ذلك وقد تقدم قريبا وكان رحمه الله تعالى شديد الامر في الجوع وكان قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضا ثلاثين سنة كما نقله صاحب القوت

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

(اعلم أن المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور أوسطها) كما ورد في الخبر وتقدم الكلام عليه (وكلا طرفي قصد الامور ذميم) قال صاحب القوت قال وهب بن منبه لكل شيء وسط وطرفان فاذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان قلت أخرجه صاحب الحلية من طريق عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب وزاد ثم قال عليكم بالاوسط من الاشياء (وما أوردناه في فضائل الجوع فربما يومئ) أي يشير (الى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات فمن أسرار حكمة الشريعة) الخفية (ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى) أي الابعد (وكان فيه فساد) اما حالا أو مآلا (جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه) والزجر عنه (على وجه يومئ عند الجاهل) بالاسرار (الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم) الكامل في معرفته (يدرك) من ذلك (أن المقصود) هو (الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم) وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي (انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه) كما هو في الصحيحين ومر في كتاب صلاة الليل فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا تثقل المعدة و) بحيث (لا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة) بان يكون أداؤه للفرائض من قيام (وثقل المعدة يمنع من العبادة) أي من القيام بها

وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة فى الخلاص فاشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى أن تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذى تحس بالمه فى أكثر الاحوال لتنكسر نفسه

والشهوة

(وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منه) فكلاهما من المشوشات (فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر) لا فى ظاهره ولا باطنه (ليكون متشبها بالملائكة) عليهم السلام (فانهم) عباد مكرمون (مقدسون من ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان) فى فضله (الاقتداء بهم) واللحوق بزمرتهم (واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمى البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية بالنار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب) فى كل ناحية منها (حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج) منها اذ هى خلقت معه فلا تفارقه (وهو) مع ذلك (يريد أن يتشبه بالملائكة) بخروجه عن الصفات البهيمية (فى الخلاص) منها (فاشبه أحواله بهم البعد) عن الشهوات (وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوسطها) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم قلت أخرجه من قول مطرف وكذلك رواه ابن جرير فى التفسير أيضا ويروى من قول يزيد بن مرة الجعفى رواه ابن جرير أيضا وروى ذلك عن على مرفوعا بسند فيه مجاهيل ورواه ابن السمعانى فى الذيل وأبو بكر الجيانى فى الاربعين ويروى أيضا عن ابن عباس أخرجه الديلمى بلا سند وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلا (واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وكذا قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وكذا قوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك (ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر) والمراقبة ونحوها (وخف فى نفسه وقوى على العمل فى خفته) وفى بعض النسخ وقوى بالعمل على خفته (ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحة) رافعة رأسها (متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة فى ايلامها) أى اتعابها (بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة) أى منقادة مهذبة (بالجوع والضرب وغيرهما الى أن تعتدل) وهذا مشاهد (فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها) وأطلق لها الاكرام (ولاجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع) والصبر عليه (وهو) بنفسه (لا يجوع ويمنعه) تناول الفواكه والشهوات) ويحذره منها (وهو لا يمتنع منها) بل يتناولها (لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التاديب) اذ صارت مذللة فى العبادة (ولما كان الاغلب على النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة) بالتكاسل (كان الاصلح لها الجوع الذى تحس بالمه فى أكثر الاحوال لتنكسر) فالامتناع عن العبادة ثمرة الكسل والكسل ثمرة امتلاء المعدة وكذا الجماع انما يحركه باعث الشهوة

والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء أيضا الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة اما صديق واما مغرور أحمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع الى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تاديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله و يظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى اذا صائم وكان يقدم اليه الشئ فيقول أما انى قد كنت أردت الصوم ثم يأكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال انى صائم فقالت له عائشة رضى الله عنها قد أهدى الينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكى عن سهل انه قيل له كيف كنت فى بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين

والشهوة تنبعث عن الطعام وقس عليهما بقية الاوصاف الذميمة والجوع مقطعة الكل (والمقصود ان تنكسر) النفس (حتى تعتدل فترد بعد ذلك أيضا فى الغذاء الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة) رجلان (اما صديق) قد بلغ الغاية القصوى فى مرتبة صدقه فى العبادة (واما مغرور أحمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع الى الحق) فهو لا يلازم الجوع ولا حد له فى أكله ولا توقيت (وأما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تاديب نفسه) وترويضها (الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم) وقع فى الناس (وهو الاغلب) على أحوالهم (فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك (فيسامح نفسه فيكون حاله كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله) الصحيح (و يظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو) لاجل (مجاهدة نفس) جموحة (متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال) فهى رياضة المريدين وطريق المجاهدين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه) ولا تجزئة ولا تقسيم (قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم) رواه البخارى ومسلم (وكان) صلى الله عليه وسلم (يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى اذا لصائم) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث عائشة وهو عند مسلم بنحوه كما سيأتى (وكان) صلى الله عليه وسلم (يقدم اليه الشئ فيقول اما انى قد أردت الصوم ثم يأكل) قال العراقى رواه البيهقى من حديث عائشة بلفظ وانى قد كنت فرضت الصوم وقال اسناده صحيح وعند مسلم قد كنت أصبحت صائما (وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال انى صائم فقالت عائشة رضى الله عنها قد أهدى لنا حيس) وهو تمر ينزع نواه و يدق مع اقط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد و ربما جعل معه السويق (فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه) قال العراقى رواه مسلم بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفى لفظ للبيهقى انى كنت أريد الصوم ولكن قربيه اه قال صاحب القوت الافضل لمن عقد لله تعالى صوما ان يتمه فان فسخه لغير الله عوقب على ذلك من عقوبات القلوب أو عقوبات الجوارح فى طرقات الآخرة فتلك عقوبة ترك فضائل الاعمال قال بشر بن الحرث رحمه الله تعالى ان فلانا الغنى يصوم الدهر فقال المسكين ترك حاله ودخل حال غيره انما حاله أن يطعم الجياع و يكسو العراة و يواسى المحتاجين فهذا أفضل له من صيامه الدهر ثم قال بشر عبادة الغنى كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر فى جيد الحسناء ودخل سفيان الثورى رحمه الله تعالى يوما على أبى اسحق الفزارى فقدم اليه قصعة فيها خبيص فقال لولا انى صائم لاكلت معك قال الفزارى دخل على أخوك ابراهيم بن أدهم فقعد فى موضعك هذا فقدمت اليه خبيصا فى هذه القصعة فأكل فلما أراد الانصراف قال اما انى كنت صائما الا انى أحببت أن آكل معك أسرك بذلك فوضع الثورى يده فجعل يأكل و تادب بابراهيم (ولذلك حكى عن سهل) التسترى رحمه الله تعالى (انه قيل له كيف كنت فى بدايتك) أى ابتداء حالك فى السلوك (فاخبر بضروب من الرياضات) وأنواع من المجاهدات (منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التين) وهو ما تكسر منه (مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين) قيل وما هو قال كنت اشترى فى كل سنة بدانقين تمرا وأربعة دوانيق كسبا ثم أعجنهما عجنة ثم أجزئها ثلاثمائة وستين

فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا فقال آكل بلاحد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلاحد ولا توقيت انى آكل كثيرا بل انى لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان اخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت واذا جوّعنى صبرت مالى والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن أدهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقيل يا أبا اسحق بهذا كله قال ويحك اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم الاوزاعى والثورى فقال له الثورى يا أبا اسحق أما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف فى اللباس والاثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال مادخل بيتى الملح منذ عشرين سنة وعن سرى السقطى انه منذ أربعين سنة يشتهى ان يغمس جزرة فى دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط اوغبى مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى اسامح نفسى فليس نفسى اطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول مانفسى باعصى على من نفس معروف الكرخى وابراهيم بن ادهم فاقتدى بهم وارفع التقدير فى مأكولى فانا أيضا ضيف فى دار مولاى فمالى وللاعتراض ثم انه لو قصر أحد فى حقه وتوقيره أو فى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير فى الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه و بين الله علامة فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك ولا

كبة أفطر فى كل ليلة على كبة قال (فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا قال آكل بلاحد ولا توقيت) نقله صاحب القوت وقد تقدم له وللمصنف قريبا نحو هذه وكذا أورده القشيرى فى الرسالة فى ترجمة سهل (وليس المراد بقوله بلاحد ولا توقيت انى آكل كثيرا بل) المراد (انى لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان) أبو محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخى) رحمه الله تعالى (يهدى اليه طيب الطعام فيأكل فقيل له ان أخاك بشر) بن الحرث الحافى (لا يأكل مثل هذا فقال ان أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت واذا جوّعنى صبرت مالى والاعتراض والتمييز) وفى نسخة التخير هكذا أورده صاحب القوت (ودفع ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حورى فقيل له يا أبا اسحق هذا كله) كأنه استكثره (قال ويحك اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال) نقله صاحب القوت وأصله فى الحلية لابى نعيم (وأصلح ابراهيم) بن أدهم (مرة طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم) أبو عمرو (الاوزاعى و) سفيان (الثورى فقال له الثورى يا أبا اسحق اما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف فى اللباس والاثاث) نقله صاحب القوت وأصله فى الحلية لابى نعيم (فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا) محضا (يرى هذا) الصنيع (من ابراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار) أبى يحيى البصرى (انه قال مادخل بيتى الملح منذ عشرين سنة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وعن السرى) (السقطى) رحمه الله تعالى (انه منذ أربعين سنة يشتهى أن يغمس جزرة فى دبس فما فعل) أخرجه القشيرى فى الرسالة بالشك منذ ثلاثين سنة أو أربعين ورواية صاحب القوت منذ ثلاثين من غير شك (فيراه متناقضا) مع بعضه (فيتحير) عند الوقوف عليه (ويقطع بان أحدهما مخطئ) لامحالة (والبصير) العارف الناقد (باسرار العلم يعلم ان ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال) والاشخاص (ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط) لدينه (أوغبى مغرور) بحاله وعلمه (فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسى) ما سامح به أولئك القوم (فليس نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار) رحمهما الله تعالى ومن يكون مثلهما (وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول مانفسى باعصى علىّ من نفس معروف الكرخى وابراهيم بن أدهم) رحمهما الله تعالى (فاقتدى بهم وارفع التقدير فى مأكولى أنا ضيف فى دار مولاى فمالى وللاعتراض ثم انه لو قصر أحد فى حقه وتوقيره وفى ماله وجاهه) بل وحاشيته (بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض) ولم يبق فى المجال شيأ (وهذا مجال رحب) أى واسع (للشيطان مع الحمقى) قلائل العقول (بل رفع التقدير والتوقيت (فى الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر فى مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه و بين الله تعالى علامة فى استرساله وانقباضه) قال صاحب القوت بعد ان أورد الاحاديث المتقدمة فى الصيام والاكل وكان بينه صلى الله عليه وسلم و بين الله تعالى علامة فى صومه وفطره وكان الوجود علامة فطره و يكون مرادا به وكان العدم علامة صومه يكون معه مرادا به قال وعلى هذا المعنى تصريف قلوب العارفين ومن هذه المشكاة تضىء بصائر الشاهدين ولا يوكلون الى حال ولا يوقفون مع مقام (ولا يكون ذلك)

الابعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله فى أكله وافطاره فينبغى أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء فى يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه الاسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى أن يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد فى كل رياضة كان يأمره بها كى لا يخطر بباله ان الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك فى كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى اعلم

(بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات أو قلل الطعام)

ولا يتم (الابعد) تمام ثلاث خصال احداها (خروج النفس عن مسامحة الهوى و) توافقها (الى العادة بالكلية) والثانية حسن النية (حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امتناعه) من الاكل (بنية) فيستوى فطره وصومه اذا كان العامل فيهما واحدا (فيكون عاملا لله فى أكله وافطاره) والثالثة أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية وهن السمع والبصر واللسان والقلب واليد والرجل ويكون مفطرا بالبطن والفرج فيكون ماحفظ أكثر وأبلغ وأحب الى الله تعالى ويكون أفضل ممن صام بجارحتين وان لم يكن ممن أصبح صائما ثم أفطر بهذه الاوصاف الثلاث دخلت عليه الشهوة الخفية فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لما قال أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية فقيل ما الشهوة الخفية فقال أن يصبح أحدكم صائما ثم يعرض له الطعام يشتهيه فيفطر لاجله (فينبغى أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله) قال العراقى متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه للعسل عند بعض نسائه (ثم لم يقس نفسه بذلك بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء فى يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها) وقد علم انه كان حلالا فامتنع من شربه خوفا من الحساب وقد تقدم ذلك قريبا (وهذه الاسرار الخفية (لا يجوز لشيخ) من شيوخ الطريقة أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى أن يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال) فيما بعد (ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغنى عن الرياضة) وتهذيب الاخلاق (فان الشيطان يجد لذلك من قلبه متعلقا فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال) فيقع المريد فى غرور عظيم ولا يجىء منه شئ فى الطريق (بل كان عادة) أبى اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى من أقران الجنيد مات بالرى سنة ٢٩١ (أن يخوض مع المريد فى كل رياضة يأمره بها كى لا يخطر بباله ان الشيخ لم) أى لاى شئ (يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته) فكان يفعل ذلك الشيخ دفعا للغروره وقطعا لما يخطر فى باله (والقوى الشديد اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى) حسن (سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء) ومن على قدمهم وقد خفى ذلك على كثير من فلم يحيطوا به علما (واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك فى كل حال) حتى يقع على حد الاعتدال فيتمسك به ويستقيم عليه (ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن) أى مطبوخا به (فعلاه بالدرة) أى السوط (وقال لا أم لك) لا تفعل هكذا (كل يوما خبزا ولحما) وهما أعلى الطعام والادم (ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا) وهؤلاء الثلاثة من أعلى الطعام وأوسط الادم (ويوما خبزا وملحا) وهما من أعلى الطعام وأدنى الادام (ويوما خبزا قفارا) أى وحده بلا ادام (وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم) فى كل يوم (و) على (الشهوات) كالفواكه وغيرها (فافراط واسراف) منهى عنهما (ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار) وهو أيضا منهى عنه (وهذا قوام بين ذلك) قال الله تعالى وكان بين ذلك قواما والله اعلم

(بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات أو قلل الطعام)

(اعلم) وفقك الله تعالى (انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما) فى الحقيقة (أعظم من أكل الشهوات) فينبغى للمريد أن يتعاهد نفسه من طروقهما (احداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا تريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفى الشهوة ويأكل فى الخلوة مالا يأكل مع الجماعة) وليس هذا من طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين (وهذا هو الشرك الخفى) كذا فى سائر نسخ الكتاب والاولى وهذا من الشهوة الخفية وهى التى جاء فى الخبر أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية فالرياء بالمعاملات وخفى الشهوة أن يشتهى أن يعرف ويوصف بترك الشهوات كما هو فى سياق القوت وليس فيه ذكر الشرك الخفى وان كان بحسب المعنى صحيحا (سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا قال) لا الا فى شئ واحد مكروه (يأكل فى الخلوة مالا يأكل مع الجماعة) فاعله بذلك كذا فى القوت قال ولعمرى انه موضع علة لان الصادقين قد كانوا يأكلون فى الجماعة مالا يأكلون فى الخلوة فهذا اضد حالهم (وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلى بالشهوات) أى بأكلها (وحبها أن يظهرها) ولا يخفيها وليشترها بنفسه ولا يسترها (فان هذا) من (صدق الحال) وهو طريق السلف (ويدل عن فوات المجاهدات بالاعمال) قالوا ان فاتته المجاهدة فى الاعمال فلا يفوتنه الصدق فى الحال وان لم يكن صديقا فليصدق فى كذبه فان الصدق فى الكذب أصل الصدقين (فان اخفاء) الكذب و (النقص واظهار ضده من) الاخلاص (والكمال) هما (نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء) هما (كذبان) لانه نقص وأظهر حال الكاملين واعتل وأبدى شعار المعصومين فكذب من طريقين (فيكون مستحقا للمقتين) أى للمقت من وجهين (فلا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد الله) تعالى (أمر المنافقين) فغضب عليهم ومقتهم مقتين ثم لم يرض منهم الا بتوبتين واشترط عليهم شرطين (فقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) يعنى أسفل من الكفار (لان الكافر كفر وأخلص) فى كفره (وأظهره) فسوّى بين ظاهره وباطنه (وهذا) أى المنافق (كفر) وأشرك فى ايمانه (فستر) فخالف بين ظاهره وباطنه (فكان ستره الكفر كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره) فزاد الله فى هوانه وشدد فى توبته بما وكده فى شرطه فقال الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وهذا مما لا يمتحن به عالم بالله تعالى ولا غافل عن الله تعالى ولله الحمد (والعارفون) قد (يبتلون بالشهوات) أى بأكلها (بل بالمعاصى) والذنوب لما تجرى عليهم (ولا يبتلون بالرياء) أى رياء المخلوقين (والغش والاخفاء) وليس للسلف فى هذا الباب الا طريقان أحدهما ما أشار اليه المصنف بقوله (وكمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى) ويجاهد النفس (فى الله تعالى) والعارفون فى طريق هذه المجاهدة على قسمين فمنهم من كان يخفيه لانه أسلم له ومنهم من كان يظهره لانه مؤمن قوى نيته فى ذلك القدوة والتأسى والى هذا القسم أشار المصنف بقوله (ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا للمنزلته من قلوب الخلق) وطريق آخر كان فيه طائفة من العلماء والعاملين فكانوا يأكلون الطيبات ويتسعون فى المآكل اذا وجدوها الا أنهم كانوا يظهرون ذلك ويكشفون نفوسهم به فان فاتك الطريق الاقرب الاعلى فاسلك الطريق الاسلم الاوسط فاما أن يكون عبد يأكل بالشهوات فى السر ويخفيها فى العلانية أو يظهر شعار ضدها من الترك لها والزهد فيها فليس هذا طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين هذا قد عرج عن طريق المسالك وسلك سبيل المهالك فاياك أن تترك محجة الطريق فتقع فى حيرة المضيق روى ان عابدا من بنى اسرائيل انتهى من سياحته الى أرض لقوم رأى فى وسطها طريقا مستطرقا تسلك فيه السابلة فقال هذه أرض لقوم كيف أسلكها شق عليه أن يجاوز الارض فيبعد عليه طريقه فتفكر وقال هذا طريق مسلوك لا باس على أن أسلكه فسلكه فلما خرج من تلك الارض عوقب على ذلك ونسى ذنبه فجعل يستكشف فقيل له لانك سلكت على غير طريق ودخلت حرث قوم بغير اذنهم فقال يارب معذرة اليك

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفى الشهوة ويأكل فى الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفى سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا قال يأكل فى الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلى بشهوات وأحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاءها لنقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستره فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصى ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا للمنزلته من قلوب الخلق

وكان بعضهم يشترى الشهوات و يعلقها فى البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يتشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد فى الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهى طريق من يعطى جهرا فيأخذ و يرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا و بالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغى أن يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغى أن يغره قول الشيطان انك اذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويروّجه الشيطان عليه فى معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل أو لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الاكل وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه وتلك هى الشهوة الخفية فهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها اذ لم تعطها شهوتها

انى رأيته قد جعل طريقا فأوحى الله اليه أوكل ما اتخذ الظالمون طريقا جعلته الى سبيلا فمن سلك طريق ظالم بغرور لم يكن فى ذلك معذورا وأوقعه فى الحيرة والغرور فهلك وأهلك من اقتدى به وهذا طريق متصنع جاهل متطرق بذلك الى الدنيا يتسوق عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد فى الوحدة ضعيف اليقين فى غيبته عن العيون (وقد كان بعضهم) من الصادقين من السلف (يشترى الشهوات بنفسه) و يعلقها فى البيت و يظهر للناس شعار الزاهدين (وهو فيها) عند الله (من الزاهدين) لا آكلها (وانما يقصد بذلك) اسقاط منزلته من قلوب الجاهلين و (التلبيس) أى الاخفاء (لحاله) عن الناظرين (ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين) و يشترى بالمعاملات لتنقطع عنه المقالات (حتى لا يتشوش حاله) لان هذا مقام من زهد فى الاشياء وأخفى زهده (فنهاية) اخفاء (الزهد الزهد فى الزهد باظهار ضده) واستشعار الزهود فيه ثم لا يتناول ولا يتمتع به فيكون هذا أشد على النفس من المجاهدة (وهذا عمل الصديقين) وحال الصادقين وطريق الاقوياء من أهل الارادات (فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين) ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عند الخلق فعدمت النفس لذة المتعة به وفقدت اثبات المنزلة بتركه (وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه) وقذفه (فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهى طريق من يعطى جهرا) وعلانية (فيأخذ و يرد سرا) وخفية (ليكسر نفسه فى الاخذ بالذل جهرا) اذ فيه سقوط الجاه بظهور الرغبة (و بالفقر) والزهد (سرا) فلا هو متع نفسه بالجامع الرد ولا هو أنالها حظها بتناوله مع الاخذ وهذا من أشد شئ على النفس وهو طريق علماء الزهاد ومن أخرجه سلكه الى مقام الصديقية وهذان طريقان قد درس وعفا أثرهما فى هذا الزمان وما قبله بكثير لا يسلكه الا من عرفه الفرد بعد الفرد والسابلة من القراء على طرقات التصنع والتزين برآه (فمن فاته هذا) الطريق الاقرب الاسهل (فلا ينبغى ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه) فانه أيضا محجة الطريق ومن لم يسلكها وقع فى حيرة الضيق (فلا ينبغى أن يغره قول الشيطان انك ان أظهرت) ذلك للناس (اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيره) وهذا غرور (فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (فهذا انما يقصد الرياء المجرد و يروّجه الشيطان عليه) و يزينه له (فى معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقدم على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به) بين الناس (فيشتهر بالتعفف عن الشهوات) أى ترك كل شهوة لاجل الشهرة ثم اشتهى أن يعرف بتركها فهذا شهوة الشهوات (فقد خالف شهوة ضعيفة وهى الاكل وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه) فقد وقع فى أعظم مما كره ومتعته بشهوة النظر اليه والمدح له أكبر من متعته بترك شهوته المأكولة (وذلك هى الشهوة الخفية) التى جاء فى الخبر أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية وفسروها بان يشتهى أن يعرف و يوصف بترك الشهوات (فهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى قال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك) منها (مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة و) تكون قد (نغصت عليها) اذ لم تبلغ (شهوتها) قال صاحب القوت فان فعل هذا فحسن لان أبا سليمان خاف عليه ما ذكرناه قبيل من ان يظهر ترك الشهوة فيصير منعه باعتقاد فضله من ترك الشهوات أبلغ من أكل الشهوات أو أن يأكلها فتشرف عليها نفسه ببلوغ شهوته التى كان تركها لعلة الاخلاص كما تقول العامة بعلة الصبى تشبع الداية فان بقى يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها وقلبه مطمئن بالايمان لانه لم يعتل

وقال جعفر بن محمد الصادق اذا اقدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين * احداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد كما ان النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال في تفسيره الذكر اذا دخل

بالنظر فيتداوى بالتناول للبعض فاما ان كان قد اعتقد ترك شهوة لمعنى دخل عليه منها يخرجه من الورع أو بعزم على المجاهدة ثم أتى بها فهذا اختبار من الله لينظر كيف يعمل بالوفاء بالعقد فاحب الى أن لا ينال منها شيأ وليتعلل وليدافع عن نفسه بالمعاريض والمعاني حتى لا يفطن به انه تركها للمجاهدة فيكون قد فعل الوصفين معا الوفاء بالعقد في تركها والتورية بلطيف الحيلة عن الفطنة له في قصده فهذا طريق المريدين وصفات المتقين وهو الطريق الادنى الذي ذكرناه أولا فان ظهر قرب الله تعالى منه وغلبة نظره اليه أغناه عن الحيلة والاحتيال لقربه وشهادة ذي الجلال والاكرام وهو الطريق الاعلى الذي ذكرناه آخرا وهذا للموقنين (وقال جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين (الصادق) رحمه الله تعالى (اذا اقدمت الى الشهوة نظرت الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها) لها (أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ) نقله صاحب القوت وقال وتفسير ذلك ان اظهار النفس للشهوة أن لا تبالي ان تعرف بأكل الشهوات وأن تحب أن يظهر على ذلك من يعرف من أهل الديانات واخفاء النفس للشهوة ان تشتهي وتحب أن لا يعلمها انها تحب وتشتهي وتكره أن تعرف بانها من تشتهيها (وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية) التي هي شهوة الشهوات (وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان) في المثال (كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء أضر من شهوة الطعام) كما تقدم

(القول في شهوة الفرج)

(اعلم) أيدك الله (ان شهوة الوقاع) أي المجامعة بين الرجل وزوجته (سلطت على الانسان لفائدتين احداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة) اذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا الى لذات الجنة (فان لذة الوقاع) هي لذة ساعة (لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد) كلها (كما ان النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق) ولا تحصل فيه الرغبة (الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود) ونظام العالم (فهذه فائدتها) فلولا الشهوة ما كان الوقاع ولولا الوقاع ما كان النسل فالله سبحانه جعلها سببا لهذا الايجاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقال خير النساء الولود الودود وشرها العقيم وقال تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم وقال سوداء ولود خير من حسناء عقيم ولقصد النسل حظر اتيان المرأة في محاشها وكره العزل تأكيدا للمقصود من النكاح (ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط) على القانون (وتقهر وترد الى حد الاعتدال) الذي هو خير الامور (وقد قيل في تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة) قال صاحب القوت رويناه عن قتادة قلت وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول ما لا طاقة لنا به قال العزبة والانعاظ والغلمة وأخرج السدي قال من التغليظ والاغلال الى الغلمة (وعن ابن عباس) رضي الله عنهما (في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر) قال صاحب القوت رويناه عن ابن عباس قلت والمشهور عن ابن عباس في تفسيره قال الليل اذا أقبل هكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر وروي عنه أيضا الغاسق الظلمة والوقب شدة سواده اذا دخل في كل شئ أخرجه الطستي في فوائده وروي عن مجاهد قال يعني الليل اذا دخل هكذا رواه ابن جرير وابن المنذر وان صح ما قاله المصنف فهو نقل غريب عن ابن عباس وقوله هو قيام الذكر كأنه تفسير للوقوب والغاسق هو الذكر وهو في غريب اللغة (وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال في تفسيره الذكر اذا دخل) هكذا ذكره صاحب القوت قلت وهذا أغرب من الاول ولغرابة القولين نقلهما صاحب القاموس في كتابه وأسندهما المصنف وهو انما تبع صاحب القوت وكأنه لعدم اشتهار كتابه بين أيدي الناس تنوسي وجعل كأن الغزالي هو الذي أبدى هذين القولين وقد ذكرته في شرحي عليه

كلاما يحتاج الى مراجعته وكان شيخنا المرحوم أبو عبد الله بن الطيب رحمه الله تعالى ينكره هذا جدا ويدلك على هذا قول العراقى فى تخريجه حديث ابن عباس موقوفا ومسندا لا أصل له (وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله) هو قول فياض بن نجيح نقله عنه صاحب القوت وزاد فى موضع آخر فقال وقال بعضهم ثلث دينه (وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيى) تقدم الكلام عليه فى كتاب الدعوات (وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان) قال العراقى رواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث زيد بن خالد الجهنى باسناد فيه جهالة اهـ قلت الحبائل جمع حبالة بالكسر هو ما يصاد به من أى شئ كان وروى أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عابس وابن لال من حديث ابن مسعود والديلمى من حديث عبد الله بن عامر وعقبة بن عامر والتيمى فى ترغيبه من حديث زيد بن خالد كلهم بلفظ الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان هكذا روى عندهم بالافراد والرواية بالجمع أكثر نبه عليه الحافظ السخاوى رضى الله تعالى عنه قلت وقد رواه أيضا الخرائطى فى اعتلال القلوب والقضاعى فى مسند الشهاب من حديث زيد بن خالد (ولولا هذه الشهوة) قد ركبت فى الرجال (لما كان للنساء سلطة على الرجال) قال صاحب القوت وقد حدثت عن ابن البراء عن عبد المنعم بن ادريس قال حدثنا أبى عن وهب بن منبه انه وجد فى التوراة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال انى خلقت آدم وركبت جسده فى أربعة أشياء ثم ذكر الحديث بطوله فى ذكر الطبائع الاربعة ثم قال وقد تغلب الحرارة على بعض المريدين من قبيل قوة المزاج وحدة الشباب فيظهر الطبع بتبيغ المنى على العزاب كما تقوى الحرارة بتبيغ الدم لان أصل المنى هو الدم يتصاعد فى خرزات الصلب وهناك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فاذا امتلأ منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه فقويت الصفة لذلك فهذا حين هيجان الانسان للنكاح فلا يصلح لمثل هذا ان يأكل الحرارات من الاطعمة وليطفئ ذلك بأكل المبردات والاشياء القاطعة وليجتنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فانه يهيج الطبع ويقوى العنو وقد روينا ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم انهن كن يأكلن الخل والبرودات بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطعن به الشهوة (وروى أن موسى عليه السلام كان جالسا) ذات يوم (اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا) مختلفة (فلما دنا منه قلع) ذلك البرنس (فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك فقال له موسى) عليه السلام (من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله) تعالى (ومكانك منه قال) له موسى عليه السلام (فما الذى رأيت عليك) يعنى البرنس الذى قلعه (قال انى أختطف به قلوب بنى آدم قال) له موسى عليه السلام (فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه) أى غلبته وملكته (قال اذا أعجبته نفسه) أى رضى عنها (واستكثر عمله ونسى ذنوبه) قال (وأحذرك) ياموسى (ثلاثا) الأولى (لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها و) الثانية (لا تعاهد الله عهدا الا وفيت به و) الثالثة (لا تخرجن صدقة الا أمضيتها) بالفعل (فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى) ابليس (وهو يقول ياويلتاه علم موسى ما يحذر به بنى آدم) وهذه الخصال التى أشار اليها ابليس قد حذر منها نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو فى الاخبار الواردة فى ذلك لا سيما الاولى منها ففى حديث بريدة عند الطبرانى لا يخلون رجل بامرأة فان الشيطان ثالثهما وعنده وعند البيهقى من حديث ابن عباس لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة الا مع محرم ولا يدخل عليها رجل الا مع محرم وعند البيهقى أيضا لا يدخل رجل على امرأة الا ومعها محرم من دخل فليعلم ان الله معه وعند ابن سعد من مرسل الحسن لا تحدثن من الرجال الا محرما وعند البزار من حديث جابر لا تدخلوا على هؤلاء المغيبات فان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والاخبار فى التحذير عن الخلوة مع النساء

وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وهنى ومنيى وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال روى ان موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك ياموسى فقال له موسى من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذى رأيت عليك قال برنس اختطف به قلوب بنى آدم قال فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى ما يحذر به بنى آدم

*وعن سعيد بن المسيب قال مابعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شئ أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أدخله الابيتى و بيت ابنتى اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى انت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط مايقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين * أحدهما ان يتناولوا مايقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها

الاجنبيات كثيرة (وعن سعيد بن المسيب) القرشى المدنى التابعى رحمه الله تعالى (قال مابعث الله نبيا فيما خلا) أى مضى (الا لم ييأس ابليس أن يهلكه بالنساء) أى ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه قد أعانه عليه فأسلم فلم يكن له عليه سبيل وقد روى نحو ذلك البزار من حديث جابر (ولاشئ أخوف عندى منهن) أى من طائفة النساء قال ذلك وسنه ثمانون كما سيأتى قريبا (وما بالمدينة بيت أدخله الابيتى و بيت ابنتى) وهى التى زوجها عبد الله بن أبى وداعة كما سيذكر المصنف قصتها قريبا (اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ غرضى (وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى) وقد صدق فى قوله (فنصف جنده الشهوة) بها يقاتل المؤمنين (ونصف جنده) الآخر (الغضب) فاذا اجتمعا فى رجل فقد كمل عنده جند الشيطان (وأعظم الشهوات شهوة النساء) واذا كانت لذة وقاعهن أعظم اللذات لو دامت ولكثرة استحواذهن على قلوب الرجال بمقتضى الشهوات كن من سهام ابليس التى لاتخطئ المرامى أبدا فيحملن الرجال مالا يطيقون و يقعون فى المحظور لاجلهن واذا كن رسلا فى حاجة لاترد شفاعتهن وتقضى حاجتهن وكل ذلك لما فيهن من مخايل الفتن فهن شر غالب لمن غلب (وهذه الشهوة أيضا لها) ثلاث مراتب (افراط وتفريط واعتدال فالافراط) وهى المرتبة الاولى (مايقهر العقل حتى تصرف همة الرجل الى الاستمتاع بالنساء) المنكوحات (والجوارى) بملك اليمين ويشتغل بهن (فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او) ما (يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش) التى حرم الله ماظهر منها وما بطن وذلك على ضربين أحدهما تعاطيه فى الحرث ولكن لا على الوجه الذى يجب وقد عظم الله أمره فقرنه مرة بالشرك فقط فقال الزانى لاينكح الازانية أو مشركة والزانية لاينكحها الازان أو مشرك ومرة قرنه بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون وسمى ذلك سفاحا من حيث ان المجتمعين عليه لاغرض لهما سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع ماء فى غير حرثه والثانى تعاطيه فى غير الحرث كاللواطة وهى أعظم من الزنا لان الزنا وضع البذر فى الحرث على غير الوجه المأثور فهو كمن زرع فى أرض غيره أو على غير الوجه الذى يجوز أن يزرع فيها وفى اللواط مع ذلك تضييع البذر فتعاطيها كمن قال الله تعالى فيه و يهلك الحرث والنسل ولهذا وصف قوم لوط بالاسراف فقال أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (حتى ينتهى افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين أحدهما أن يتناولوا مايقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع) من غير ضعف وفتور (كما قد يتناول بعض الناس أدويه تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام) وكل منهما شنيع قال صاحب القوت وحدثونا فى أخبار الملوك ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا منها انه وجه اليه بفيلسوف طبيب قال فأنزله المنصور وأحسن اليه فلما دخل اليه قال الفيلسوف قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال تتنافس الملوك فيها لااصنعها الا لهم قال وماهى قال اخضب لحيتك بسواد لا تنصل أبدا ولا تتغير عن حالها قال وما الخلة الثانية قال أعالجك بعلاج تتسع به فى المآكل فتأكل أى شئ شئت لاتتخم ولا يؤذيك الطعام قال وما الثالثة قال أقوى صلبك بتقوية تنشط بها الى الجماع فتجامع ماشئت لاتمل من ذلك ولا يضعف بصرك ولا تنقص من قوتك قال فاطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه فقال قد كنت أظن انك أعقل مما أنت اما ماذكرت من السواد فلا حاجة لى به لان ذلك غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لاغير نورا جعله الله فى وجهى بظلمة السواد وأما ماذكرت من الاكل فوالله ما أنا بشره ومالى فى الاستكثار من الطعام حاجة لانه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شئ فيه كثرة الاختلاف الى الخلاء فأرى ما أكره وأسمع مالا أحب وأما ماذكرت من النساء فان النكاح شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلى يجثو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك مذموما مدحورا فلاحاجة لى بما جئت به (وما مثال ذلك الا كمن ابتلى بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها

وتهييجها

وتهيجهاثم يشتغل باصلاحها وعلاجهافان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منهافيـدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فامرنى بأكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لاللتنعم والامر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بماوضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمة لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحى منه حتى اعتقد أن الشهوة لاتنقضى الامن محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به وهذا لايكتفى الابشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لاليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له وانما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف

وتهيجهاثم يشتغل باصلاحها وعلاجها) وكفى بمايحتاج من باعث الطبيعة على ذلك فهو كمن قال

كلماأنبت الزمان قناة * ركب المرفى القناة سنانا

(فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الم) يحس فى الباطن وفى نسخة آلام (يريد الانسان الخلاص منه) وفى نسخة منها (فيدرك لذة بسبب الخلاص) من تلك الآلام (فان قلت فقد روى فى غريب الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة) قال العراقى رواه العقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع (فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كانت تحته تسع نسوة) تقدم ذكر أسمائهن (وجب عليه تحصينهن) بالامتاع فكان يقسم لهن وربما دار عليهن كلهن بغسل واحد كما ورد (وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن) كما هو مذكور فى خصائصه صلى الله عليه وسلم (فكان طلبه القوة لهذا) السبب (لاللتنعم) فلا يكون مذموما بل هو محمود بهذا النظر (والامر الثانى انه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال) عن نهج الدين (الى) مرتبة (العشق وهو) نهاية الحماقة و(غاية الجهل بماوضع له) أى لاجله (الوقاع وهو مجاوزة فى) الصفة (البهيمية لحد البهائم) فى عدم ملك النفس وذم الهوى (لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع) ولا يرضى بارادة لذة الباه (وهى) من (أقبح الشهوات) وأسمجها (وأجدرها بان يستحى منه حتى اعتقد) فى نفسه (ان الشهوة لاتقضى الامن محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به) لانها اذا أسقطت الاذى عنها بالسفاد سكنت فصارت الى الراحة (وهذا) المتعشق (لايكتفى الابواحد معين) ثم لا يرضى بذلك (حتى يزداد به ذلا على ذل وعبودية على عبودية) فالبهيمة أحسن حالا منه ثم لا يرضى بذلك (حتى يستسخر) ويستذل ماهو الاشرف الذى هو (العقل لخدمة) ماهو أخس وهو (الشهوة وقد خلق) العقل وأعطى ليقمع به الشهوة القبيحة و(ليكون مطاعا) رئيسا آمرا مخدوما (لاليكون خادما للشهوة) وساعيا فى محبتها (ومحتالا لاجلها) فما أخس حال من جعل الخادم مخدوما والمخدوم خادما وما مثله الا كمن انتعل بالمنديل ونشف الوجه بالنعل (وما العشق الا منبع افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاهم له) وتعاطيه حال كل جاهل فارغ سيما اذا نظر الى أخبار العشق وجالس العشاق وربما يؤدى العاشق الى ذبول ودق بل الى الموت قال الشاعر

لوفكر العاشق فى منتهى * معشوقه قصر عن حبه

وقال حكيم لتلميذه هوى جارية هل تشك فى ان لابد أن تفارقها يوما ما قال لا قال فاجعل تلك المرارة المتجرعة فى ذلك اليوم فى يومك هذا وارح مابينهما من الخوف المنتظر وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الالف اليه وقيل لبعض الحكماء ما العشق فقال جنون لايؤجر صاحبه عليه وسئل آخر عنه فقال مرض نفس فارغة فاشاروا كلهم الى معنى واحد (وانما يجب الاحتراز عن أوائله بترك معاودة النظر و) اجالة (الفكر) فيه (والا فاذا استحكم) غرسه فى القلب (عسر دفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد) ومافى معناها (حتى حب اللعب بالطيور) كالحمام وغيره (والعود) ومافى معناه (والنردشير والشطرنج) ومافى معناهما (فان هذه الامور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة) اما نقص الدين عليهم فمن جهات متعددة واما نقصان الدنيا فانه ان كان محترفا يشتغل بها عن حرفته ويضيع عياله وان كان ذا مال فانه يضيعه فيما يتعلق بتلك الاشياء وهلم جرا الى ان ينفدوا اما عدم صبرهم عنها فذلك مشاهد كادت أن تحول بينهم وبين أكلهم (ومثال من يكسر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله) فانه يمكنه ذلك (وما أهون منعها بصرف

عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها بمثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما أعظم التفاوت
بين الامرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور فاما فى أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدى
الى نزع الروح فاذا افراط
الشهوة أن يغلب العقل
الى هذا الحد وهو مذموم
جدا وتفريطها بالعنة
أو بالضعف عن امتاع
المنكوحة وهو أيضا مذموم
وانما المحمود ان تكون
معتدلة ومطيعة للعقل
والشرع فى انقباضها
وانبساطها ومهما أفرطت
فكسرها بالجوع والنكاح
قال صلى الله عليه وسلم
معاشر الشباب عليكم بالباءة
فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فالصوم له وجاء *(بيان ما
على المريد فى ترك التزويج
وفعله)* اعلم ان المريد فى
ابتداء أمره ينبغى أن لا يشغل
قلبه ونفسه بالتزويج فان
ذلك شغل شاغل يمنعه من
السلوك ويستجره الى
الانس بالزوجة ومن أنس
بغير الله تعالى شغل عن الله
ولا يغرنه كثرة نكاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه
كان لا يشغل قلبه جميع
ما فى الدنيا عن الله تعالى
فلا تقاس الملائكة
بالحدادين ولذلك قال أبو
سليمان الدارانى من تزوج
فقد ركن الى الدنيا وقال
ما رأيت مريدا تزوج فثبت
على حاله الاول وقيل له مرة
ما أحوجك الى امرأة تانس
بها فقال لا آنسنى الله بها أى ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى
وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم

عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها) ورسوخها (مثال من يترك الدابة) على حالها (حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما أعظم التفاوت بين الامرين فى العسر واليسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور) أى أوائلها (فاما فى أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد) وتعب شديد (يكاد يؤدى الى نزع الروح) من البدن (فاذا افراط الشهوة أن تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة) بالضم وهى أن لا يقدر على اتيان النساء أو لا يشتهيهن والاسم عنين ويكون خلقة ويكون عن سحر (أو بالضعف عن امتاع المنكوحة) من سبب عارض كبرد فى الصلب أو غيره (وهو أيضا مذموم وانما المحمود) من الشهوة (ان تكون معتدلة مطيعة بالعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها) والوقاع الصادر من هذه الشهوة اذا كانت بالوصف المذكور ان تعاطاه العبد على الوجه الذى سنه الشرع وذلك اما محمود وهو أن يتعاطاه قاصدا به النسل أو مسكنا لنفسه فالماء اذا اجتمع فى مقره يجرى مجرى مدة وقيح من جرح يعظم بحسبه الضرر ويدعو صاحبه الى ما هو فى الشرع محرم واما مكروه طبا وان لم يكن قد كره شرعا وذلك أن يتعاطاه فضلا عما تقدم ذكره فانه ينفد العمر ويستنفد القوى ويوسع أوعية المنى ويجلب اليه دما كثيرا ويزيد شهوة فأعظم فائدة فيه أن يلحق صاحبه بافق البهائم والتيوس والثيران وغيرهما مما يوصف بالشبق (ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معشر الشباب عليكم بالباءة) أى النكاح (فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) أى قطع له وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فى كتاب النكاح مفصلا

(بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن المريد فى ابتداء أمره) فى سلوكه (لا ينبغى أن يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى) وقال صاحب القوت الافضل للمريد فى زماننا هذا ترك التزويج اذا أمن الفتنة وعود العصمة ولم تنازعه نفسه الى معصية ولم يرادف خاطر النساء على قلبه حتى يشتت همه أو يقطعه عن حسن الاقبال على الخدمة من مسامرة الفكر ومحادثة النفس بأمر النساء ولم تجمع نفسه الى محظور وكثرة الخواطر بالشهوات يغير القلب من الخشوع ويدخل عليه النقصان فمتى لم يبتل العبد بهذه الوساوس فان التخلى أفضل لمعان محمودة لانه يجد لذة الوحدة وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله فلا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حاله فيقصر أو يقوم بحكم نفس أخرى فيعجز ويعالج شيطانا آخر مع شيطانه وتنضم نفس أخرى الى نفسه وله فى مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه أكبر الاشغال (ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى) لاشتغاله بمطالعة جمال مولاه (فلا تقاس الملائكة بالحدادين) هم الذين يشتغلون بعمل الحديد فهم بذلك فى غاية القذارة أو المراد بهم البوابون من الحد بمعنى المنع فهم يمنعون الداخل فى البيت (ولذلك قال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (من تزوج أو سافر أو طلب الحديث (فقد ركن الى الدنيا) أورده صاحب القوت وقد تقدم فى كتاب العلم وانما قال ذلك لان هذه الامور ربما توجب الركون الى الدنيا لا محالة (وقال) أيضا (ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول) وكأنه يريد اذا كان فى ابتداء سلوكه فانه ينقطع حينئذ عن مجاهدة النفس وقد ضمت اليه نفس أخرى فيشتغل بها فلا يكاد يثبت على أول حاله الذى شرع فيه (وقيل له مرة ما أحوجك الى امرأة تانس بها فقال لا آنسنى الله بها ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى) أى لا يتفق الانسان فى قلب واحد اما انس بالله واما انس بالزوجة (وقال أيضا كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم)

وقال

فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال أن يسرى ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا و يقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة فى الابتداء الى أن يقوى فى المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره و يتفرق عليه همه و ربما وقع فى بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا أخطئ به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء

وقال أيضا انما تركوا التزويج لتتفرغ قلوبهم الى الآخرة وفى حديث الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال قال أحمد بن أبى الحوارى صاحب أبى سليمان معنى الحديث أن يكون له ولا يشغلونه لا أن لا يكون له (فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال) والاحيان (ان يسرى ذلك) من قلبه (الى قالبه فيهدمه) أى يغيره عن صحته (فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة) رضى الله تعالى عنها (أحيانا و يقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه) قال العراقى لم أجد له أصلا (فقد كان طبعه) صلى الله عليه وسلم (الانس بالله عز وجل) دائما (وكان أنسه بالخلق عارضا) لاحقا (رفقا ببدنه ثم انه) صلى الله عليه وسلم (كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا يا بلال) يعنى باقامة الصلاة وقد تقدم ذكر هذا الحديث فى كتاب الصلاة (حتى يعود الى ما هو قرة عينه) يشير الى قوله وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقد تقدم الكلام عليه أيضا (فالضعيف اذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور ولان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم) فلا ينبغى أن يقيس أحواله بأحواله ولا أفعاله بافعاله ولا يوقع نفسه فى الغرور فيهلك (فشرط المريد العزبة فى الابتداء) ليجتمع له مع مجاهدة نفسه الانس بالله عز وجل وحده (الى أن يقوى فى المعرفة) ويتفرغ قلبه لله تعالى فيكون ذا أدب ساكن وقلب خائف ونفس مطمئنة فاذا تزوج حينئذ فلا يشغله عن الله تعالى (هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته فليكسرها بالجوع الطويل) بان يتجاوز عن ميعاد أكله فلا يأكل الا بعد يومين أو بعد ثلاث (والصوم الدائم) خصوصا فى الهواجر (فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا ان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة) والا أوقعته فى الخطايا (والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره و يتفرق عليه همه) و يتشتت باله (و ربما وقع فى بلية لا يطيقها) بمقتضى عجز البشرية (وزنا العين من كبار الصغائر وهى تؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج) وأول خطايا الفرج شهوة القلب بمباشرة الفكر وهو معفو كان النظر الاول معفو والخطيئة الثانية انعاظ الفرج عن شهوة القلب فهذا عمل فان ظهرت الشهوة من الفرج فهى معصية (ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه) لان أصل البلاء كله من النظر (وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير) رحمه الله تعالى (انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة) فانه لما رأى أوريا وجمالها أعجبته وافتتن بها (ولذلك قال لابنه) سليمان (عليه السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود) من الحيات (ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى) بن زكريا (عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى) فالنظر من العين والتمنى من القلب والفرج يصدق أو يكذب (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يقول ابليس هى قوسى القديمة) التى أرمى بها (وسهمى الذى لا يخطئ) فى اصابة غرضى (يعنى النظرة وقال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) تقدم الكلام عليه فى كتاب النكاح (وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) قال العراقى متفق عليه من حديث أسامة بن زيد اه قلت ورواه كذلك

أحمد والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة والترمذي والعوفي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني وابن قانع كلهم عن أسامة بن زيد وقد رواه الترمذي أيضا والحاكم في الكنى عنه وعن سعيد بن زيد معا ورواه ابن النجار من حديث سلمان الفارسي وفي لفظ للطبراني ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء (وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قلت وروى الديلمي من حديث معاذ اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان ابليس طلاع رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق بصيده في الاتقياء من النساء (وقال) الله تعالى في كتابه العزيز (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ويحفظوا فروجهم (وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) قال العراقي رواه مسلم والبيهقي واللفظ له من حديث أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه اه وفي لفظ البيهقي لكل ابن آدم حظه من الزنا فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والاذنان زناهما الاستماع واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل وهكذا رواه أبو داود أيضا وروى أبو الشيخ من حديث أبي هريرة زنا اللسان الكلام وروى ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في المعرفة من حديث علقمة بن الحويرث الغفاري زنا العينين النظر وروى أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني قال المنذري سنده صحيح ورواه كذلك أبو يعلى والبزار وقد أورد المصنف هذا الحديث اشارة الى أن أصل زنا الفرج العينان فانهما له رائدان واليه داعيان وقد قالوا من سرح ناظره أتعب خاطره ومن كثرت لحظاته دامت حسراته وضاعت أوقاته قال الشاعر

نظر العيون الى العيون هو الذي * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا

(وقالت أم سلمة) أم المؤمنين ابنة أبي أمية بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها قيل اسمها هند وأبوها يعرف بزاد الركب من أشراف قريش وأجوادهم هاجرت الى الحبشة مع أبي سلمة بن عبد الاسد (استأذن ابن أم مكتوم) وهو عبد الله بن قيس بن زائدة القرشي العامري مختلف في اسمه (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة) بنت الحرث الهلالية أم المؤمنين رضي الله عنهما (جالستان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا) أي ادخلا في الحجاب (قلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه) قال العراقي رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح (وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم) أي في أوقات المصائب والافراح (فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء) الاجانب صرح بذلك غير واحد من العلماء (ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة) ضرورية فانه على كل حال أجنبي وفيه ما في الرجال وأكثر لان غض البصر عن المحارم مما يورث قوة على الجماع وهؤلاء قد حجبت أبصارهم عن الرؤية فرجعت قوتها الى الجماع فلهم فيه حظ أكثر من الذي يبصر فحينئذ فتنة النساء بهم أكثر فيجب منعهن عن الخلوة بهم ومحادثتهم فانهم أشد ضررا من ابليس ومن المشهور في قول العامة ما من فتنة تكون في بيت الانسان اذا حقق أصلها اما من امرأة أو فقيه أعمى (وان قدر) المريد (على حفظ عينه عن الزنا) بان غضها وسترها ولها (ولم يقدر على حفظها عن الصبيان المرد فالنكاح أولى به) ومن أحسن أعماله وأرفع أحواله لان المباح مقام من لا مقام له والرجوع الى الحلال حال من ليس له حال وذلك (لان الشر في الصبيان أكثر) فان المرأة معها شيطان والامرد معه شيطانان (فلو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح) واذا مال الى الامرد فلا محالة يوقعه في الحرام اذ لا سبيل الى استباحة الاستمتاع به بحال من الاحوال (والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام) باتفاق

العلماء

وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام

بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين
الجميل والقبيح لامحالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون ادراكه التفرقة
كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لايشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لايشعرون قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس اليه * وقال سفيان لوأن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لوطا وعن بعض السلف قال
سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فهما عجز
المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لايسكن توقانها بالجوع (وقال بعضهم) غلبت على
شهوتي في بدء ارادتي بما لم أطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت

العلماء (بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد) أي يقع الاثر فيه من رؤيه محاسنه الظاهرة بحيث يحس بما رآه (وبحيث يدرك تفرقة بينه وبين الملتحي) أي صاحب اللحية (لم يحل له النظر) أصلا (فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل) الصورة (والقبيح) الصورة (ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة) وهم يدخلون في المحافل هكذا ويراهم الرجال من غير نكير فما معنى قولك من أدرك التفرقة بين الجميل والقبيح وتأثر بجماله قلبه لم يحل له النظر (فاقول لست أعني) بالتفرقة المذكورة (تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أنوارها وأزهارها وبين شجرة تساقطت أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه) الباصرة وطبعه المركوز في جبلته (ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لايشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها) وشمها (ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فهما وجد ذلك الميل بقلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة) بأنواع النقوش (والسقوف المذهبة) المزخرفة (فنظره) حينئذ (نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس) غالبا (ويجرهم ذلك الى المعاطب) أي المهالك (وهم لايشعرون) بل غافلون أو متغافلون (وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك) أي العابد (من غلام أمرد يجلس اليه وقال سفيان) الثوري (لوأن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجليه يريد) بذلك (الشهوة كان لوطيا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون) فقط من قريب أو بعيد (وصنف يصافحون وصنف يعملون) أخرجه السهروردي في المعارف وقال القشيري في آخر الرسالة ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وقلاه بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يصير بعد ذلك يسيرا قال الله عز وجل وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وهذا الواسطي يقول واذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان والجيف سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت أبا عبد الله الحصري يقول سمعت فتحا الموصلي يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الابدال كلهم أوصوني عند فراقي اياهم وقالوا اتق معاشرة الاحداث ومخالطتهم ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق وأشار ان ذلك من بلاء الارواح وانه لايضره وماقالوه ومن وساوس القائلين بالشاهد وايراد الحكايات عن الشيوخ بما كان الاولى بهم اسبال الستر على هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه قبيح وهو فتح باب الخذلان ومداخل الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء (فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة) وعاقبته وخيمة (فهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لايسكن توقانها بالجوع) اذا كانت تصيب من شهوتها بعد الجوع الطويل فذلك أشد باعث لها على حركة الشهوة فاما ان كان يجوع ولايأكل الاخبزا بمجامع ماء ودام على ذلك فانه يسكن التوقان وقد تقدمت الاشارة اليه (وقال بعضهم غلبت على شهوتي) ولفظ القوت حدثني بعض الفقراء قال استفحلت على صفتي مرة (في بدء ارادتي بما لم أطق فاكثرت) لفظ القوت فكنت أكثر (الضجيج الى الله تعالى فرأيت

شخصا في المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو اشد منه فرأيت كان شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني و يقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولدلي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية (قال بعضهم) من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد
لذلك
تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها فأراهم الرجل

شخصا في المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت) اليه (فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك) أي راجعني بمثله أو أشد منه (فاكثرت الاستغاثة) الى الله تعالى (فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها اليه فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي وأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة (ثم عاودني ذلك) بمثله أو أشد منه (فرأيت كان شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك لم تسأل) ولفظ القوت كم تسأل (الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع عني) ذلك (وولدلي) ولفظ القوت بعد قوله فانقطع ذلك عني فكان ذلك سبب ذريته فولدله (ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة) لا يعرض له ما يخالفها (وفي دوامها بحسن الخلق وسداد السيرة) الباطنة والظاهرة (والقيام بالحقوق والواجبات التي أوجب الله تعالى عليه للمرأة كما فصلناه في كتاب النكاح) في باب حقوق الزوجة على الزوج (فلا نطول) الكتاب (باعادته) ثانيا (وعلامة صدق ارادته) مع الله تعالى (أن ينكح فقيرة) أي قليلة المال والاثاث (متدينة) أي ذات حسب ودين ولا يطلب الغنية ولا الجميلة (قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة المهر) أي تطلب مهرا كثيرا (وتسويف الزفاف) أي تأخيره وربما واعده أهلها ويخلفون في وعدهم فيكون المريد في حيرة شديدة (وفوت الخدمة) فان الغنية تأبى عن الخدمة وتأنف ان تكنس البيت وتباشر مهماته بيدها (وكثرة النفقة) فهذه أربعة (و) الخامسة (اذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على مالها) من متأخر الصداق (والفقيرة بخلاف ذلك) فان مؤنتها يسيرة وخدمتها كثيرة (وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل باربع والا استحقرته) في عينها (بالسن) فتكون أصغر سنا من الرجل (والطول) أي تكون أقصر من الرجل في القامة (والمال) أي تكون أقل مالا من الرجل (والحسب) أي تكون أقل حسبا من الرجل والحسب شرف الآباء وفي ضد هؤلاء الاربعة تستحقر الرجل فتقول أنا أكبر منك أنا أطول منك أنا أغنى منك أنا أشرف منك وكل ذلك مما يشوش قلب الرجل وربما أدى الى الفراق فاذا وجد في الرجل شئ من ذلك فلا ينبغي أن يفاتحها به فانه يكون سبب الغم بينهما وقد أمرنا بكتم السن لاجل ذلك فانك ان قلت سني كذا وكان قليلا استحقرتك وان قلت انك كبير استخرفتك (وأن تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع) وهذه الاربعة مما توجب ميل الرجل اليها ويطمئن قلبه من طرفها وفي القوت فان عزم العبد على النكاح فلا يكن همه من النكاح الا ذات الدين والصلاح والعقل والقناعة ففي الخبر عليك بذات الدين فنكاح المرأة للدين والصلاح طريق من الآخرة والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد والفقيرة خفيفة المؤنة ترضى باليسير والغنية تشتهي عليه الشهوات فيفرط عليه دينه (وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق) أي معاشرتها باحسن الاخلاق وألينها فقد حكى انه (تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء) أي بيت الماء (قط الا وحمل الماء قبلي اليه) وهذا من حسن الاخلاق وطيب المعاشرة (وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها) اليه (أصابها الجدري) فغير محاسن جسدها (فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها) ولا تعجبه (فأراهم الرجل) بعد ان فطن

انه قد أصابه رمد ثم أراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وان قدر على الترك فهو أولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روى ان محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم فكتب الى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم وليس تمضى الايام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فاجيبينى فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ماسرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده فى العزوبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذى يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما أيس

لذلك (انه قد أصابه رمد) فى عينيه وبقى على ذلك أياما (ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن) القائم بهم (فبقيت عنده عشرين سنة) وهو على تلك الحالة (ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك) التعامى (فقال تعمدته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق) وصدقوا فان الصبر على مثل هذا أشد ما سمع وحكى عن بعض الصوفية انه جعل نفسه أصم مدة عشرين سنة لكون امرأته خرج منها صوت ريح فخجلت فتصامم لكى يذهب عنها الخجل ولم يزل كذلك حتى ماتت نقله الشعرانى فى بعض كتبه (وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها) ويحتمل سوء خلقها (فقيل له لم لا تطلقها) فتستريح منها (فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها) كصبرى (فيتأذى بها) وهذا من أصعب المجاهدات (فان تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون) فى أخلاقه (وان قدر على الترك فهو أولى) لحاله (اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح) وبين (سلوك الطريق) طريق الآخرة (وعلم ان ذلك يشغله عن حاله) ويحول بينه وبين جمع همته (كما روى ان محمد بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس (الهاشمى) وكان قد ولى البصرة من قبل ابن أخيه السفاح (ملك من غلة الدنيا) أى ارتفاقها (ثمانين ألف درهم فى كل يوم ثم كتب الى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فاجمعوا كلهم على) زاهدة عصرها (رابعة) ابنة اسمعيل (العدوية) وكانت رحمها الله بارعة الجمال (فكتب اليها) مانصه (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم وليس تمضى الايام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها فاجيبينى) أى للنكاح (فكتبت اليه) مانصه (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك) أى لآخرتك (وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا مالك وصم الدهر وليكن فطورك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك) أى أعطاك (وأضعافه ماسرنى أن أشتغل عن الله طرفة عين) والسلام (وهذا اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان) فاذا الزواج فى حق المريد نقصان لحاله لانه اشتغال بالزوجة فلا يصح له أن يشتغل بغير الله تعالى (فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده ساكنا فى العزبة) غير متطلع الى الشهوة (فهو أقرب) الى سلوكه (وان عجز عن ذلك فالنكاح أولى به) وسئل سهل رحمه الله تعالى عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من معالجة النساء وقال أبو الحسن على بن سالم البصرى وقد سئل عن التزويج فقال لا يصلح فى هذا الوقت الا لرجل يدركه من الشبق مايدرك الحمار اذا نظر الى أتان لم يملك نفسه أن يثب عليها حتى يضرب برأسه وهو لا ينثنى فاذا كان الانسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل (ودواء هذه العلة ثلاث) خصال (الجوع) وهو أكثرها تأثيرا (وغض البصر) وهى تليها (والاشتغال بشغل يستولى على القلب) ويغلبه بالكلية فلا تكون له وجهة الى شئ سوى ماهو فيه (فان لم تنفع هذه الثلاث فالنكاح هو الذى يستأصل مادتها) ويقطع شأفتها (فقط) ومابعده دواء يستعان به على دفع هذا المرض (ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح) خوفا من الوقوع فى شئ من فتن النفس وراعوا المعالجة قبل حلول المرض (و) كانوا يبادرون أيضا (الى تزويج البنات) والاولاد ولو قبل البلوغ خشية من الافتتان عليهن وعليهم (قال سعيد بن المسيب) القرشى التابعى رحمه الله تعالى (ما أيس

ابليس من أحد الا أتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شئ أخوف عندى من النساء وعن عبد الله بن أبى وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلى فاسرجت وكنت صائما فقدمت عشائى لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابى يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت فى كل انسان اسمه سعيد الا بسعيد بن المسيب وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الى لاتيتك فقال لا أنت أحق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤنى قال وقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أو سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهى فى الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك أمى فجاءت وقالت وجهى من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها الى ثلاثة أيام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج

ابليس من أحد الا أتاه من قبل النساء) أى فانهن حبائله بهن يصطاد الرجال (وقال) سعيد أيضا (وسنه أربع وثمانون سنة وقد ذهبت احدى عينيه وكان يعشو بالاخرى ما شئ عندى أخوف من النساء) قلت قوله أربع وثمانون هكذا وقع فى نسخ الكتاب والصواب أربع وسبعون فان الواقدى صرح بان وفاته سنة أربع وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك قال وهو ابن خمس وسبعين سنة وفى قول غير الواقدى انه مات سنة ثلاث وتسعين فيكون عاش أربعا وسبعين سنة واختلف فى ولادته فقيل لسنتين مضتا من خلافة عمر وقيل لاربع سنين وأما قوله وقد ذهبت احدى عينيه فقد قال أحمد بن عبد الله العجلى فى ترجمته انه كان أعور وذكره صاحب الشعور فى العور (وعن عبد الله بن أبى وداعة) الحرث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ابن عمرو القرشى السهمى أخو المطلب بن أبى وداعة أمهما أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وقال أدرك الاسلام فاسلم وعمر دهرا بعد ذلك وأورده الحافظ فى الاصابة وقال هذا على الشرط فانه لم يبق بمكة بعد الفتح من قريش أحد الا أسلم وشهد حجة الوداع مع النبى صلى الله عليه وسلم وذكره الزبير بن بكار فى أنساب قريش وقال أسلم وعاش فى الاسلام وليس له عقب (قال كنت أجالس سعيد بن المسيب) أى اختلف اليه فى مجالسه (ففقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت اهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا بموتها فشهدناها) اى جنازتها (قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة) أخرى (فقلت يرحمك الله ومن يزوجنى وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وزوجنى على الدرهمين أو قال على الثلاثة قال) عبد الله (فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلى وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت) الى المنزل (فاسرجت) أى أوقدت فيه سراجا (وكنت صائما فقدمت عشائى لافطر وكان) العشاء خبزا وزيتا (واذا بابى يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت فى كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب) فانه لم يخطر ببالى (وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه واذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له) رأى فى أمر ابنته (فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الى لاتيتك فقال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تامر قال انك قد كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب) الى جهة الدار (ورده) أى الباب (فسقطت المرأة) مما غلب عليها (من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه) فتستحقره (ثم صعدت السطح فرميت الجيران) أى بالحصاة (فجاؤنى وقالوا ما شانك قلت) لهم (ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة قالوا وسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهى فى الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك أمى) وهى أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد فى الصحابيات فى باب بنات عم النبى صلى الله عليه وسلم وقال أمها غزية بنت قيس بن طريف من بنى فهر بن مالك قال وولدت لابى وداعة المطلب وأبا سفيان وأم جميل وأم حكيم والربعة اه ولم يذكر عبد الله وممن صرح بانها أمه الحافظ فى ترجمة عبد الله فى الاصابة (وقالت وجهى من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها الى ثلاثة أيام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله) تعالى (وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج

قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق و يكره العدو قال ان رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد ابن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه *(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)* اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل الا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها اما العجز أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شئ من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوط النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه بأي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد

قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ على السلام ولم يكلمني) والناس حوله (حتى تفرق الناس من المجلس فقال وما حال ذلك الانسان) يعني به ابنته (فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق و يكره العدو قال ان رابك أمر) أي من المخالفة لك (فدونك والعصا فانصرفت الى المنزل فوجه الى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان) أحد رواة هذه القصة (وكان عبد الملك بن مروان قد خطبها منه لابنه الوليد حين ولاه العهد) وأن يكون خليفة بعده (فابى أن يزوجه) اياها (فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف) وأشهره بين الناس (فاستعجال سعيد) رحمه الله تعالى (في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة الى تطفئة نارها بالنكاح) وفيه انه عصم رحمه حيث لم يزوجها للوليد لما كان فيه من الظلم

(فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل) فقد يضعف عن مقاومتها اذا ثارت (الا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه) أي ارتكابه والدخول فيه (وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها) لا يخلو (اما) أن يكون (العجز) ظاهر (أو لخوف) لاحق (أو الحياء) عارض (أو المحافظة على حشمة) أي مقام نفسه بين الناس (وليس في شئ من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوط النفس على حظ آخر) والحظوظ النفسية كلها لا ثواب لها (نعم من العصمة أن لا يقدر) والمشهور على الالسنة ومن العصمة أن لا تجد والمراد بالعصمة هنا الحفظ أي فاذا أراد الله حفظ عبده لم يجعله قادرا على الاتيان بشئ من المخالفات (ففي هذه العوائق فائدة وهي رفع الاثم) اذ لو أقدم عليه لاثم (فمن ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة) عليه (وارتفاع الموانع) عنه حسية ومعنوية (وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق) أي من يتصور حل نكاحه لها شرعا لا كما مردوا العشق كما تقدم هو التفاف الحب بالمحب حتى خالط جميع أجزائه واشتمل عليه اشتمال الصماء (فعف) أي منع نفسه عن ايفاء حظها (فكتم) بان لم يظهره لاحد (فمات فهو شهيد) وانما قارب وصفه وصف القتيل في سبيل الله لتركه لذة نفسه فكما بذل المجاهد مهجته لاعلاء كلمة الله فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم خوفا ورهبة وايثارا على محبة محدث قال العراقي رواه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد ثم قال أيضا يقال ان يحيي لما ذكر هذا الحديث قال لو كان لي رمح وفرس غزوت سويدا و رواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر اه قلت قد كثر الكلام على هذا ولنذكر أولا اختلاف ألفاظه وهذا الذي أورده المصنف هو لفظ حديث ابن عباس أخرجه الحاكم والخطيب في تاريخيهما من طريق نفطويه عن محمد بن داود بن علي الاصبهاني عن أبيه امام أهل الظاهر عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعا وقرأت في مصارع العشاق للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بدمشق قال حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي املاء حدثنا أبو عبيد الله المرزباني وأبو عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان قالوا حدثنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه قال دخلت على محمد بن داود الاصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف تجدك فقال حب من تعلم أورثني ما ترى فقلت ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة فقال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فاما النظر المباح فاورثني ما ترى وأما اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني

أبي قال حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ثم أنشدنا لنفسه

انظر الى السحر يجري في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي

وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب في عاج

وأنشدنا لنفسه

مالهم أنكروا سوادا بخد * يه ولا ينكرون ورد الغصون

ان يكن عيب خده بدو الشعـ * ـر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفوس دعوا اليه قال ومات في ليلته أو في اليوم الثاني وبهذا السند الى القمي قال حدثنا محمد بن عمران حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم حدثني الحسن بن علي الاشناني وأحمد بن محمد بن مسروق قالا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا وقال الحافظ السخاوي ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الازرقي حدثنا سويد به مرفوعا قال ابن المرزبان ان شيخه كان حدثه به مرفوعا تبه فيه فاسقط الرفع ثم صار بعد يرويه موقوفا وهو مما أنكره عليه يحيى بن معين حتى قال ما تقدم من الكلام فيما نقله الحاكم في تاريخه وكذا أنكره عليه غيره وقد قال أحمد ان سويد بن سعيد متروك وقال ابن الجوزي ومدار الحديث عليه فهو لا يصح لاجله وأورده في الموضوعات وتبعه في ذلك ابن تيمية وابن القيم مبالغا في الانكار على هذا الحديث قال السخاوي تبعا للزركشي لكن سويد لم ينفرد به فقد رواه الزبير بن بكار فقال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعا وهو سند صحيح وقد ذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج فقال

فان أهلك هوى أهلك شهيدا * وان تمنن بقيت قرير عين

روى هذا لنا قوم ثقات * نأوا بالصدق عن كذب ومين

وقد نظمه أبو الوليد الباجي فقال

اذا مات المحب هوى وعشقا * فتلك شهادة ياصاح حقا

رواه لنا ثقات عن ثقات * الى الحبر ابن عباس ترقى

قال الحافظ السخاوي وينظر هل هذه الطريق التي أوردها الخرائطي منها فان تكن هي فقد قال العراقي في سندها نظر اهـ قلت ولعل وجه النظر ان الديلمي أخرجه في مسنده من طريق الزبير فقال عن عبد الله بن عبد الملك بن الماجشون لا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون فان كان هذا القدر هو المشار اليه بقوله فيه نظر فالامر سهل والله أعلم ومن ألفاظ هذا الحديث من عشق فعف ثم مات فهو شهيد رواه الخطيب في ترجمة قطبة بن الفضل من حديث عائشة وهو من رواية أحمد بن محمد بن مسروق عن سويد بن سعيد وسويد قد عرفت حاله وابن مسروق ضعيف لينه الدارقطني ومنها من عشق فكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة رواه ابن عساكر من حديث ابن عباس ومنها من عشق فكتم فصبر فمات فهو شهيد رواه بعض المذكورين اما الديلمي واما الخرائطي ونظيره في توالي التعقيب بالفاء قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها وكذا في النازعات توالى فا آت وللحديث طرق عند البيهقي أيضا والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني أخاف الله رب العالمين) ولفظ الحديث امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته

وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني أخاف الله رب العالمين

امرأة

وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة فى هذه الشهوة العظيمة وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعنه أيضا ماهو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجها فبصرت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت اليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فاسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت أهنئنى فظن انها تريد طعاما فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتى قال لا والله الا أن لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك لانى أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال له أنا يوسف

امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه رواه أحمد والشيخان والنسائى من حديث أبى هريرة ورواه مالك والترمذى من حديث أبى هريرة أو أبى سعيد بالشك ورواه مسلم أيضا من حديثهما معا وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب الزكاة (وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا) امرأة العزيز (مع القدرة) وتيسير الاسباب (ومع رغبتها اليه معروفة) عند الناس (وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز) بل السورة بتمامها مشتملة على ذكر أحواله وكيف عصمه الله تعالى فقهر نفسه وأذل هواه (وهو) عليه السلام (امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة) وله به اسوة وقدوة (فقد روى أن سليمان بن يسار) الهلالى مولاهم المدنى احد الفقهاء السبعة المشهورة كنيته أبو ايوب (وهو أخو عطاء) وعبد الملك وعبد الله بنى يسار (كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه) لما قالت له ادن (قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم وأشار الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق مصعب بن عبد الله الزبيرى حدثنا مصعب بن عثمان قال كان سليمان من احسن الناس وجها فساقه وأخرجها المزى فى التهذيب فى ترجمته من طريق مصعب بن عثمان أيضا (وعنه ماهو اعجب من هذا وذلك) فيما رواه ابو نعيم فى الحلية عن جعفر بن محمد بن نصير كتابة حدثنا احمد بن محمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن بشير الكندى حدثنا عبد الرحمن ابن جرير بن عبيد بن حبيب بن يسار الكلابى عن أبى حازم (انه خرج) سليمان بن يسار (من المدينة حاجا ومعه رفيق له (حتى نزلا بالابواء) وهو موضع بين الحرمين (فقام رفيقه وأخذ السفرة) بالضم مائدة من جلد مدبوغ تتخذ للتزيد فيها فى الاسفار (وانطلق الى السوق ليبتاع لهم شيأ) أى يشترى (وجلس سليمان فى الخيمة) وحده (فبصرت به اعرابية من قلة الجبل) أى من رأسه (فانحدرت اليه فلما رأت جمال وجهه ووجدته منفردا (جاءت حتى وقفت بين يديه وكان من أحسن الناس وجها وأورعهم فكشفت) الاعرابية (عن وجهها البرقع) فاذا هو (كأنه فلقة قمر) حسنا وبهاء (فقالت أهنئنى فظن انها تريد طعاما فقام الى فاضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الشيطان الى ثم وضع رأسه بين ركبتيه) ولفظ الحلية بين كميه (وأخذ فى النحيب) أى رفع الصوت بالبكاء (فلم يزل يبكى فلما رأت ذلك منه سدلت البرقع على وجهها وانصاعت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه) من السوق وقد ابتاع لهم ما يرفقهم (فرآه وقد انتفخت) ولفظ الحلية انتفخت (عيناه من البكاء وانقطع حلقه) أى صوته (فقال له ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتى بالمدينة قال لا والله ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت فما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك) قال ولم قال (انى لأخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف) بالبيت (أتى الحجر الاسود) ولفظ القوت وطاف وسعى أتى الحجر (فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم) أى حسن الوجه جميله (طوال) شرحب (له شارة) أى هيئة (حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال أنا يوسف) بن يعقوب

قال يوسف الصـديق قال نعم قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف سأنك وشان صاحبة الابواء أعجب وروى عن عبد الله ابن عمر قال سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت الى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبـيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حـتى طلع الفجر والصبية يتضاغـون حول قـدمى فاسـ.قظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهـك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حـتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فاعطيتها مائة وعشرين دينارا عـلى أن تخلى بينى وبين نفسـها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفـض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهـم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيـه فانفرجت الصخرة عنهـم غير أنهـم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهـم انى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذى له وذهب فثمرت له أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله اعطنى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبـد الله أتهزأ بى فقلت لا استهزئ بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فعف وقريب منه

قال) سليمان (يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز) زليخا (لعجبا) مما قص الله فى كتابه (فقال له يوسف شأنك وشان صاحبة الابواء أعجب) يشير الى ما وقع له من قصة الاعرابية (وروى عن عبد الله بن عمر) رضى الله عنهما قال القشيرى فى الرسالة أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفراينى أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن ابراهيم بن اسحق حدثنا محمد بن عوف و يزيد بن عبد الصمد الدمشقى وعبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولى وأبو الحسن بن المميز المصيصى قالوا حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى عن سالم عن أبيه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم الليل الى غار فدخلوه) أى ليبيتوا فيه (فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه) والله (لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح أعمالكم) فان لذلك أثرا ظاهرا فى النجاة (فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق) بالضم أى لا أسقى (قبلهـما أهلا ولا مالا) أى لا أقدم فى الغبوق عليهما أحدا من الاهل ولا من المال والمراد بالاهل زوجته وصبيته والمراد بالمال الناطق (فنأى بى) أى بعد (طلب الشجر) أى المرعى (يوما فلم أرح عليهما) أى لم أصل اليهما فى العشية (حتى ناما) بعـد ان انتظرانى على الميعاد (فحلبت لهما غبوقهما) وهو بالفتح ما يشرب فى عشـية النهار فجئتهما به (فوجدتهما نائمين فكرهت ان أغبق قبلهما أهلا أو مالا) وتحرجت أن أوقظهما (فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون) أى يتصايحون بالبكاء من الجوع (حول قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ) قليلا (لا يستطيعون الخروج منه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال الآخر اللهم كانت ابنة عم لى من أحب الناس الى فاردتها) وفى نسخة فراودتها (عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة مجدبة من السنين فجاءتنى فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت حتى اذ قدرت عليها) أى تمكنت منها (قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه) وهو عقد النكاح (فتحرجت) أى تجنبت الاثم (من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها) اياه (اللهـم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غـير انهم لا يستطيعون الخروج منها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال الثالث اللهم انى استأجرت اجراء) جمع أجير وهو من يخدم بالاجرة (وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذى له) وسخطه (وذهب) كأنه استقله (فثمرت أجره) أى نميته (حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال) لى (يا عبد الله اعطنى أجرى فقلت) له (كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال) لى (يا عبد الله أتهزأ بى) وفى رواية لا تستهزئ بى (فقلت) له انى (لا أستهزئ بك فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة) عنهم (فخرجوا يمشون) رواه البخارى فى الصحيح (فهـذا أفضل من تمكن من الشهوة فعف) نفسه عنها ولم يعطها حظها وأقوى هؤلاء الثلاثة الثانى فانه ترك شـهوته مع تيسرها وكمال محبته لابنة عمه و بذله لها ما بذله من المال الجزيل وفى القصة اثبات الكرامة لهم حيث استجاب الله دعاءهم وأزال الصخرة عنهم بقدرته خرقا للعادة (و يقرب منه

من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه سلم لك الاولى وعليك الثانية أى النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع فى القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان فى تردداه عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لانه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها أهلها فى حاجة لهم الى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله قال فانت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بان تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فادعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها

من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا) والقلب تابع لها (فحفظها مهم) مطلوب (وهو عسير من حيث انه قد يستهان به) ويستحقر أمره (ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ منه) وتتولد به (والنظرة الاولى) التى تقع مفاجاة (اذا لم تقصد) أى لا تكون مقصودة (لا يؤاخذ بها والمعاودة) أى مراجعتها ثانية (يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية أى النظرة) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى من حديث بريدة قاله لعلى قال الترمذى غريب (وقال) أبو نصر (العلاء بن زياد) ابن مطر العدوى البصرى العابد المتوفى سنة ٩٤ (لا تتبع النظرة فان النظر يزرع فى القلب شهوة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا معتمر عن اسحق بن سويد عن العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يجعل فى القلب شهوة (وقلما يخلو الانسان فى تردداه عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخيل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه ان هذا غاية الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة وعجز عن الوصول) الى المطلوب (فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح ولم يلتذ) لان الاستلذاذ لا يكون الا مع الاستحسان (تألم) فى نفسه (لانه قصد الالتذاذ فلا يخلو فى كل حال عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن) والتيسر (فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق) من الله تعالى (فقد روى عن بكر بن عبد الله المزنى) فيما رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنى الحسن بن الصباح حدثنا زيد بن الحباب حدثنا محمد بن نشيط الهلالى حدثنا بكر بن عبد الله المزنى (ان قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها أهلها فى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل فانا) ولفظ الحلية لانا (أشد حبا لك منى ولكن أخاف الله قال) القصاب (وأنت تخافينه وانا لا أخافه) قال (فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك) ولفظ الحلية حتى كاد ينقطع عنقه (فاذا هو برسول لبعض أنبياء بنى اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال القصاب مالى من عمل فادعو وقال فانا أدعو وأمن أنت) أى قل آمين (على دعائى) قال (فدعا الرسول وأمن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل وأنا الذى دعوت وأنت الذى امنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك) دونى (لتخبرنى بامرك فاخبره) بما جرى له مع الجارية (فقال الرسول ان التائب عند الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه و) يحكى (عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه) سعيد بن ابراهيم (قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به) أى أحبته حبا شديدا دخل فى شغاف قلبها (وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يافتى اسمع منى كلمات أكلمك بها)

فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله أن يتشوق العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى (٤٤٤) لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسئلة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم انها تبعته وقالت امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الاول ثم انها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وأنت قد يأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فانا أستحيي منه ان أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى ابو

ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها (فاطرق) الفتى (مليا) أي برهة من الزمن (وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله أن يتشوف) وفي نسخة يتشرف (العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك) وفي نسخة ما أكلمك به (أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله فكان فيه) ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد ستره فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره) كذلك (فاذا لبس منها) وفي نسخة لها (ملابسها) بحيث صار معروفا بها (غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل) أي كالرصاص الذائب (وتصير الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش (وتجثو الامم) على ركبها (لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني أدلك على طبيب يداوي الكلوم) أي الجراحات (الممرضة والاوجاع المرمضة) أي المحرقة (ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسئلة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق فاين المهرب من هذه الآية) وهذا آخر ما في الكتاب (ثم انها جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق) الذي يسلكه العابد الى المسجد (فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله لئلا يراها فقالت له يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم الا بين يدي الله تعالى) غدا (ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم انها تبعته وقالت امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها قال أوصيك بحفظ نفسك من نفسك) المراد بالنفس الاول الذات وبالثاني الامارة أي حفظ ذاتك من شرها (واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الاول ثم انها افاقت) من بكائها ورجعت الى موضعها (ولزمت بيتها وأخذت في العبادة) وجدت فيها (فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وأنت قد يأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعي منها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى وأنا استحيي ان أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى) هكذا أخرج هذه القصة الامام

أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج فى كتاب مصارع العشاق قال أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر قال حدثنا أبو الحسن على بن عبد الله الهمدانى بمكة حدثنا ابراهيم بن على حدثنا محمد بن جعفر الكاتب عن محمد بن الحسين البرجلانى قال أخبرنى أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة فساقها الى آخرها وفيها بعض زيادات نشير اليها منها بعد قوله ثم انها أفاقت فقالت

والله ما جاءت أنثى ولا وضعت * انسا كمثلك فى مصرى وأحيانى

وذكر أبياتا آخرها قولها

لا لبسن لهـذا الامر مدرعـة * ولا ركنت الى لذات دنيانى

وذكر بعد قوله ثم لزمت بيتها وأخذت فى العبادة قال فكانت اذا أجهـدها الامر تدعو بكتابه فتضعه على عينها فيقال لها وهل يغنى هذا شيأ فتقول وهل لى دواء غيره وكان اذا جن عليها الليل قامت الى محرابها فاذا صلت قالت

ياوارث الامر هب لى منك مغفرة * وحل عنى هوى ذا الهاجر الدانى

وانظر الى خلتى يا مشتكى حزنى * بنظرة منـك تجلو كل أحزانى

قال فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا ثم قال وقال لنا الشيخ أبو القاسم الازجى رحمه الله تعالى ووجدت فى نسخة زيادة مسموعة عن الزبيبى شيخنا رحمه الله تعالى قال ثم ان الجارية لم تلبث ان بليت ببلية فى جسمها فكان الطبيب يقطـع من لحمها أرطالا فكان الطبيب قد عرف حديثها مع الفتى فكان اذا أراد أن يقطع لحمها يحدثها بحديث الفتى فما كانت تجد لقطع لحمها ألما ولا كانت تتأوه فاذا سكت عن ذكره تأوهت قال فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدا رحمة الله عليها * (خاتمة) * قال صاحب القوت فأما الصوم فليس عندهم هو الجوع المقصود لاسكان النفس واخماد الطبع لان الصوم يصير عادة و يرجع الصائم الى قوة طبعه اذا أفطر فأما اذا كان يصوم و يفطر على الشهوات أو يمتلئ من الاكل فان صوم هذا لا يزيده الا قوة طبع وظهور نفس وتفتق عليه الشهوات و يدخل عليـه الفتور عن الطاعات و يجلب عليـه الكسل والشبهات و ربما قوى طبعه جملة واحدة وظهرت عليه نفسـه بقوة جملة الا أنه لا يجرى فى نهاره الا فيما أجريت عادته عليه وجعل حاله فيـه من أبواب الدنيا والتنقل فى الهوى وان كان ظاهر أحواله أسـباب الآخرة عنده لقصور علمه فان حشوها الدنيا فالتقلل وأخذ البلغة من القوت فى الاوقات مع الافطار أصلح لقلب هذا وأدوم لعمله وأبلغ فى آخرته من مثل هذا الصوم لان هذا الذى وصفناه عادة أبناء الدنيا المترفهين ليس بصوم أهل الآخرة الزاهدين ولكن بالتقلل والطى وترك الشـهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذل و يخمد الطبع وتضعف الصفة عن العادة وتقوى ارادة الآخرة و يعمل المريد فى سعيها وتخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير العبد من الجوع والطى وترك الترهات كأنه زاهد وقيل لابى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى وهو أعلى هذه الطائفة اشارة بأى شئ نلت هذه المعرفة قال ببطن جائع وجسد عار وفى الخبر الاسرائيلى أن عيسى عليه السلام ظهر له ابليس فرأى عليه معاليق من ألوان الاصباغ من كل شئ فقال له ما هذه المعاليق قال هذه شهوات بنى آدم فقال فهل لى فيها شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبدا قال ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا وكان أبو سليمان الدارانى يقول اذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فامضها قبل أن تأكل فما من أحد شبع الا نقص من عمله أو قال تغير عقله عما كان عليه وقالوا اذا كان العبد ناسيا لجوعه ذاكرا لربه فهو يشبه الملائكة واذا كان شبعان منهوما فى طلب الشهوات فهو أشبه شئ بالبهائم و يقال ان الجوع ملك والشبع مملوك وان الجائع عزيز والشبعان ذليل وقيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وقال أبو سعيد الخراز معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا فى الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة فمنهم من يجوع ورعا اذا لم يصب الشئ الصافى ومنهم من وجد الشئ الصافى فتركه زهدا

فيهم من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ومنهم من استلذ العبادة والنشاط بها والخفة فرأى ان النيل من الطعام والشراب قاطعا له وشاغلا عن الخدمة والخلوة ومنهم من قرب من الله تعالى فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم ان الله مشاهده وكان الحياء مقامه لا غير فتوهم ان الله يراه وهو يمضغ بين يديه و يأكل و يشرب فيؤديه ذلك الى الاختلاف الى الكنيف فجوع من هذه العين وهكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومنهم من أدركه السهر عن حاجاته فسلا عن نيل مصلحته حتى يذكر في الغب أو يذكر ورأى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فاخذ بجلد ذراعه وجعل يقول جعت هذا الجوع كله ولم يقل له اترك الجوع ولو قال له اتركه لعله كان يتركه قال صاحب القوت وكان بعض شيوخنا ترك أكل الخبز الحار لانه كان يشتهيه سنين كثيرة فعوتب في ذلك فقال لو طمعت نفسي في أكل الخبز عشرين سنة ما أطعمتها الساعة وكان ربما بكى من شدة شهوة نفسه وقوة عزم مجاهدته لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فيبأس من شهوتها آخر الدهر فلذلك كان يقع عليه البكاء للاياس من المشتهى واعلم ان الشهوات لا حد لها وانما الحد للقوت فمثل الشهوات مثل الجهل لا حد له ومثل القوت مثل العلم له حد ينتهى اليه فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية وكان أبو سليمان الداراني يقول لا تضر الشهوات من لم يتكلفها انما تضر من حرصها وكان يدعو أصحابه فيقدم اليهم الطيبات فيقولون تنهانا عنها وتقدمها الينا قال لاني أعلم انكم تشتهونها فتأكلونها عندي خير ولوجاءني من يزهد مازدته على الملح وكان يقول أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى وقال بعض الخلفاء شرب ماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وأوحى الله تعالى الى بعض أوليائه ادرك الى لطف الفطنة وخفي اللطف فاني أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال اذا وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني حتى أرفعها قال وما خفي اللطف قال اذا أتاك فولة مسوسة فاعلم اني ذكرتك بها فاشكرني عليها وأوحى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها واذا أصابك ضرا وفقر فلا تشكني الى خلقي كما اذا صعدت مساويك الى لم أشكك الى ملائكتي وبه تم شرح كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وذلك في عصر يوم الثلاثاء ثاني عشر محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائتين أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها قال ذلك أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

* تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا و باطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

(كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم الله ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

الحمد لله الذي وفق قلوب أحبائه لموافقة مراسم الحق باصابة البيان * وفتح بصائر أبصارهم فابصروا حقيقة الحقائق بالمشاهدة والعيان * سبحانه من اله جعل اللسان من الانسان معبرا عما يكنه باطن الجنان * فهو بمنزلة الترجمان أو الاسير المطلق من قيود الهوان * بل الرئيس المطلق في حلبة الميدان * المرتب على شهادته غاية الطاعة والعصيان * أحمده حمدا أستوجب به الامان * وأشكره شكرا أستوجب به زيادة الاحسان * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقدس ذاته عن مقالات أولي الطغيان وتمجده فيما أبرزه بحكمته من الاكوان * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده و رسوله سيد ولد عدنان * وخلاصة الخلاصة من نوع الانسان * المبعوث الى كافة الانس والجان * المؤيد بالحجة الباهرة وقواطع البرهان * من أعظمها القرآن الذي أعجز بلغاء كل عصر في كل زمان * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الائمة الاعيان * ذوي الفصاحة والبيان * والديانة والمتانة والايقان والاتقان * وعلى التابعين لهم باحسان * وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذا شرح (كتاب آفات اللسان) وهو الكتاب الرابع من الربع الثالث * الموسوم بالمهلكات من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه في الجنان * ومتعه بالنعيم والحور والولدان * كشفت فيه عن مشكلات حقائقه * وجلوت عرائس التحقيق عن مخدرات دقائقه * وغصت في بحار معارفه فابرزت منها درا * ورصعت

علنها

عليها من نفائس الذخائر فاضحت كلها غررا * وحققت ما خفى من محاويه * وبينت ما غمض من مطاويه * وعزوت كل قول الى راويه * سالكا مسلك الاختصار على الامكان * سائلا من الله الكريم اللطف والاحسان * والاعانة لما أنا بصدده * منتظرا لما يفاض على من مواهب مدده * انه نعم المسؤل وخير ولى وخير مأمول * قال المصنف رحمه الله تعالى فى مفتتح كتابه على عوائده (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله) أى سواه فى صورته الحاصلة له بان ركبه من أعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين واللسان والانف والاذن فهو تعالى بخلق هذه الاعضاء محسن وبوضعها فى مواضعها الخاصة عدل لانه وضع العين فى أول المواضع بها من البدن اذ لو خلقها على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق اليها من النقصان والتعرض للآفة وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولو علقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فانها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولو وضعها على الرجل لاختل نظامها قطعا وشرح ذلك فى كل عضو يطول (وألهمه نور الايمان) بان أوقع قبول ذلك فى قلبه بما انشرح به صدره واطمأن (فزينه به وجمله) أى فظهر أثر ذلك النور الذى فى القلب على جوارحه الظاهرة فكان زينة وجمالا (وعلمه البيان) وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما أدركه كتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع (فقدمه به) على سائر خلقه (وفضله) حيث خلقه وخلق له ما يتميز به عن سائر الحيوان فهذا وجه التقديم والتفضيل وقد عد الله ذلك نعمة فقال فى كتابه العزيز الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان والجمل الثلاث أخبار مترادفة وانما أخلاها عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (وأفاض على قلبه خزائن العلوم) أى العلوم المخزونة التى لا يطلع على أسرارها ولما جعل القلب خزانة لما يرد من عالم الملكوت ناسب افاضة تلك العلوم عليها (فأكمله) وكمال كل شئ بحسبه فكمال الانسان أن يكون قلبه معمورا بمعرفة ربه مستغرقا فى حبه لا يتطرق اليه خيال لسواه (ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله) الارسال والاسبال مترادفان بمعنى الارخاء وهو كناية عن عموم رحمته تعالى عليه ولولا ذلك ما كان التفضيل والاكمال (ثم أمده بلسان يترجم) أى يبين ويوضح (عما حواه القلب) أى اشتمله (وعقله) وفى بعض النسخ وتقبله وترجم كلام غيره اذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم وانما قال ذلك لان الحاصل فى القلب معان معقولة والذى يوضحه اللسان انما هو تعبير بالفاظ تدل على تلك المعانى اما بالمطابقة أو بالتضمن (ويكشف عنه) أى عن القلب والجملة معطوفة على قوله يترجم (ستره الذى أرسله) أى أسدله عليه (فاطلق بالحمد مقوله) بالكسر اسم للسان باعتبار انه آلة للقول واطلاقه تمكينه من النطق به وأراد بالحمد اللغوى وهو الوصف بالفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم وهو باللسان فقط (وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله) أى أعطاه فالشكر باللسان هو الثناء على المنعم فى مقابلة النعمة ثم بين تلك النعمة بقوله (من علم حصله) باكتساب أو من طريق الفيض كما يلهم به بعض الاصفياء (ونطق سهله) وهو الاصوات المقطعة التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان (وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له و) أشهد (أن محمدا عبده ورسوله) قدم أحدهما على الثانى اشارة الى أن العبودية أشرف من الرسالة ولذا كان عبد الله من أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم واليه أشار الشاعر

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائيا

(الذى أكرمه وبجله) أى عظمه ووقره بان اصطفاه من خلقه وجعله خاتم رسله وجعل طاعته من طاعته ومحبته من محبته (ونبيه الذى أرسله) الى الناس كافة (بكتاب أنزله) من لدنه وهو القرآن (وآى فصله) جمع آية وهى العلامة أى أنزل الكتاب مفصلا فيه تفصيل كل شئ وبيان أخبار من مضى وعلم ما سيأتى وتذكير الضمير نظرا الظاهر اللفظ (ودين سبله) المراد بالدين الطاعة للاسلام والانقياد له والتعبد به وتسبيله تسهيله للواردين عليه كأنه حبسه عليهم لينتفعوا به (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وآى فصله ودين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن

قبلهما كبرالله عبدوهلله (أمابعد) فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذلا يستبين الكفر والايمان الابشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه مامن موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله و يتعرض له باثبات أونفى فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لاتوجد فى سائر الاعضاء فان العين لاتصل الى غير الالوان والصور والآذان لاتصل الى غير الاصوات واليد لاتصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له فى الخير مجال رحب وله فى الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع الا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم مايحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لاتعب فى اطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من

قبله) أى من أمة الاجابة (ما كبرالله عبدوهلله) فالتكبير قول العبد الله أكبر كبيرا والتهليل قوله لااله الاالله (امابعد فان اللسان) وهى الجارحة المعروفة ذو الصورة التى يميزها البصر (من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه) بالكسر أى جسده قال أهل التشريح هو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المرئ وقد امتزج بهذا الغشاء قسط صالح من العصب ومنفعة تقليب الطعام والمعونة على الازدراد وذلك ان جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب وبهما يبقى فى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية واعلم أن لحم اللسان شعبتان كلسان الحية لكن لما جللا بغشاء واحد صارا كأنهما شعبة واحدة ومن قسط كل من الشعبتين من الغشاء درز ظاهر (عظيم طاعته) أى انقياده للحق (وجرمه) بالضم اكتساب الاثم وبين الجرم والجرم جناس (اذلا يتبين الكفر والايمان الابشهادة اللسان) ولذا جعل الاقرار به شرطا فى صحة الايمان ففى الخبر شهادة أن لااله الاالله كلمة جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن فى قلبه كان له مالنا وعليه ما علينا وحسابه على الله والشرع بعد تواردة أن يطلق اسم الايمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير بحث من قلبه ولا يتحاشى من اطلاق ذلك عليه مالم يظهر منه ما ينافى الايمان وقد تقدم الكلام عليه فى باب قواعد العقائد (وهما) أى الكفر والايمان (غاية الطاعة والعصيان) فيه لف ونشر غير مرتب (ثم انه مامن موجود ومعدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله و يتعرض له باثبات أونفى فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان) وفى بعض النسخ يعبر بدل يعرب (اما بحق أو باطل ولاشئ الا والعلم متناول له) ولا يخرج الى الوجود الا بواسطة تعبير اللسان (وهذه خاصية) خصه الله بها (لاتوجد فى سائر الاعضاء) التى ركب منها الانسان (فان العين لاتصل الى غير الالوان والصور) ولها احدعشر ادراكا النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وابعاده وحركاته وسكناته واعداده (والاذن لاتصل الى غير الاصوات) ولها ادراكان الصوت الخفيف والصوت الثقيل (واليد لاتصل الى غير الاجسام) ولها عشر ادراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة (وكذا سائر الاعضاء) فان لها ادراكات مخصوصة (واللسان رحب الميدان) أى واسعه (ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد) لسعة متعلقاته (له فى الخير مجال رحب) أى ميدان واسع (وفى الشر ذيل سحب) أى مسحوب (فمن أطلق عذبة اللسان) محركة أى طرفه (وأهمله مرخى العنان) أى تركه سائبا كالدابة التى أرخى لها عنانها وتذهب وتروح أينما شاءت (سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا) أى طرف (جرف) بضمتين وبضم فسكون للتخفيف اسم لما جرفته السيول وأكلته من الارض (هار) أى هائر بمعنى ساقط (الى أن يضطره) أى يلجئه (الى البوار) أى الهلاك الابدى (ولا يكب الناس) أى لا يسقطهم (فى النار على مناخرهم) أى أفواههم ووجوههم (الا حصائد ألسنتهم) أى ما حصدوه بمناجل ألسنتهم كما هو فى حديث معاذ وسيأتى ذكره قريبا (ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه) اما (فى الدنيا) حالا (أو فى الآخرة) مآلا (ويكفه) أى يمنعه (عن كل ما يخشى غائلته) أى شره ومصيبته (فى عاجلته) هى الدنيا (وآجلته) هى الآخرة (وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض) أى خفى (عزيز) واسع الغور (والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير) الا من يسر الله عليه (وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان) أى أكثرها عصيانا عليه (فانه لاتعب فى اطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز من آفاته وغوائله) ودواهيه المترتبة عليه (و) فى (الحذر عن

مصايده وحبائله وانه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الاخبار والآثار فى ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو جماد أو انسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب فى القول واليمين ثم بيان التعاريض فى الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهى قديمة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه * (بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت) * اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أى حكمة وحزم

مصائده وحبائله وجهلوا انه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان) فبه تملك نواصيهم ويغتالهم (ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها) المعرفة لها (وأسبابها) أى التى منها تنشأ (وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها) أى عن غوائلها (ونورد ماورد من الاخبار والآثار) الواردة (فى ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى) ترغيبا وترهيبا (ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع) فيه (والفصاحة والتصنع وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين) المتكلفين للفصاحة (المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو لجماد أو انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم) آفة (المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب فى القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين) يأتى هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان على وجه الافساد (فيكلم كل واحد بكلام يوافقه) ويسكن اليه (ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه) آمين

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

الصمت هو السكوت والصمم لغة فيه كالصمات بالضم أيضا وقد صمت صموتا قال الطيبى الصمت أبلغ من السكوت لانه يستعمل فيما لاقوة له للمنطق وفيما له قوة النطق (اعلم) وفقك الله تعالى (ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا) أى من سكت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم القيامة قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد اه قلت ورواه كذلك ابن المبارك وأحمد والدارمى وابن أبى الدنيا فى الصمت والعسكرى فى الامثال والبيهقى وآخرون ومداره على ابن لهيعة رواه عن يزيد بن عمرو عن أبى عبدالرحمن الحبلى عن عبدالله بن عمرو بن العاصى وقال النووى فى الاذكار بعد ما عزاه للترمذى اسناده ضعيف وانما ذكرته لكونه مشهورا وقال المنذرى رواة الطبرانى ثقات (وقال صلى الله عليه وسلم الصمت حكم) بضم فسكون (وقليل فاعله أى) هو (حكمة وحزم) وفى رواية حكمة والحكم أعم من الحكمة فكل حكمة حكم ولا عكس فان الحكيم له أن يقضى على كل شئ بشئ فيقول هو كذا وليس بكذا ومنه حديث ان من الشعر لحكما أى قضية صادقة كذا قرره الراغب والمعنى ان الصمت شئ نافع يمنع من الجهل وقل من يستعمله ويمنع نفسه من التسارع الى النطق بما يشينه لغلبة النفس الامارة وعدم التهذيب لها كالرياضة قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف بلفظ حكمة ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعيد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس ان لقمان قاله ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح الى أنس اه قلت أما قصة لقمان وفيها هذا الخبر سيأتى قريبا فى آخر الآفة الاولى ونتكلم عليها هناك وقد رواه أيضا العسكرى فى الامثال من حديث أبى

الدرداء بزيادة من كثر كلامه فيما لا يعنيه كثرت خطاياه (وروى عن عبد الله بن سفيان) الثقفي الطائفي وثقه النسائي وروى له (عن أبيه) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي الطائفي صحابي وكان عامل عمر على الطائف روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فأومأ بيده الى لسانه) قال العراقي رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان اه قلت وكذلك رواه أحمد وقال النووي لم يرو مسلم لسفيان غير هذا الحديث اه وهو أول حديث أخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت فقال حدثني أبي وعبد الله بن عمر الجشمي قالا حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني فساقه بتمامه كما في سياق المصنف (وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حماد ولي امرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وبها توفي وكان فقيها فاضلا روى له الجماعة (قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن اه قلت أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت وهو ثاني حديث فيه قال حدثنا داود بن عمرو الضبي عن عبد الله ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة فساقه سواء كما هنا وقد تقدم للمصنف هذا الحديث في كتاب العزلة ووقع في النسخ هناك عن عبد الله بن عامر وذكرنا ان ذلك غلط من النساخ والصواب عن عقبة بن عامر كما هنا (وقال سهل بن سعد) بن مالك بن خالد الخزرجي (الساعدي) أبو العباس وقيل أبو يحيى ٧ آخر وعمر دهرا رضي الله عنه (قال صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي ما بين لحييه) وفي رواية ما بين فقميه (ورجليه أتكفل له بالجنة) وفي بعض النسخ من يتوكل وأتوكل في الموضعين قال العراقي رواه البخاري قلت لفظ البخاري من يضمن لي أضمن في الموضعين بدل يتوكل وأتوكل وكذلك رواه البيهقي وأما سياق المصنف فقد رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح غريب وابن حبان والحاكم وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت حدثنا عبد الله أبو خيثمة حدثنا عاصم بن عمر بن علي حدثني أبي عن أبي حازم المدني عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة ورواه العسكري في الامثال من حديث جابر من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة اه قلت سياق المصنف بعينه أخرجه البيهقي من حديث أنس الا انه قدم اللقلق على القبقب ثم ذكر الذبذب (القبقب هو البطن) من القبقبة وهو صوت يسمع من البطن فكأنها حكاية ذلك الصوت ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه (والذبذب الفرج واللقلق اللسان) ولفظ البيهقي أما اللقلقة فاللسان وقبقبه فالفم وذبذبه فالفرج وقال كذا وجدته موصولا بالحديث وفي اسناده ضعف وفي سادس المجالسة للدينوري من حديث أبي الاشهب عن أبي رجاء العطاردي قال كان يقال اذا وقي الرجل شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي وله شاهد جيد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة وقد رواه ابن أبي الدنيا في الصمت أيضا وسنده حسن (فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان) الآن (لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين) شهوة (البطن و) شهوة (الفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل) الناس (الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل) الناس (النار فقال الاجوفان الفم والفرج) قال العراقي رواه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت وأخرجه كذلك ابن أبي الدنيا

وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فأومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله القبقب هو البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل فقال الاجوفان الفم والفرج

في الصمت فقال حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس أخبرنا عبد الله بن ادريس أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه كالمصنف (ويحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل) رضي الله عنه (قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم) قال العراقي رواه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين اه قلت وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا عبد الله أبو خيثمة واسحق بن اسمعيل قالا حدثنا جرير عن الاعمش عن الحكم بن عتيبة وحبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول قال ثكلتك أمك يا ابن جبل فساقه قال وقال حبيب في هذا الحديث وهل تقول شيأ الا وهو لك أو عليك (وقال عبد الله الثقفي) هو عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن الحرث بن ربيعة الثقفي الطائفي الذي تقدم ذكره قريبا (قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم فقال قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه وقال هذا) قال العراقي رواه النسائي قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كما رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث اه قلت وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت على الصواب فقال حدثنا حمزة ابن العباس أخبرنا عبدان بن عثمان أنبأنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به فساقه وفيه ثم قال هذا (وقال أنس ابن مالك) رضي الله عنه (قال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الاخلاق بسند فيه ضعف اه قلت ورواه كذلك أحمد والبيهقي وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا علي بن مسعدة الباهلي حدثنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وعلي بن مسعدة قال ابن حبان لا يحتج به (وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم) في الدنيا من أذى الخلق وفي الآخرة من عقاب الخالق (فليلزم الصمت) عما لا يعنيه ليسلم من الزلل ويقل حسابه قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الاعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد فيه ضعف اه قلت قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك عن عمر بن حفص عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه ومحمد بن اسمعيل بن أبي فديك قال ابن سعد ليس بحجة وقال البيهقي فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك وقال الذهبي في الضعفاء تركوه وفي الميزان عن الازدي عمر بن حفص الوقاصي منكر الحديث وقال أبو حاتم مجهول وله حديث باطل وساق هذا الخبر (وعن سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى (مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أصبح ابن آدم) أي دخل في الصباح (أصبحت الاعضاء) جمع عضو بالضم وبالكسر لغة كل عضو وافر بلحمه (كلها) تأكيد (تكفر اللسان) قال الزمخشري هو من تكفير الذمي وهو أن يطأطئ رأسه وينحني ظهره كالراكع عند تعظيم صاحبه (تقول) وفي رواية فتقول أي بلسان الحال (اتق الله فينا) أي خفه في حفظ حقوقنا (فانك ان استقمت) أي اعتدلت (استقمنا) أي اعتدلنا (وان اعوججت) أي ملت عن الاعتدال (اعوججنا) أي ملنا عنه قال الطيبي وهذا لا تناقض بينه وبين خبر ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الحديث لان اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فاذا أسند اليه الامر فهو مجاز في الحكم قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الاحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وانما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه

فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه وقال هذا وروي ان معاذا قال يارسول الله أي الاعمال أفضل فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

ورواه الترمذي موقوفا عن حماد بن زيد وقال هو أصح اه قلت ورواه كذلك ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي كلهم من حديث أبي سعيد ولفظهم بعد قوله اتق الله فينا فانما نحن بك وقوله تكفر اللسان كذا وقع في أكثر نسخ الجامعين الكبير والصغير ودرر البحار والذي في نسخ الترمذي والنهاية تكفر اللسان ومنهم من وقفه على أبي سعيد لا على حماد كما في الجامع الكبير للسيوطي وقال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثني عمران بن موسى القزاز حدثنا حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد قال أراه رفعه قال اذا أصبح ابن آدم فساقه (وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني الموارد) أي موارد الهلاك (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني ان المرفوع وهم على الدراوردي قال وروي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له اه قلت قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثني عبد الرحمن ابن زياد بن الحكم الطائي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد العزيز بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا أوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته ووقع في رواية أبي يعلى والبيهقي الا وهو يشكو ذرب اللسان وكذلك رواه النسائي وابن السني والضياء وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني مصعب الزبيري حدثني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك فقال أبو بكر ان هذا أوردني الموارد ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أبي خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال أخذ أبو بكر الصديق بلسانه في مرضه وقال هذا أوردني الموارد وحديث قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الذي أشار اليه الدارقطني انه لا علة له قد أخرجه أيضا ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا الفضيل بن عبد الوهاب وعلي بن الجعد وأحمد بن عمران الاخنسي قالوا حدثنا النضر بن اسمعيل عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس قال رأيت أبا بكر رحمه الله آخذا بطرف لسانه وهو يقول هذا أوردني الموارد قلت النضر بن اسمعيل البجلي أبو المغيرة قال النسائي ليس بالقوي (وعن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه (انه كان على الصفا) وهو الجبل المشهور بمكة (يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله) أنت من نفسك (أو شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه) قال العراقي رواه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن اه قلت قال المنذري رواة الطبراني رواة الصحيح واسناد البيهقي حسن وقال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثني أبو عمر التميمي حدثني أبي عن أبي بكر النهشلي عن الاعمش عن شقيق عن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي و يقول يا لساني قل خيرا تغنم أو انصت تسلم من قبل أن تندم قالوا يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته قال بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فساقه وأبو بكر النهشلي من رجال مسلم تكلم فيه ابن حبان (وقال ابن عمر) رضي الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه) أي عن التكلم في اعراض المسلمين (ستر الله عورته) أي لم يفضحه في الدنيا (ومن ملك غضبه) مع القدرة على الانتصاف (وقاه الله عذابه) في الآخرة (ومن اعتذر الى الله قبل عذره) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت باسناد حسن اه قلت وهذا لفظه حدثنا زهير بن حرب حدثنا شبابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم عن هشام بن ابراهيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وهكذا هو لفظه في كتاب الصمت وأخرجه

وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي و يقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره

فى كتاب ذم الغضب من حديث أنس بلفظ من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله منه عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقد رواه كذلك أبو يعلى وابن شاهين والخرائطى فى مساوى الاخلاق والضياء فى المختارة (وروى أن معاذ بن جبل) رضى الله عنه (قال يارسول الله أوصنى قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات وفيه انقطاع اه قلت وهذا لفظ كتاب الصمت حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة ان معاذ بن جبل قال يارسول الله أوصنى قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله قال ما هو قال هذا وأشار بيده الى لسانه وأما لفظ الطبرانى فى الكبير اعبد الله ولا تشرك به شيأ واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى واذكر الله عند كل حجر وشجر واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وقد رواه كذلك البيهقى فى الشعب وقد أخرج الطبرانى فى الكبير أيضا من حديث أبى الدرداء بلفظ اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى واياك ودعوات المظلوم الحديث وأبو نعيم فى الحلية من حديث زيد بن أرقم أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فانها مستجابة (وعن صفوان بن سليم) المدنى أبى عبد الله القرشى من موالى بنى زهرة تابعى فقيه قال ابن سعد ثقة كثير الحديث عابد وقال أحمد بن حنبل هو يستسقى بحديثه و ينزل القطر من السماء بذكره قال الترمذى مات سنة أربع وعشرين ومائة روى له الجماعة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن) قالوا أخبرنا قال (الصمت وحسن الخلق) مع الناس قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا هكذا فى كتاب الصمت مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين من حديث أبى ذر وأبى الدرداء أيضا مرفوعا بسند ضعيف اه قلت ولفظ كتاب الصمت حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا ابن أبى فديك عن عبد الله بن أبى بكر عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وسيأتى حديث أبى ذر فى ذكر الآفة الاولى قريبا (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت) أخرجه البخارى ومسلم وابن أبى الدنيا فى الصمت قال حدثنا ابراهيم ابن أبى المنذر الحزامى حدثنا سفيان بن حمزة الاسلمى عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبى هريرة فساقه (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا قال فغنم أو سكت فسلم) وهذا من جوامع الكلم لتضمنه الارشاد الى خير الدارين فانه قدم الارشاد الى خير الآخرة فى المعاد اذ قوله غنم أى غنم ثواب الله لقوله الخير ثم عطف عليه الارشاد الى خير الدنيا وهو السلامة من شر الناس وقد عده العسكرى من الامثال قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب والخرائطى فى مكارم الاخلاق هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية اسمعيل بن عياش عن الحجازيين اه قلت رواه ابن أبى الدنيا عن عبيد الله بن عمر حدثنا حزم بن أبى حزم قال سمعت الحسن يقول ذكر لنا فساقه وقد رواه أيضا العسكرى فى الامثال مرسلا ورواه أيضا موصولا عن الحسن عن أنس ورواه هناد كذلك عن الحسن مرسلا وقد رواه أبو الشيخ والديلمى من حديث أبى أمامة الباهلى ورواه ابن المبارك فى الزهد والخرائطى فى مكارم الاخلاق عن خالد بن أبى عمران مرسلا ورواه ابن أبى الدنيا من طريق ابن المبارك لكن فى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وخالد هذا قال الذهبى هو التجيبى قاضى افريقية فقيه عابد مات سنة ١٣٩ ويروى مثل ذلك عن ابن عباس قال يالسان قل خيرا تغنم او اسكت عن شر تسلم كذا فى كتاب الصمت من رواية اسمعيل بن مسلم عنه (وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا

وروى أن معاذ بن جبل قال يارسول الله أوصنى قال اعبد الله كانك تراه وعد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا

لا تستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنا
سفيان بن عيينة قال قالوا لعيسى عليه السلام فساقه وقد روى مثل ذلك عن سلمان الفارسي انه قال له
رجل أوصني قال لا تتكلم قال وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم قال فان كنت لا تصبر عن الكلام فلا
تكلم الا بخير أو اصمت رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عنه (وقال
سليمان عليه السلام لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب) قال ابن المبارك معناه لو كان
الكلام بطاعة الله من فضة كان السكوت عن معصيته من ذهب أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا عن الهيثم بن
خارجة حدثنا اسمعيل بن هاشم عن الاوزاعي قال قال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام
من فضة فالصمت من ذهب وقد روى مثل هذا الكلام عن لقمان قاله لابنه يعظه (وعن البراء) بن عازب
رضي الله عنهما (قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم
الجائع واسق الظمآ ن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير) أخرجه
ابن أبي الدنيا في الصمت قال حدثنا أحمد بن حنبل أخبرنا عبد الله بن المبارك أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن
حدثني طلحة الايامي حدثني عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال فساقه (وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان) قال
العراقي رواه الطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وله في المعجم الكبير
ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر اه قلت وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من قول أبي سعيد
قال حدثنا الحسن بن حمزة أنبأنا عبدان أنبأنا عبد الله يعني ابن المبارك أنبأنا اسمعيل بن عياش حدثني
عقيل بن مدرك أن رجلا قال لابي سعيد الخدري أوصني قال عليك بالصمت الا في حق فانك به تغلب
الشيطان وهذا اسناد حسن وعقيل بن مدرك الخولاني شامي مقبول روى له أبو داود (وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله عند لسان كل قائل) أي يعلمه (فليتق الله امرؤ) وفي رواية عبد (علم ما يقوله) وفي رواية
ذكرها المطرزي ان الله وراء لسان كل قائل وهذا الحديث أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته وهو
ثابت عندنا في سائر النسخ قال المطرزي هذا تمثيل والمعنى انه تعالى يعلم ما يقوله الانسان ويتفوه به كمن
يكون عند الشئ مهيمنا لديه محافظا عليه أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن اسمعيل العسكري
عن صهيب بن محمد بن عباد عن مهدي عن وهيب بن الورد عن محمد بن زهير عن ابن عمر مرفوعا وفيه
فليتق الله عبد ولينظر ما يقول قال أبو نعيم غريب لم نكتبه متصلا مرفوعا الا من حديث وهيب اه ومحمد
ابن زهير قال الذهبي في الميزان قال الازدي ساقط وأخرجه أيضا الحكيم الترمذي والبيهقي في الشعب
والخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس (وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا) أي كثير
الصمت (فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث ابن خلاد بلفظ اذا رأيتم
الرجل أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد تقدم اه قلت وقد رواه كذلك
أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب ورواه أيضا من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وقد تقدم الكلام
عليه (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (الناس ثلاثة) اما (غانم) للاجر واما (سالم) من الاثم (و) اما
(شاحب) أي هالك آثم (فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في
الباطل) قال أبو عبد الله ويروى الناس ثلاثة السالم الساكت والغانم الذي يأمر بالخير وينهى عن المنكر
والشاحب الناطق بالخناء المعين على الظلم قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى من حديث أبي
سعيد الخدري بلفظ الناس ثلاثة وضعفه ابن عدي ولم أجده من حديث ابن مسعود اه قلت رواه الطبراني
وأبو يعلى أيضا من حديث عقبة بن عامر الجهني بلفظ المصنف بدون التفسير وفي السند ابن لهيعة وهو
ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه

لا تستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآ ن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم أخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال عليه السلام اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه

بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذاهم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتـدبره بقلبـه) قال العراقى لم أجده مرفوعا وانما رواه الخرائطى فى مكارم الاخـلاق من رواية الحسن البصرى قال كانوا يقولون اه قلت أخرجه ابن أبى الدنيا عن يعقوب بن ابراهيم العبدى حدثنا عبـد الرحمن بن مهدى عن أبى الاشهب عن الحسن قال كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه فاذا أراد أن يقول رجع الى قلبه فان كان له قال وان كان عليه أمسك وان الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع الى قلبـه ما جرى على لسانه تكلم به (وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس) ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من طريق وهيب بن الورد قال كان يقال الحكمة عشرة أجزاء فتسعة منها فى الصمت والعاشرة عزلة الناس وأخرجه أبو نعـيم فى الحليـة من طريق الحسـين بن محمد بن يزيد بن خنيس قال قال وهيب بن الورد قال حكيم من الحكماء العبادة أوقال الحكمة عشرة أجزاء تسـعة منها فى الصمت وواحدة فى العزلة فاردت من نفسى الصمت على شئ فلم أقدر عليـه فصرت الى العزلة فحصلت لى التسعة (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به) لان السقط ما لا عبرة به ولا نفع فيه فان كان لغوا الاثم فيه حوسب على تضييع عمره وكفران النعمة بصرف نعمة اللسان عن الذكر الى الهـذيان وقلما سلم من الخروج الى ما يوجب الاثم فتصير النار أولى به من الجنـة لذلك قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حـديث ابن عمر باسناد ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان فى روضة العقلاء والبيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب اه قلت وكذلك رواه الطبرانى فى الاوسط والقضاعى فى مسـند الشـهاب والعسكرى فى الامثال كلهم من حديث ابن عمر ولفظ العسكرى من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه والباقى سواء فبعضهم رواه من طريق ابن عجلان وبعضهم من طريق يحيى بن أبى كثير كلاهما عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وقال العسكرى أحسبه وهما وان الصواب انه عن عمر من قوله وقول العراقى بسند ضعيف لان فيـه ابراهيم بن الاشعث ذكره ابن حبان فى الثقات وقال فيـه يغرب و يخطئ و ينفرد و يخالف ولذا قال ابن الجوزى حديث لا يصح وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنى أحمد بن عبيد التميمى حدثنا عبيد الله بن محمـد التيمى حدثنا دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الاحنف ابن قيس قال قال عمر بن الخطاب من كثر كلامه كثر سقطه ورواه العسكرى من هذا الطريق ولفظه قال لى يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبتـه ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطـه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعـه مات قلبـه وكذا أورده العسكرى من طريق معاوية فى قصة قال فيها معاوية من كثر كلامه كثر سقطه وفى الباب عن معاذ وفى تاريخ ابن عساكر من حديث أبى هريرة من كثر ضحكه استخف بحقـه ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته ومن كثر مزاحه ذهب وقاره ومن شرب الماء على الريق ذهب بنصف قوته ومن كثر كلامه كثر سقطـه ومن كثر سقطه كثرت خطاياه ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به قال ابن عساكر غريب الاسناد والمتن وفى الزهـد لابن المبارك ومن جهته ابن أبى الدنيا فى الصمت من طريق شفى الاصبحى قال من كثر كلامه كثرت خطيئته *(تنبيه)* قد بقى على المصنف ذكر أخبار فى فضيلة الصمت ولم يذكرها وهى على شرطه فمن ذلك ما رواه أبو يعلى من حديث أنس عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذى نفسى بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس الصمت سيد الاخلاق ومن مزح استخف به ومن حديث أبى هريرة الصمت أرفع العبادة وروى أبو الشيخ فى الثواب من حديث محرز بن زهير الصمت زين العالم وستر للجاهل وروى ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث أسود بن أصرم المحاربى قال قلت أوصنى يا رسول الله قال أتملك يدك قال قلت فما أملك اذا لم أملك يدى قال أتملك لسانك قال فما أملك اذا

بلسانه وأن لسان المنافق أمام قلبه فاذاهم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسـعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به

(الآثار) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه و يقول هذا الذي أوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شئ أحوج الى طول سجن من لسان وقال ابن طاوس لساني سبع ان أرسلته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم

لم أملك لساني قال فلا تبسط يدك الا الى خير ولا تقل بلسانك الا معروفا ومن طريق شهر بن حوشب حدثني ابن غنم ان معاذا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى عليه السلام طوبى لمن بكى من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته ومن طريق الشعبي قال قالت لعبد الله بن عمر وحدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع الكتب فاني لا أعبأ بها شيأ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده والمهاجر من هجر ما كره ربه ومن طريق ابن الزبير عن جابر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال من سلم المسلمون من لسانه و يده ومن طريق ابن مراوح الليثي عن أبي ذر رفعه قال كف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك (الآثار كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام) وقد اشتهر ذلك عنه وحكاه غير واحد من العلماء (وكان أبدا يشير الى لسانه) ويجبذه تارة بيده واذا سئل عن ذلك (يقول هذا الذي أوردني الموارد) تقدم هذا القول من طريق زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر قال له مه يا خليفة رسول الله ومن رواية قيس بن أبي حازم عن أبي بكر وقد ذكر قريبا (وقال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه (والله الذي لا اله الا هو ما شئ أحوج الى طول سجن من لسان) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنا جرير وأبو معاوية عن الاعمش عن يزيد بن حيان عن عنبس بن عقبة التيمي قال قال عبد الله بن مسعود والذي لا اله غيره ما على الارض شئ أفقر وقال أبو معاوية أحوج الى طول سجن من لسان وحدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو نصر التمار حدثنا حماد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال ما شئ أحق بطول السجن من اللسان وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني عن علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم عن الاعمش عن يزيد بن حيان فساقه بلفظ والله الذي لا اله الا هو ما على وجه الارض شئ أحوج الى طول سجن من لسان (وقال ابن طاوس) هو عبد الله (لساني سبع ان أرسلته أكلني) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنا سفيان قال بعض الماضين انما لساني سبع ان أرسلته خفت أن يأكلني وحدثني علي بن أبي مريم عن زيد بن الحباب حدثنا محمد بن حوشب سمعت أبا عمران الجوني يقول ان لسان أحدكم كلب فاذا سلطه على نفسه أكله (قال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى (في حكمة آل داود) عليه السلام (حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي الاغر عن وهب بن منبه قال في حكمة آل داود حق على العاقل فساقه وأخرج ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي ذر رفعه كان في صحف ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني شريح بن يونس حدثنا علي بن ثابت عن أبي الاشهب عن الحسن فساقه (وقال) أبو عمرو (الاوزاعي) الفقيه رحمه الله تعالى (كتب الينا عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول (أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم عن عبد الله بن محمد الانصاري عن الاوزاعي قال كتب فساقه الا أنه قال قل كلامه فيما لا ينفعه (وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة والفهم عن صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني محمد بن الحسين قال سمعت محمد بن عبد الوهاب السكوني يقول الصمت يجمع للرجل فساقه (وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار) البصريان العابدان (يا أبا يحيى) وهي كنية مالك بن دينار (حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم) أخرجه ابن أبي الدنيا

في الصمت فقال حدثني علي بن أبي مريم عن أحمد بن اسحق الحضرمي حدثنا جعفر الحراز قال سمعت محمد ابن واسع يقول لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم (وقال يونس بن عبيد) بن دينار العبدي أبو عبيد البصري ثقة ثبت فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة (ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال الا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني الحسن بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن سليمان بن المغيرة قال سمعت يونس ابن عبيد يقول فساقه [(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (تكلم قوم عند معاوية) بن أبي سفيان (والاحنف بن قيس التميمي ساكت فقال له) معاوية (مالك يا أبا بحر) وهي كنية الاحنف (لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني داود بن عمرو الضبي حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن عون عن الحسن قال كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا مالك لا تتكلم يا أبا بحر قال أخشى الله ان كذبت وأخشاكم ان صدقت وحدثني محمد بن الحسين عن عبيد الله بن محمد التيمي قال قيل للاحنف بن قيس يوم قطري تكلم قال أخاف ورطة لساني (وقال أبو بكر بن عياش) بياء تحتية مشددة وشين معجمة ابن سالم الاسدي الكوفي المقري الحناط بالنون مشهور بكنيته واختلف في اسمه على أقوال عشرة كذا في التهذيب للحافظ وفي الاربعين العشارية للعراقي على ثلاثة عشر قولا والصحيح ان اسمه كنيته وصححه ابن حبان وابن عبد البر وابن الصلاح والمزي والذهبي وقد احتج به البخاري في صحيحه ووثقه أحمد وابن معين مات سنة أربع وتسعين قال (اجتمع أربعة ملوك) فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة (ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم انما أندم على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل وقال آخر اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني هشام بن الوليد أبو طالب الهروي قال سألته فقال سمعت أبا بكر بن عياش قال اجتمع أربعة ملوك فساقه (وقيل أقام المنصور بن المعتمر) بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي الثقة العابد مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له الجماعة (لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة أربعين سنة) وصام أربعين سنة صام نهارها وقام ليلها وكان يبكي الليل كله فتقول له أمه يا بني قتلت قتيلا فيقول أنا أعلم بما صنعت بنفسي فاذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج الى الناس ذكره المزي في التهذيب (وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم) بن عائذ الثوري أبو يزيد الكوفي الثقة العابد (بكلام الدنيا أربعين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا فكلما تكلم كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء) وكان من المخبتين الخاشعين مات في ولاية عبد الله بن زياد وروى له الجماعة الا أبا داود * (تنبيه) * وقد بقي على المصنف ذكر آثار هي على شرطه في الكتاب روى ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ابن عون حدثني عطاء البزاز عن أنس بن مالك قال لا يتقي الله رجل أو احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ومن طريق حميد بن هلال قال قال عبد الله بن عمرو دع ما لست منه في شئ ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن ورقك ومن طريق نسير بن ذعلوق عن بكر بن ماعز عن الربيع بن خثيم قال يا بكر بن ماعز اخزن عليك لسانك الا مالك ولا عليك ومن طريق جرير عن أبي حيان التيمي قال كان يقول ينبغي للرجل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه ومن طريق حماد بن زيد قال بلغني ان محمد بن واسع كان في مجلس فتكلم رجل فأكثر الكلام فقال محمد ما على أحدهم لو سكت فتوقى وتنقى ومن طريق جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول لو كلف الناس الصحف لأقلوا الكلام ومن طريق سفيان بن عيينة قال قال وهيب بن الورد ان الرجل يصمت فيجتمع اليه لبه ومن طريق أبي الاحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال كان يقال كثرة الكلام تذهب الوقار ومن

وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون منه لسانه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف ابن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال له اخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم أقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء

فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سباقة الى اللسان لاتثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لايحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولامنفعة * أما الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لاتفى بالضرر وأما مالامنفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام

طريق خلف بن اسمعيل قال قال لى رجل من عقلاء الهند كثرة الكلام تذهب بمروءة الرجل ومن طريق قبيصة قال قال داود الطائى لمحمد بن عبد العزيز ذات يوم أما علمت ان حفظ اللسان أشد الاعمال وأفضلها قال محمد بلى فكيف لنا بذلك ومن طريق عمران بن زيد قال قال على رضى الله عنه اللسان قوام البدن فاذا استقام اللسان استقامت الجوارح واذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة ومن طريق عباد بن الوليد القرشى قال قال الحسن اللسان أمير البدن واذا جنى على الاعضاء جنت واذا عف عفت ومن طريق خيثمة عن عدى بن حاتم قال ان أحدكم واساءته بين لحييه يعنى لسانه ومن طريق الشعبى قال قلت للهيثم بن أبى الاسود النخعى أى الثلاثة أشعر منك ومن الاعور الشنى وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت حيث تقول أنت

وأعلم علما ليس بالظن انه * اذا زال مال المرء فهو ذليل
وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

أم الاعور الشنى حيث يقول

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فهل بعد الاصورة اللحم والدم
وكائن ترى من ساكت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

أم عبد الرحمن بن حسان حيث يقول

ترى المرء مخلوقا وللعين حظها * وليس باحناء الامور بخابر
وذلك كماء البحر لست مسيغه * ويعجب منه ساجيا كل ناظر

فقال الهيثم هيهات الاعور أشعرنا (فان قلت فهذا الفضل الكثير للصمت ماسببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات) وغيرها وهى نحو سبع عشرة آفة (فهذه آفات كثيرة وهى سباقة الى اللسان لا ينفك عنها) أى عن مجموعها بالقوة فى بعضها والضعف فى بعضها (ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان) باغراره وتسويله فيقوى مافى الطبع حتى يصير متمكنا منه (والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان) ويزمه (فيطلقه بما يحب ويكفه عما لايحب) فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله (ففى الخوض خطر) وهلاك (وفى الصمت سلامة) من الهلاك (فلذلك عظمت فضيلته) وفضل جانبه (هذا مع مافيه من جمع الهمم) من التشتت (ودوام الوقار) والهيبة بين الناس (والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) أى مايتكلم بكلمة الا وعنده مراقب حاضر مهيأ يكتب عليه مايقوله وأخرج ابن أبى الدنيا فى الصمت من طريق مجاهد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد قال الملكان وقال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وأفعل لك كذا وكذا فتكتب كذبته (ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولامنفعة أما الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لان منفعته لاتفى بالضرر وأما مالامنفعة فيه ولاضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان) والعمر جوهر نفيس (وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع) وهو الذى فيه نفع محض (فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت فقال حدثنا على بن أبى مريم عن خلف بن تميم حدثنا ابو اسحق الفزارى قال كان ابراهيم بن أدهم يطيل السكوت فاذا تكلم ربما انبسط فاطال ذات يوم السكوت فقلت له لو تكلمت فقال الكلام على أربعة وجوه فمن الكلام كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته فالفضل فى هذا السلامة منه ومن الكلام كلام لاترجو منفعته ولا تخشى عاقبته فاقل مالك فى تركه خفة المؤنة على

ويبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ماسنذكره علم قطعا أن ماذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ماتحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها مايعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

(الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك) اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لاضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا الا انك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر مايعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

بدنك ولسانك ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تامن عاقبته فهذا قد كفي العاقل مؤنته ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته فهذا الذي يجب عليك نشره قال خلف فقلت لابي اسحق ابراهيم أراه قد أسقط ثلاثة ارباع الكلام قال نعم اه (ويبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ماهو اثم) عند الله تعالى وذلك (من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا) لطيفا (يخفى دركه) لا كثر الناس (فيكون الانسان مخاطرا) أي مشرفا على خطر عظيم (ومن عرف دقائق آفات اللسان على ماسنذكره علم قطعا ان ماذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب) في بابه (حيث قال من صمت نجا) وقد تقدم الكلام عليه قريبا (فقد أوتي) صلى الله عليه وسلم (جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم بلفظ أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا (ولا يعرف ماتحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء) اذ هي ثمان أحرف وقد جمع فيها خير الدنيا والآخرة وهو أبلغ من قول القائل من سكت سلم لان الصمت أبلغ من السكوت كما تقدمت الاشارة اليه والنجاة أبلغ من السلامة لان السلامة قد يقتصر اطلاقها على الخلاص من شر الناس فهو خاص في الدنيا والنجاة تعم الدنيا والآخرة فكانه قال من صمت عما لا يعني وعن الفضول سلم في نفسه من شر الناس ومن شر الشيطان ومن سلم منهما فقد نجا من تبعات الآخرة (وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ) منها (قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والكذب والنميمة فان النظر فيها أطول) والكلام فيها أكثر (وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى) وحسن توفيقه

(الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك)

أي لا يهمك (اعلم) وفقك الله تعالى (ان أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيره وتتكلم فيما هو مباح لاضرر عليك فيه) ولا تخشى عاقبته (ولا) ضرر فيه (على مسلم أصلا) لا حالا ولا مآلا (الا انك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو أدنى) أي أخس واحقر (بالذي هو خير) وأنفع (لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر) اي الى استعماله فيما هو بصدده (ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى) ومن رشحات كرمه (عند) ذلك (الفكر ما يعظم جدواه) أي فائدته (ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته) وقدسته وكبرته (لكان خيرا لك) أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق بكر بن ماعز قال كان الربيع بن خثيم يقول لا خير في الكلام الا في تسع تهليل وتكبير وتسبيح وتحميد وسؤالك عن الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن (فكم من كلمة) يتكلم بها (يبنى له بها قصر في الجنة) كما وردت بذلك الاخبار ويغرس له غرس في الجنة (ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة) أو خزفة (لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم) لكون ما اشتغل به مما أبيح له (فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا و) لا يكون (نظره الا عبرة و) لا يكون (نطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم) قال العراقي لم أجد له أصلا وروى محمد بن زكريا الغلابي أحد الضعفاء عن ابن عباية عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله

أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة (بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله) وخسر خسرانا مبينا (ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وقال غريب وابن ماجه والبيهقي من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ورواه ابن أبي الدنيا من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ورواه أحمد والعسكري في الامثال والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر عن علي بن الحسين عن أبيه به مرفوعا ورواه مالك والنسائي وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق الزهري عن علي بن الحسين مرسلا ورواه ابن عساكر عن علي بن الحسين عن الحرث بن هشام به مرفوعا ورواه العسكري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب به مرفوعا ورواه الشيرازي في الالقاب من حديث أبي ذر ورواه الحاكم في الكنى من حديث أبي بكر ورواه الطبراني في الكبير من حديث زيد بن ثابت وفي الباب عن جماعة وقال الدارقطني في العلل يرويه الاوزاعي واختلف عنه فرواه محمد بن شعيب والوليد بن يزيد وعمارة بن بشر واسمعيل بن عبد الله بن سماعة وبشر بن بكر كلهم عن الاوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الاوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة وخالفهم عمرو بن عبد الواحد وبقية بن الوليد وابو المغيرة فرووه عن الاوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ولم يذكروا فيه قرة ورواه بشر بن اسمعيل الحلبي عن الاوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة وسليمان بن يسار عن أبي هريرة قاله موسى بن هرون وهو ثقة حدث عنه محمد بن يحيى وغيره عن مبشر وروى عن اسمعيل بن عياش ومحمد بن كثير المصيصي عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ورواه عبد الله بن بديل عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والمحفوظ حديث أبي هريرة وحديث علي بن الحسين مرسلا وكذلك هو في الموطأ ورواه خالد بن عبد الرحمن المخزومي عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه وخالد ليس بالقوي وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ولا يصح والصحيح حديث الزهري عن علي بن الحسين مرسلا وأما حديث علي فقد يرويه الزهري عن علي بن الحسين واختلف عنه فرواه أبو همام الدلال عن عبيد الله بن عمر العمري فقال عن الزهري عن علي ابن الحسين عن أبيه عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفه موسى بن داود فقال عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره يرويه عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلا وهو الصحيح واختلف في مالك فرواه خالد بن خداش الخراساني عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلا وكذلك رواه أصحاب الزهري عن الزهري وروى عن جعفر بن محمد واختلف عنه فرواه موسى بن عمير عن جعفر عن أبيه عن جده عن علي وخالفه يوسف بن أسباط فرواه عن الثوري عن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب والصحيح قول من أرسله عن علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم اهـ قلت قال ابن عدي في الكامل بعد ان روى هذا الحديث عن أبي العلاء الكوفي عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب عن الاوزاعي عن قرة ما لفظه وقد روى عن الاوزاعي عن قرة عن الزهري بضعة عشر حديثا ولقرة أحاديث صالحة رواه عنه رشدين بن سعد وسويد بن عبد العزيز وابن وهب والاوزاعي وغيرهم وجملة حديثه عن هؤلاء والله اعلم *(تنبيه)* قال الطيبي من في الحديث تبعيضية ويجوز كونها بيانية وانما قال من حسن اسلام المرء ولم يقل من حسن ايمان المرء لان الاسلام عبارة عن الاعمال الظاهرة والفعل والترك انما يتعاقبان عليها وزاد حسن ايماء الى انه لا عبرة بصور الاعمال فعلا وتركا الا ان اتصفت بالحسن بان توفرت شروط مكملاتها فضلا عن المصححات وجعل الترك ترك ما لا يعني من الحسن مبالغة وفي افهامه من قبح اسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه والذي لا يعني الفضول كله على تباين أنواعه وهذا الحديث قالوا ربع الاسلام وقيل نصفه وقيل كله (بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس) بن مالك رضي الله عنه

بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس

(استشهد

استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيأ لك الجنة يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيأ لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هى أمى يارسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال مالا يعنيه أو منع مالا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا أخبرنا باوثق عمل فى نفسك ترجو به فقال انى لضعيف وان أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك مالا يعنينى وقال أبو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان قلت بلى يارسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول بخمس لهن أحب الى من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا

(استشهد غلام منا) أى من الانصار (يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا) أى من الجوع (فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيأ لك يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنى عبد الرحمن بن صالح الازدى حدثنا يحيى بن يعلى الاسلمى عن الاعمش عن أنس بن مالك قال استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيأ لك يا بنى الجنة فساقه ولعل وجه ضعف هذا السند ان الاعمش لم يثبت سماعه عن أنس له رؤية فقط لا رواية أو لان يحيى بن يعلى الاسلمى ضعفه أبو حاتم وغيره (وفى حديث آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا) أى ابن عجرة (فسأل عنه فقالوا) هو (مريض فخرج يمشى حتى أتاه) عائدا له (فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت أمه هنيأ لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال) كعب (هى أمى يارسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال مالا يعنيه أو منع مالا يغنيه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد الا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابى وبين من رواه عنه اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن عيسى المصرى حدثنا ضمام بن اسمعيل الاسكندرانى حدثنى يزيد بن أبى حبيب وموسى بن وردان ان كعب بن عجرة ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فساقه كما هنا أما كعب ففى قول الواقدى مات سنة اثنين وخمسين وأما موسى بن وردان فانه مات سنة سبع عشرة وله أربع وسبعون سنة فكان عمره لما مات كعب نحو أربع عشرة سنة وعلى هذا يمكن سماعه منه وأما يزيد بن أبى حبيب فانه مات سنة ثمان وعشرين ومائة وبلغ زيادة على خمس وسبعين سنة فكان عمره حين مات كعب نحو أربع سنين فتأمل (ومعناه انما تتهيأ الجنة من لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة فى الحساب فانه نوع عذاب) من نوقش فى الحساب عذب (وعن محمد بن كعب) بن سليم بن أسد القرظى رحمه الله تعالى كنيته أبو حمزة مدنى نزل الكوفة ولد سنة أربعين على الصحيح مات سنة عشرين ومائة روى له الجماعة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام) رضى الله عنه (فقام اليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا أخبرنا عن أوثق عمل فى نفسك ترجو به فقال انى ضعيف وان أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك مالا يعنينى) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا وفيه أبو معشر نجيح اختلف فيه اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنى أبو معشر عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وفيه فأخبروه بقول النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا باوثق عملك وفيه انى اضعيف وفيه لسلامة الصدر والباقى سواء وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى مولى بنى هاشم مشهور بكنيته روى له أصحاب السنن ضعيف أسن واختلط مات سنة سبعين ومائة وقد رواه أيضا أسد بن موسى عن أبى معشر هذا (وقال أبو ذر) الغفارى رضى الله عنه (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان قلت بلى يارسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا بسند منقطع اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا يزيد بن محمد بن خنيس عن وهيب بن الورد بلغه ان أبا ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه (وقال مجاهد) بن جبير المكى التابعى (سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب الى من الدهم الموقفة) أى من الخيل الدهم التى أوقفت وأعدت للركوب الاولى (لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر) أى الاثم (ولا

تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت) أي وقع في العنت وهو الشدة والحرج (و) الثانية (لاتمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك) أي يبغضك بقلبه (والسفيه يؤذيك) بلسانه (و) الثالثة (اذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفيك منه و) الرابعة (عامل أخاك بما تحب أن يعاملك به و) الخامسة (اعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال حدثني أبو محمد العتكي عبد الرحمن بن صالح حدثني أبو هزون جليس لابي بكر بن عياش عن عياش عن محرز التيمي عن مجاهد عن ابن عباس قال سمعته يقول خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة فساقه (وقيل للقمان الحكيم ماحكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنيني) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال حدثني علي بن الجعد عن شعبة عن سيار أبي الحكم قال قيل للقمان فساقه (وقال مورق العجلي) هو ابو المعتمر مورق بن مشمرج بن عبد الله البصري ثقة عابد روى له الجماعة (امر أنا في طلبه منذ عشر بن سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو يا أبا المعتمر قال السكوت عما لا يعنيني) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال حدثنا محمد بن سعد حدثنا عفان عن جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد قال قال مورق العجلي فساقه (وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا أمين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله) أخرجه ابن أبي الدنيا بسندين الاول قال حدثنا عبد الله بن خيران أخبرنا المسعودي عن وديعة يعني الانصاري قال قال عمر بن الخطاب لا تتعرض لما لا يعنيك فساقه والثاني قال حدثنا محمد بن الصباح حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عجلان عن ابراهيم بن مرة عن عمر بن الخطاب نحوه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن ادريس عن محمد بن عجلان عن ابراهيم بن مرة عن محمد بن شهاب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تتعرض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك الا الامين فان الامين من القوم لا يعادله شئ ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش اليه سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله وقد تقدم ذلك أيضا في كتاب آداب الصحبة (تنبيه) وقد بقي على المصنف ماهو على شرطه روى ابن أبي الدنيا من طريق زيد ابن أسلم انه دخل على ابن أبي دجانة وهو مريض ووجهه يتهلل فقال مامن عملي شئ أوثق في نفسي من اثنتين لم أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي للمسلمين سليما ومن طريق عمرو بن قيس الملائي ان رجلا مر بلقمان والناس عنده فقال ألست عبد بني فلان قال بلى قال الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا قال بلى قال ما الذي بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني ومن طريق داود بن أبي هند قال بلغني ان معاوية قال الرجل ما بلغ من حلمك قال لا يعنيني مالا يعنيني ومن طريق جعفر بن سليمان قال سمعت سميطا العيشي يقول من لزم ما يعنيه أوشك أن يترك مالا يعنيه ومن طريق ثابت الشمالي عن أبي جعفر قال كفى عيبا ان يبصر العبد من الناس ما يعمى عليه من نفسه وان يؤذي جليسه فيما لا يعنيه وأخرج الخرائطي من حديث ابن مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اني مطاع في قومي فما آمرهم قال مرهم بافشاء السلام وقلة الكلام الا فيما يعنيهم وأخرج العقيلي من حديث أبي هريرة أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه وروى أبو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وقال سهل التستري من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق وقال معروف كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل (وحد الكلام فيما لا يعنيك) أي لا تتعلق به عنايتك ولا يكون من مقصدك ومطلوبك لان العناية شدة الاهتمام بالشئ يقال عناه يعنيه اذا اهتم به وطلبه (أن تتكلم بكل مالو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال أو مال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار) وبلاد (وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد

تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب ان يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنيني وقال مورق العجلي امر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا أمين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتذكر لهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد

و وقائعهم فهذه امور لوسكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بالغت فى الجهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشئ مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب فى حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصى وعن كل ما يخفيه ويستحى منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى انسانا فى الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وان لم يصدق وقع فى الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا أدرى فيجيب عن غير بصيرة ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم أو ضرر وانما مثال ما لا يعنى ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فاراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أى حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك .

ووقائعهم معك) أو مع غيرك (فهذه أمور لو سكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بالغت فى الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة أو نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشئ خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك) فى تلك الحكايات (وانى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك) ولا يهمك (فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع) أى تضييع وقته (هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات) لا يخلو منها (فانك تسأل غيرك عن عبادته فتقول له أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا العبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات) كما ورد ذلك فى بعض الاخبار (وان قال لا كان كاذبا) فى قوله (وان سكت كان مستحقرا لك) فى عدم رد الجواب (وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه) فانظر (فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو الكذب والاستحقار أو التعب فى حيلة الدفع) فهذه أربع آفات بعضها أعظم من بعض (وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن سائر المعاصى وعن كل ما تخفيه) عن الناس (وتستحى منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنتم وكذلك ترى انسانا فى الطريق فتقول) له (من أين) والى أين (فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكر تأذى به واستحيا) هذا ان صدق (وان لم يصدق وقع فى الكذب وكنت السبب) فى ذلك وقال صاحب القوت ومن المحدثات المبتدعة قول الرجل لاخيه اذا لقيه ذاهبا فى الطريق الى أين تريد أو من أين جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا من الادب وهو داخل فى التحسس والتجسس لان التحسس فى الآثار والتجسس فى الاخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعهما وقد لا يحب الرجل ان يعلم صاحبه أين يذهب ولا من أين جاء وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قال اذا لقيت أخاك فى طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب فلعله أن يصدقك فتكره ذلك ولعله ان يكذبك فتكون حملته على الكذب اه وكان على هذا القدم شيخنا المرحوم على بن موسى الحسينى فانه من شدة ما ينكر على من يسأله الى أين ربما يرجع من مقصده وتشاءم (وكذلك تسأل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا أدرى فيجيب عن غير بصيرة ولا روية) فيقع فى خطأ عظيم (ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الاجناس) وأمثالها (فان هذا يتطرق اليه اثم أو ضرر) فى الحال أو فى المآل (وانما مثال ما لا يعنى ما روى ان لقمان الحكيم كان يختلف الى داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى وأراد أن يسأله عن ذلك والحكمة تمنعه من السؤال فلما فرغ داود عليه السلام وضعها عليه وقال نعم جنة الحرب فقال) لقمان (الصمت حكم وقليل فاعله أردت ان أسألك عنها فكفيتنى وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك من غير سؤال) أخرجه الحاكم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس ان لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده فجعل لقمان يتعجب ويريد ان يسأله فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال نعم درع الحرب هذه فقال لقمان الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت أردت ان أسألك فسكت حتى كفيتنى قال البيهقى هذا هو الصحيح أنه من كلام لقمان (فهذا وأمثاله من الاسئلة ما لم يكن فيه ضرر وهتك

ستر وتوريط فى رياء وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان أنفاسه رأس ماله وان أنفاسه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة فى فيه وان يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا *(الآفة الثانية فضول الكلام)* وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطاء بن أبى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من الشخير قول الا لديه رقيب عتيد أما يستحى أحدكم اذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمنى بالكلام لجوابه أشهى الى من الماء البارد الى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا وقال مطرف

ستر وتوريط فى رياء وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده) واذا حسن الاسلام اقتضى ترك ما لا يعنى كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التى لا يحتاج اليها فهذا كله لا يعنى المسلم اذا كمل اسلامه وبلغ الى درجة الاحسان فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه وعلى استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد حسن اسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه فى الاسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فانه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله تعالى (وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو بالمباسطة بالكلام على سبيل التودد) والتألف (أو تزجية الاوقات) أى تسويتها (بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه) ولا بد له منه على كل حال (فانه مسؤل عن كل كلمة) يتكلم بها (وان أنفاسه المعدودة) هى (رأس ماله) من الدنيا (وان لسانه شبكة يقدر ان يقتنص به الحور العين) والولدان والنعيم (فاهماله ذلك وتضييعه خسران) ونقصان (هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة) عن الناس كما قال وهيب بن الورد عن بعض الحكماء الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وواحد فى العزلة فاردت من نفسى الصمت على شئ فلم أقدر عليه فصرت الى العزلة فحصلت لى التسعة وقد تقدم ذلك قريبا (وان يضع حصاة فى فيه) كما كان الصديق رضى الله عنه يفعله (وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه (وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا) فانه لا يجد بدا من الكلام اذا كان مع جماعة ويشتد عليه حفظه للسانه بل ينفلت منه ولا يقدر على ضبطه وأما اذا اعتزل مسلم من ذلك فانه لا يجد من يخاطب معه فيرجع الى نفسه اما بالتفكر أو بالذكر أو بالمراقبة وهذا علاجه من حيث العمل *(الآفة الثانية فضول الكلام وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه) أى يهمه (أمر) ويكون مقصودا له (يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجنحه) أى يطوله فيجعل له جناحا (ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية) منهما (فضول) اى فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر) لكونه مباحا (قال عطاء بن ابى رباح) القرشى مولاهم المكى ثقة فقيه فاضل كثير الارسال مات سنة اربع عشرة على المشهور روى له الجماعة (ان من قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله) ان تقرأه (او امر بمعروف أو نهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحى أحدكم اذا نشرت صحيفته التى املاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه) اخرجه ابن ابى الدنيا فى الصمت فقال حدثنا اسحق بن ابراهيم وغيره قالوا اخبرنا يعلى بن عبيد قال دخلنا على محمد ابن سوقة فقال أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فانه قد نفعنى قال لنا عطاء بن ابى رباح يا بنى اخى ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام فساقه سواء وأخرجه ابو نعيم فى الحلية من هذا الطريق عن عبد الله بن محمد هو ابن أبى الدنيا عن حاجب بن ابى بكر وأحمد ويعقوب الدورقيان قالوا حدثنا يعلى بن عبيد فساقه (و) روى (عن بعض الصحابة) رضوان الله عليه (قال ان الرجل ليكلمنى بالكلام لجوابه اشهى الى من الماء البارد من الظمآن فاترك جوابه خيفة من ان يكون فضلا) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أنبانا عبدان أنبانا عبد الله بن المبارك انبانا عمر بن بكار عن عمرو بن الحرث عن العلاء بن سعد بن مسعود عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (وقال مطرف) بن عبد الله بن

الشخير العامرى الحرشى ابوعبد الله البصرى ثقة عابد فاضل مات سنة خمس وتسعين روى له الجماعة (ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلاتذكروه عند مثل قولكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك) اخرجه ابن ابى الدنيا عن حمزة بن العباس انبانا عبدان انبانا عبد الله عن سليمان بن المغيرة عن ثابت بن مطرف قال ليعظم جلال الله فى صدوركم فلاتذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب اللهم اخزه وللحمار والشاة وأخرجه أبونعيم فى الحلية فقال حدثنا أبوحامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن محمد بن الحسن حدثنا أبى حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال مطرف ليعظم جلال الله تعالى ان تذكروه عند الحمار والكلب فيقول أحدكم لكلبه اخزاك الله وفعل الله بك (واعلم ان فضول الكلام لاينحصر) بضبط (بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لاخير فى كثير من نجواهم الامن أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس) قال ابن أبي الدنيا فى الصمت حدثنا اسحق بن اسمعيل وسعدويه وغيرهما وهذا لفظ اسحق بن اسمعيل عن محمد بن يزيد بن خنيس قال دخلنا على سفيان الثورى نعوده فدخل عليه سعيد بن حسان فقال له سفيان الحديث الذى حدثنى عن أم صالح اردده على فقال سعيد بن حسان حدثتنى أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم هو عليه الاأمرا بمعروف أونهيا عن منكرا وذكر الله قال فقال رجل ما أشد هذا الحديث قال فقال سفيان وأى شئ شدته أليس الله يقول يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وقال صوابا أليس الله يقول لاخير فى كثير من نجواهم الامن أمر بصدقة أومعروف اواصلاح بين الناس أليس الله يقول ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله) قال العراقى رواه البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبد البر انه حديث حسن وقال البغوى لاأدرى سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لاتعرف له صحبة ورواه البزار من حديث انس بسند ضعيف اه قلت قال عباس الدورى له صحبة وقال ابن عبد البر هو كندى له حديث روى عنه نصيح العنسى فى التواضع اه وقد أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت فقال حدثنا مهدى بن حفص حدثنا اسمعيل بن عياش عن مطعم بن المقدام الصغانى عن عنبسة بن سعيد الكلاعى عن نصيح العنسى عن ركب المصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه كسياق المصنف ولفظ البغوى وابن قانع والبيهقى طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه فى غير مسكنة وأنفق من مال جمعه فى غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وقد رواه كذلك البخارى فى التاريخ والباوردى وابن شاهين والعسكرى وتمام وابن عساكر ورواه أبومحمد الجيزى فى تاريخ مصر فقال حدثنى أحمد بن حمزة بن محمد بن هرون البصرى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروى حدثنا آدم بن أبى اياس حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا مطعم بن المقدام الصغانى وعنبسة بن سعيد الكلاعى عن نصيح فساقه وفيه ان ابن عياش رواه عن مطعم وعنبسة وفى سياق ابن أبى الدنيا مطعم عن عنبسة وقال الذهبى فى المهذب ركب يجهل ولم تصح له صحبة ونصيح ضعيف اه وقال المنذرى رواة أبى نصيح ثقات وقال الهيثمى بعد ماعزاه للطبرانى نصيح العنسى عن ركب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات وقال ابن حبان ان هذا السند لايعتمد عليه وان قول ابن عبد البر انه حسن أرادبه الحسن اللغوى أى لفظه حسن وأما الحديث الذى أشار اليه العراقى انه رواه البزار عن أنس بسند ضعيف فلفظه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعد عنها الى البدعة وقد رواه كذلك الديلمى فى مسند الفردوس (فانظر) وتأمل (كيف قلب الناس الامر

ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لاخير فى كثير من نجواهم الامن أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر فى ذلك

فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أشارة الى ان اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام مابلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن ياابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ماشئت وأكثر أو أقلل وروى ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون مايقول ويخبرونه فأخبروه بانه مر فى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع مايكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمى اذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم والا أمسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له

فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان) فخالفوا كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم (وعن مطرف بن عبد الله) تقدمت ترجمته قريبا (عن أبيه) وهو عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش وهو معاوية بن زكب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحرشى العامرى من مسلمة الفتح عداده فى أهل البصرة روى له الجماعة سوى البخارى (قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر) ابن صعصعة وذلك فى عام الفتح (فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت أنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان) وفى بعض النسخ ولا يستهوينكم الشيطان قال العراقى رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة باسناد صحيح بلفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا خالد بن خداش حدثنا مهدى بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت فساقه ولفظ أبى داود والنسائى قولوا بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان وكذلك رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة (اشارة الى أن اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال) عبد الله (بن مسعود) رضى الله عنه (أنذركم) أى أخوفكم (فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته) أخرجه ابن أبى الدنيا فقال حدثنا أبى أخبرنا ابن علية عن ليث ان ابن مسعود قال أنذرتكم فضول الكلام بحسب أحدكم ما بلغ حاجته (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول) له فى جملة ما يسكته به (ابتاع) أى اشترى (لك كذا وكذا) من اللعب والمأكولات فيسمع به فيسكت من البكاء (فيكتب كذابا) أخرجه ابن أبى الدنيا فقال حدثنا أحمد بن جميل المروزى أخبرنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وافعل لك كذا وكذا فتكتب كذبة (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت اقلل أو أكثر) أخرجه ابن أبى الدنيا فقال حدثنا داود بن عمر والضبى حدثنا محمد بن الحسن الاسدى حدثنا يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت فأكثر أو أقل (وروى أن سليمان عليه السلام) فيما أخرجه ابن أبى الدنيا فقال حدثنى سويد بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن طارق بن شهاب قال (بعث) سليمان ابن داود عليهما السلام (بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه) قال (فاخبروه انه مر فى السوق) ولفظ ابن أبى الدنيا على السوق (فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان) عليه السلام (عن ذلك) ولفظ ابن أبى الدنيا لم فعل ذلك (قال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال ابراهيم) بن يزيد بن شريك (التيمى) الكوفى العابد (المؤمن اذا أراد أن يتكلم نظر فان كان) كلامه (له تكلم والا) أى وان لم يكن له بل عليه (أمسك) عنه (والفاجر انما لسانه رسلا رسلا) أى كثيرا يتبع بعضه بعضا أخرجه ابن أبى الدنيا فقال حدثنى على بن أبى مريم عن عثمان بن زفر التيمى حدثنا محمد بن عبد العزيز التيمى قال ذكر الحسن عن ابراهيم التيمى قال المؤمن اذا أراد أن يتكلم نظر فان كان كلامه له تكلم وان كان عليه أمسك عنه والفاجر انما كلامه رسلا رسلا (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أخبرنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا وهيب عن هشام عن الحسن فساقه الا انه قدم الجملة الثانية على الاولى (وقال عمرو بن دينار) المكى التابعى ثقة (تكلم رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له

صلى

صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك ما يرد كلامك) هكذا رواه ابن أبى الدنيا مرسلا فقال حدثنى اسمعيل بن أبى الحرث حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا ابن المبارك عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار قال تكلم رجال فساقه قال العراقى ورجاله ثقات (وفى رواية انه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام) أى بالغ وأطال ولفظ ابن أبى الدنيا فى الصمت وبلغنى عن ابن عائشة عن عبد الاعلى بن عبدالله بن أبى عثمان قال أثنى رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فاستهتر فى الثناء فقال كم بينك وبين لسانك من حجاب قال شفتاى وأسنانى قال اما كان فيها ما يرد فضل قولك عنا منذ اليوم (ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل فى لسان) وروى الديلمى من حديث ابن عباس ما أعطى عبد شرا من طلاقة لسانه (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أخبرنا عبدان أخبرنا عبدالله أخبرنا حماد بن سلمة عن رجاء أبى المقدام عن نعيم كاتب عمر بن عبد العزيز قال قال عمر بن عبد العزيز فساقه (وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أخبرنا عبدان بن عثمان أخبرنا عبدالله أخبرنا رشدين بن سعد حدثنا الحجاج بن شداد انه سمع عبيد الله بن أبى جعفر وكان أحد الحكماء يقول فى بعض قوله اذا كان المرء يحدث فى المجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليحدث (وقال يزيد بن أبى حبيب) المصرى أبو رجاء واسم أبيه سويد ثقة فقيه روى له الجماعة (من فتنة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزين وزيادة ونقصان) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أخبرنا عبدان أخبرنا عبدالله قال أخبرنى رجل من أهل الشام عن يزيد بن أبى حبيب قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وزيادة فى العلم والمستمع شريك المتكلم فى الكلام الا من عصم الله وفى الكلام ترفق وتزين وزيادة ونقصان (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (ان أحق ما طهر الرجل لسانه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن اسمعيل بن اسحق حدثنا أبو أسامة عن سفيان الثورى عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر فساقه (ورأى أبو الدرداء) رضى الله عنه (امرأة سليطة) اللسان (فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها) أخرجه ابن أبى الدنيا عن الفضل بن يعقوب حدثنا سعيد بن مسلمة حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال رأى أبو الدرداء امرأة فساقه (وقال ابراهيم) يعنى النخعى (يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام) أخرجه ابن أبى الدنيا عن محمد بن عبد الملك حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حماد عن ابراهيم قال يهلك الناس فى خلتين فضول المال وفضول الكلام (فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق فى الكلام فيما لا يعنى) والله الموفق

(الآفة الثالثة الخوض فى الباطل)

(وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء) مما يتعلق بهن كان يقول قالت لى كذا وقلت لها كذا وفعلت كذا وما أشبه ذلك (ومجالس الخمر) مما يجرى فيها من العربدة (ومقامات الفساق) وما يجرى فيها من المخزيات (وتنعم الاغنياء) بمتاع الدنيا (وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة) المخالفة للشرع والعرف (فان ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الاولى) لانه مباح (ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض فى الباطل) لانه يستجر اليه وهو لا يدرى (وأكثر الناس) اذا تأملت انما (يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو) أى لا يتجاوز (كلامهم التفكه باعراض الناس) والتمضمض بها (أو الخوض فى الباطل وأنواع الباطل لا يمكن

صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك ما يرد كلامك وفى رواية انه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبى حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمران أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق فى الكلام فيما لا يعنى *(الآفة الثالثة الخوض فى الباطل)* وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض فى الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس أو الخوض فى الباطل وأنواع الباطل لا يمكن

حصرها) وضبطها (لكثرتها وتفننها) أي تنوعها (فلذلك لايخاص منها الا بالاقتصار على مايعنى من مهمات الدين والدنيا) فقط (وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو) لايدرى اذهو (مستحقر بها) غير مبال بها و يحسبه هينا وهو عند الله عظيم (فقد قال بلال بن الحرث) بن عاصم أبو عبد الرحمن المزنى رضى الله عنه قدم سنة خمس فى وفد مزينة وكان ينزل الاسعر والاجرد وراء المدينة وأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم العقيق وشهد فتح مصر مات سنة ستين وله ثمانون سنة روى عنه ابنه الحرث روى له أصحاب السنن (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى) أى مما يرضيه (مايظن أن تبلغ مابلغت) من رضا الله بها عنه (يكتب الله) وفى رواية فيكتب الله له (بها رضوانه الى يوم القيامة) أى بقية عمره وحتى يلقاه يوم القيامة فيقبض على الاسلام ولا يعذب فى قبره ولا يهان فى حشره (وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله) أى مما يسخطه و يغضبه (مايظن أن تبلغ مابلغت) من سخط الله (يكتب) وفى رواية فيكتب (الله) عليه بها (سخطه الى يوم القيامة) بان يختم له بالشقاوة و يصير معذبا فى قبره مهانا فى حشره حتى يلقاه يوم القيامة فيورده النار وبئس الورد المورود قال الطيبى معنى كتبه رضوانه توفيقه لما يرضى الله من الطاعات والمسارعة فى الخيرات فيعيش فى الدنيا حميدا وفى البرزخ يصان من عذاب القبر و يفسح له فى قبره و يقال له نم كنومة العروس الذى لايوقظه الا أحب أهله اليه و يحشر يوم القيامة سعيدا و يظله الله فى ظله ثم يلقى بعد ذلك من الكرامات والنعيم المقيم فى الجنة ثم يفوز بلقاء الله تعالى وعكسه قوله وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله قال العراقى رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح اه قلت ورواه كذلك أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا على بن الجعد أخبرنا أبو معاوية عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص عن بلال بن الحرث المزنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فساقه (ثم قال وكان علقمة) بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف بن عتوارة بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثى العتوارى المدنى قال النسائى ثقة وقال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وله دار فى المدينة فى بنى ليث وله بها عقب وقال المزى أخطأ من زعم ان له صحبة ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة عبد الملك روى له الجماعة (يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث) وأصل ذلك ان علقمة مر برجل من أهل المدينة له شرف وهو جالس بسوق المدينة فقال علقمة يافلان ان لك حرمة وان لك حقا وانى رأيتك تدخل على هؤلاء الامراء فتتكلم عندهم وانى سمعت بلال بن الحرث يقول فذكره ثم قال علقمة أنظر و يحك ماتقول وماتتكلم به فرب كلام قد منعنيه ماسمعت من بلال (وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة) الواحدة لاجل أن (يضحك بها جلساءه يهوى) أى يسقط (بها) أى بسببها (أبعد من الثريا) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند حسن وللشيخين والترمذى ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار لفظ الترمذى وقال حسن غريب اه قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن عيسى أنا عبد الله بن المبارك أخبرنا الزبير بن سعيد عن صفوان بن سليم عن عطاء عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فساقه وفيه يضحك منها والباقى سواء وقال أيضا حدثنا العباس العنبرى حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يحدث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت ترديه فى النار أربعين خريفا وأما حديث الترمذى فرواه أيضا ابن ماجه والحاكم وعند أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا ليضحك بها القوم وانه ليقع بها أبعد من السماء (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ان الرجل ليتكلم بالكلمة) الواحدة (مايلقى بها بالا) أى لايعبأ بها بل يستحقرها (يرفعه الله بها فى أعلى الجنة) أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أخبرنا عبدان بن

حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لايخاص منها الا بالاقتصار على مايعنى من مهمات الدين والدنيا وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال ابن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالا يرفعه الله بها فى أعلى الجنة

عثمان أخبرنا عبدالله أنا مالك بن أنس من عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة هكذا رواه موقوفا على أبي هريرة والجملة الاولى منه موصولة عند الترمذى وابن ماجه والحاكم بلفظ يهوى بها سبعين خريفا في النار كما تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل) قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه الطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح اه قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنا أبو جعفر الرازى عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس خطايا فساقه وأما موقوف ابن مسعود فقال ابن أبي الدنيا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن الاعمش عن صالح بن خباب عن حصين بن عقبة قال قال عبدالله ان أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل (واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان) الفارسى رضى الله عنه (أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله تعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن اسمعيل حدثنا جرير عن الاعمش عن بشر بن عطية قال قال سلمان فساقه (وقال محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى (كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن الصباح حدثنا شعيب بن حرب عن يزيد بن ابراهيم عن محمد بن سيرين قال كان رجل فذكره وقال أيضا حدثنى الحسن ابن الصباح أخبرنا شعيب بن حرب عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم قال الوضوء من الحدث وأذى المسلم (فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل اليها من غير حاجة بينة الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع) والاهواء المختلفة (والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة) مع بعضهم (على وجه يوهم الطعن في بعضهم) والغض عن منصبهم (وذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل) وفي بعض النسخ وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل

(الآفة الرابعة المراء والجدال)

(وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه) قال العراقى رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم اه قلت وقال الترمذى غريب وقال ابن أبي الدنيا حدثنا ابن أبي شيبة قاسم حدثنا المحاربى عن ليث عن عبدالملك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء) أى اتركوه (فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع بسند ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود وفيه من لم يسم اه قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن اسحق الباهلى حدثنا سفيان قال حدثنى رجل صالح قال قال ابن مسعود المراء لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته (وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة) تقدم في كتاب العلم وأخرج ابن أبي الدنيا عن هرون بن معروف انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وجبت وجبت فقال أصحابه ماهذا الذى قلت يا رسول الله قال من ترك المراء وهو محق بنى له في ربض الجنة ومن ترك الكذب بنى له في ربض الجنة ومن حسن خلقه بنى له في ربض الجنة وقد صحح أحمد بن صالح هذا الحديث واثبت لمالك بن أوس رواية والمشهور ان له رؤية فقط وقال ابن خزيمة في القلب من سلمة بن وردان شئ ورواه ابن منده في معجم الصحابة الا انه قال مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه ورواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أنس (وعن

وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

(الآفة الرابعة المراء والجدال) وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة وعن

أم سلمة) أم المؤمنين (رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه أبو داود في المراسيل من حديث عروة بن رويم اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا نصر ابن علي الجهضمي أخبرني أبي عن عيسى بن المتوكل عن اسمعيل بن رافع عن ابن أم سلمة عن أم سلمة قالت فساقه (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا ما ضل قوم الا أوتوا الجدل) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وزاد فيه بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن معاذ حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبد الرحمن ابن اسحق حدثنا الحجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا ست) خصال (من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف) يعني في الحر الشديد (وضرب أعداء الله بالسيف) أي قتال الكفار بالسلاح وخص السيف لانه أعمها استعمالا (والتعجيل في الصلاة) في (يوم الدجن) أي الغيم والمطر الكثير (والصبر على المصيبات) عند الصدمة الاولى (واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي مالك الاشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث اهـ قلت الديلمي انما رواه من حديث أبي سعيد بلفظ ست من كن فيه كان مؤمنا حقا اسباغ الوضوء والمبادرة الى الصلاة في يوم دجن وكثرة الصوم في شدة الحر وقتل الاعداء بالسيف والصبر على المصيبة وترك المراء وان كنت محقا وفي سنده اسحق ابن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك ورواه وقد رواه ابن نصر أيضا بهذا السند وأما حديث أبي مالك الاشعري فقد أخرجه البيهقي بلفظ ست خصال من الخير جهاد أعداء الله بالسيف والصوم في يوم الصيف وحسن الصبر عند المصيبة وترك المراء وأنت محق وحسن الوضوء في أيام الشتاء رواه من طريق يحيى بن أبي طالب عن الحرث الواسطي عن بحر بن كنيز عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن أبي مالك الاشعري ثم قال بحر بن كنيز السقاء ضعيف (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وان كان صادقا اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن عباد بن العوام عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا ويدع كثيرا من الحديث مخافة الكذب وقد أخرجه كذلك في كتاب ذم الغيبة له وأما حديث أحمد فقد أخرجه أيضا الطبراني في الاوسط بلفظ لا يؤمن عبد الايمان كله والباقي سواء (وقال الزبير) بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشي الاسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل روى له الجماعة (لابنه) عبد الله بن الزبير كان أول مولود بالاسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين الى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة) فجادلهم بها (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل) أخرجه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن ابراهيم حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال قال عمر بن عبد العزيز فذكره (وقال مسلم بن يسار) المصري أبو عثمان الطبنذي مولى الانصار روى له البخاري في الادب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته) أخرجه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن واسع قال كان مسلم بن يسار يقول فذكره وزاد فقال قال حماد

قال

أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا ما ضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته

وقيل ماضل قوم بعد اذهداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين فى شئ وقال أيضا المراء يقسى القلوب و يورث الضغائن وقال لقمان لابنه يابنى لاتجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا ممار يا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبى ليلى لاأمارى صاحبى فاما أن أكذبه واما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك اثما أن لاتزال ممار يا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضى الله عنه لاتتعلم العلم لثلاث ولاتتركه لثلاث لاتتعلمه لتمارى به ولالتباهى به ولالترائى به ولاتتركه حياء من طلبه ولازهادة فيه ولارضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران مالك لاتترك أخاك عن قلى قال لانى لاأشاريه ولاأماريه وماورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى واما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك

قال لنا محمد هذا الجدال هذا الجدال (وقيل ماضل قوم بعد اذهداهم الله الا بالجدال) رواه أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه مرفوعا بنحوه وقد ذكر قريبا (وقال مالك بن أنس) رحمه الله (ليس هذا الجدال من الدين فى شئ وقال أيضا المراء يقسى القلب و يورث الضغائن) أى الاحقاد (وقال لقمان لابنه لاتجادل العلماء فيمقتوك) والمقت أشد الغضب (وقال بلال بن سعد) بن تميم الاشعرى أبو عمرو الدمشقى ثقة عابد فاضل مات فى خلافة هشام (اذا رأيت الرجل لجوجا) كثير اللجاج فى الكلام (مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (لو خالفت أخى فى رمانة فقال هى حلوة وقلت) بل هى (حامضة لسعى بى الى السلطان) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه) مرة (بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش) أى المعيشة أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال ابن أبى ليلى) عبد الرحمن الانصارى المدنى ثم الكوفى مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين (لاأمارى صاحبى فاما أن أكذبه واما أن أغضبه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن على بن الجعد أخبرنا شعبة عن الحكم قال قال عبد الرحمن بن أبى ليلى فذكره ووقع فى نسخة الصمت واما ان أبغضه (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (كفى بك اثما أن لاتزال مماريا) أخرجه ابن أبى الدنيا عن اسحق بن اسمعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان بن موسى قال قال أبو الدرداء فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم يكفر كل لحاء ركعتان) واللحاء الملاحاة وهى الملاجة والمماراة قال العراقى رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (وقال عمر رضى الله عنه لاتتعلم العلم لثلاث ولاتتركه لثلاث لاتتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولالترائى به ولاتتركه حياء عن طلبه ولازهادة فيه ولارضا بالجهل عنه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى سلمة يحيى بن المغيرة المخزومى حدثنى أخى محمد بن المغيرة عن عبيد الله بن الحرث الجمحى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال لايتعلم العلم لثلاث ولايترك لثلاث فذكره (وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن القاسم بن هاشم حدثنا حماد بن مالك الدمشقى حدثنا عبد العزيز ابن حصين قال بلغنى أن عيسى بن مريم عليه السلام قال فذكره (وقيل لميمون بن مهران) الجزرى العابد الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز (مالك لايفارقك أخوك عن قلى قال لانى لاأشاريه ولاأماريه) والمشاراة المخاصمة أخرجه ابن أبى الدنيا عن ابراهيم بن سعيد حدثنا موسى بن أيوب حدثنا عتاب بن بشير عن على بن بذيمة قال قيل لميمون بن مهران مالك لايفارقك أخ لك عن قلى فذكره وأخرجه الطبرانى من طريق أبى جعفر النفيلى وأبو نعيم فى الحلية من طريق على بن حجر كلاهما عن غياث بن بشير به (وماورد فى ذم المراء والجدال كثير) فمن ذلك مارواه كعب بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب العلم ليجادل به العلماء او يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى وضعفه وابن أبى الدنيا والطبرانى وعن حريث بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجار أخاك ولا تشاره ولاتماره أخرجه ابن أبى الدنيا وقال مجاهد لاتمار أخاك ولاتفاكهه يعنى المزاح وقال لقمان لابنه يابنى لاتعلم العلم تباهى به العلماء أو تمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس وقال محمد بن واسع رأيت صفوان بن محرز فى المسجد وقريبا منه ناس يتجادلون فرأيته قام فنفض ثيابه وقال انما أنتم جرب وسمع الربيع بن خثيم رجلا يلاحى رجلا فقال مه لاتلفظ الا بخير ولاتقل لاخيك الا ماتحب أن تسمعه من غيرك فان العبد مسؤل عن لفظه محصى عليه ذلك كله أحصاه الله تعالى وقال ابراهيم بن مهاجر سمعت عمر بن عبد العزيز يقول اذا سمعت المراء فاقصر (وحد المراء كل اعتراض فى كلام الغير باظهار خلل فيه) وركاكة ونقص (اما فى اللفظ) المسوق (واما فى المعنى) المفهوم من ذلك اللفظ (واما فى قصد المتكلم) فيقول اللفظ والمعنى صحيحان ولكن قصدك غير صحيح (وترك المراء بترك

الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد (٤٧٢) والنكادة أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصوّر له فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى فى افحامه والجامه وأما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روى ان أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى

الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه) ولا تخض فيه (والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو) بان يكون التركيب مخالفا لاقوال النحاة (أو من جهة اللغة) بان يكون اللفظ المسوق غير مستعمل عند أهلها (أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة) أى تكون معرفة صاحب ذلك الكلام قاصرة (وتارة يكون بطغيان اللسان) وتارة يكون بطغيان القلم وكل ذلك من عوائد البشر (وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس فى قصدك منه الحق انما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه) مع المتناظرين (وهذا الجنس ان جرى فى مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل) وقد صنفت فيه كتب (وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على صفة العناد والنكارة أو التلطف فى التعريض لا فى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير) واسكاته (وتعجيزه وتنقيصه بقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه من جهة أخرى مكروها عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل) لنفسه (والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى) الصفة (السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء للغير فلا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب) واثارته (وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصوّر له فيثور الشجار) أى المخاصمة (بين المتمارين كما يثور الهراش) أى المهارشة (بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى فى افحامه وأما علاجه فهو أن يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله) وترفعه على الغير (والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة) مألوفة (وطبعا) ملازما (حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روى أن أبا حنيفة) الامام (رحمه الله تعالى قال لداود بن نصير الطائى) رحمه الله تعالى وكان يحضر

حلقته

لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجلس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له

حلقته ثم ترك (لم آثرت الانزواء قال لاجادل نفسي) بترك (الجدال قال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه) اخرجه القشيري في الرسالة وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال كان داود يجالس أبا حنيفة فحذف يوما انسانا فقال له أبو حنيفة يا أبا سليمان طال يدك وطال لسانك قال وكان يختلف ولا يتكلم ومن طريق أحمد بن أبي الحوارى حدثني بعض أصحابنا ان داود الطائي كان يجالس أبا حنيفة فقال له يا أبا سليمان اما الاداة فقد أحكمناها فقال له داود فأي شئ بقي فقال بقي العمل به قال فنازعتني نفسي الى العزلة والوحدة فقلت لها حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسئلة قال فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل قال فكانت المسئلة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب عنها من العطشان الى الماء فلا أجيبهم فيها فاعتزلهم بعد ومن طريق محمد بن سليمان المصيصي لوين قال أراد داود الطائي أن يجرب نفسه هل تقوى على العزلة فقعد في مجلس أبي حنيفة سنة فلم يتكلم فاعتزل الناس) وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة) تقدم في كتاب العلم (لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن أن له ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة) عن الناس (لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كف عن اعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا اهـ قلت وزاد الديلمي في الحديث ولا تحل شفاعتي لطعان ولا للعان وقال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا علي بن أبي جعفر حدثنا عبد الله بن صالح حدثني رشدين عن العمري عن هشام بن عروة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد فقال (قال هشام بن عروة) وهو راوي هذا الحديث (كان) صلى الله عليه وسلم (يردد قوله هذا سبع مرات) تأكيدا للسامعين (وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا) أي خلاصا وخروجا (اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات) اذا وجدت (يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها) فهو أشق وأشق والله الموفق

(الآفة الخامسة الخصومة)

(وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في الكلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة) وصلابة العقل وقوة الفكر (والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها) وردع المخالف بكل ما أمكن (والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله

عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

(الآفة الخامسة الخصومة) وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله

الالد الخصم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين و يقال ماخاصم ورع قط فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بينى و بين ابن عم لى فقال ان لابيك عندى يدا وانى أريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت شيأ أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لى خصمى مالك قلت لا أخاصمك قال انك عرفت ان الحق لى قلت لا ولكن أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب منك شيأ هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه أوفى حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف ان الحق فى أى جانب هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان فيخاصم بغير علم و يتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء و يتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر لاستغنائه ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به و يقول انما قصدى عناده وكسر عرضه وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى

الالد الخصم) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى بلفظ أبغض و بلفظ المصنف أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى خيثمة حدثنا وكيع عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة من غير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والاصفهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور اهـ قلت قال ابن أبى الدنيا فى كتابيه الصمت وذم الغيبة حدثنا أزهر بن مروان الرقاشى حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثنا رجاء أبو يحيى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ورجاء هذا هو ابن صبيح الحرشى أبو يحيى البصرى صاحب السقط بفتح القاف و روى ابن ماجه والحاكم والرامهرمزى فى الامثال من حديث ابن عمر من أعان على خصومة بظلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع (وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين) أخرجه ابن أبى الدنيا عن على بن الحسين العامرى حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم عن الاشجعى حدثنا الربيع بن الملاح قال سمعت أبا جعفر يقول اياكم والخصومة فانها تمحق الدين قال وحدثنى من سمعه يقول وتورث الشنآن وتذهب الاجتهاد (و يقال ماخاصم قط ورع فى الدين) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبيه وأحمد بن منيع قالا حدثنا مروان بن شجاع عن عبد الكريم أبى أمية قال ماخاصم ورع قط يعنى فى الدين (وقال ابن قتيبة) هو سالم بن قتيبة وليس هو عبد الله بن مسلم الكاتب الدينورى الشهير بابن قتيبة صاحب التآليف المشهورة كما يتبادر على الاذهان عند الاطلاق (مر بى بشير بن عبيد الله بن أبى بكرة) نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفى (فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بينى و بين ابن عمى فقال ان لابيك عندى يدا) أى معروفا ونعمة (وانى اريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت شيأ أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لى خصمى مالك فقلت لا أخاصمك قال انك عرفت ان الحق لى قلت لا ولكن أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب) منه (شيأ هو لك) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت فقال حدثنى أبو بكر محمد بن هانئ حدثنى أحمد بن شبويه حدثنى سليمان بن صالح حدثنى عبد الله بن المبارك عن جويرية بن أسماء عن سالم بن قتيبة قال مر بى بشير بن عبيد الله بن أبى بكرة فقال ما يجلسك ههنا فذكره و زاد فى آخره فزرت بعد بشيرا وهو يخاصم فذكرته قوله قال لو كان قدر خصومتك عشر مرار فعلت ولكنه مرغاب أكثر من عشرين ألف ألف (فان قلت فاذا كان للانسان حق) على آخر (فلا بد له من الخصومة فى طلبه منه أوفى حفظه عنده) مهما (ظلمه ظالم) أو تعدى عليه ذو سطوة (فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم) الذى ذكرنا (يتناول الذى يخاصم بالباطل) بان يخالف الوجه الشرعى فى طلبه وحفظه (والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف ان الحق فى أى جانب هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب يكون فيخاصم بغير علم) و يجادل بغير سند (و يتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قدر التسلط) والغلبة (أو على قصد الايذاء و يتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية) من الفحش والبذاء (ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة) واقامتها (واظهار الحق و يتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره) ومغالبته (مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال) الذى يخاصم لاجله وهذا القصد ربما لا يظهر بل يكون كامنا فى قلبه لا يصرح به (وفى الناس من يصرح به) جهرا و يبرزه من قلبه (و يقول انما قصدى عناده وكسر عرضه) وجاهه (وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر) أو حفرة (ولا أبالى)

وهـذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى أن لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه

لاستغنائه عنه (وهذا مقصوده اللجاج) فقط (وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذى ينصر حجته) ويقيم حقه (بطريق الشرع) مسددا فى خصومته (من غير لدد واسراف) وغلو (وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء) ونكاية لاخيه المسلم (ففعله ليس بحرام) شرعا (ولكن الاولى) والاليق (تركه ما وجد اليه سبيلا) وأمكنه ذلك (فان ضبط اللسان فى الخصومة على قدر الاعتدال) أى حدى الافراط والتفريط (متعذر والخصومة) كما تقدم (توغر الصدر) أى تملؤه وغرا وهو شدة اللهيب (وتهيج الغضب) وتورث الشنآن والحقد (واذا هاج الغضب) غطى على عقله (ونسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين) واستجره الى أمور ذميمة (حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه) اذا أصيب بها (ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه) فلا يترك للقول فيه مجالا (فمن بدأ بالخصومة) مع أخيه (فقد تعرض لهذه المحذورات) وورط نفسه فيها (وأقل ما فيه تشويش خاطره) وتفريق همه (حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه) لكثرة اشتغاله به فيستغرق أوقاته كلها (فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر) ومنبع كل قبح (وكذا المراء والجدال فينبغى ان لا يفتح بابه) أصلا لمن أراد سلامة نفسه (الا لضرورة) داعية (وعند الضرورة) اذا تحققت (ينبغى ان يحفظ اللسان) عن البذاء (والقلب) عن الضغن حتى يخلص (عن تبعات الخصومة) ومذماتها (وذلك متعذر جدا) خصوصا فى هذا الزمان (فمن اقتصر على الواجب فى خصومة) فسلم (من الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما) لاقتصاره على الواجب (نعم أقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام) ولينه (وما ورد فيه من الثواب) العظيم (اذ أقل درجات الكلام اظهار الموافقة) وترك المخالفة (ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل) للغير أى نسبته الى الجهل (واما تكذيب) لقوله (فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانئ بن شريح باسناد جيد يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام اهـ قلت أخرجه ابن أبى الدنيا عن اسحق بن اسمعيل حدثنا سفيان سمع محمد بن المنكدر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة الحديث هكذا هو عندى فى كتاب الصمت ان لم يكن فيه سقط فيكون الحديث مرسلا وأما حديث أبى شريح فقال ابن أبى الدنيا حدثنا بشار بن موسى أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح قال حدثنى أبى المقدام عن أبيه عن جده هانئ بن شريح قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بشئ يوجب لى الجنة قال عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا) قال عطاء أى للناس كلهم المشرك وغيره رواه ابن ابى الدنيا عن خلف بن هشام حدثنا خالد عن عبد الملك عنه (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (من سلم عليكم من خلق الله فاردوا عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) أخرجه ابن أبى الدنيا عن يعقوب بن ابراهيم حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى حدثنا حسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فذكره وفيه من سلم عليك بافراد الضمير وكذا فى الجواب فاردد عليه وفيه ذلك لان الله عز وجل يقول (وقال) ابن عباس (أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه) أخرجه ابن أبى الدنيا عن خلف بن هشام حدثنا شريك عن أبى سنان قال قلت لسعيد بن جبير المجوسى

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروي أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعوّد لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(الآفة السادسة)

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف

ولينبي من نفسه ويسلم على أفأرد عليه فقال سعيد سألت ابن عباس عن نحو من ذلك فقال لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام) أخرجه ابن أبي الدنيا عن سويد بن سعيد حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن أنس وفيه غرفة بدل غرفا وأطاب بدل الان وروى أيضا من حديث أبي مالك الاشعري بزيادة في آخره وصلى بالليل والناس نيام هكذا رواه ابن أبي الدنيا وفي أخرى بزيادة وتابع الصيام بعد الان الكلام وهكذا رواه أحمد وابن حبان والبيهقي وهو عند الترمذي من حديث علي وقد تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الطعام (وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقالوا يا روح الله أتقول هذا للخنزير فقال أكره ان أعوّد لساني الشر) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن علي بن يزيد أنبأنا عبد الله بن مسلمة حدثنا مالك بن أنس قال مر بعيسى بن مريم خنزير فذكره (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عيسى أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكلمة الطيبة صدقة (وقال) صلى الله عليه وسلم (اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن مسعود أنبأنا الفريابي أنبأنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن شق تمرة فبكلمة طيبة (وقال عمر رضي الله عنه) كذا في النسخ والصواب وقال ابن عمر وقد تقدم له في كتاب آداب الاكل وذكره هناك على الصواب (البر شيء هين وجه طلق) أي ذو بشاشة (وكلام لين) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل قال قال ابن عمر البر شيء هين وجه طلق وكلام لين اهـ وقد نظمه بعضهم فقال

بني ان البر شيء هين * وجه طليق وكلام لين

وروي المصراع الثاني المنطق الطيب والطعيم (وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن) أي الاحقاد (المستكنة) أي الثابتة المخفية (في الجوارح) كذا في النسخ والصواب في الجوانح أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال قال بعض الحكماء فذكره (وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال قال بعض الحكماء كل كلام لا يوتغ دينك ولا يسخط ربك فذكره (هذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب) المنفر للخواطر (المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر) المورث للعداوة نسأل الله التوفيق وحسن المعونة

(الآفة السادسة)

(التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات) وهو ما يشبب به الشاعر في قصيدته من غزل وتعريض بالحب وتحسين لهاوتزيينها بذكر النساء (والمقدمات) مما يقدم بين يدي الدخول في الغرض من ذكر الاطلال والديار وما سلف له في أيام الصبا والشبوبية (وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة) والشعر (وكل ذلك من التصنع المذموم) في الشرع (ومن التكلف الممقوت) أي المبغوض (الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف) أغفله العراقي وقال النووي ليس بثابت اهـ وأخرجه الدارقطني في الافراد من حديث الزبير بن العوام مرفوعا الا اني بريء من التكلف وصالحو أمتي وسنده ضعيف ويشهد لذلك ما رواه البخاري عن أنس عن عمر رضي الله عنهما نهينا عن

التكلف

التكلف وروى أحمد والطبراني في معجميه الكبير والاوسط وأبو نعيم في الحلية عن سلمان رضي الله عنه انه قال لما ان استضافه لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم (وقال صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه بلفظ ان أبغضكم الى اهـ قلت وروى الديلمي من حديث أبي هريرة شرار أمتي الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وخيار أمتي أحاسنهم أخلاقا (وقالت فاطمة رضي الله عنها) وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام) رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسين عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العراقي وفيه انقطاع قلت رواه ابن أبي الدنيا عن اسمعيل بن ابراهيم الترجماني حدثنا علي بن ثابت عن عبد الحميد بن جعفر الانصاري عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعته فذكره وهذا السند لا انقطاع فيه وقد تقدم الكلام عليه قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات) رواه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في كتاب العلم وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة والقواريري قالا حدثنا يحيى القطان عن ابن جريج أخبرني سليمان بن عتيق عن طلق بن حبيب عن الاحنف بن قيس عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره (والتنطع هو التعمق والاستقصاء) وهو تفعل من النطع وهو ما ظهر من غار الفم الاعلى (وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان) وشقاشق اللسان مستعار من شقاشق البعير (وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص) تقدم له ذكر (الى أبيه سعد) بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة (يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منها اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها) أي يتشدق الكلام بلسانه كما تتشدق البقر ووجه الشبه ادارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الاكل وخص البقرة من بين البهائم لان سائرها تأخذ النبات بأسنانها والبقرة لا تحتش الا بلسانها قال العراقي رواه أحمد وفيه من لم يسم ومختصرا باسناده مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلهما عند البخاري أيضا اهـ قلت أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن اسمعيل بن أبي خالد عن مصعب بن سعد قال جاء عمر بن سعد الى أبيه فسأله حاجة فذكر الحديث كما عند المصنف وأخرجه أيضا بهذا الاسناد في كتاب ذم الغيبة له وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمرو ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها وقال الترمذي حسن غريب (وكأنه أنكر عليه ما قدم على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة) بما فيه تغرب وتدقيق وتعمق (وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات) والمخاطبات (اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك دمه بطل) أي يهدر (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم (أسجعا كسجع الاعراب) رواه أبو داود وقد تقدم في كتاب العلم (وانكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه) ظاهر لديه (بل ينبغي أن يقتصر في كل شئ على مقصوده) الذي هو بصدده (ومقصود الكلام انما هو (التفهيم للغرض) فقط (وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة

وقال صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص الى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي أن يقتصر في كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم لا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة

والتذكير عما أوردها في وعظه للعامة والخاصة ولكن (من غير افراط واغراب) وتعمق (فان المقصود منها تحريك القلوب) وجذبها (وتشويقها وقبضها) عن ميل الهوى (وبسطها) في مجال الرضا (فلرشاقة اللفظ) وقع عجيب و (تأثير) غريب (فيه فهو لائق به) ومستثنى مما ذكر (فأما المحاورات التي تجرى) بين الناس (لقضاء الحاجات) وتيسير الامور (فلا يليق بها السجع) المتكلف (والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة) على الاخوان (وكل ذلك يكرهه الشرع ويزجر عنه) وفي كلام السلف تنبيه عليه لمن تأمل

(الآفة السابعة)

(الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم) في أصل الطبع (قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش) فالفحش اسم لكل ما يكرهه الطبع من رذائل الاعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فتتفق في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع والتفحش تكلف ذلك وتعمده قال العراقي رواه النسائي في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ قلت ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن علي بن الجعد أخبرني المسعودي وقيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مالك أو عن عبد الله بن مالك عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره بلفظ المصنف قال وحدثنا احمد بن جميل أنبأنا عبد الله ابن المبارك أنبأنا المسعودي انبأنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحرث عن أبي كثير الزبيدي عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا فاتقوا الله واياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش (ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانهم لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء ألا ان البذاء لؤم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا ورجاله ثقات والنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا وفي أوله قصة اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد أخبرني القاسم بن الفضل الحراني عن محمد بن علي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال فذكره بلفظ المصنف وأخرج الخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث أم سلمة لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء الا ان البذاء لؤم وقد رواه احمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة ابن شعبة دون قوله الا ان البذاء لؤم (وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي) فالطعان هو الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة واللعان الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة الله تعالى اما صريحا أو كناية والفاحش ذو الفحش في كلامه وأفعاله والبذي الفاحش في منطقه وان كان الكلام صدقا قال العراقي رواه الترمذي باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروي موقوفا قال الدارقطني في العلل والموقوف أصح اهـ قلت أخرجه الترمذي في البر وانما قال حسن غريب ولم يصحح لان فيه محمد بن سابق البغدادي وهو ثقة لكنه ضعفه بعضهم وكذلك رواه البخاري في الادب المفرد وأحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والبيهقي كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعا ورواه البيهقي أيضا من حديث أبي هريرة وممن رواه مرفوعا ابن أبي الدنيا في الصمت قال حدثنا يحيى بن يوسف الرقي حدثنا أبو بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم فساقه وقال أيضا حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا محمد ابن سابق عن اسرائيل عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذي (وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها) الفاحش ذو الفحش في قوله أو فعله لا يدخلها مع الاولين أو قبل تعذيبه وتطهيره بالنار الا ان عفي

والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

(الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها

عنه قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمر وباسناد فيه لين اهـ
قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنى عصمة بن الفضل حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا ابن لهيعة عن عياش بن عياش
عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فذكره وكان العراقى أشار بقوله
باسناد فيه لين الى ابن لهيعة فان حاله مشهور والكلام فيه كثير (وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل
النار فى النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور) أى الهلاك (رجل
يسيل فوه) أى فمه (قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر
الى كل كلمة قذعة) أى قبيحة (خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث) وهو الفحش فى المنطق أو ما يكنى
عنه من ذكر النكاح قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره
أبو نعيم فى الصحابة وذكره البخارى وابن حبان فى التابعين والراوى عنه بشير بن أيوب العجلى وثقه ابن
حبان وجهله الذهبى اهـ قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا اسمعيل بن عياش
حدثنى ثعلبة بن مسلم الخثعمى عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن ماتع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أربعة يؤذون أهل النار الحديث وفيه فيستلذها ويستلذ الرفث ثم قال حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا
عبد الله بن وهب عن ثابت بن ميمون عن شعيب بن أبى سعيد قال يقال من استلذ من الرفث سال فوه
قيحا ودما يوم القيامة وشفى بن ماتع أبو عثمان الاصبحى مات فى خلافة هشام ذكر خليفة بن خياط انه
أرسل حديثا فظن بعضهم انه صحابى اهـ وقد روى له البخارى فى خلق أفعال العباد وأبو داود والترمذى
والنسائى وابن ماجه فى كتاب التفسير وأيوب بن بشير العجلى شامى صدوق روى له ابن ماجه فى كتاب
التفسير وعبارة الذهبى فى ديوان الضعفاء أيوب بن بشير شامى مجهول عن تابعى (وقال صلى الله عليه وسلم
لعائشة) رضى الله عنها (يا عائشة لو كان الفحش رجلا كان رجل سوء) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا
من رواية ابن لهيعة عن أبى النضر عن أبى سلمة عنها اهـ قلت قال حدثنى ابراهيم بن سعيد حدثنا عبيد بن
أبى قرة عن ابن لهيعة عن أبى النضر عن أبى سلمة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان
الفحش رجلا كان رجل سوء ورواه أيضا من طريق أخرى ليس فيها ابن لهيعة قال حدثنا الحكم بن
موسى حدثنا الوليد بن مسلم عن طلحة بن عمرو عن عطاء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة
لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وهذا هو الذى أشار اليه المصنف وأورده وأخرج الخرائطى فى
مساوى الاخلاق من حديث عائشة لو كان سوء الخلق رجلا يمشى فى الناس لكان رجل سوء وان الله لم
يخلقنى فاحشا وعند أبى نعيم بلفظ لو كان البذاء رجلا كان رجل سوء ومما عزاه السيوطى الى الصمت لابن
أبى الدنيا من حديث عائشة ولم أجده فيه لو كان الفحش خلقا كان شر خلق الله (وقال صلى الله عليه وسلم
البذاء) يروى بكسر الموحدة وبفتحها ممدودا (والبيان شعبتان من شعب النفاق) قال العراقى رواه
الترمذى وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة وتقدم قلت قال ابن أبى الدنيا
حدثنا على بن الجعد أخبرنى أبو غسان محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبى أمامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكره اما البذاء فهو المفاحشة فى القول والفعل (و) اختلف فى تفسير البيان فى
هذا الخبر فقيل (يحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه) من الاسرار الالهية أى لغير أهله
(ويحتمل أيضا المبالغة فى الايضاح حتى ينتهى الى حد التكلف) المنهى عنه (ويحتمل أيضا البيان فى
أمور الدين وفى صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه) وكشفه
(اذ قد يثور) أى يتحرك (من غاية البيان) ونهاية الكشف (فيه شكوك) وأوهام (ووساوس)
وشبهات (فاذا أجملت بادرت القلوب الى قبوله) وقنعت به (ولم تضطرب) ولم تطلب كشف ما وراء ذلك
واليه الاشارة بقول القائل * ومن منح الجهال علما أضاعه * (ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن

وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار فى النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة فى الايضاح حتى ينتهى الى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان فى أمور الدين وفى صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى أسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن

يكون المراد به المجاهرة بما يستحى الانسان من بيانه فان الاولى فى مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان) والذى يظهران المراد بالبيان هناهو الاحتمال الثانى وهو التعمق فى اظهار الفصاحة فى النطق وتكلف البلاغة فى أساليب الكلام لانه يجر الى أن يرى لنفسه فضلا على من تقدمه فى المقال ومزية عليه فى العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عنهم فيحتقر من تقدمه وأصل البيان هو جمع الفصاحة فى اللفظ والبلاغة فى المعنى وقال الزمخشرى هو اظهار المقصود بابلغ لفظ وبهذا الذى ذكرت فسروا مارواه الطبرانى من حديث أبى أمامة ان الله كره لكم البيان كل البيان فتأمل (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لايحب الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق) أى كثير الصراخ فى الشوارع والطرق ومجامع الناس كما يفعله السوقة والدلالون ونحوهم فيكره ذلك واما صياح نحو الدلال والمنادى ومنشد الضالة ومعرف اللقطة بقدر الحاجة فلا يكره قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللطبرانى من حديث أسامة بن زيد ان الله لايحب الفاحش المتفحش واسناده جيد اهـ قلت لفظ ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو بكر الفضل بن مبشر الانصارى سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحب الله الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق ورواه كذلك ابن عدى فى الكامل وضعفه ولعل سبب ضعفه الفضل بن مبشر أبو بكر المدنى عن جابر قال الذهبى فى المغنى ضعفه ابن معين والنسائى وقال أبو زرعة لين وأما حديث أسامة بن زيد فقد أورده ابن أبى الدنيا من وجهين الاول قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا معلى بن منصور حدثنا يحيى بن زكريا حدثنى عثمان بن حكيم حدثنى محمد بن أفلح مولى أبى أيوب عن أسامة بن زيد قال اما انى أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول لايحب الله الفاحش المتفحش الثانى قال حدثنا أبو موسى الهروى حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة حدثنا عثمان بن حكيم عن أفلح مولى ابن أيوب عن أسامة بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل لايحب الفاحش المتفحش وقد روى ذلك أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن أبى سعيد رفعه ان الله لايحب الفاحش المتفحش (وقال جابر بن سمرة) بن جنادة بن جندب بن حجير بن رباب ابن حبيب بن سوآة بن عامر بن صعصعة السوائى أبو عبد الله ويقال أبو خالد العامرى وأمه خالدة بنت أبى وقاص أخت سعد له صحبة وحالف بنى زهرة ونزل الكوفة وابتنى بها دارا وله بها عقب ومات بها سنة ست وسبعين فى ولاية بشر بن مروان روى له الجماعة (كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى) هو سمرة بن جنادة له أيضا صحبة مات بالكوفة فى ولاية عبد الملك بن مروان روى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى حديث كلهم من قريش يعنى الاثنى عشر خليفة (فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شئ وان أحسن الناس اسلاما أحاسنهم أخلاقا) قال العراقى رواه أحمد وابن أبى الدنيا باسناد صحيح اهـ قلت ورواه كذلك أبو يعلى وقال ابن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا أبو أسامة عن زكريا بن سياه عن عمران بن رياح عن على بن عمارة الثقفى عن جابر بن سمرة قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا وأبى أمامى فساقه بلفظ المصنف ووقع عند أحمد وأبى يعلى أحسنهم خلقا قال الهيثمى رجاله ثقات وقال المنذرى اسناد أحمد جيد (وقال ابراهيم بن ميسرة) الطائفى نزيل مكة من الموالى قال أحمد وابن معين والنسائى ثقة قال محمد بن سعد مات فى خلافة مروان بن محمد وقال البخارى مات قريبا من سنة ثنتين وثلاثين ومائة روى له الجماعة (يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أوفى جوف كلب) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال فذكره (وقال الاحنف بن قيس) بن معاوية بن حصين التميمى السعدى أبو بحر مخضرم ثقة (الا أخبركم بادوا الداء اللسان البذى والخلق الدنىء) أى

يكون المراد به المجاهرة بما يستحى الانسان من بيانه فان الاولى فى مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لايحب الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام فى شئ وان أحسن الناس اسلاما أحاسنهم أخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أوفى جوف كلب وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بادوا الداء اللسان البذى والخلق الدنى

الحسيس أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا عبدالله بن المبارك أنبأنا معمر قال قال الاحنف ابن قيس فذكره (فهذه مذمة الفحش) وقد روى عن أنس مرفوعا قال ما كان الفحش فى شئ قط الا شانه وعن أم الدرداء عن أبى الدرداء يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبغض الفاحش البذى أخرجه ابن أبى الدنيا وعن أسامة بن زيد رفعه ان الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش رواه الامام أحمد وفى حديث عائشة ان الله لايحب الفاحش ولا المتفحش رواه مسلم وابن أبى الدنيا وعن ابن مسعود قال ألا ام خلق المؤمن الفحش وروى المسعودى عن عوف بن عبدالله قال ألا ان الفحش والبذاء من النفاق وهن مما يزدن فى الدنيا و ينقصن فى الآخرة وما ينقصن فى الآخرة أكثر مما يزدن فى الدنيا (فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة) شرعا وعقلا وطبعا بحيث يكرهه الطبع كما ينكره العقل و يستخبثه الشرع (بالعبارات الصريحة) الظاهرة التى لاتحتمل التأويل (وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد) والرعونة من الفساق (عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها) و يتزهون عنها ألسنتهم وفى نسخة يتحاشون عن التعرض لها (بل يكنون عنها و يدلون عليها) عند ضرورة التكلم بها (بالرموز) والكنايات (فيذكرون ما يقاربها و يتعلق بها قال ابن عباس) رضى الله عنهما (ان الله عز وجل حى كريم يعف و يكنى كنى باللمس عن الجماع) قال أولامستم النساء قال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين ان اللمس والملامسة من ألفاظ الكنايات (فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع) يقال مس امرأته ولمسها ودخل بها وصحبها انما يكنون بذلك عن الوقاع والجماع وفى قوله تعالى أولامستم النساء هل المراد به لمس بدنها أو كناية عن الوقاع خلاف بين الشافعى وأبى حنيفة تقدم فى كتاب أسرار الطهارة (وليست بفاحشة وهنا عبارات فاحشة يستقبح ذكرها) وأفحشها وأصرحها النيك (ويستعمل أكثرها فى الشتم والتعيير) أى التعييب (وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد) فرب لفظ يعاب به فى بلد عند محاوراتهم وعند آخرين مستعمل لايستقبح (وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة) محرمة (وبينهما درجات يتردد فيها) ومن طالع فى كتب اللغة ظفر من ذلك شيأ كثيرا (وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط) أو باراقة الماء عن البول فقط أو عنهما معا (أولى من لفظ التغوط والخراءة) مع ان التغوط أيضا من الكنايات لانه يقال تغوط اذا أتى الغائط وهى الارض المطمئنة ولكن لكثرة استعماله فيه صار كالصريح وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز أوجاء أحد منكم من الغائط وأما الخراءة ككتابة اسم لهيئة الفعل فهو من الصريح وقد جاء فى سنن أبى داود من حديث سلمان ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمنا كل شئ حتى الخراءة الحديث خرج مخرج التبكيت للمنافقين الذين كانوا ينكرون مثل ذلك (وغيرهما) كاسماء السوأتين (فان هذا أيضا مما يخفى و يستحيا منه فلا ينبغى أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش) فليحذر منه (وكذلك يستحسن فى العادة) الجارية فى المحاورات (الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك) أو امرأتك (كذا بل يقال قيل فى الحجرة) أو فى الدار أو فى البيت (أومن وراء الستر) أومن وراء الحجاب أو الجهة (أوقالت أم الاولاد) أو صاحبة البيت أو صاحبة الحجرة الا انه قد يقال ان لفظ الزوجة من كنايات القرآن قال تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة (والتلطف فى هذه الالفاظ) مهما أمكن (محمود) شرعا (والتصريح فيها يفضى الى الفحش) المذموم (وكذلك من به عيوب يستحيى منها) بين أقرانه (فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص) وهو محرك بياض يلمع فى البدن (والقرع) وهو انحسار الراس عن الشعر لمرض (والبواسير) وهو مرض معروف وله أنواع وكذلك العمش والسلاق والعمى والعرج مما هو ظاهر بالبدن الا انه يستحيى أن يذكر بذلك صريحا (بل يقال

الوقاع ومايتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حى كريم يعف ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها فى الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيى منه فلا ينبغى ان يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل فى الحجرة أومن وراء الستر أوقالت أم الاولاد فالتلطف فى هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضى الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال

العارض الذى يشكوه ومايجرى مجراه فالتصريح بذلك داخل فى الفحش) ومما يتأذى به أخوه المسلم وهو حرام الا أن يكون ذلك العارض مشتهرا به بحيث لا يستحى من ذكره فلا بأس كالاعمش وهو سليمان بن مهران الكوفى فانهم كانوا يقولون حدثنا الاعمش فى حياته و يسمع ذلك ولا يتغير على من يقوله وكذا قولهم حدثنا الاعرج عن أبى هريرة فهذا وأمثاله لا يدخل فى الفحش (وجميع ذلك من آفات اللسان) والخوض فيه مذموم (قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (يتحفظ فى منطقه نفخرج تحت ابطه خراج) بالضم أى قرحة تشبه الدمل (فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا) ماهذا الذى تشكوه فقال خراج فقلنا (من أين خرج فقال من باطن اليد) أخرجه أبو بكر بن أبى الدنيا فقال حدثنى ابراهيم بن سعيد حدثنى موسى بن أيوب حدثنا ضمرة عن العلاء بن هرون قال كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه لا يتكلم بشئ من الخنا فخرج به خراج فى ابطه فقالوا أى شئ عسى أن يقول الآن قالوا يا أبا حفص أين خرج منك هذا الخراج قال فى باطن يدى قال وحدثنى على بن أبى مريم عن مطرف بن مصعب حدثنا عبد العزيز بن الماجشون عن أبى عبيدة قال مارأيت رجلا أشد تحفظا فى منطقه من عمر بن عبد العزيز وحدثنى محمد بن عباد بن موسى العكلى حدثنا يحيى بن سليم عن أمية بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان قال كنا عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل لرجل تحت ابطك فقال عمر وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه قالوا وما ذاك قال لو قال تحت يده كان أجمل (والباعث على الفحش اما قصد الايذاء للمخاطب) وأكثر ما يوجد ذلك فى المخاصمات (واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق) ومجالستهم (و) مصاحبة (أهل الخبث) والدعارة (واللؤم ومن عادتهم السب) والطعن على اعراض المسلمين (وقال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك) أى عابك (بشئ يعلمه فيك فلا تعيره بشئ تعلمه) أنت (فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيأ قال) الاعرابى (فما سببت شيأ بعده) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث أبى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر اه قلت هو صحابى مشهور روى عنه عقيل بن طلحة وأبو تميمة وعند أبى داود والبيهقى من حديث جابر بن سليم وهو أبو جرى الهجيمى لا تسبن أحدا ولا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة وان امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه ورواه أحمد نحوه ولكن قال عن رجل من الصحابة ولم يسمه ولفظه لا تسبن شيأ ولا تزهدن فى المعروف ولو ببسط وجهك الى أخيك وأنت تكلمه وأفرغ من دلوك فى اناء المستقى واتزر الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة (وقال عياض بن حمار) بلفظ الحيوان المعروف ابن أبى حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة المجاشعى التميمى نسبه خليفة بن خياط عداده فى أهل البصرة وله صحبة روى له مسلم حديثا واحدا والباقون الا البخارى فانه لم يرو له فى الصحيح ولكن روى له فى الادب المفرد (قلت يا رسول الله ان الرجل من قومى يسبنى وهو دونى) أى فى الحسب والشرف (هل على من بأس ان انتصر منه) بأن أسبه كما سبنى (فقال) صلى الله عليه وسلم (المستبان) أى الذى يسب كل منهما الآخر (شيطانان) أى بمنزلتهما (يتعاويان) كذا فى النسخ والذى فى الرواية يتكاذبان (ويتهاتران) أى كل منهما يكذب صاحبه و ينتقصه من الهتر بالكسر وهو الباطل من القول والسقط من الكلام وعلى رواية يتعاوتان أى يتقاويان و يتقابحان فى القول وفيه كما قال المصنف فيما سيأتى انه لا يجوز مقابلة السب بالسب قال وكذا سائر المعاصى وانما القصاص والغرامة على ما ورد به الشرع قال وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه عن التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه لكنه

العارض الذى يشكوه ومايجرى مجراه فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه نفخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشئ يعلمه فيك فلا تعيره بشئ تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيأ قال فما سببت شيأ بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله ان الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتعاويان و يتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر

وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه

لا بعصى قال العراقى رواه أبوداود والطيالسى وأصله عند أحمد اه قلت ورواه أحمد والبخارى فى الادب المفرد قال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح (وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا) أى اثم ما قالاه من السب والشتم (فعلى البادئ) منهما لانه السبب لتلك المخاصمة فالمسبوب أن ينتصر و يسبه بما ليس بقذف ولا كذب كيا ظالم ولا يا آثم والعفو أفضل فان قيل اذا لم يأثم المسبوب و برئ البادئ من ظلمه بوقوع التقاص فكيف صح أن يقدر فيه اثم ما قالا قلنا اضافته بمعنى فى يعنى اثم كائن فيما قالاه واثم الابتداء على البادئ و يستمر هذا الحكم (حتى يعتدى المظلوم) أى يتعدى الحد فى السب فلا يكون الاثم على البادئ فقط بل عليهما وقيل المراد انه يحصل اثم ما قالا والبادئ أكثر من المظلوم حتى يعتدى فيربو اثم المظلوم وقيل معناه انه اذا سبه فرد عليه كان كفافا فان زاد بالغضب والتعصب لنفسه كان ظالما وكان كل منهما فاسقا قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقال مالم يعتد المظلوم اه قلت وكذا الترمذى ورواه من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ورواه أيضا أحمد وأبوداود بلفظ المصنف وفى الباب عن أنس وابن مسعود وعبد الله بن الفضل وغيرهم (وقال صلى الله عليه وسلم سباب) بكسر السين وتخفيف الموحدة (المسلم) أى سبه وشتمه يعنى التكلم فى عرضه بما يعيبه وهو مضاف الى مفعول (فسوق) أى خروج عن طاعة الله ورسوله ولفظه يقتضى كونه من اثنين لانه مصدر سابه مسابة وفسر الراغب السباب بالشتم الوجيع قال النووى فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعى قال ومن الالفاظ المذمومة المستعملة عادة قوله لمن يخاصمه ياحمار يا كلب ونحو ذلك فهذا قبيح لانه كذب وايذاء بخلاف قوله ياظالم ونحوه فان ذلك مما يتسامح به لضرورة المخاصمة مع انه صدق غالبا فما من انسان الا وهو ظالم لنفسه ولغيرها وفيه تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بالفسق وان الايمان ينقص و يزيد لان الساب اذا فسق نقص ايمانه وخرج عن الطاعة فضره ذنبه وفيه رد على المرجئة فى قولهم انه لا يضر مع التوحيد ذنب (وقتاله) أى محاربته لاجل الاسلام (كفر) حقيقة أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد أو المراد الكفر اللغوى وهو الجحد لحقه أو هضم أخوة الايمان رواه أحمد والشيخان فى الايمان والترمذى فى البر والنسائى فى المحاربة وابن ماجه من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه أيضا وأبو نعيم فى الحلية والخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث أبى هريرة ورواه الدارقطنى فى الافراد من حديث جابر ورواه ابن ماجه أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن مغفل وفيه كثير ابن يحيى وهو ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب والطبرانى أيضا من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن ورواه أحمد والطبرانى أيضا من حديث ابن مسعود بزيادة وحرمة ماله كحرمة دمه وقال الحافظ فى الفتح لما كان المقام مقام الرد على المرجئة أورد البخارى هذا الحديث فى كتاب الايمان واهتم بذلك وبالغ فى الزجر معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه فى محله اه (وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه) قال القرطبى انما استحق ساب والديه اللعن لمقابلته نعمة الابوين بالكفران وانتهائه الى غاية العقوق والعصيان كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وان كانا كافرين وبتوحيده وشريعته قال العراقى رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باسناد جيد اه قلت ولفظ أحمد ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه الحديث وهكذا رواه أبو نعيم فى الحلية ولفظ الطبرانى ملعون من سب شيأ من والديه الحديث وروى الخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث أبى هريرة ملعون من لعن والديه (وفى رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه) قال العراقى رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو اه قلت وكذلك رواه الترمذى ولفظهم من الكبائر شتم الرجل والديه قيل يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه

ويسب أمه فيسب أمه

(الآفة الثامنة اللعن)

وهو (اما الحيوان أو جماد أو انسان وذلك) كله (مذموم قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان) قال العراقي تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا اهـ قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن بندار بن بشار حدثنا أبو عامر عن كثير بن زيد سمعت سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون المؤمن لعانا قال وحدثنا عمرو الناقد حدثنا أبو أحمد الزهري حدثنا كثير بن زيد عن سالم بن عبد الله ابن عمر قال ما سمعت ابن عمر لعن انسانا قط الا انسانا واحدا وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون لعانا وقد رواه كذلك الحاكم والبيهقي (وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا) أي لا يلعن بعضكم بعضا وأصله لا تتلاعنوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم) وفي رواية ولا بالنار بدل ولا بجهنم أي لا يدعو بعضكم على بعض كأن يقول عليه لعنة الله وعليه غضب الله واجعله من أهل النار أو أحرقك الله بنار جهنم قال الطيبي قوله لا تلاعنوا الخ من عموم المجاز لانه في بعض افراده حقيقة وفي بعضها مجاز وهذا مختص بمعين لجواز اللعن بالوصف الاعم أو الاخص كالمصورين قال العراقي رواه أبو داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي حسن صحيح اهـ قلت وكذلك رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم والضياء في المختارة (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول) أي العذاب أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا أبو يزيد الخراز عن عبيدة عن الاعمش عن أبي ظبيان قال قال حذيفة فذكره والظاهر ان المراد بالتلاعن في قوله هذا هو اللعان بين الرجل وامرأته ولم يقع بعده صلى الله عليه وسلم الامرة بالاندلس في زمان الامويين كما نقله المقري في نفح الطيب وليس المراد به ان يلعن بعضهم بعضا في محاوراتهم فتأمل ذلك (وقال عمران بن حصين) رضي الله عنهما (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره واذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها) أي لسوء سيرها (فلعنتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها) من الاثقال (وأعروها) بقطع الهمزة (فانها ملعونة قال) عمران رضي الله عنه (فكأني أنظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرض لها أحد) قال العراقي رواه مسلم قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن عمران بن حصين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وامرأة من الانصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد وأخرجه ابن حبان في الصحيح بلفظ خذوا متاعكم عنها وأرسلوها فانها ملعونة (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما لعن أحد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن سعيد حدثنا موسى عن أيوب حدثنا بقية عن ابن أبي مريم عن المهاجر عن أبي الدرداء فذكره وأخرج أيضا عن عمرو بن قيس قال اذا ركب الرجل الدابة قالت اللهم اجعله رفيقا حليما فاذا لعنها قالت على اعصانا لله لعنة الله ومن طريق فضيل بن عياض قال كان يقال ما أحد سب شيأ من الدنيا دابة ولا غيرها فيقول اخزاك الله ولعنك الله الا قالت أخزى الله اعصانا لله (وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر) رضي الله عنه (وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا أبا بكر العانين وصديقين كلا ورب الكعبة) قال ذلك (مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا حدثنا بشار بن موسى أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه المقدام عن جده عن عائشة قالت سمع النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق لعن بعض رقيقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثامنة اللعن)

اما الحيوان أو جماد أو انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني أنظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد وقال أبو الدرداء ما لعن أحد الارض الا قالت لعن الله أعصانا لله وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الاعلى من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق * واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أوعلى الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا

يا أبا بكر الصديقون لعانون فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا أعود اه و بشار بن موسى الخفاف شيباني عجلي بصري نزل بغداد قال صاحب التهذيب ضعيف كثير الغلط لين الحديث روى له ابن ماجه في كتاب التفسير له وقال الذهبي في المغني بشار بن موسى الخفاف عن يزيد بن زريع قال أبو زرعة وغيره ضعيف وقال البخاري منكر الحديث وقال ابن عدي أرجو انه لا بأس به (وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي الدرداء اه قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن ابي عمر المقري حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني زيد بن أسلم عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكره (وقال أنس) رضي الله عنه (كان رجل يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون) رواه ابن أبي الدنيا عن اسمعيل بن اسحق الازدي حدثنا اسمعيل بن أبي ادريس حدثنا أبي عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك وهو سند جيد (وكان ذلك انكارا منه) صلى الله عليه وسلم على الرجل المذكور وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق بكر بن خنيس رفعه قال علامة ابدال أمتي انهم لا يلعنون شيأ أبدا ومن طريق يحيى بن أبي كثير قال دخلت أم الدرداء على جيران لها وهم يلعنون فقالت كيف تكونون صديقين وأنتم لعانون ومن طريق حكيم بن جابر قال كان أبو الدرداء مضطجعا بين أصحابه وقد غطى وجهه فمر عليه قس سمين فقالوا اللهم العنه ما أغلظ رقبته فقال أبو الدرداء رضي الله عنه من ذا الذي لعنتم آنفا فاخبروه فقال لا تلعنوا أحدا فانه لا ينبغي للعان ان يكون عند الله صديقا يوم القيامة (واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الاعلى من اتصف بصفة تبعده عن الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين و) لعنة الله (على الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون) عن حضرته وطرده عن عموم رحمته (وذلك) أمر (غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى و يطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم لو أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة) أعظمها (الكفر) وهو الشرك بالله تعالى (والبدعة) التي تضاد السنة المشروعة (والفسق) وهو الخروج عن طاعة الله ورسوله بالظلم وغيره من المعاصي (واللعن في كل واحدة) من هؤلاء الثلاثة (ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم) وذلك مأذون فيه (كقولك لعنة الله على الكافرين) بالنظر الى الكفر (و) لعنة الله (على المبتدعين) بالنظر الى البدعة (و) لعنة الله (على الفسقة) بالنظر الى الفسق (الثانية اللعن بأوصاف) هي (أخص منه) أي من الوصف الاعم (كقوله لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس) بالنظر الى الكفر (و) لعنة الله (على القدرية) وهم المعتزلة (والخوارج) وهم فرق شتى (والروافض) وهم كذلك فرق شتى وهذا بالنظر الى البدعة (و) لعنة الله (على الزناة) من النساء والرجال (والظلمة وآكلي الربا) وهذا بالنظر الى الفسق (وكل ذلك جائز مأذون) فيه (ولكن في لعن أصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة) أمر (غامض) خفي (ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام من الناس لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير) أي يحرك (نزاعا بين الناس) فتنشأ من ذلك مفاسد عظيمة (الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع) وهذا قد اختلف فيه (والتفصيل) الرافع للنزاع (فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا) اما في الكتاب أو في السنة (فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت ان هؤلاء قد ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا) ولو قال بدل فرعون أبو لهب لكان أولى اذ قد اختلف في ايمان فرعون فاثبته بعض المحققين ونفاه آخرون كما تقدم الكلام فيه

اماشخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلافهذافيه خطر فانه ربمايسلم فيموت مقربا عندالله

فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وان كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أى ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ماهو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو فى نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لايدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس فى ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب فى الاحوال الا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول فى دعائه على قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذروى انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون يعنى انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون

فيما سبق وأما أبولهب وأبو جهل فتفق على كفرهما وموتهما على الكفر (اما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلافهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عندالله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا) قال ابن حجر المكى وهذا هو الاليق بقواعد أئمتنا فانهم صرحوا بانه لايجوز لعن شخص بخصوصه الا ان علم موته على الكفر كأبى جهل وأبى لهب وأما من لم يعلم منه ذلك فلا يجوز لعنه (فان قلت يلعن لكونه كافرا فى الحال) اى فى حال اللعن (كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وان كان يتصور فيه أن يرتد) عن دين الاسلام الى دين الكفر (فاعلم ان معنى قولنا) للمسلم (رحمه الله أى ثبته على الاسلام الذى هو سبب الرحمة و) ثبته (على الطاعة) والانقياد لاوامر الله تعالى فهو دعاءله بذلك (ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ماهو سبب اللعنة) والطرد (فان هذا سؤال الكفر وهو فى نفسه كفر) اذ من يسأل الكفر لغيره كأنه يرضى له بذلك والرضا بالكفر كفر (بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لايدرى) ولا يدرك (والمطلق متردد بين الجهتين) اما جهة الكفر أو جهة الاسلام (ففيه خطر وليس فى ترك اللعن خطر) فهو الاسلم (واذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق او زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب فى الاحوال) قال ابن حجر المكى الكافر المعين لايجوز لعنه لانه هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها وذلك انما يليق بمن علم موته على الكفر فقط وان كان كافرا فى الحالة الظاهرة لاحتمال ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام ولا يجوز أيضا لعن فاسق مسلم معين ثم نقل عن ابن الصلاح ما يشهد لهذا (الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول فى دعائه على قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر) كما رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود (حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه) ويدعو عليه (فنهى عنه اذروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون يعنى انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون) قال العراقى روى الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث أبى هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ لفظ مسلم اه قلت وروى الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل من حديث أنس ان هذه الآية نزلت يوم أحد لما كسرت رباعيته وشج وجهه وعند ابن جرير فى روايته عن الربيع فى آخره فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم وروى أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن جرير والبيهقى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية قال فتيب عليهم كلهم وروى الترمذى وصححه وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على أربعة نفر فانزل الله هذه الآية فهداهم للاسلام وروى الشيخان وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر والبيهقى فى السنن من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لاحد قنت بعد الركوع اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف يجهر بذلك وكان يقول فى بعض صلاة الفجر اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من احياء العرب حتى أنزل الله هذه الآية وفى لفظ اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله بلغنا انه ترك ذلك لما نزلت هذه الآية وروى ابن اسحق فى سيرته

والنحاس

والنحاس فى ناسخه من حديث سالم بن عبد الله بن عمر قال جاء رجل من قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انك تنهى عن الشئ ثم تحول فحول قفاه الى النبي صلى الله عليه وسلم وكشف استه فلعنه ودعا عليه فانزل الله هذه الآية قال ثم أسلم الرجل وحسن اسلامه (وكذلك من بان) أى ظهر (لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مربه وهو يريد الطائف فقال) أبو بكر (هذا قبر رجل كان عاتيا) أى متمردا (على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص) بن أمية بن عبد شمس بن مناف (فغضب ابنه عمرو بن سعيد) وهو ابن عمة خالد بن الوليد صحابى كبير من مهاجرة الحبشة قدم عليهم بخيبر هو وأخوه خالد قتل باجنادين وقيل باليرموك وابن أخيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص له رؤية وحفيده عمرو بن سعيد بن العاص وهو الاصغر ويعرف بالاشدق (وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة) يعنى والد أبى بكر (فقال أبو بكر يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم) لعمرو بن سعيد (اكفف عن أبى بكر فانصرف) عنه (ثم أقبل) رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ابى بكر فقال ياأبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعموا) اى اذكروهم بلفظ العموم (فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك) قال العراقى رواه أبو داود فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاصى فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاصى فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا (وشرب نعيمان) بن عمرو بن رفاعة النجارى من بنى مالك ابن النجار يقال اسمه نعمان فصغر صحابى بدرى كان يمزح كثيرا رضى الله عنه (الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة) قال الحافظ فى الفتح اسمه عمر (لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على أخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك) قال العراقى رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو ابن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه أبا عبد الملك اه قلت رواه الزبير ابن بكار فى كتاب الفكاهة من طريق أبى طوالة عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال كان بالمدينة رجل يقال له النعيمان يصيب من الشراب فذكره ثم قال العراقى وللبخارى من حديث عمران رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب فأتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وله من حديث أبى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفى رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم اه قلت ورواه البخارى من طريق وهيب عن أيوب عن ابن أبى مليكة عن عقبة بن الحرث ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالنعيمان أو ابن النعيمان كذا بالشك والراجح النعيمان بلا شك وفى لفظ لاحمد كنت فيمن ضربه وقالا فيه أتى بالنعيمان من غير شك ورواه بالشك أيضا محمد بن سعد فى الطبقات من طريق معمر عن زيد ابن أسلم مرسلا وجزم ابن عبد البر ان صاحب القصة هو ابن النعيمان وما مر من حديث عمر عند البخارى ربما يشهد له فانه قال فيه ان اسمه عبد الله ويلقب حمارا وهذا يقوى قوله فيكون وقع ذلك له ولابنه ومن يشابه أبه فما ظلم وحديث أبى هريرة رواه البخارى من طريق محمد بن ابراهيم التيمى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وحديث ابن عمر عند البخارى فيه قوله لا تلعنوه هكذا فى سائر روايات البخارى وعند الكشميهنى ألا لا تلعنوه وروى أحمد وأبو داود من حديث أبى هريرة قال أتى رجل قد شرب الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوه فقال بعض القوم أخزاه الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هكذا

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة فقال أبو بكر يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبى بكر فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال ياأبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على أخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك

لاتعينوا عليه الشيطان ولكن قولوا اللهم اغفرله اللهم ارحمه وروى ابن سعد في الطبقات عن أيوب عن محمد مرسلا لاتقولوا للنعيمان الاخيرا فانه يحب الله ورسوله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأيتم أخاكم قدزل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له بالتوبة ولاتكونوا أعوانا للشيطان عليه ذكره صاحب الكشاف في سورة غافر وفيه قصة وقد تقدم ذكرها (وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة) كما ان الفسق لايخرج الانسان عن اخوة الايمان (في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب) عنها (ولاخطر في السكوت عن لعنة ابليس مثلا) وهو هو مع قول الله تعالى في حقه وان عليك لعنتي الى يوم الدين فضلا عن غيره فالساكت عن لعنه لايلزمه شئ مع ان الاشتغال به اشتغال فيما لافائدة فيه فقد روى ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو حدثنا عباد بن العوام أخبرنا حصين سمعت مجاهدا يقول قلما ذكر الشيطان قوم الا حضرهم فاذا سمع أحدا يلعنه قال لقد لعنت ملعنا ولاشئ أقطع لظهره من لا اله الا الله (فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد) بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس كنيته أبو خالد ولد في خلافة عثمان وعهد اليه أبوه بالخلافة فبويع له ببيت المقدس في يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين وشخص الى دمشق مسرعا ولم يشهد وفاة أبيه ولاصلى عليه لمقامه في ذلك الوقت ببيت المقدس وأبى البيعة عبد الله بن الزبير ولاذ بمكة والحسين بن علي ونهض الى الكوفة (لانه قاتل الحسين) بن علي رضي الله عنه (أو آمر به) أي بالقتل (قلنا هذا لم يثبت أصلا) اما كونه لم يقتله بنفسه فهو ظاهر واما كونه لم يأمر بقتله فهذا فيه الاختلاف الشائع وغاية ماذكر فيه ان يزيد لما قلد عبيد الله بن زياد الكوفة مضافا الى ماتقلده من أمر البصرة وسار اليها مسرعا متنكرا حتى نزل قصر الامارة بها كتب اليه يزيد قد ابتلي شأنك بالحسين وابتلى بلدك من بين البلدان وأنت من بين العمال وفي هذا اما يعتق أو يعود عبدا كما يريد ان الحسين رضي الله عنه ان ملك ردك الى نسبك وردمه قال معاوية الى ادعاء أبيك فكان هذا القول مما حرضه على الحسين رضي الله عنه وهذا لايدل على انه أمره بقتله كما هو ظاهر ويؤيد ذلك ان في سنة اثنين وستين بعد قتل الامام الحسين رضي الله عنه وفد أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية على يزيد باستدعاء منه فلما صار اليه اعتذر مما جرى على الحسين رضي الله عنه وقال لو كنت حاضرا لما جرى ماجرى فقال له محمد بن علي لاأحب أن أسمع في أخي الاخيرا ولاأشك في انك لو وليت أمره لما جرى ماجرى ولكن لكل أجل كتاب وقصة قتله رضي الله عنه مشهورة وحاصلها ان في سنة احدى وستين أنفذ عبيد الله بن زياد شبث بن ربعي ليلقى الحسين وحربه من طريق نخلات في اثني عشر ألفا وعمر بن سعد بن أبي وقاص من طريق الفرات ليأخذ عليه الطريق في جيش آخر وقال لعمر مره أن يرجع الى المدينة أو الى مكة أو يسير الى يزيد فان أبى فاستأسره فان أبى فقاتله فابى الحسين أن يرجع أو يستأسر فقاتلوه فقتل رضي الله عنه سعيدا شهيدا مجيدا بمكان يقال له الطف واختلف في قاتله فقيل سنان بن أنس النخعي وقيل شمر بن ذي الجوشن الضبابي وكان سنه اذذاك رضي الله عنه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر وحمل رأسه الى عبيد الله ابن زياد على خشبة وهو أول رأس حمل على خشبة ودفن جسده الشريف بكربلاء وبالجملة (فانه لايجوز ان يقال انه قتله اوأمر بقتله مالم يثبت) من طرق صحيحة كما نقله ابن عبد البر في التمهيد عن بعضهم أن يزيد لم يأمرهم بقتله وانما أمرهم بطلبه أو بأخذه وحمله اليه فهم قتلوه من غير حكمه وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما حاصله ان جميع ما ذكر في ذلك لم يثبت وان قتله انما كان عن رأي عبيد الله بن زياد (فضلا عن اللعنة لانه لايجوز نسبة مسلم الى كبيرة) كالقتل وغيره (من غير تحقيق) أو بسيرة فحيث لم يثبت مايقتضي اللعن لايجوز لعنه وبه أفتى المصنف قال ابن حجر المكي وهو الاليق بقواعد المذهب فلايجوز لعنه وان كان فاسقا خبيثا قال وفي كلام ابن الصلاح مايشهد لذلك فلاتوله ولاتلعنه وبالجملة فالرجل من أهل القبلة ليس بكافر لان الاسباب الموجبة للكفر لم يثبت منها شئ والاصل

وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولاخطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين أو آمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلايجوز أن يقال انه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لاتجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق

بقاؤه على اسلامه حتى يعلم بخروجه عنه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعن أهل القبلة ومقترف الذنوب والمعاصي لا يكفر وهو مذهب أهل السنة وقد ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال فيه انه ليس أهلا لان يروى عنه وليست له رواية تعتمد ثم اعتذر عن ذكره فقال انما ذكرته للتمييز بينه وبين يزيد بن معاوية النخعي الكوفي العابد قال ثم وجدت له رواية في مراسيل أبي داود وقد نبهت عليها في الاستدراك على الاطراف ومنهم من أثبت مع فسقه كفره نظرا الى ما فعل بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاهانة والاذاية واستباحته المدينة في وقعة الحرة وبما حكى عنه انه لما طلب المبايعة من الحسين رضي الله عنه فأبى وأراد أن يأمر بقتله تفاءل بالمصحف فخرج في أول سطر وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف ونقل عنه انه لما بعث عبيد الله برأس الحسين رضي الله عنه اليه ومعه علي بن الحسين وأختاه سكينة وفاطمة أمر بهم فغلوا في قيد وأقبل على ثناياه بمخصرة معه وقال :

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وكانوا هم أعق وأظلما

ونقل عنه أيضا انه قال ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

وهذا كما ترى تمن أن لو وجد كفار قريش الذين قتلوا ببدر ورأوا اهانته بأهل المدينة وقتلهم واستباحة اعراضهم وهو انتصار للكفر والانتصار للكفر كفر الى غير ذلك من المخزيات التي تنسب اليه وقد شحنت كتب التواريخ بذلك وأخباره مستوفاة في تاريخ دمشق لابن عساكر وهو اختيار بعض العراقيين والى هذا ميل الشيخ سعد الدين التفتازاني فانه ذكر في شرح العقائد بعد ان نقل ما يقتضيه المقام واما نحن فلا نتوقف في شأنه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه انظر هذا الكلام من هذا المحقق مع انه من كبار أئمة الشافعية وقواعد مذهبه تقتضي عدم اللعن ولكنه ربي في بلاد العجم وقد امتلأت مسامعهم من الاخبار والحكايات التي أكثرها لا يخلو من مجازفات ثم انها لم تثبت من طرق تفيد اليقين والسكوت فقال ما قال وخالف مقتضى مذهبه ولم يبال والى مثله الاشارة بقول صاحب بدء الامالي

ولم يلعن يزيد بعد موت * سوى المكثار في الاغراء غالي

فالمكثار هو المبالغ في الكثرة والاغراء الافساد والتحريض عليه والغالي المبالغ في التعصب فمن أجاز لعن يزيد فهو موصوف بهذه الصفات الثلاث فهذان قولان متقابلان وهناك قول ثالث وهو التوقف في ذلك وتفويض أمره الى الله تعالى لانه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات الضمائر وهواجس السرائر فلا يتعرض لتكفيره ولعنه أصلا وان هذا هو الاحوى والاسلم ومع القطع باسلامه فانه فاسق شرير سكير جائر وقد أخرج الروياني في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد وأخرج أبو يعلى في المسند ونعيم بن حماد في الفتن وابن عساكر من حديث أبي عبيدة لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد وقد مال الى التوقف جماعة من العلماء العاملين وقالوا الاشتغال بذكر الله تعالى أولى من الاشتغال بلعنه وهو اشتغال بما لا يعني وقد قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد ذكر حاصل ذلك الفاضل مصطفى بن ابراهيم التونسي الحنفي في كتابه اقتباس الانوار وجلب الاخبار في آيات النبي المختار صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب كنت رأيته في سنة سبع وستين ومائة وألف عام قدومي الى مصر وكان مصنفه اذ ذاك حيا بتونس رحمه الله تعالى وسبقه الى ذلك الامام الحافظ شرف الدين قاسم بن قطلوبغا البكتمري الحنفي فذكر في شرحه على بدء الامالي خلاصة ما أشرت اليه ثم بعد نقله هذه الاقوال حسبما يقتضيه المقام قال واما نحن فبريؤن من أعداء الله ورسوله وأهل بيته وممن عادى فردا من أفراد عوام المسلمين لكونه مسلما أو لكونه ينتسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ولو بأدنى نسبة اه ولا بأس بهذا الكلام على عمومه فنحن كلنا برآء ممن يعادي الله ورسوله أو يؤذي من ينتسب الى ذلك المقام العلي ولو بأدنى نسبة أو من ينتسب الى

الاسلام والله الموفق (نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم) وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان قد أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ بن جبل ثم صار من كبار الخوارج وهو أشنع هذه الامة (عليا رضي الله عنه) وقصة قتله مشهورة ثم قتله أولاد علي رضي الله عنهم في سنة أربع وأربعين (وقتل أبو لؤلؤة) غلام المغيرة بن شعبة (عمر رضي الله عنه) وقصته كذلك مشهورة (فان ذلك ثبت متواترا) من طرق كثيرة تفيد اليقين والسكوت (فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق) وبصيرة ففيه خطر (قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك) قال العراقي متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق اهـ (وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك النقاش في كتاب القضاة وفيه مندل بن علي وهو ضعيف (وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا) ومما يناسب ايراده في هذا المقام ما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق ابن المسيب عن الفضيل بن عمر ان رجلا لعن شيأ فخرج ابن مسعود من البيت فقال اذا لعن شئ دارت اللعنة فان وجدت مساغا قيل لها اسلكيه فان لم تجد مساغا قيل لها ارجعي من حيث جئت فخفت أن ترجع وأنا في البيت ومن طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال من لعن شيأ من غير ذنب لم تزل اللعنة تتردد بين السماء والارض حتى تلزم ترقوة صاحبها ومن طريق مزيد بن هلال الضبعي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت أن لا تلعن شيأ فافعل فان اللعنة اذا خرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلا أصابته فان لم يكن لها أهلا وكان اللاعن لها أهلا رجعت عليه فان لم يكن لها أهلا أصابت يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فان استطعت أن لا تلعن أبدا شيأ فافعل ومن طريق الوليد بن رباح سمعت نمران يذكر عن أم الدرداء قالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن فان كان لذلك أهلا والا رجعت الى قائلها (وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما أو تعصي اماما عادلا) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل تقدم قلت ورواه من طريق اسمعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك على اليمن فذكر الحديث وفيه وانهاك ان تشتم مسلما أو تكذب صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصي اماما عادلا الحديث (والتعرض للاموات أشد قال مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنين وستين (دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا) قال العراقي رواه البخاري وذكر المصنف في أوله قصة لعائشة رضي الله عنها وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة اهـ قلت رواه البخاري من طريق مجاهد وعائشة وكذلك رواه أحمد والنسائي لكن بدون تلك القصة وفي تاريخ ابن النجار بلفظ الى ما كسبوا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو عبيدة بن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثنا اياس الاقطس حدثنا عطاء بن أبي رباح قال ذكر رجل عند عائشة فنالت منه فقالوا والله قد مات فترحمت عليه وقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذكروا موتاكم الا بخير (وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء) قال العراقي رواه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات الا ان بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم اهـ قلت وكذلك رواه

نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاك ان تشتم مسلما أو تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات أشد قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء

أحمد والطبراني ورواه الطبراني أيضا من حديث صخر الغامدي (وقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني وأصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الانصاري احفظوني في أصحابي وأصهاري واسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولابي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الابخير واسناده جيد اه قلت حديث عياض تمامه فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه رواه كذلك البغوي والطبراني وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر وأما حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند الشيخين فتمامه فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبوداود والترمذي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وعند الدارقطني في الافراد من حديث أبي سعيد لاتسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي فوالذي نفسي بيده الحديث وعند ابن النجار من حديثه لاتسبوا أصحاب محمد فوالله لئن سلكتم طريقهم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وأما حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم فرواه أبو داود في الادب والترمذي في الجنائز من طريق معاوية بن هشام عن عمران بن أنس المكي عن عطاء عن ابن عمر رفعه بهذا ورواه أيضا الطبراني وقال كالترمذي انه غريب ورواه الحاكم وقال انه صحيح الاسناد ولم يخرجاه وعند أبي داود من طريق وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت اذا مات صاحبكم فدعوه لاتقعوا فيه وكذا هو عند الطيالسي من طريق عبد الله بن عثمان عن هشام وأما حديث عائشة عند النسائي لاتذكروا موتاكم الابخير فقد رواه من طريق منصور بن صفية عن أمه عنها قالت ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم هالك بسوء فقال لاتذكروا هلكاكم الابخير (فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل أن يموت بعد التوبة) وقد تقدم انه لايجوز لعن أحد الا اذا تحقق موته على الكفر فان تاب قبل موته لم يجز لعنه (فان وحشيا) بن حرب من سودان مكة (قاتل حمزة) سيد الشهداء (عم رسول الله صلى الله عليه وسلم) يوم أحد (قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا) وأسلم وحسن اسلامه وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه (ولايجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة) والاقلاع عن المعاصي (وأطلق كان فيه خطر) اذ لعن غير ملعن (وليس في السكوت خطر فهو أولى) وأليق بحال المسلم (وانما) أوردنا هذا البحث (لتهاون الناس باللعنة) وكثرة استعمالها (واطلاق اللسان بها) أي في محاوراتهم (والمؤمن) أي الكامل (ليس بلعان) أي ليس بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان أو للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن في حال من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم وهذا قد تقدم من حديث ابن عمر لايكون المؤمن لعانا (فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر) وتحقق منه ذلك بامارات ظاهرة (أو على الاجناس المعروفين باوصاف) كالكافرين والظالمين وآكلي الربا وشاربي الخمر وقاتلي النفس (دون الاشخاص المعينين) فلان وفلان (فالاشتغال بذكر الله أولى) من هذا (فان لم يكن ذكر الله ففي السكوت سلامة) ونجاة وقال ابن عبد البر في التمهيد الاصح هو ان نقول بأن يزيد لو أمر بقتل الحسين أو رضي بذلك فانه يجوز اللعن عليه والا فلا وكذا قاتله لايكفر من غير استحلال اه ولايخفى مافيه من التناقض حيث أطلق اللعن على مجرد الامر بقتله ورضاه وقيد قاتله بغير استحلال فان من المعلوم ان القتل أشد من الامر بالقتل مع ان قتل غير الانبياء ليس

وقال عليه السلام أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولايجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة

بكفر عند أهل السنة خلافا للخوارج وأهل البدعة فلاشك ان السكوت أسلم (وقال مكى بن ابراهيم) بن بشير بن فرقد التميمي البلخي أبو السكن ثقة ثبت مات سنة خمس عشرة ومائة وله تسعون سنة روى عنه البخاري و روى له الباقون (كنا عند ابن عون) وهو أبو عون عبدالله بن عون بن ارطبان المزنى مولاهم البصرى رأى أنس بن مالك ولم يثبت له منه سماع وقال ابن مهدى لم يكن بالعراق اعلم بالسنة منه مات بالبصرة سنة احدى وخمسين ومائة روى له الجماعة (فذكروا) عنده (بلال بن أبي بردة) بن أبي موسى الاشعري أبو عمرو أمير البصرة وقاضيها أخو سعيد بن أبي بردة وطالما يتمدحه الشعراء منهم رؤبة وذوالرمة والفرزدق ذكره البخاري فى الاحكام و روى له الترمذى حديثا واحدا (فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه) بالسب والشتم (وابن عون ساكت) لايتكلم بشئ (فقالوا انما نذكره) بالسوء (لما ارتكبه منك) وكان قد آذاه (فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لااله الاالله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتى لااله الاالله أحب الى من أن يخرج منها لعن الله فلانا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت قال حدثنى عبدالله بن محمد سمعت مكى بن ابراهيم قال كنا عند ابن عون فساق القصة كما هنا سواء (وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال أوصيك أن لاتكون لعانا) أى لاتكن ذا لعن وصيغة المبالغة هنا غير مرادة قال العراقى رواه أحمد والطبرانى وابن أبي عاصم فى الآحاد والمثانى من حديث جرموز الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم اه قلت وكذلك رواه البخاري فى التاريخ كلهم من طريق عبيدالله بن هوزة عن رجل من بلهجيم عن جرموز القريعى البصرى قال ابن أبي حاتم وابن السكن له صحبة ونسبه ابن قانع فقال جرموز بن أوس بن جرير الهجيمي قال الحافظ بن حجر ورأيت فى رواية قال ابن هوزة حدثنى جرموز فذكره فلعله سمعه منه بواسطة ثم سمعه منه والرجل المبهم فى الرواية الاولى جزم البغوى وابن السكن انه أبو تميمة الهجيمي قلت أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن ابراهيم بن زياد سبلان حدثنا عبد الصمد بن عبدالوارث حدثنا عبدالله بن هوذة القريعى عن جرموز الهجيمي قال قلت يارسول الله أوصنى قال أوصيك أن لاتكون لعانا (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (أبغض الناس الى الله كل طعان لعان) أخرجه ابن أبي الدنيا عن على بن الجعد حدثنا أبو هلال الرواسى عن قتادة قال قال ابن عمر أبغض عباد الله الى الله كل طعان لعان (وقال بعضهم لعن المؤمن كعدل قتله وقال حماد بن زيد) بن درهم الجهضمى أبو اسمعيل البصرى ثقة ثبت فقيه مات سنة ست وتسعين وله احدى وثمانون سنة بعد ان روى هذا (لو قلت انه مرفوع) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم أبال) أخرجه ابن أبي الدنيا فى الصمت عن عبدالله بن عمر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن ثابت بن الضحاك وكانت له صحبة قال حماد ولو قلت انه مرفوع لم أبال انه قال لعن المؤمن كعدل قتله ومن دعاه بالكفر فهو كقتله ومن حلف بملة سوى الاسلام كاذبا فهو كما قال (وعن أبى قتادة) الحرث بن ربعى بن بلدمة السلمى بفتحتين المدنى شهد أحدا ومابعدها ومات سنة أربع وخمسين (قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى روى الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك لعن المؤمن كقتله اه قلت وقد رواه الطبرانى فى الكبير بزيادة ومن قذف مؤمنا أو مؤمنة بكفر فهو كقتله وروى أيضا لعن المؤمن كقتله ومن أكفر مسلما فقد باء به أحدهما وثابت بن الضحاك بن خليفة أنصارى ممن بايع تحت الشجرة وقد رواه الخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث عبدالله بن عامر وابن مسعود بلفظ الشيخين من غير زيادة وأخرجه ابن أبي الدنيا عن عبدالله بن عمر حدثنا حماد بن زيد حدثنا اسحق بن سويد العدوى عن أبى قتادة قال كان يقال من لعن فهو مثل أن يقتله (ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر) قال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لاصحح الله جسمه ولاسلمه

وقال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه و يقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لااله الاالله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتى لااله الاالله أحب الى من أن يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال أوصيك أن لاتكون لعانا وقال ابن عمر ان أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت انه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لاصحح الله جسمه ولاسلمه

الله وما يجرى مجراه فكل ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه) أى يماثله فى الظلم (ثم يبقى للظالم عنده فضلة) أى زيادة (يوم القيامة) أى ان زاد على مثله لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال العراقى هذا الحديث لم أقف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر اهـ قلت رواه كذلك ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وهو مطابق لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس أى ابتداء أو بالتجاوز عن الحد انتهاء

(الآفة التاسعة الغناء)

وهو رفع الصوت بالتطريب والايقاع (والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل) مفصلا (فلا نعيده) ثانيا (وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح) رواه البخارى فى الادب المفرد والطبرانى فى الاوسط من حديث عبد الله بن عمرو ورواه أبو يعلى من حديث عائشة بلفظ الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقد تقدم القول فى ذلك مفصلا (الا ان التجرد له) بحيث يهتم له ويعنى به حتى ينسب اليه (مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ بطن) وفى لفظ جوف (أحدكم) يحتمل أن المراد الجوف كله وما فيه من القلب وغيره وان يراد القلب خاصة وهو الظاهر لقول الاطباء اذا وصل القلب شئ من قيح حصل الموت (قيحا) أى مدة لا يخالطها دم (حتى يريه) بفتح المثناة التحتية من الورى مثل الرمى غير مهموز أى حتى يغلبه حتى يشغله عن ذكر الله أو حتى يفسده قال الزمخشرى ورى الداء جوفه يريه أفسده ولفظ البخارى باسقاط حتى وعليه ضبط يريه باسكان ثالثه قال ابن الجوزى وكان جماعة من المبتدئين ينصبون يريه هنا جريا على العادة فى قراءة الحديث الذى فيه حتى وليس هنا ما ينصب وتعقبه الزركشى بان الاصيلى رواه بالنصب على بدل الفعل من الفعل (خير) له (من أن يمتلئ شعرا) أنشأه أو أنشده لما يؤول اليه أمره من تشاغله عن عبادة ربه والمراد بالشعر ما يتضمن تشبيبا أو هجاء أو مفاخرة كما هو الغالب فى أشعار الجاهليين وقال بعضهم قوله شعرا ظاهره العموم فى كل شعر لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكر والزهد والمواعظ والرقائق مما لا افراط فيه وقال النووى هذا الحديث محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر وقال القرطبى من غلب عليه الشعر لزمه بحكم العادة الادبية الاوصاف المذمومة وعليه يحمل الحديث وقول بعضهم عنى به الشعر الذى هجى به هو أو غيره رد بان هجوه كفر كثر أو قل وهجو غيره حرام وان قل فلا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى قال العراقى رواه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد اهـ قلت وعند مسلم زيادة قبل الحديث قال أبو سعيد بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عرض شاعر ينشد فقال خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان ثم ذكره ورواه أحمد من حديث ابن عمر ومن حديث أبى سعيد ورواه الطيالسى والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء ورواه ابن جرير وصححه وأبو عوانة والطحاوى وتمام والضياء من حديث عمر بن الخطاب ولفظ حديث أبى هريرة عند الشيخين لان يمتلئ جوف رجل قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ورواه أيضا أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث سلمان ومن حديث ابن عمر وروى ابن عدى فى الكامل من حديث جابر بلفظ لان يمتلئ جوف الرجل قيحا أو دما خير من أن يمتلئ شعرا مما هجيت به وروى الطبرانى فى الكبير من حديث عوف بن مالك بلفظ لان يمتلئ جوف أحدكم من عانته الى لهاته قيحا يتخضخض خير له من أن يمتلئ شعرا ورواه أيضا من حديث مالك بن عمير بلفظ لان يمتلئ ما بين لبتك الى عانتك قيحا خير

الله وما يجرى مجراه فكل ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

(الآفة التاسعة)

الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا أن التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا

وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال أنا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الانصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجادبها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الى فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى

من أن يمتلئ شعرا (وعن مسروق) بن الاجدع الهمدانى التابعى الثقة (انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه) أى كره انشاده (فقيل له فى ذلك فقال انا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر) اذ ليس هو من صالح الاعمال أخرجه ابن أبى الدنيا عن حمزة بن العباس أنبأنا عبدان أخبرنا عبد الله أنبأنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق انه سئل فذكره (وسئل بعضهم عن الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر) وكأنه خاف عن التجرد له فيكون شاغلاله عن الذكر أخرجه ابن أبى الدنيا عن على بن أبى مريم عن حسين الجعفى حدثنا هلال أبو أيوب الصيرفى قال سألت طلحة بن مصرف عن شئ من الشعر قال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر (وعلى الجملة فانشاد الشعر) لنفسه أو لغيره (ونظمه) أى انشاؤه (ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره) فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أخرجه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال الزهرى ولم يبلغنا فى الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم أنشد بيت شعر تام غير هذا البيت وقد تقدم ذلك وفى الصحيحين من حديث أنس ارتجازهم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكذا انشاد حسان كما عند مسلم من حديث عائشة وانشاد ابن رواحة كما عند البخارى وانشاد النابغة الجعدى كما فى معجم البغوى والاستيعاب وانشاد بلال وهو محموم بالمدينة كما فى الصحيحين من حديث عائشة وكان الصحابة يتناشدون الاشعار وهو صلى الله عليه وسلم يتبسم كما عند الترمذى من حديث جابر بن سمرة وانشاد الشريد مائة قافية من قول أمية بن الصلت فى كل ذلك يقول صلى الله عليه وسلم هيه كما عند مسلم وكل ذلك قد تقدم فى كتاب السماع فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع كيف وقد (قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة) تقدم فى كتاب العلم (نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب) بذكر القامة والخد والصدغ والخال (وقد يدخله الكذب) أحيانا (وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الانصارى) رضى الله عنه (بهجاء الكفار) فقد روى الشيخان من حديث البراء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجهم وجبريل معك وفى لفظ هاجهم وروى أبو داود والترمذى والحاكم من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد وأخرجه البخارى تعليقا وقد تقدم فى كتاب السماع (والتوسع فى المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر) وهو المتنبى

(ولو لم يكن فى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله)

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه) الذى مدحه به (سخيا كان) القائل (كاذبا) فى مدحه (وان كان سخيا فله المبالغة فى صنعة الشعر ولا يقصد منه أن يعتقد صورته) وقد قيل أعذب الشعر أكذبه (وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك) من المبالغات (فلم يمنع منه) فمن ذلك انشاد كعب بن زهير بين يديه قصيدته اللامية وفيها من التشبيب والمبالغات ما لا يخفى ولم ينكر عليه ذلك ومن ذلك (قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت) اليه فجعل جبينه يعرق وجعل (عرقه يتولد نورا فبهت فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى) أحد شعراء هذيل واسمه ثابت بن عبد

شمس من بني كعب بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل (لعلم انك أحق بشعره قال) صلى الله عليه وسلم (ومايقول أبو كبير الهذلي قلت يقول

(ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل)

غبر الحيض كسكر بقايا وكانوا يزعمون ان المرأة اذا جومعت في غبر الحيض وأراد الله تعالى بتكون الولد جاء فاسدا وداء مغيل من الغيلة كانوا يزعمون ان المرضع اذا جومعت فسد لبنها فاذا شرب به الرضيع كان فاسدا وأسرة الوجه خطوط ترى في الجبهة والعارض السحاب والمتهلل المترقرق ماء (قالت فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده) أي من آلة الخصف (وقام الي وقبل ما بين عيني) فرحا وسرورا (وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين) بعد الانصراف منه (أمر) باعطائها المؤلفة قلوبهم فأمر (للعباس بن مرداس) السلمي وكان مطاع قومه (باربع قلائص) أي النوق فاستقلها (فاندفع في شعره يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

(وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع)

يريد ببدر وحابس أبا عيينة والاقرع والنهب اسم لما يؤخذ من الغنائم والعبيد بالتصغير اسم فرس له (فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال صلى الله عليه وسلم اتقول في الشعر فجعل) العباس (يعتذر) له (ويقول بابي أنت وأمي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين) قال العراقي رواه مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عني لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة وذكرها ابن اسحق في السيرة بغير اسناد اهـ قلت وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه ورواه اسمعيل القاضي من طريق عروة مرسلا بالقصة وانه قال يا بلال اذهب فاقطع لسانه الحديث أخرجه في النوادر له والله أعلم

(الآفة العاشرة المزاح)

بكسر الميم مصدر مزح أو مازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة في الكلام باللسان (وأصله) وكذا كثيره (مذموم) وكذا فاعله مذموم وهو (منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه) وهو ما خلا عن الباطل (قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وقد تقدم قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن أبي شيبة حدثنا المحاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس فساقه (فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ) المؤمن (والصديق) المرافق (أو تجهيلا له) وهي لا تخلو من هذين فوجه النهي عنها ظاهر (وأما المزاح فطايبة) في الكلام

لعلم انك أحق بشعره قال ومايقول ياعائشة أبو بكر الهذلي قلت يقول هذين البيتين

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معضل

واذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول في الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بأبي أنت وأمي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

(الآفة العاشرة المزاح)

وأصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق أو تجهيلا له وأما المزاح فطايبة

بالسان (وفيه انبساط وطيب قلب) أى سبب لهما (فلم ينه عنه) وليس فيه ماينشا عنه المكروه شرعا (فاعلم ان المنهى عنه) أحد شيئين (الافراط فيه) وفى نسخة منه بان يتجاوز عن الحد (أو المداومة عليه) فيتخذه ديدناله وصنعة (اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة) وفى نسخة مذموم (وأما الافراط فيه) أو منه (فانه يورث كثرة الضحك) لان الذى يفرط فيه انما غرضه أن يضحك الناس (وكثرة الضحك تميت القلب) كما ورد فى الخبر اياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب والمراد باماتته غشيان الظلمة عليه الناشئة من الغفلة عن ذكر الله تعالى (وتورث الضغينة فى بعض الاحوال) كما قاله عمر بن عبد العزيز وسيأتى (وتسقط المهابة) والجلالة (والوقار) عن أعين الابرار كما سيأتى من قول عمر رضى الله عنه (فما يخلو من هذه الامور فلا يذم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى أمزح ولا أقول الاحقا) تقدم فى كتاب أخلاق النبوة وقال ابن أبى الدنيا حدثنا سعيد بن سليمان عن أبى معشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قيل يارسول الله تمزح قال نعم ولا أقول الاحقا (الا ان مثله) صلى الله عليه وسلم (يقدر على أن يمزح ولا يقول الاحقا) لكمال مشاهدته لجلال الحق سبحانه (وأما غيره اذا فتح باب المزاح) على نفسه (كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان) واضحاك الناس سبب لامالة قلوبهم ولا يخفى مافيه كيف (وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة) الواحدة لاجل أن (يضحك بها جلساءه) ومعاشريه (يهوى) أى يسقط (بها فى النار) أى نار جهنم (ابعد من الثريا) وهو النجم المعروف وفى لفظ أبعد من صنعاء وفى آخر سبعين خريفا وكل ذلك قد تقدم (وقال عمر) رضى الله عنه (من كثر ضحكه قلت هيبته) أى وقاره عن أعين الناس (ومن مزح استخف به) أى صار مهينا (ومن أكثر من شئ عرف به) وأشير اليه به (ومن كثر كلامه) ولو من غير مزاح (كثر سقطه) أى سقوطه فى الكلام وكذبه (ومن كثر سقطه قل حياؤه) فلا يبالى بما يفعله (ومن قل حياؤه قل ورعه) أى خوفه من جلال هيبة الله تعالى (ومن قل ورعه مات قلبه) قال ابن أبى الدنيا حدثنى أحمد بن عبيد التميمى حدثنا عبيد الله بن محمد التيمى حدثنا دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الاعمش عن قيس قال قال عمر بن الخطاب من مزح استخف به وحدثنى الحسن بن الصباح حدثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن موسى بن عقيل ان الاحنف بن قيس كان يقول من كثر كلامه وضحكه ومزاحه قلت هيبته ومن أكثر من شئ عرف به وروى الطبرانى فى الاوسط والقضاعى فى مسند الشهاب والعسكرى فى الامثال من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقد تقدم وروى ابن عساكر من حديث أبى هريرة من كثر ضحكه استخف بحقه ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته ومن كثر مزاحه ذهب وقاره ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت خطاياه ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به قال وهو غريب المتن والاسناد وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا من حديث أنس الصمت سيد الاخلاق ومن مزح استخف به (ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة) ومافيها من الاهوال (قال صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا) أى لغلبة الخوف واستيلاء الحزن (ولضحكتم قليلا) أى لتركتم الضحك أولم يقع منكم الا نادرا قال العراقى متفق عليه من حديث أنس وعائشة بلفظ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اهـ قلت وكذلك رواه أحمد والدارمى والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط ثم ذكره وجاء فى رواية ان تلك كانت خطبة الكسوف ورواه أحمد والبخارى والترمذى من حديث أبى هريرة ومعنى قوله لو تعلمون ما أعلم أى من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال يوم القيامة وأحوالها ماعلمته لما ضحكتم أصلا اذ القليل بمعنى العديم على مايقتضيه السياق ولان لو حرف امتناع لامتناع وقيل معناه لو تعلمون ما أعلم مما أعد فى الجنة من

وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لامزح ولا أقول الاحقا الا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول الاحقا وأما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا وقال عمر رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا

النعيم وما حفت به من الحب لسهل عليكم ما كلفتم به ثم اذا تأملتم ما وراء ذلك من الامور والخطرات وانكشاف الغطاء يوم العرض لاشتد خوفكم ولبكيتم كثيرا فالمعنى منع البكاء لامتناع علمكم بالذى اعلم وفيه من أنواع البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما بالآخر وفيه ترجيح الخوف على الرجاء وروى الحاكم فى الاهوال وابن عساكر من طريق يوسف بن خباب عن مجاهد عن أبى ذر رفعه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب قال الحاكم صحيح على شرطهما وتعقبه الذهبى وقال بل هو منقطع وروى ابن عساكر من حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا ولا دخلتم بيتا تستظلون به ولمررتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم وروى الطبرانى والبيهقى والحاكم من حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون وروى الحاكم من حديث أبى هريرة لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا يظهر النفاق وترتفع الامانة الحديث وقال صحيح وأقره الذهبى (وقال رجل لاخيه) وقد رآه يضحك (أنبئت) اى أخبرت (انك وارد النار قال نعم) وذلك فى قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (قال فهل أنبئت انك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك فما رئى ضاحكا حتى مات) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال يوسف بن اسباط) الشيبانى رحمه الله تعالى (أقام الحسن البصرى رحمه الله تعالى ثلاثين سنة لم يضحك) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك) وكان شديد الخوف قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنى أبو عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقا فى بطنه (ونظر وهيب بن الورد) المكى قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له (قوما يضحكون فى) يوم (عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبيد حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمى حدثنا سفيان قال رأى وهيب قوما يضحكون يوم الفطر فقال ان كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان هؤلاء لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى محمد ابن يزيد بن خنيس قال رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر اليهم شزرا ثم زفر قال لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين انه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغى لهم ان يكونوا مشاغيل باداء الشكر عما هم فيه وان كانت الاخرى لقد كان ينبغى ان يصبحوا أشغل وأشغل (وكان عبد الله بن أبى يعلى) رحمه الله تعالى (يقول أتضحك ولعل أكفانك خرجت من عند القصار) وأنت لا تدرى هكذا هو فى سائر النسخ عن عبد الله بن أبى يعلى ولم أجد له ذكرا وفى نسخة المقاصد للسخاوى قال عبد الله بن ثعلبة فانظره (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (من أذنب ذنبا وهو يضحك استخفافا بما اقترفه دخل النار وهو يبكى) جزاء وفاقا وقضاء عدلا أخرجه أبو نعيم فى الحلية عنه مرفوعا وفيه عمر بن أيوب المزنى قال الذهبى فى الضعفاء روى عن ضمرة وجماعة خرجه ابن حبان (وقال) أبو عبد الله (محمد بن واسع) البصرى رحمه الله تعالى (اذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى الى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود) منه (التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى التبسم وقد ذكر فى كتاب أخلاق النبوة (قال القاسم مولى معاوية) بن أبى سفيان وكأنه القاسم بن عبد الرحمن الدمشقى مولى خالد بن يزيد بن معاوية صاحب أبى امامة يغرب كثيرا قال الذهبى فى

وقال رجل لاخيه يا أخى هل أتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رئى ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون فى عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وقال محمد بن واسع اذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى الى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاسم مولى معاوية

اقبل أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يطربه فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما اذا أدى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى مقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم

الضعفاء قال أحمد حدث عنه علي بن مزيد أعاجيب وما أراها الا من قبل القاسم وقد روى له الاربعة قال (أقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله نفر به) ومنع من القرب (وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون به) مما صنع به قلوصه (ففعل ذلك مرارا) وفي نسخة ثلاث مرات (ثم وقصه) أي ألقاه على رأسه فاندقت عنقه (فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك) أي مات (قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه) يشير الى ما صنعوا من الضحك عليه قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (وأما اذا أدى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به) أخرجه ابن أبي الدنيا وقد تقدم (وقال) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني ثقة فاضل روى له الجماعة (قالت لي أمي) قال ابو القاسم اللالكائي كان المنكدر خال عائشة فشكا اليها الحاجة فقالت له ان لي شيأ يأتيني ابعث به اليك فجاءتها عشرة آلاف فبعثت بها اليه فاشترى جارية من العشرة آلاف فولدت له محمدا وأبا بكر وعمر (لا تمازح الصبيان فتهون عندهم) أخرجه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن اسمعيل حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر قال قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم (وقال) أبو عثمان (سعيد بن العاص) بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية القرشي الاموي أحد اشراف قريش وأجوادها (لابنه) وهو عمرو بن سعيد ويعرف بالاشدق وقد تقدم ذكره (يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي حدثنا عبد العزيز بن أبي رزمة عن عبد الله ابن المبارك قال قال سعيد بن العاص لابنه فساقه وأخرجه الدينوري في المجالسة من طريق أبي عبيدة قال قال سعيد فذكره (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب حدثنا زكريا بن عدي عن عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد قال قال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به والباقي سواء (وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح صاحبه عن الحق) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسن حدثنا أبو صالح حدثني الليث بن سعد ان عمر ابن الخطاب قال هل تدرون فساقه (وقيل لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال قال خالد بن صفوان قال كان يقال لكل شئ بذر فساقه (ويقال المزاح مسلبة النهى) هكذا في النسخ أي العقول (مقطعة للاصدقاء) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال كان يقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للصداقة (فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه) الكرام (فكيف ينهى عنه فاقول) انه صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق وافشاء السلام والبداية على من لقيه والوقوف على من استوقفه والمشي مع من أخذ بيده حتى من الولدان والاماء والمزاح بالحق احيانا واجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل أحد من أصحابه انه أحبهم اليه وهذا ميدان ليس فيه الا واجب أو مستحب ولو لم يكن من مباسطته لهم الا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والاخذ عنه لكان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال (وأنت ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذ قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور) والقلة (فلا حرج عليك ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة) وصنعة (يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم)

ويقول

و يقول أنا مقتدبه (وهو كن يدو ونهاره) اجمع مع الزنوج والحبشة (ينظر اليهم والى رقصهم) ولعبهم (و يتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة) رضى الله عنها (فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد) كما تقدم فى كتاب السماع يقال هو يوم عيد فطر (وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار) عليه فلا ينبغى ان يغفل عن هذا (نعم روى أبو هريرة) رضى الله عنه فيما رواه الترمذى فى السنن وفى الشمائل وحسنه وقال رجاله موثقون (انك تداعبنا قال انى وان داعبتكم لا أقول الا حقا) والمداعبة هى الملاطفة فى القول بالمزاح وغيره وكانهم قصدوا بذلك اما السؤال عن المداعبة هل هى من خواصه فلا يتأسون به فيها فبين لهم انها ليست من خواصه وان جوازها منوط بقول الحق وأما استبعادهم وقوع المزاح منه صلى الله عليه وسلم لجليل مكانته وعظيم مرتبته فكأنهم سألوه عن حكمته فاجابهم قال ابن حجر المكى فى شرح الشمائل وهذا أولى من قول الطيبى فكأنهم أنكروه فردعليهم من باب القول بالموجب فان المداعبة لا تنافى الكمال بل هى من توابعه ومتمماته اذا كانت جارية على القانون الشرعى بان يكون على وفق الصدق والحق و يقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وادخال السرور عليهم والرفق بهم والمنهى عنه فى الحديث السابق من رواية الترمذى لا تمار أخاك ولا تمازحه انما هو الافراط فيها والدوام عليها لانه يورث آفات كثيرة ظاهرة وباطنة من القسوة والغفلة والايذاء وايراث الحقد واسقاط المهابة وغير ذلك ومزاحه صلى الله عليه وسلم سالم من جميع هذه الامور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض أصحابه فهو بهذا القصد سنة وما قيل ان الاظهر انه مباح لا غير فضعيف اذ الاصل من أفعاله صلى الله عليه وسلم وجوب أو ندب للتأسى به فيها الا الدليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والاصوليين (وقال عطاء) بن أبى رباح (ان رجلا سأل ابن عباس) رضى الله عنه (فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح قال نعم قال فما كان مزاحه قال كان مزاحه انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس) قال العراقى لم أقف عليه قلت والذى روى عن ابن عباس فيما أخرجه الطبرانى وابن عساكر انه سئل هل كان صلى الله عليه وسلم يداعب فقال كان فيه دعابة قليلة (وروى انس) رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس) أى أمزحهم اذا خلا بنحو أهله رواه ابن عساكر فى التاريخ وقد تقدم فى كتاب النبوة (وروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان كثير التبسم) تقدم فى كتاب أخلاق النبوة وروى أحمد والترمذى والحاكم من حديث جابر بن سمرة كان لا يضحك الا تبسما وقد تقدم أيضا (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (قال أتت عجوز) قيل هى عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير رضى الله عنها (الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ) بل شابة قيل كانه صلى الله عليه وسلم فهم انها تطلب تدخل الجنة على هيأتها وقت موتها فرد اعتقادها فداعبها ويحتمل ان لا يكون مداعبة ويكون عدها مداعبة من فهم الحاضرين وهذا قد رده ابن حجر فى شرح الشمائل فقال فيما قاله أولا نظر اذ لا يحتاج فى عده مداعبة الى دعوى انه صلى الله عليه وسلم فهم ذلك بل الى لفظ أوهم ذلك واحتماله المذكور ليس فى محله لا سيما وفيه سوء أدب على الصحابة الحاضرين بجعله نفسه فهم انه غير مداعبة وفهموا المداعبة وهو فهم غير صحيح وفى ذلك من قلة الادب ما لا يخفى بل فيه عدم حفظ القواعد الاصولية المصرحة بان فهم الصحابى مقدم على فهم غيره لانه أعرف بمزويه لمشاهدته من القرائن الحالية والمقالية ما لم يشاهده فوجب تقديم فهمه على فهم غيره وتأمل مزحه صلى الله عليه وسلم تجده لا يخلو من بشرى عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامة فهو فى الحقيقة غاية الجد وليس مزاحا الا باعتبار الصورة فقط (قال الله تعالى انا أنشأناهن انشاء) أى خلقناهن من غير توسط ولادة (فجعلناهن أبكارا) أى كلما جاء الرجل وجدها بكرا يحتمل ان المراد ثم ينشئهن حتى

وهو كمن يدوم نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغى أن يغفل عن هذا نعم روى أبو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال انى وان داعبتكم لا أقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه قال كان مزاحه انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس وقال أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وروى أنه كان كثير التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا

وقال زيد بن أسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه بياض
قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبعينه بياض وأراد به
البياض المحيط بالحدقة
وجاءت امرأة أخرى فقالت
يارسول الله احملني على
بعير فقال بل نحملك على
ابن البعير فقالت ما أصنع
به انه لا يحملني فقال صلى
الله عليه وسلم ما من بعير الا
وهو ابن بعير فكان يمزح به
وقال أنس كان لابي طلحة
ابن يقال له أبو عمير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتيهم ويقول يا أبا عمير
ما فعل النغير لنغير كان
يلعب به وهو فرخ العصفور
وقالت عائشة رضي الله عنها
خرجت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة بدر
فقال تعالى حتى أسابقك
فشددت درعي على بطني ثم
خططنا خطا فقمنا عليه
واستبقنا فسبقني وقال هذه
مكان ذي المجاز وذلك انه
جاء يوما ونحن بذي المجاز
وأنا جارية قد بعثني أبي بشئ
فقال اعطينيه فأبيت
وسعيت وسعى في أثري فلم
يدركني وقالت أيضا سابقني
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسبقته فلما حملت
اللحم سابقني فسبقني وقال
هذه بتلك وقالت أيضا
رضي الله عنها كان عندي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسودة بنت زمعة
فصنعت خزيرة وجئت به
فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت بيدي من منها
الصحفة شيأ منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني

وصان لحد التمتع ويحتمل وهو الظاهر انهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية والسن وهذا بناء على ما يصرح به سياق القرآن ان الضمير للحور وحينئذ فوجه المطابقة بين هذا وما نحن فيه انه يعلم ان أهل الجنة كلهم أنشاهم الله تعالى خلقا آخر يناسب الدوام والبقاء وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية كلها وانتفاء صفات النقص عنها ثم قال عربا أي متحببات الى أزواجهن بحسن التبعل اترابا على سن واحد ثلاثة وثلاثين اذ هو كمال أسنان نساء الدنيا قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (وروى زيد بن أسلم) أبو عبد الله مولى عمر ابن الخطاب ثقة عالم وكان يرسل روى له الجماعة (ان امرأة يقال لها أم أيمن) هي بركة الحبشية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقها وزوجها زيد بن حارثة فهي أم أسامة بن زيد (جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي) عنت به زيد بن حارثة (يدعوك فقال ومن هو أهو الذي بعينه بياض قالت ما بعينه بياض فقال بلى بعينه بياض فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبعينه بياض وأراد البياض المحيط بالحدقة) لا البياض العارض على الحدقة كما يتبادر اليه الفهم قال العراقي رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن سهم الفهري مع اختلاف (وجاءت امرأة أخرى فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة اهـ قلت وأخرجه الترمذي في الشمائل وفيه ان الذي استحمله رجل فقال له اني حاملك على ولد ناقة وفيه هل الابل الا النوق (وقال أنس) رضي الله عنه (كان لابي طلحة) زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه وهو زوج أم أنس (ابن يقال له أبو عمير) وهو أخو أنس لامه (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم) تأنيسا لخاطرهم ويخالطهم (ويقول) مداعبا مع الصبي (أبا عمير ما فعل النغير) أي ما شأنه وما حاله وهو مصغر النغرة (لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور) أو طائر شبه العصفور رواه البخاري ومسلم بلفظ كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير وقد تقدم ذلك في كتاب أخلاق النبوة (وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسابقك فشددت على درعي) وفي نسخة فشددت درعي على بطني (ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز) وهو اسم مكان بمكة (وذلك انه جاء يوما ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشئ فقال اعطنيه فأبيت وسعيت وسعى في اثري فلم يدركني) قال العراقي لم أجد له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (وقالت) عائشة رضي الله عنها (أيضا سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه بتلك) رواه النسائي وابن ماجه وقد تقدم في كتاب النكاح (وقالت) عائشة رضي الله عنها (أيضا كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة) بن قيس بن عبد شمس العامرية أم المؤمنين رضي الله عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ولما أسنت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها ولها حديث في مسند أحمد وتوفيت في آخر خلافة عمر رضي الله عنه (فصنعت خزيرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لالطخن وجهك) به (فقالت ما أنا ذائقته فأخذت بيدي من الصحفة شيأ منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد)

منها (فتناولت من الصحفة شيأ فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك) قال العراقي رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح وأبو يعلى باسناد جيد (وروى أن الضحاك بن سفيان) بن عوف العامري (الكلابي) كنيته أبو سعيد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه الذين أسلموا وكان أحد الابطال يعد بمائة فارس ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة أمره على بني سليم وروى له الاربعة (كان رجلا دميما) بالدال المهملة أي قصيرا (قبيحا) أي في الصورة (فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال) أي سفيان (ان عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء) يعني بها عائشة رضي الله عنها (وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة) رضي الله عنها (جالسة تسمع فقالت) عائشة (أهن أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منهن وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها اياه لانه كان دميما) أي حقيرا قصيرا قال العراقي رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح من رواية عبد الله بن حسن بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اه قلت وروى سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الاعمش عن ابراهيم النخعي قال جاء عيينة بن حصن الى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال من هذه وذلك قبل أن ينزل الحجاب فقال هذه عائشة فقال ألا أنزل لك عن أم المؤمنين فغضبت عائشة وقالت من هذا فقال هذا الاحمق المطاع يعني في قومه هكذا رواه مرسلا ورجاله ثقات وأخرجه الطبراني من وجه آخر موصولا عن جرير ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وعنده عائشة من هذه الجالسة الى جنبك قال عائشة قال أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرج فاستأذن فقال انها يمين علي أن لا أستأذن على مضري فقالت عائشة من هذا فذكره (وروى أبو سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله ثقة مكثر مات سنة أربع وتسعين (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي) رضي الله عنهما (فيرى الصبي لسانه فيهش له) أي يفرح له ويقبل اليه (فقال له عيينة بن بدر الفزاري) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف وكان أحمق مطاعا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقذارته وكان يتبعه عشرة آلاف قناة كان من الجرارة واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه (والله ليكونن لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم) قال العراقي رواه أبو يعلى من هذا الوجه بسند جيد دون ما في آخره من قول عيينة وهو عيينة ابن حصن بن بدر نسب الى جده وحكى الخطيب في المبهمات قولين في قائل ذلك أحدهما انه عيينة بن حصن والثاني انه الاقرع بن حابس وعند مسلم في رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان الاقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم اه قلت وحديث من لا يرحم لا يرحم رواه الشيخان والطبراني من حديث جرير ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني أيضا من حديث ابن عمر ورواه أبو نعيم في الحلية عن الاقرع بن حابس وهو في الادب المفرد للبخاري عن الاقرع بن حابس مع القصة التي ذكرها المصنف (فاكثر هذه المطايبات منقولة عن النساء والصبيان وكان يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم) وتأنيس خواطرهم مع ارشادهم لما فيه مصلحة تامة (من غير ميل الى هزل) أو سخرية اذ كان انبساطه مع الغير سالما من الايذاء وبه فارق الهزل والسخرية (وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب) بن سنان بن خالد الربعي النمر كنيته أبو يحيى وانما قيل له الرومي لان الروم سبته وهو صغير فنشأ فيهم ثم ابتاعته كلب وأبيع بمكة (وبه رمد وهو

فتناولت من الصحفة شيأ فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن أبي سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو

يأ كل تمرا أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه
وروى أن خوات بن جبير الانصارى كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفير الجمل لى شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ماقدمت المدينة قال فرآنى فى المسجد يوما أصلى فجلس الى فطولت فقال لا تطول فانى أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت قال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما
كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ثمنه
ولا طرفة الا اشترى منها ثم أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن
جاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أو لم تهده لنا فيقول يارسول الله انه لم يكن عندى

يأ كل تمرا أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر) وكأنه كان رمدا باحدى عينيه وقد صرح الاطباء ان أكل مثل التمر للعين الرمداء مضر (فتبسم صلى الله عليه وسلم) قال العراقى رواه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (قال بعض الرواة) لهذا الحديث (حتى نظرت الى نواجذه) أى أضراسه أو أنيابه أو ضواحكه أقوال والحاصل من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان فى أغلب أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك حتى تبدو نواجذه والمكروه من ذلك انما هو الاكثار منه والافراط فيه كما تقدم (وروى ان خوات بن جبير) بن النعمان بن أمية (الانصارى) الاوسى كنيته أبو عبد الله وقيل أبو صالح أحد فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرا وقال ابن اسحق لم يشهدها وأسهم له وقيل هو صاحب ذات النحيين امرأة من بنى تيم الله كانت تبيع السمن وقصتها مشهورة توفى سنة أربعين وله أربع وسبعون سنة (كان جالسا الى نسوة من بنى كعب) وفى بعض النسخ من قريش (بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا) أى حبلا يضفرنه (لجمل لى شرود) أى نفور (قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد) أى رجع عليه (فقال له أبا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد) أى النفرة (بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه) أن يكلمنى بذلك الكلام (حتى قدمت المدينة وبعد ماقدمت المدينة قال فرآنى فى المسجد يوما أصلى فجلس الى فطولت) فى الصلاة (فقال لا تطول فانى أنتظرك فلما سلمت) من الصلاة (قال أبا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله) ببركة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو اه قلت وكذلك رواه الامام البغوى فى معجم الصحابة روياه من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم ان خوات بن جبير قال نزلت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمر الظهران قال فخرجت من خبائى فاذا بنسوة يتحدثن فاعجبنى فرجعت الى خبائى فأخذت حلتى فلبستها وجلست اليهن وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته فلما رآنى هبته فقلت يارسول الله جمل لى شرود فانا أبتغى له قيدا الحديث بطوله وربيعة بن عمرو المذكور هو الدمشقى أبو الغاز الجرشى مختلف فى صحبته قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين (وكان نعيمان) بن عمرو بن رفاعة النجارى (الانصارى) رضى الله عنه (رجلا مزاحا) أى كثير المزح والدعابة (وكان يشرب) الخمر (فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله) رواه البخارى من حديث عمر نحوه وفيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فوالله ماعلمت الا انه يحب الله ورسوله وقد تقدم ذلك قريبا فى الآفة الثامنة (قال وكان) نعيمان المذكور (لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ويقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه) وفى نسخة يتقاضاه بالثمن (جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أو لم تهده لنا فيقول يارسول الله والله لم يكن عندى

ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم و يأمر لصاحبه بالثمن) قال العراقي رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا اهـ قلت رواه من طريق أبي طوالة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه وروى أبو يعلى في مسنده ان رجلا كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها فذكره وقال أيضا كان يهدى اليه صلى الله عليه وسلم العكة من السمن أو العسل فاذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم اعطه متاعه فما يزيد صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم و يأمر به فيعطى (فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور) والقلة (لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب) المورث للغفلة والقساوة والاعراض عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك مما سبق ذكر بعضه والله الموفق

(الآفة الحادية عشر)

(السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى) في الزجر عنه (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) تمامه ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن قال مجاهد أي لا يستهزئ قوم من قوم ان يكن رجلا فقيرا أو غنيا أو يعقل رجل عليه فلا يستهزئ به أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وقال مقاتل هذه الآية نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن مغيرة وسالم مولى أبي حذيفة أخرجه ابن أبي حاتم (ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه) على الملأ (وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء) وهو بجميع أنواعه حرام لانه ايذاء (واذا كان) ذلك (بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة) لانها كما سيأتي ذكر العيب على الغيب (و) لكن (فيه معنى الغيبة قالت عائشة) رضي الله عنها (حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد أخبرنا سفيان بن سعيد عن علي بن الاقمر عن أبي حذيفة عن عائشة قالت فذكره (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (في قوله) تعالى (يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فذكره (وهو اشارة الى أن الضحك على الناس من) جملة (الجرائم والذنوب) وفي بعض النسخ من جملة الذنوب الكبائر (وعن عبد الله بن زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد القرشي الاسدي ابن أخت أم سلمة أحد الاشراف كان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم استشهد يوم الدار مع عثمان روى له الجماعة وعنه عروة وأبو بكر بن عبد الرحمن (انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل) قال العراقي متفق عليه قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن الحسن حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال) له (هلم هلم) أي تعال تعال والقائل لذلك بعض الملائكة (فيجيء) ذلك المستهزئ (بكربه وغمه) مما أصابه من هول الموقف والحساب (فاذا أتاه أغلق دونه) ذلك الباب ومنعه من الدخول منه (ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل يفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدبة أحد

ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم و يأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما أحب انى حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر وعن عبد الله بن زمعة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه

وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراله وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية فى حقه من جملة المزح وقد سبق مايذم منه ومايمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته اذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهى عنها

(الآفة الثانية عشرة)

افشاء السر وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة وقال مطلقا الحديث بينكم أمانة

الهالكين عن أنس اه قلت قال ابن أبي الدنيا حدثني عبدالله بن أبي بدر أنبأنا روح بن عبادة عن مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه (من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله) قال العراقى رواه الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس اسناده بمتصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه اه قلت ورواه ابن أبي الدنيا فى الصمت وفى ذم الغيبة وابن منيع والبغوى والطبرانى وغيرهم كلهم عن معاذ به مرفوعا قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن منيع حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمدانى عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قال ابن منيع قال أصحابنا قد تاب منه لم يمت حتى يعمله ثم قال حدثنا خالد بن خداش حدثني صالح المرى سمعت الحسن يقول كانوا يقولون من رمى أخاه بذنب قد تاب الى الله منه لم يمت حتى يبتليه الله به قال البغوى هو منقطع لان خالد بن معدان لم يدرك معاذا ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد قال أبو داود وغيره كذاب وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات نظرا الى ماذكرنا وفيه نظر فقد رواه الترمذى من هذا الطريق وغاية مافى الباب انه ضعيف من جهة محمد بن الحسن وقول الحسن الذى أسنده ابن أبي الدنيا فيه صالح المرى وهو ضعيف أيضا ان سلم منه فهو شاهد جيد لحديث معاذ ونحوه فليجلدها الحد ولا يثرب أى لا يوبخ ولا يقرع بالزنا بعد الجلد وحديث ابن مسعود لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا ولابن أبي شيبة عن أبي موسى من قوله نحوه وعزاه الزمخشرى فى الحجرات من الكشاف لعمرو بن شرحبيل بلفظ لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ماصنع وللبيهقى ماعاب رجل قط رجلا بعيب الا ابتلاه الله بذلك العيب وعن ابراهيم النخعى قال انى لارى الشئ فأكرهه فلا يمنعنى أن أتكلم فيه الا مخافة أن ابتلى بمثله وهذه كلها شواهد لحديث معاذ وبمجموع ذلك كيف يورد فى الموضوعات (وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراله) أى استحقارا (وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أى لم تسخر به استصغارا) لشأنه (فلعله خير منك) عندالله تعالى (وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به) ولو باطنا (فاما من جعل نفسه مسخرة) أى محلا للسخرية يسخر به (وربما فرح من أن يسخر به) ولا يتأذى بباطنه منه (كانت السخرية به من جملة المزح) اذ هو مطايبة اللسان بالكلام بحيث لا يغمه ذلك ولا يتكدر به فاما اذا آذى فقد خرج من حد المزاح ولحق بالسخرية (وقد سبق مايذم منه ومايحمد وانما المحرم) شرعا (استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجرى بأن يضحك على كلامه اذا تخبط) أى زال عن القصد (فيه ولم ينتظم) فى نفسه أو لم ينتظم أوله مع آخره وفى بعض النسخ بان يضحك منه اذا تخبط فى كلامه ولم ينتظم (أو على أفعاله اذا كانت مشوشة) أى مضطربة غير منتظمة (كالضحك على خطه) اذا كان رديئا (وعلى صنعته) اذا كانت دنية (أو على صورته) اذا كانت قبيحة (وخلقته) اذا كان قصيرا أو طويلا جدا بحيث يتجاوز عن طول أمثاله (أو ناقصا بعيب من العيوب) الظاهرة كالعمش والعرج والادرة وداء الفيل وما أشبه ذلك (فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهى عنها) فى قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم والله الموفق

(الآفة الثانية عشر افشاء السر)

أى اظهاره (وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهى أمانة) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر وقد تقدم قلت ورواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا عبدالله بن المبارك أنبأنا ابن أبي ذئب أخبرنى عبدالرحمن بن عطاء عن عبدالملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدث فساقه (وقال) صلى الله عليه وسلم (مطلق الحديث بينكم أمانة) رواه ابن

أبي الدنيا عن أحمد بن حنبل أنبأنا عبد الله أنبأنا حيوة بن شريح عن عقيل عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رواه مرسلا وهو اسناد جيد (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان من الخيانة ان تحدث بسر أخيك) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن حنبل أنبأنا عبد الله أنبأنا المبارك ابن فضالة عن الحسن قال سمعته يقول ان من الخيانة فذكره (و يروى ان معاوية) بن أبي سفيان رضي الله عنه (أسر الى الوليد بن عتبة) بن أبي سفيان وهو ابن أخي معاوية (حديثا فقال) الوليد (لابيه) عتبة ابن أبي سفيان وهو أخو معاوية لابويه قال ابن منده ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وولاه عمر الطائف وأنكره الحافظ ابن حجر في الاصابة وقال لم أجد بعد التتبع ما يدل على انه ولد في العهد النبوي وهو محتمل وانما ولاه الطائف أخوه معاوية حج بالناس سنة احدى وأربعين وبعدها ثم ولاه مصر الجند بعد عزله عبد الله بن عمرو بن العاص فمات بالاسكندرية هذا لفظه في الاصابة ورجح تلميذه الحافظ السخاوي ان الموصوف بما ذكر في كلام ابن منده هو عنبسة بن أبي سفيان لا عتبة وقد وجدت في كتاب الانساب لابي عبيد القاسم بن سلام ما يشهد لما ذكره الحافظ قال ومن بني حرب بن أمية معاوية وعتبة و يزيد وعنبسة ومحمد وعمرو وحنظلة بنو أبي سفيان بن حرب وأم معاوية وعتبة هند بنت عتبة بن ربيعة وأم عنبسة ومحمد عاتكة بنت أبي أزهر الدوسي وكان معاوية ولى عنبسة الطائف ثم عزله وولاه عتبة (يا أبت ان أمير المؤمنين) يعني عمه معاوية (أسر الى حديثا وما أراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه قال قلت يا أبت وان هذا ليدخل بين الرجل و بين أبيه قال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال) الوليد (فأتيت معاوية فحدثته) بما جرى (فقال يا وليد أعتقك أخي من رق الخطأ) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال وحدثني أبي عن بعض أشياخه قال أسر معاوية الى الوليد بن عتبة فذكر القصة ثم قال وحدثني أبي عن رجل من همدان قال سمعت اعرابيا يقول لابن عم له ان سرك من دمك فلا تضعه الا عند من تثق به قال وحدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير بن حمزة الزيات قال قال علي رضي الله عنه

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فاني رأيت غواة الرجال * لا يتركون أديما صحيحا

(فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم) طبع (اذا لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب الصحبة) وفصلناه (فلا نعيده) ثانيا والله الموفق

(الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب)

(فان اللسان سباق الى الوعد) أي كثير السبق اليه (ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق) وعلامته الدالة عليه (وقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) قال البيضاوي الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية) أي بمنزلتها فلا ينبغي الخلف فيها كما لا ينبغي الرجوع فيها قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث قباث بن اشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم اهـ قلت في سند الطبراني أصبغ بن عبد العزيز الليثي قال أبو حاتم مجهول ورواه الديلمي أيضا عن ابن مسعود وأصله ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله شيأ فقال ما عندي ما أعطيكه فقال تعدني فقال العدة عطية وسياق أبي نعيم في الحلية قال ابن

وقال الحسن ان من الخيانة أن تحدث بسر أخيك و يروى ان معاوية رضي الله عنه أسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا أبت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا وما أراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أخوك من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الاعادة

(الآفة الثالثة عشر) الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية

وقال صلى الله عليه وسلم الوأى مثل الدين أو أفضل والوأى الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسى فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وعن عبد الله ابن أبى الخنساء قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظره الى ان

مسعود اذا وعد أحدكم أخاه فلينجزله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره ثم قال غريب تفرد به ابراهيم الفزارى وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن عدى عن يونس عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال العدة عطية وقال الخرائطى فى مكارم الاخلاق حدثنا عبد الله بن الحسين الهاشمى حدثنا أحمد بن اسحق الحضرمى حدثنا وهيب بن خالد أخبرنا يونس عن الحسن ان امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فلم تجده عنده فقالت عدنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العدة عطية (وقال) صلى الله عليه وسلم (الوأى مثل الدين أو أفضل والوأى الوعد) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف اهـ قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم أبو اسحق الطالقانى حدثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوأى يعنى الوعد مثل الدين أو أفضل وقال الفضل بن عباس اللهبى

انا أناس من سجيتنا * صدق الحديث ووأينا حتم

فى أبيات أخر ذكرها ابن أبى الدنيا (وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فيقال انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين يوما فى انتظاره) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا كعب ابن فروخ الرقاشى حدثنا يزيد الرقاشى ان اسمعيل نبى الله وعد رجلا ميعادا فجلس له اسمعيل اثنين وعشرين يوما مكانه لا يبرح لميعاده ولها الآخر عن ذلك حتى جاء بعد ذلك (ولما حضرت عبد الله بن عمرو) بن العاص رضى الله عنهما (الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق) يشير الى الحديث الذى رواه هو ويأتى قريبا وفيه واذا وعد أخلف فخلاف الوعد ثلث النفاق (اشهدوا انى قد زوجته ابنتى) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنى محمد بن كثير عن الاوزاعى عن هرون بن رباب قال لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة فذكره وفيه اشهدوا انى قد زوجتها اياه (وعن عبد الله بن أبى الحمساء) بالمهملتين المفتوحتين بينهما ميم ساكنة العامرى وقيل هو عبد الله بن أبى الجدعاء قال المزنى والراجح انه غيره (قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك) قال العراقى رواه أبو داود واختلف فى اسناده وقال ابن مهدى ما أظن ابراهيم بن طهمان الا أخطأ اهـ قلت قال الحافظ فى الاصابة فى ترجمته له حديث عند أبى داود والبزار من طريق عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عنه قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم الحديث اهـ وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد ابن سنان العوفى حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبى الحمساء قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وقال الخرائطى فى مكارم الاخلاق حدثنا نصر بن داود الخلنجى حدثنا محمد بن سنان أبو بكر العوفى ح وحدثنا عباس بن أحمد الدورى حدثنا معاذ بن هانئ القناد قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبى الحمساء رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قلت وقد وقع هكذا فى نسخة الصمت ونسخة مكارم الاخلاق عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه والصواب عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق كما فى نسخ سنن أبى داود وعبد الكريم هذا روى عن أبيه مجهول وأبوه عبد الله بن شقيق العقيلى بالضم البصرى ثقة فقيه مات سنة ثمان ومائة (وقيل لابراهيم) النخعى (الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظره ما بينه وبين أن

يدخل وقت الصلاة التى تجىء) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن الصلاح البزار
حدثنا اسمعيل بن زكريا عن الحسن بن عبيد الله قال قلت لابراهيم الرجل تواعد الرجل الميعاد ولا يجىء
قال لينتظره والباقى سواء (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى) قال العراقى لم أجد
له أصلا (وكان) ابن مسعود رضى الله عنه (لا يعد وعدا الا و يقول ان شاء الله) وقال ابن أبى الدنيا حدثنا
أبو معاوية حدثنا حجاج عن أبى اسحق قال كان أصحاب عبد الله يقولون اذا وعد فقال ان شاء الله فلم يخلف
و روى الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود موقوفا من حلف على يمين فقال ان شاء الله فقد استثنى (وهو
الاولى) أى قول ان شاء الله عند الوعد ووجه الاولوية خروجه عن صورة الكذب (ثم اذا فهم مع ذلك
الجزم فى الوعد) بالهبة وغيرها (فلا بد من الوفاء) استحبابا مؤكدا وقيل وجوبا وهو قول الحسن واختاره
بعض المالكية (الا أن يتعذر) أى يتعسر الوفاء بسبب من الاسباب وان لم يتعذر كره الاخلاف كراهة
تنزيه لا تحريم على قول من قال باستحباب الوفاء (فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفى به فهذا هو
النفاق) صرح به النووى فى شرح مسلم لانه خالف فى الظاهر ما فى باطنه (قال أبو هريرة) رضى الله عنه
(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه) أى ثلاث خصال من وجدت فيه (فهو منافق وان
صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان) قال العراقى متفق عليه
وقد تقدم اه قلت ولكن ليس بلفظ المصنف وبهذا اللفظ أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق فقال
حدثنا محمد بن جابر حدثنا يوسف بن كامل حدثنا حماد بن أبى سلمة عن داود بن أبى هند عن سعيد بن
المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وقال انى مسلم اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا وعد أخلف وأما لفظ البخارى ومسلم فقال فى
الايمان حدثنا أبو الربيع حدثنا اسمعيل بن جعفر حدثنا نافع عن مالك بن أبى عامر عن أبيه عن أبى
هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن
خان وأخرجه كذلك فى الوصايا عن أبى الربيع وفى الشهادات عن قتيبة وفى الادب عن ابى سلام وأخرجه
مسلم فى الايمان عن قتيبة ويحيى بن أيوب كلهم عن اسمعيل بن جعفر وأخرجه أيضا الترمذى والنسائى
فهذا ما يتعلق بحديث أبى هريرة وأخرج رستة فى الايمان وأبو الشيخ فى التوبيخ من حديث أنس ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا ائتمن خان وقال الخرائطى حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق حدثنا أبو داود الطيالسى
حدثنا شعبة عن منصور قال سمعت أبا وائل يحدث عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خصلة منها ففيه خصلة من النفاق اذا حدث كذب واذا وعد
أخلف واذا ائتمن خان وأخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى حفص الصيرفى عن أبى داود وهو الطيالسى بلفظ
آية المنافق ثلاث وقال الخرائطى حدثنا معدان بن يزيد البزار حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا محمد بن عبد
الرحمن عن محمد بن كعب القرظى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب
واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ثم قال تصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل اذا جاءك المنافقون
الآية وقال ومنهم من عاهد الله الآية وقال انا عرضنا الامانة الآية (وقال عبد الله بن عمرو) بن
العاص رضى الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه
خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها) أى يتركها (اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا
عاهد غدر واذا خاصم فجر) قال العراقى متفق عليه قلت هذا لفظه عند الخرائطى فى مكارم الاخلاق
قال حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمى حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا شعبة عن الاعمش عن عبد الله
ابن مرة عن مسروق عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه فهو منافق ومن

يدخل وقت الصلاة التى تجىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفى فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث فساقه وقال البخارى في الايمان حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ثم قال تابعه شعبة عن الاعمش وقد أوصلها هو في كتاب المظالم وكذلك أوصلها مسلم وقد أخرجه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وأخرجه ابن أبي الدنيا عن زهير بن حرب حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش بلفظ البخارى قال النووى لا منافاة بين الحديثين من ثلاث خصال أو أربع لان الشئ الواحد قد تكون له علامات كل واحدة تحصل صفة ثم قد تكون تلك العلامة شيأ واحدا وقد تكون أشياء وروى أبو أمامة مرفوعا واذا غنم غل واذا أمر عصى واذا لقى جبن وقال الطيبى لا منافاة لان الشئ الواحد قد تكون له علامات فتارة يذكر بعضها وأخرى جميعها أو أكثر وقال القرطبى يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم استجد له من العلم بخصالهم مالم يكن عنده قال العينى الاولى أن يقال ان التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص وقال الحافظ في الفتح لا تعارض بين الحديثين لانه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على أصل النفاق والخصلة الزائدة اذا أضيفت الى ذلك كمل خلوص النفاق على ان في رواية مسلم من طريق العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ما يدل على ارادة عدم الحصر فان لفظه من علامة المنافق ثلاث وكذا أخرج الطبرانى في الاوسط من حديث أبي سعيد واذا حمل اللفظ الاول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر اه ووجه الحصر على الاربع ان اظهار خلاف الباطن اما في الماليات فهذا اذا ائتمن واما في غيرها فهو اما في حالة الكدورة فهو اذا خاصم واما في حالة الصفاء فهو اما مؤكدة باليمين فهو اذا عاهد والا فهو بالنظر الى المستقبل فهو اذا وعد واما بالنظر الى الحال فهو اذا حدث قال العينى ومرجع الاربع الى ثلاث لان قوله اذا عاهد غدر داخل في قوله اذا ائتمن خان واذا خاصم فجر داخل في قوله اذا حدث كذب اه ووجه الحصر على الثلاث هو التنبيه على فساد القول والفعل والنية فبقوله اذا حدث نبه على فساد القول وبقوله اذا ائتمن نبه على فساد الفعل وبقوله اذا وعد نبه على فساد النية واليه أشار المصنف بقوله (وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء) مقارنا بوعده (وعن له) أى عرض له (عذر منعه من الوفاء) أو بدا له رأى (لم يكن منافقا) أى لم يوجد فيه صفة النفاق (وان جرى عليه ماهو صورة النفاق) ويشهد لذلك مارواه الطبرانى باسناد لا بأس به في حديث طويل من حديث سلمان رضى الله عنه اذا وعد وهو يحدث نفسه أن يخلف وكذا قال في باقى الخصال وسيأتى للكلام تتمة في آخر هذا السياق من هذه الآفة (ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته) التى هى اظهار ما يبطن خلافه (ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاقة) وفي بعض النسخ حافزة (فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم) مالك (بن التيهان) بن مالك بن عبيد الانصارى من سابقى الانصار توفى سنة عشرين والتيهان بفتح المثناة من فوق وتشديد المثناة التحتية المكسورة (خادما فأتى) صلى الله عليه وسلم (بثلاثة من السبى) فأعطى اثنين لجماعة (وبقى واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلبه منه وهى تقول ألا ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدى فذكر) صلى الله عليه وسلم (موعده لابى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدتى لابى الهيثم فآثره به) أى بالواحد من السبى (على فاطمة) رضى الله عنها (لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة) قال العراقى تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الاكل وهى عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة رضى الله عنها. اه

وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ماهو صورة النفاق ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم ابن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدى فذكر موعده لابى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدى لابى الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة

قلت قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا العباس ابن الوليد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الجريرى عن أبى الورد عن ابن أعبد قال قال لى على يا ابن أعبد ألا أخبرك عنى وعن فاطمة بنت محمد كانت أكرم أهله عليه وكانت زوجتى فجرت بالرحا حتى أثر الرحا بيدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها فاصابها من ذلك ضرر فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى أو خدم فقلت لها انطلقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسليه خادما يقيك حرّما أنت فيه فأتت أباها حين أمست فقال لها مالك يا بنية قالت لاشئ جئت لاسلم عليك واستحيت أن تسأل شيأ فلما رجعت قلت لها مافعلت فساق الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدان أن تناما الحديث وليس فيه أيضا ذكر لابى التيهان وابن أعبد قال الذهبى فى الضعفاء قال ابن المدينى ليس بمعروف (ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين) اسم موضع بين مكة والطائف وكان قد خرج لقتال هوازن وثقيف فصار الى حنين فلما التقى الجمعان انكشف المسلمون ثم أمدهم الله بنصره وعطفوا وقاتلوا المشركين فهزموهم وغنم أموالهم وعيالهم ثم سار الى أوطاس فانهزم المشركون الى الطائف وغنم المسلمون منها أيضا أموالهم وعيالهم ثم سار الى الطائف فقاتلوهم فلما أهل ذو القعدة ترك القتال لانه شهر حرام ورحل راجعا فنزل الجعرانة وقسم غنائم أوطاس وحنين ويقال كانت ستة آلاف سبى (فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يارسول الله فقال صدقت فاحتكم ماشئت) أى الحكم فى طلب ماتريد (فقال احتكم ثمانين ضائنة) الضأن من الغنم فالذكر ضائن والانثى ضائنة قال ابن الانبارى الضأن مؤنثة والجمع أضؤن كافلس وجمع الكثرة ضئين ككريم (وراعيها) أى الخادم الذى يرعاها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى) عليه السلام وهى العجوز من عجز مصر (التى دلته على عظام يوسف) عليه السلام أى جسده الشريف وكان فى صندوق من رخام فى قعر النيل تتلاطم عليه الامواج (كانت أحزم منك) أى أكثر حزما (وأجزل حكما حين حكمها موسى) عليه السلام فانه لما سأل عن يوسف عليه السلام لم يجد عند أحد علما لتقادم العصر ومرور الازمنة وأجمع أمرهم على عجوز كانت من بقايا القبط وقد أتت عليها سنون فطلبها سيدنا موسى عليه السلام وسألها فقالت عندى علم من ذلك فقال أخبرينا ولك ماتريدين (فقالت حكمى ان تردنى شابة) كاحسن ما كنت عليه من الشباب (وادخل معك الجنة) فاخبرته عن محله فدعا الله تعالى بان يردها شابة فارتدت فى الحال شابة ورجع اليها حسنها وجمالها ودعا الله تعالى أن يجعلها معه فى الجنة فاستجيب له ودلته على محله فى قعر النيل فأتى اليه وأشار بعصاه فانفرق البحر وظهر الصندوق فحمله موسى عليه السلام الى بيت المقدس فدفنه عند آبائه الكرام عليهم السلام (قيل فكان الناس يضعفون مااحتكم به حتى جعل مثلا) ولونه (هو أشح من صاحب الثمانين والراعى) يعنون به ذلك الرجل الدنىء الهمة قال العراقى رواه ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الاسناد قلت فيه نظر (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفى) بما وعده وتمامه ولكن الخلف ان يعد الرجل ومن نيته ان لا يفى أخرجه أبو يعلى فى مسنده وابن لال فى مكارم الاخلاق والديلمى من حديث زيد بن أرقم وهو حديث حسن (وفى رواية) فى هذا الحديث (اذا وعد الرجل) يعنى الانسان وذكر الرجل طردى (أخاه) أى فى الاسلام وان لم يكن من النسب بان يفعل له شيأ يسوغ له شرعا (وفى نيته) وفى لفظ ومن نيته (ان يفى) له وفيه دليل على ان النية الصالحة يثاب عليها الانسان وان تخلف عنها المنوى (فلم يجد) مايفى به (فلا اثم عليه) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم الا انهما قالا فلم يف اهـ قلت لفظ أبى

ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال هى لك وقال احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمى أن تردنى شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون مااحتكم به حتى جعل مثلا فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفى نيته أن يفى وفى لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا اثم عليه

داود فى الادب اذا وعد الرجل أخاه ومن نيته ان يفى له فلم يف ولم يجئ للميعاد فلا اثم عليه ومثله للترمذى فى الايمان الا انه قال فلا جناح عليه وقال غريب وليس سنده بالقوى قال الذهبى فى المهذب وفيه أبو النعمان يجهل كشيخه أبى الوقاص وقال الصدر المناوى فى تخريج المصابيح اشتمل سنده على مجهولين فان قلت الخصال التى ذكرت فى الاحاديث السابقة الدالة على النفاق قد توجد احيانا فى المسلم المصدق بقلبه ولسانه مع ان الاجماع حاصل على انه لا يحكم بكفره ولا بنفاق يجعله فى الدرك الاسفل من النار أجيب باوجه فقيل معناه ان هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافق فى هذه ومتخلق باخلاقهم لانه منافق فى الاسلام مبطن الكفر وقيل هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه وقيل هذا القول تحذير من اعتياد هذه الخصال خوفا ان يفضى به الى النفاق دون من وقعت منه نادرة من غير اختيار أو اعتياد وقيل بل الوارد فى تلك الاحاديث فى حق رجل بعينه منافق اذ لم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم يواجه أحدا بما يكره وانما كان يقول ما بال أقوام يفعلون كذا فهذا مثله أشار بالآية اليه حتى يعرف ذلك الشخص بها وقيل المراد بها المنافقون الذين كانوا فى زمانه صلى الله عليه وسلم حدثوا بانهم آمنوا فكذبوا وا تمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى نصرة الدين فأخلفوا وهو قول عطاء بن أبى رباح واليه رجع الحسن البصرى وهو مذهب ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وقيل المراد بالنفاق هنا نفاق العمل لا نفاق الكفر ومنه قول عمر لحذيفة رضى الله عنهما هل تعلم فىّ شيأ من النفاق وقال بعضهم الالف واللام فى المنافق لا يخلو اما أن تكون للجنس أو للعهد فان كانت للجنس يكون على سبيل التشبيه والتمثيل لا على الحقيقة وان كانت للعهد فيكون من منافق خاص بعينه أو من المنافقين الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم

(الآفة الرابعة عشر)

(الكذب فى القول و) فى (اليمين) وهو الاخبار عن الشئ بخلاف ما هو سواء فيه العمد والخطأ اذ لا واسطة بين الصدق والكذب على مذهب أهل السنة والاثم يتبع العمد وقد كذب يكذب كذبا ككتف ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الذال (وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب) أى من الذنوب القبيحة والعيوب الفاحشة (قال اسمعيل بن أوسط) هكذا فى سائر النسخ والصواب أوسط بن اسمعيل كما نبه عليه العراقى وهو أوسط بن اسمعيل بن أوسط البجلى شامى ثقة مخضرم مات سنة تسع وسبعين روى له البخارى فى الادب المفرد والنسائى وابن ماجه (سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار) قال العراقى رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسمعيل بن أوسط عن أبى بكر وانما هو أوسط بن اسمعيل بن أوسط واسناده حسن اهـ قلت وأخرجه ابن أبى الدنيا عن على بن الجعد أنبأنا شعبة عن يزيد بن خمير سمعت سليم بن عامر يحدث عن أوسط بن اسمعيل ابن أوسط سمع أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول مقامى هذا ثم بكى أبو بكر ثم قال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق عن على بن حرب حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا شعبة ورواه أيضا عن الدورى حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن أبى صالح حدثنى سليم بن عامر ورواه كذلك أحمد وابن حبان والحاكم ولفظهم كالنسائى وابن ماجه من طريق أوسط خطبنا أبو بكر الصديق فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام الاول فقال سلوا الله المعافاة أو قال العافية فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية والمعافاة عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله ورواه ابن جرير فى تهذيب الآثار وابن

(الآفة الرابعة عشرة) الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار

مردويه بالمفظ قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوا الله العافية فانه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد يقين واياكم والريبة فانه لم يؤت أحد أشد من ريبة بعد كفر وعليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وروى سفيان بن عيينة فى الجامع وابن المبارك وهناد وابن أبى الدنيا فى الصمت وحسين بن أصرم فى الاستقامة وابن مردويه والبيهقى وسنده أصح الاسانيد من طريق قيس بن أبى حازم قال سمعت أبا بكر يقول اياكم والكذب فان الكذب مجانب للايمان (وقال أبو امامة) صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق) قال العراقى رواه ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف فيه عمر بن موسى الوجيهى ضعيف جدا ويغنى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه فهو منافق قال فى كل منهما واذا حدث كذب وهما فى الصحيحين وقد تقدما فى الآفة التى قبلها (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية و) اختلاف (القول والعمل و) اختلاف (المدخل والمخرج وان الاصل الذى بنى عليه النفاق الكذب) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنا اسحق الازرق عن عوف عن الحسن قال يعد من النفاق اختلاف القول والعمل واختلاف السر والعلانية والمدخل والمخرج وأصل النفاق والذى بنى عليه النفاق الكذب (وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة) تأنيثه باعتبار الضمير وهو فاعل معنى (ان تحدث أخاك) فى الدين وان لم يكن أخاك فى النسب (حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب) لانه ائتمنك فيما تحدثه فان كذبته فقد خنت أمانته وخنت أمانة الايمان فيما أوجب من نصيحة الاخوان قال الطيبى ٧ أخاك فاعل كبرت وأنت الفعل له باعتبار المعنى لانه نفس الخيانة وفيه معنى التعجب كما فى كبر مقتا عند الله والمراد خيانة عظيمة مثل اذا حدثت أخاك المسلم بحديث هو يعتمد عليك اعتمادا على كل مسلم لا تكذب فيصدقك والحال انك كاذب وقال النووى التورية اطلاق لفظ هو ظاهر فى معنى وتريد به معنى آخر يتناوله اللفظ لكنه خلاف ظاهره وهو ضرب من التغرير والخداع فان دعت له مصلحة شرعية راجحة لا مندوحة عنها الا به فلا بأس والا كره فان توصل به الى أخذ باطل أودفع حق حرم وعليه ينزل هذا الخبر قال العراقى رواه البخارى فى كتاب الادب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد اهـ قلت ورواه أيضا ابن سعد والبغوى وابن قانع والبيهقى عن سفيان بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة الحضرمى قال البغوى ولا أعلم لسفيان غيره ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى أيضا عن النواس بن سمعان وقد سكت أبو داود على حديث سفيان فاقتضى كونه حسنا عنده الا ان النووى فى الاذكار قال هو ضعيف وكانه تبع فيه ابن عدى فان فيه بقية ابن الوليد والكلام فيه مشهور وكون سند حديث النواس جيدا فيه خلاف أيضا فقد ذكر المنذرى ان شيخ أحمد فيه عمر بن هرون فيه خلف وبقية رجاله ثقات وقال الهيثمى عمر ضعيف وبقية رجاله ثقات (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) قال العراقى متفق عليه (ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة) قال العراقى رواه أبو الفتح الازدى فى كتاب الاسماء المفردة من حديث ناسح الحضرمى وهكذا رويناه فى أمالى ابن شمعون وناسح ذكره البخارى هكذا فى التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسح اهـ قلت ذكره الازدى فى مفردات أسماء الصحابة وذكره البخارى فقال ناسح عن النبى صلى الله عليه وسلم وعنه شرحبيل بن شفعة وأخرج ابن شاهين من طريق الوليد بن مسلم عن حريز بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن ناسح الحضرمى عن

وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذى بنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة

٧ قوله أخاك الخ هكذا هو بخط المؤلف ولعل صوابه ان تحدث لانه هو الفاعل وخيانة تمييز وبه تعلم ما فى كلام الشارح السابق اهـ مصححه

النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برجلين يتبايعان شاة فذكر الحديث وقال ابن أبي حاتم أخرجه البخاري في النون وخطاه في ذلك أبي وأبو زرعة وقالا انما هو عبد الله بن ناسح وقال الحسن بن سفيان في الصحابة عبد الله بن ناسح الحضرمي الحمصي واخرج له حديثا آخر من طريق سعيد بن سنان عن شريح بن نسيب عنه وقال أبو نعيم لا تصح له صحبة قال الحافظ السخاوي وحديثه المذكور أعني الذي أورده ابن شاهين أخرجه أيضا الخرائطي في مساوي الاخلاق وقال الحافظ في الاصابة ناسح بنون ومهملتين على الراجح وقيل بمعجمة وجيم وقيل بمعجمة ثم مهملة حكاها أبو أحمد العسكري (وقال صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق) قال العراقي رواه أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر واسناده ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس الله قد أحل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون) قال العراقي رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل اهـ قلت عبد الرحمن بن شبل أوسي انصاري أحد نقباء الانصار قال البخاري له صحبة وقال ابن منده عداده في أهل المدينة روى عنه تميم بن محمود ويزيد بن عمير وأبو راشد الحبراني وأبو سلام الاسود ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حمص من الصحابة وقال أبو زرعة الدمشقي نزل الشام وأخرج الجوزجاني في تاريخه من طريق أبي راشد الحبراني قال كنا بمسكن مع معاوية فبعث الى عبد الرحمن بن شبل انك من فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمائهم فقم في الناس وعظهم وأخرج أحمد من طريق أبي سلام عن أبي راشد قال كتب معاوية الى عبد الرحمن بن شبل ان أعلم الناس بما سمعت فجمعهم فذكر لهم أحاديث منها حديث ان التجار هم الفجار وأخرج له البخاري في الادب المفرد وأبو داود والنسائي وابن ماجه حديثا من رواية تميم بن محمود عنه وابن ماجه أخرجه من طريق أبي راشد عنه (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله) تكليم رضا عنهم أو كلاما يسرهم أو لا يرسل اليهم الملائكة بالتحية أو ملائكة الرحمة ولما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه لم يفز (ولا ينظر اليهم) نظر رحمة وعطف ولطف أحدهم (المنان بعطيته) من المنة التي هي الاعتداد بالصنيعة وهي ان وقعت في صدقة أحبطت الثواب أو في معروف أبطلت الصنيعة (و) الثاني (المنفق) كمحدث أي المروّج (سلعته) أي متاعه (بالحلف) بكسر اللام ويروى بسكونها أيضا (الفاجر) أي الكاذب (و) الثالث (المسبل ازاره) أي الجار له بارخاء طرفيه خيلاء وخص الازار لانه عامة لباسهم فلغيره من نحو قميص حكمه قال الطيبي جمع الثلاثة في قرن لان المسبل ازاره هو المتكبر المترفع بنفسه على الناس ومحتقرهم والمنان انما منّ بعطائه لما رأى من علوه على المعطى له والحالف البائع يراعي غبطة نفسه وهضم صاحب الحق والحاصل من المجموع احتقار الغير وايثار نفسه ولذلك يجازيه الله باحتقاره له وعدم التفاته اليه كما لوح به قوله لا يكلمهم قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي ذر اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وكررها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر رضي الله عنه خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل ازاره والمنان الذي لا يعطي شيأ الا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر وروى الشيخان من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع مال رجل مسلم الحديث وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة المنان عطاءه والمسبل ازاره خيلاء ومدمن الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة) قال العراقي رواه الترمذي والحاكم وصحح اسناده من حديث عبد الله بن أنيس اهـ قلت

وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة

وكذلك رواه الخرائطي فى مساوى الاخلاق (وقال أبوذر) الغفارى رضى الله عنه (ثلاثة) من الناس (يحبهم الله رجل كان فى فئة) أى جماعة من أصحابه (فنصب نحره) أى رقبته للعدو (حتى يقتل أو يفتح الله عليه أو على أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه) بقول أو فعل (فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت لاحدهما أو ظعن) أى رحلة (ورجل كان معه قوم فى سفر أو سرية فأطالوا السرى) أى سير الليل (حتى أعجبهم ان يمسوا الارض) وهو كناية عن غلبة النوم (فنزلوا) عن دوابهم (فتنحى) ذلك الرجل (يصلى) وهم نيام (حتى) يصبح و(يوقظ أصحابه للرحيل) من ذلك المكان (وثلاثة من الناس يشنؤهم الله) أى يبغضهم (التاجر الحلاف (أو) قال (البياع الحلاف) أى كثير الحلف على سلعته وفيه اشعار بان القليل الصدق ليس محلا للذم (والفقير المختال) أى المتكبر (والبخيل المنان) بعطيته قال العراقى رواه أحمد واللفظ له وفيه ابن الاحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائى بلفظ آخر باسناد جيد ورواه النسائى من حديث أبى هريرة أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف الحديث واسناده جيد اهـ قلت لفظ أحمد فى مسنده ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله الرجل يلقى العدو فى فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لاصحابه والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا ان يمسوا الارض فينزلون عن دوابهم فيتنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن والذين يشنؤهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وأما حديث النسائى الذى أشار اليه العراقى فلفظه فى باب الزكاة من سننه من حديث أبى ذر ثلاثة يحبهم الله تعالى وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل باعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته الا الله والذى أعطاه وقوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به فوضعوا رؤسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى ورجل كان فى سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزانى والفقير المختال والغنى الظلوم ورواه كذلك الترمذى فى صفة الجنة وابن حبان والحاكم فى الزكاة والجهاد وقال الترمذى حديث صحيح وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبى فى التلخيص ورواه ابن عساكر فى التاريخ من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال بلغنى عن أبى ذر حديث فكنت أحب ان ألقاه فلقيته فسألته عنه فذكره وأما حديث أبى هريرة عند النسائى الذى أشار اليه العراقى فلفظه أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزانى والامام الجائر وهكذا رواه البيهقى أيضا فى السنن (وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث) الناس (فيكذب) فى حديثه (ليضحك به القوم ويل له ويل له) كرره ايذانا بشدة هلكته وذلك لان الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة فاذا انضم اليه استجلاب الضحك الذى يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده اهـ قلت وكذلك رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى كلهم عن جد حكيم معاوية بن حيدة القشيرى رضى الله عنه (وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه واذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد) وهو مثل تنور خشبة فى رأسها حديدة (يلقمه فى شدق الجالس) أى فى فمه كما يلقم الجمل (فيجذبه حتى يبلغ كاهله) رأس الكتف (ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى أقامنى ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة) رواه البخارى من حديث سمرة بن جندب فى حديث طويل (وعن عبد الله بن جراد) بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامرى العقيلى هكذا نسبه ابن ماكولا وأما يعلى بن الاشدق فقال حدثنى عمى عبد الله بن جراد بن معاوية بن فرح بن خفاجة بن عمرو بن عقيل قال البخارى له صحبة روى عنه يعلى بن الاشدق أحد الضعفاء وأبو قتادة الشامى

وقال أبوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم فى سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى أقامنى ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد

راووثقه ابن حبان (انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يانبي الله هل يكذب المؤمن فقال لاثم أتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفترى الكذب على الله الذين لايؤمنون) قال العراقى رواه ابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف وروواه ابن أبي الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء اه قلت لفظ الصمت حدثنا اسمعيل بن خالد الضرير حدثنا يعلى بن الاشدق حدثنا عبدالله بن جراد قال قال أبو الدرداء يارسول الله هل يكذب المؤمن قال لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب وروى مالك فى الموطأ عن صفوان بن سليم مرسلا ومعضلا قيل يارسول الله المؤمن يكون جبانا قال نعم قيل يكون بخيلا قال نعم قيل يكون كذابا قال لا (وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول) من جملة دعائه (اللهم طهر قلبى من النفاق) أى من اظهار خلاف مافى الباطن وهذا قاله تعليما لغيره (وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب) قال العراقى هكذا وقع فى نسخ الاحياء عن أبي سعيد وانما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملى من الرياء وعينى من الخيانة وسنده ضعيف اه قلت وكذلك رواه الحكيم الترمذى فى النوادر ولفظهما اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور وأم معبد هى عاتكة بنت خالد الخزاعية الكعبية التى نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فى الهجرة وانما قال كذلك مع ان ذاته الشريفة قد جبلت على الطهارة ابتداء ونزع من قلبه حظ الشيطان وأعين عليه فاسلم تشريفا من قبيل قولك وثيابك فطهر وتعليما لامته (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة) من الناس (لايكلمهم الله) كلام رضا (ولا ينظر اليهم) نظر رحمة (ولا يزكيهم) أى لايطهرهم من دنس قلوبهم أولا يثنى عليهم (ولهم) مع ذلك الامر المهول (عذاب أليم) مؤلم موجع يعرفون به ماجهلوا من عظمته واجترحوا من مخالفته (شيخ زان) لاستخفافه بحق الحق وقلة مبالاته ورذالة طبعه اذداعيته قد ضعفت وهمته قد فترت فزناه عناد ومراغمة (وملك كذاب) لان الكذب يكون غالبا لجلب نفع أودفع ضر والملك لايخاف أحدا فيصانعه فهو منه قبيح لفقد الضرورة (وعائل) أى فقير (مستكبر) لان كبره مع فقد سببه فيه من نحو مال وجاه انه كونه مطبوعا عليه مستحكما فيه فيستحق أليم العذاب وفظيع العقاب قال العراقى رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه قلت وكذلك رواه النسائى وابن أبي الدنيا فى الصمت قال حدثنا سوادبن عبدالله حدثنا الضحاك بن مخلد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة الشيخ الزانى والامام الكذاب والعائل المزهو ورواه أيضا عن محمد بن عمرو الباهلى حدثنا أبو زكير يحيى بن محمد بن قيس حدثنا ابن عجلان (وقال) أبو محمد (عبدالله بن عامر) بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزى بسكون النون حليف بنى عدى ثم الخطاب والدعمر وأبوه من كبار الصحابة قال الهيثم بن عدى مات سنة بضع وثمانين وقال الطبرى فى الذيل مات سنة خمس وثمانين (جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى ياعبدالله تعال أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماأردت أن تعطيه فقالت تمرا فقال اماانك لولم تفعلى كتبت عليك كذبة) قال العراقى رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبدالله بن عامر ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه قلت له شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات الا أن الزهرى لم يسمع من أبي هريرة اه قلت وأخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق فقال حدثنا أبو بدر الغبرى حدثنا أبو الوليد حدثنا الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة عن عبدالله بن عامر قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا فساقه كسياق المصنف ووقع فى روايته كابى داود عن مولى لعبدالله بن عامر ولذا قال العراقى فيه من لم يسم وقد سماه غيرهما كما يأتى وعبدالله بن عامر ذكره الترمذى فى الصحابة وقال أبو حاتم الرازى رأى النبي صلى الله عليه

وسلم

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يانبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وقال أبو سعيد الخدرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول فى دعائه اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبدالله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى ياعبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وماأردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما انك لولم تفعلى لكتبت عليك كذبة

وسلم دخل على أمه وهو صغير وقال أبو زرعة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن حبان لماذ كره في الصحابة أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم في بيتهم وهو غلام وأشار وا كلهم الى هذا الحديث وقد أخرجه الضياء والبخاري في التاريخ وابن سعد والطبراني والذهلي من طريق محمد بن عجلان عن زياد مولى عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمي وأنا غلام فادبرت خارجا فنادتني أمي يا عبد الله تعال هاك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما تعطيه قالت أعطيه تمرا قال أما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة ورواية البخاري مختصرة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبي وذكره العجلي في كبار التابعين قال الحافظ في الاصابة جل روايته عن الصحابة فروى عن أبيه وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وحارثة بن النعمان وعائشة وجابر روى عنه الزهري ويحيى بن سعيد الانصاري وعاصم بن عبيد الله ومحمد بن زيد بن المهاجر وعبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وآخرون (وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله على نعما) أي ابلا (عدد هذا الحصى) وفي لفظ عدد هذه العضاه (لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) رواه مسلم وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوة مبسوطا (وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا) على وسادة (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) جمع كبيرة وهي كل ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو السنة وان لم يكن فيه حد على الاصح (الاشراك بالله) أي الكفر به (وعقوق الوالدين) أو أحدهما او جمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا أو يجر اليه وضابطه ان يفعل معهما ما يتأذيان به تأذيا ليس بالهين وليس المناط وجود التأذي الكثير بل ان يكون ذلك من شأنه ان يتأذى منه كثيرا فان قلت أكبر الكبائر لا يكون الا واحدا وهو الشرك فكيف التعدد ههنا وأيضا فهو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا وذكر هو قلت ادعاء ان الاكبر لا يكون الا واحدا انما هو ان أريد الحقيقة اما ان اريد بالاكبر النسبي فهو يكون متعددا ولا شك ان الاكبر بالنسبة الى بقية الكبائر أمور أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله اتقوا السبع الموبقات الحديث وحينئذ فالاكبر ههنا التعدد في الجواب واريد به الامر النسبي وانما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث لانه علم من أحاديث اخر ان ذلك أكبر الكبائر بعد الشرك على انه صلى الله عليه وسلم كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين كقوله مرة أفضل الاعمال الصلاة لاول وقتها أو لوقتها وأخرى أفضل الاعمال الجهاد وأخرى أفضل الاعمال بر الوالدين وغير ذلك من نظائره مما لا يخفى (ثم قعد) بعد ان كان متكئا تنبيها على عظيم اثم ما يقوله (فقال الا وقول الزور) وانما خص بذلك لانه يترتب عليه الزنا والقتل وغيرهما فكان أبلغ ضررا من هذه الحيثية قال العراقي متفق عليه من حديث أبي بكرة اه قلت ورواه أيضا الترمذي في الشمائل ولفظه وجلس وكان متكئا فقال الا وشهادة الزور او وقول الزور وعند البخاري الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلنا ألا ليته سكت وروى البخاري أيضا من حديث أنس رضي الله عنه أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور (وقال ابن عمر) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب اه قلت ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني أبو محمد عبد الله بن أيوب المخرمي حدثنا عبد الرحيم بن هرون أبو هشام الغساني عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه قال ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه ميلا أو ميلين مما جاء به (وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى بست) أي تكفلوا لي بست خصال (أتقبل لكم بالجنة) أي أتكفل لكم بدخولها (قالوا وما هن) وفي لفظ وما هي (قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب) أي الا لضرورة أو مصلحة محققة (واذا وعد) انسانا بشيء (فلا يخلف) وعده (واذا ائتمن) أي جعل أمينا على سر (فلا يخن) فيما جعل أمينا عليه (وغضوا أبصاركم) عن النظر الى ما لا يجوز (وكفوا أيديكم) فلا تبسطوها الى ما لا يحل (واحفظوا

وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا

فروجكم) عن الزنا واللواط ومقدماتهما والسحاق ونحوه ومن تكفل بالتزام هذه المذكورات فقد توقى أكثر المحرمات فهو حرى بان يتكفل له بالجنة قال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك والخرائطى فى مكارم الاخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائى ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة ابن الصامت وقال صحيح الاسناد اه قلت ورواه كذلك ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى والبيهقى وسياق المصنف هو سياق الخرائطى فى مكارم الاخلاق قال حدثنا عباس بن محمد حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه كالمصنف سواء وأما سياق الحاكم والبيهقى فليس فيه قالوا وماهن وفيه غضوا أبصاركم من غير واو وأخرجه ابن أبى الدنيا مختصرا فقال حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يحيى بن اسحق السيلحينى حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وسعد بن سنان أورده الذهبى فى الضعفاء وقال ضعفوه وفى الميزان أحاديثه واهية وقال النسائى منكر الحديث ثم ساق له مما انكر عليه هذا الخبر وقال المنذرى رواته ثقات الا سعد بن سنان وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير ان ابن سنان لم يسمع من أنس وأما حديث عبادة بن الصامت من رواية الحاكم الذى أشار اليه العراقى فقد أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وقال حدثنا أبو غالب البصرى محمد بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا اسمعيل بن جعفر حدثنا عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن حنطب عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم ورواه كذلك أحمد وابن حبان والبيهقى (وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا) أى شيأ يجعله فى عينى الانسان لينام (ولعوقا) بالفتح أى شيأ يجعله فى فيه ليندلق لسانه بالفحش (ونشوقا) بالفتح وهو ما ينشقه الانسان انشاقا وهو جعله فى أنفه ويلعقه اياه ويدسم به اذنيه أى يسد يعنى ان وساوسه ما وجدت فيه منفذا دخلت فيه (فاما العوقه فالكذب) أى المحرم شرعا (وأما نشوقه فالغضب) أى لغير الله (وأما كحله فالنوم) أى الكثير المفوت للقيام بوظائف العبادات الفرضية والنفلية كالتهجد قال العراقى رواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم اه قلت ورواه كذلك البيهقى وفيه عاصم بن على شيخ البخارى قال يحيى لاشئ وضعفه ابن معين قال الذهبى وذكر له ابن عدى أحاديث مناكير والربيع بن صبيح ضعفه النسائى وقواه أبو زرعة ويزيد الرقاشى قال النسائى وغيره متروك وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان والطبرانى فى الكبير والبيهقى أيضا بسند ضعيف من حديث سمرة بن جندب ان للشيطان كحلا ولعوقا فاذا كحل الانسان من كحله نامت عيناه عن الذكر واذا العقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر (وخطب عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (بالجابية) لما قدم الشام والجابية موضع قرب دمشق (فقال) فى خطبته (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامى فيكم فقال أحسنوا الى أصحابى ثم الذين يلونهم) وهم التابعون لهم باحسان (ثم يفشو الكذب) أى يظهر (حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يحلف ويشهد) على الشئ ابتداء (ولم يستشهد) أى لم يطلب الشهادة قال العراقى رواه الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر اه . وخطبته رضى الله عنه بالجابية طويلة مشهورة قد نقلت من عدة طرق وتواترت (وقال صلى الله عليه وسلم من حدث) وفى رواية لابن ماجه من روى (عنى بحديث) وفى رواية حديثا ولفظ ابن ماجه من روى عنى حديثا (وهو) أى والحال انه (يرى) بضم ففتح أى يظن وبالفتح أى يعلم (انه كذب) بكسر فسكون أو بفتح فكسر (فهو أحد الكاذبين) بصيغة الجمع باعتبار كثرة النقلة وبالتثنية باعتبار المفترى والناقل عنه . وقال النووى يرى ضبطناه بضم الياء والكاذبين بكسر الباء الموحدة وفتح النون على الجمع قال وهذا هو

فروجكم وكفوا أيديكم وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى هذا فيكم فقال أحسنوا الى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبى صلى الله عليه وسلم من حدث عنى بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين

وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بآثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان

المشهور في اللفظين وقال عياض الرواية عندنا الكاذبين على الجمع وقال الطيبي وقوله أحد الكاذبين من باب القلم أحد اللسانين والخال أحد الابوين قال العراقي رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب اهـ قلت وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث سمرة ورواه أيضا أحمد وابن ماجه وابن جرير من حديث علي ورواه أيضا أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث المغيرة بن شعبة وقال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة وقيس عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين وحدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى يحدث عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من روى عني حديثا وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين واستنبط من الحديث انه ليس لراوي حديث ان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان علم صحته ويقول في الضعيف روي أو بلغنا فان روى ما علم أو ظن وضعه ولم يبين حاله اندرج في جملة الكذابين لاعانته المفتري على نشر فريته فيشاركه في الاثم كمن أعان ظالما ولهذا بعض التابعين كان يهاب الرفع ويوقف قائلا الكذب على الصحابي أهون (وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين) أي محلوف يمين (بآثم) وانما قال على يمين تنزيلا للحلف منزلة المحلوف اتساعا (ليقتطع بها) أي بسبب اليمين (مال امرئ مسلم) قيدا اتفاقي لا احترازي فالذمي كذلك بل حقه أوجب رعاية لامكان ان يرضي الله المسلم المظلوم يوم الجزاء برفع درجاته فيعفو عن ظالمه والكافر لا يصلح لذلك (بغير حق) شرعي بان يكون كذبا وزورا (لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان) فيعامله معاملة المغضوب عليه فلا ينظر اليه ولا يكلمه أو وهو عليه غضبان أي مريد العقوبة واذا لقيه وهو يريدها جاز بعد ذلك ان يرفع عنه بشرط ان لا يكون متعلق ارادته عذاب واصب فان ما تعلق به وصف الارادة لا بد من وقوعه وغفران الجرائم أصل من أصول الدين اما بالموازنة أو بالطول المحض والتنوين في غضبان للتهويل والاشارة الى عظم هذه الجريمة قال العراقي متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ قلت ولفظهما من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهكذا رواه الطيالسي في مسنده وعبد الرزاق في المصنف وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان من حديث الاشعث بن قيس وابن مسعود معا وذلك ان ابن مسعود لما ذكر ذلك في مجلسه دخل الاشعث فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قالوا كذا وكذا قال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل مخاصمة فخاصمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل لك بينة قلت لا قال فيمينه قلت اذا يحلف فقال عند ذلك فذكره فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الآية ورواه أحمد والطبراني وأبو نعيم من حديث معقل بن يسار ورواه الطبراني أيضا من حديث وائل بن حجر وروى الحاكم وحده من حديث الاشعث بن قيس بلفظ من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم وهو فاجر لقي الله تعالى وهو أجذم ورواه هو والطبراني أيضا من حديثه بلفظ من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان عفا عنه أو عاقبه وروى الشافعي في سننه تخريج الطحاوي والبزار من حديث معبد بن كعب عن أبيه بلفظ من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان قيل يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان سواكا من أراك ورواه ابن عساكر من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ وروى عبد الرزاق وأحمد والحاكم والطبراني من حديث عمران بن حصين بلفظ من حلف على يمين مصبورة بالله كاذبا متعمدا ليقتطع بها مال امرئ مسلم فليتبوأ مقعده من النار وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي موسى بلفظ من حلف على يمين يريد أن يقتطع بها حق أخيه ظالما لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزكه وله عذاب أليم وروى أحمد وعبد بن حميد والنسائي والطبراني والبيهقي من حديث عدي بن عميرة الكندي

والطبرانى وحده من حديث العرس بن عميرة بلفظ من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقى الله وهو عليه غضبان ورواية حق امرئ أحق بالترجيح من رواية مال امرئ لعمومها وشمولها غير المال كحد قذف ونصيب زوجة فى قسم ونحو ذلك وقوله وهو فيها فاجر أقام الفجور مقام الكذب ليدل على انه من أنواعه ورواية لقى الله أجذم وكذا فليتبوأ مقعده من النار خرج مخرج الزجر والمبالغة فى المنع والمقام يقتضى التأكيد اذ مرتكب هذه الجريمة قد بلغ فى الاعتداء الغاية حيث اقتطع حق امرئ لا تعلق له به واستخف بحرمة الاسلام ومع ذلك فلا يجرى على ظاهره وفيه ان اقتطاع الحق يوجب دخول النار الا أن يبرئ صاحب الحق أو يعفو الحق (وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل فى كذبة كذبها) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل اهـ قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا أبو حذيفة الفزارى حدثنا عبد الرحمن بن مسعود الزجاج الموصلى عن معمر عن موسى بن شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل فى كذبة قال الحافظ فى التهذيب موسى بن شيبة أو ابن أبى شيبة مجهول روى له أبو داود فى المراسيل وقال الذهبى فى الكاشف قال أحمد أحاديثه مناكير وقال أبو حاتم صالح روى عنه الجيدى (وقال صلى الله عليه وسلم على كل خصلة يطبع) أى يمكن أن يطبع وهى رواية الجماعة كما سيأتى (أو) قال (يطوى) وهى رواية حديث أبى مسعود (عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) فلا يطبع عليهما وانما يحصل ذلك بالتطبع ولهذا صح سلب الايمان عنه فى قوله لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا معارضة بين استثناء الخصلتين هنا وخبر من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق لان خلف الوعد داخل فى الكذب والفجور من لوازم الخيانة قال العراقى رواه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى أمامة ورواه ابن عدى فى مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأبى أمامة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطنى فى العلل اهـ قلت ورواه أيضا أبو يعلى فى المسند والضياء فى المختارة من حديث سعد بلفظ كل خلة يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ورواه البزار من حديثه بلفظ يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب ورواه الدارقطنى فى الافراد وابن عدى والبيهقى وابن النجار من حديثه بلفظ يطبع المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب ورواه البيهقى من حديث ابن عمر بلفظ يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب ورواه الطبرانى كذلك ورواه أحمد من حديث أبى أمامة يطبع الله على الخلال كلها الا الخيانة والكذب وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا داود بن رشيد حدثنا على بن هاشم سمعت الاعمش ذكره عن أبى اسحق عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل خلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وهذا أشبه بسياق المصنف ثم قال وحدثنا أحمد بن جميل أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا سفيان وشعبة عن سلمة بن كهيل عن مصعب بن سعد عن سعد قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب قال وأنبأنا أحمد بن جميل أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال كل الخلال يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب قال الحافظ السخاوى فى المقاصد وأمثلها حديث سعد لكن ضعف البيهقى رفعه وقال الدارقطنى الموقوف أشبه بالصواب اهـ ومع ذلك فهو مما يحكم له بالرفع على الصحيح لكونه مما لا مجال للرأى فيه (وقالت عائشة) رضى الله عنها (ما كان من خلق أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذبة فما تنحل من صدره حتى يعلم انه قد أحدث لله عز وجل منها توبة) قال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات الا انه قال عن ابن أبى مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ فى طبقات الاصبهانيين فقال عن

ابن

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع الرجل من أصحابه على الكذبة فما ينجلى من صدره حتى يعلم انه قد أحدث توبة لله عز وجل منها

وقال موسى عليه السلام يارب أي عبادك خير لك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يابني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه * وقال عليه السلام في مدح الصدق أربع اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح

ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح اهـ قلت وأخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد أنبأنا نصر بن طريف الباهلي حدثنا ابراهيم بن ميسرة عن عبيد بن سعد عن عائشة قالت ما كان فذكره (وقال موسى عليه السلام يارب أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي أنبأنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا الفضيل عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن ثروان بن قيس عن هذيل بن شرحبيل قال قال موسى عليه السلام رب أي عبادك فساقه (وقال لقمان) لابنه (يابني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن عبد الله أنبأنا اسمعيل بن ابراهيم عن يونس عن الحسن قال قال لقمان لابنه فساقه (وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق أربع) خصال (اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا) أي لا بأس عليك وقت فوت الدنيا ان حصلت هذه الخلال (صدق حديث) أي ضبط اللسان وعفته عن الكذب والبهتان (وحفظ أمانة) بان يحفظ جوارحه وما ائتمن عليه (وحسن خليقة) بان يكون حسن العشرة مع الناس (وعفة طعمة) بان لا يطعم حراما ولا ما قوي فيه الشبهة ولا يزيد على الكفاية حتى من الحلال ولا يكثر الاكل وأطلق الامانة لتشيع في جنسها فيراعي أمانة الله في التكاليف وأمانة الخلق في الحفظ والاداء قال العراقي رواه الحاكم والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة اهـ قلت قال الخرائطي حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن أبي الزرقاء حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره مثل سياق المصنف ورواه كذلك الطبراني في الكبير ورواه أحمد والطبراني أيضا والبيهقي من حديث ابن عمر بلفظ صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق وعفة مطعم وفي سند البيهقي شعيب بن يحيى قال ابن أبي حاتم ليس بمعروف وقال الذهبي بل ثقة عن ابن لهيعة وفيه ضعف ورواه ابن عدي وابن عساكر من حديث ابن عباس قال الهيثمي اسناد أحمد والطبراني حسن وقال المنذري رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي باسانيد حسنة (وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى) أبو بكر (وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة) واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أوسط بن اسمعيل البجلي وقد تقدم الكلام عليه في أول هذه الآفة وقد روي نحو ذلك من قول ابن مسعود قال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة أخبرني عمرو بن مرة سمعت مرة الهمداني قال كان عبد الله يقول عليكم بالصدق فانه يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ويثبت البر في قلبه فلا يكون للفجور موضع ابرة يستقر فيها وقد روي ذلك مرفوعا قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا *(تنبيه)* ايراد المصنف هذا هنا وفيما تقدم يوهم ان ذلك الكلام مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام أبي بكر رضي الله عنه لان ضمير ثم بكى وقال يرجع اليه لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو ذكره في الآثار كان أليق (وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم قلت رواه من طريق اسمعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك على اليمن .فذكر الحديث وفيه فقال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح وبذل السلام ولين

الكلام ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل الحديث بطوله وأخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق مختصرا من طريق عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال لى أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار و رواه فى موضع آخر بمثل سياق المصنف (وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا) أى الذنوب الصادرة عن عمد يقال خطئ اذا أذنب متعمدا ذكره الزمخشرى (عند الله اللسان الكذوب) أى الكثير الكذب لان اللسان أكثر الاعضاء عملا (وشر الندامة ندامة يوم القيامة) أخرجه ابن أبى الدنيا عن عبد العزيز بن بحر أنبأنا أبو عقيل عن محمد بن نعيم مولى عمر بن الخطاب عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن جده على رضى الله عنه قال أعظم الخطايا فساقه قلت الجملة الاولى من الاثر قد رويت مرفوعة أخرجه أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث طويل ومن طريقه الديلمى من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أعظم الخطايا اللسان الكذوب وفيه الحسن بن عمارة قال الذهبى هو متروك بالاتفاق وأخرجه ابن عدى فى الكامل عن يعقوب بن اسحق حدثنا أحمد بن الفرج عن أيوب بن سويد عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن ابن عباس قال كان من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال ابن عدى تفرد به أيوب عن الثورى ثم قال وحدثنا محمد بن أحمد الوراق حدثنا موسى بن سهل النسائى عن أيوب بن سويد عن المثنى بن صباح عن عمرو بن شعيب عن طاوس عن ابن عباس ثم قال وهذا انما يرويه أيوب بهذا الاسناد وأخرجه ابن أبى الدنيا أيضا من قول عبد الله يعنى ابن مسعود قال حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان حدثنى عبد الرحمن بن عابس حدثنى ناس من أصحاب عبد الله عن عبد الله انه كان يقول فى خطبته شر الروايا روايا الكذب وأعظم الخطايا اللسان الكذوب (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (ما كذبت كذبة منذ شددت على ازارى) أخرجه ابن أبى الدنيا عن محمد بن ادريس حدثنا محمد بن خالد النبلى حدثنا الوليد بن مسلم عن مالك بن أنس قال قال عمر بن عبد العزيز فذكره (وعن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) قال (أحبكم الينا مالم نركم أحسنكم أسماء فاذا رأيناكم فاحبكم الينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة) أخرجه ابن أبى الدنيا عن محمد بن ادريس حدثنا محمود بن خالد حدثنا أبى حدثنى عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت قال قال عمر فذكره (وعن ميمون بن أبى شبيب) الربعى الكوفى كنيته أبو نصر صدوق كثير الارسال مات سنة ثلاث وثلاثين فى وقعة الجماجم روى له البخارى فى الادب المفرد والاربعة (قال قعدت أكتب كتابا فمررت بحرف ان أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنادانى مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أخرجه ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن عمر بن محمد القرشى وعبد الرحمن بن صالح العتكى قالا حدثنا حسين الجعفى عن الحسن بن الحر عن ميمون بن أبى شبيب قال قعدت فذكره وزاد فى آخره قال وتهيأت للجمعة فى زمن الحجاج فجعلت أقول اذهب لا أذهب فنادانى مناد من جانب البيت يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله قال فذهبت قلت و رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى قال حدثنا الحسين بن على الجعفى عن الحسن بن الحر عن ميمون بن أبى شبيب قال جلست مرة أكتب كتابا قال فعرض لى شئ اذا أنا كتبته فى كتابى زين كتابى وكنت قد كذبت وان أنا تركته كان فى كتابى بعض القبح وكنت قد صدقت قال فقلت مرة أكتبه وقلت مرة لا أكتبه قال فاجمع رأيى على تركه فنادانى مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا الآية ثم ذكر القول الثانى بهذا الاسناد (وقال) عامر بن شراحيل (الشعبى) رحمه الله

تعالى

وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازارى وقال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا مالم نركم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحبكم الينا أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فأحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبى شبيب قال جلست أكتب كتابا فاتيت على حرف ان أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقال الشعبى

تعالى (ما أدرى أيهما أبعد غورا فى النار الكذب أو البخل) أخرجه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن ابراهيم أنبانا جرير عن بيان عن الشعبي فذكره (وقال) محمد بن صبيح (بن السماك) البغدادي الواعظ (ما أرانى أوجر) أى أثاب (على ترك الكذب لانى انما أدعه) أى أتركه (انفة) أخرجها ابن أبي الدنيا عن هرون بن سفيان حدثنا عبد الله بن صالح العجلي سمعت ابن السماك يقول فذكره وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبيه عن أبي الحسن بن أبان عن ابن أبي الدنيا بهذا الاسناد (وقيل لخالد بن صبيح) أرأيت (من يكذب) كذبة (واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي سمعت رافع بن أشرس قال قلت لخالد بن صبيح فذكره (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري التابعي رحمه الله تعالى (قرأت فى بعض الكتب مامن خطيب) يخطب (الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا) بان كان عمله موافقا لقوله (صدق وان كان كاذبا قرضت) أى قطعت (شفتاه بمقراضين من نار) وانما ثناهما لكونهما قطعتان ركبتا بمسمار واحد ولذلك يسمى المقراض الجلمان (كلما قرضتا نبتتا) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن العباس الباهلي حدثنا مرحوم بن عبد العزيز سمعت مالك بن دينار يقول قرأت فذكره وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا الحسين بن محمد بن العباس الزجاج الفقيه الآملي حدثنا اسحق بن ابراهيم الحدادي واحمد بن محمد اللآلى قالا حدثنا ابو حاتم حدثنا عباس بن مرحوم حدثنا أبي قال سمعت مالك بن دينار يقول مامن خطيب يخطب فذكره وليس فيه قرأت فى بعض الكتب وقد روى مالك بن دينار بعض ذلك عن الحسن مرسلا قال ابن أبي الدنيا حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة ما أردت بها قال فكان مالك اذا حدث بهذا بكى ثم يقول أتحسبون ان عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم ان الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به انت الشهيد على قلبي لو أعلم انه أحب اليك لم أقرأ على اثنين أبدا وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق المغيرة بن حبيب وصدقة ابن موسى كلاهما عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس رفعه أتيت ليلة أسرى بى الى السماء فاذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هم خطباء من أمتك هذا لفظ حديث المغيرة ولفظ حديث صدقة أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون وأخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس حدثنا عبدان أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا حماد ابن سلمة عن على بن زيد سمعت أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه نحوه (وقال مالك ابن دينار) رحمه الله تعالى (الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أسد بن عمار التميمي حدثنا سعيد بن عون البصري حدثنا جعفر سمعت مالك بن دينار يقول فذكره (وكلم عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (الوليد) بن عبد الملك بن مروان (فى شئ فقال له الوليد كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن أبي عمر المكي وسفيان بن وكيع قالا حدثنا ابن عيينة عن رجل قال قال سفيان عن الماجشون قال كلم عمر ابن عبد العزيز فساقه وقد بقيت آثار هى على شرط المصنف فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه أيها الناس اياكم والكذب فانه مجانب الايمان رواه أحمد وابن أبي شيبة عن وكيع ورواه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن اسمعيل عن سفيان كلاهما عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه هكذا موقوفا عليه وروى مرفوعا وهكذا رواه يحيى بن عبد الملك وجعفر الاحمر وعمر بن ثابت كلهم عن اسمعيل قال الدارقطني فى العلل الموقوف أشبه بالصواب وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فى خطبته ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك ورواه الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبي

ما أدرى أيهما أبعد غورا فى النار الكذب أو البخل وقال ابن السماك ما أرانى أوجر على ترك الكذب لانى انما أدعه أنفة وقيل لخالد ابن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت فى بعض الكتب مامن خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك ابن دينار الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك فى شئ فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

هريرة قال كان عمر فذكره وقال أيضا لا تجد المؤمن كذابا رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق حسان بن عطية عنه وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ان المبارز لله تعالى بالمعصية لمن حلف باسمه كاذبا وان الكذبة لتفطر الصائم ورواه ابن أبي الدنيا من طريق المسعودي عن رجل من بني أسد قال قال ابن مسعود فذكره وقال ابراهيم النخعي كانوا يقولون ان الكذب ليفطر الصائم ورواه ابن أبي الدنيا من طريق الاعمش عنه وقال مطرف بن طريف ما أحب اني كذبت وان لي الدنيا وما فيها رواه سفيان الثوري عنه وقال يزيد بن ميسرة ان الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر وقال الحسن البصري الكذب جماع النفاق وقال شقيق بن سلمة قال أخي عبدالرحمن بن سلمة ما كذبت منذ أسلمت الا ان الرجل يدعوني الى طعامه فاقول ما أشتهيه فعسى أن يكتب وقال الاحنف بن قيس ما كذبت منذ أسلمت الا مرة واحدة فان عمر سألني عن ثوب بكم أخذته فاسقطت ثلثي الثمن وقال اسمعيل بن عبيدالله المخزومي أمرني عبد الملك بن مروان ان أجنب بنيه الكذب وان كان فيه يعني القتل وقال سفيان بن عيينة حدثني رجل قال حدثت سليمان بن علي بحديث فقال لي كذبت قال فقلت ما يسرني اني كذبت وان لي ملء بيتك هذا ذهبا قال فانكسر عني وقال الشعبي من كذب فهو منافق وقال الاعمش لقد أدركت قوما ولم يتركوا الكذب الاحياء لتركوه وقال ابن المبارك أول عقوبة الكاذب من كذبه انه يرد عليه صدقه وقال أبو بكر بن عياش اذا كذبني الرجل كذبة لم أقبل منه بعدها وقال رافع بن أشرس كان يقال ان من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه قال وأنا أقول ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه وقال مسروق ليس شئ أعظم عند الله من الكذب وقال لقمان لابنه يابني من ساء خلقه عذب نفسه ومن كذب ذهب جماله وكل ذلك في كتاب الصمت

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

قال أبو بكر بن الانباري الكذب ينقسم الى خمسة أقسام أحدها تغيير الحاكي ما يسمع بقوله ما لا يعلم نقلا ورواية وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة والثاني هو أن يقول قولا يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد الا الحق ومنه الخبر كذب أبي ثلاث كذبات في قوله اني سقيم وفي قوله بل فعله كبيرهم هذا وفي قوله سارة أختي فتأويل هذا القول أي قال قولا يشبه الكذب وهو صادق في الكلمات الثلاث والثالث يقال كذب بمعنى أخطأ والرابع يقال كذب الرجل بمعنى بطل أمله وما رجاه ومنه قول الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * مغالبة ما دام للسيف قائم

أي كذبكم أملكم وبطل تقديركم والخامس يطلق الكذب ويراد به الاغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشئ المذكور كقول العرب كذب عليك العسل يريدون كل العسل تلخيصه أخطأ تارك العسل ورافضه فغلب المضاف اليه على المضاف قال عمر رضي الله عنه كذب عليكم الحج معناه الزموا الحج هذا خلاصة ما ذكره في هذه المسئلة والمشار اليه من قبل اعتوار الاحكام الشرعية عليه من الحرمة والاباحة هو القسم الاول منها وقد أشار اليه المصنف فقال (اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر) الحاصل (على المخاطب وعلى غيره) اما في الحال أو في المآل (فان أقل درجاته ان يعتقد المخبر) الذي أخبر بالقول (الشئ على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل) بالشئ (فيه منفعة ومصلحة) له أو لغيره (فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه) نظرا لتلك المنفعة والمصلحة (وربما كان) الكذب (واجبا) اذا وقع في تركه ما هو أفحش منه (قال ميمون بن مهران) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبدالعزيز (ان الكذب في بعض المواطن خير أرأيت لو ان رجلا سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن علية عن سوار بن عبدالله قال نبئت ان ميمون بن مهران قال وعنده رجل من قراء أهل الشام ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق فقال الشامي لا الصدق

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشئ على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب

فى كل موطن خير قال أرأيت لو رأيت رجلا يسعى وآخر تبعه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رأيت الرجل ما كنت قائلا قال كنت أقول لا قال فهو ذاك (فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد) أى يتوصل به الى تحصيلها سواء كانت دنيوية او أخروية وسواء كانت محمودة أومذمومة (فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام) قولا واحدا (وان أمكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه) حينئذ (مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم) وكذا عصمة ماله وعرضه (واجب فمهما كان فى الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم) يريد قتله أو أخذ ماله أو هتك عرضه وكذا فى الستر على عورة أخيه اذا سئل (فالكذب فيه واجب) ويدل على ذلك قول ميمون بن مهران السابق (ومهما كان لا يتم مقصود حرب) مع العدو (أو اصلاح ذات البين) بين رجلين أو بين رجل وامرأة أو بين طائفتين (أو استمالة قلب المجنى عليه) وكذا الحديث مع المرأة (الا بكذب فالكذب) حينئذ (مباح الا انه ينبغى أن يحترز عنه) أى عن الكذب (ما أمكن) له ذلك (لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى) ويتسبب (الى ما يستغنى عنه والى مالا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما فى الأصل الا لضرورة) عارضة (فالذى يدل على الاستثناء) أى الاخراج عن حد الحرمة (ما روى عن أم كلثوم) بنت عقبة بن أبى معيط أخت الوليد وأخت عثمان لامه صلت القبلتين وهاجرت الى المدينة ماشية عام الحديبية وفيها نزلت آية الامتحان فتزوجها زيد بن حارثة ثم الزبير ثم عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم وحميدا ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فماتت بعد شهر روى لها البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث) مواطن (الرجل يقول القول يريد) به (الاصلاح) أى اصلاح ذات البين (والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها) رواه مسلم فى صحيحه وقد تقدم وعند ابن جرير لا يصلح الكذب الا فى احدى ثلاث الرجل يصلح بين الرجلين وفى الحرب والرجل يحدث امرأته ورواه ابن جرير أيضا من حديث أبى الطفيل بلفظ رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين ورجل كذب فى خديعة حرب فان الحرب خدعة ورواه أبو عوانة من حديث أبى أيوب بلفظ لا يحل الكذب الا فى ثلاثة الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك والرجل يمشى بين رجلين يصلح بينهما والحرب خدعة (وقالت أم كلثوم) أيضا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أونمى خيرا) بتخفيف الميم وتشديدها أى رفع خبرا رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن جرير من طريق حميد بن عبد الرحمن عن أم كلثوم ولفظهم ليس الكذاب بالذى يصلح بين الناس فينمى خيرا او يقول خيرا وقد تقدم هذا الحديث وقال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن جميل أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا يونس عن الزهرى أنبأنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان أمه وهى أم كلثوم بنت عقبة أخبرته انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيقول خيرا وينمى خيرا قال ابن شهاب فلم أسمع يرخص فيما يقول الناس كذب الا فى ثلاث الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها (وقالت أسماء بنت يزيد) بن السكن الانصارية بنت عمة معاذ روى لها الاربعة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين) بينهما احن وفتن (يصلح بينهما) فلا يكتب عليه فى ذلك اثم قال العراقى رواه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه اه قلت ورواه ابن أبى الدنيا عن داود بن عمرو الضبى حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال أيها الناس ما يحملكم على ان تتابعوا كما تتابع الفراش فى النار كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاث خصال رجل كذب امرأته

فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان فى الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه الا بكذب فالكذب مباح الا أنه ينبغى أن يحترز منه ما أمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى مالا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة والذى يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقال أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أونمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما

وروى عن أبي كاهل قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو أي بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أأكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وروى ان ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله ابن الارقم حتى أتى به الى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال انكم لتحدثون اني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الارقم فسأله فأخبره فأرسل الى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدني فتحرجت ان أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة الا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها

ليرضيها أو رجل كذب بين امرأين ليصلح بينهما أو رجل كذب في خديعة الحرب وأخرجه ابن عدي في الكامل بمثل ذلك وأخرجه الترمذي وحسنه بلفظ لا يصلح الكذب الا في ثلاث حديث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب يصلح بين الناس ورواه ابن جرير وابن النجار بهذا اللفظ من حديث عائشة (وروى عن أبي كاهل) الاحمسي اسمه قيس بن عائذ وقيل عبد الله بن مالك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه اسمعيل بن أبي خالد بواسطة أخيه وبغير واسطة وكان امام الحي ومات في زمن المختار قال الحافظ في الاصابة وفي الصحابة رجل آخر أبو كاهل غير منسوب له حديث طويل أخرجه أبو أحمد الحاكم (قال وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما) أي تقاطعا (فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان وقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت) له (مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي) بالكذب (وأصلحت بين اثنين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو يعني بالكذب) قال العراقي رواه الطبراني ولم يصح اهـ قلت ولفظه ولو بكذا وكذا يعني الكذب (وقال عطاء بن يسار) أبو محمد الهلالي المدني ثقة روى له الجماعة (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أأكذب أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها) وعدا (وأقول لها) كذا وكذا أمنيها (قال لا جناح عليك) وهذا مرسل قال العراقي رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (وروى ان ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر) رضي الله عنه (يخلع النساء اللاتي يتزوجهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة) أي سيرة يتناقلونها (يكرهها) حين يسمعها (فلما علم بذلك قام بعبد الله بن أرقم) بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة الزهري أسلم عام الفتح وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وولي بيت المال لعمر ولعثمان يسيرا وكان من خيار عباد الله روى عنه عروة (حتى أدخله بيته فقال لامرأته أنشدك الله) أي أسألك بالله (هل تبغضيني قالت لا تنشدني) أي لا تحلفني (قال فاني أنشدك بالله قالت له نعم) أبغضك (فقال لابن أرقم أتسمع) ما قالت (ثم انطلق الى عمر) رضي الله عنه أي هو وزيد بن أرقم (فقال) ابن أبي عذرة (انكم لتحدثون اني أظلم النساء فأخلعهن فسل ابن أرقم) ما جرى (فسأله عمر فأخبره الخبر فأرسل الى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت وعمتها) أي مع عمتها (فقال أنت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدني) أي حلفني بالله (فتحرجت أن أكذب) أي خفت أن أقع في الاثم ان كذبت (أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن) يا معشر النساء (لا تحب أحدنا) معشر الرجال (فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب) أخرجه الذهبي والاسماعيلي في مناقب عمر (وعن النواس بن سمعان) ابن خالد العامري (الكلابي) رضي الله عنه (قال مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش) أي تتساقطون فيه تساقط هذا الحيوان الذي يرمي نفسه (في النار) أي على ضوئها (كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا أن يكذب الرجل في الحرب) فانه لا يكتب عليه اثم في ذلك (فان الحرب خدعة) بل قد يجب اذا دعت اليه ضرورة أهل الاسلام (أو يكون بين رجلين) أو قبيلتين أو بين رجل وامرأته (شحناء) أي عداوة واحن (فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها) أي عنهما وبعدها الترضي فالكذب في هذه الاحوال غير محرم بل قد يجب قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وفيه انقطاع وضعف اهـ

قلت

وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلان أخر من السماء أحب الي من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى فالرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها أحب اليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق أولى لان الكذب يباح لضرورة أو حاجة

قلت ورواه أيضا الطبراني وابن السني في اليوم والليلة والخرائطي في مكارم الاخلاق بنحوه (وقال ثوبان) رضي الله عنه (الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم أو دفع عنه) به ضر وقال اياس بن معاوية الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه فاما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بلية أو يجر الى نفسه بها معروفا فليس عندي بكذاب أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان أخر) أي أسقط (من السماء) الى الارض (أحب الي من ان أكذب عليه) فان كذبا عليه ليس ككذب على أحد (واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم) أي في المحاورات (فالحرب خدعة) وقد تقدم تحقيق هذه اللفظة في كتاب العلم وتقدم بيان قول علي رضي الله عنه في كتاب الحلال والحرام (فهذه) الخصال (الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها) أي انها حكمها في ان يستثنى من التحريم (اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره) من اخوانه المسلمين (أما ماله فمثل ان يأخذه ظالم) فيعذبه ويهدده (ويسأله عن ماله) أين وضعه (فله أن ينكره) ويقول لا أدري وليس عندي مال (أو يأخذه السلطان ويسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات) جمع قاذورة وهي كل قول أو فعل يستفحش ويستقبح وقيل المراد هنا الفاحشة يعني لان سبب الحديث انه ذكره لما رجم ماعزا سميت قاذورة لان حقها ان تتقذر فوصفت بما يوصف به صاحبها (فليستتر بستر الله) أي لا يخبر بذلك الناس وفي معناه قول العامة اذا بليتم فاستتروا قال العراقي رواه الحاكم من حديث ابن عمر اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشئ منها فليستتر بستر الله واسناده جيد اه قلت وتمامه وليتب الى الله فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله قال الحاكم على شرطهما وتعقبه الذهبي فقال غريب جدا لكنه قال في المهذب اسناده جيد وصححه ابن السكن وذكره الدارقطني في العلل وصحح ارساله وقول ابن عبد البر لا نعلمه بوجه من الوجوه قال الحافظ ابن حجر مراده من حديث مالك ولما ذكر امام الحرمين هذا الحديث في النهاية قال صحيح متفق على صحته فتعجب منه ابن الصلاح وقال أوقعه فيه عدم المامه بصناعة الحديث التي يفتقر اليها كل عالم (وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى) بل أعظم من الاولى (فالرجل أن يحفظ دمه) عن السفك (وماله) عن السلب (الذي يؤخذ ظلما) وعدوانا (وعرضه) عن الهتك (بلسانه وان كان كاذبا) في قوله (واما عرض غيره فبان يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره) ولا يقر ولا يفشيه (و) له (أن يصلح بين اثنين) متخاصمين (وأن يصلح بين الضرات من نسائه) جمع الضرة على القياس وهي امرأة زوجها ويجمع أيضا على الضرائر مثل كريمة وكرائم ولا يكاد يوجد لها نظير (بان يظهر لكل واحدة) منهن (انها أحب) النساء (اليه) لتسكن بذلك (أو كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد بما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها) وجبرا لخاطرها (أو يعتذر الى انسان وكان) ممن (لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد) مع وجود ذنب وقلة ود (فلا بأس به) أي يباح له ذلك (ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط) أي العدل (فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعا في الشرع) بان يترتب عليه اختلال شئ من أموره الظاهرة وأعظم تأثيرا (من الكذب فله الكذب) حينئذ (وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق) مراعاة للاصل ويلغى النظر الى ذلك المقصود (وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه) أي يستوي طرفاه ولا بد من الترجيح (وعند ذلك الميل الى الصدق أولى لان الكذب) من أصله قبيح وانما قلنا انه (مباح لضرورة دعت أو حاجة

مهمة) أات (فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم) فيه (فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد) وخفائه فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات والحالات (فينبغي ان يحترز الانسان عن الكذب ما أمكنه) لان الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى (ولذلك) قالوا (مهما كانت الحاجة له) أى لنفسه خاصة (فيستحب له ان يترك أغراضه ويهجر الكذب) ويختار الصدق (وأما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به) لان حقه آكد والمراعاة فيه مطلوبة والاضرار حرام (وأكثر كذب الناس انما هو لحظوظ أنفسهم) أى لاجل تحصيلها لهامن حيث كانت (ثم هو لزيادات المال والجاه) وتكثير الحشم والخدم والتبسط فى أمور الدنيا (ولامور) اخر (ليس فواتها محذورا شرعيا (حتى ان المرأة لتحكى عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب) فى تعبيرها (لاجل مراغمة الضرات) وكسر قلبهن (وذلك حرام قالت أسماء) بنت أبى بكر الصديق زوجة الزبير رضى الله عنهم وأمها قتيلة بنت عبد العزى من بنى عامر بن لؤى أسلمت قديما بمكة قال ابن اسحق بعد سبعة عشر نفسا وهاجرت وهى حامل من الزبير بولده عبد الله فوضعته بقباء وعاشت الى ان ولى ابنها الخلافة ثم الى ان قتل وماتت بعده بقليل وكانت تلقب ذات النطاقين وروت عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث وهى فى الصحيحين وفى السنن روى عنها ابناها عبد الله وعروة واحفادها عباد بن عبد الله وعبد الله بن عروة وفاطمة بنت المنذر بن الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومولاها عبد الله بن كيسان وابن عباس وصفية بنت شيبة وابن أبى مليكة ووهب ابن كيسان وغيرهم وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل (سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لى ضرة) وهى امرأة زوجها (وانى أتكثر من زوجى بما لا يفعل) فاقول أعطانى وكسانى كذا وهو كذب (أضارها بذلك) أى أطلب مضرتها والمضارة تكون من الجانبين (فهل على فيه شئ فقال المتشبع) متفعل من الشبع وصيغة التفعل للتكلف ومعناه المتكلف الاسراف فى الاكل وزيادة على الشبع أو المراد المتشبه بالشبعان وليس به (بما لم يعط) وفى رواية للعسكرى بما لم ينل وكلاهما بالبناء للمجهول (كلابس ثوبى زور) أى ذى زور وهو من يزور على الناس فيلبس لباس ذوى التقشف وليس هو بذلك وأضاف الثوبين الى الزور لانهما لبسا لاجله وثنى باعتبار الرداء والازار يعنى ان المتحلى بما ليس له كمن لبس ثوبين من الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر وقيل المراد بثوبى زور من يصل بكميه كمين ليرى انه لابس قميصين أو من يلبس ثوبين لغيره موهما انهما له وكيفما كان فيتحصل منه ان تشبع المرأة على ضرتها بما لم يعطها زوجها حرام وهذا من بديع التشبيه وبليغه قال العراقى متفق عليه من حديث أسماء اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود ورواه مسلم أيضا من حديث عائشة بهذه القصة ورواه العسكرى فى الامثال من طريق ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعا وفى الباب سفيان بن الحكم الثقفى وجابر (وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال) هذا (لى وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ قلت ولكن معناه صحيح وروى العسكرى فى الامثال من طريق أيوب بن سويد عن الاوزاعى عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا من تحلى بباطل كان كلابس ثوبى زور وفى معناه ما رواه الديلمى من حديث ابن عباس من تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله عز وجل (ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لم يتحققه) من نفسه (وروايته الحديث الذى ليس يتثبت فيه) لعدم تمكنه فى صناعته (اذ غرضه) من افتائه وتحديثه (ان يظهر فضل نفسه) على غيره (فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى وهذا حرام) ويلتحق به الانتصاب للتدريس والافادة فى العلوم الظاهرة أو الباطنة من غير تمكنه من الاهلية فانه لعب فى الدين وازراء به قال الشبلى من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه وفى المشهور على الالسنة من استعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه (ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا كان لا يرغب فى المكتب الا بوعد)

مهمة فان شك فى كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغى أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة فيستحب له أن يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضراربه وأكثر كذب الناس انما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكى عن زوجها ما تفتخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل أضارها بذلك فهل على شئ فيه فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا يطعم أو قال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذى لا يثبته اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا كان لا يرغب فى المكتب الا بوعد ... بشئ ...

أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم ر و ينافي الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه و يطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما أبيح بقصد الاصلاح و يتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لاجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه الا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى الى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى و يؤدي فتح بابه الى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين.

بشيء (أو وعيد وتخويف كان ذلك مباحا) وان كان كذبا في نفسه (نعم ر و ينافي الاخبار ان ذلك يكتب كذيبة) تصغير كذبة في ذلك ما روى من حديث ابن مسعود مرفوعا وموقوفا في أثناء حديث طويل وان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا يعد أحدكم صبيا ولا ينجز له ومن حديث أبي هريرة من قال لصبيه ها أعطك فلم يعطه شيأ كتبت كذبة رواهما ابن أبي الدنيا في الصمت (ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب) في صحيفة أعماله (و يحاسب عليه و يطالب بتصحيح قصده) وحسن نيته (فيه ثم يعفى عنه) بمحض فضله (لانه انما أبيح بقصد الاصلاح و يتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب) ومن ثم شدد فيه فقال ابن مسعود والذي نفسي بيده ما أحل الله الكذب في جد ولا هزل قط اقرؤا ان شئتم اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الاعمش ذكرت لابراهيم حديث أبي الضحى عن مسروق انه رخص في الكذب في الاصلاح بين الناس فقال ما كانوا يرخصون في الكذب في جد ولا هزل وقال عبد الله بن عون ذكر عند محمد بن سيرين انه يصلح الكذب في الحرب فانكر ذلك وقال ما أعلم الكذب الا حراما (وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له) أي لاجل تحصيله (هل هو أهم في الشرع من الصدق) وآكد (أم لا وذلك غامض) أي خفي (جدا فالحزم) كل الحزم (في تركه) من أصله (الا أن يصير واجبا) عليه (بحيث لا يجوز تركه كما) اذا كان الصدق (يؤدي الى سفك دم) أخيه بغير وجه شرعي (وارتكاب معصية كبيرة يتسبب منها الانحلال عن ربقة الدين كيف كان) وهذا هو التحقيق في هذا المقام (وقد ظن ظانون) من الكرامية ومن تبعهم من غيرهم من جهلة المتصوفة والقصاص (انه يجوز وضع الاخبار) على رسول الله صلى الله عليه وسلم (في) الترغيب مثل (فضائل الاعمال) من صلاة وصوم في ساعات مخصوصة وأيام مخصوصة وكذا فضائل القرآن (وفي) الترهيب مثل (التشديد في المعاصي) والزجر عنها (وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض) وشذوذ عن طريق الاستقامة بل غباوة ظاهرة وجهالة متناهية قال ابن جماعة وغيره وهؤلاء أعظم الاصناف ضررا وأكثرهم خطرا اذ لسان حالهم يقول الشريعة محتاجة لكذا فنكملها (اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي) أي أخبر عني بشيء خلاف ما هو عليه (متعمدا) أي قاصدا ذلك عن عمد (فليتبوأ) أي ليتخذ (مقعده من النار) أمر بمعنى الخبر أو بمعنى التهديد أو بمعنى التهكم أو دعاء عليه اي بوأه الله ذلك أو خبر بلفظ الامر ومعناه استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه والمراد ان هذا جزاؤه وقد يغفر له أو الامر على حقيقته والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالبواء قال الحافظ ابن حجر وأول الوجوه أولاها أخرج هذا الحديث الائمة الستة في كتبهم من طرق متعددة تقدم ذكرها تفصيلا في كتاب العلم فراجعه وقال ابن الصلاح ليس في مرتبته من التواتر غيره وخرج بقوله متعمدا ما اذا كان عن ذهول ونسيان كما وقع لبعض الثقات فان هذا ليس بكذب عليه (وهذا لا يترك الا لضرورة ولا ضرورة هنا اذ في الصدق مندوحة) أي متسع (عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار) في الترغيب والترهيب (كفاية) ومقنع (عن غيرها) فلا يصار اليه (وقول القائل) منهم (ان ذلك تكرر على الاسماع) وكثر وروده عليها (وسقط وقعه) وملت منه (وما هو جديد) طري لم يسمع (فوقعه) على القلوب (أعظم فهذا هوس) وتخبيط وجهل عظيم (اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى) واذا قيل بذلك على ما زعموا فانه (يؤدي فتح بابه الى أمور تشوش الشريعة) وتقلبها (فلا يقاوم خير هذا) ان فرض انه خير (شره أصلا) واذا فهمت ذلك (فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) هو كذب على الله تعالى وانه (من الكبائر التي لا يقاومها شيء) أي هو من أكبر الكبائر وعليه الاجماع وكون

متعمد الكذب عليه يكفر ذهب اليه الشيخ أبو محمد الجويني كما نقله ابن الجوزي والسيوطي وغيرهما ولكن ضعفه ابنه امام الحرمين كما تقدم ذلك في كتاب العلم مفصلا وروى أحمد من حديث ابن عمر من كذب عليّ فهو في النار وظاهره ولو مرة قال أحمد يفسق وترد شهادته ورواياته كلها ولو تاب وحسنت توبته تغليظا عليه وغالب الكذابين على النبي صلى الله عليه وسلم زنادقة أرادوا تبديل الدين قال حماد وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث والله أعلم واستشكل هذا الحديث بان الكذب معصية مطلقا الا اصلحة والمعاصي متوعد عليها بالنار فما الذي امتاز به عنها الكاذب عليه وأجيب بأن الكذب عليه كبيرة وعلى غيره صغيرة ولا يلزم أن يكون مقر الكاذبين واحدا ويدل لذلك مارواه الطبراني في الكبير وابن مردويه من حديث أبي أمامة من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من بين عيني جهنم قالوا يارسول الله نحدث عنك بالحديث نزيد وينقص قال ليس ذاك أعنيكم انما أعني الذي يكذب عليّ متعمدا يطلب به شين الاسلام قالوا وهل لجهنم عين قال نعم أما سمعتموه يقول اذا رأتهم من مكان بعيد فهل تراهم الا بعينين

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

جمع معراض والمراد به التعريض قال السعد التفتازاني التعريض ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم وقال بعض المتأخرين هو ذكر شئ مقصود بلفظ حقيقي أو مجازي أو كنائي ليدل به على شئ آخر لم يذكر في الكلام نقله المناوي في شرحه وقيل هو ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر كذا في البستان وتحقيقه في قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يتضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما أقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللزوم وارادة اللازم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه طويل القامة ومضياف (وقد نقل عن السلف) قولهم (ان في المعاريض مندوحة) أي سعة وغنية وفسحة (عن الكذب) وهذا قد روى مرفوعا أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق أبي ابراهيم الترجماني حدثنا داود بن الزبرقان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن عمران بن الحصين رضي الله عنه مرفوعا ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب قال ولا أعلم رفعه غير داود ورواه البيهقي وابن السني عنه موقوفا قال البيهقي الصحيح هكذا ورواه الترجماني عن داود بن الزبرقان عن ابن أبي عروبة فرفعه قال الذهبي داود قد تركه أبو داود وقد رواه كذلك البخاري في الادب المفرد (قال عمر رضي الله عنه) في معنى ذلك (في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب) أي يغنيه عنه ويجعله في فسحة منه رواه البيهقي في الشعب من طريق أبي عثمان النهدي عنه بلفظ اما ان في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب ورواه العسكري في الامثال من طريق محمد بن كثير عن ليث عن مجاهد قال قال عمران في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحر عن الكذب (وروى ذلك عن ابن عباس وغيره) من الصحابة رضوان الله عليهم منهم عمران بن حصين فقد روى ذلك من قوله كما في الادب المفرد للبخاري ومنهم من رفعه كما تقدم والموقوف هو الصحيح قاله البيهقي ومنهم علي بن أبي طالب روى عنه موقوفا ومرفوعا (وانما أرادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب) والجئ اليه (فاما اذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون) في الجملة وقال البيهقي بعد ان أورد الحديث المذكور وهذا يجوز فيما يرد به ضررا ولا يضر الغير (ومثال المعاريض ماروى أن مطرفا) هو ابن عبد الله بن الشخير البصري التابعي الثقة العابد تقدم ذكره (دخل على زياد) بن عبيد الله وهو المعروف بابن سمية ولاه يزيد بن معاوية البصرة والكوفة (فاستبطأه) أي عاتبه في بطئه عنه للسلام عليه (فتعلل) مطرف (بمرض) أي أظهر له انه كان مريضا (وقال مارفعت جنبي) عن الفراش (منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله) فانه يشمل الرفع الاختياري

والاضطراري

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض) قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ماروى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبي منذ فارقت الامير الا مارفعني الله

وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ماقلت من ذلك من شئ فيكون قوله ماحرف نفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ماجئت به مما يأتي به العمال الى أهلهم وما كان قد أتاها بشئ فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيأ فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيبا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه من يكره ان يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب

والاضطراري (وقال ابراهيم) النخعي (اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهت أن تكذب فقل ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شئ فيكون قوله ماحرف نفي عند المستمع) فيفهم من قوله انه لم يقله (وعنده) أي عند القائل (للابهام) اما موصولة أو استفهامية وفي كل منهما الابهام وكذا لو قال الله يعلم ماقلته وهو أخصر من الاول (وكان معاذ) بن جبل رضي الله عنه (عاملا لعمر) رضي الله عنه على بعض الاعمال (فلما رجع) من عمله (قالت) له (امرأته ماجئت به مما يأتي به العمال الى أهلهم) وفي بعض النسخ من عراضة أهلهم والمراد الهدية والتحفة تعرض على الاهل (ولم يكن جاء به) وفي نسخة وما كان قد أتاها بشئ فاعتذر اليها (فقال كان معي ضاغط) قال ابن فارس في المجمل يقال أرسله ضاغطا على فلان هو شبه الرقيب يمنعه من الظلم (قالت) زوجته (كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر) اذا استعملاك على أعمالهم (فبعث معك عمر ضاغطا) أنكرت ذلك (فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر) ذلك (دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر) وعلم أن هذا من باب التعريض لمصلحة تطييبا لخاطرها (وأعطاه شيأ فقال أرضها به وقوله ضاغطا يريد به) معاذ (ربه تعالى) أي محاسبا ضابطا (وكان) ابراهيم (النخعي) رحمه الله تعالى (لا يقول لابنته اشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا) تحريا من الوقوع في الكذب (فانه ربما لا يتفق له ذلك) فيكون كذبا (وكان ابراهيم) النخعي اذا طلبه (في الدار من يكرهه) أي يكره لقيه وهو في الدار (قال للجارية قولي أطلبه في المسجد) أي مسجد الحي وهو يكون في مسجد بيته (ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا) وكان بعضهم يقول لخادمه قل له ماهو هون يريد به الهاون الذي يدق فيه (وكان) عامر بن شراحيل (الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه) أي يكره أن يخرج اليه (يخط دائرة ويقول للجارية ضعي أصبعك فيها وقولي ليس ههنا) وفي رواية كان يخط باصبعه دارة في الحائط ويقول قل له ماهو في الدار ويريد به جمع دارة ومن ذلك قول سعيد بن جبير حين أراد الحجاج قتله وقد قال له ماتقول في قال قاسط عادل فقال الحاضرون ما أحسن ماقال ظنوا انه وصفه بالقسط والعدل قال الحجاج ياجهلة سماني مشركا ظالما ثم تلا وأما القاسطون الآية وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقصد رجل باب المأمون فقال قولوا أحمد النبي بالباب فاستحضره وهدده فقال أنا أحمد النبي أنت لا تحمده فضحك وقضى حاجته ومن أحسن المعاريض ما رواه الحسن بن سفيان والديلمي من حديث أبي هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة أبي بكر وقال يا أبا بكر ول الناس عني فانه لا ينبغي لنبي أن يكذب فجعل الناس يسألونه من أنت قال باغ يبتغي قالوا ومن وراءك قال هاد يهديني (وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة) بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي والد أبي العميس (قال دخلت) مع أبي عتبة بن عبد الله بن مسعود (على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فخرجت وعلي ثوب) أي جديد (فجعل الناس يقولون هذا كساك أمير المؤمنين) يعني عمر بن عبد العزيز (فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما أشبهه) والذي في كتاب الصمت لابن أبي الدنيا قال حدثنا المثنى بن معاذ ثنا سلم بن قتيبة عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال كساني أبي حلة تفرجت فيها فقال لي أصحابي كساك هذه الامير فأحببت أن يروا أن الامير كسانيها فقلت جزى الله الامير خيرا كساه الله الامير من كسوة الجنة تذكرت ذلك لابي فقال يا بني لا تكذب ولا تشبه بالكذب فالمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود فالقصة لعون مع أبيه عتبة لا لعتبة مع أبيه عبد الله كما هو في سياق المصنف (فنهاه عن ذلك) أي عن التعريض (لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب

لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله

عليه وسلم لا يدخل الجنة
عجوز وقوله للاخرى الذى
فى عين زوجك بياض
وللاخرى نحملك على ولد
البعير وما أشبهه واما الكذب
الصريح كما فعله نعيمان
الانصارى مع عثمان فى قصة
الضرير اذ قال له انه نعيمان
وكما يعتاده الناس بملاعبة
الحمقى بتغريرهم بان امرأة
قد رغبت فى تزويجك فان
كان فيه ضرر يؤدى الى
ايذاء قلب فهو حرام وان لم
يكن الا مطايبة فلا يوصف
صاحبها بالفسق ولكن
ينقص ذلك من درجة
ايمانه قال صلى الله عليه وسلم
لا يكمل للمرء الايمان حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه
وحتى يجتنب الكذب فى
مزاحه وأما قوله عليه السلام
ان الرجل ليتكلم بالكلمة
ليضحك بها الناس يهوى
بها فى النار أبعد من الثريا
أراد به ما فيه غيبة مسلم أو
ايذاء قلب دون محض المزاح
ومن الكذب الذى لا يوجب
الفسق ما جرت به العادة فى
المبالغة كقوله طلبتك
كذا وكذا مرة وقلت لك
كذا مائة مرة فانه لا يريد به
تفهيم المرات بعددها بل
تفهيم المبالغة فان لم يكن
طلبه الا مرة واحدة كان
كاذبا وان كان طلبه مرات
لا يعتاد مثلها فى الكثرة
لا يأثم وان لم تبلغ مائة
وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب

لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه) ويكفى فى تقبيح التقرير على الظن الكاذب ما تقدم من حديث سمرة بن جندب من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين (نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز) وقد تقدم قريبا (و) كقوله (فى عين زوجك بياض) قاله لام أيمن وقد تقدم أيضا (و) كقوله (نحملك على ولد البعير) قاله لامرأة جاءته تستحمله وقد تقدم أيضا (وما أشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان) بن عمرو (الانصارى) رضى الله عنه (مع عثمان) بن عفان رضى الله عنه (فى قصة الضرير) يعنى به مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى وهو أبو المسور رضى الله عنهما قال الواقدى وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة وكان قد عمى (اذ قال له انه نعيمان) فضربه حتى شجه فى وجهه وكان يصلى وهذه القصة ذكرها الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح قال حدثنى عمى عن جدى قال كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة فقام فى المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس المسجد المسجد فأخذ نعيمان بن عمرو بيده فتنحى به ثم أجلسه فى ناحية أخرى من المسجد فقال له بل هنا قال فصاح به الناس فقال ويحكم فمن أتى بى الى هذا الموضع فقال اما ان لله على ان ظفرت به ان أضربه بعصاى هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت فبلغ ذلك نعيمان فمكث ما شاء الله ثم أتاه يوما وعثمان قائم يصلى فى ناحية المسجد فقال لمخرمة هل لك فى نعيمان قال نعم فاخذ بيده حتى أوقفه على عثمان وكان اذا صلى لا يلتفت فقال دونك هذا نعيمان فجمع يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه فصاحوا به ضربت أمير المؤمنين فذكر بقية القصة (وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى) الذين نقص جوهر عقولهم (بتغريرهم) أى بايقاعهم فى الغرور والغفلة (بان امرأة قد رغبت فى تزويجك) ويصورون لهم كلاما يصدقونه (فان كان فيه ضرر) ظاهر (ويؤدى الى ايذاء قلب) مسلم (فهو حرام) لا يجوز ارتكابه (وان لم يكن الا مطايبة) بلين كلام (فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص من درجة ايمانه) العليا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه) قال العراقى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى مليكة الذمارى وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر اه قلت ذكره البخارى فى الكنى وأورد له هذا الحديث من طريق راشد بن سعد عنه ورواه أبو نعيم فى المعرفة بلفظ وحتى يخاف الله فى مزاحه وكذبه وحديث أبى هريرة رواه أيضا أحمد والطبرانى فى الاوسط بلفظ حتى يترك الكذب فى المزاحة ويترك المراء وان كان صادقا وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا على بن الجعد أنبأنا شعبة عن الحكم قال قال ابن عمر لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق والكذب فى المزاح ورواه أبو يعلى من حديث عمر وقد تقدم الكلام عليه فى آفة المراء (وأما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا) تقدم فى الآفة الثالثة مع نظائره (أراد به ما فيه غيبة مسلم أو ايذاء قلب دون محض المزاح) وقد تقدمت الاشارة اليه آنفا (ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق) اى ومن جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه (ما جرت العادة فى المبالغة) فى العدد (كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة) وقد يزاد فى المبالغة فيقال خمسمائة مرة أو ألف مرة (فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة) بان وقع منه ذلك الفعل مرات (فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا) فى قوله وكذا فى العشرة (وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة) أو أكثر (وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب) أى خطر الوقوع فيه وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا

قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى

الاستعارة تفارق الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت أسدا في الحمام ولكن عليك الاحتياط في مثل هذا الكلام (ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح) وهو أن يكون شبعان ولا يرى ادخال الطعام على الطعام أو يكون الطعام فيه شبهة أو قذارة لا يشتهي لأجل ذلك أو غيره وقد أخرج ابن أبي الدنيا من طريق شقيق بن سلمة قال قال لي أخي عبد الرحمن بن سلمة ما كذبت منذ أسلمت الا ان الرجل يدعوني الى طعامه فأقول ما أشتهيه فعسى أن يكتب (قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة (قالت أسماء بنت عميس) بن معبد بن الحرث بن كعب الخثعمية هاجرت مع جعفر الى الحبشة تزوجها أبو بكر الصديق ثم علي بن أبي طالب وكانت فاضلة جليلة (كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى) أي ضيافة (الا قدحا من لبن) فشرب منه (ثم ناول عائشة رضي الله عنها قالت) أسماء (فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذته منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك) وهن النسوة اللاتي أتين معها (فقلن لا نشتهيه) وأبين أن يأخذنه (فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت) أسماء (فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا فقال ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصفهانيين لابي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زففنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك اه قلت قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس بن يزيد الايلي عن أبي شداد عن مجاهد فذكر مثل سياق المصنف ورواه أحمد وابن ماجه والبيهقي من حديث أسماء بنت عميس قالت أتى النبي صلى الله عليه وسلم بطعام فعرض علينا فقلنا لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا (وقد كان أهل الورع) من السلف (يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب) كما مر عن عبد الرحمن بن سلمة (وقال) أبو الحرث (الليث بن سعد) بن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة ثبت امام فقيه مشهور مات في شعبان سنة خمس وسبعين (كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص) بخرقة أو نحوها (فيقول فأين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينك فأقول لا أفعل) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي أنبأنا يحيى بن بكير المصري سمعت الليث بن سعد فذكره وفيه بعد قوله خارج عينيه وصف يحيى بيده الى المحاجر (وهذه مراقبة أهل الورع) وشدة احتياطهم (ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب و) هو (لا يشعر) به (وعن خوات) بن عبيد الله (التيمي) الكوفي صدوق رمي بالارجاء وقد ذكره المصنف في كتاب الحلال والحرام وانه ضعيف عند أهل الحديث وذكر ما يتعلق به هناك فراجعه (قال جاءت أخت الربيع بن خثيم) الثوري الكوفي العابد تقدم ذكره في كتاب تلاوة القرآن * (عائدة) من العيادة (الى بني له) تصغير ابن وقد كان مريضا (فانكببت عليه فقالت كيف أنت يا بني قال فجلس الربيع) بعد ان كان مضطجعا (فقال أرضعته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله الاسدي حدثنا قيس بن سليم عن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع فذكره وقال أيضا حدثنا عبد الرحمن بن يونس حدثنا يحيى بن يمان أنبأنا سفيان بن سعيد عن أبيه عن محارب بن دثار ان امرأة قالت لشتير ابن شكل يا بني قال كذبت لم تلديني أو ما ولدتيني (ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى

عليه السلام ان من أعظم الذنوب عند الله تعالى أن يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز أن عيسى بن مريم عليه السلام قال فذكره وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أعظم الفرى) بكسر الفاء وفتح الراء مقصور وابو زن القرى وعد أى من أكذب الكذبات الشنيعة جمع فرية بالكسر (أن يدعى الرجل الى غير أبيه) فيقال ابن فلان وهو ليس بابنه (أو يرى) بضم أوله وكسر ثانيه (عينيه) بالافراد (في المنام مالم تر) لانه جزء من الوحى فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه اليه وقال الطيبى المراد باراءته عينيه وصفهما بما ليس فيهما ونسب الكذب الى الكذبات للمبالغة نحو ليل الليل (أو يقول) بفتح أوله وضم القاف وروى بفتح التاء الفوقية والقاف وتشديد الواو مفتوحة (مالم أقل) وجمع الثلاثة فى حيز لشدة المناسبة بينها وانها من أفحش أنواع الافتراء فالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كذب فى أصول الدين وهدم لقاعدة من قواعد المسلمين والكذب عليه كذب على الله وما ينطق عن الهوى والرؤيا جزء من أجزاء النبوة والمنام طرف من الوحى فاذا كذب فقد كذب فى نوع من الوحى قال العراقى رواه البخارى من حديث واثلة بن الاسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يرى عينيه مالم تر اهـ قلت وحديث ابن عمر رواه أيضا أحمد ولفظه ان من أعظم الفرى وفيه العباس بن الفضل البصرى وهو متروك وقد روى النسائى نحو رواية البخارى ورواه البيهقى من حديث واثلة وروى فى معناه عن أوس بن أوس الثقفى مرفوعا من كذب على نبيه أو على عينيه أو على والديه فانه لا يريح ريح الجنة رواه ابن جرير والطبرانى وابن عدى والخرائطى فى مساوى الاخلاق وهو ثالث حديثه ولا رابع لها قال ابن عدى لا أعلم يرويه غير اسمعيل بن عياش (وقال صلى الله عليه وسلم من كذب فى حلمه) بضم فسكون أى فى منامه (كلف يوم القيامة ان يعقد شعيرة) أى ولن يقدر على ذلك لصعوبته قال ابن العربى وخص الشعير بذلك لما بينهما من نسبة تلبسه بما لم يشعر به قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عباس اهـ قلت ورواه أحمد والترمذى وابن جرير والحاكم بن حديث على بلفظ عقد شعيرة قال الترمذى حسن وقال الحاكم صحيح وتعقبه ابن القطان بأن فيه عبد الاعلى بن عامر ضعفه أبو زرعة وغيره وروى من حديث صهيب من كذب على متعمدا كلف يوم القيامة أن يعقد طرفى شعيرة ولن يقدر على ذلك رواه ابن قانع والحاكم وابن عساكر وعند أحمد من حديث على من كذب فى حلمه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

(الآفة الخامسة عشر الغيبة)

بكسر الغين (والنظر فيها طويل فنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع) من الآيات والاخبار (وقد نص الله تعالى على ذمها فى كتابه) العزيز (وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال) سبحانه (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يذكر بعضكم بعضا بسوء فى غيبته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقدر واسناد الفعل الى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل اللحم أى لحم الانسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ قاله البيضاوى (وقال صلى الله عليه وسلم كل) مبتدأ (المسلم) فيه رد على من زعم ان كلا لا تضاف الا الى نكرة (على المسلم حرام) خبره أى جميع أنواع ما يؤذيه حرام ثم بين ذلك بقوله (دمه) أى اراقة دمه بلا حق (وماله) أى أخذ ماله بنحو غصب (وعرضه) أى هتك عرضه بلا استحقاق وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة وجعلها كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره اليها فالدم

عليه السلام ان من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام ان من أعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم يرأو يقول على مالم أقل وقال عليه السلام من كذب فى حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويل)

فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

به حياته ومادته المال فهو ماء الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية واقتصر عليها الان ما سواها فرع عنها وراجع اليها لانه اذا قامت صورته البدنية والمعنوية فلا حاجة لغيرهما وقيامهما انما هو بتلك الثلاثة ولكون حرمتها هي الاصل والغالب لم يحتج لتقييدها بغير حق فقوله في رواية الا بحقها ايضاح وبيان قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه قلت هذا لفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت قال حدثنا أحمد بن جميل المروزي أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا داود بن قيس حدثني أبو سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه هكذا وأما لفظ مسلم بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ورواه ابن ماجه في الزهد بلفظ كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم وقد أشار المصنف الى وجه الاستشهاد به في الباب بقوله (والغيبة) هي (تناول العرض) بما يكره (وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال) في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتهما (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكره وقال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة اه قلت وبدون هذه الزيادة أيضا رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي بكر وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة (وعن جابر) بن عبد الله (وأبي سعيد) الخدري رضي الله عنهما (قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا) أي من اثمه (ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه) وهيهات أن يغفر له حكى أن رجلا اغتاب ابن الجلاء فارسل يستحله فابى وقال ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها فكيف أمحوها قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير اه قلت ورواه ابن أبي الدنيا أيضا في كتاب ذم الغيبة وأبو الشيخ الاصبهاني في التوبيخ ورواه الطبراني عن جابر وحده بلفظ الغيبة أشد من الزنا والباقي سواء وفيه عباد بن كثير وهو متروك قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا أسباط عن أبي رجاء الخراساني عن عباد بن كثير عن الجريري عن أبي نضرة عن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه كسياق المصنف سواء (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون) أي يقطعون (وجوههم باظافيرهم) جمع الاظفار جمع ظفر (فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس) أي كانوا يذكرونهم بما يكرهون (ويقعون في اعراضهم) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثني أبو بكر محمد بن أبي عتاب حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة عن صفوان ابن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه كالمصنف سواء وقال أيضا حدثنا حسين بن مهدي حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو السكسكي حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقد أخرجه أيضا في كتاب ذم الغيبة باللفظ الاول وقال العراقي رواه أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح (وقال سليم ابن جابر) أبو جري الهجيمي وقيل سليم بن جابر صحابي مشهور كان ينزل البدو وتقدم ذكره قريبا (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى أخاك ببشر حسن) أي بطلاقة توجه وبشاشة (واذا أدبر فلا

والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا

تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فائذن لي لافطر فيأذن له والرجل يجيء حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين أن تستقيآ فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار

تغتابنه) أي اذا ولي بظهره فلا تذكره بما يكره كذا في النسخ وفي بعضها فلا تغتابنه رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هرون عن زياد بن أبي زياد عن محمد بن سيرين قال قال سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وقال العراقي رواه أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحد الجملة الاخيرة وفي اسنادهما ضعف قلت وكذلك رواه أبو داود والبيهقي وقد تقدم قريبا وذكر أيضا في آداب الصحبة وليس في سند أحمد وابن أبي الدنيا من ينظر الا زياد بن أبي زياد الجصاص أبو محمد الواسطي بصري الاصل ضعيف (وقال البراء) بن عازب رضي الله عنه (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق) أي ذوات الخدور (في بيوتها) وهو كناية عن رفع صوته فيها (فقال) من جملة ماخطب (يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه) أي لم يخلص اليه (لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم) بكشفها واظهارها (فان من تتبع عورة أخيه) المسلم (يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه) وهو (في جوف بيته) رواه ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي اسحق عن البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قال العراقي وفيه مصعب بن سلام مختلف فيه قلت مصعب بن سلام بتشديد اللام التميمي الكوفي قال الذهبي في الضعفاء قال ابن حبان هو كثير الغلط لا يحتج به وقال الحافظ في تهذيب التهذيب صدوق له أوهام ثم قال العراقي ورواه أبو داود من حديث أبي برزة باسناد جيد قلت ورواه الترمذي من هذا الطريق بلفظ يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا الحديث وقال حسن غريب ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس ووجدت بخط الحافظ ابن حجر رواه الاسماعيلي من حديث ابن عوف وابن قانع في معجمه في ترجمة سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ ماوجدته وقد روى نحوه الحكيم الترمذي في النوادر عن جبير بن نفير مرسلا وقد أشرت الى ذلك في كتاب آداب الصحبة وأما حديث أبي برزة فقد أخرجه أيضا أبو بكر بن أبي الدنيا في الصمت الا انه فيه رجل مجهول فقال حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا حفص بن غياث عن الاعمش عن رجل من أهل البصرة عن أبي برزة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تتبعوا عثرات المسلمين فانه من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثرته حتى يفضحه في جوف بيته وأخرجه أيضا من طريق آخر فقال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني وأحمد بن عمران الاخنسي قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم فساقه نحوه (وأوحى الله تعالى الى موسى) عليه السلام ياموسى (من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم) من أيام السنة (وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فائذن لي لافطر فيأذن له) فيفطر (والرجل والرجل) يجيء فيستاذن فيأذن له (حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلك) يعني من قريش (ظلتا صائمتين وانهما يستحيان ان يأتياك فائذن لهما فلتفطرا فاعرض عنه) بوجهه (وعاوده) في الاذن (فقال انهما لم يصوما) أي في حكم من لم يصم (وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيآ) أي تطلبان افراغ مافي بطونهما (فرجع) الرجل (اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم) أي قطعة من دم غليظ متجمد (فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره) مارأى (فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا) أي العلقتان (في بطونهما لاكلتهما النار) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد أنبأنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن

أنس بن مالك قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فذكره قال العراقي رواه ابن مردويه في التفسير من هذا الوجه ويزيد الرقاشي ضعيف قلت وكذلك رواه البيهقي من هذا الوجه ويزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف روى له البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه (وفي رواية) أخرى (انه) صلى الله عليه وسلم (لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يارسول الله انهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعس أو) قال (قدح) شك من الراوي (فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك) أي قيحا ودما وصديدا (فقال) صلى الله عليه وسلم (ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما) وهو الطعام والشراب (وأفطرتا على ما حرم الله عليهما) ثم بين ذلك بقوله (جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي بدر أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأتين من الانصار صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا من العطش فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فسكت قال ثم جاءه بعد ذلك أحسبه قال في الظهيرة فقال يارسول الله انهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فساقه كسياق المصنف قال العراقي رواه كذلك أحمد من حديث عبيد وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فاسقط فيه ذكر الرجل قلت ورواه أيضا ابن مردويه في التفسير وفيه رجل لم يسم وقد تقدم ذكر هذه الرواية في كتاب آداب الصحبة والتعريف بحال راويه عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل) قال الطيبي انما كان الربا أشد من الزنا لان فاعله حاول محاربة الشارع بفعله بعقله قال تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي بحرب عظيم فتحريمه محض تعبد وأما قبح الزنا فظاهر عقلا وشرعا وله روادع وزواجر سوى الشرع فآكل الربا يهتك حرمة الله والزاني يخرق جلباب الحياء فريحه تهب حينا ثم تسكن ولواؤه يخفق برهة ثم يقر (وأربى الربا عرض الرجل المسلم) أي الاستطالة فيه بأن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له وأكثر مما رخص له فيه ولذلك مثله بالربا وعده من عداده ثم فضله على جميع افراده لانه أكثر مضرة وأشد فسادا فان العرض شرعا وعقلا أعز على النفس من المال وأعظم منه خطرا ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الاعراض ما لم يوجب بنهب الاموال أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن شقيق قال سمعت أبي حدثنا أبو مجاهد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قال العراقي سنده ضعيف قلت ليس فيه من وصف بالضعف وأبو مجاهد سعد الطائي ذكره ابن حبان في الثقات وقال أحمد انه لا بأس به ونسبه فقال سعد بن عبيد الطائي الكوفي روى له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وعلي بن شقيق وابنه محمد ما رأيت أحدا وصفهما بضعف ولا غيره وقال الكمال الدميري كلوجد بخطه هذا الحديث رويناه في مسند أحمد وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس من أكل درهم ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية (وقال جابر) بن عبد الله رضي الله عنه (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير) أي سفر نسير معه فيه (فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال ألا انهما لا يعذبان في كبيرة) أي في خصلة ثقيلة عليهما (أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه) أي لا يتباعد (من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين) شك من الراوي (فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وسلم أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو) قال (ما لم تيبسا) شك من الراوي أخرجه ابن أبي الدنيا عن

وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا

محمد بن على حدثنا النضر بن شميل أنبانا أبو العوام واسمه عبد العزيز بن ربيع الباهلى حدثنا أبو الزبير واسمه محمد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فساقه الا أنه قال لا يعذبان فى كبير وفيه وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله وفيه ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر والباقى سواء قال العراقى و رواه أبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس الا أنه ذكر فيه بدل الغيبة النميمة وللطيالسى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولاحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة نحوه باسناد جيد اﻫ قلت وأخرجه البخارى فى الادب المفرد من حديث جابر أيضا وفيه انهما لا يعذبان فى كبير وبلى أما أحدهما وفيه ما كانتا رطبتين ولم يشلنو فى بعض ألفاظ هذا الحديث وأما الآخر فكان لا يستتر من البول وفى أخرى لا يستنزه وفى أخرى لا يستبرئ فهى خمس روايات مع رواية المصنف ورواية ابن أبى الدنيا (ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا) وهو ماعز بن مالك الاسلمى (قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب) القعص الموت الوحى وقعصه كنعه قتله مكانه كاقعصه وانقعص مات (فمر النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة) أى ميتة حيوان (فقال) لهما (انهشا منها) والنهش الاكل بمقدم الفم (فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه) قال العراقى رواه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة باسناد جيد اﻫ قلت وأخرجه أيضا عبد الرزاق فى المصنف والبخارى فى الادب المفرد وأبو يعلى وابن المنذر والبيهقى فى الشعب بسند صحيح ولفظهم ان ماعزا لما رجم سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين أحدهما يقول لصاحبه ألم تر الى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسار النبى صلى الله عليه وسلم ثم مر بجيفة حمار فقال أين فلان وفلان فكلا من جيفة هذا الحمار فقالا وهل يؤكل هذا قال فأكلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذى نفسى بيده انه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها (وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون) مع بعضهم (بالبشر) والطلاقة (ولا يغتابون) أحدا منهم (عند الغيبة و يرون ذلك أفضل الاعمال) وأعلى الاحوال (و يرون خلافه عادة المنافقين) وشيمة المطرودين (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فقيل كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج) أى يصيح ويتململ (ويكلح) أى يعبس وجهه رواه ابن أبى الدنيا هكذا موقوفا عن يحيى بن يوسف الرقى حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن عمه موسى بن يسار عن أبى هريرة قال من أكل فذكره قال العراقى رواه محمد بن اسحق هكذا بالعنعنة (وروى مرفوعا كذلك) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العراقى رواه ابن مردويه فى التفسير اﻫ قلت وكذلك أبو يعلى وابن المنذر وعندهم فانه ليأكله ويكلح ويضج (وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد) الحرام (فمر بهما رجل كان مخنثا) أى كان يتشبه بالنساء (فتركا ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شئ فأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال فى أنفسهما) أى حدثت نفوسهما (مما قالا فأتيا عطاء) بن أبى رباح مفتى مكة (فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم) رواه ابن أبى الدنيا عن اسحق بن ابراهيم أنبأنا سعيد بن عامر عن الربيع بن صبيح ان رجلين فذكره (وعن مجاهد) بن جبر المكى التابعى الثقة (قال) فى قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى الناس) أى فى اعراضهم (واللمزة الذى يأكل لحوم الناس) رواه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا ابن المبارك عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وروى بهذا السند أيضا عن ابن المبارك عن أبى مودود عن يزيد مولى قيس الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس ولا تلمزوا أنفسكم قال لا يطعن بعضكم على بعض (وقال قتادة) بن دعامة السدوسى أبو الخطاب البصرى (ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة) رواه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن منيع حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا فساقه (وقال

ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة و يرون ذلك أفضل الاعمال و يرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروى مرفوعا كذلك وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فتركا ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شئ وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال فى أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال فى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال

الحسن البصرى) رحمه الله تعالى (للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الاكلة فى الجسد) رواه ابن أبى الدنيا عن محمد بن أبى حاتم الازدى حدثنا داود بن المحبر حدثنا الربيع بن صبيح قال سمعت الحسن يقول والله الغيبة فذكره (وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس) رواه ابن أبى الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمى قال بلغنى عن عتاب بن بشير عن خصاف وخصيف وعبد الكريم بن مالك قالوا أدركنا السلف فذكره (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك) رواه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا عبد الله بن المبارك عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال اذا أردت فذكره (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (يبصر أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه) رواه ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن أبى بدر أنبأنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال سمعت أبا هريرة قال يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه و ينسى الجذل فى عينه وروى ذلك أيضا من قول الحسن قال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن جميل أنبأنا ابن المبارك أنبأنا جعفر بن حيان عن الحسن قال ابن آدم تبصر القذى فى عين أخيك وتدع الجذل معترضا فى عينك وقد رواه ابن المبارك أيضا وكذا العسكرى فى الامثال من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ و ينسى الجذع أو قال الجذل فى عينه وقد تقدم فى كتاب آداب الصحبة (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا) رواه ابن أبى الدنيا عن نصر بن طرخان حدثنا عمران بن خالد الخزاعى قال كان الحسن يقول يا ابن آدم انك لن تصيب فذكره (وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى (مر عيسى بن مريم) عليه السلام (والحواريون) معه (على جيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا فقال عيسى) عليه السلام (ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن الغيبة ونبههم على انه لا يذكر من شئ من خلق الله الا أحسنه) رواه ابن أبى الدنيا عن محمد بن عثمان العقيلى حدثنا ابن عون صاحب القرب عن مالك بن دينار قال مر عيسى بن مريم عليه السلام فذكره ورواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى سويد بن سعيد حدثنا الحكم بن عون عن مالك بن دينار قال مر عيسى عليه السلام مع الحواريين على جيفة كلب فساقه وقال فى آخره يعظهم ينهاهم عن الغيبة (وسمع على بن الحسين) بن على بن أبى طالب رحمه الله تعالى (رجلا يغتاب آخر فقال ايال والغيبة فانها ادام كلاب الناس) رواه ابن أبى الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال سمع على بن الحسين رجلا فذكره قال وحدثنى الحسين بن عبد الرحمن قال سمع المهلب بن أبى صفرة رجلا يغتاب رجلا فقال اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها قال وحدثنا حسين قال سمع قتيبة بن مسلم رجلا يغتاب رجلا قال اما والله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام (وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء) رواه ابن أبى الدنيا عن العباس العنبرى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محرز وهو أبو رجاء الشامى عن عمر بن عبد الله عن عمران بن عبد الرحمن قال قال عمر بن الخطاب عليكم بذكر الله فساقه وروى أيضا عن خالد بن مرداس حدثنا أبو عقيل عن حفص بن عثمان قال كان عمر ابن الخطاب يقول لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فانه بلاء وعليكم بذكر الله فانه رحمة وقد روى ذلك أيضا من قول سلمان قال ابن أبى الدنيا حدثنى أبو محمد الازدى حدثنا على بن يزيد عن صالح المرى قال كتب سلمان الى أبى الدرداء اما بعد فانى أوصيك بذكر الله فانه دواء وأنهاك عن ذكر الناس فانه داء وقد بقيت أخبار وآثار أحببت ايرادها فى هذا الباب هى على شريطة المصنف قال السدى كان سلمان رضى الله عنه مع رجلين فى سفر يخدمهما و ينال من طعامهما وان سلمان قام يوما فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء قالا ما يريد

الحسن والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض اسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شئ من خلق الله الا أحسنه وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

سلمان شيأ غير هذا أن يجيء الى طعام معدود وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما اداما فانطلق فأتاه فقال يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم ان كان عندك قال ما يصنع أصحابك بالادم قد ائتدموا فرجع سلمان فأخبرهم فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والذى بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال انكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما فنزلت أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أخرجه ابن ابي حاتم وقال ابن جريج زعموا انها نزلت فى سلمان أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله ورقاده فنزلت أخرجه ابن المنذر وقال مقاتل نزلت فى رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة اليه يطلب منه اداما فمنع فقالوا له انه بخيل وخيم فنزلت فى ذلك أخرجه ابن أبي حاتم وعن أبي مالك الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن حرام على المؤمن لحمه عليه حرام أن يلطمه أخرجه ابن مردويه وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه مر على بغل ميت وهو فى نفر من أصحابه فقال والله لان يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم أخرجه البخارى فى الادب المفرد وابن أبي شيبة وأحمد فى الزهد وابن أبي الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مساوى الاخلاق وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت لنا ريح منتنة فقال أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا فى الصمت وعن عائشة رضى الله عنها قالت لا يتوضأ أحدكم من الكلمة الخبيثة يقولها لاخيه ويتوضأ من الطعام الحلال أخرجه البيهقى وقال ابراهيم الوضوء من الحدث وأذى المسلم كذا أخرجه البيهقى وعن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما قالا الحدث حدثان حدث من فيك وحدث من نومك وحدث الفم أشد الكذب والغيبة أخرجه البيهقى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلين صليا صلاة الظهر والعصر وكانا صائمين فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال أعيدا وضوأكما وصلاتكما وامضيا فى صومكما واقضيا يوما آخر مكانه قالا لم يا رسول الله قال قد اغتبتما فلانا أخرجه الخرائطى فى مساوى الاخلاق والبيهقى وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون حوبا أيسرها كنكاح الرجل أمه وأربى الربا عرض الرجل المسلم رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وقال عبيدة السلمانى اتقوا المفطرين الغيبة والكذب رواه ابن أبي الدنيا وقال خالد الربعى دخلت المسجد فجلست الى قوم فذكروا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا فى ذكره فدخلت معهم فى شئ من أمره فلما كان الليل رأيت فى المنام كان شيأ أسود طويلا يشبه الرجل الا انه طويل جدا معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير فقال كل فقلت آكل لحم خنزير والله لا آكله فأخذ بقفاى وقال لى كل وانتهرنى انتهارة شديدة ودسه فى فى فجعلت ألوكه ولا أسيغه وأفرق أن ألقيه واستيقظت قال فبمعاوفه لقد مكثت ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ما آكل طعاما الا وجدت طعم ذلك اللحم فى فى أخرجه ابن أبي الدنيا قال وسمعت أبا يحيى ابن أيوب يذكر عن نفسه انه رأى فى المنام صنع به نحو هذا وانه وجد طعم الدسم على شفتيه أياما وذلك انه كان يجالس رجلا يغتاب الناس وعن وهب بن منبه ان ذا القرنين قال لبعض الامم ما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة قالوا انا لا نتخادع ولا يغتب بعضنا بعضا رواه ابن أبي الدنيا وعن عكرمة رفعه انه صلى الله عليه وسلم لحق قوما فقال لهم تخللوا فقال القوم يا نبى الله والله ما طعمنا اليوم طعاما فقال والله انى لارى لحم فلان بين ثنايا كم وكانوا قد اغتابوه رواه عبد بن حميد وقال كعب الاحبار الغيبة تحبط العمل رواه ابن أبي الدنيا وعن شفى بن ماتع الاصبحى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الاذى قال فرجل معلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر امعاءه ورجل يسيل فوه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه فيقال للذى يأكل لحمه ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان

(بيان معنى الغيبة وحدودها) اعلم ان حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته* اما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان* وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطى أو هندى أو فاسق أو خسيس أو اسكاف أو زبال أو شئ مما يكرهه كيفما كان * وأما الخلق فبأن تقول هو سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه * وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس أو لا يرى لاحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو انه كثير الكلام كثير الاكل نؤم ينام فى غير وقت النوم ويجلس فى غير موضعه * وأما فى ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال هى فى النار وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها اذا

الا بعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة رواه ابن أبى الدنيا وقال عون بن عبد الله ما أحسب أحدا تفرغ لعيب الناس الا من غفلة غفلها عن نفسه رواه ابن أبى الدنيا وقال بكر بن عبد الله المزنى اذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا لعيبه فاعلموا انه قد مكر به رواه ابن أبى الدنيا

(بيان معنى الغيبة وحدها)

(اعلم ان حد الغيبة) على ما ذكره العلماء (ان تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه) وسواء بلغه أو لم يبلغه وأحسن تعاريفها ذكر العيب بظهر الغيب (سواء ذكرت) بما يكرهه (نقصانا فى بدنه أو فى نسبه أو فى خلقة) بالضم (أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه) الذى يلبسه (وفى داره) التى يسكنها (ودابته) التى يركبها (اما البدن فكذكرك العمش) محركة سوء البصر (والحول) محركة انقلاب الحدقة الى الموق (والقرع) محركة انحسار الشعر عن الرأس من مرض (والقصر والطول) كلاهما فى القامة (والسواد والصفرة) كلاهما فى اللون (وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه وأما النسب فان يقول أبوه نبطى) محركة أى ممن يخدم الارض بالحراثة وفى معنى ذلك سوادى أو أكار أو فلاح (أو هندى) هذا اذا كان يكره الاعتزاء الى أحد هذين وأما قول على رضى الله عنه لما سأله سائل عن نسبه فقال نحن قوم من نبط كوثى يشير به الى أن جده سيدنا ابراهيم عليه السلام ولد بكوثى وهى قرية من سواد العراق فهو لاجل الارشاد الى عدم الافتخار بالانساب (أو فاسق أو خسيس) ويعنى به ما من يرتكب مذام الاخلاق (أو اسكاف) وهو الذى يخرز النعال والجلود (أو زبال) وهو الذى يكنس الزبالات البيوت (أو شئ مما يكرهه كيفما كان) فالمناط هو الكراهة وأما من يعتاد شيأ من ذلك فخرا له فلا يكون اطلاق مثله على اللسان غيبة له (وأما الخلق فان يقول انه سيئ الخلق) اما فى المعاملة أو فى المحاورة (بخيل) بماله (متكبر) على اخوانه (أبى) أى ممتنع لا يوافق فى كثير من الامور (شديد الغضب) فى أحواله (جبان) بارد الهمة (عاجز) فى كثير من أموره (ضعيف القلب) لا جراءة له (متهور) أى مفرط فى الشجاعة حتى يرمى نفسه فى النار (وما يجرى مجراه وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق) أو لص أو نورى أو حرامى أو مختلس (أو كذاب أو شارب سكر أو خائن) الامانة (أو ظالم) غشوم (أو متهاون بالصلاة) وبالطهارة (أو بالزكاة) فيؤخر الصلاة عن وقتها ويشتغل بغيرها ولا يعطى زكاة ماله أو يقول هو (لا يحسن الركوع والسجود) فى صلاته (أو لا يحترز عن النجاسات أو ليس بارا بوالديه) أو باحدهما (أو لا يضع الزكاة فى مواضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه من الرفث) وهو الكلام القبيح (والغيبة والتعرض لاعراض الناس) بالاستطالة فيها (وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب يتهاون بالناس) ويسخر بهم (ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا) عليهم (أو انه كثير الكلام كثير الاكل أو انه نؤم) أى كثير النوم (وينام فى غير وقته ويجلس فى غير موضعه وأما فى ثوبه فكقولك انه واسع الكم) كأنه الخرج كبير العمامة كالبرج (طويل الذيل) يجره الى الارض (وسخ الثياب) دنس الجيب (وقد قال قوم لا غيبة فى الدين) ولو كان المغتاب يكره ذلك (لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز) زجرا له (بدليل ما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكنها تؤذى جيرانها) وتلسبهم بلسانها (فقال هى فى النار) قال العراقى رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (وذكر) له صلى الله عليه وسلم (امرأة أخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا) قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم

الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلا ورويناه في أمالي ابن شمعون هكذا (وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام) الشرعية (بالسؤال) والبحث (ولم يكن غرضهم) من سياق قول من الاقوال (التنقص) ولا الهضم للجانب (ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان أذى الجار والبخل من الصفات الذميمة (والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره) من ورائه (بما يكرهه فهو مغتاب) وقد يقال ان هذا عام وقد خص منها أحكام فلا حجة فيه ولا الزام فتأمل (لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة) كما يذكره بعد هذا (فكل هذا وان كنت صادقا فيه فأنت به مغتاب عاص لربك آكل للحم أخيك بدليل ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك) أى في الاسلام ولو من غير نسب (بما يكره) لو بلغه (قيل) يارسول الله (أرأيت ان كان في أخي ما أقول) أى وجد فيه (قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه قال ابن أبي الدنيا حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا اسمعيل بن جعفر أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون فساق كسياق المصنف ورواه أبو داود مختصرا فقال الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساوي الاخلاق عن المطلب بن حنطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغيبة ان تذكر المرء بما فيه فقيل انما كنا نرى أن نذكره بما ليس فيه قال ذلك البهتان وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه فان أنت كذبت عليه فذلك البهتان وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال اذا قلت للرجل ما فيه فقد اغتبته واذا قلت ما ليس فيه فقد بهته وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها انها سئلت عن الغيبة فأخبرت انها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة وأتتها جارتان لها من نساء فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء فلم تبرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من الصلاة فلما سمعتا صوته سكتتا فلما قام بباب البيت ألقى طرف ردائه على أنفه ثم قال اف اخرجا فاستقيا ثم تطهرا بالماء فخرجت أم سلمة فقاءت لحما كثيرا قد أصل فلما رأت كثرة اللحم تذكرت أحدث لحم أكلته فوجدته في أولى جمعتين متنافسا ألها مما قاءت فأخبرته فقال ذاك لحم طلبت تأكلينه فلا تعودي أنت ولا صاحبتك فيما تكلمتما فيه من الغيبة وأخبرتها صاحبتها انها قاءت مثل الذي قاءت من اللحم وسئل ابن عمر عن الغيبة فقال أن تقول بما فيه والبهتان أن تقول بما ليس فيه أخرجه ابن أبي الدنيا وقال ابن مسعود الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه واذا قلت ما ليس فيه فذلك البهتان أخرجه ابن أبي الدنيا وقال هشام بن حسان الغيبة أن تقول للرجل ما هو فيه مما يكره (وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه (ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه) قال العراقي رواه الطبراني بسند ضعيف اه قلت ورواه البيهقي كذلك وهو في كتاب الصمت من حديث عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ رواه عن أحمد بن منيع حدثنا علي بن عاصم عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ذكر رجل فساقه وأخرج ابن جرير من حديث معاذ بلفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا فقالوا ما يأكل الا ما يطعم ولا يرحل الا ما رحل وما أضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله وغيبة مما يحدث فيه فقال بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن منيع حدثنا قران بن تمام عن محمد بن أبي حميد عن موسى بن

وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قال أرأيت ان كان في أخي ما أقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه

ورد

وردان عن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من القوم يارسول الله ما أعجز فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه وأخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي بلفظ ان رجلا قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرؤى في قيامه عجز فقال بعضهم ما أعجز فلانا والباقي سواء (وعن حذيفة عن عائشة) رضي الله عنها (انها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن على بن الاقمر عن حذيفة عن عائشة انها ذكرت فساقه قال العراقي رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب اه قلت الذي في النسخ الموجودة عندنا حذيفة عن عائشة ومثله في كتاب الصمت (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل) مذكور (في كتاب الله الغيبة أن تقول مافيه والافك أن تقول مابلغك والبهتان أن تقول ماليس فيه) ولعل الثاني مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع (وذكر) محمد (بن سيرين) رحمه الله تعالى (رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى أرانى قد اغتبته) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن منيع حدثنا محمد بن مسير أبو سعد حدثنا جرير بن حازم قال ذكر ابن سيرين رجلا فساقه وقال أيضا حدثني فضل بن اسحق حدثنا أبو قتيبة حدثني جرير بن حازم قال ذكر محمد بن سيرين رجلا فقال ذاك الاسود ثم قال أستغفر الله أستغفر الله اغتبته وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير بن حازم قال ابن أبي الدنيا وحدثني فضل حدثنا أبو قتيبة عن الربيع عن محمد ابن سيرين قال اذا قلت لاخيك من خلفه مافيه مما يكره فهي الغيبة واذا قلت ماليس فيه فهو البهتان وظلمك لاخيك أن تذكره بأقبح ماتعلم منه وتنسى أحسنه (وذكر) ابن سيرين (ابراهيم النخعي) وكان أعور (فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور) وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا مروان بن معاوية عن عمر بن سيف قال قال الحسن يخشون أن يكون قولنا حميد الطويل غيبة وقال أيضا حدثني فضل بن اسحق حدثنا أبو قتيبة قال سمعت معاوية بن مرة قال لو قلت للاقطع فلان الاقطع كانت غيبة قال فذكرت ذلك لابي اسحق فقال صدق (وقالت عائشة) رضي الله عنها (لا يغتابن منكم أحد أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الفظى الفظى فلفظت بضعة من لحم) رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله العتكى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا الهنيد بن القاسم سمعت غبطة بنت خالد قالت سمعت عائشة تقول لا يغتابن منكن أحد أحدا فساقه وكذلك أخرجه في كتاب ذم الغيبة والخرائطي في مساوى الاخلاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب وفي لفظ بعضهم لا يغتب بعضكم بعضا فانى كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وقال العراقي بعد أن عزاه لابن أبي الدنيا وابن مردويه وفي اسناده امرأة لا أعرفها يشير الى غبطة بنت خالد وفي سنن أبي داود غبطة بنت عمرو وهي غير هذه

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

(اعلم أن الذكر باللسان انما حرم) شرعا (لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك) وعيبه (وتعريفه بما يكرهه) اما باطنا أو ظاهرا وقد يكون يكرهه باطنا ولا يظهره من نفسه لموجب فهو داخل فيه (فالتعريض به) أى التلويح (كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل مايفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام) فأنواع الغيبة أربعة أحدها التصريح وهو ظاهر والثاني التلويح ويتضمن أربعة أنواع الاشارة والايماء والرمز والغمز اما بالعين أو باخذ اليد والثالث الكتابة بالقلم أو بالاصبع والرابع الحركة وهي المحاكاة وكل ذلك حرام وتتضمن هذه الانواع فروعا كثيرة

وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول مافيه والبهتان أن تقول ماليس فيه والافك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال أستغفر الله انى أرانى قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لى الفظى الفظى فلفظت مضغة لحم

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل مايفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام

فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كأن
يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة
حاكت امرأة قال ما يسرنى أنى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة الا أن يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حى واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما اذا لم يفهم عينه جاز * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيأ قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها

يقول

ولكن هذه الاصول وما عداها يرجع اليها وقد يفصلها المصنف فى سياقه (فمن ذلك) أى من نوع الاشارة (قول عائشة رضى الله عنه دخلت علينا امرأة) وعندنا النبى صلى الله عليه وسلم (فلما ولت) أى انصرفت مولية بظهرها (أومأت) أى أشرت (بيدى) وفى رواية بابهامى (أنها قصيرة) قصر الابهام (فقال صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات اهـ قلت قال ابن أبى الدنيا حدثنا أبو عبد الرحمن القرشى حدثنا أبو معاوية قال ذكر الشيبانى عن حسان بن مخارق عن عائشة قالت دخلت امرأة قصيرة والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقلت بابهامى هكذا وأشرت الى النبى صلى الله عليه وسلم انها قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها هذا لفظ ابن أبى الدنيا وأما لفظ ابن مردويه فى التفسير أقبلت امرأة قصيرة والنبى صلى الله عليه وسلم جالس قلت فأشرت بابهامى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لقد اغتبتيها ورواه كذلك الخرائطى فى مساوى الاخلاق والبيهقى فى الشعب وأخرج عبد بن حميد من حديث عكرمة ان امرأة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فقالت عائشة يا رسول الله ما أجملها وأحسنها لولا أن بها قصرا فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها الحديث (ومن ذلك المحاكاة) يقال حكاه وحاكاه اذا فعل مثل فعله وأكثر ما يستعمل فى القبيح (بان يمشى متعارجا) أو متطأطئا رأسه (أو كما يمشى) أو غير ذلك من الهيآت كأن يحاكى خطبته أو وعظه أو تدريسه أو غير ذلك (فهو غيبة) محرمة (بل هو أشد من الغيبة) أى من أشد أنواعها (لانه أعظم فى التصوير والتفهيم) للغير (ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها (حكت امرأة قال ما يسرنى انى حاكيت) وفى نسخة حكيت (انسانا ولى كذا وكذا) تقدم فى الآفة الحادية عشر (وكذلك الغيبة بالكتابة) بالقلم على الورق (فان القلم أحد اللسانين) وهو من الكلمات الحكمية أى ان القلم فى التصوير والتفهيم مثل اللسان (وذكر المصنف) فى كتابه (شخصا معينا وتهجينه) أى نسبته الى الهجنة (وذكر كلامه فى الكتاب) على وجه التهوين والتنكيل والازراء (غيبة) محرمة لا يجوز ارتكاب مثله (الا أن يقترن به شئ من الاعذار المحوجة كما سيأتى بيانه) فيما بعد (وأما قوله) فى الكتاب (قال قوم كذا) فهذا هو الابهام (فليس ذلك غيبة) أى الابهام فى الغيبة ليس بغيبة وهو جائز (انما الغيبة التعريض لشخص معين اما حى أو ميت) بما يسوءه ويكرهه ويستثنى من هذا الابهام ما اذا فهم منه المعين بقرينة فانه غيبة واليه أشار المصنف بقوله (ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم) أو بعض من قدم اليوم (أو بعض من رأيناه) اليوم (اذا كان المخاطب به (يفهم منه) بقرينة قائمة (شخصا معينا لان المحذور) انما هو (تفهيمه دون ما به التفهيم فاذا لم يفهم عينه جاز) ولم يكن غيبة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيأ قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) فهذا هو الابهام فى الغيبة قال العراقى رواه أبو داود من حديث عائشة ورجاله رجال الصحيح اهـ (وكان) وفى نسخة فكان (لا يعين) شخصا بعينه (وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم) أو بعض من يوصف بالصلاح ونحو ذلك (اذا كان معه قرينة) قائمة (تفهم عين الشخص فهو غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء) أى العلماء (المرائين) بعلومهم وهم علماء الدنيا (فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم) للناس (التعفف عن الغيبة) والتباعد عنها (ويفهمون المقصود) الذى سيق الكلام لاجله (ولا يدرون) بجهلهم (انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة ومثل ذلك أن يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذى لم يبلنا) أى لم يمتحنا (بالدخول على السلطان) أو بمخالطة الامراء أو الحمد لله الذى عصمنى من مخالطة السلطان (والتبذل فى طلب الحطام) أى متاع الدنيا من مال وغيره (أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منه) أو

وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتعبهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ان أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم انهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه.

يقول الله يلطف به ونحو ذلك (وانما) قصده بذلك (أن يفهم) الناس (عيب الغير) من المخالطة وطلب الحطام وقلة الحياء (فيذكره بصيغة الدعاء) له (وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته) أي اغتيابه (فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات) ولم يشتغل بغيرها (ولكن قد اعتراه) الآن (فتور) همة وكسل (وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر) على المكاره (فذكر نفسه ومقصوده) من ذلك (ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون) بهذا الفعل (مغتابا) لاخيه (ومرائيا) لعمله (ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة) وهذا من أدق ما يبتلى به الخاصة فضلا عن العامة (وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل) من العامة (اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم) يتعلمونه (فانه يتعبهم) أي يوقعهم في المشقة (ويحبط بمكايده عملهم) فلا يكون مقبولا (ويضحك عليهم ويسخر منهم) ويلعب بهم كما يلعب الصبي بالكرة فقد روى أبو نعيم في الحلية من حديث واثلة المتعبد بلا فقه كالحمار في الطاحون (ومن ذلك أن يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين) في المجلس (فيقول سبحان الله ما أعجب هذا) فينبهه (حتى يصغي) باذن قلبه (الى المغتاب ويعلم ما يقوله) ويلقيه (فيذكر اسم الله) جل اسمه (ويستعمل ذكره آلة له في تحقيق خبثه) في طويته (وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا) واستخفافا (وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا) الفلاني (من الاستخفاف به) والازراء لشأنه (فنسأل الله أن يروح سره) وفي نسخة نفسه أي يعطيه راحة سر والمراد بالسر الباطن (ويكون) هو (كاذبا في دعوى الاغتمام) عليه (وفي اظهار الدعاء) له (بل لو) كان صادقا في دعواه و (قصد الدعاء له لاخفاه في خلوة) عن الناس أو (عقيب صلاته) بينه وبين الله تعالى (ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه) ويسوءه لو بلغه (وكذلك يقول ذلك المسكين) أو المسيكين بالتصغير (قد بلي بآفة عظيمة تاب الله عليه وعلينا) أو علينا وعليه كما في نسخة (فهو في كل ذلك يظهر الدعاء) له (والله مطلع على خبث ضميره) ورداءة طويته (وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا) اذ نبه بقوله ذلك على انه يرتكب ما يجب عليه التوبة (ومن ذلك الاصغاء) أي الميل باذن القلب (الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها) أي يسترسل (فكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير) والصلاح (وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه) أو لطف الله به (فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين) أي المستمع والمغتاب شريكان في الاثم قال العراقي روى الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة وهو ضعيف اهـ قلت وكذلك رواه الخطيب ولفظه نهى عن الغناء والاستماع الى الغناء وعن الغيبة والاستماع الى الغيبة وعن النميمة والاستماع الى النميمة قال الهيثمي فيه فرات بن السائب وهو متروك وروى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان انه قال لمولى له نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به فان المستمع شريك القائل (وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ان أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم) أي كثير النوم (ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا مع الخبز فقال صلى الله عليه

وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما) قال العراقي رواه أبو العباس الدغولي في الادب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا نحوه ورواه أيضا المقدسي في المختارة من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس اهـ قلت قال الخرائطي في مساوي الاخلاق حدثنا أبو بدر عباد بن الوليد حدثنا حبان بن هلال عن حماد عن ثابت عن أنس قال كانت العرب يخدم بعضها بعضا في الاسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاما فقال أحدهما ان هذا لنؤم فايقظاه فقالا ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان أبا بكر وعمر يقرآنك السلام فقال ائتدما فجاء فاخبرهم فقالا يا رسول الله بأي شئ ائتدمنا قال بلحم أخيكما والذي نفسي بيده انى لارى لحمه بين ثناياكما فقالا استغفر لنا يا رسول الله فقال مراه فليستغفر لكما (فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع) وقد رويت هذه القصة من وجه آخر من مرسل يحيى بن أبي كثير أورده الحكيم الترمذي في نوادر الاصول قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه لحما فقال أوليس قد ظللتم من اللحم شباعا قالوا من أين فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال من لحم صاحبكم الذى ذكرتم قالوا يا نبي الله انما قلنا والله انه لضعيف ما يعيننا على شئ قال ذلك فلا تقولوا فرجع اليهم الرجل فاخبرهم بالذى قال قال فجاء أبو بكر فقال يا نبي الله طأ على صماخى واستغفر لى ففعل وجاء عمر فقال يا نبي الله طأ على صماخى واستغفر لى ففعل وهذا السياق دل على انهما رضى الله عنهما كانا مستمعين وان القائل بالكلام المذكور غيرهما بدليل قولهما طأ على صماخى فاشار به الى انه كان مستمعا (وقال للرجلين الذين) مرا على ماعز وهو يرجم (وقال أحدهما للآخر اقعص الرجل كما اقعص الكلب) ومقول القول (انهشا من هذه الميتة) قد تقدم قبل هذا باثنى عشر حديثا (فجمع بينهما) مع ان القائل واحد (فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر) على المغتاب (بلسانه) ان قدر (فان خاف) الضرر (فبقلبه وان قدر على القيام) من ذلك المجلس (أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه) الاثم (وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق) لمخالفة قلبه لسانه (ولا يخرجه عن الاثم مالم يكرهه بقلبه) مصمما عليه (ولا يكفي ان يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه أو جبينه) أو طرف عينه (فان ذلك استحقار للمذكور) بالغيبة (بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذل) بالبناء للمجهول (عنده) أى بحضرته أو بعلمه (مؤمن وهو يقدر) أى والحال انه يقدر (على ان ينصره) على من ظلمه (فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق) قال العراقي رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة اهـ قلت قال الهيثمي وهو حسن الحديث وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وكذلك رواه ابن السني في اليوم والليلة ولفظهم جميعا من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره أذله الله على رؤس الاشهاد يوم القيامة وروى الخرائطي من حديث عمران بن حصين من ذكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على ان ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ومن حديث أنس بزيادة ومن لم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيب) بان رد على من اغتابه وشانه وعابه (كان حقا على الله عز وجل أن يرد عن عرضه يوم القيامة) جزاء وفاقا رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض أخيه بالغيبة فساقه وكذلك رواه في ذم الغيبة قال العراقي فيه شهر بن حوشب وهو عند الترمذي من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة اهـ قلت لفظ الترمذي أخرجه أيضا أحمد والطبراني وفي رواية كان له حجابا من النار رواه كذلك عبد بن حميد وابن زنجويه والرويانى والخرائطي في المكارم والطبراني وابن السني في اليوم والليلة وفي رواية كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة رواه الطبراني والخرائطي (وقال)

وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضا

من ذب عن عرض أخيــه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد فى نصرة المسلم فى الغيبة وفى فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطوّل باعادتها* (بيان الاسباب الباعثة على الغيبة)* (٥٤٥) اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولـكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانيــة منها تطرد فى حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة* (أما الثمـانيـة)* فالاوّل أن يشفى الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفى بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبــة *الثانى موافقة الاقران ومجامــلة الرفقاء ومساعدتهم على الـكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفــروا عنــه فيساعدهم و يرى ذلك من حسن المعاشرة و يظن أنه مجاملة فى الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكــر العيوب والمساوى الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطوّل لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصدق الاوّل ويستشهد به و يقول ما من عادتى الـكذب فانى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت

صلى الله عليه وسلم (أيضا من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى خيثمة احدثنا عثمان بن عمر عن عبيد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره وكذلك رواه أحمد والطبرانى ولـكن بلفظ من رد بدل من ذب ورواه ابن المبارك وأحمد أيضا والخرائطى فى مكارم الاخلاق والطبرانى أيضا والبيهقى بلفظ من ذب عن لحم أخيه بالغيبة والباقى سواء (وقد ورد فى نصرة المسلم فى الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة) وآثار شهيرة (أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطوّل باعادتها) فمن ذلك حديث أنس من حمى عرض أخيه فى الدنيا بعث الله اليه ملكا يوم القيامة يحميه من النار وحديث جابر وأبى طلحة ما من امرئ يخذل امرأ مسلما فى موطن تنتهك فيه حرمته و ينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن تجب فيه نصرته وما من امرئ ينصر امرأ مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته الا نصره الله فى موطن تجب فيه نصرته وحديث أنس اذا وقع فى رجل وأنت فى ملا فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا أو قم عنهم ثم تلا هذه الآية أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وحديثه أيضا من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيـع نصره أدركه الله فى الدنيا والآخرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنــه ما يمنعكم اذا رأيتم السفيه يخرق اعراض الناس ان تعربوا عليــه قالوا نخاف لسانه قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء وكان ميمون بن سياه لا يغتاب ولا يدع أحدا عنده يغتاب ينهاه فان انتهى والا قام

(بيان الاسباب الباعثة على الغيبة)

(اعلم أن البواعث على الغيبــة كثيرة ولـكن يجمعها أحــد عشر سببا ثمانية) منها (تطرد فى حق العامة وثلاثة) منها (تختص باهل الدين والخاصة أما الثمـانية) التى تطرد فى حق العامة (فالاوّل تشفى الغيظ) أى الغضب الكامن فى القلب (وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه) وثار من باطنه على الجوارح (تشفى بذكر مساويه) ومعايبه (وسبق اللسان اليه) أى الى ذكر المساوى (بالطبع) المجبول عليــه (ان لم يكن ثم) أى هنالك (دين وازع) أى مانع حاجز وورع جبلى (وقد يمتنع تشفى الغيظ عند) هيجان (الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن و يصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى) لا يفتر عنه (فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة) وقد وردت أخبار فيمن لم يشف غيظه بمعصية الله تعالى سيأتى ذكرها (الثانى موافقة الاقران) من اخوان الزمان (ومجاملة الرفقاء) والاصحاب (ومساعدتهــم على الـكلام فانهــم اذا كانوا) من عادتهــم انهم (يتفكهون بذكر الاعراض) والوقوع فيها (فيرى انه لو انكر عليهــم) بلسانه (أو قطع المجلس) فان قام منه ولم يعد (استثقلوه) أى عدوه ثقيلا (ونفروا عنه) وقطعوا صحبته (فيساعدهم) على عوائدهم (و يرى ذلك من حسن المعاشرة) وجميل المجاورة (و يظن انه) أى فعــله ذلك (مجاملة) لهــم (فى الصحبــة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبــهم اظهارا للمساهمة) أى المشاركة (فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى) ولم يعلم بان الله تعالى يغضب عليــه اذا طلب سخطه فى رضا المخلوقين وقد وردت فى ذلك أخبار سيأتى ذكرها (الثالث) التحامى عن رد قوله لسبق الغير فى تقبيحه و بيانه (أن يستشعر من انسان انه سيقصده و يطوّل لسانه فيه أو يقبح) مقاله و يفضح (حاله عند محتشم) أى رئيس ذى جاه وحشمة (أو يشهد عليه بشهادة) على شئ يغض منــه (فيبادره) و يستعجل عليه (قبل أن يقبح هو حاله و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته) ومقالته (أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليــه بعده فيروّج) أى يزين (كذبه بالصــدق الاوّل و يستشهد به و يقول ما من عادتى الـكذب فانى) اختــبرتكم آنفا (بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت) وكما اذا ذكر زيد

* الرابع أن ينسب الى شئ فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره اليه أو يذكر غيره بانه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و يريهم انه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور ويجرى أيضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستحقار المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة فهى أغمضها وأدقها لانها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى انكار المنكر والخطأ فى الدين فيقول ما أعجب ما رأيت يغتم
من فلان فانه قد يكون به صادقا و يكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل الثانى الرحمة وهو أن

مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد أن يغتاب عمرا ليحامى ما سبق من كلامه من بطلان مرامه (الرابع) التبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير وبيانه (أن ينسب الى شئ فيريد أن يتبرأ منه) أى يتخلص منه (فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعله فلا ينسب غيره اليه) فيكون بهذا جامعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (أو يذكر غيره بانه كان مشاركا له فى الفعل) ولم يكن وحده (ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة) أى المفاخرة (وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل) أو بليد (وفهمه ركيك) أى سقيم (وكلامه ضعيف) ونحو ذلك (وغرضه) منه (أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه) ورفعة مقامه (و يريهم انه أعلم منه) وأدق فهما (أو يحذر) أى يخاف (أن يعظم) عندهم (مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك) حتى ينقص مقامه عندهم (السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى عليه الناس) و يشيرون له بالفضل (ويحبونه و يكرمونه) ويجلونه (فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه) والحط عليه (فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا) أى يمتنعوا (عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد) المتقدم بذكرهما (فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق) فافترقا بهذه الحيثية فهو سبب مستقل للغيبة (السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت) أى سوقه وامضاؤه (بالضحك) وغيره من أسباب المقت (فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب) ونحو ذلك (الثامن الاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور) أى فى حضرة من يستحقره (و يجرى أيضا فى الغيبة) بفتح الغين أى فى حالة الغيب (ومنشؤه التكبر) والترفع (واستحقار المستهزأ به) وهذا السبب مع ما قبله قد يتحدان فان تزجية الوقت كما يكون بالهزل واللعب يكون بالاستهزاء والاستخفاف ونظرا الى هذا جعل مؤلف مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم البواعث سبعة لا غير فتأمل وعلاج ذلك بما ذكر فى هذا الكتاب فى محله فان مساوى الاخلاق انما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بضدها فليتفحص عن السبب و يعالج بالضد (وأما الاسباب) الثلاثة التى هى فى الخاصة وأهل الدين (فهى أغمضها وأدقها) وأخفاها (لانها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان) أى خلط (بها الشر الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر) الشرعى (والخطأ فى الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون صادقا) فى قوله (و يكون تعجبه من المنكر) الذى صدر منه (ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى ذكر تعجبه فصار به مغتابا) له (من حيث لا يدرى) لانه لو بلغه ذلك لكرهه (وأثم) فى ذلك وقل من يتفطن له الا العارفون (ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة) الصورة (وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل) فان هذا القول وان كان صدقا فى الحقيقة بان تكون الجارية فى نفس الامر قبيحة والرجل الذى يجلس اليه جاهلا ولكنه مخلوط بالغيبة بتعيين أشخاصهما وذكرهما بما يكرهانه لو بلغهما (الثانى الرحمة وهو أن

يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره روى عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لتنبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه وأخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رآنى نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذى ينالها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك *

(بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة) * اعلم أن مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص

يغتم بسبب ما يبتلى به) أى يمتحن (فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا فى) دعوى (اغتمامه ويلهيه الغم) الذى عرض له (عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا) له (فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكنه ساقه) الشيطان (الى) معرض (شر من حيث لا يدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه) أى ارتكبه (انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب عليه أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهر على غيره ويستر اسمه) ويخفيه (ولا يذكره بالسوء) لحرمة عرضه (فهذه الثلاثة مما يغمض) ويدق (دركها على العلماء) الاجلة (فضلا عن العوام فانهم) أى العلماء (يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان) كل منها (لله تعالى كان عذرا) مبيحا (فى ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها) أى لا سعة فيها (عن ذكر الاسم كما سيأتى) بيانه (روى عامر بن واثلة) بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثى أبو الطفيل ولد عام أحد ورأى النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى بكر فمن بعده وعمر الى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح وهو آخر من مات من الصحابة قاله مسلم وغيره (ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس لبئسما قلت والله لتنبئنه) أى لتظهرن ما قلت (ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره) ما قال (فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك) ولم ينكر (فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه) وهل لذلك سبب (فقال أنا جاره) الملاصق (وأنا به خابر) أى مطلع على أحواله (والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة) أى الفروض الخمسة (قال) الرجل (فسله يا رسول الله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط) من شهور السنة (الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر) يعنى شهر رمضان (قال) الرجل (فاسأله يا رسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا ولا رأيته يعطى من ماله شيأ فى سبيل الله سوى هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر قال) الرجل (فاسأله) يا رسول الله (هل رآنى نقصت منها أو ماكست طالبها الذى ينالها) أى ماطلته (فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم قم فلعله خير منك) قال العراقى رواه أحمد فى مسنده باسناد صحيح

(بيان العلاج الذى يمنع اللسان من الغيبة)

(اعلم أن مساوى الاخلاق كلها تعالج بمعجون العلم والعمل) أى اذا عجن العلم النافع الخالص عن الشوائب بالعمل الصالح الخالى عن الرياء والسمعة وركبا بالاوزان الشرعية واتخذا معجونا واستعمله من به داء مساوى الاخلاق نفعه (وانما علاج كل علة بمضادة سببها) كما اذا قوى البرد ونظر الى سببه عولج بالادوية الحارة المزيلة لذلك السبب الذى نشأ بسببه ذلك البرد العارض وكذا بالعكس (فلنفحص) أى

عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته في القيامة الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيآت خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيآته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروى ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي الي برضاه فأحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا

نبحث (عن سببها) فان معرفة الاسباب هو الركن الاعظم في المداواة للعلل الحادثة (وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة) أي الاجمال (والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها) وذكرناها آنفا (وان يعلم انها تحبط حسناته يوم القيامة) وقد روى ابن أبي الدنيا عن كعب قال الغيبة تحبط العمل (فانه تنقل حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه) أي استأصله (من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيآته) كما وردت بذلك الاخبار (وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل متشبه عنده بآكل الميتة) أي لحمها (بل العبد يدخل النار) أي يستحق دخولها (بان ترجح كفة سيآته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان) لكفة السيآت (ويدخل بها النار وانما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب) والمناقشة في كل ذلك (قال صلى الله عليه وسلم) والله (ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد) قال العراقي لم أجد له أصلا قال الحافظ السخاوي أي في المرفوع نعم جاء عن الحسن البصري اياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهي أسرع في الحسنات من النار في الحطب قلت روى ذلك ابن أبي الدنيا عن أبي الحسن عن ابن عبد الله الرقي حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني أبي عن الحسن انه كان يقول اياكم والغيبة فذكره (وروى أن رجلا قال للحسن) البصري (بلغني انك اغتبتني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة) أي في ذمها (لم يطلق لسانه بها) أصلا (خوفا من ذلك) أي من الوعيد الذي دلت عليه الاخبار (وينفعه أيضا أن يتذكر في عيوب الناس عيب نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) قال العراقي رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف اهـ قلت تمامه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعد عنها الى البدعة وقد رواه كذلك الديلمي وتقدم في أول الباب من هذا الكتاب (ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه بذم غيره) فذم نفسه أولى من ذم غيره (بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره في نفسه في التنزه) أي التباعد (عن ذلك العيب كعجزه هذا اذا كان عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان أمرا خلقيا) قد خلقه الله كذلك وليس في اختياره تبديله (فالذم له ذم للخالق) أي يرجع اليه ولو لم يقصد (فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها) استلزاما (قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي الي فأحسنه) أي أزينه وانما هذه خلقة الله تعالى فما من حسن أو قبيح الا والله خالقه (واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه) أي ظاهرا له عند تأمله (فليشكر الله تعالى) على هذه النعمة (ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب) فان ثلب أعراض الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب وأشدها (بل لو أنصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب) ظن فاسد و(جهل بنفسه) وغرور (وهو من أعظم العيوب) فان مقتضى البشرية يقتضي العيب الا من برأه الله تعالى (وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بعيب غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب) أي يغتابه غيره (فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا

رضاه لنفسه فهذه معالجات جلية أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول اني اذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه على بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه أكل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق واما الموافقة فبان تعلم أن الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا

برضاه لنفسه) وهو كمال الايمان (فهذه معالجة جلية) أي اجمالية فيها مقنع لكل متبصر يتطلع بعين بصيرته فيستفيد من هذه المعالجات شفاء لامراضه المستكنة (اما التفصيل في ذلك فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة) ماهو (فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا) ذكر (الاسباب) الثمانية والثلاثة (اما الغضب فيعالجه بما سيأتي) في الذي يليه في كتاب ذم الغضب (وهو أن يقول اني اذا أمضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فقال) ولا يغتب بعضكم بعضا (فاجترأت على الله تعالى) بمخالفتي له (واستخففت بزجره) فلم أعمل به (وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا) أي عظيم المشقة (لا يدخل منه) وفي رواية لا يدخله (الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى) أي أزال شدة حنقه بايصال المكروه الى المغتاظ عليه على وجه لا يجوز شرعا لان الغضب الكامن كالداء فاذا زال بما يطلبه الانسان من عدوه فكأنه برئ من دائه قال العراقي رواه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ قلت لفظ البزار بسخط الله بدل بمعصية الله وفي سنده قدامة بن محمد عن اسمعيل بن شيبة وهما ضعيفان وقد وثقا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب وابن عدي في الكامل في ترجمة قدامة بن محمد (وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الاربعين البلدانية للسلفي اهـ قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى وابن النجار في ذيل التاريخ (وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الاشهاد حتى يخيره في أي الحور شاء) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس اهـ قلت ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه بلفظ من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه خيره الله من الحور العين يوم القيامة الحديث ولفظ أبي داود والترمذي من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والطبراني والبيهقي ورواه أحمد بلفظ من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره في الحور العين أيتهن شاء الحديث وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا (وفي بعض الكتب) السماوية (يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق) رواه ابن شاهين في كتاب الترغيب في الذكر عن ابن عباس وفيه عثمان بن عطاء الخراساني ضعفوه (وأما الموافقة) مع الرفقاء (فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين) ففي حديث عائشة من أرضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس رواه أبو نعيم في الحلية (فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك) وترضيه (وتحقر مولاك وتترك رضاه لرضاهم الا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن لا تذكر المغضوب عليه بسوء) أصلا (بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا) لاستخفافك بزجره (ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله عز وجل نقدا) حاضرا

وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك ان أكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت (٥٥٠) العنز أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم انك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ * وأما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت اليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك أو تنقل اليك سيآته فلا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك بساق وقد حسدك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود وأما الاستهزاء فقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيآته كما

(وتنتظر رفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل و) نهاية (الخذلان) نعوذ بالله من ذلك (وأما عذرك بقولك ان أكلت الحرام ففلان يأكله) ويشير به الى شخص معين من المشهورين بالعلم والصلاح (وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله) ويشير كذلك الى أحد من أهل عصره ممن يشار اليه بالفضل (فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به) ولا اتباع طريقته (فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان) والباطل لا يكون مقيسا عليه (ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك) وضل رشدك (فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وعدوانك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها) أى تسقطها (من قلة الجبل) أى من أعلاه (فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها) أى للشاة (لسان تنطق بالعذر لصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أفعل لكنت تضحك من جهلها) هو جواب شرط مقدر (وحالك مثل حالها) وعذرك مثل عذرها (ثم لا تعجب ولا تضحك على نفسك) وتعجب من تقليد الشاة للمعزى في التردي وتضحك عليها (وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم انك بما قد ذكرته به أبطلت فضلك عند الله فانك في اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس) في اعراضهم (فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما) وظنا (ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ وأما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الآخرة فتجمع بين النكالين فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا نفسك في الآخرة فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك وأهديت اليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك وتنقل اليك سيآته فلا تنفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة) وقلة العقل (وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود)

طويت أى أخفيت وأتاح ساق وقدر (وأما الاستهزاء فقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس) أى افضاحه (باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام) في يوم تجتمع فيه الخلائق (فلو تفكرت في حسرتك) وندامتك (وجنايتك) التي جنيتها (وخجلتك وخزيك يوم القيامة) بين يدي هؤلاء (تحمل سيآت غيرك الذي استهزأت به) في الدنيا (وتساق) بسبب ذلك (الى النار) ودار البوار (لادهشك ذلك) أى أوقعك في الدهشة (عن اخزاء أخيك) في الدنيا (ولو عرفت حالك) التي تؤل اليها (لكنت أولى من يضحك منك فانك سخرت منه عند نفر قليل) وهم رفقاؤك (وعرضت نفسك لان يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك) الذي استهزأت به (تحت سيآته كما

بساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جزاء الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك أنت انك كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من أبواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

(بيان تحريم الغيبة بالقلب) اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست أعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر والظن وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك الا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس ان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لان الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى ان من استنكه

بساق الحمار) ذليلا منقادا (الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك) وفضيحتك (ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتساطه على الانتقام منك وأما الرحمة) والتحنن (له على اثمه) الذى ابتلى به (فهو حسن) فى نفسه (ولكن حسدك ابليس فأضلك) عن الطريق (واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جبر الاثم المرحوم) المشفق عليه (فيخرج) بذلك (عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله عز وجل لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله تعالى بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك) ويفضحك (كما هتكت ستر أخيك) وفضحته (بالتعجب فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط) وهى العلم (والتحقق بهذه الامور التى هى من أبواب الايمان) ومداخله (فمن قوى ايمانه بجميع ذلك) انشرح صدره لمعرفته واتسع النور فيه وأقبل على مولاه بكليته و(انكشف لسانه عن الغيبة لا محالة)

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

(اعلم ان سوء الظن) بأخيك المسلم (حرام مثل سوء القول) فيه (فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك) الظاهر (بمساوى الغير) ومعايبه (فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك) المسلم (ولست أعنى به الا عقد القلب) المستكن فيه (وحكمه على غيره بسوء الظن فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه) بدليل ما وردت به الاخبار وتقدم ذكرها فى كتاب رياضة النفس (ولكن المنهى عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) أى كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من أى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن حيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للأمر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه (وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان) أى مشاهدة (لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك الا أن تعتقد ما علمته وشاهدته) بعيانك (وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى ان تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أى فتعرفوا وتفحصوا وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفى تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد العدل لا يجب تبيينه من حيث هو كذلك (أن تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم وتمام الآية فتصبحوا على ما فعلتم نادمين أى مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع (فلا يجوز تصديق ابليس) فيما أوقعه فى القلب (وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن يصدقه لان الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدقه حتى ان من استنكه)

فوجدمنه رائحة الخمر لايجوز أن يحد اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وماشربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلايجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلايستباح ظن السوء الابمايستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فاذالم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر علمها أن حاله عندك مستوركما كان وان مارأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لايحققه أى لايحققه فى نفسه بعقد ولافعل لافى القلب ولافى الجوارح أما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وأما فى الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلاينبغى ان تحسن الظن بواحد وتسىء بالآخر نعم ينبغى ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو

اى شم فمه (فوجدمنه رائحة الخمر لايجوز أن يحد) حد الشارب للخمر (اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بها ومجها) أى ألقاها (وماشربها أو حمل عليه) أى على شربها (قهرا) أى أكره الى ذلك (فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلايجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها) وقد قال الشاعر

يقولون لى انكه قد شربت مدامة * فقلت لهم لابل أكلت السفرجلا

وقد اعتبر أصحابنا وجود الرائحة فى ايجاب الحد بشروط على ماهو مذكور فى الفروع وهو مذهب عمر وابن مسعود (وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه بسند ضعيف أيضا (فلايستباح الابمايستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فاذالم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغى أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن الحال عندك مستور كما كان وان مارأيته به يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله) أى يعده ثقيلا (ويمسك عن مراعاته) لاحواله (وتفقده) عند تأخره (واكرامه) عند لقائه (أو الاغتمام بسببه) ان عرض به عارض (فهذه أمارات لعقد الظن) فى القلب (وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لايحققه) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف اهـ قلت لفظ الطبرانى فى الكبير ثلاث لازمات لامتى سوء الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلاتحقق واذا حسدت فاستغفر الله تعالى واذا تطيرت فامض وفى سنده اسمعيل بن قيس الانصارى وهو ضعيف وكذلك رواه أبو الشيخ فى كتاب التوبيخ وروى عمر الاصبهانى الحافظ الملقب برسته فى كتاب الايمان له عن الحسن البصرى مرسلا ثلاث لم تسلم منها هذه الامة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها اذا ظننت فلاتحقق واذا حسدت فلاتبغ واذا تطيرت فامض (أى لايحققه فى نفسه بعقد ولافعل لافى القلب ولافى الجوارح اما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وأما فى الجوارح فبالعمل بموجبه) ومقتضاه (والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك) وحسن تفرسك (وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق نظر بغرور الشيطان وظلمته فاحذر من ذلك وأما اذا أخبرك غيرك من العدول فمال ظنك الى التصديق كنت معذورا) فى الجملة (الا انك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلاينبغى أن تحسن الظن بواحد وتسىء بالآخر نعم ينبغى أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت) فى خصومة أو معاملة (فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو) وذلك فيماروى انه صلى الله عليه وسلم قال لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ولامجلود حد ولامجلودة ولاذى غمر على أخيه ولامجرب عليه شهادة زور ولاالتابع مع آل البيت لهم ولا الظنين فى ولاء ولافى قرابة أخرجه الترمذى وضعفه والبيهقى من حديث عائشة وروى أبوداود وابن ماجه والبيهقى وابن عساكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ولازان ولازانية ولاذى غمر على أخيه فى الاسلام ورواه عبدالرزاق وأحمد بلفظ لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ولاذى غمر على أخيه ولاشهادة التابع لاهل البيت وتجوز شهادته لغيرهم ورواه عبدالرزاق أيضا عن عمر بن عبدالعزيز بلاغا لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ولاذى غمر على أخيه

ذلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا تحاسد بينه و بين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان و يدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بايداء الوعظ ولكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن و يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته *(بيان الاعذار المرخصة في الغيبة)* اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة أمور * الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن مظلوما أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان و ينسبه الى

أخيه ولا يحدث في الاسلام ولا يحدثه ورواه أيضا وكذا الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة لا تجوز شهادة ذي الظنة ولا ذي الحنة (فالك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان في ستر الله عندي وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره) وحاله (وقد يكون الرجل ظاهره الستر والعدالة ولا محاسدة بينه و بين المذكور) ولا معاداة ولا تعنت (ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق) هذا اذا صدر منه الاغتياب على القلة (وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق) أي لم يبالوا وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من أكبر الفساد الا من عصمه الله تعالى (ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته) وتفقده واكرامه والسؤال عن حاله (وتدعوله بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان) و يغضبه (و يدفعه عنك ولا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء) له (والمراعاة) لحاله (ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة) ظاهرة (فانصحه في السر) لا في العلانية (فلا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه) وعيبه (لينظر اليك بعين التعظيم) والاحترام (وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ) والنصح (ولكن قصدك تخليصه من الاثم) الذي وقع فيه (وأنت حزين كما تحزن على نفسك بنقصان في دينك وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن و يطلب التحقيق) بمقتضاه (فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه) أي عن كل منها (في آية واحدة) وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا فقدم ذكر سوء الظن ثم أتبعه بثمرته ثم ذكر الغيبة (ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع) الى ما وراء (وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته) فلا نطول باعادته والله الموفق

(بيان الاعذار المرخصة في الغيبة)

(اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة أمور) نظمها بعضهم فقال

لا تقدح الغيبة في ستة * متظلم ومحذر ومعرف
ولمظهر فسقا ومستفت ومن * طلب الاعانة في ازالة منكر

(الاول التظلم فان من ذكر قاضيا من القضاة بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا) لله تعالى (أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان) الاعظم الذي ولاه القضاء (و ينسبه الى

(الظلم) و يشكو منه (اذلا يمكنه استيفاء حقه الابه) فحصل الترخيص له من الشارع (وقد قال) الله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم وقال (صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا) أى ان لصاحب الدين صولة الطلب وقوة الحجة قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت رواه من حديث سلمة بن كهيل سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن أبى هريرة ان رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا قال الحافظ السخاوى وهو من غرائب الصحيح قال البزار لا يروى عن أبى هريرة الابهذا الاسناد ومداره على سلمة بن كهيل وقد صرح بعنى به فى رواية البخارى بانه سمعه من أبى سلمة بمنى وذلك لما حج وقد رواه كذلك الترمذى و رواه أحمد من حديث عائشة وابن عساكر من حديث أبى حميد الساعدى و روى أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة دعوه فان طالب الحق أعذر من النبى (وقال صلى الله عليه وسلم مطل الغنى ظلم) أى تسويف القادر المتمكن من اداء الدين الحال ظلم منه لرب الدين فهو حرام والتركيب من قبيل اضافة المصدر الى فاعله وقيل من اضافة المصدر الى مفعوله يعنى يجب وفاء الدين وان كان مستحقه غنيا فالفقير أولى ولفظ المطل يؤذن بتقديم الطلب فتأخير الاداء مع عدم الطلب ليس بظلم وقضية كونه ظلما انه كبيرة يفسق به ان تكرر وكذا ان لم يتكرر على ماجرى عليه بعضهم قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت تمامه واذا اتبع أحدكم على ملئ فليتبع وكذلك رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وفى رواية لبعضهم المطل ظلم الغنى وفى الباب عن عمران بن حصين عند القضاعى وابن عمر عند أحمد والترمذى (وقال صلى الله عليه وسلم لى الواجد) أى الغنى واللى المطل (يحل) بالضم من الاحلال (عرضه) بان يقول له المدين أنت ظالم أنت مماطل ونحوه مماليس بفحش ولاقذف (وعقوبته) بان يعزره القاضى على الاداء بنحو ضرب أو حبس حتى يؤدى قال العراقى رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح اه قلت رواه أبو داود فى الاقضية والنسائى فى البيع وابن ماجه فى الاحكام وكذلك رواه أحمد والحاكم من طريق عمرو بن الشريد عن أبيه وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبى وعلقه البخارى وأخرج البيهقى فى الشعب من طريق شعبة قال الشكاية والتحذير ليسا من الغيبة قال عقبة وهذا صحيح فقد يصيبه من جهة غيره أذى فيشكوه و يحكى ماجرى عليه من الاذى فلا يكون ذلك حراما ولو صبر عليه كان أفضل (الثانى الاستعانة) بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) أى ازالته (ورد العاصى الى منهج الصلاح) بتركه وتوبته (كما روى ان عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة) رضى الله عنهما (فسلم) عليه (فلم يرد السلام) لشغل كان به أولم يسمعه (فذهب) عمر (الى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فاتى أبا بكر) وأخبره (ليصلح ذلك) اذ كان رد السلام واجبا (ولم يكن ذلك غيبة) فدعا أبو بكر عثمان أو طلحة فاعتذر اليه وقبل ذلك منه (وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه ان أبا جندل عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب) رواه كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان حدثنا يزيد بن الاصم ان رجلا كان ذا بأس وكان يرفد الى عمر لبأسه وكان من أهل الشام ففقده عمر فسأل عنه فقيل تتابع فى الشراب فدعا كاتبه فقال اكتب من عمر الى فلان سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو غافر الذنب وقابل التوب ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له ان يقبل الله بقلبه وان يتوب عليه فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله ان يغفر لى وقال شديد العقاب فحذرنى من عقابه فرددها وبكى ثم نزع فاحسن النزع فلما بلغ عمر قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخالكم قد زل فسددوه ووفقوه وادعوا له ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه وقد تقدم ذلك فى كتاب آداب الصحبة بنحوه (ولم ير عمر ذلك ممن أبلغه غيبة) فى حقه (اذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه مالا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو

الظلم اذلا يمكنه استيفاء حقه الابه قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغنى ظلم وقال عليه السلام لى الواجد يحل عقوبته وعرضه الثانى الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه ان أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه مالا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو

المقصود كان حراما * الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي او زوجتي أو أخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بأن
يقول ماقولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء * الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لاغير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة
فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترغبون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس

المقصود كان حراما) وذلك موضع الغرور فانه قلما يستعين بذي جاه و يذكر له شيأ من ذلك الا والشيطان يوقعه في آفات عظيمة لا يكاد يتخلص منها (الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم) في هذا (التعريض) دون التصريح (بان يقول ماقولك) أو كيف تقول (في رجل ظلمه أبوه) أو أخوه (أو زوجته) أو أخذ مال ابنه ظلما أو أخذت مال الزوج بغير اذنه لاجل بخله (ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية والدة معاوية بن أبي سفيان اخبارها قبل الاسلام مشهورة وشهدت أحدا مع المشركين وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب على المسلمين الى ان جاء الله بالفتح فاسلم زوجها أبو سفيان ثم أسلمت هي يوم الفتح وقصتها في قولها عند بيعة النساء أن لا يسرقن ولا يزنين فقالت وهل تزني الحرة وعند قوله ولا يقتلن أولادهن قد ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا مشهورة ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي وعن ميمون بن مهران قال الواقدي لما أسلمت هند جعلت تضرب صنما لها في بيتها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة وتقول كنا منك في غرور وقيل انها بقيت الى خلافة عثمان وبه جزم ابن سعد (انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان) تعني زوجها (رجل شحيح) أي بخيل الى الغاية (لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من) ماله من (غير علمه) هل علي في ذلك من حرج (قال) لها صلى الله عليه وسلم (خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف) رواه البخاري ومسلم بلفظ خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك وهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال الحافظ في الاصابة وشذ عبد الله بن محمد بن عروة فقال عن هشام عن أبيه عن هند أخرجه ابن منده وفيه قصة البيعة وفيه فقالت ان أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني الا ما أخذت منه من غير علمه الحديث وفيه عن مرسل الشعبي قالت هند كنت قد اقتنيت من مال أبي سفيان فقال أبو سفيان ما أخذت من مالي فهو حلال (فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء) لا الحكومة والدعوى (الرابع تحذير المسلم من) سراية الشر فاذا رأيت (فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى اليه بدعته) و يسري اليه شره (فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لاغير وذلك موضع الغرور) من الشيطان (اذ قد يكون الحسد هو الباعث) لك (ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق) فيهلك نفسه بذلك (فكذلك من اشترى مملوكا وقد عرف المملوك بالسرقة والفسق أو بعيب آخر فلك) أيها البائع (أن تذكر ذلك للمشتري تصريحا فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك العيب ضرر العبد) اذ لا يقدم المشتري على شرائه فيكون كاسدا (والمشتري أولى بمراعاة جانبه) من مراعاة جانب العبد وان كان في كل منهما مضارة (وكذلك المزكي) في رواة الاخبار والشهادات (اذا سئل عن) تزكية (الشاهد فله الطعن فيه) وجرحه (ان علم مطعنا) فيخبر بما يعلمه من الراوي أو الشاهد ليتقي خبره وشهادته فيكون ذلك مباحا نقله البيهقي عن شعبة (وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له أن يذكر ما عنده على قصد النصح للمستشير) بان فلانا لا يصلح لها أو لا يصلح لان يودع عنده شئ (لا على قصد الوقيعة فيه) و يشترط أن لا يكون بين المستشار والمستشار فيه عداوة أو خصومة (فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به قال صلى الله عليه وسلم أترعون) بفتح همزة الاستفهام وكسر الراء من ورع يرع كوعد يعد أي أتتحرجون وتمتنعون (عن ذكر الفاجر) المعلن بفسقه الذي لا يبالي بما ارتكبه (اهتكوه) أي اكشفوا حاله وارفعوا ستره (متى يعرفه الناس) فيحذرون منه (اذكروه بما فيه) من الاوصاف الذميمة (حتى يعرفه الناس)

وكانوا يقولون ثلاثة لاغيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى أبو الزناد عن الاعرج وسلمان عن الاعمش وما يجرى مجراه

فلا يغترون به وبين بقوله بما فيه انه لا يجوز ذكر فاسق بغير ما فيه ولا بما لم يعلن به وأشار بقوله يحذره الناس الى أن مشروعية ذكره بذلك مشروطة بقصد الاحتساب وارادة النصيحة دفعا للاغترار ونحوه فمن ذكر أحدا من هذا الصنف تشفيا لغيظه أو انتقاما لنفسه أو نحو ذلك من الحظوظ النفسانية فهو آثم صرح بذلك التاج السبكى عن والده قال كنت جالسا بدهليز دارنا فاقبل كلب فقلت اخسأ كلب بن كلب فزجرنى الوالد من داخل البيت فقلت أليس هو كلب بن كلب قال شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت هذه فائدة قال العراقى رواه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون متى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا فى الصمت اه قلت رواه الخطيب فى رواية مالك من حديث أبى هريرة بلفظ أترعون عن ذكر الفاجر أن تذكروه فاذكروه يعرفه الناس ثم قال تفرد به الجارود وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكذلك أخرجه فى ذم الغيبة وأخرجه كذلك أبو يعلى والترمذى الحكيم فى الثامن والتسعين من نوادر الاصول والحاكم فى الكنى والشيرازى فى الالقاب والعقيلى والبيهقى والخطيب كلهم من طريق الجارود بن يزيد القشيرى عن بهز قال الجارود لقيت بهز بن حكيم فى الطواف فذكره لى قال الحكيم والخطيب تفرد به الجارود عنه وقال الحاكم هذا غير صحيح وقال البيهقى ليس بشئ وقال فى المهذب كاصله الجارود واه وقال البخارى والدارقطنى هو متروك وقد سرقه منه جمع ورووه عن بهز ولم يصح فى ذا شئ منهم عمرو بن الازهر عن بهز وسليمان بن عيسى عن الثورى عن بهز وسليمان وعمر كذابان وقد رواه معمر عن بهز أيضا أخرجه الطبرانى فى الاوسط عن عبد الوهاب أخى عبد الرزاق وهو كذاب وقول الطبرانى لم يروه عن معمر غيره كذا قال وقال أحمد حديث منكر وقال ابن عدى لا أصل له وقال الدارقطنى فى العلل هو من وضع الجارود وقال العقيلى ليس لهذا الحديث أصل يثبت وفى الميزان ان أبا بكر الجارودى كان اذا مر بقبر جده الجارود قال يا أبت لو لم تحدث بحديث بهز لزرتك (وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن يوسف بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن مغراء حدثنا الاعمش عن ابراهيم قال ثلاث كانوا لا يعدون من الغيبة فذكره قال وبلغنى عن أحمد بن عمران الاخنسى حدثنا سليمان بن حيان عن الاعمش عن ابراهيم قال ثلاثة ليس لهم غيبة الظالم والفاسق وصاحب البدعة وأخرج البيهقى فى الشعب عن سفيان بن عيينة قال ثلاثة ليس لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته (الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب) أى يبين (عن عيبه) أى شخصه (كالاعرج) وهو لقب عبد الرحمن بن هرمز المدنى من أكبر أصحاب أبى هريرة مات بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومائة (والاعمش) هو لقب سليمان بن مهران الكاهلى أبو محمد الكوفى (فلا اثم على من يقول روى أبو الزناد) هو عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ثقة فقيه مات سنة ثمانين روى له الجماعة (عن الاعرج) عن أبى هريرة (وسلمان عن الاعمش) هكذا فى النسخ أى روى سلمان عن الاعمش والاعمش اسمه سليمان كما تقدم الا أن يكون أحد رواة الاعمش اسمه سليمان لكنه ليس فى الشهرة كأبى الزناد عن الاعرج (وما يجرى مجراه) كالابح والارش والاشج والاثرم والاجلح والاحدب والاجرد والاحمر والاحنف والاحول والازرق والاسود والاشتر والاشج والاشدق والاشعث والاشقر والاشل والاصفر والاصم والاعجم والاعسم والاعشى والاعلم والاعمى والاعنق والاعور والاعين والاغطش والافرق والافطس والاقرع والبطين وبومة والتل والجارود والجرب والجافى والجال ودحروجة الجعل ورخ ورشك وزنبور وزنيج وسحيل والسمين وسندول وصاعقة والضال والضرير والضخم والضعيف والطويل والعجل وغندر والغول والفأفأ والفرخ والفقير والقباع

والقرظ

والقرنط والقصير والكوسج وكيلجة ولوين والجدر ومحرق والمزلق ومشفر والمضروب والمعرقب والمفلوج والمقعد والمقفع والمنبوذ فهذه ألقاب رواة الآثار وجملة الاخبار مما يغض عنه السامع عند ذكره وكذلك الكنى من الالقاب كأبي الاحوص وأبي البطن وأبي ثور وأبي الشعثاء وأبي كشوثا وما يجري مجراه وكذلك الانساب من الالقاب كالتبوذكي والدندانى والزنجي والقبطي والمنجنيقي والنبطي وما يجري مجراه (فقد فعل العلماء ذلك للتعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم) انهم يقولون كذلك (بعد ان قد صار مشهورا به) لا يعرف الا هكذا وهو في الاعرج والاعمش والطويل ظاهر فان هؤلاء كان يقال لهم ذلك ولا يغضبون (نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى) وهو اختيار الحسن وجماعة فكانوا يعدون مثل ذلك غيبة وقد تقدم النقل عنهم (ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص) و يريدون به البصير بقلبه وفي بعض الاقوال وانما قيل لحميد الطويل لانه كان قصيرا فالطول ليس بنقص بخلاف القصر نعم اذا وصف الرجل بالطول المفرط يغضي منه (السادس ان يكون مجاهرا بالفسق) معلنا (كالمخنث) والقواد (وصاحب الماخور) وهو مجلس الشراب (والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس باخذ أموالهم وكان ممن يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له) الجلباب الازار وكل ما يستتر به من الثوب والقاؤه عن وجهه كناية عن ترك الحياء فيه لان النهي عن الغيبة انما هو لايذائه المغتاب بما يصيبه من شيء يظهر شينه فهو يستره ويكره اضافته له فلا يقدر على التبري منه وأما من فضح نفسه بترك الحياء فهو غير مبال بذكره فمن ذكره لم يلحقه منه أذى فلا يلحقه وعيد الغيبة قال العراقي رواه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب الاعمال بسند ضعيف اهـ قلت وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الزكاة وقد رواه كذلك ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مساوي الاخلاق والبيهقي في السنن وفي الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي والخطيب وابن عساكر وابن النجار كلهم من طريق رواد بن الجراح عن أبي سعد الساعدي عن أنس مرفوعا بلفظ من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ولفظ ابن عدي من خلع وقال البيهقي انه ليس بالقوي وقال مرة في اسناده ضعف وأخرجه ابن عدي أيضا من رواية الربيع بن بدر عن أبان عن أنس واسناده أضعف من الاول قال البيهقي ولو صح فهو في الفاسق المعلن بفسقه وتقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة (وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن همام عن قتادة قال قال عمر بن الخطاب فذكره (وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته) لانه لا يستتر الا وهو خائف من لحوق العار والذم اليه فمثل هذا اذا قيل فيه ما يكرهه يغتم ويحزن ويتأذى (وقال الصلت بن طريف قلت للحسن) البصري (الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة) رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثني يحيى بن جعفر أنبأنا عبد الملك بن ابراهيم الجدي حدثنا الصلت بن طريف قال قلت للحسن فذكره وقال أيضا حدثني عبيد الله بن جرير حدثني موسى بن اسمعيل حدثنا الصلت بن طريف المولى قال سألت الحسن فاسق رجل قد علمت منه الفجور وقتله علما فذكري له غيبة قال لا ولا نعمة عين للفاجر (وقال الحسن) البصري رحمه الله (ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسن بن عباد حدثنا يحيى بن أبي بكر عن شريك عن عقيل عن الحسن قال فذكره وقال أيضا حدثني أبي حدثنا علي بن شقيق أنبأنا خارجة حدثنا ابن جابان عن الحسن قال ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم المجاهر بالفسق والامام الجائر والمبتدع وقال أيضا حدثنا عبيد الله بن جرير حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا المبارك عن الحسن قال اذا ظهر فجوره فلا غيبة له قال نحو المخنث ونحو الحرورية قال وحدثني محمد بن عباد بن موسى حدثنا مروان بن معاوية عن زائدة بن قدامة قال قلت لمنصور بن المعتمر اذا كنت صائما أنال من

فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة اخرى فهو أولى وذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص * السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب المأخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر

السلطان قال لا قلت فأنال من أصحاب الاهواء قال نعم وقال أيضا حدثنا الحسن بن يحيي أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم قال انما الغيبة لمن يعلن بالمعاصي وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب وقال أيضا حدثنا خلف بن هشام حدثنا أبوعوانة عن قتادة عن الحسن قال ليس بينك و بين الفاسق حرمة قال وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان الحسن اذا ذكره هرته (وهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم متظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو اغتابه بغير مايتظاهر به) وكذا بغير مافيه (اثم قال عوف) بن أبي جميلة الاعرابي البصري العبدي (دخلت على أبي بكر محمد (بن سيرين) رحمه الله تعالى (فتناولت عنده الحجاج) بن يوسف الثقفي (فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه كأنك اذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج) أخرجه أبونعيم في الحلية فقال حدثنا أبوعمرو والعثماني حدثنا النعمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الملك حدثنا الهيثم بن عبيد حدثنا سهل أخوحزم القطعي لا أعلم الا انه هوذكره قال سمع ابن سيرين رجلا يسب الحجاج فاقبل عليه فقال مه أيها الرجل فانك لو وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج واعلم ان الله تعالى حكم عدل ان أخذ من الحجاج لمن ظلمه فسيأخذ للحجاج ممن ظلمه ولا تشغلن نفسك بسب أحد *(تنبيه)* قولهم ليس لفاسق غيبة رواه الطبراني وابن عدي في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب من طريق جعدبة بن يحيي عن العلاء بن بشير عن ابن عيينة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعا به وأخرجه الهروي في ذم الكلام له وقال انه حسن قال السخاوي وليس كذلك وقد قال ابن عدي انه معروف بالعلاء ومنهم من قال عنه عن الثوري وهو خطأ وانما هو ابن عيينة وهذا اللفظ غير معروف وكذا قال الحاكم فيما نقله البيهقي في الشعب عنه عقب ايراده غير صحيح ولا معتمد قال الدارقطني وابن عيينة لم يسمع من بهز والله أعلم

(بيان كفارة الغيبة)

(اعلم ان الواجب على المغتاب) أصله مغتيب على صيغة اسم الفاعل وقد تشترك الصيغتان وتتميزان بالقرينة (ان يندم ويتوب) الى الله تعالى (ويتأسف على مافعله ليخرج من حق الله تعالى) اذ عصاه بمخالفة نهيه (ثم يستحل المغتاب) وهي صيغة اسم المفعول أي يطلب منه العفو لانه ظلمه بغيبته (ليحله) أي يعفو عنه (فيخرج من مظلمته) فالغيبة يتعلق بها حقان عصيان الله وظلم العبد فلابد من التوبة والاستحلال (وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى) وهي المراآة بفعله (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يكفيه الاستغفار) له (دون الاستحلال) منه (وربما احتج في ذلك بما روى أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبت أن تستغفر له) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن خالد بن يزيد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه وقد رواه كذلك الحرث بن أبي أسامة في مسنده والخرائطي في المساوي والبيهقي في الشعب وأبو الشيخ في التوبيخ والدينوري في المجالسة والخطيب في التاريخ وآخرون كلهم من طريق عنبسة عن خالد بن يزيد عن أنس به مرفوعا ولفظ بعضهم كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته وعنبسة ضعيف وقد رواه الخرائطي من غير طريقه من جهة أبي سليمان الكوفي عن ثابت عن أنس مرفوعا بلفظ ان من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله وهو ضعيف أيضا ولكن له شواهد فعند أبي نعيم في الحلية وابن عدي في الكامل كلاهما من حديث أبي داود سليمان بن عمرو النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعا من اغتاب أخاه فاستغفر له فهو كفارته والنخعي ممن اتهم بالوضع وعند الدارقطني من حديث

فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير مايتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

(بيان كفارة الغيبة)

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على مافعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فقد قارف معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له

وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فزيدت على سيآته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فأقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا أحلل

حفص بن عمر الايلي عن سهل بن لاحق عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا من اغتاب رجلا ثم استغفر له من بعد ذلك غفرت له غيبته وهو ضعيف وهو عند البيهقي في الشعب من جهة عباس الترقفي ثم من جهة همام بن منبه عن أبي هريرة قال الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه فمن استطاع أن يجيء غدا بصومه مرقعا فليفعل وقال عقبة هذا موقوف وسنده ضعيف (وقال مجاهد كفارة أكل لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب حدثنا يحيى بن زكريا عن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الله الليثي عن حميد الاعرج عن مجاهد فذكره قال وحدثني محمد بن ادريس حدثنا داود ابن معاذ بن أخت مخلد بن حسين عن شيخ له عن أبي حازم قال من اغتاب أخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة لذلك وروى البيهقي في الشعب عن ابن المبارك قال اذا اغتاب رجل رجلا فلا يخبره ولكن يستغفر وعن محبوب بن موسى قال سألت علي بن بكار عن رجل اغتبته ثم ندمت قال لا تخبره فتغري قلبه ولكن ادع له واثن عليه حتى تمحو السيئة بالحسنة ويؤيده قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وحديث حذيفة كان في لساني ذرب على أهلي لم يعدهم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين أنت من الاستغفار يا حذيفة الحديث رواه الحاكم وصححه والبيهقي وبمجموع هذه يبعد الحكم عليه بالوضع (وسئل عطاء ابن أبي رباح (عن التوبة من الغيبة) كذا في نسخ الكتاب وفي بعضها من الفرية وهو الموافق لما في كتاب الصمت كما سيأتي (فقال تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت وهبت) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن ادريس حدثنا أبو النضر الدمشقي حدثنا اسمعيل بن عياش عن أبي شيبة يحيى بن يزيد الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة عن عطاء بن أبي رباح انه سئل عن التوبة من الفرية قال ان تمشي فذكره الا انه قال في آخره وان شئت عفوت بدل وهبت قال المصنف (وهذا هو الحق) قلت هذا مبني على انه لا فرق عنده بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلا مرية والاحسن في هذا المقام التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الابرار وأما قول عطاء فانه خاص بالافتراء بل ينبغي أن يعترف بالخطأ في حضور الملأ بالخلا وبالملأ فتأمل (وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به) كما هو مفصل في فروع الفقه (بل في الحديث الصحيح ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فزيدت على سيآته) متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها ورواه أحمد كذلك وفيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له عمل أخذ من سيآت صاحبه فجعلت عليه (وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه) أي على ان يأتي اليه (فان كان غائبا) في سفر بعيد (أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويستكثر من الحسنات) فان الحسنات يذهبن السيآت وربما يفهم منه التفصيل الذي ذكرناه آنفا فتأمل (فان قلت فالتحليل هل يجب فأقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحب وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه) بما لم يخرجه الى حد الكذب (و) يبالغ في (التردد اليه) بما لم يخرجه الى حد التملق (ويلازم ذلك) أي الثناء والتودد (حتى يطيب قلبه) فانه ربما لا يطيب قلبه بمرة واحدة او اثنتين (فان لم يطب قلبه) مع ذلك (كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له) في صحيفته (يقابل بها سيئة الغيبة في يوم القيامة وكان بعض السلف يقول لا أحلل من اغتابني) أي لا أجعله في حل مني (وقال سعيد) بن المسيب (لا أحلل

من ظلمني) أي تنقص من عرضي (وقال ابن سيرين اني لم أحظرها) أي لم أحرمها (عليه فأحله ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ماحرم الله أبدا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا محمد بن يونس حدثنا أزهر بن سعد عن ابن عون قال قيل لمحمد بن سيرين يا أبا بكر ان رجلا قد اغتابك فتحلله قال ما كنت لاحل شيأ حرمه الله وحدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا أبو عمير حدثنا أبو حمزة قال قال السري بن يحيي أو غيره لابن سيرين اني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال اني أكره أن أحل ماحرمه الله عز وجل (فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها) وهو في حديث أبي هريرة الماضي ذكره بلفظ فليستحللها منه (وتحليل ماحرم الله غير ممكن) وهو الذي فهمه سعيد بن المسيب وابن سيرين كما اقتضاه قولهما السابق (فنقول المراد به) جعله في حل يعني (العفو عن المظلمة) لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له (لاان ينقلب الحرام حلالا) كما يدل له ظاهر اللفظ (وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لايجوز له أن يحلل لغيره الغيبة) فمن جوّزه فقد أحل ماحرمه الله وأما بعد الغيبة فمعناه لا أعفو عنه (فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس) قال العراقي رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي اهـ قلت قال الحافظ في الاصابة قرأت بخط ابن عبد البر في حاشية كتاب ابن السكن أبو ضمضم غير منسوب يروي ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحبون أن تكونوا كأبي ضمضم قالوا يا رسول الله من أبو ضمضم قال ان أبا ضمضم كان اذا أصبح قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على من ظلمني قال فاوجب النبي صلى الله عليه وسلم انه قد غفر له وذكره في الصحابة فقال روى عنه الحسن وقتادة انه قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رجلا من المسلمين قال فذكر مثله قال أبو عمر أظنه أبا ضمضم المذكور قلت تبع في ذلك كله الحاكم أبا أحمد فانه أخرج الحديث من طريق حماد بن زيد عن هشام عن الحسن وعن أبي العوام عن قتادة قالا قال أبو ضمضم اللهم فذكره ثم ساق حديث أبي هريرة من طريق سعيد بن عبد الرحمن عن سفيان وهو كذلك في جامع سفيان وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق شعيب بن بيان عن عمران القطان عن قتادة عن أنس مرفوعا وقد تعقب ابن فتحون قول ابن عبد البر روى عنه الحسن وقتادة فقال هذا وهم لانه انما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أصحابه عن أبي ضمضم فلا يعرفونه حتى يقولوا من أبو ضمضم وأبو عمر يقول روى عنه الحسن وقتادة وقد أخرجه البزار والساجي من طريق أبي النضر عن هاشم بن القاسم عن محمد بن عبد الله العمي عن ثابت عن أنس الحديث وفيه قالوا وما أبو ضمضم قال ان أبا ضمضم كان رجلا اذا أصبح قال الحديث وفي رواية البزار من الزيادة كان رجلا صلبا قال ابن فتحون فالرجل لم يكن من هذه الامة وانما كان قبلها فأخبرهم بحاله تحريضا على ان يعملوا بعمله وما توهماه من ان الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبو ضمضم خطأ بل هو علبة بن زيد الانصاري ولولا ما جاء من التصريح بان أبا ضمضم كان فيمن كان قبلنا لجوّزت أن يكون علبة يكنى أبا ضمضم لكن منع من ذلك ما أخرجه أبو داود عن موسى بن اسمعيل وأبو بكر الخطيب في كتاب الموضح من طريق روح بن عبادة كلاهما عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم قالوا ومن أبو ضمضم يا رسول الله قال رجل ممن كان قبلكم الحديث قال أبو داود ورواه أبو النضر عن محمد بن عبد الله العمي عن ثابت عن أنس ورواية حماد أصح وأخرجه من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة موقوفا اهـ وأسنده البخاري في تاريخه والبزار والساجي من طريق

من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم أحرمها عليه فأحلها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ماحرم الله أبدا فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ماحرم الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لايجوز له أن يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه انى لا أطالب مظلمة فى القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو فقال ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وروى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال قد بلغنى انك أهديت الى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك على التمام

(الآفة السادسة عشرة النميمة) قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله ابن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام

أبى النضر وأشار البزار الى أن محمد بن عبد الله تفرد به وأخرجه البخارى فى تاريخه والعقيلى فى الضعفاء وقال الحافظ فى ترجمة علبة بن زيد الانصارى أخرج الخطيب من طريق أبى قرة الزبيدى فى كتاب السنن له قال ذكر ابن جريج عن صالح بن زيد عن أبى عبس الحارثى عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة وحث عليها فخرج من الليل وبكى وقال اللهم انك قد أمرت بالصدقة وليس عندى ما أتصدق به ولكنى أتصدق بعرضى على من آذانى وشتمنى أو لمزنى فهو له حل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قبلت منك صدقتك (فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله وان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه) واخبار ساله الاصحاب (فنقول معناه انى لا أطلب مظلمة يوم القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (اذا جثت الامم بين يدى الله تعالى نودوا) ألا (من كان أجره على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا فى الدنيا) وروى ابن عساكر فى التاريخ من حديث على ينادى يوم القيامة من بطنان العرش ألا ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن أخيه (قال الله تعالى مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه وسلم (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك) تقدم فى كتاب رياضة النفس (وروى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه) الحسن (رطبا على طبق وقال بلغنى انك أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك على التمام) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال بعضهم لو كنت أغتاب أحدا لاغتبت أمى فانها أولى أن تأخذ حسناتى أو آخذ من سيآتها يوم القيامة

(الآفة السادسة عشر النميمة)

(قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم) فالهماز العياب أو المغتاب ومشاء بنميم أى كثير المشى بالنميمة مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم والمقصود منه من جمع بين أنواع من الوصف الذميم (قال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى) وكون ان الزنيم هو الدعى أخرجه عبد بن حميد وابن عساكر عن ابن عباس وأنشد قول الشاعر

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الاديم أكارعه

وأخرج ابن الانبارى فى الوقف والابتداء عن عكرمة انه سئل عن الزنيم فقال هو ولد الزنا وأنشد قول الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد قال الزنيم ملحق فى النسب زعم ابن عباس وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب قال الزنيم هو الملحق فى القوم ليس منهم وروى عن ابن عباس قال العتل الزنيم الذى يمشى بين الناس بالنميمة أخرجه عبد بن حميد (وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام) رواه ابن أبى الدنيا عن هرون بن عبد الله أنبأنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى عن مسكين أبى فاطمة عن شيخ من أهل البصرة عن أبى الجوزاء قال قلت لابن عباس من هذا الذى ندبه الله بالويل فقال ويل لكل همزة لمزة قال هو المشاء بالنميمة المفرق بين الاخوان والمغرى بين الجميع وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن

جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضا في كتاب ذم الغيبة الا أن لفظهم المغرى بين الاخوان (وقال عز وجل حمالة الحطب وقيل انها كانت نمامة حمالة للحديث) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن مجاهد حمالة الحطب قال كانت تمشي بالنميمة وهكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وروى عن قتادة قال كانت تنقل الاحاديث من بعض الناس الى بعض أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وروى عن الحسن قال كانت تحمل النميمة فتأتي به بطون قريش. أخرجه ابن أبي حاتم (وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط) عليه السلام (تخبر بالضيفان وامرأة نوح) عليه السلام (كانت تخبر انه مجنون) رواه ابن أبي الدنيا عن فضيل بن عبد الوهاب حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن بريدة سمعت ابن عباس يقول في قوله فخانتاهما قال لم يكن زنا ولكن امرأة نوح كانت تخبر انه مجنون وامرأة لوط كانت تخبر بالضيف اذا نزل قال وحدثنا فضيل حدثني بزيع سمعت الضحاك يقول كانت خيانتهما النميمة فقول الضحاك هذا هو المناسب ايراده في المقام وقول ابن عباس أخرجه أيضا عبد الرزاق والفريابي وسعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه من طرق وقول الضحاك أخرجه أيضا ابن عدي والبيهقي في الشعب وابن عساكر (وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام) رواه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خراش حدثنا مهدي بن ميمون عن واصل الاحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل انه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة نمام (وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم عن همام عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات قال الاعمش (والقتات هو النمام) وقد رواهما باللفظين الطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني. وقد تقدم ذكرهما ورواهما أيضا أبو البركات السقطي في معجمه وابن النجار عن بشير الانصاري عن جده (وقال أبو هريرة رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله تعالى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبرآء العثرات) رواه ابن أبي الدنيا عن اسمعيل بن ابراهيم بن هشام حدثني صالح المري عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحبكم فذكره وكذلك رواه الطبراني في الاوسط والصغير وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت) رواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي حدثنا داود العطار عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره وقد رواه أحمد من حديث أبي مالك الاشعري وتقدم في كتاب آداب الصحبة (وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاد) بالدال أي اشاع ورفع وما يوجد في نسخ الكتاب بالراء تصحيف من النساخ (على مسلم بكلمة) كذا في النسخ والرواية كلمة (ليشينه) أي يعيبه (بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة) جزاء وفاقا رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد أنبأنا أبو معاوية عن عبد الله بن ميمون عن موسى بن مسكين عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أشاد فذكره وكذلك رواه في ذم الغيبة والخرائطي والطبراني كلاهما في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب قال العراقي وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك اهـ قلت هو عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي من رجال الترمذي والذي قال انه متروك أبو حاتم ومشاه غيره ولهم رجل آخر عبد الله بن ميمون أخرج له ابن ماجه ورجل آخر عبد الله بن ميمون الرقي مقبول وعبد الله بن ميمون الطهوي روى عنه أحمد بن بديل فيحتمل ان يكون أحد هؤلاء وقد أخرجه الحاكم أيضا

وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة

وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار و يقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى و جلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار ان بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا و يقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم

وصححه فهذا يدل على انه غير القداح فان القداح حاله معلوم عند الحاكم أو انه هو ولكن اعتمد على قول من مشاه على ان الذهبى قد تعقبه بان سنده مظلم وكانه يشير الى ماذكر (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (قال صلى الله عليه وسلم أيما رجل اشاع عن رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيامة فى النار) رواه ابن أبى الدنيا موقوفا على أبى الدرداء فقال حدثنا أحمد بن جميل أنبأنا ابن المبارك عن وهيب يعنى ابن خالد عن موسى بن عقبة عن سليمان بن عمرو بن ثابت عن جبير بن نفير الحضرمى انه سمع أبا الدرداء يقول أيما رجل أشاع فذكره قال العراقى ورواه الطبرانى بلفظ آخر من حديثه مرفوعا وقد تقدم (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار) رواه ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن أبى بدر أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا جهير بن يزيد عن خداش بن عباس أو عياش عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قال العراقى ورواه أحمد وفيه رجل لم يسم اسقطه ابن أبى الدنيا من الاسناد (و يقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة) رواه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن منيع حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقد تقدم ذكره قريبا فى الآفة التى قبلها وأخرج ابن أبى الدنيا من طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال اتقوا النميمة فان صاحبها لا يستريح من عذاب القبر (وعن ابن عمر) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم) قال (ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى و جلالى لا يسكن فيك ثمانية من الناس مدمن خمر ولا مصر على زنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث) وهو القواد (ولا شرطى) وهو الجلواز عند الامراء (ولا المخنث) الذى يتشبه بالنساء (ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل ولا يفعل) وفى نسخة ولا يفى به قال العراقى لم أجده هكذا بتمامه ولاحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه والديوث وفيه من لم يسم وللنسائى من حديث ابن عمر لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وفيه انقطاع واضطراب وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة فقال لها تكلمى تزينى فتزينت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه الهى فقال الله عز وجل لا يسكنك مخنث ولا نائحة ولم يخرجه ولده فى مسنده اهـ قلت وروى الطبرانى من حديث ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى قالت قد أفلح المؤمنون ورواه ابن عساكر وزاد ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومراء (وروى كعب الاحبار ان بنى اسرائيل أصابهم قحط) أى قلة مطر (فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى اكره النميمة وأنم فتابوا جميعا) واستسقوا (فسقوا و يقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال) له (انى جئتك للذى آتاك الله من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم) وقوله البهتان على البرىء

(بيان حد النميمة وما يجب في ردها) اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء

وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له فأما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء السر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه أو اظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في افساد أمرك أو في ممالاة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور * الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * الثاني أن ينهاه عن ذلك و ينصح له و يقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر * الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى و يجب بغض من يبغضه الله تعالى * الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم * الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا * السادس

أثقل من السموات نقل ذلك عن سيدنا سليمان عليه السلام و رواه الحكيم الترمذي من قول علي بن أبي طالب

(بيان حد النميمة وما يجب في ردها)

(اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا) واشتقاقه من نم الحديث نما من بابي قتل وضرب اذا سعى به ليوقع فتنة أو وحشة فالرجل نم تسمية بالمصدر ونمام مبالغة والاسم النميمة (وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء) أي الاشارة (وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر) أي اظهار ما خفي منه (وهتك الستر عما يكره كشفه) وظهوره (بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره) فيما يتقلبون فيه (فينبغي أن يسكت عنه) فلا يحكي (الا ما في حكايته) ونقله (فائدة لمسلم) عاجلة أو آجلة (أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه) فهو انما أخفاه ليكون مستورا عن اطلاع الغير (فذكره) لآخر (فهو نميمة وافشاء السر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة) اذ تحقق فيه انه أفشى السر وذكر أخاه بمكروه (والباعث على النميمة) لا يخلو من ثلاثة (اما ارادة السوء بالمحكي عنه) وقصد الشر به فيشيع عنه كلمة يفضحه بها (أو اظهار الحب للمحكي له) وهو السامع فيراه انه من جملة المحبين له (أو التفرج) أي التنزه (بالحديث) أي حكاية أهل الدنيا (والخوض في الفضول) مما لا يعنيه من الكلام (وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في افساد أمرك أو في ممالاة عدوك) أي موافقته (أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور الاول أن لا يصدقه) فيما يحكيه فيكذبه ولا يقبل منه قوله فان قبول القول السوء أشد من القول السوء (لان النمام فاسق) لا يقبل قوله (وهو مردود الشهادة) بنص القرآن (قال تعالى) يا أيها الذين آمنوا (ان جاءكم فاسق بنبإ) أي بخبر من الاخبار (فتبينوا) أي تعرفوا ذلك النبأ خشية (أن تصيبوا قوما بجهالة) فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبض صدقات بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم وكان بينه وبينهم شحناء في الجاهلية فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره انهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل فاخبرانهم متمسكون بالاسلام وسمع أذانهم وصلاتهم فرجع فاخبر الخبر فنزلت قال الحسن فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة انها لمرسلة الى يوم القيامة ما نسخها شئ (والثاني أن ينهاه عن ذلك و ينصحه و يقبح له فعله) وما يلي به (قال تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) والنميمة من المنكرات فيجب عليه نهيه عنها (الثالث أن يبغضه في الله فانه بغيض عند الله) ممقوت (و يجب بغض من يبغضه الله الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب) المحكي عنه (السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وهذا الذي ظننته في أخيك من جملة الظنون التي يلزم مرتكبه الاثم (الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق) أي يصير عندك حقيقة (لقوله تعالى ولا تجسسوا

* السادس أن لا ترضى لنفسك مانهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيأ فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي الي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا

السادس أن لا ترضى لنفسك مانهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا) فتجمع بين فاحشتين (وتكون قد أتيت بما عنه نهيت) فيكون فيه مخالفة القول الفعل وهو نفاق (وقد روي عن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيأ فقال عمر ان شئت نظرنا في أمرك) أي حققناه (فان كنت كاذبا) فيما قلت (فانت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا) فيما قلت (فانت من أهل هذه الآية همازمشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا) فانظر كيف رده ولم يقبل قوله (وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات الاولى بغضت الى أخي و) الثانية (شغلت قلبي الفارغ و) الثالثة (اتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك) بن مروان (كان جالسا وعنده) محمد بن شهاب (الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي أخبرني كان صادقا) فيما أخبر (فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت) وقال للرجل (اذهب بسلام وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (من نم اليك نم عليك) ويروى من نم لك نم عليك (وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي أن يبغض) ولا يحب (ولا يوثق بصداقته) وتقربه وتملقه (وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب) فيما ينقله (والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة) وهذه كلها صفات ذميمة قد جمعت في النمام (وهو ممن قد سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم) لانه يسعى في الافساد والاغراء بين الاخوان ويبغي العنت للبرآء (وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره) رواه الشيخان من حديث عائشة بنحوه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة واسحق بن اسمعيل قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع عروة حدثتني عائشة قالت استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة فلما ان دخل ألان له القول فلما خرج قلنا قلت الذي قلت ثم ألنت له القول قال أي عائشة شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء شره هكذا رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وفي لفظ بعضهم اتقاء فحشه وفي أوله ان شر الناس وعند الطبراني في الاوسط من حديث أنس ان شر الناس منزلة من يخاف الناس شره وقال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد أخبرني عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس ان رجلا أقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حلقة فاثنوا عليه شرا فرحب به النبي صلى الله عليه وسلم فلما تولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره (والنمام منهم) لان الناس يخشون لسانه ويخافون شره (وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة وابن حبان من حديث جبير بن مطعم (قيل قاطع بين الناس) بالاغراء والافساد (وهو النمام وقيل قاطع الرحم) وهكذا رواه الطبراني في الكبير من حديث جبير بن مطعم ورواه الخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث أبي سعيد وقيل المراد به قاطع الطريق ولفظ الحديث محتمل لكل من المعاني الثلاثة (وروي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا أتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا

مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغني ان فلانا أعلم الامير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما ذا قال الله حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب ان أشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال * وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فاخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا في الامة خسفا وفي الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤل عما أجرموا وليسوا المسؤلين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

مقتناك) اي أبغضناك (وان كنت كاذبا عاقبناك) عقوبة المفترى (وان شئت أن نقيلك أقلناك قال اقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي) التابعي الثقة رحمه الله تعالى (اى خصال المؤمن أوضع له) أي اكثر حطا له في الرتبة (قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد) أي فان في كل خصلة منها ينحط مقامه (وقال رجل لعبد الله بن عامر) بن ربيعة (وكان أميرا) على البصرة (بلغني ان فلانا أعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال الله حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم أصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال) اي مواصلة المودة أو الصلة أو هما معا (وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم) أي من أهل السعاية فانهم لو صدقوا فيما يقولونه فلا يحمد صدقهم مع ان الصدق محمود على كل حال ومن كل الناس (وقال مصعب بن الزبير) بن العوام قتله عبد الملك بن مروان سنة اثنين وسبعين بمسكن في حد العراق (نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فاخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي) أي تحفظوا منه (فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف الى جانبه سميت سعاية) يقال سعى به الى الوالي اذا مشى به اليه وقد (قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال) قال أبو زيد الانصاري يقال هو لرشدة اي صحيح النسب بكسر الراء والفتح لغة قال العراقي رواه الحاكم من حديث ابي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شئ منه وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية والحديث لا أصل له وقد ذكره ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي اهـ قلت ورواه ابن عساكر والديلمي بلفظ الا ولد زنا (ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فاستأذن في الكلام وقال اني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك) أي أحاط بك (رجال ابتاعوا) أي اشتروا (دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا في الامة) أي لن يقصروا فيها (خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم) أي أعلى ما يتقربون به اليك (البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة) في الناس (وأنت مسؤل عما اجترحوا) أي اكتسبوا (وليسوا بمسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره) أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء (وسعى رجل بزياد بن الاعجم) كذا في النسخ والصواب بزياد الاعجم وهو زياد بن سليم العبدي مولاهم أبو أمامة المعروف بالاعجم روى عن أبي موسى وعبد الله بن عمرو وعنه طاوس والمحبر ابن قحذم شاعر مقبول روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (الى سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل) الذي سعى فيه يقول

(أأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حقى حين أعلمتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة (٥٦٧) الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها

(فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الملامة والاثم)

وفى نسخة بين الخيانة والاثم (وقال رجل لعمرو بن عبيد) بن باب التيمى مولاهم البصرى المعتزلى كنيته أبو عثمان كان داعية الى بدعته اتهمه جماعة مع انه كان عابدا قال أحمد ليس بأهل أن يحدث عنه وقال الوردى عن يحيى بن معين ليس بشئ روى له أبو داود فى كتاب القدر وابن ماجه فى كتاب التفسير (ان الاسوارى) بضم الهمزة نسبة الى الاساورة بطن من تميم (ما يزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حقى حين أبلغتنى عن أخى ولكن اعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب) اسمعيل (بن عباد) بن العباس بن عباد الطالقانى كان وزير الدولة آل بويه ووالده أبو الحسن عباد ممن سمع على جعفر الفريابى وعنه أبو الشيخ الاصبهانى توفى سنة ٣٣٤ (رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فكتب على ظهرها) أى الرقعة (السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله) أى زاده نموا وفائدة وبركة (والساعى لعنه الله وقال لقمان الحكيم لابنه يابنى انى موصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا) أى رئيسا على الاصحاب (ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وأمنهم من قبول قول ساع) أى واش (أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم أو فارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى) أى الثلاثة (أثافى الذل) جمع اثفية وهى الاحجار الثلاثة التى توضع عليها القدر (وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك) وعفوك (لانه لم يقابلك بشتمك) ومنه قولهم * ما بلغ المكروه الا من نقل (وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى) ويتحفظ منه (قال حماد بن سلمة) بن دينار البصرى أبو سلمة توفى سنة سبع وستين (باع رجل عبدا وقال المشترى ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت من طريق حماد بن سلمة عن حميد وهو الطويل فقال حدثنا ابراهيم أبو اسحق حدثنى يزيد بن عوف حدثنا حماد بن سلمة عن حميد ان رجلا ساوم بعبد فقال مولاه انى أبرأ اليك من النميمة فقال نعم أنت برىء منها قال فاشتراه فجعل يقول لمولاه ان امرأتك تبغى وتفعل وتفعل وانها تريد أن تقتلك ويقول للمرأة ان زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى عليك فان أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج عليك ولا يتسرى فخذى الموسى واحلقى شعرة من قفاه اذا نام وقال للزوج انها تريد أن تقتلك اذا نمت قال فذهب فتناوم لها وجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه * (تنبيه) * قد بقى مما أورده ابن أبى الدنيا فى النميمة وهو على شرط المصنف أخرج من طريق أبى الاحوص عن ابن مسعود قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقول ألا أنبئكم بالعضة هى النميمة القالة بين الناس وأخرج من حديث أنس من أكل بأخيه المسلم

على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا فى مستور ولولا انك فى خفارة شيبك لقابلناك بما يقتضيه فعالك فى مثلك فتوق يا ملعون العيب فان الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله وقال لقمان لابنه يابنى أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أثافى الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فنسأل الله حسن التوفيق

أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا ألبسه الله به ثوبا من النار ومن قام بأخيه مقام رياء وسمعة أقامه الله مقام رياء وسمعة وأخرج من طريق عبد الله بن زرير الغافقي عن علي رضي الله عنه قال القائل الكلمة الزور والذي عد بحبلها في الاثم سواء وعن شبل بن عوف قال كان يقال من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أبداها ومن طريق أبي العالية قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني البارحة رجلان فاكتنفاني فانطلقا بي حتى مرا بي على رجل في يده كلاب يدخله في رجل فيشق شدقه حتى يبلغ لحييه فيعود فيأخذ فيه فقلت من هذا قال هم الذين يسعون بالنميمة وعن عمرو بن ميمون قال لما تعجل موسى عليه السلام الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره فقال أحدثك من أمره بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وعن حكيم بن جابر قال من أشاع فاحشة فهو كبادئها وعن عبد الرحمن بن يزيد قال كانت لنا جارية أعجمية فحضرتها الوفاة فجعلت تقول هذا فلان عرغ في الحماة فلما ماتت سألنا عن الرجل فقالوا ما كان به بأس الا انه كان يمشي بالنميمة وعن يزيد بن قوذر عن كعب قال اتقوا النميمة فان صاحبها لا يستريح من عذاب القبر

(الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين)

(الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه) في رأيه (فقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال) أبو اليقظان (عمار بن ياسر) بن عامر بن مالك العنسي بنون بساكنة وسين مهملة مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الاولين بدري قتل مع علي رضي الله عنهما بصفين سنة سبع وثلاثين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة) رواه ابن أبي الدنيا عن يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا شريك حدثنا الركين بن الربيع عن نعيم بن حنظلة عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وأخرجه البخاري في كتاب الادب المفرد وأبو داود بسند حسن (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فذكره (وفي لفظ آخر يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) رواه أيضا ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي فذكره وهو عند أحمد والبخاري ومسلم وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله تعالى) هكذا هو في النسخ موقوفا ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعا عن الحسن بن عبد العزيز حدثنا يحيى بن حسان حدثنا سليمان بن بلال عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي فذكره وقد رواه كذلك مرفوعا الخرائطي في مساوي الاخلاق والبيهقي في الشعب وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث أنس من كان له لسانان في الدنيا جعل له لسانان من نار يوم القيامة وعن ابن مسعود قال ان ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار (وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون) أي يخزنون (البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم) أي ألطفوا لهم وألانوا القول (والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء) جمع بطيء (واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا) جمع

(الآفة السابعة عشرة) كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا

وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر أيموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك فان قلت بماذا يصير الرجل ذا السانين وما حد ذلك فأقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعادين ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه قيل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعلى الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف

سن بيع قال العراقي لم أقف له على أصل (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لا يكن أحدكم امعة) بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة (قالوا وما الامعة قال) الذي (يجري مع كل ريح) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن حفص السدوسي حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن سلمة بن كهيل عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله لا يكونن أحدكم امعة قالوا وما الامعة يا أبا عبد الرحمن قال يقول أنا مع الناس ان اهتدوا اهتديت وان ضلوا ضللت ألا ليوطنن أحدكم نفسه على ان كفر الناس أن لا يكفر اه ومما نسب الى علي رضي الله عنه من قوله في أبيات

ولست بامعة في الرجال * أسائل هذا وذا ما الخبر

(واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه فبلغ الخبر الى عمر (فقال عمر) رضي الله عنه (أيموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم) أي من المنافقين وكان حذيفة قد أعطي علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك) لم يرد بذلك نفاق الكفر وانما أراد نفاق العمل الذي هو ترك المحافظة على الدين سرا ومراعاتها علنا قاله القرطبي (فان قلت فبماذا يصير ذا السانين وما حد ذلك فأقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما) أي عامله بالمجاملة (وكان صادقا فيه لم يكن منافقا) لعدم مخالفة السر العلن (ولا ذا السانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء) ومصارمتهم (كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من أحد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة لصاحبه فهو ذو لسانين) أيضا لان تحسين معاداة هذا يستلزم تقبيح الآخر وبالعكس (وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره) على الآخر فهو ذو لسانين أيضا (وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته) فهو ذو لسانين أيضا (وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين) أيضا (بل ينبغي أن يسكت) ولا يفاوض في أمرهما أصلا (أو يثني على المحق من المتعادين) ويظهر الذي هو على الحق والذي هو على الباطل (ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه) فهذا (هو المخلص له عن النفاق وقيل لابن عمر) رضي الله عنه (انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا) من عندهم (قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن ابراهيم حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبي الشعثاء قال قيل لابن عمر فساقه وحدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سلام بن سليم عن أبي اسحق عن عريب الهمداني قال قلت لابن عمر انا اذا دخلنا على الامراء زكيناهم بما ليس فيهم فاذا خرجنا دعونا عليهم قال كنا نعد ذلك النفاق وقال العراقي رواه البخاري بلفظ سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا من عندهم الحديث وفي رواية علقها بعد قوله نفاقا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطبراني من طرق (وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول) عليه (ولكن اذا دخل يخاف

ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى أحوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى عليه فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فأما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

(الآفة الثامنة عشرة المدح) وهو منهى عنه فى بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع فى المادح واثنتان فى الممدوح *(فاما المادح)* فالاولى انه قد يفرط فينتهى به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى أن رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لا بد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله ان كان يرى أنه كذلك

(ان لم يثن) عليه فى ماله أو عرضه (فهو نفاق لانه الذى أحوج نفسه اليه وان كان يستغنى عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف الا انه قال حب الغنى والمال وقال العشب مكان البقل وروى ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى من حديث ابن مسعود الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وعند البيهقى من حديث جابر مثله الا انه قال الزرع مكان البقل وقد تقدم كل ذلك فى كتاب آداب السماع (لانه يحوج الى الامراء ومراعاتهم) فى أحوالهم (ومراآتهم فاما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (انا لنكشر فى وجوه أقوام) أى نظهر لهم الانس والفرح والضحك والملاطفة (وان قلوبنا لتلعنهم) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (وقالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو) أو ابن العشيرة (فلما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره) وفى رواية شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه اتقاء شره رواه الشيخان وأبو داود والترمذى وابن أبى الدنيا وقد تقدم فى الآفة التى قبلها (ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى أن ينكر) بلسانه (فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه) وهذا أضعف الايمان نسأل الله التوفيق

(الآفة الثامنة عشرة المدح)

وهو الثناء باللسان على الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية فهو أعم من الحمد ونقيضه الذم (وهو منهى عنه فى بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمهما والمدح يدخله ست آفات أربع فى المادح واثنتان فى الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهى به الى الكذب قال خالد بن معدان) الكلاعى الحمصى أبو عبد الله ثقة عابد مات سنة ثلاث ومائة روى له الجماعة (من مدح اماما) أى سلطانا (أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه) رواه ابن أبى الدنيا عن القاسم بن هاشم حدثنى يحيى بن صالح الوحاظى حدثنى محمد بن أبى جميلة حدثنا خالد بن معدان فذكره (الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر الحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه روى أن رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لا بد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك) رواه ابن أبى الدنيا عن على بن الجعد أنبأنا شعبة عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن ابيه

وهـذه الا فة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير ومايجري مجراه فاما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا أراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا للظالم بطول البقاء فقد أحب ان يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح *(وأما الممدوح فيضره من وجهين)* أحدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت أن أطأطئ منك الثاني هو أنه اذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله

أبيه أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه من هذا الطريق بلفظ ويلك قطعت عنق صاحبك من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك منه وعند الطبراني في الكبير بلفظ ويحك قطعت عنق أخيك والله لو سمعها ما أفلح أبدا اذا أثنى أحدكم على أخيه فليقل ان فلانا ولا أزكي على الله أحدا (وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير) ودين ومايجري مجراه (أما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج) ومايجري مجراه (فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل ورضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول) به (الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته) أي في المجاورة والمعاملة (قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه) رواه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أبي غنية حدثني أبي قال سمع عمر رجلا فذكره وقد تقدم نحو هذا في كتاب آداب الصحبة والاخوة (الرابعة انه قد يفرح الممدوح) بذلك المدح (وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى وابن عدي بلفظ اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في كتاب آداب الكسب (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في الارض) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد المجيد التميمي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن يونس عن الحسن فذكره دون قوله في الارض (فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح وأما الممدوح فيضره) المدح (من وجهين أحدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا) بنفسه (وهما مهلكان قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة) بالكسر سوط من جلد (والناس حوله اذ أقبل الجارود فقال رجل) من الحاضرين (هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة) أي ضربه بها (فقال) الجارود (مالي ومالك يا أمير المؤمنين فقال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت ان أطأطئ منك) رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كان عمر قاعدا فذكره قال وحدثنا خلف بن هشام حدثنا حزم سمعت الحسن قال مر عمر بن الخطاب والجارود معه فسمع قائلا يقول هذا سيد ربيعة فعلاه بالدرة فقال أما انك قد سمعتها (الثاني هو انه اذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر) عن الاجتهاد في الطاعات (ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره) في العبادة (وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا أطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد أدرك) رفعة المقام (ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم) للذي مدح عنده رجلا ويحك (قطعت عنق صاحبك لو سمعها) أي لو بلغته وقبلها (ما أفلح) لحدوث المهلك (وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا) بالضاد المعجمة وهو الحديد الماضي قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله) قال العراقي لم أجد له أصلا في المرفوع لكن عن عمر بن الخطاب من قوله أخرجه حميد بن زنجويه في كتاب الادب قلت رواه من طريق الثوري عن عمر بن مسلم عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كا

وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وقال في عمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق و بصيرة وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله و بالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد

جلوسا عند عمر فأثنى رجل على رجل في وجهه فقال ذلك (وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي أبو عبد الله الثقة البصري العابد (ما سمعت ثناء أو مدحة الا تصاغرت الى نفسي) أخرجه ابن المبارك في الزهد (وقال زياد بن أبي مسلم) أبو عمر الفراء البصري الصفار صدوق (ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع) أي يتذكر فيرجع أخرجهما ابن المبارك رحمه الله تعالى في الزهد (قال ابن المبارك) رحمه الله تعالى بعد أن أخرج القولين (لقد صدقا كلاهما أما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام) قبل أن يكمل نور الايمان في قلوبهم (وأما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص) فانهم لا يزدادون بالمدح الا تواضعا ووقارا ولا سبيل للعجب اليهم وعليه يحمل ما رواه الطبراني والحاكم من حديث أسامة بن زيد اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه (وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف) أي حديد (كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه) قال العراقي لم أجد له أصلا (وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح) رواه ابن أبي الدنيا عن منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن عبيد الله بن عمر قال أظنه عن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن عمر قال المدح ذبح (وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر) أي يكسل (عن العمل) فلا يتحرك (والمدح يوجب الفتور أو لان المدح يورث الكبر والعجب وهو) أي كل واحد منهما (مهلك) بجامع الهلاك (كالذبح فلذلك شبهه به) وقد روى هذا في المرفوع من حديث ابراهيم التيمي مرسلا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الرجل ان تزكيه في وجهه رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين لرجح) رواه ابن عدي والديلمي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب العلم (وقال لعمر) رضي الله عنه (لو لم أبعث لبعثت يا عمر) قال العراقي رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وهو منكر والمعروف حديث عقبة بن عامر لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وحسنه وأخرجه ابن عدي بلفظ لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم رواه من طريقين في أحدهما عبد الله بن واقد الحراني وهو متروك وفي الآخر رشدين بن سعد وقال قلب رشدين متنه ورواه أيضا من حديث بلال وفيه زكريا بن يحيى الوقاد وهو كذاب (وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه عن صدق و بصيرة وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك) الثناء (كبرا أو عجبا أو فتورا) فقد نزههم الله عن ذلك (بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر) وهو مظنة الهلاك (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ولمسلم من حديث أبي هريرة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة قاله العراقي (أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره) صلى الله عليه وسلم انما (كان بالله و بقربه من الله لا بكونه مقدما على ولد آدم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه) فانه يرى ذلك كلا شيء عنده بالنسبة الى مقامه الذي هو فيه (وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أثنوا على بعض الموتى) قال أنس مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت ومروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت فقالوا كيف ذلك يا رسول الله فقال من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض. قال العراقي رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والنسائي (وقال مجاهد) رحمه

الله تعالى (ان لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن قدامة الجوهري ومحمد بن عبد المجيد التميمي وهذا لفظ محمد قالا حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد قال فذكره (فهذه آفات المدح) فتأملها واعتبر بها

(بيان ما على الممدوح)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور فانها) مهلكات (ولا ينجو) الممدوح (عنه الا بأن يعرف نفسه) بالعجز والقصور (ويتأمل في خطر الخاتمة) فان خطرها شديد لانها تضعف على الاعمال (و) يتأمل في (دقائق الرياء) فانها من خفي الشرك (وآفات الاعمال) وانه لا يقبل منها الا ما كان باخلاص (وانه يعرف من نفسه ما لا يعرف المادح) فيقول أنا أعرف بنفسي منك (ولو انكشف له جميع أسراره) وما في باطنه (وما يجري على خواطره) مما لا يخلو منه الانسان (لكف المادح عن مدحه) وامتنع من الثناء عليه والتزكية هذا حال العارفين بالله واليه الاشارة بقوله من عرف نفسه فقد عرف ربه (وعليه أن يظهر كراهية المدح باذلال المادح) ان رأى في ذلك سلامة لحاله أو عدم اكرامه بالبذل له في نظير ما مدح ولو بالسكوت عنده والاعراض عنه بوجهه وادخال كلام آخر أجنبي كأنه لم يسمع ذلك المدح وسواء كان ذلك المدح بمنثور من القول أو بمنظوم بان مدحه بقصيدة والبلاء في هذا أكثر فان الشاعر يجازف في كلامه كثيرا فان أكذبه أعذبه فيجمع بين الكذب والمدح (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا) أي ارموا (في وجوه المداحين) بصيغة المبالغة اشارة الى ان الكلام فيمن صدر منه المدح كثيرا حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكل بها الناس وجازف في الاوصاف وأكثر الكذب (التراب) أي فلا تعطوهم على المدح شيأ فالحثو كناية عن الحرمان والرد والتخجيل يقال حثا في وجهه الرماد اذا أخجله أو المراد قولوا لهم بأفواهكم التراب والعرب تستعمل ذلك لمن يكرهون قوله ولون بعينه الاثاب وهي بالكسر والمثلثة الساكنة التراب وهو كناية عن الذل والخيبة أو المراد أعطوهم ما طلبوا لان كل ما فوق التراب تراب فشبه الاعطاء بالحثو على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة وبهذا جزم البيضاوي وفيه نظر وقيل هو على ظاهره فيرمى في وجوههم التراب وجرى عليه ابن عربي قال وصورته أن تأخذ كفا من تراب وترمي به بين يديه وتقول ما عسى أن يكون من خلق من هذا ومن أنا وما قدري توبخ بذلك نفسك ونفسه وتعرف المادح قدرك وقدره هكذا فليحث التراب في وجوههم قال وقد كان بعض مشايخنا اذا رأى شخصا كذا اشارة تعظمه الناس وينظرون اليه يقول له ولهم تراب را كب على تراب قلت ويدل لذلك ما رواه ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الاشجعي عن سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن همام بن الحرث قال قال المقداد بن الاسود أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب وقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث المقداد بلفظ المصنف ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة وابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وعند بعضهم في أفواه بدل وجوه وفي لفظ المادحين بدل المداحين *(تنبيه)* قال بعض الشافعية ويحرم مجاوزة الحد في الاطراء في المدح اذا لم يمكن حمله على المبالغة وترد به الشهادة ان أكثر منه وان قصد اظهار الصنعة قال العز بن عبد السلام في قواعده ولا تكاد تجد مداحا الا رذلا ولا هجاء الا نذلا (قال) أبو محمد (سفيان بن عيينة) بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه امام حجة مات في رجب سنة ١٩٨ وله احدى وتسعون سنة (لا يضر المدح من عرف نفسه) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن يحيى الواسطي حدثنا شبان بن صخر بن جويرية سمعت سفيان بن عيينة يقول ليس يضر المدح من عرف نفسه (وأثنى عليه رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني) رواه ابن

ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح

(بيان ما على الممدوح)

اعلم ان على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر مدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني

وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الى بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق مافى نفسك

(الآفة التاسعة عشرة فى الغفلة عن دقائق الخطا فى فحوى الكلام) لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته و يرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ماقال حذيفة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وذلك لان فى العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عديلا بل ماشاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله

أبى الدنيا عن محمد بن الحرث المقرى حدثنا سيار حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء السلمى قال سمعت جعفر ابن زيد الضبعى يذكر ان رجلا مر بمجلس فاثنى عليه خير فلما جاوزهم قال اللهم ان هؤلاء لم يعرفونى وأنت تعرفنى (وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الى بمقتك وأنا أشهدك على مقته) رواه ابن أبى الدنيا عن أحمد بن بجير حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال أثنى رجل على رجل من المصلين فى وجهه فقال اللهم ان عبدك تقرب فذكره (وقال على كرم الله وجهه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى يعلى الثقفى حدثنا أحمد بن يونس عن ابن شهاب عن الاعمش عن الحسن ان رجلا أثنى على عمر فقال تهلكنى وتهلك نفسك (وأثنى رجل على على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال على) رضى الله عنه (انا دون ماتقول وفوق مافى نفسك) رواه ابن أبى الدنيا عن زياد بن أيوب حدثنا حفص بن غياث عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى قال أثنى رجل على على فى وجهه وقد كان بلغه انه يقع فيه فقال له على انا دون ماقلت وفوق مافى نفسك

(الآفة التاسعة عشر فى الغفلة عن دقائق الخطا فى فحوى الكلام)

فى أثناء المحاورات (لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته و يرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ) وتعديله (فى أمور الدين الا العلماء الفصحاء) العارفون بمواقع الكلام (فمن قصر فى علم أو فصاحة) أى لم يحزهما لنفسه (لم يخل كلامه عن الزلل) والسقط من حيث لا يدرى (لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ماقال حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى خيثمة حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وقال العراقى رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح اهـ قلت وفى لفظ لابى داود والنسائى لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وابن أبى شيبة وابن ماجه وابن السنى والضياء فى المختارة (وذلك لان فى العطف المطلق) بالواو (تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام) لمقام الربوبية بخلاف العطف بثم قال صاحب المصباح ثم حرف عطف وهى للمفردات للترتيب بمهلة وقال الاخفش هى بمعنى الواو استعملت فيما لا ترتيب فيه نحو والله ثم والله لافعلن كذا وتقول وحياتك ثم وحياتك لاقومن وأما فى الجمل فلا يلزم الترتيب بل قد تأتى بمعنى الواو نحو قوله تعالى ثم الله شهيد على ما يفعلون أى والله شاهد على تكذيبهم وعنادهم فان شهادة الله غير حادثة ومثله ثم كان من الذين آمنوا (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عدلا قل ماشاء الله وحده) رواه ابن أبى الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح حدثنا المحاربى عن الاجلح عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال جاء رجل فساقه وقال العراقى رواه النسائى فى الكبرى وابن ماجه باسناد حسن اهـ قلت وروى سمويه فى فوائده والضياء المقدسى من حديث جابر ابن سمرة بلفظ لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ورواه كذلك الخطيب فى المتفق والمفترق وابن النجار من حديث الطفيل بن سخبرة و روى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود قولوا ماشاء الله ثم شئت وروى ابن سعد فى الطبقات والطبرانى من طريق مسعر عن معبد بن خالد الجدلى عن عبد الله بن يسار عن قتيلة امرأة من جهينة قالت جاء يهودى وفى رواية ابن سعد حبر من الاحبار الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ماشاء الله ثم شئت قال ابن سعد ليس لها غير هذا الحديث وأخرجه ابن منده من طريق المسعودى عن معبد بن يسار عن قتيلة بنت صيفى الجهنية (وخطب رجل عند رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال) لا تقل هكذا (قل) من يطع الله ورسوله فقد رشد (ومن يعص الله ورسوله فقد غوى) رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد أنبأنا ابن عيينة عن المغيرة عن ابراهيم قال خطب رجل فساقه وقال العراقي رواه مسلم من حديث عدي بن حاتم (وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع) أي ذكرهما في حيز واحد هذا هو المشهور واختلف في ذلك فقيل كان ذلك في أول الاسلام ثم لما شاع وانتشر وكمل نور الايمان أبيح ذلك كما ذكره شراح الشفاء وتقدم البحث في ذلك وقال بعضهم ولعل الاوجه أن يقال العدول عن الاسمين الكريمين غير لائق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ولهذا ورد في كثير من القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله ولله در القائل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوّع

(وكان ابراهيم) النخعي (يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز) أي يرى جائزا (ان يقال أعوذ بالله ثم بك و) يجوز (ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن ابن صالح حدثنا اسمعيل بن ابراهيم أبو يحيى التيمي حدثنا مغيرة قال كان ابراهيم يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويرخص ان يقول أعوذ بالله ثم بك ويكره ان يقول لولا الله وفلان ويرخص ان يقول لولا الله ثم فلان (وكره بعضهم ان يقول) الرجل في دعائه (اللهم اعتقنا من النار وقالوا) في توجيه ذلك ان (العتق انما يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار) رواه ابن أبي الدنيا عن هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو عمران الجوني قال ادركت أربعة من أفضل ما أدركت فكانوا يكرهون ان يقولوا اللهم اعتقنا من النار ويقولون انما يعتق منها من دخلها وكانوا يقولون نستجير بالله من النار ونعوذ بالله من النار قلت وهذا من جملة الدقائق فان أراد القائل بالعتق العصمة والحفظ أو ما يجري مجراه فلا أرى بأسا في الاطلاق فقد اشتهر الدعاء بمثل ذلك من غير نكير (وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد) صلى الله عليه وسلم (فقال حذيفة) رضي الله عنه (ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد) صلى الله عليه وسلم (وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح حدثنا المحاربي عن أبي مالك الاشجعي عن ربعي عن حذيفة قال قال رجل فذكره وروى أيضا عن حمدون بن سعد حدثنا النضر بن اسمعيل عن ابي طالب عن عمار الدهني عن ابي جعفر قال سمع على امرأة تقول اللهم ادخلني في شفاعة محمد قال اذا تمسك النار وهذا أيضا من الدقائق واذا أراد بشفاعته رفعة المنزلة له فوق منزلته فلا أرى بذلك باسا (وقال ابراهيم) النخعي (اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني خلقته) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح حدثنا محمد بن فضيل عن الاعمش عن ابراهيم قال اذا قال الرجل فذكره قال وحدثنا أحمد بن منيع حدثنا محمد بن حازم حدثنا الاعمش عن ابراهيم قال اذا قال الرجل لاخيه يا خنزير قال الله له يوم القيامة تراني خلقته خنزيرا قال وحدثنا سعيد بن سليمان عن أبي حفص الابار عن الاعمش عن حكيم بن جبير عن ابن عباس ان موسى عليه السلام كان في نفر من بني اسرائيل فقال اشربوا يا حمير فاوحى الله اليه تقول لخلق من خلقي خلقتهم اشربوا يا حمير (وعن ابن عباس) رضي الله عنه قال (ان أحدكم يشرك بالله حتى يشركه بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة) رواه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن اسمعيل حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبي خالد عن مولى لابن عباس عن ابن عباس أحسب هكذا قال ان أحدكم فساقه (وقال عمر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال عمر) رضي الله عنه والله ما حلفت بها منذ سمعتها رواه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خداش حدثنا عبد الله بن وهب أنبأنا يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعة للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها

وسلم فذكره وفيه ماحلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها (قال العراقى متفق عليه
قلت ورواه كذلك أحمد وابن عدى وروى أحمد وأبونعيم فى الحلية والبيهقى من حديث ابن عمر لاتحلف
بابيك ولاتحلف بغيرالله فانه من حلف بغيرالله فقد أشرك ورواه ابن ماجه والبيهقى أيضا لاتحلفوا با آبائكم
من حلف بالله فليصدق الحديث ورواه البخارى والنسائى بلفظ لاتحلفوا با آبائكم وزاد الحاكم من
حلف بشئ دون الله فقد أشرك وفى الباب أبوهريرة ولفظ حديثه لاتحلفوا با آبائكم ولا بامهاتكم ولا
بالانداد ولاتحلفوا الابالله ولاتحلفوا الاوأنتم صادقون رواه أبوداود والنسائى والبيهقى وابن حبان وعبد
الرحمن بن سمرة ولفظ حديثه لاتحلفوا با آبائكم ولا بالطواغيت رواه أحمد والنسائى وابن ماجه عن سمرة
ابن جندب ولفظ حديثه لاتحلفوا بالطواغيت ولاتحلفوا با آبائكم واحلفوا بالله فانه أحب اليه أن تحلفوا
به ولاتحلفوا بشئ من دونه رواه الطبرانى فى الكبير عن حبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن جده
وروى عبدالرزاق فى المصنف عن قتادة مرسلا لاتحلفوا بالطواغيت ولا با آبائكم ولا بالامانة (وقال
صلى الله عليه وسلم لاتسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم) وذلك لان هذه اللفظة تدل على
كثرة الخير والمنافع فى المسمى بها والرجل المسلم هو المستحق لذلك دون شجرة العنب وهل المراد النهى عن
تخصيص شجرة العنب بهذا الاسم وان المسلم أولى به منه فلايمنع من تسميته بالكرم كما قال فى المسكين
والرقوب والمفلس أوالمراد ان تسميته بهامع اتخاذ الخمر المحرم منه وصف بالكرم والخير لاصل هذا
الشراب الخبيث المحرم وذلك ذريعة الى مدح المحرم وتهييج النفوس اليه محتمل رواه ابن أبى الدنيا عن
أبى خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكره وقال العراقى هو متفق عليه من حديث وائل بن حجر قلت وفى رواية لمسلم لاتقولوا
الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة لاتسموا العنب الكرم ولا
تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وعند ابن عساكر بلفظ لاتسموا العنب الكرم فان الكرم المؤمن
وعند أحمد ومسلم لايقولن أحدكم للعنب الكرم فانما الكرم قلب المؤمن وعند أبى داود والبيهقى
لايقولن أحدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب (وقال أبوهريرة
رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيدالله وكل
نسائكم اماءالله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى ولايقولن المملوك ربى وربتى ولكن سيدى
وسيدتى فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى) قال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا هاشم بن الوليد
حدثنا النضر بن شميل عن عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لايقولن أحدكم عبدى ولاأمتى وليقل فتاى وفتاتى ولايقل المملوك ربى ولاربتى ولكن سيدى وسيدتى
كلكم عبيد والرب الله ثم قال وحدثنى يحيى بن أيوب حدثنا اسمعيل بن جعفر أنبأنا العلاء بن عبد الرحمن
عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايقل أحدكم عبدى أمتى كلكم عبيدالله
وكل نسائكم اماءالله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وقال العراقى هو متفق عليه من حديث
أبى هريرة قلت لفظهما لايقل أحدكم اطعم ربك وضئ ربك واسق ربك ولايقل أحد ربى وليقل
سيدى ومولاى ولايقل أحدكم عبدى أمتى وليقل فتاى فتاتى وغلامى وكذلك رواه أحمد وفى لفظ لمسلم
لايقولن أحدكم عبدى فكلكم عبيدالله ولكن ليقل فتاى ولايقل العبد ربى ولكن ليقل سيدى
ورواه أبوداود وابن السنى فى اليوم والليلة بلفظ لايقولن أحدكم عبدى أوأمتى ولايقولن المملوك
ربى وربتى وليقل المالك فتاى وفتاتى وليقل المملوك سيدى وسيدتى فانكم المملوكون والسيد الله
عز وجل ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق بلفظ لايقولن أحدكم عبدى وليقل فتاى ولايقل العبد

وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن أحدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيدالله وكل نسائكم اماءالله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولاربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى

مولاى

مولاى وليقل سيدى وفى لفظ له لايقولن أحدكم عبدى فكلكم عبد ولا يقولن أحدكم مولاى فان مولاكم الله ولكن ليقل سيدى (وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم) رواه ابن الدنيا عن عبد الرحيم بن عيسى الابلى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا فساقه وقال العراقى رواه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح قلت ورواه كذلك أحمد والنسائى والرويانى وابن السنى والبيهقى والضياء المقدسى كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما) قال العراقى رواه النسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح اه قلت ورواه كذلك الحاكم وقال ابن أبى الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا على بن الحسن حدثنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انى فذكره ولكن لفظ الجماعة لم يعد الى الاسلام صادقا (فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره) فمن ذلك ما رواه مسلم من حديث ابن مسعود لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى وعند الطبرانى لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت فانه ليس هو نسى ولكنه نسى وروى الطبرانى فى الكبير من حديث واثلة لا يقولن أحدكم أهرقت الماء ولكن ليقل أبول وروواه أبو الحسن محمد بن على بن صخر الازدى فى مشيخته وابن النجار من حديث أبى هريرة بلفظ لا يقول أحدكم أهريق الماء والباقى سواء وروى ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى هريرة لا يقل أحدكم اغفرلى ان شئت وليعزم المسئلة فانه لا مكره له ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه بزيادة اللهم ارحمنى ان شئت اللهم ارزقنى ان شئت وفيه فانه يفعل ما يشاء لا مكره له وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس لا يقولن أحدكم انى صرورة وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة لا يقولن أحدكم اللهم لقنى حجتى فان الكافر يلقن حجته ولكن ليقل اللهم لقنى حجة الايمان عند الممات وروى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى وابن السنى فى اليوم والليلة من طرق عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعا لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقل لقست نفسى ورواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أبى أمامة ولم يذكر أباه ورواه النسائى أيضا من طريق سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة ورواه أحمد والشيخان من طريق سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة ورواه الطبرانى من طريق قرة بن عبد الرحمن عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ورواه الدارقطنى فى الافراد من حديث أبى هريرة ورواه أبو داود من حديث عائشة بلفظ لا يقولن أحدكم جاشت نفسى ولكن ليقل لقست نفسى وروى أحمد وأبو داود والنسائى والطبرانى والبيهقى من حديث أبى بكرة لا يقولن أحدكم انى صمت رمضان كله وقمته وروى تمام وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمر ولا يقولن أحدكم صمت رمضان وقمت رمضان لا صنعت فى رمضان كذا فان رمضان اسم من أسماء الله العظام ولكن قولوا شهر رمضان كما قال ربكم فى كتابه ورواه ابن عدى وأبو الشيخ والبيهقى وضعفه والديلمى من حديث أبى هريرة لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وفى حديث أبى المليح عن أبيه رفعه لا تقل تعس الشيطان فانه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى صرعته ولكن قل بسم الله فانك اذا قلت ذلك تصاغر حتى يصير مثل الذباب فهو عثر رواه أحمد وأبو يعلى والباوردى والطبرانى وابن السنى فى اليوم والليلة والدارقطنى فى الافراد والحاكم ورواه أحمد أيضا والبغوى والبيهقى عن أبى تميمة الهجيمى عن رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبى جرى جابر بن سليم الهجيمى مرفوعا لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى ولكن قل السلام عليك رواه أبو داود والترمذى

وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره

وقال حسن صحيح والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء وروى الطبراني من حديث عبد الله ابن مغفل لاتقولوا للعشاء العتمة فان الاعراب يسمونها العتمة وروى البيهقي وضعفه من حديث أنس لاتقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران وسائر القرآن ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران والقرآن على نحو هذا وروى الطبراني في الاوسط والبزار وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وضعفه من حديث أبي هريرة لايقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت وروى مسلم من حديث أبي هريرة لايقولن أحدكم ياخيبة الدهر فان الله هو الدهر وروى الطبراني في كتاب السنة من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث ابن عمر لايقولن أحدكم لأخيه قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله عز وجل خلق آدم على صورته

(فصل) وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ليث عن مجاهد انه كان يكره أن يقول اللهم أدخلني في مستقر رحمتك فان مستقر رحمته نفسه ومن طريق أيوب عن محمد بن سيرين أن رجلا شهد عند شريح فقال أشهد بشهادة الله فقال له شريح لاتشهد بشهادة الله ولكن اشهد بشهادتك فان الله لايشهد الاعلى حق ومن طريق ليث عن مجاهد انه كره أن يقول المبيت استأثر الله به ومن طريق مغيرة عن ابراهيم قال كان يكره أن يقول لعمر والله لاعمر الله وعن القاسم بن مخيمرة قال لان أحلف بالصليب أحب الي من أن أحلف بحياة رجل وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن كعب قال انكم تشركون في قول الرجل كلا وأبيك كلا والكعبة كلا وحياتك وأشباه هذا احلف بالله صادقا أو كاذبا ولا تحلف بغيره ومن طريق حميد بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف منكم باللات فليقل لا اله الا الله ومن قال لاخيه تعال أقامرك فليتصدق ومن طريق مسعر عن سماك الحنفي انه سمع ابن عباس يكره أن يقول الرجل اني كسلان ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال لاتقولوا أصبحنا وأصبح الملك لله ولكن قولوا أصبحنا والملك لله والحمد لله وعنه أيضا قال لايقولن أحدكم نعم الله بك عينا فان الله لاينعم بشئ ولكن ليقل أنعم الله بك عينا فانما أنعم أقر ومن طريق غيلان ابن جرير عن مطرف قال لاتقل ان الله يقول ولكن قل ان الله قال واحدهم يكذب مرتين اذا سئل من هذا قال لاشئ الاشئ أليس بشئ وعن مطرف انه كان يكره أن يقول أحدهم للكلب اللهم اخزه وعن خناس بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الكناسة فقلت في كلامي لاوالامانة فجعل زياد يبكي فظننت اني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره ماقلت قال نعم كان عمر ينهانا عن الحلف بالامانة أشد النهي وعن يحيى بن مطرف قال قلت لعيسى بن أبان أقعد الى هؤلاء القوم ساعة قال وما يدريك وماقدر ساعة قلت هنية قال هكذا فقل قال وقال لي عيسى يوما أدخل فانظر فلا ناهل تراه في المسجد فدخلت وخرجت وقلت ليس في المسجد أحد قال لاتقل هكذا قل لم أر في المسجد أحدا هكذا فقل ومن طريق عبد الرحمن بن عمر بن حفص عن ربيعة بن عطاء قال قلت عند القاسم بن محمد قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله قال هو أذل والأم من أن يجترئ على الله ولكنها الغرة قل ما أغره بالله ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال لايقل الرجل اذا سئل عن الرجل ليس لي به عهد حتى يقول مذلم أره (ومن تأمل جميع ماأوردناه من آفات اللسان علم انه اذا أطلق لسانه لم يسلم) من تلك الآفات كلها أو بعضها (وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا) وقد تقدم قريبا في أول هذا الكتاب (لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم) لاينفك عنها (فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ) يحجزه عن التعثر في السقطات (ومراقبة) في القلب للحق (لازمة) لاتنفك عنه (ويقلل في الكلام) ويتحفظ في المنطق (فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لاينفك عن الخطر) والاشراف على الهلاك (فان كنت لاتقدر على أن

ومن تأمل جميع ماأورد ناه من آفات اللسان علم انه اذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لاينفك عن الخطر فان كنت لاتقدر على أن

تكون ممن تكلم فغنم) بنتيجة كلامه (فكن ممن سكت فسلم) من آفاته (فالسلامة) من المكروهات (احدى الغنيمتين) روى ابن أبي الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من مرسل الحسن رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم ورواه العسكرى فى الامثال عن الحسن عن أنس ورواه البيهقى أيضا عن ثابت عن أنس ورواه الخرائطي فى مكارم الاخلاق بلفظ رحم الله عبدا قال فغنم أوسكت فسلم ورواه عن الحسن مرسلا ورواه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبي أمامة بلفظ الخرائطي

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أوحادثة) ومايجرى مجراه كسؤالهم عن الايمان هل هو مخلوق أوغير مخلوق (ومن حقهم الاشتغال بالعمل بمافى القرآن) من الاوامر والنواهى (الا ان ذلك ثقيل على النفوس) لاتسمح به (والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بان يخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه أنك من العلماء) الكمل وأهل الفضل (فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى) يوقفه على دهاليز الكفر وربما (يتكلم بما هو كفر) والعياذ بالله فينسل من الدين (وهو لايدرى) ولايشعر (وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم) لعدم أهليته (لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانماشأن العوام الاشتغال بالعبادات) الظاهرة (والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل) عليهم السلام (من غير بحث) ولاتنقير فهذا أفضل أحوالهم وأعظم أعمالهم (وسؤالهم عن غير مايتعلق بالعبادة سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى) والبعد عن ساحة حضرته (ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب) جمع سائس وهو الذى يتعاهد الدواب فى خدمتها ومراعاة أحوالها (عن أسرار الملوك) الباطنة (وهو موجب للعقوبة) والنكال (وكل من سأل عن علم غامض) أى دقيق (ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم) وفساده أكثر من صلاحه (فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرونى) أى اتركونى من السؤال (ماتركتكم) أى مدة تركى اياكم من الامر بالشئ والنهى عنه فلاتتعرضوا الى بكثرة البحث عمالايعنيكم فى دينكم مهما أنا تارككم لاأقول لكم شيأ فقد يوافق ذلك الزاما وتشديدا وخذوا بظاهر ما أمرتكم ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب ولاتكثروا من الاستقصاء فيما هو مبين بوجه ظاهر وان صلح لغيره لامكان ان يكثر الجواب المرتب عليه فيضاهى قصة بقرة بنى اسرائيل شددوا فشدد عليهم فخاف وقوع ذلك بامته ومن ثم علله بقوله (فانما هلك من كان قبلكم) من أمم الانبياء (بسؤالهم) اياهم عما لايعنيهم وفى رواية بكثرة سؤالهم (واختلافهم على أنبيائهم) ولما كان الامر كذلك تسببوا لتفرق القلوب ووهن الدين واستوجبوا به المحن والبلايا والمفهوم من السياق النهى عن السؤال والاختلاف فان قيل السؤال مأمور به بنص فاسألوا أهل الذكر فكيف يكون الشئ مأمورا منهيا قلت انما هو مأمور فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه وهو الذى يعنيه فى دينه أودنياه والمنهى عنه هو السؤال الذى يكثر به النزاع والخصومات وفيما لايعنى من الفضول (مانهيتكم عنه فاجتنبوه) أى دائما على كل تقدير مادام منهيا عنه حتما فى الحرام وندبا فى المكروه اذ لايمتثل مقتضى النهى الابترك جميع جزئياته والا صدق عليه انه عاص أو مخالف (وما أمرتكم به فأتوا منه) وجوبا فى الواجب وندبا فى المندوب (مااستطعتم) لان فعله هو اخراجه من العدم الى الوجود وذلك يتوقف على شرائط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضه يستطاع وبعضه لافلاجرم سقط التكليف بمالايستطاع اذ لايكلف الله نفسا الا وسعها وبدلالة الموافقة له يخص عموم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا قال العراقى متفق عليه من حديث أبي هريرة قلت رواه البخارى فى الاعتصام بنحوه ورواه مسلم بلفظ بكثرة سؤالهم وفيه فاذا أمرتكم بشئ

تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بمافى القرآن الا ان ذلك ثقيل عن النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بالخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر وهو لايدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام والاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم بما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير مايتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم

وقال أنس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام اليك شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يارسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك او

فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه وكذا رواه الشافعي وأحمد والنسائي وابن ماجه ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ فانما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم وفيه فاجتنبوه ما استطعتم ورواه ابن حبان بنحوه وعند بعضهم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (وقال أنس) رضي الله عنه (سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل) هو عبد الله (فقال يارسول الله من أبي فقال أبوك حذافة) هو ابن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي وعبد الله ابنه هذا يكنى أبا حذافة وقيل أبو حذيفة وأمه بنت حرثان من بني الحرث بن عبد مناف من السابقين الاولين مات بمصر في خلافة عثمان (فقام اليه شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان) أي تنسبان (اليه ثم قام اليه رجل فقال يارسول الله أفي الجنة أنا أو في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا) عن السؤال (فقام اليه عمر) رضي الله عنه (فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال) صلى الله عليه وسلم (اجلس رحمك الله انك ما علمت لموفق) قال العراقي متفق عليه مقتصرا على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي قال أبوك مولى شيبة اه قلت هو في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زالت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر وقال من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء الا أجبتكم به ما دمت في مقامي هذا قال فسأله عبد الله بن حذافة فقال من أبي قال أبوك حذافة الحديث (وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم قاله العراقي قلت وهذا السياق أشبه بسياق أبي داود يوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل فاذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ورواه ابن السني كذلك في عمل اليوم والليلة (وقال جابر) رضي الله عنه (ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال) قال العراقي رواه البزار بسند جيد (وفي قصة موسى والخضر) عليهما السلام (تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء) أي فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته (حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى ابتدأك ببيانه فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها فلم يصبر موسى عليه السلام (فلما سأل عن السفينة) وقال له أخرقتها لتغرق أهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق أهلها (أنكر عليه) وقال له لقد جئت شيئا امرا أي أمرا عظيما فذكره الخضر بقوله (حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت) أي بالذي نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها (ولا ترهقني من أمري عسرا) بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه (فلما لم يصبر حتى سأل ثالثا) الاول عن السفينة والثاني عن قتل الغلام والثالث عن اقامة الجدار (قال هذا فراق بيني وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني

أوالى الاعتراض الثالث أوالوقت (وفارقه) وكان ما كان مما هو مذكور فى القرآن (فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب زجرهم) أى كفهم (ومنعهم عن ذلك) وليس المراد بالعوام السوقية والاجلاف من أهل السواد فقط بل فى معنى العوام الاديب والنحوى والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لعلم السباحة فى بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى فى العلوم والاعمال القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها فى القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله لله المستحقرين للدنيا بل للآخرة فى جنب محبة الله تعالى فهؤلاء هم أهل الغوص فى بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة الى أن يسعد واحد منهم بالدر المكنون والسر المخزون (وخوضهم) أى أولئك العوام ومن فى معناهم (فى حروف القرآن يضاهى اشتغال من كتب اليه الملك كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى ان قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لامحالة فكذا تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حادثة وكذلك سائر صفات الله تعالى) فان اتفق سؤال مثل ذلك فيجب على العارف منع السائل عن مثله وليبين له انه بدعة وقد نهينا عن الخوض فى مثل ذلك وان لم يجد بدا من الخوض معه فى مثله فليقل له ماذا تعنى فى سؤالك فان أردت شيأ من القرآن ومن صفات الله تعالى فجميع صفات الله قديمة وان أردت شيأ من صفات الخلق فجميع صفاتهم مخلوقة فان أردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا مقصود وما لا يفهم ولا يتصور ذاته كيف يفهم حكمه فى القدم والحدوث والاصل زجر السائل والسكوت عن الجواب ولا عدول عنه الا لضرورة فسبيل المضطر ما ذكرناه وان كان السائل ذكيا مستعدا للحقائق يكشف له الغطاء عن المسئلة ويقال له ان كل شئ فله فى الوجود اربع مراتب وجود فى الاعيان ووجود فى الاذهان ووجود فى اللسان ووجود فى البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان لها وجودا فى التنور ووجودا فى الخيال والذهن وهو العلم بصورة النار وحقيقتها ولها وجود فى اللسان وهى كلمة دالة عليها أعنى لفظ النار ولها وجود فى البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراق صفة خاصة للنار كالقدم للقرآن ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة هى التى فى التنور دون التى فى الاذهان وفى اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق هو الذى فى البياض أو اللسان لاحترق ولو قيل النار محرقة قلنا نعم فان قيل كلمة النار محرقة وهى النون والالف والراء قلنا لا فان قيل فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار والمكتوب بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمات هو ما فى التنور وما فى التنور محرق فكذلك القدم وصف كلام الله كالاحراق فى وصف النار وما ينطلق عليه اسم القرآن له وجود على أربع مراتب أولاها وهى الاصل وجود قائم بذات الله تعالى يضاهى وجود النار فى التنور ولله المثل الاعلى لكن لابد من هذه الامثلة فى تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذا الوجود والثانية وجود العلم فى أذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم وجوده فى لساننا بتقطيع أصواتنا ثم وجوده فى الاوراق بالكتابة فاذا سئلنا عما فى أذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهى مخلوقة لكن المعلوم به قديم كما ان علمنا بالنار وثبوت صورتها فى الخيال غير محرق لكن المعلوم به محرق فاذا سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا قلنا ذلك صفة لساننا ولساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلونا بهذه الاصوات الحادثة قديم كما اذا ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقا وأصواتنا وتقطع أصواتنا غير محرق الا أن يقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القرآن ان كانت عبارة عن نفس القرآن فهى قديمة وكذلك الخطوط برقوم النار والمكتوب

وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لامحالة فكذلك تضييع العامى لحدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حادثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

به محرقة لان المكتوب هو نفس النار اذ الرقم الذى هو صورة النار غير محرق فانه فى الاوراق من غير احراق واحتراق فهذه أربع درجات فى الوجود تشكل على العوام ولا يمكنهم ادراك تفاصيلها وخاصة كل واحد منها فلذلك لا يخوض بهم فيها لجهلهم بحقيقة هذه الامور فحق البليد ان يمنع من الخوض فيه ويقال له القرآن غير مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تزل عنه ولا تحث وأما الذكى فيزال عنه الاشكال فى لحظة ويوصى بان لا يحدث العامى وأن لا يكلفه ماليس فى طاقته وهكذا جميع مواضع الاشكالات فى الظواهر وقد استوفاه المصنف فى الجام العوام ومن تفصيل ذلك فى كتاب قواعد العقائد

وعلى هذا القدر وقع الاقتصار فى شرح كتاب آفات اللسان فرغ من ذلك عند
أذان ظهر يوم الثلاثاء ثالث صفر الخير من شهور سنة ألف
ومائتين وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى تاب
الله عليه وأعانه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا آمين

(تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن أوله كتاب ذم الغضب)

(فهرست الجزء السابع من اتحاف السادة المتقين شرح أسرار احياء علوم الدين)

صحيفة	
٢	(كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه أربعة أبواب)
٤	الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٤	الباب الثاني في أركان الامر بالمعروف وشروطه
٥٢	الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات
٥٢	منكرات المساجد
٥٧	منكرات الاسواق
٥٨	منكرات الشوارع
٥٩	منكرات الحمامات
٦٠	منكرات الضيافة
٦٣	المنكرات العامة
٦٤	الباب الرابع في أمر الامراء والسلاطين
٨٩	(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)
٩١	بيان تاديب الله تعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم
٩٦	بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء
١٠٧	بيان جملة أخرى من أخلاقه
١١٢	بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم
١١٥	بيان أخلاقه وآدابه في الطعام
١٢٦	بيان أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم في اللباس
١٣٤	بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة
١٣٧	بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه
١٣٨	بيان سخائه صلى الله عليه وسلم وجوده
١٤٠	بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم
١٤١	بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم
١٤٤	بيان صورته صلى الله عليه وسلم وخلقته
١٦٤	بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه
١٩٩	(كتاب عجائب القلب)
٢٠١	بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل
٢١٠	بيان جنود القلب

صحيفة	
٢١٦	بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٢١٩	بيان خاصية قلب الانسان
٢٢٦	بيان مجامع أوصاف القلب ومثاله
٢٣٠	بيان أمثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة
٢٤٠	بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية
٢٤٤	بيان الفرق بين الالهام والتعلم وبين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار
٢٥٠	بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٢٥٧	بيان شواهد الشرع على صحة طريق التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعليم ولا من الطريق المعتاد
٢٦٤	بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وغلبتها
٢٧٥	بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب
٢٩٢	بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ويؤاخذ به
٢٩٨	بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٣٠١	بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات
٣١٥	(كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق)
٣١٨	بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٣٢٥	بيان حقيقة حسن الخلق
٣٣٢	بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة
٣٣٧	بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق
٣٤٢	بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق
٣٤٦	بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة
٣٤٨	بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه
٣٥٠	بيان شواهد النقل من أرباب البصر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض

صحيفة		صحيفة	
	القلوب بترك الشهوات وان مادة أمراضها هى اتباع الشهوات	٤٨٤	الآفة الثامنة اللعن
٣٥٧	بيان علامات حسن الخلق	٤٩٣	الآفة التاسعة الغناء
٣٦٢	بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشوء ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم	٤٩٥	الآفة العاشرة المزاح
٣٦٨	بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة	٥٠٣	الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء
٣٨٤	(كتاب) كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج	٥٠٤	الآفة الثانية عشر افشاء السر
٣٨٦	بيان فضيلة الجوع وذم الشبع	٥٠٥	الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب
٣٩٤	بيان آفات الشبع وفوائد الجوع	٥١٠	الآفة الرابعة عشر الكذب فى القول واليمين
٤٠٣	بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن	٥٢٢	بيان ما رخص فيه من الكذب
٤٢١	بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه	٥٢٨	بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
٤٢٥	بيان آفات الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات أوقلل الطعام	٥٣٣	الآفة الخامسة عشر الغيبة
٤٢٨	القول فى شهوة الفرج	٥٣٩	بيان معنى الغيبة وحدها
٤٣٢	بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله	٥٤١	بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان
٤٣٩	فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين	٥٤٥	بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
٤٤٦	(كتاب) آفات اللسان	٥٤٧	بيان العلاج الذى به يمنع اللسان من الغيبة
٤٤٩	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت	٥٥١	بيان تحريم الغيبة بالقلب
٤٥٩	الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك	٥٥٣	بيان الاعذار المرخصة فى الغيبة
٤٦٤	الآفة الثانية فضول الكلام	٥٥٨	بيان كفارة الغيبة
٤٦٧	الآفة الثالثة الخوض فى الباطل	٥٦١	الآفة السادسة عشر النميمة
٤٦٩	الآفة الرابعة المراء والجدال	٥٦٤	بيان حد النميمة وما يجب فى ردها
٤٧٣	الآفة الخامسة الخصومة	٥٦٨	الآفة السابعة عشر كلام ذى اللسانين
٤٧٦	الآفة السادسة التقعر فى الكلام	٥٧٠	الآفة الثامنة عشر المدح
٤٧٨	الآفة السابعة الفحش والسب	٥٧٣	بيان ما على الممدوح
		٥٧٤	الآفة التاسعة عشر فى الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام
		٥٧٩	الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى

(تمت)

